القول المكتوب في تاريخ الجنوب

(موسوعة تاريخية حضارية)

(ق١ - ق١٥هـ/ ق٧ - ق ٢١م)

الجزء التاسع والعشرون

أ . د . غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ - جامعة الملك خالد

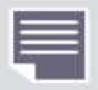
الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٣م

القول المكتوب في تاريخ الجنوب

(موسوعة تاريخية حضارية)

(ق ١ - ق ١٥هـ/ ق ٧ - ق ٢١م)



الجزء التاسع والعشرون

أ . د . غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ بجامعتي الملك سعود والملك خالد سابقاً

الطبعة الأولى

(١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٣م)

ح غيثان بن علي بن عبد الله جريس ، ١٤٤٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

جريس ، غيثان بن علي بن عبد الله

القول المكتوب في تاريخ الجنوب (موسوعة تاريخية حضارية) (ق١ ـ ق١٥هـ/ ق٧ ـ ق٢١م) (الجزء التاسع والعشرون) ./ غيثان بن علي بن عبد الله جريس - ط١ -. الرياض ، ١٤٤٤هـ

٦٩٦ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢ـ ٤٦٩٠ ـ ٠٤ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

١- المنطقة الجنوبية (السعودية) - تاريخ أ - العنوان

ديوي ٩٥٣,١٥ ١٤٤٤/٦٩٦٩

رقم الإيداع ١٤٤٤/٦٩٦٩

ردمك: ٢- ٤٦٩٠ - ٠٤-٦٠٣ - ٩٧٨

الطبعة الأولى

(١٤٤٥هـ / ٢٠٢٣م)

يوجد الكتاب كاملاً على الرابط الآتي : prof-ghithan.com

يوجد الكتاب على قناة التليقرام

و (على مواقع وروابط رقمية أخرى عديدة محلية ، وإقليمية، وعالمية)

الرياض: مطابع الحميضي

Email:ghithanjris@gmail.com

(أبها- المملكة العربية السعودية)


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرست العام لمحتويات الكتاب

المقدمة

بسـم الله، وأمنـت بـالله، وعليه توكلـت وإليه أنيـب، وأرجو وأطلـب رحمته وعفوه وغفرانـه - عـز وجل - . وأصـلي وأسـلم علـى الهادي البشـير، خاتم الأنبياء وسـيد المرسـلين، محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب الهاشمي القرشـي الكناني العدناني عليه أفضل صلاة وأزكى تسليم.

نحن ولله الحمد علـى وشك انتهاء عشرين عاماً منذ صدور الجزء الأول (الطبعة الأولى) مـن موسوعـة: **القـول المكتـوب في تاريـخ الجنـوب**[١]. وهـذه المقدمة في هذه الورقة تختص بالجزء رقم (٢٩) من هذه الموسوعة التاريخية التراثية الحضارية، التي معظـم مادتها المطبوعـة ورقياً ورقمياً تدور في فلك بلاد السـروات وتهامة، الممتدة من مكـة المكرمة والطائـف إلى منطقتي جازان ونجران، منذ عصور مـا قبل الإسلام إلى وقتنـا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م). وأسأل الله أن تكون من العمـل النافع. الذي أجد قبوله وأجره وثوابه عند ربي وخالقي ـ عز وجل ـ[٢].

هـذا المجلد رقـم (٢٩)، الموسوم بـ: **القول المكتوب في تاريـخ الجنوب (موسوعة تاريخيـة حضاريـة) (ق١ـ ق١٥هـ/ق٧ ـ ق٢١م)**، يحتوي علـى مقدمة، وبعض الملاحق، وأربعة أقسام أساسية على النحو الآتي:

١. **القسـم الأول: دراسـتان في التاريـخ واللغـة في محيط بلاد الحجاز واليمن وغيرهما، وكلمة موجزة عن اليوم الوطني السعودي رقم (٩٢) (توثيقات، وخلاصات، وتوصيات).**

٢. **القسـم الثـاني: حاضـرة خميـس مشيـط (١٣٧٣-١٣٩٥هـ/١٩٥٣- ١٩٧٥م) (دراسة تاريخية حضارية توثيقية).**

---

(١) صـدر الجـزء الأول في عـام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، وكتبـت مقدمته في عام (١٤٢٥هـ). ثـم صدرت الطبعة الثانية عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٢م).

(٢) اللهـم لك الحمد والفضـل والمنة والشكر يارب العالمين، أن مددت في أجلي متعلمـاً وباحثاً ودارساً أكثر من ستـين عامـاً. كما أسألك يا عزيز ياجبـار أن تجعل ما قدمت من محاضرات، أو نـدوات، أو مناقشات، أو دراسـات معرفية خالصـة لوجهك الكريم، وأن لا تحرمني أجرها وثوابها في الدار الآخرة، وأن تجعلها من العلم النافع الذي يكون حجة لي، لا حجة عليَّ. وأسألك يا الله أن تخلص قولي ونيتي وعملي فيما بقي من عمري، وأن تجنبني الرياء، والكذب، والتدليس، وترزقني الإخلاص والصدق، وكل عمل يبعدني عن النار، ويقربني من جنتك يا عزيز، يا جبار، ياودود، ياكريم، يا رحمان يا رحيم.

٣. **القســم الثالــث : مــن تاريــخ أدب الرحــلات، والقلــم والكتــاب، والمواصــلات والاتصالات ووسائل التواصل الاجتماعي في حياة الناس.**

٤. **القسم الرابع : مكة المكرمة في عين رجل من أهل السراة (قراءات، وذكريات، ومشاهدات) (١٣٩٢ـ ١٤٤٤هـ/١٩٧٢ـ ٢٠٢٣م).**

إن معظــم المــادة العلمية الموثقة في هذا العمل تــدور في المجال الجغرافي الممتد من مكــة المكرمــة والطائف نحو الجنوب السعودي (تهامة وســراة) حتى بلاد اليمن. هذه البــلاد التي نذرتٍ لها نفسي وجهــدي وتفكيري العلمي، والتعليمــي، والبحثي منذ أكثر مــن أربعين عاماً، إنها البلاد السرويــة والتهامية التي ترتبط جغرافيا وبشريا بحواضر الحجــاز واليمن منــذ عصور قديمة جداً، ومازلت على تواصــل تاريخي وحضاري بهذه الأصقاع حتى وقتنا الحاضر[1].

أشــرت في بعضــ أعمــالي العلميــة المطبوعــة والمنشــورة، إلى الكثــير مــن الرؤى والاستنتاجــات والخلاصات والتوصيات التي نوهت إلى شيء منها في الفقرة والحاشية السابقــة[2]. أقــول دائماً وأؤكد علــى أن بلدان الســروات وتهامة، مــن صعدة ونجران وجــازان وزبيد إلى مكة والطائف غنية بحضارتها وموروثها الإنساني منذ آلاف السنين قبــل الإســلام، ومن فترة ظهور الإسلام حتــى القرن الحادي عشــر الهجري (السابع عشــر الميــلادي). وأســأل الله أن يوفق ويســدد مؤسساتنا التعليميــة العالية في بلادنا الغاليــة (المملكــة العربية السعودية) إلى خدمة الأبحاث العلميــة المميزة التي لها صلةً بــتراث وحضارة وطننا في كل مجــال وناحية، وإن تحظى البلدان المنسية علمياً وتوثيقياً

---

(١) من يدرس تاريخ وحضارة الأرض والناس في الحجاز واليمن وما بينهما منذ العصور الحجرية إلى الآن، فإنه يجــد الكثير جــداً من التراث الحضاري المادي والمعنوي لهذه الأوطان عبر عصور التاريخ. وحواضر اليمن والحجاز الكبرى فقد وجدت بعض الخدمة والرعاية العلمية والبحثية الجيدة في الماضي والحاضر، مقارنة بالبلاد التهامية والسروية. وهذه الأوطان الأخيرة وإنسانها حظيت خلال العقود الماضية باهتمامات علمية بحثية طيبة وبخاصة في القرون الإسلامية المتأخرة (١٣ـ ١٥هـ/١٩ـ٢١م). أما وضعها العلمي والمعرفي منذ بداية الخليقة إلى القرن (١٢هـ/١٨م)، فمازال معظم تراثها وحضارتها مجهولة وغير واضحة المعالم في ميادين الدراسات العلمية الجادة والرصينة، ومن يقول إنني تجاوزت الحق والحقيقة، ويشير إلى أن هناك كتبــاً وبحوثــاً ودراسات صــدرت في هذا الباب، فأقول له نحــن نريد ونتطلع أن نعــرف تاريخنا وحضارتنا وتراثنا الحقيقي في العصور القديمة الإسلامية المبكرة والوسيطة من خلال أعمال تقوم على خدمة العلم للعلــم، مع توفر الاجتهاد الكبير من باحثين جادين، صادقــين، حياديين، منصفين. ومجتمعاتنا ـ والحمد لله ـ وفي الوقت الحاضر لا تخلو من أعلام متخصصين جيدين يستطيعون تقديم بعض الإسهامات العلمية الجيــدة، لكنهــم بحاجة ماسة وكبــيرة إلى مؤسسات علمية كبــيرة تدعمهم وتشجعهــم في شتى المجالات الرسمية والأهلية، المعنوية والمادية.

(٢) مــن يطالع معظم مؤلفاتي وبحوثي التي صدرت خــلال الأربعين سنة الماضية يجد فيها الكثير من الأسماء والعناوين والاقتراحات البحثية الجديرة بالدراسة والاهتمام العلمي والبحثي.

عنـد العلماء السابقين الأوائـل، بالاهتمام والخدمة والرعاية العلميـة البحثية الهادفة المدروسة والمدعومة من أجيالنا المعاصرة (أفراداً ومؤسسات حكومية وأهلية) [١].

عملت واجتهدت في إنجاز ما تم إعداده، وترتيبه، ثم طباعته ونشره في هذا السفر. وأسـأل الله أن يكون مـن الأعمال النافعة الصالحة المقبولة عند الله ـ عز وجل ـ. كما أسألـه أن يغفر لي فيما أخطأت فيـه، وأن يخلص نيتي وقولي وعملي الظاهر والباطن. وأشكر كل من تعاون معي بأي وسيلة، أو طريقة، أو مساهمة لإتمام هذا الجهد البشري، الـذي لا أدعـي فيه الكمال أو التمام. وآخر دعوانـا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أنجـزت هذا العمـل أنا العبـد الفقير، الـذي يرجو رحمة الله ـ عزوجل ـ، غيثان بن علي بن عبدالله بن جريس الثوابي الجبيري الشهري الحجري الهنوئي الأزدي في مدينـة الطائـف الحجازيـة السروية في (غرة رجب / ١٤٤٤هـ الموافق ٢٣ /يناير /٢٠٢٣م)

(١) مـن يدرس أحوال شبه الجزيـرة العربية قبل الإسلام وبعده يجد أن القبائـل كانت المسيطرة على أرضها وسكانهـا. وأن ظهـرت قـوى سياسية في مـدن وحواضر عديدة من البـلاد، فآثارها وجهودهـا التاريخية والسياسيـة محدودة على مناطق دون أخرى. وبلاد السروات وتهامة بقيت معظم أرضها وسكانها معزولة ومتقوقعـه علـى نفسها، واستمرت على هذا الوضع إلى القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم ظهرت حكومات حديثة، وجلبـت بعضهـا التطوير والتمـدن لشعوبها. والمملكة العربيـة السعودية في مقدمة هذه الـدول، فقد سعى حكامهـا منذ عهد المؤسس الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل إلى نشر الفضيلة والأمن والاستقرار والتنميـة في كل مكان، فرحـم الله ملوك وولاة أمر هذه البلاد، وجعلنا جميعـاً جادين مجتهدين في البذل والعطاء لخدمة ديننا وبلادنا وأهلنا. والله الهادي إلى سواء السبيل.

القسم الأول

دراستان في التاريخ واللغة في محيط بلاد الحجاز واليمن وغيرهما ، وكلمة عن اليوم الوطني السعودي رقم (٩٢)

القسم الأول

دراستان في التاريخ واللغة في محيط بلاد الحجاز واليمن وغيرهما، وكلمة عن اليوم الوطني السعودي رقم (٩٢)

أولاً: توطئة:

إن بلادنا جنوب المملكة العربية السعودية (تهامة وسراة) تمثل بلدان عديدة متنوعة في جغرافيتها، وأصول إنسانها، وبالتالي فهي ديار قديمة وعريقة في تاريخها وحضارتها، ولها موروث مادي ومعنوي أصيل بعضه مازال موجوداً ويستحق أن يُجمع ويُدرس ويوثق، وآخر لايزال مفقوداً وغير معروف وبخاصة القديم في عصور ما قبل الإسلام، والقرون الإسلامية المبكرة والوسيطة[1]. وأقول إن المشوار في خدمة حضارة وتراث هذه الأوطان السروية والتهامية مازال طويلاً، ويحتاج إلى تضافر جهود المؤسسات التعليمية البحثية في بلادنا، ثم العمل الجاد والدؤوب على جمع موروث هذه الأوطان من المصادر التراثية والأثرية السطحية والمدفونة في أرجاء البلاد، ومن خلال هذا العمل قد نطّلع على شيء من تاريخ هذه الديار في عصورها القديمة.

(١) ماذكرته في المتن، هو الحقيقة، فالبلاد السروية والتهامية من مكة والطائف إلى جازان ونجران ذات تاريخ كبير ومتنوع، لأن هذه الديار مستوطنات بشرية نشطة منذ العصر الحجري، ومازلنا نجهل ولا نعرف معظم حضارة وتراث هذه الأوطان خلال العصور القديمة، والقرون الإسلامية المبكرة والوسيطة، ومصادرنا التراثية التقليدية لا تحتفظ بشيء واضح وكاف عن هذه البلدان العريقة والقديمة.

في هذا القسم نوثق ثلاث دراسات متنوعة :

الدراسة الأولى : ترصد صفحات توثيقية لبعض مصادر تاريخ ومحافظة الطائف خلال القرون الإسلامية المختلفة (ق١ـ ق١٥هـ/ق٧ـ ق٢١م) ، ولا ندعي الكمال في المادة المدونة في هذا المحور، لكنها بداية لمن قد يعكف على دراسة هذا الموضوع في رسالة جامعية أو كتاب علمي توثيقي.

الدراسة الثانية : لأستاذ متخصص في علم اللسانيات عن الاختزال ومظاهره في اللغة العربية ومحكياتها. ومعظم مادة هذه الدراسة تدور في فلك بلاد اليمن وجنوب السعودية، وأحيانا تذكر العديد من الأمثلة في بلدانٍ أخرى عديدة داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها. والعنوان بشكل عام مازال جديراً بدراسات أطول وأعمق وبخاصة في البلدان اليمنية، والأجزاء السروية والتهامية السعودية.

الدراسه الثالثة : كلمة مختصرة عن اليوم الوطني السعودي، وبخاصة اليوم رقم (٩٢) ، مع ذكر بعض التوثيقات والخلاصات التاريخية لهذه المناسبة المهمة والغالية على كل قلب إنسان سعودي يريد لبلاده العزة والرفعة في شتى مجالات التنمية والحضارة ٠

ثانيـا: وقفة مع بعض مصادر تاريخ وحضارة محافظـة الطائف خلال العصر الإسلامي المبكر والوسيط والحديث والمعاصر (ق١ـق١٥هـ/ق٧ـق٢١م). بقلم. أ. د. غيثان بن علي بن جريس.

أولاً: مدخل:

إن ذكر مصطلح (محافظة الطائف) حديث العهد، فلم يظهر إلا مع التنظيمات الإدارية السعودية الحديثـة في بدايـات العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وكان يطلـق عليها قبل الإسلام وبعده ناحيـة أو مخـلاف، أو قرية، أو بلدة، ثم مدينـة، وأخيرا محافظة[١]. ومحافظـة الطائف اليوم تشمل منطقة واسعة، وتحاذي وتتصل بمناطق ومحافظات عديدة في الأجزاء التهامية والسروية[٢].

---

(١) ليسـت الطائـف الوحيدة التي مرت بهذه التحـولات والمسميات الإدارية والتنظيمية، وإنمـا جرى ذلك على معظم المدن والحواضر في المملكة العربية السعودية. وتاريخ هذه التطورات الحضارية جديرة بالدراسة التوثيقية الجادة.

(٢) للمزيد عـن جغرافية محافظة الطائف انظر العديد من الدراسات الحديثة المطبوعة والمنشورة من خلال نادي الطائف الأدبي، وجامعة الطائف، ومنها مؤلفات السيد عيسى بن علوي القصير وغيره.

والحديث عن تاريخ وحضارة الطائف قبل الإسلام وبعده موثق في العديد من المصادر الإسلامية المبكرة والوسيطة. وهناك مراجع متأخرة وثقت عشرات الصفحات في هذا الباب. ومازالت الدراسات الأثرية قليلة، وقد يكون في هذا النوع من المصادر مادة علمية جيدة لا توجد في المصادر والمراجع التقليدية[١]. والناظر في المصادر والمراجع المنشورة يجدها مركزة على بلدة أو مدينة الطائف، أما الأمكنة الأخرى في طول المحافظة وعرضها فمازالت غير مخدومة بحثياً على الإطلاق، وإن ذكرت بعض المواضع فذكرها محدود جداً[٢].

ثانياً: لمحة عن مصادر ومراجع محافظة الطائف عبر أطوار التاريخ الإسلامي:

في الصفحات الآتية أشير إلى بعض المصادر والمراجع التي وثقت شيئاً من تاريخ الطائف وحضارتها من قبل الإسلام إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م)، وهي على النحو الآتي:

١ـ المصادر الشرعية وكتب السنن والسيرة :

إن أول هذه المصادر القرآن الكريم والتفاسير، فقد ورد في الكتاب العزيز بعض الآيات التي تذكر شذرات من تاريخ الطائف وأعلامها. فصنم اللات كان لبني ثقيف في الطائف، قال الله تعالى: (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى)[٣]. وعند ظهور الرسول (ﷺ) في مكة بعد أن نزل عليه الوحي، فالمشركون اجتهدوا في محاربته وما جاء به من دعوة، وقالوا لماذا لم ينزل الوحي (القرآن الكريم) على عظيمي القريتين (مكة أو الطائف). فأنزل الله قرآناً في ذلك، قال تعالى: (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)[٤]. والمقصود بالرجلين، الوليد بن المغيرة في مكة المكرمة، وعروة بن مسعود في الطائف[٥]. ومن يبحث في القرآن الكريم والتفاسير فسوف يجد إشارات عديدة إلى بلدة الطائف وسكانها. كذلك كتب السنن الستة وغيرها فيها أحاديث كثيرة تختص

---

(١) هذا الذي عرفته أثناء دراساتي في الحجاز وبلاد السراة وتهامة خلال العقود الأربعة الماضية (١٤٠٠ـ١٤٤٤هـ/١٩٨٠ـ٢٠٢٢م). وأقول إن محافظة الطائف مازالت بحاجة إلى دراسات أطول وأعمق في شتى المجالات، والنقوش والرسومات الصخرية، والآثار السطحية والمدفونة من المصادر المهمة، لدراسة تاريخ بلاد الطائف وحضارتها.

(٢) إذا قارنا توثيق تاريخ مدينة الطائف مع المدن الكبيرة في شبه الجزيرة العربية، فإنها قليلة ومتواضعة. أما البلدان الريفية أو النائية في كل مدينة أو حاضرة أو محافظة أو منطقة، وبخاصة في بلاد السروات وتهامة الواقعة بين حواضر الحجاز واليمن الكبرى، فإن التراث والتاريخ الموثق عنها في عصور ما قبل الإسلام، والقرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١ـ ق١١هـ/ق٧ـ ق١٧م) قليلا جداً، ومعظمها لا نجد عنها معلومات وتوثيقات معلومة وواضحة.

(٣) سورة النجم، الآية (١٩).

(٤) سورة الزخرف، الآية (٣١).

(٥) بعض التفاسير ذكرت أسماء أخرى غير هذين الرجلين، لكن معظم كتب التفسير أجمعت على هذين العلمين.

ببعضٍ رجالات الطائف، والأحداث التاريخية والسياسية في هذه الحاضرة الحجازية[١]. أيضاً كتب الفقه والحسبة مثل مصنفات لخراج للقاضي أبو يوسف، وابن آدم، والأموال لابن سلام، والأحكام السلطانية للماوردي، وأبو يعلى يوجد فيها معلومات تاريخية قيمة تتعلق بحواضر الحجاز كالطائف وغيرها. والوضع نفسه مع كتب السير والمغازي مثل مؤلفات ابن هشام، وابن إسحاق، وابن كثير، والواقدي وغيرها ففيها مادة علمية جيدة عن تاريخ بلاد الطائف قبل الإسلام وأثناء عصر الدعوة الإسلامية المكية والمدنية [٢].

٢ـ كتب التاريخ الحولي، والمصادر الموضوعية والمحلية :

هذا النوع من المصادر ثري في مادته التاريخية وتنوعها. والكتب الحولية موسوعية فيما تحتوي عليه، فهي تدرس تاريخ وحضارة الإسلام والمسلمين بشكل عام، ولا تخلو بعضها عن أحداث وتواريخ متنوعة قبل الإسلام. ومن هذه المصادر تاريخ الطبري، وتاريخ ابن الأثير، وتاريخ ابن خلدون، وعقد الجمان للعيني، ومؤلفات أخرى لابن الجوزي، والذهبي، وابن الفرات، واليافعي وغيرهم. وفي هذه الكتب وغيرها ممن سار على منهجها تفصيلات تاريخية جيدة عن مدينة الطائف منذ عصر ما قبل الإسلام إلى القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي). وجل المادة الموثقة في هذه الكتب يغلب عليها التاريخ الحربي والسياسي، لكنها لا تخلو من مواد علمية حضارية عن حاضرة الطائف وغيرها من حواضر الحجاز الرئيسية [٣].

أما المصادر الموضوعية فهي تدرس مكاناً أو موضوعاً، أو ناحية أو أسرة، أو قبيلة محدودة، وتختلف في منهجها وتدوين مادتها العلمية عن الكتب الموسوعية الحولية. ومن هذه المؤلفات القديمة تاريخ اليعقوبي، وتاريخ البلاذري، وتاريخ المسعودي، وتاريخ السيوطي وغيرها كثيرة خلال القرون الإسلامية الوسيطة (ق٣ـ ق٩هـ/ق٩ـ ق١٥م) وفي هذه الكتب معلومات وإشارات متفاوتة حجمها ونوعها عن بلاد الطائف وأهلها[٤].

---

(١) حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ الطائف من خلال القرآن الكريم وكتب الحديث (السنة النبوية).

(٢) هناك بعض الدراسات الحديثة المحدودة التي وثقت صفحات من تاريخ الطائف في صدر الإسلام، لكن دراسة هذه الناحية من خلال كتب الفقه والسيرة موضوع جديد لم يدرس حبذا أن نرى باحثا جادا يدرسه في هيئة بحث علمي عميق ورصين.

(٣) كما أشرت سابقاً أن الحديث عن الطائف في هذه المصادر وغيرها يتركز على القرية أو البلدة أو مدينة الطائف. أما أرياف وبوادي محافظة الطائف فهي شبه منسية، ولا ذكر لها في هذه المصادر المبكرة. وهذه المشكلة عامة على بلاد تهامة والسراة الممتدة من مدينة الطائف إلى بلاد أبها وخميس مشيط ونجران. كما أن دراسة تاريخ حاضرة الطائف من خلال هذه المصادر الحولية خلال القرون الإسلامية العشرة الأولى (ق١ـ ق١٠هـ/ ق٧ـ ق١٦م) موضوع جديد حبذا أن يدرس في بحث علمي محكم.

(٤) من يدرس تاريخ وحضارة الطائف من خلال هذه المصادر فسوف يجد بعض المادة التاريخية السياسية والحضارية المحدودة، وإن جمعت فإنها قد تخرج في بضع صفحات عديدة.

ومصادر التاريخ المحلي أفضل في نوع وحجم مادتها من بعض المصادر السابقة. والمقصود بهذا النوع من الكتب، أي المدونات التي تخصصت في دراسة ناحية، أو منطقة، أو مدينة محدودة. ونجد هناك الكثير من كتب التراث الإسلامي التي ركزت محتوياتها على حواضر اليمن والحجاز الكبرى، مثل مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وصنعاء، وزبيد، وتعز وغيرها. ومن تلك المصادر مؤلفات الأزرقي، والفاكهي، وابن ظهيرة والسمهودي، وابن شبه، وابن سمرة الجعدي، وعمارة اليمني، والرازي، والفاسي، وابن فهد وغيرهم كثير[1].

ومن يقصر الدراسة على المصادر المكية وبخاصة مؤلفات الفاسي، وبعض مؤرخي أسرة آل فهد المكية فإنه يجد فيها مادة علمية جيدة عن تاريخ وحضارة الطائف خلال العصور الإسلامية الوسيطة، وبخاصة في مجال التراجم والأعلام. وكان الكثير من الرجال والأسر المكية يذهبون للعيش في الطائف خلال فصل الصيف، ومنهم من يقيم فيها فترات أطول، وبعض المكيين عاشوا وماتوا في مدينة الطائف. وآخرون من أعلام الطائف يذهبون إلى مكة أو المدينة المنورة يقيمون فيها بشكل دائم، ونجد بعض كتب التراجم المكية تذكر أسماء أعلام من سكان وقبائل الطائف عاشوا وماتوا في مكة[2].

وبلاد الطائف لا تخلو من مؤلفين ومؤرخين دونوا شيئاً من تاريخ مدينة الطائف وحضارتها، ومعظمهم زاروا هذه المدينة وماتوا فيها خلال العصر الإسلامي الوسيط والحديث، ومنهم على سبيل المثال[3].

أ - محمد بن إسماعيل بن علي بن أبي الصيف اليمني المكي، يعرف باسم (أبو عبدالله)، المتوفى (٦٠٩هـ/١٢١٢م)، له كتاب بعنوان (**زيارة الطائف**).

ب - كتاب : **بهجة المهج في بعض فضائل الطائف ووج**، لأحمد بن علي بن أبي بكر بن عيسى العبدري الميورقي، الملقب بأبي العباس، المتوفى بالطائف عام (٦٧٨هـ/١٢٧٩م).

---

(١) هذا الصنف من المؤلفات أصبح معظمها محققاً ومطبوعاً ومنشوراً رقمياً وورقياً. وفيها مادة علمية جيدة عن حواضر الحجاز واليمن الكبرى. كما انها لا تخلو من مواد تاريخية حضارية جيدة عن أهل الطائف ومدينتهم من القرن الثالث إلى التاسع الهجري (ق٩-ق١٥م). أرجو أن نرى باحثاً جاداً يدرس حاضرة الطائف من خلال هذه المؤلفات خلال العصر الإسلامي الوسيط.

(٢) من يدرس هذه المصادر المكية فسوف يجد معلومات تاريخية جيدة عن أهل الطائف والمكيين في حاضرة الطائف، ويطلع على شيء من الصلات الحضارية بين مدينتي مكة والطائف خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة .

(٣) لم أحصر جميع هذا الصنف من الزوار والمؤرخين المحليين، وهو موضوع يستحق أن يدرس في هيئة رسالة علمية جامعية أو بحث مطول منذ القرون الإسلامية الأولى إلى القرن (١٤هـ/٢٠م). وهناك بعض الإشارات إلى بعض هؤلاء المؤرخين في بعض الدراسات الحديثة، لكنها غير كافية ولا مستوفاة.

ج ـ كتاب: **منهج النبراس في فضائل بن عباس**، لمحمد بن أحمد بن علي القسطلاني التوزري المكي قطب الدين، ويكنى بأبي بكر، المتوفى عام (٦٨٦هـ/١٢٨٧م).

د ـ كتابا : **أحاسن اللطائف في محاسن الطائف** : **وفصل الدرة من الخرزة في فضل قريـة السلامة على الخبزة**، لمحمد بن يعقـوب الشيرازي الفيروز أبادي، ويعرف بمجد الدين، وأبو طاهر، المتوفى سنة (٨١٧هـ/١٤١٤م).

هـ ـ زار الشيـخ أبـو الفضل جار الله بـن محمد بن عبدالعزيز بن عمر بن فهـد المكي الهاشمي الطائـف في عامـي (٩١٥، ٩١٦هـ/١٥٠٩، ١٥١٠م)، وبقي بعض الوقـت يقرأ على يد والده في مسجـد عبدالله بن عباس، ثـم ألف عن الطائف كتابين: (١) **الاتعـاظ بما ورد في سوق عكاظ**. (٢) **تحفـة اللطائـف في فضل الحبر ابـن عباس ووج والطائـف**. وأشار إلى بعض أودية الطائف في كتابه (**حسن القرى في أودية أم القرى**).[1].

و ـ كتـاب: **نشـر اللطائف في قطـر الطائف**، لأبي الحسن علـي بن محمد بن علي بن عراق الكناني نور الدين، المتوفى عام (٩٦٣هـ/١٥٥٥م).

ز ـ عبـد القادر بن أحمد بن علي الفاكهي الشافعـي، المتوفى سنة (٩٨٩هـ/١٨٥١م)، ألـف كتابين عن الطائـف. الأول: **عقود اللطائف في محاسـن الطائف. والثاني : مشكاة الاقتباس في فضائل ابن عباس**.

ح ـ كتـاب: **استئنـاس الناس بفضائل ابن عبـاس**، لعلي بن سلطان بن محمد الهروي القاري المكي، المتوفى سنة ١٠١٤هـ/١٦٠٥م).

ط ـ دون الشيخ محمد بن عليٍ بن علان البكري الصديقي الشافعي المكي، المتوفى عام (١٠٥٧هـ/١٦٤٧م)، كتاباً بعنوان :**طيف الطائف في فضل الطائف**.

ي ـ كتـاب **إهـداء اللطائف مـن أخبار الطائف**، لحسن بن علـي بن يحيى بن عمر بن أحمـد العجيمي المكي الحنفي، يعرف بأبي علي، وأبـو البقاء، توفي بالطائف سنة (١١١٣هـ/١٧٠١م).

ك ـ محمـد بن عبدالكريم القنـوي، كان يسكن الطائف عـام (١١٤٩هـ/١٧٣٦م)، **له رسالة مدونة في فضائل عبدالله بن عباس والطائف**.

---

(١) مـن يتجول في أرجـاء محافظة الطائف اليوم يجد فيها الكثير من المعـالم الجغرافية المتنوعة. وقد حصر بعضهـا السيد عيسى بـن علوي القصير، فذكر حوالي (٤٠) وادياً، و (٢٠) جبـلاً. وأشار إلى العديد من السـدود، والغابـات، والعيـون، والبساتين في أنحاء بـلاد الطائف. انظر كتابه (أحلـى اللطائف في منتجع الطائف)، إصدارات جامعة الطائف (١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، ص ٢٣ـ٣٥.

ل ـ كتاب: **الأنفاس القدسية في مناقب الحضرة العباسية في مناقب عبدالله بن عباس**، لعبدالله بن إبراهيم بن حسن المحجوب الميرغني المكي، المتوفى في قرية السلامة بالطائف عام (١٢٠٧هـ/١٩٧٢م).

قلت: الكثير من هذه الرسائل والكتب التي صدرت عن الطائف وعبدالله بن عباس ومسجده تم طباعتها ونشرها. لكن بعضها مازالت بحاجة إلى عناية بحثية وتحقيقية أوسع وأطول. وربما مازال في مكتبة مسجد عبدالله بن عباس وبعض مكتبات مدن الحجاز الرسمية والخاصة مخطوطات عن حاضرة الطائف، تستحق الدراسة والتحقيق العلمي الجاد[1].

٣ـ كتب الأدب، واللغة، والمعاجم :

إن كتب اللغة والأدب المبكرة كثيرة، وفي مقدمتها مؤلفات الجاحظ، والأصمعي، وابن قتيبة، والثعالبي، والأصبهاني، والأصفهاني وغيرها. وهذه المصادر يغلب عليها الشمولية مثل الكتب التاريخية الحولية، لكنها لا تخلو من روايات وأشعار وقصص عن حواضر الحجاز الكبرى، وتأتي الطائف بعد مكة والمدينة من حيث الأهمية والموقع الاستراتيجي، والصلات التاريخية الحضارية القوية بين هذه المدن الحجازية. وفي الدواوين الشعرية العربية الخاصة بالقرون الإسلامية الأولى بعض التواريخ والمواد الأدبية المتعلقة بالطائف. ووجود سوق عكاظ ضمن حاضرة الطائف جعل الكثير من الأدباء والشعراء قبل الإسلام وبعده يفدون إلى هذا السوق ويقدمون مناظراتهم وأدبهم، وأشعارهم المتنوعة في موضوعاتها وأحداثها. ومن يجمع ويدرس تاريخ مهرجان عكاظ وآثاره الأدبية والحضارية على شبه الجزيرة بشكل عام، وعلى حواضر الحجاز وفي مقدمتها مدينة الطائف فإنه سوف يطلع على تراث علمي جيد، يستطيع من خلاله أن يدون صفحات كثيرة من تاريخ وحضارة حاضرة الطائف وما حولها [2].

وتأتي المعاجم العربية اللغوية ضمن المصادر المهمة لدراسة تراث وتاريخ محافظة الطائف. وموسوعات لسان العرب لابن منظور. وتاج العروس للزبيدي تشتمل على مادة حضارية جيدة عن بلاد الطائف وبخاصة في ميادين الأشجار والنباتات، والحيوانات والطيور، وأسماء الكثير من الأعلام الجغرافية والبشرية، بالإضافة إلى المفردات

---

(١) أقول إن بلاد الطائف في العصر الإسلامي الوسيط غير مدروسة، وأغلب تاريخها الحضاري مازال مفقوداً، وإذا اتجهنا من الحاضرة نحو الشرق والجنوب، فلا نجد أي شيء مدون عن هذه النواحي، مع أنها مواطن استيطان بشري منذ عصور ما قبل الإسلام، وبقيت هكذا خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة .

(٢) حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ الطائف من خلال سوق عكاظ، وما قيل فيه من أشعار وحياة أدبية نشطة قبل الإسلام حتى نهاية عصر بني أمية (١٣٢هـ/٧٤٩م)، ومن يخدم هذا الموضوع توثيقياً وبحثياً فسوف يخرج لنا دراسة علمية قيمة .

والاصطلاحــات اللغويــة في بلاد الطائف وقبائلهــا، وكذلك الأشعار وشيء مــن التاريخ الأدبي. ومــن يعكف على دراسة تــراث وحضارة الطائف من خلال هذين المعجمين (لسان العرب، وتاج العروس) فإنه سيطلع على مادة جديدة وجيدة عن سكان وأهل هذه الديار السروية الحجازية ٠

٤- مصادر الطبقات، والسير، والتراجم :

هذا النوع من الكتب كثيرة في عددها، متنوعة في أزمانها وأماكنها، وطرق تأليفها، وأعــداد الأعلام المدونة فيها وبعض كتب التراجم من القرن الثالث إلى الوقت الحاضر (ق١٥هــ/٢١م) التــي تم تدوينها داخل شبه الجزيرة العربيــة، ومدن الحجاز واليمن الكــبرى، وقــام بإنجازها بعضــ المؤلفين المحليين الذيــن وثقوا سير بعضــ الأعلام في بلادهم، وكان لبعض أعلام الطائف في بعض الفترات ذكراً في هذا الصنف من المؤلفات. ونجد تقي الدين الفاسي المكي في العصر الإسلامي الوسيط قد رصد في بعض مؤلفاته ســيراً لبعض الأعــلام الطائفين في مدينتهم الطائــف، أو أثناء زياراتهــم لمكة المكرمة أو إقامتهــم فيها.وهناك بعض المراجع التي صدرت في الحجاز خلال المئة سنة الماضية (١٣٤٢ـ ١٤٤٤هـ/١٩٢٣ـ ٢٠٢١م)، وحفظت تراجم لبعض أعلام الطائف[١].

وهناك كتب تراجم قديمة وكبيرة وعامة، ومعظمها تم تحقيقها وطباعتها ونشرها مثل طبقــات ابــن خياط وابن سعد، وكتب أسد الغابة في معرفــة الصحابة لابن الأثير، وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقــلاني، ومؤلفات أخرى عديدة للخطيب البغدادي، وابن عساكر، وابن خلكان، والكتبي، والتميمي، وابن القاضي، والذهبي، والسبكي، والإسنوي، والسيوطي، والسخــاوي، وابن فرحون، والحنبلي وغيرهم كثير. وهذه المؤلفات واسعة وشاملة في تدوين الكثير من الأعلام في أصقاع العالم الإسلامي، ومعظمها خلال العصر الإسلامي الوسيط، وفي أغلبها تراجم لبعض الأعلام من مدينة الطائف خارج شبه الجزيرة العربية، وما قدموا من إسهامات سياسية وعسكرية وعلمية وإدارية أو تاريخية في ميدان الحضارة الإسلامية. ومــن يتوقف عنــد بعض الأسر أو الأعــلام الذين ينتسبون إلى قبائــل في محافظة الطائف مثــل الحجاج بن يوسف الثقفــي وأهل بيته، وخالد بن عبدالله القســري وعشيرته، ورجال وقادة وأعلام مشاهير من قبائل الطائف كان لهم دور ريادي وواسع في العديد من المجالات التاريخية الحضارية في بلاد الشام والعراق وبلاد فارس وشمال إفريقيا وغيرها[٢].

---

(١) مــن يطلع على بعض المؤلفات اليمنية، او الحجازية خلال القرون الإسلامية المبكرة، والوسيطة، والحديثة يجدهــا تركــز بشكل كبير على مدن اليمن والحجــاز الكبرى مثل مكة المكرمة، والمدينــة المنورة، وصنعاء، وتعــز، وعدن.ولا تخلو هذه الكتب من الإشارة إلى بعض الأعلام في نواحي أخرى مثل الطائف في الحجاز، والحديدة، وصعدة في اليمن. وهذا النوع من المصادر جدير بالاطلاع والقراءة ومعرفة حجم المادة المدونة فيها عن بلاد الطائف ورجالاتها عبر عصور التاريخ الإسلامي.

(٢) مــن يدرس دور الطائف ورجالهــا في نشر الإسلام وبنــاء التاريخ والحضارة الإسلاميــة في مشارق الأرض ومغاربهــا خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة فإنه سيجد أثرهم الكبير المتنوع والواسع في مصادر

٥ـ مؤلفات الرحالة والجغرافيين المتقدمين والمتأخرين :

إن هـذه الحزمة من الكتب من أكـثر وأهم المصادر التي تحتوي على مادة تاريخية كبيرة ومتنوعة عن المخاليـف، والنواحي، والحواضر، والمدن، والبلدان. وإذا توقفنا مع مدينة الطائف، أو المحافظة بشكل عام وجدناها قد حظيت بنصيب من الذكر والتوثيق عنـد هذه الشريحة مـن المؤلفين. ومن الجغرافيـين والرحالين المسلمـين الأوائل لسان اليمن الهمداني، والحربي، وأبو علي الهجري، وعرام السلمي، والأصفهاني، واليعقوبي، والمسعـودي، وابن خرداذبـة، وابن الفقيه، وابـن حوقل، والاصطخـري، وقدامة، وابن رستـه، وناصـر خسـرو، والإدريسي، وابن المجـاور. ومن المعاجـم الجغرافية معجم ما استعجـم للبكري، ومعجم البلدان لياقوت الحموي، والروض المعطار للحميري وغيرها. وفي جميـع هذه المصـادر معلومـات متنوعة عن الطائـف، تاريخية وجغرافيـة، وأدبية وعلميـة، واجتماعية واقتصاديـة. وفي بعضها ذكر لبعض الأحـداث والأمكنة والأعلام الطبيعيـة والبشريـة، وسبق أن أصدرت دراسة عن بـلاد الطائف كما وردت عند بعض المؤرخين والجغرافيين المتقدمين والمتأخرين منذ القرن (٣ـ ١٥هـ/٩ـ ٢١م) [١].

وفي العصـر الحديـث زار وكتـب عـن الطائف العديد مـن الجغرافيـين والرحالة المسلمـين وغير المسلمين، وجـاء في كتبهم تفصيلات جيدة عن تاريـخ الأرض والناس. ومعظـم هـذه المؤلفـات المتأخرة صـدرت في القـرون الثلاثـة الأخيرة (ق١٣ـــ ١٥هـ/ ق١٩ـــ٢١م) [٢]. ومازال موضوع محافظة الطائف في كتب الجغرافيين والرحالين خلال القـرون الإسلامية المبكـرة والوسيطة والحديثـة يستحق أن يدرس في عشرات الكتب والبحـوث العلميـة. آمل أن نـرى بعض المؤرخـين والباحثين في جامعـة الطائف يتولون خدمة هذا الميدان بالدارسة والتحليل ثم التوثيق والطباعة والنشر.

٦ـ كتب الأنساب، وموسوعات تراثية إسلامية عامة :

اهتـم العرب بالأنسـاب، وحرصوا علـى معرفـة أصولهـم وانسابهم [٣].وبرز عند

ومـدن إسلاميـة عديدة. وهذا الموضـوع جديد في بابه يستحـق أن يدرس في عدد مـن الرسائل الجامعية والكتب العلمية التوثيقية .

(١) انظر غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ط١، (الجزء الثالث عشر) (١٤٣٩هـ/٢٠١٨م)، ص ١٤ـ ٩٧. ط٢(١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م). القسم الأول، ص١٤ـ ٩٤ .

(٢) انظر : المصدر المذكور في الحاشية السابقة .

(٣) الجنس العربي، والقبائل العربية كانت ومازالت حريصة جداً على معرفة أحسابها وأنسابها. وكتب التراث الإسلامـي مليئـة بالتراث العلمي والأدبي الـذي يحث على دراسة الأنساب والاهتمـام بها. وهناك جوانب إيجابيـة وأخـرى سلبيـة في مجال تاريخ الأنسـاب، بل إن هذا الميـدان من أصعب العلوم لـما يحيط به من صعوبات ومعوقات .

العـرب والمسلمـين من كان علـى دراية كبـيرة بعلم الأنســاب، ونقرأ عـن بعض أعلام شبـه الجزيرة العربية قبـل الإسلام وبعده كيف كانوا مصـدرا وحجة في مجال النسب والأنســاب. بل من خلال رحلاتي العلمية خلال العقـود الأربعة الماضية، التقيت ببعض المعمرين، والأعلام في المملكة العربية السعودية، وكان عندهم إلمام جيد بأصول قبائلهم وأنسابهـا، بل بعضهم تـراه وتسمعه يذكر بكل ثقة نسب بعض القـرى أو الأسر في بلاد الحجـاز، ومناطق جنـوب المملكة العربيـة السعوديـة (الطائف، والباحـة، والقنفذة، وعسـير، وجـازان، ونجران)، وقد بحثت في بعض الأقـوال والقصص التي سمعتها من بعض النسابة خلال العقود الثلاثة الماضية فوجدت بعضها صحيحة، ومعلومات أخرى مازالت بحاجة إلى مزيد من الدراسة والتثبت[١].

ونجد ضمن مجموعات التراث الإسلامي بعض العلماء الذين تخصصوا وكتبوا في علـم الأنساب، وقـد خلفوا لنا مصادر علمية كبيرة لا يستغني عنها من يريد الاطلاع أو القراءة عن الأنساب. ومن أبرز العلماء النسابة القدماء ابن الكلبي، وابن حزم، ومصعب الزبـيري، والبلاذري، والأشعري، والسمعــاني، والقلقشندي وغيرهم ممن دونوا بعض المصـادر التي درست أنســاب القبائل والعشائر في شبه الجزيـرة العربية. وإذا اطلعنا علـى هذا النـوع من المصادر وجدنها تُفّصل الحديث عـن القبائل الكبير والمتوسطة في الحجـاز، واليمـن، وتهامة والسروات. ومن قبائل محافظـة الطائف المشهورة عامر بن صعصعة، وعدوان، وثقيف، وبالحارث، وبني مالك، وبني سعد وغيرها. ونجد عاتق بن غيـث البلادي في العصر الحديث يطلـع ويستفيد من تلك المصادر المتقدمة، ثم يصدر العديد من الكتب والدراسات في أنساب قبائل الحجاز بما فيها محافظة الطائف[٢].

عـرف العـرب والمسلمـون موسوعـات شاملة وكبيرة، مثـل مسالـك الأبصار لابن فضـل الله العُمـري، وصبح الأعشى للقلقشنـدي، والعقد الفريد لابـن عبدربه، ونهاية الأرب في معرفـة أحوال العرب للنويري، ومبهاج الفكـر ومنهاج العبر للكتبي، والمقصد الرفيـع المنشأ للخالدي. وكل مصدر من هذه المؤلفات وغيرها تعد من الكتب الموسوعية الكبـيرة، قـام بإنجازها علماء مسلمين كبار خلال العصـر الإسلامي الوسيط، ويُخيل

(١) أكـرر القـول بأن علم الأنساب صعب ويجـب التعامل معه بجد وحذر، وليس كل باحـث أو عالم يستطيع أن يعرف كل ماله علاقة بهذا العلم الواسع والمهم.

(٢) مـن خلال جولاتي ورحلتي في محافظة الطائف وجدت أن علـم الأنساب في هذه الناحية مازال يحتاج إلى عنايـة وجهـد كبيرين.ونجد التنمية الحديثة جعلت القبائل والعشائر تتداخل مع بعضها عن طريق الجوار والمصاهرة، بل جاء إلى الطائف الكثير من العناصر الداخلية والخارجية وعاشوا في هذه البلاد، وصاروا جـزءاً رئيسياً من المجتمع الطائفي. ورغم صعوبة دراسة الأنســاب وحساسيته، إلا أنه مازال يحتاج عناية كبيرة من المؤرخين والباحثين .

للباحث وطالب العلم أن هذه المؤلفات متخصصة في علوم جغرافية أو تاريخية أو ما شابه ذلك، لكنها في الواقع تحتوي على معارف كثيرة ومتنوعة اجتماعية، وسياسية، وإدارية، واقتصادية، وعلمية ومعرفية، وأنساب وغيرها. ولا تخلو من إشارات معرفية جيدة عن حواضر شبه الجزيرة العربية، وحظيت بلاد الطائف بنصيب جيد في هذه المصادر التراثية المبكرة [١].

٧ـ مصادر أخرى تراثية :

إن الباحث في كتب التراث الإسلامي يطلع على مئات المصادر المطبوعة والمخطوطة المتنوعة في مجالاتها العلمية. وهناك العديد من الكتب المبكرة النادرة في موضوعاتها، وتوثق صفحات من التاريخ الحضاري. ونجد في حواضر اليمن والحجاز الكبرى علماء كبار كتبوا في مجال الزراعة والفلاحة، والمعادن، وعلوم الفلك والنجوم والأنواء، وهناك مؤلفات أخرى عامة رصدتِ الحياة النباتية والحيوانية والطيور والزواحف والحشرات، ومؤلفون آخرون دونوا علوماً ومعارف في المجالات الطبية، والصيدلة، والحياة الإدارية، وبعض الصناعات الكبيرة والدقيقة. وبعض العلماء عكفوا على دراسة الحياة العلمية والتعليمية في الحرمين الشريفين، ومنهم من امتدت مساحة مدوناتهم إلى مدينة الطائف وصلاتها السياسية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية مع أهل مكة وحواضر أخرى كبيرة داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها. ومن إشاراتي السابق ذكرها في مجال العلم والتوثيق المعرفي نجد أن حاضرة الطائف لم تكن غائبة في العديد من الكتب التراثية، والمجالات الآنف ذكرها، والذي جعلني أجزم بهذا القول يعود لبضعة أسباب، أوثق أهمها في النقاط التالية :

أ ـ إن بلاد الطائف جزء مهم من الحجاز والسروات، وموقعها الجغرافي جعلها على تواصل حضاري جيد مع المدينتين المقدستين (مكة المكرمة، والمدينة المنورة)، وهاتان الحاضرتان تعدان المركزين الرئيسيين للعالم الإسلامي، وهما على اتصال كبير ودائم مع دول وبلدان المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

ب ـ إن الطبيعة الجغرافية لمحافظة الطائف جعلت أهل مكة المكرمة، وسكان السروات واليمن يذهبون إلى هذه البلاد ويجتازونها في ذهابهم وإيابهم. ثم إن الأرض الطائفية غنية بأشجارها وغاباتها ونباتاتها وورودها وزروعها وطيورها وحيواناتها. وأهل هذه المحافظة يجمعون بين حياة الريف والبوادي وبين الحياة

---

(١) آمل أن نرى باحثة أو باحثاً جاداً يدرس تاريخ وحضارة الطائف من خلال الموسوعات العامة والشاملة القديمة والحديثة، ومن يقوم بذلك فإنه سيجد مادة متنوعة عن هذه الناحية تستحق الدراسة، والمقارنة، والتحليل، والتوثيق ٠

الحضريـــة المتمدنـــة. ومن يطلـــع على كتـــاب (الجوهرتين العتيقتـــين) للهمداني، وكتـــاب (النبات) للدينوري، وكتاب (الأنواء) لابن قتيبة، وكتب أخرى في الزراعة والفلاحة، والرعي، ومصادر المياه، والطب والتطبيب وغيرها فإنه سيجد معلومات في هـــذه المصادر الإسلاميـــة المبكرة ولها صلة وثيقة ببـــلاد اليمن والسروات التي حاضرة الطائف جزء منها.

ج - ما من شك أن بلاد الطائف ذات حضارة وتاريخ أصيل وعريق قبل الإسلام وبعده. فهي حلقة الوصل مع السروات واليمن من الجنوب، وبلاد نجد ووسط شبه الجزيرة العربيـــة من الشرق، وحواضر الحجاز الكبرى من الغرب. وهي موطن سوق عكاظ الشهـــير، واستوطنهـــا ومازال يعيشـــ فيها قبائـــل عربية عريقة ماجـــدة. وكل هذه المؤهلات، إلى جانب ثراء غطاءها النبات، وجودة مناخها، وتنوع تضاريسها جعلها مـــن مراكـــز الحضارة المهمـــة في شبه الجزيـــرة العربية. وإذا كانـــت لم تنل حظها الكبير من البحـــث والتوثيق، فلعل مؤسسات التعليم العالي، ومراكز البحث العلمي في بلادنا (المملكة العربية السعودية) تلتفت إلى التراث والآثار المادية (السطحية، والمدفونة) المتناثرة في هذه الديار، فتنقب عنها، وتدرسها وتحللها وتوثقها، وإن تم ذلك فقد نطلع على تاريخ وحضارة عن هذه البلاد الحجازية السروية، وهذا الذي نرجوه ونأمله من هذه المؤسسات العلمية والمعرفية[1].

(١) إنهـــا خمسة عقود وأنا أتجـــول في مناكب وحزون السروات وتهامة، من مكـــة والطائف إلى جازان ونجران. وقـــرأت وعرفـــت وشاهدت ما تشتمل عليـــه هذه البلدان من مـــوروث حضاري يبدأ مـــن العصور الحجرية إلى وقتنـــا الحاضـــر (١٤٤٤هـــ/٢٠٢٣م)، وإذا فتشنا عن تاريخ هذه البلاد المكتـــوب والموثق في عصور ما قبـــل الإســـلام، والقرون العشـــرة الأولى من عصر الإســـلام (ق١ـ ق١٠هـ/ق٧ــ ق١٦م) فإننا لا نعثر على الصورة الكافية الشافية عن حياة هذه البلاد وأهلها، ودائماً أنادي بأهمية دراسة التاريخ الأثري الظاهري والباطني لهذه النواحي لعلنا نجد شيئاً من تراثها الحضاري الماجد الذي لا نعرفه حتى الآن .

ثالثاً : نبذة مختصرة عن مصادر محافظة الطائف في العصر الحديث والمعاصر (ق١١ـ ق١٥هـ/ق١٧ـ ق٢١م):

١ـ توطئة :

قضيت عقوداً عديدة أدرس وأوثق صفحات من تاريخ السروات وتهامة (من مكة المكرمة والطائف إلى جازان ونجران) منذ عصور ما قبل الإسلام إلى وقتنا الحاضر. ووجدت أن قرية ثم مدينة الطائف مذكورة في الكثير من المصادر المحلية والإقليمية والعالمية، وكلما عدنا إلى عهود ما قبل الإسلام والقرون العشرة الأولى من تاريخ الإسلام والمسلمين نجد الصورة التاريخية الحضارية عن بلاد الطائف غير واضحة، ففي العصر السابق للإسلام أشد غموضاً وضبابية، ثم ورد ذكرها في المصادر الإسلامية المبكرة وبخاصة في القرنين الأوليين من العصر الإسلامي، ثم عادت إلى صورتها الغامضة والهشة توثيقاً إلى القرون الإسلامية الوسيطة المتأخرة، ثم ظهر عنها بعد ذلك بعض الدراسات غير الواضحة والكاملة. وكل الذي عرفناه عنها حتى القرن العاشر الهجري(١٦م) يختص ببلدة الطائف الرئيسية، لكن المحافظة بمفهومها الواسع اليوم لا نعرف عنها أي شيء، اللهم إلا شذرات قليلة جداً، لا تفيد، ولا نستطيع الخروج بصورة شبه مكتملة عن هذه الديار[1].

إن تاريخ شبه الجزيرة العربية وفي المقدمة بلاد الحجاز مرتبطاً بتاريخ وسياسة القوى الإسلامية في الشام، ثم العراق، وأخيراً مصر منذ منتصف القرن الهجري الأول إلى القرن العاشر الهجري. وكان خلفاء المسلمين في هذه البلدان يرسلون من قبلهم من يتولى إدارة الأماكن المقدسة، وبعض مدن الحجاز الأخرى مثل الطائف وغيرها[2]. ومن القرن (٤هـ/١٠م) ظهرت إمارة الأشراف في الحجاز، وصارت تحكم حواضر الحجاز الكبرى، وتنفذ سياسة الخلفاء وسلاطين الدولة الإسلامية في العراق ثم مصر. ومن يطلع على تاريخ طبقات إمارة الإشراف في الحجاز من القرن (٤ـ ١٤هـ/ق١٠ـ ٢٠م)

---

(١) إن محافظة الطائف ناحية جبلية من منطقة مكة المكرمة، ولها بعض الأجزاء الشرقية البدوية والتهامية الغربية، وتتصل مع بعض المناطق السعودية المجاورة، مثل مناطق المدينة المنورة، والرياض، والباحة. والذاهب في أرجائها اليوم (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) يجد أنها تشتمل على أجزاء كثيرة من بلاد السروات الممتدة من حاضرة الطائف ثم تسير جنوباً وغرباً حتى تتصل بأجزاء من منطقة الباحة في السراة، ومحافظة الليث في الديار التهامية. وهذه البلاد السروية والتهامية مازالت بحاجة إلى دراسات أثرية وعلمية تاريخية توثيقية، وإن تم ذلك فقد نطلع على شيء من تراث وموروث محافظة الطائف، أرجو أن يتحقق ذلك من خلال أقسام ومراكز جامعة الطائف البحثية .

(٢) فصلت كتب التاريخ الحولية والمحلية الحديث عن نفوذ الدولة الإسلامية في الشام، والعراق، ومصر على بلاد الحجاز من القرن (١ـ ١٠هـ/ق٧ـ ق١٦م). والتاريخ الإداري في الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة موضوع جديد لم يدرس في هيئة كتاب شامل وتفصيلي، أرجو أن نرى باحثاً جاداً يقوم بخدمة هذا العنوان .

يجـد أنهم كانوا تبعاً للقـوى السياسية الكبرى في العراق ومصـر، وأحيناً يجرى بينهم وبين بعض الدول المستقلة في اليمن صلات إيجابية وأخرى سلبية [(١)]، إلا أن الأوضاع لم تكن مستقرة في حواضر الحجاز الكبرى، لأسباب كثيرة نذكر منها :

أ- إن الحجــاز أصبح ناحية منسية بعد خـروج الخلافة الإسلامية من المدينة المنورة إلى الكوفـة ثم الشام. وصـار جل اهتمام الخلفاء المسلمـين مركزاً على الحرمين الشريفـين، مـن أجل نيـل التقدير والاحترام مـن عموم المسلمـين مقابل الرعاية والإشـراف على المدينتين المقدستين (المدينة المنورة، ومكة المكرمة). وكان الولاة الذيـن يعينون علـى الحجاز من قبل الخلفـاء يجتهدون في تحقيـق السياسة التي ترسمهـا الخلافة لبلاد الحرمين. ثم إن أهل الحجـاز كانوا غير راضين على نقل الخلافة من المدينة إلى الشام في بداية عصر الدولة الأموية عام (٤١هـ/٦٦٢م)، وهذا مما ولد ثورات وحروب عديدة[(٢)].

ب- كان للإشـراف في الحجـاز تاريخ طويـل امتد أكثر من عشرة قـرون (ق٤-١٤هـ/ ق١٠ـ٢٠م)، وهم الأمراء المباشرون لبلاد الحرمين، لكن تبعيتهم تعود إلى مركز الخلافـة الإسلاميـة في العـراق، ثم مصـر، ثـم الآستانة في عهـد الإمبراطورية العثمانيـة[(٣)]. وصـدر العديد من الكتـب، والرسائل الجامعيـة، والبحوث العلمية التي أرخت لمكة المكرمة، والمدينة المنورة وما حولهما أثناء حكم الأشراف للحجاز، ومـازال هنـاك أيضاً موضوعـات جديدة خلال هـذه الفترة الطويلـة، جديرة أن تدرس وتوثق في بحوث علمية جادة وعميقة.

إذا درسنـا تاريخ الأمن والاستقرار في الحجاز منذ القرن (٤- ١٤هـ/ق١٠- ٢٠م)، فإننا نجد الوضع مضطرباً، والصراعات الأهلية بين الأمراء الأشراف مستمرة، وغالباً يظهـر من يؤجج تلـك الصراعات من داخل شبه الجزيـرة العربية وخارجها، وينعكس

---

(١) هنـاك العديد مـن البحـوث، والرسائل العلميـة، والكتب التي أرخـت لتاريخ اليمن والحجـاز في العصر الإسلامـي الوسيـط، وذكرت لمحات من العلاقات والصلات التاريخيـة والحضارية بين الناحيتين. لكن لا نجـد دراسات كاملة وافية تفصل تلك الصلات خلال القـرون العشرة الأولى (ق١ـ ق١٠هـ/ق٧ـ ق١٦م). أما بلاد السراة وتهامة ومنها محافظة الطائف فللأسف لا نجد أي عمل علمي يوثق تاريخها وصلاتها مع المدن المقدسة (مكة المكرمة، والمدينة المنورة) وما حولها .

(٢) نجد قيام العديد من الثورات الحجازية ضد الخلافة الإسلامية في الشام، والعراق، ومصر من القرن (١ـ ق١٠هـ/ق٧ـ ق١٦م)، وجميع تلك الثـورات دونتها العديد من المصادر الإسلاميـة المبكرة، لكنني لم أجد دراسة مستقلة شاملة تدرس هذه الثورات (أسبابها، وأحداثها، ونتائجها السلبية) على أهل الحجاز .

(٣) أحيانـا كان يعـين مـن قبل الخليفـة أو السلطان في العـراق، أو مصر، أو الأستانة حاكـم عسكري أو مدني يشـترك مـع الأمراء الأشـراف في إدارة حكم الحجـاز. وهنـاك العديد مـن الدراسات الورقيـة والرقمية فصلت الحديث في هذا الموضوع .

ذلك سلباً على زوار الحرمين الشريفين من الحجاج والمعتمرين [(١)]. كما أن قبائل الحجاز القريبة والبعيدة من الأماكن المقدسة كانت هي الأخرى تلعب دوراً كبيراً في الحروب الأهلية، والصراعات القبلية في أرجاء البلاد. ولم تكن محافظة الطائف بعيدة عن تلك الأحداث المزعجة، وأحياناً ترى أهل الطائف بحاضرتهم وقراهم يساهمون في الحروب والفوضى المنتشرة في بلاد الحرمين، أو البلدان القريبة من بلاد الطائف (سراة وتهامة) [(٢)].

إن الأحوال السياسية المحلية، والإقليمية، والعالمية بدأت تسير نحو التحول، والتشكل منذ القرن (١٠هـ/ ق١٦م)، وعندما مدت الإمبراطورية العثمانية نفوذها على شبه الجزيرة العربية، وبقيت بلاد الحجاز تحت إمرة وسيطرة الأمراء الأشراف، ثم ظهرت إمارات وقوى محلية في اليمن، ونجد، والسروات وتهامة. وكان على الدولة العثمانية أن تتصل بتلك السلطات والدول المحلية، وجرى بينهم علاقات وحروب كثيرة وطويلة، وبقيت الإمبراطورية العثمانية تسيطر على أجزاء كثيرة في الجزيرة العربية حتى نهاية الثلاثينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) [(٣)].

من القوى السياسية المحلية الحديثة في الجزيرة العربية، إمارة الأشراف التي تدين بالولاء والتبعية للإمبراطورية العثمانية، وظهرت أيضا الدول السعودية الثلاث من القرن (١٢هـ/١٨م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م)، وقامت إمارات أخرى محلية صغيرة في عسير وجازان: كالمتاحمة، ثم آل عائض في أبها. وإمارات أخرى عديدة في المخلاف السليماني (منطقة جازان) خلال القرنين (١٣- ١٤هـ/١٩- ٢٠م).

---

(١) تاريخ الأمن والاستقرار في بلاد الحرمين، أو بلدان الطائف والسراة وتهامة موضوع واسع، وإذا كانت المصادر أحياناً لا تفصل الحديث عن الحروب والصراعات المنتشرة في الأماكن النائية مثل الطائف وما يقع جنوبها أوشرقها. الآن الحروب والاضطراب الأمني كان قائماً، والصراعات القبلية مستمرة. وقد صدرت بعض الدراسات التي أشارت إلى الصدامات العسكرية والحروب في حاضرتي مكة والمدينة، لكن المناطق النائية من القرى والمدن في عموم الحجاز أو السراة وتهامة مازالت غير مدروسة لانعدام المصادر المكتوبة، وضياع معظم تاريخ وحضارة هذه البلدان خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة حتى بداية العصر الحديث .

(٢) إن حاضرة الطائف سارت وتسير إدارياً وسياسياً وغالباً حضارياً خلف التبدلات التاريخية في العاصمة المقدسة (مكة المكرمة)، بل إن أهل مكة منذ عصور ما قبل الإسلام، وأثناء العصور الإسلامية المختلفة على صلات اجتماعية وحضارية جيدة مع أهل الطائف. وغالباً سكان مدينة الطائف يقلدون أهل مكة حضارياً، ويتقاربون معهم اقتصاديا وفي ميادين أخرى عديدة. وكانوا على اتصالات مباشرة بوالي مكة من قبل الخلافة الإسلامية، أو أمراء الأشراف المحليين، ويساهمون بطرق متعددة في سير الحياة الإدارية والسياسية في مكة، وأحياناً ينخرطون في الحروب والصراعات الأهلية المكية أو الحجازية. وهناك بعض المصادر والمراجع التي أشارت إلى شيء من هذه الأعمال والمساهمات، لكن لا نجد حتى الآن دراسة مستقلة وتفصيلية عن دور أهل الطائف في قيام وسقوط الإمارة (السلطة) المحلية في مكة المكرمة، حبذا أن يدرس هذا الموضوع في عدد من الكتب والرسائل العلمية الجامعية.

(٣) نجد تاريخ الدولة العثمانية مفصلاً ومبسوطاً في الكثير من الكتب والدراسات العربية والأجنبية، ومازال هناك أيضاً آلاف الوثائق والمخطوطات العربية والعثمانية التي تحتوي على تفصيلات جديدة وكثيرة عن تاريخ شبه الجزيرة العربية في العصر الحديث، وهي جديرة بالجمع والترجمة والدراسة والتحقيق ثم الطباعة والنشر .

أمــا بــلاد اليمن فقد ظهر فيها إمارات عديدة، ومن أطولهــا تاريخياً ونفوذاً في العصر الحديث الدولة الزيدية، ثم الجمهورية اليمنية[١].

لم تكــن الإمبراطوريــة العثمانية هي القوة السياسيــة الخارجية التي مدت نفوذها إلى مناطــق وحواضــر شبــه الجزيــرة العربية مثل بــلاد الحجاز، واليمــن، والسروات وتهامــة وغيرها. إنما تزامن مع هــذه الدولة الإسلامية دخــول دول وقوى أجنبية، مثل بريطانيــا، وفرنســا، وإيطاليــا، والاتحــاد السوفيتي (سابقــا)، ثم الولايــات المتحدة الأمريكيــة وغيرها. وهذه القوى الأجنبية جــاءت إلى الجزيرة العربية بهدف السيطرة على ثرواتها، واحتلال موانيها ومواقعها الاستراتيجية[٢].

كل هــذه التبدلات والتطورات التاريخية السياسية في شبه الجزيرة العربية، خلقت موارد ومصادر علمية جديدة. وبلاد الحجاز، أو محافظة الطائف جزء صغير من هذا العالم الحديث والمعاصر، وبالتالي ورد ذكرها في الكثير من المصادر والمراجع التي ورد للطائــف ذكر فيها، لكنني أجمــل الحديث عن المحاور الرئيسيــة التي من خلالها نعثر على بعض المصادر الأساسية والمهمة عن بلاد الطائف، وبخاصة المدينة[٣].

٢ـ أهم مصادر تاريخ الطائف في العصر الحديث والمعاصر:

أـ المؤلفات المخطوطة والمطبوعة المنشورة :

إن التاريــخ السياسي الذي عاشته شبه الجزيــرة العربية منذ القرن الحادي عشر الهجــري إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هــ/٢٠٢٣م) شكل مسيرة التاريــخ رواية وتوثيقا. ونجد الدولــة العثمانية تمد نفوذها إلى الحجاز منذ القــرن (١٠هـ/١٦م)، واستمرت لاعبــاً أساسياً في العــالم العربي، وبالتالي ظهر مؤرخون ورحالة ومدونون بعضهم عرب ومسلمــون، وآخرون أجانــب غير مسلمين وسجلــوا في كتبهم ومدوناتهــم صفحات من تاريخ الحجازيين، وكان لبلاد الطائف بعض الإشارات في تلك المؤلفات[٤].

---

(١) كل هــذه الــدول والإمارات الحديثة صدر عنها عشــرات الكتب والبحوث العربيــة والأجنبية، ومازال عنها موضوعات وجوانب حضارية صغيرة تحتاج أن تدرس في عدد من الكتب والبحوث العلمية.

(٢) صدرت بعض الدراسات والرسائل الجامعية عن نفوذ هذه الحكومات الأجنبية في شبه الجزيرة العربية، لكــن مازال هنــاك الكثير من الوثائق التاريخية الجديدة التي تصب في خدمة هذا المجال، آمل جمعها من أراشيفها الأجنبية الرئيسية وترجمتها ودراستها دراسة علمية .

(٣) إن موقــع الطائف، وصلاتها الاجتماعيــة، والجغرافية، والاقتصادية والحضاريــة جعلها تكون مذكورة في الكثـير من المصادر الحجازية العربيــة والأجنبية. لكن للأسف حتى هذه اللحظــة (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) لا نجــد مــن ينقب ويبحث في المصادر المتعددة والمتنوعة عن تاريخ هذه الحاضرة في العصر الحديث (ق١١-ق١٥هـ/ق١٧ــ ق ٢١م). أرجــو أن نــرى باحثين ومؤرخــين جادين يقومون بخدمة هــذه الناحية الحجازية السروية، وهي جديرة بالاهتمام في ميدان الدراسات التوثيقية الحضارية .

(٤) اطلعــت على العديد من فهارس المكتبات العربيــة والإسلامية ووجدت فيها بعض المصادر التي أرخت لشبه

وكون مصر ذات عمق تاريخي وحضاري ومعرفي قديم وكانت بلاداً رئيسية تحت مظلة الدولة العثمانية، وعن طريقها يتم الاتصال المستمر والمباشر مع بلاد الحرمين. والحكومة المصرية، أثناء حكم محمد علي باشا وأولاده من بعده.، هي المسؤول الفعلي عن حكم الحجاز، وتنفيذ سياسة السلطان العثماني في شبه الجزيرة العربية. ونتج عن ذلك حروب وصدامات عسكرية مع القوى المحلية في نجد، وعسير، والحجاز وغيرها، وكانت الغلبة لجيوش الدولة العثمانية وحاكم مصر محمد علي باشا، وبقيت في القرنين (١٣ـ ١٤هـ/١٩ـ ٢٠م) مليئة بالحروب والفوضى والصراعات التي عمت معظم أجزاء الجزيرة العربية، ولم تخف حدة التوتر والاضطرابات إلا بعد خروج الجيوش العثمانية من أرجاء جزيرة العرب، وهذا التاريخ السياسي الحربي خلف الكثير من المصادر التاريخية التي وثقت صفحات كثيرة من تاريخ وحضارة أرض وإنسان جزيرة العرب، ومن تلك المؤلفات ما يلي :

١. كتب عثمانية عديدة شرحت الاستعداد، والتخطيط للحروب التي خاضتها الجيوش المصرية والعثمانية ضد الحكومات والإمارات المحلية في الحجاز، ونجد، وعسير وغيرها. ومعظم هذه الكتب مازالت مدونة بالحرف العثماني، وبعضها ترجمت ثم طبعت ونشرت. وقد اطلعت على بعضها خلال الثلاثين عاماً الماضية (١٤١٢ـ ١٤٤٤هـ/ ١٩٩٢ــ ٢٠٢٣م) فوجدت فيها مادة علمية سياسية وحضارية جديدة وجيدة عن مدن الحجاز والسروات وتهامة،مثل: مكة المكرمة، والطائف، وجازان، وأبها وغيرها[1].

٢. لم تكن الإمارات والدويلات العربية المحلية في الجزيرة العربية، مثل إمارة الأشراف في الحجاز، والدولتين السعودية الأولى والثانية في نجد، وإمارات المتاحمة، وآل عائض، ودول وقوى سياسية عديدة في اليمن تخلو من مؤرخين محليين دونوا العديد من الكتب، ونشر أكثرها، ومازال بعضها مخطوط وغير محقق ، ومن يطّلع عليها سيجد مادة علمية جيدة عن الحجاز، ولبلاد الطائف فيها نصيب لابأس به، وذلك لأهمية موقعها الجغرافي الذي يربط بين السروات واليمن من الجنوب، وحواضر الحجاز الكبرى من الغرب والشمال، وبلاد نجد وما والاها من الشرق والشمال الشرقي[2].

الجزيرة العربية منذ القرن (١٢ - ١٤هـ/ق١٨ - ق٢٠م)، وكانت منطقة الحجاز مذكورة في الكثير من تلك الكتب. ومكة المكرمة، وجدة، والمدينة المنورة حظيت بنصيب جيد في هذه المؤلفات، وتأتي الطائف في المرتبة الثانية من حيث كمية المادة المدونة. وبعض هذه المصادر باللغة العربية، وأخرى بالعثمانية وترجم بعضها إلى العربية، وهناك مدونات ومؤلفات عديدة بلغات أجنبية كالإنجليزية والفرنسية وغيرها ٠

(١) حبذا أن نرى باحثين جادين يدرسون تاريخ هذه المدن من خلال المصادر العثمانية المخطوطة والمطبوعة، ومن يفعل ذلك فسوف يطلعنا معاشر الباحثين على معلومات قيمة وجديدة في محتوياتها ٠

(٢) أرجو أن يظهر باحثة أو باحث يدرس تاريخ الطائف والسروات خلال المتصرفية العثمانية في عسير (١٢٨٨ـ ١٣٣٧هـ/ ١٨٧١ــ ١٩١٨م) من خلال هذه المصادر المحلية، والعثمانية، والعربية المصرية. وهذا العنوان يستحق أن يكون موضوعاً لرسالة علمية جامعية ٠

٣. لو توقفنا مع كل ناحية ورد ذكرها في الفقرة السابقة. حواضر الحجاز الكبرى (مكة، وجـدة، والمدينة) ، أو بلاد السراة من الطائف إلى أبها وخميس مشيط ونجران، أو الدويلات الحديثـة في اليمن، أو الدولتان السعوديتان الأولى والثانية وصلاتهما مع بـلاد الطائف. فإننا نجد المصادر المحلية، والعثمانية، والمصرية العربية قد احتوت علـى شيء من تلك الصـلات، بل بعضها شرحـت دور حاضرة الطائـف وأهلها في بعض الأحداث السياسية والحربية والحضارية التي وقعت في القرن (١٣هـ/١٩م) . والبعض مـن تلـك المصـادر فصلت الحديث عـن نفـوذ الدولة العثمانيـة في بلاد الطائـف والسروات الممتـدة إلى حاضرة أبهـا في عسير خلال العقـود الأخيرة من القرن (١٣هـ/١٩م) ، والأربعين عاماً الأولى من القرن (١٤هـ/١٩ـ٢٠م) .

٤. حرصت الـدول الأجنبية وفي مقدمتها بريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، وأمريكا وغيرها أن يكـون لها نفوذ وهيمنـة في شبه الجزيرة العربية، وبخاصة موانئ البحر الأحمر الشرقية. وكان لهذه الدول قادة، وساسة، وجواسيس، ورحالة، وباحثون مستشرقون وغيرهـم يراقبون ويدرسون ويوثقون حياة النـاس في أنحاء شبه الجزيرة العربية. وهـذه الشريحـة من المتعلمـين وأرباب القلـم كانوا مدعومـين معنويـا وماديا من دولهـم، وجمعياتها العلميـة، ومراكز أبحاثهـا. وتولد عن ذلك تدويـن العديد من الكتب والمذكرات والمدونات التـي تعكس صفحات من التاريخ السياسي والحضاري لمدن، وحواضر، ومناطق عديدة في الجزيرة العربية. ونجد مدن الحجاز والسروات وتهامـة كمكة المكرمة، وجدة، والطائـف، وأبها، وخميس مشيط، ونجران، وجازان قـد دون الكثير مـن تاريخها وحيـاة الناس العامـة والخاصة فيها خـلال القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م) . وإذا حصرنا دراستنا على حاضرة الطائف وجدنا جزئيات جيدة من تاريخها وحضارتها قد وثقت في هذه المصادر الأجنبية[١] .

٥. أشرت في صفحة سابقة من هذه الدراسة إلى بعض المؤلفات الخاصة بمدينة الطائف، التـي دونها علمـاء عاشوا في الطائـف وبعضهم ماتـوا فيها خلال القـرون الإسلامية الوسيطة والحديثة. ومن يبحث في مكتبة مسجد عبدالله بن عباس (رضي الله عنهما) ، أو بعضـ المكتبات الخاصـة في شبه الجزيرة العربية وخارجهـا، أو مركز المخطوطات

---

(١) سبـق أن أنجـزت بحثاً عن بعضـ الرحالة والمؤرخين العرب المسلمين والأجانـب الذين زاروا الطائف منذ القـرن (٣ـ ١٥هـ/ق٩ـ ق٢١م) ، وأشرت إلى مقتطفات مـن مدوناتهم عن هذه البلاد الحجازية السروية. ولا أدعـي الكمـال في هذا المنجر العلمي، وهنـاك بعض المؤرخين والرحالـة الوارد ذكرهم في هذه الدراسة يستحقـون أن تفـرد لكل واحد منهم دراسة توثيقية تحليلية مستقلة. أرجو أن يتحقق ذلك عن طريق بعض الباحثـين في جامعـة الطائف. للمزيـد انظر غيثان بن علي بـن جريس، القول المكتـوب في تاريخ الجنوب (الجزء الثالث عشر). (القسم الأول) .

في جامعة أم القرى فقد يعثر على كتب مخطوطة ترصد صفحات من تاريخ حاضرة الطائف خلال القرون الأربعة الماضية (ق١١ـ ق١٤هـ/ ق١٧ـ ق٢٠م) [١].

٦. دخلت مدينة الطائف تحت نفوذ الدولة السعودية الحالية (المملكة العربية السعودية) من بداية الأربعينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م)، وصارت حواضر الحجاز الرئيسية المنطلق الأساسي لبناء الدولة السعودية الحديثة إداريا وتعليميا وتطويرا وتنمويا[٢]. وكانت العاصمة المقدسة (مكة المكرمة) هي المقر الرئيسي الأول لنشأة وتطوير معظم مؤسسات المملكة العربية السعودية. وحظيت مدينة الطائف بالاهتمام والرعاية من الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، فكان يأتي إليها أثناء زيارته الحجاز، ويقضي فيها بعض الوقت للاستجمام وإنجاز بعض الأعمال، كما أن نائب الملك في الحجاز، الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، كان يقضي معظم وقته فيها. وتطورت الطائف، وصارت المصيف الأول للمملكة العربية السعودية وحكامها، وقامت فيها الكثير من المؤتمرات والندوات واللقاءات السياسية، والإدارية، والاقتصادية، والسياحية المحلية والعالمية[٣]. وأنشئت فيها الكثير من المؤسسات والإدارات الحكومية (العسكرية والمدنية)، الرسمية والأهلية، وحظيت بالكثير من الرعاية التنموية في شتى المجالات العامة والخاصة[٤].

قلت: في هذا العصر السعودي الحديث والمعاصر (١٣٤٣ـ ١٤٤٤هـ/ ١٩٢٤ـ٢٠٢٣م)، حدث تطور علمي ومعرفي كبير، وظهر العديد من الجامعات، والأندية الأدبية، والوزارات، ومراكز الأبحاث، والمكتبات العلمية التي دعمت وشجعت البحث والتأليف،

---

(١) أرجو من مؤرخي الطائف أو الحجاز أن يبحثوا في هذه المكتبات لعلهم يجدوا مصادر مخطوطة فيها عن الطائف. ومازلت أقول وأنادي بأهمية دراسة تاريخ محافظة الطائف عبر عصور التاريخ القديمة والإسلامية المبكرة، والوسيطة، والحديثة، والمعاصرة. (والله من وراء القصد) .

(٢) انظر تفصيلات في هذا الموضوع، غيثان بن علي بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م) (الجزء السادس والعشرون) (القسم الأول) .

(٣) نالت مدينة الطائف خلال العصر الحديث شرف احتضانها الكثير من المؤتمرات، والاجتماعات، واللقاءات المحلية، والإقليمية، والعالمية. وهذا يدل على أهميتها التاريخية في عصر المملكة العربية السعودية. للمزيد انظر، السيد عيسى بن علوي القصير. الطائف المأنوس في أوائل التاريخ في الاصطياف والسياحة (١٤٣٦هـ/٢٠١٤م) (٨٠ صفحة) .

(٤) إن محافظة الطائف بلاد ذات جمال طبيعي، ولها تاريخ قدم وطويل ومتنوع، واستوطنها الكثير من الأقوام والأمم، ولها تراث وحضارة، لكنها لم تخدم بشكل جيد في ميدان الدراسات العلمية التوثيقية، أرجو أن تنشئ جامعة الطائف أقساماً ومراكز علمية مدعومة تقوم على جمع وتنقيب وبحث تاريخ وآثار هذه البلاد العربية السعودية الحجازية الماجدة. انظر بحث بعنوان: » الطائف كما سمعت عنها ورأيتها «، منشور في كتاب محمد بن أحمد مُعَبّر. الموسوم بـ : الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي (في مؤلفات غيثان بن علي بن جريس) (الجزء الثاني)، ص٩٨٣ـ ١١٠٢). وهذا الكتاب منشور على عدد من المواقع الرقمية .

ثم نشرت الكثير من الكتب والدراسات العلمية في شتى المجالات[١]. وبلاد الطائف نالها الكثـير من الرعاية والدعم في هذا الباب، ومن خلال بحثي واطلاعي على بعض الكتب والمؤلفـات التي صدرت عن هـذه الناحية، أو ذكرت شيئاً مـن تاريخها، خرجت ببعض الخلاصات التي أوثق بعضها في البنود الآتية :

أ - ظهـر في عصر الملـك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل بعضـ الأعلام العلماء المؤرخين السعوديين وغير سعوديين الذين كتبوا عن تاريخ وحضارة المملكة العربية السعوديـة، أمثال: حافظ وهبة، وخير الديـن الزركلي، وفؤاد حمزة، ومحمد عمر رفيـع، ويوسف ياسين، وفيلبـي، وفيليب ليبنز، وولفرد تسيجـر، وشكيب أرسلان، والشريف البركاتي وغيرهم عرب ومسلمون وغير مسلمين، واحتوت مؤلفاتهم على معلومات تاريخية وحضارية قيمة عن بلاد الطائف[٢].

ب - في عصـور ملـوك آل سعود، من عهـد الملك سعود بن عبدالعزيـز إلى عصر خادم الحرمـين الشريفين الملك سلمان بـن عبدالعزيز صدر عشـرات الكتب والكتيبات المطبوعـة والمنشـورة، وبعضها من مؤلفـين سعوديين، ومنهم مـن ولد في محافظة الطائف أو يسكن فيها منذ عقود، وآخرين من مدن ومناطق أخرى عديدة في المملكة العربية السعودية. وهناك مؤلفون آخرون من دول عربية وإسلامية وأجنبية[٣].

ج - كان لنوادي الحجاز الأدبية في جدة، ومكة، والمدينة، والطائف جهود طيبة في دعم بعض المؤرخـين والأدباء الطائفيين، فقد شجعت ودعمـت طباعة ونشر بعض كتبهم التاريخية والأدبيـة (الشعر، والرواية، والقصة)، وبعض الكتب الثقافية والمعرفية الأخرى. كما أن جامعتي أم القرى والطائف ساهمتا في طباعة بعض النتاج العلمي المتعلق بتراث وحضارة بـلاد الطائـف. كذلك بعضـ الـوزارات والمؤسسـات الإدارية الحكوميـة أصدرت بعض المجـلات، أو المدونـات، أو الكتيبات عن جوانب تنمويـة وحضارية في محافظة الطائف. بالإضافـة إلى بعضـ الجهـود الفردية لمؤلفـين سعوديين وغير سعوديـين أصدروا بعض الدواوين الشعرية، أو الكتب العلمية الثقافية عن الحجاز أو عن حاضرة الطائف[٤].

---

(١) لا تخلو أي حاضرة أو ناحية في المملكة العربية السعودية من النمو العلمي والمعرفي والحضاري الذي تعيشه البـلاد السعودية من منتصف القرن (١٤هــ/٢٠م) إلى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م)، ودائما أقول أن التنمية الحضارية التي عاشتها البلاد خلال المئة سنة الماضية جديرة بالاهتمام دراسة وتوثيقا .

(٢) آمـل أن نـرى باحثاً جـاداً يدرس تاريـخ الطائف في عصر الملـك عبدالعزيز آل سعود مـن خلال المصادر العربية والأجنبية، مع الحرص على استخدام أسلوب المقارنة والتحليل .

(٣) اطلعـت علـى عدد من الكتب لهذه الشرائح، ومعظمهـا باللغة العربية، وفيها مؤلفات بلغـات أجنبية وبخاصة اللغة الإنجليزية. وهذا الصنف من المؤلفات الواردة في الخانة (ب) كثيرة ومتفاوتة في أحجامها، وعناوينها وموضوعاتها، ومستواها المعرفي والبحثي. والبعض منها جيدة جدا في قيمتها ومنهجها التوثيقي والتحليلي العلميين.

(٤) يصعـب في هذه الصفحـات المحدودة أن أوثق كل النتاج المطبوع والمنشـور عن بلاد الطائف خلال العقود الستة الماضية (١٣٨٢هـ - ١٤٤٤هـ/١٩٦٢-٢٠٢٣م) .

د ـ ما من شك من يبحث عن الكتب المخطوطة أو المسودة عن تاريخ وحضارة الطائف في العصر الحديث والمعاصر، أو المدونات والمذكرات الشخصية فإنه سوف يجد مادة مدونة في علوم ومعارف عديدة. وهذا الذي سمعته وعرفت شيئاً من ذلك عند زياراتي للطائف مرات عديدة خلال السنوات العشر الماضية (١٤٣٤ـ ١٤٤٤هـ/٢٠١٣ـ ٢٠٢٢م)، وقد التقيت في حاضرة الطائف وغيرها من مدن المملكة ببعض من ذكروا لي أن لديهم بعض النتاج العلمي غير المنشور، ويأملون استكماله وطبعه ونشره[١].

هـ ـ بعد ظهور الجامعات ومؤسسات التعليم العالي في المملكة صار من أعمال عضوات وأعضاء هيئة التدريس أن ينجزوا بحوثاً علمية في مجال تخصصاتهم النظرية والعلمية من أجل الترقي في السلم الوظيفي. وأثناء عملي في التدريس الجامعي بجامعتي الملك سعود والملك خالد حوالي (٤٤) عاماً، رأيت الكثير من بحوث أساتذة الجامعات تتناول موضوعات محليةٍ. وبلاد الطائف لديها الكثير من المؤهلات التي تجعل بعض الباحثين يتخذونها ميداناً لدراساتهم. وغالباً يكون هذا النوع من البحوث ذات مستوى جيد، لأنها تخضع لتحكيم ومراجعات علمية جادة، وعند حصول الأساتذة أو الأستاذ الجامعي على بغيته وظيفيا تحفظ هذه الدراسات، ولا تعم فائدتها. كذلك الوضع نفسه مع طالبات وطلاب الدراسات العليا الذين يقضون سنوات عديدة في إنجاز بحوثهم لدرجتي الماجستير والدكتوراه. ومن خلال بحثي في فهارس بعض المكتبات المركزية في بلادنا (المملكة العربية السعودية)، مثل المكتبات الجامعية، ومكتبتي الملك عبدالعزيز العامة، والملك فهد الوطنية بالرياض وجدت العديد من الرسائل العلمية التي تناقش موضوعاتها مجالات علمية، وأدبية، وتاريخية في الحجاز، وبلاد الطائف تشغل نسبة مقبولة من هذه الدراسات. وهذا النوع من البحوث متعددة المجالات العلمية، وذات مستويات علمية جيدة، لأنها كالبحوث العلمية المحكمة تخضع لتدقيق ومراجعات عديدة، ثم إن صاحبة أو صاحب الدراسة لا يمنح الدرجة العلمية إلا بعد امتحان ومناقشة جادة في هذا العمل العلمي البحثي الجامعي[٢].

---

(١) حوالي أربعين عاماً وأنا أتجول في ربوع المملكة العربية السعودية وبخاصة البلاد السروية والتهامية، والتقيت بعشرات الأساتذة والمعلمين والأعلام الذين أخبروني أن لديهم مدونات ومذكرات وأعمال علمية مسودة غير منشورة، ويتطلعون إلى طباعتها ونشرها. ويبدو أن معظمهم صدقوا في ذلك، لأنني اطلعت على شيء مما قالوا، لكن الغالبية وربما الجميع يتوقفون عند التدوين ثم الحفظ وعدم الطباعة والنشر، ومع تقدم العمر وكثرة مشاغل الحياة يفقد ويضيع هذا النتاج المعرفي .

(٢) حبذا أن يقوم باحث جاد بحصر كل البحوث العلمية المحكمة والرسائل الجامعية المتنوعة التي تتعلق بتراث وموروث وحضارة وثقافة وجغرافية محافظة الطائف، ثم ترتب في عمل علمي ببليوجرافي، ومن ينجز هذا المشروع فقد يقدم خدمة جيدة لطالبات وطلاب العلم الذين يدرسون أي مجال معرفي عن بلاد الطائف.

و- لا أدعـي أن رصـدي الآنف ذكـره استوفى جميـع المؤلفات المخطوطـة والمطبوعة والمنشورة وغير المنشورة عن محافظة الطائف، لكنني أعتقد أني أشرت إلى الكثير منهـا، ومازالت هذه البلاد جديرة بالاهتمام، وإصدار عمل ببليوجرافي يشمل كل ما كُتب عن أرض ومجتمع الطائف منذ القرن (١٠- ١٥هـ/ق١٦- ٢١م). وإذا قارنا خدمـة هذه الحاضرة مع غيرها من حواضـر المملكة العربية السعودية الكبرى في مجـالي الأعمال البحثيـة والتوثيقية، فمازالـت الطائف بحاجـة إلى جهود أوسع وأكبر، آمل أن يتحقق ذلك من خلال كليات جامعة الطائف وأقسامها العلمية.

ب- الأوراق والوثائق المحلية الخاصة :

تشتمـل محافظـة الطائـف علـى الحاضـرة، والباديـة، والريف، وهـذه التركيبة الجغرافيـة أثرت على حياة النـاس في تنوع أعمالهم وصناعاتهم وحرفهم. وعلية النـاس وعامتهم لديهم الكثير من الأنشطة الحضارية التي تستوجب امتلاك مستندات، ووثائق، وأوراق عامـة وخاصة. فأصحـاب الزراعة والمزارع والبساتين يملكـون بعض الصكوك والوثائـق على أملاكهم العقارية، والوضع نفسه مع أصحاب المنازل والعقارات السكنية والتجاريـة. وإذا تم البيع والشراء في العقار يكون هناك صكوكاً رسمية تصدر في ذلك، والكثـير من النـاس سابقاً يكتفون بـأوراق مبايعة توقع من البائع والمشتري، وغالباً يوقع عليهـا بعض الشهود، وبهذا الوثائق يستطيع صاحب العقار أن يحصل على صك رسمي من المحاكم الشرعية يؤكداً امتلاك العقار المدون في هذه الوثائق الخاصة أو الأهلية[1].

والوثائق المحليـة والخاصة كثيرة ومتنوعة، فهنـاك أوراق تختص بأغلب الأفراد في عمـوم المحافظة، مثل ورقة الهوية أو شهادة الميـلاد[2]، ووثائق تتعلق بالدراسة والحياة العلمية وللطالبات والطلاب والمدرسات والمدرسين وكل من يعمل في قطاع العلم والتعلم. أمـا أصحـاب الصناعات والحـرف والتجارات فلابد مـن توفر المدونـات والسجلات والمستنـدات والوثائـق التي تـدور في فلك هذه الأعمـال. ولا تخلو البـلاد من خطابات ورسائـل عائليـة أو إخوانية يتبادلها النـاس من أجل الاطمئنان والسـؤال عن بعضهم، أيضـاً عقود الأنكحـة وأوراق الطلاق، وتقسيم المـيراث، والتقاريـر الصحية والطبية، ومدونات خطب الجمعة والأعمال الإرشادية الدينية التعليمية والدعوية.

---

(١) ليس هذا الوضع مقصوراً على سكان محافظة الطائف، إنما كانت طريقة سائدة عند سكان شبه الجزيرة العربية. ومـن خلال عملي في البحث والتأليف حوالي أربعة عقود، وزياراتي لكثير من الأسر والقرى والمدن في أرجـاء المملكـة وجدت أن معظـم النـاس يملكون هذا النوع مـن الوثائق التي تثبـت حقوقهم وملكياتهم الخاصة. وهذا الصنف من المصادر مهمة جداً لأنها تعكس جزء كبير من حياة الناس العامة والخاصة.

(٢) قديماً لم تتوفر شهادة الميلاد، وتوثيق تاريخ المواليد إلا عند الأسر المتعلمة، أو أصحاب الجاه والسلطة، أما عامـة الناس وبخاصة سكان القـرى والبوادي فلم يكن عندهم توثيق لتاريخ ميلاد أولادهم، وبدأت الدولة تهتم بذلك وتفرضه على كل الناس منذ العقود الأخيرة في القرن (١٤هـ/١٩م).

وقرية ثم مدينة الطائف ذات تاريخ وحضارة قديمة وحديثة لموقعها الجغرافي، وصلاتها القوية والمستمرة مع أهل مكة، بل إن المكيين أنفسهم، من شرائح متعددة، يرتادون الطائف ويملكون فيها المال والعقار، ولهم حياتهم وأنشطتهم الحضارية المتنوعة. ولهم مضاربات اقتصادية، ومداخلاتٍ اجتماعية مع أهل المدينة. وكل هذه الأعمال والحراك الحضاري يخلق توثيقاً مكتوباً، وتبادل وثائق وأوراق تاريخية تعكس جزءاً من حياة الناس [(١)].

كذلك سكان البوادي والقرى في أنحاء المحافظة، أو كل من يزور حاضرة الطائف، أو يعبرها من داخل المملكة وخارجها فهم جميعاً يتعاملون مع أهل المدينة في جوانب عديدة، ومنها التنقل والمواصلات، أو إيجار السكن والبيوت والإقامة في الطائف لبعض الوقت، والبيع والشراء والتعاملات التجارية المختلفة، وغالبا يكون هناك مستندات ووثائق تجرى بين الناس، وللأسف أن هذا النوع من المصادر التاريخية لا يُعتنى به من الأفراد، أو الجماعات، أو أصحاب العقارات والتجارات وغيرهم. وفي معظم الأوقات تتلف بشكل سريع. وهذه الطريقة سائدة عند كل الناس في أنحاء البلاد، وهذا ما عرفته وشاهدته من ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م) [(٢)].

وأثناء زيارتي العديد من الأفراد، والأسر العلمية والعادية في قرى وأجزاء عديدة من المحافظة ومقابلة بعض الباحثات والباحثين في مدينة الطائف وجامعاتها. وزيارة بعض المكتبات الخاصة والعامة، والالتقاء مع بعض الرموز والأعلام من قبائل محافظة الطائف، أو من مناطق وقبائل أخرى عديدة [(٣)]. ولم أغفل عن الجلوس والسماع من بعض نواب

---

(١) هذا الذي تأكد لي أثناء اطلاعي على العديد من المصادر والمراجع المطبوعة والمنشورة عن بلاد الطائف وغيرها، كما أنني سمعت العديد من الروايات لبعض المكيين وأهل الطائف التي توضح عمق الصلات والتداخل الاجتماعي والاقتصادي والحضاري بينهم. حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس العلاقات الحضارية بين أهل مكة والطائف من بداية القرن (١٤هـ/١٩م) إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م)، ومن يقوم بإنجاز هذا العمل العلمي فسوف يطلعنا معاشر المؤرخين والباحثين على مادة علمية جديدة وقيمة .

(٢) سابقاً كانت تحفظ مثل هذه المصادر في ملفات عادية عند صاحب المؤسسة، أو السوق، أو الشركة، أو الإدارة، لكن لبعض الوقت ثم يتم التخلص منها. أما الأفراد فهم يتخلصون من أوراقهم ومستنداتهم وفواتيرهم اليومية، ولا يهتمون بها بعد انقضاء حوائجهم. وخلال العقود الماضية المتأخرة حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م)، دخلت أنظمة التقنية والحاسب الآلي في كل التعاملات الخاصة والعامة بين الناس، وصارت معظم الأعمال والمهن توثق فواتيرها ومستنداتها من خلال الأجهزة الآلية، لكن كل الأوراق والوثائق والمعلومات المستخدمة لهذه الأعمال تستخدم لأغراض ومنجزات موقتة، ولا يلتفت إليها على أنها مصادر تاريخية تعكس جزئيات وصفحات من تاريخ وحضارة الناس، بل يتم إتلافها والتخلص منها.

(٣) هناك شريحة كبيرة من الأفراد والأسر السروية والتهامية، وأيضاً الحجازية والنجدية يعيشون في مدينة الطائف، ووجدت فيهم من يسكن الطائف من السبعينيات والثمانينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م)، بل بعضهم ولدوا وتربوا في هذه المدينة الحجازية السروية. وقد كانوا وما زال بعضهم يعملون في مجالات عديدة كالوظائف الحكومية (المدنية والعسكرية)، وآخرون يعملون في مهن وقطاعات اقتصادية عديدة.

وشيوخ القبائل في حاضرة الطائف وبعض مراكزها الإدارية، وسمعت أيضاً من بعض الوافدين الذين يعملون في قطاعات حكومية وأهلية عديدة، وخرجت ببعض المستخلصات العلمية المتعلقة بالمصادر والتوثيقات التاريخية، أذكر بعضها في المحاور الآتية :

١- إن مدينة الطائف تعد المصيف الرئيسي لأهل الحجاز، ولسكان مكة على وجه الخصوص. وكون مكة دار عبادة وعلم وتعلم، فالكثير من أهل مكة كانوا يذهبون إلى الطائف للاصطياف، وبعضهم يحوز على المال والعقار، وآخرون يعلمون ويتعلمون في مسجد عبدالله بن عباس (رضي الله عنهما)، ومنهم من يعمل في مجالات وأعمال حكومية وأهلية. ومع بداية الدولة السعودية الحديثة اتخذت مدينة الطائف قاعدة إدارية (مدنية وعسكرية) رئيسية، وافتتحت فيها الكثير من المؤسسات الإدارية التي صار يعمل فيها الكثير من شرائح المجتمع السعودي وغيرهم من الأجناس العربية وغير العربية الوافدة. وجميع هذه الأنشطة المجتمعية تستوجب وثائق وأوراق ومستندات رسمية وغير رسمية، وكلها ذات فائدة كبيرة في توثيق صفحات من تاريخ المحافظة في العصر الحديث والمعاصر[١].

٢- رأيت عند بعض المعلمين وأساتذة جامعة الطائف، وعند بعض المؤرخين الطائفيين، وفي بعض المكتبات الخاصة أوراقاً ووثائق مبعثرة تتعلق ببعض الأعمال، أو الأسر، أو الأنشطة التي عرفتها بلاد الطائف خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، وعندما سألت بعض ملاكها، قالوا حصلوا عليها من أمكنة ومصادر عديدة. وتصفحت بعضها فوجدت فيها مادة تاريخية حضارية جيدة تعكس لمحات من تاريخ الطائف والطائفيين في العصر الحديث[٢].

٣- أما وجهاء القبائل والعشائر من شيوخ، ونواب، وأعيان فرأيت عند بعضهم قواعد قبلية تحتوي على مواد تاريخية حضارية محلية جيدة تعكس بعض البنود والأعراف والأنظمة القبلية التي دونتها بعض العشائر من أجل تنظيماتها الداخلية، ومعظمها

---

(١) هذا النوع من المصادر قد تكون بعضها موثقة ومحفوظة في أراشيف بعض المؤسسات الحكومية (المدنية والعسكرية)، أو الشركات والمؤسسات الأهلية. وأعتقد أن الأفراد (ذكوراً وإناثاً) حازوا على نصيب كبير من هذه المصادر، وكل أسرة أو فرد يمتلك ما يخصه، وله علاقة بالمكان الذي عمل أو يعمل فيه، وهذا النوع من المصادر سريعة الضياع والتلف. والمؤرخون والباحثون لا يعيرونها اهتماماً كبيراً، ربما لعدم العثور عليها، ومنهم من يرى عدم أهمية معلوماتها، مع أنها تعكس صوراً مهمة من تاريخ الناس، وبخاصة الطبقات السفلى والوسطى في المجتمع.

(٢) من خلال رحلاتي العلمية في جنوب شبه الجزيرة العربية خلال الأربعين عاماً الماضية (١٤٠٠-١٤٤٤هـ/١٩٨٠-٢٠٢٢م) اطلعت على الكثير من هذه المصادر، التي تحتفظ عند أصحابها بطرق بدائية، ومع مرور الزمن تتلف، ورأيت الكثير ممن يمتلكون هذا النوع من الموارد العلمية لا يدركون أهميتها العلمية التاريخية، وأغلبهم لا يسمحون للباحثين والمؤرخين من الاستفادة منها.

موقعة من شيوخ ورموز القبيلة، وبعضها مصدقة بختوم المحكمة، والمحافظة (الإمارة سابقاً) [١]. وهناك الكثير من المراسلات بين بعض الوجهاء والنواب والشيوخ، والأمراء والملوك في عصر المملكة العربية السعودية وقبلها، ومن تلك الوثائق ما يتعلق بمراكز الشيوخ ومشيخاتهم القبلية،وأخرى تدور حول تنظيمات إدارية وسياسية واجتماعية واقتصادية وغيرها[٢].

٤- قابلت بعض المعلمين القدماء، وبعض الدعاة وأئمة المساجد في مدينة الطائف وبعض مراكز المحافظة الشرقية والجنوبية في عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١-٢٠٢٢م)، واطلعوني على بعض الشهادات التعليمية، والوثائق والمراسلات خلال القرن(١٤هـ/٢٠م)، ورأيت فيها مادة تاريخية حضارية متنوعة وبخاصة في ميادين التربية والتعليم، والدعوة والإرشاد، ومعلومات أخرى عن بعض الظواهر والقضايا الحضارية والتنموية التي عاشتها بعض نواحي الطائف خلال المئة سنة الماضية (١٣٤٣-١٤٤٤هـ/١٩٢٤- ٢٠٢٢م) [٣].

ج- الوثائق والسجلات الحكومية والأهلية المحلية :

كانت الطائف من المدن الحديثة الرئيسية في الحجاز خلال القرون الثلاثة الماضية (ق١١- ق١٤هـ/ق١٧- ق٢٠م). وجرى على أرضها الكثير من الأحداث التاريخية والحضارية قبل عصر الدولة السعودية الحديثة. ثم صارت حاضرة سعودية رئيسية متمدنة ومتطورة خلال المئة سنة الماضية (١٣٤٤- ١٤٤٤هـ/١٩٢٥- ٢٠٢٢م). وتاريخ الطائف السياسي، والعسكري، والإداري، والتنموي خلال العصر الحديث والمعاصر يستحق أن يبسط في مئات الصفحات، ونشر بعض الكتب الحديثة المحدودة عن

(١) رأيت العديد من هذه القواعد القبلية عند بعض عشائر محافظة الطائف، وحصلت على صور من بعضها. كما جمعت الكثير من هذه الوثائق من قبائل عديدة في تهامة والسراة خلال الثلاثين سنة الماضية (١٤١٢-١٤٤٤هـ/١٩٩٢- ٢٠٢٢م)، آمل أن أحصل على الوقت الكافي حتى أدرسها وأخرجها في دراسة علمية مطولة ومستقلة.

(٢) حصلت على أكثر من مئة وثيقة وخطاب من بعض الوجهاء والأعلام وشيوخ القبائل في محافظة الطائف. وجميع تواريخها خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م). كما يوجد في مكتبتي العلمية آلاف الوثائق من هذا النوع، ولها صلة بالشيوخ والقبائل التهامية والسروية من مكة والطائف إلى جازان ونجران. آمل أن يمد الله في العمر حتى أدرسها وأصدرها في عدة مجلدات. وفيها مادة علمية تاريخية حضارية جيدة ومتنوعة في ميادين معرفية عديدة.

(٣) إن تاريخ محافظة الطائف خلال العصر الحديث والمعاصر في الحياة الاجتماعية، والاقتصادي، والتعليمية، والإدارية موضوعات جديدة،لم تدرس في رسائل جامعية أو كتب علمية مستقلة. آمل دراسة كل ميدان بشكل مستقل خلال القرنين (١٣- ١٤هـ/١٩-٢٠م). ومن يعكف على دراسة وتوثيق هذه الميادين الأربعة فإنه سوف يخدم هذه المحافظة الحجازية السروية، وهي جديرة بالرعاية والاهتمام البحثي، أرجو من مؤرخي الطائف أن يدرسوا هذه البلاد دراسة علمية توثيقية عميقة وجادة.

تاريـخ الطائـف في العقود الماضيـة المتأخرة يعد أمراً محموداً، لكننـا مازلنا نتطلع إلى أعمال علمية تاريخيـة وحضارية عميقة ومفصلة موثقة بمصادر علمية أولية. والوثائق الرسمية الداخليـة والخارجية من أهم المصادر الأصلية التي تخدم هذه البلاد. ونجد حكومة المملكـة العربية السعودية بذلت قصارى جهودها في تأسيس وزارات ومؤسسات إداريـة رسميـة حديثة متعددة المسؤوليات، وحظيت محافظـة الطائف بالكثير من هذه الإدارات الرسميـة: والقضائيـة، والعسكريـة الدفاعية والأمنية، والماليـة، والتعليمية، والزراعيـة، والتجاريـة، والسياحيـة، والحرفيـة الصناعيـة، والخدماتيـة التنظيمية، والدينية والدعوية، والثقافية والإعلامية وغيرها[١].

هـذه الوثائق الرسميـة في كل إدارة حكومية، أو حتى خاصة أهلية تعد من المصادر المهمـة في توثيق تاريـخ حديث ومعاصر حقيقي عن هذه المحافظـة الحجازية السروية. وكمـا أشرت في بحوث سابقة أن حفظ الوثائق في إداراتنا الحكومية والأهلية وفي جميع بلداننا العربية مازالت غـير مخدومة، ربما لعدم معرفة واستشعار أهميتها التاريخية، ثـم إن المسؤولـين والموظفين في كل إدارة رسميـة يهمهم إنجاز أعمالهـم المنوطة بهم، وحفظ الوثائق في كل إدارة بهدف مشاريع علمية بحثية، تحتاج إلى تنظيمات وموظفين متخصصـين لهذا الشأن، وهـذا الذي نفتقده في جميع إداراتنـا ومؤسساتنا الحكومية والأهليـة، وقد شاهدت خلال العقود الأربعة الماضيـة الكثير من الإدارات الحكومية في أرجـاء البلاد السعودية، وبخاصة المناطـق الحجازية والسروية والتهامية ولها أراشيف كبـيرة مليئة بالمصادر والوثائق الرسمية، ومع تقادم الزمن تبددت هذه الموارد العلمية، وضـاع بعضها، والكثير منها تم تخزينهـا في أمكنة ومستودعات رديئة التهوية والعناية، وبالتالي أصابها الخراب والتلف[٢].

محافظة الطائف مثلها مثل غيرهـا من مناطق، ومدن ومحافظات المملكة العربية السعوديـة عندهـا عشـرات المؤسسـات الإداريـة التي فيهـا آلاف السجـلات والوثائق الرسمية، وتحتوي على تاريخ حديث ومعاصر عن هذه الديار الحجازية السروية. أرجو

---

(١) قلـت: إن إفـرادٍ دراسة تاريخيـة وصفية تحليلية عـن كل إدارة حكومية في مدينة الطائـف ومراكزها يعد مشروعـا بحثياً جيداً ومهما. والرجوع إلى أرشيف كل مؤسسة إدارية حديثة والاستفادة منه في إنجاز هذا المقترح العلمي يعتبر من المطالب الأساسية لإنجاز عمل علمي جاد وموثق من مصادره الأساسية. أرجو من جامعـة الطائف أن تدعم وتشجع إنجاز هذا المشروع العلمي الذي يعكس التاريخ الإداري التنموي الحديث والمعاصـر الـذي عاصرته محافظة الطائف منذ دخولها تحت حكم الدولـة السعودية المعاصرة حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م).

(٢) هذا الذي عرفته وشاهدته وتأكد لي، أثناء إنجازٍ بعض بحوثي ومؤلفاتي من بداية هذا القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م). وسوف أوثق شيئاً من ذلك في كتابي المستقبلي (معاناة ابن جريس مع جمع بعض تراث شبه الجزيرة العربية: تهامة والسراة أنموذجا).

مـن كل مؤسسة أن تجتهد في حفـظ وثائقها، وارشفتها ورقياً ورقميـاً، حتى يأتي اليوم الذي تستخدم في دراسات بحثية تاريخية توثيقية[١].

لا تخلـو بلادنا مـن دور محفوظات للوثائـق الرسمية. مثل المركـز الوطني للوثائق والمحفوظـات ومقره مدينة الرياض، ويحتـوي على مئات الآلاف من السجلات والوثائق الحكوميـة. أرجـو أن يُجرى عليهـا ترتيب وتنسيق عملـي جاد حتى يستفـاد منه بحثيا وتوثيقيا. وهذا المركز يعد من المؤسسات التوثيقية المهمة لأن فيه الكثير من التفصيلات والمادة العلمية التي تعكـس مسيرة البلاد التاريخية التنموية الحديثة ومعظم محتوياته يتركز على تاريخ الدولة والناس محلياً [٢].

في دارة الملـك عبدالعزيز وبعض المكتبات الكبـيرة في الجامعات السعودية، ومعهد الإدارة بالرياض، ومكتبتي الملك عبد العزيز العامة، والملك فهد الوطنية سجلات ووثائق غـير منشورة لها صلة بالتاريخ السعودي الحديث والمعاصر. وكون حاضرة الطائف من مدن الحجاز السعودية الرئيسية، ولها تاريخ سياسي وحضاري كبير، فلا بد أن يكون في هذه المؤسسات البحثية والعلمية مصادر وثائقية تختص بهذه الناحية أرضاً وسكاناً [٣].

د ـ دور المحفوظات والوثائق الخارجية العربية والأجنبية :

نجد في العصر الحديث أن جيوش وحكام مصر مع الدولة العثمانية كانوا يجوبون شبه الجزيرة العربية وسيطروا عليها عقود عديدة خلال القرن (١٣هـ/١٩م)، وبدايات القرن (١٤هـ/١٩ـ٢٠م). والدول الأجنبية الغربية كبريطانيا، وفرنسا، وإيطاليا وغيرها من دول أوربا، ثم أمريكا مؤخراً اتصلت ببلدان عديدة في جزيرة العرب، واحتلت بعض موانئ البحر الأحمر الشرقية، ولعبت أدواراً عديدة في السياسة المحلية، وهذه الأحداث التاريخية الحديثة وفرت مصـادر وثائقية كثيرة باللغة العربية، والعثمانية، والأجنبية، وأنشئت دور محفوظات ووثائق عديدة، نشير إلى أهمها في النقاط الآتية :

---

(١) لـو عملنـا أفراداً ومؤسسات حكومية وأهلية بهذه التوصية، فلن تجد أجيالنا الحاضرة والمستقبلية صعوبة في معرفـة صفحـات من تاريخنا الحديث والمعاصر. وإن أهمل هذا الجانب فسوف تعاني هذه الأجيال كما نحـن نعـاني من معرفة تاريـخ الآباء والأجداد، لأننا لا نجـد الشيء الكثير المكتـوب والموثق والمحفوظ من موروثهم وتاريخهم الحضاري.

(٢) جميـع حواضـر ومدن وقرى المملكة مذكورة وموثق صفحات من تاريخها الحديث والمعاصر في هذا المركز. ومحافظـة الطائف جزء صغير من عموم بلدان السعوديـة المذكورة في المصادر والوثائق المحفوظة في هذا المستودع العلمي المعرفي.

(٣) آمـل ممن يبحث في تاريخ محافظة الطائف في العصر الحديث والمعاصر، أن لا يتجاهل أو يغفل عن زيارة هـذه المؤسسـات العلميـة البحثية، ومن يفعل ذلك، فما مـن شك سوف يجد بعض الوثائق التي تصب في خدمة تاريخ الطائف في عصر الدولة السعودية الحديثة (١٣٤٣ـ ١٤٤٤هـ/١٩٢٤ـ ٢٠٢٣م).

١ـ دور الوثائق المصرية :

هــذه الدار تشتمـل على آلاف، وربما ملايــين الوثائق التي تعكس إسهامات مصر في السياســة العربيــة والعالميــة. كما لا يخلو هــذا المكان المعرفي من وثائــق كثيرة تتعلق بحكومــات وبلــدان شبه الجزيرة العربيــة في العصر الحديث. وكــون أسرة محمد علي باشــا كانت الحاكم الفعلي لبــلاد مصر، ولها صلات سياسية وحربية مع سكان جزيرة العرب خــلال القرن (١٣هـ/ ٢٠م)، وفي مقدمتها حواضر الحجاز الرئيسية كالطائف، ومكة، والمدينة، ومدن ونواحي أخرى في نجد والسروات وتهامة[١]. ودار الوثائق المصرية تحتــوي على الكثير من المصــادر، والسجلات، والوثائق المليئــة بالأحداث والتفصيلات التاريخية عن بلاد الحجاز وغيرها[٢].

٢ـ دور السجلات، والوثائق، والمحفوظات الأجنبية :

إن المملكة المتحدة (بريطانيا) تأتي في مقدمة الدول الغربية التي تحتفظ بالكثير من المصادر والمخطوطات والوثائق العربية والأجنبية[٣]. ومن أهم مراكزها الوثائقية : أرشيف وزارة الخارجية الإنجليزية، ودار السجلات البريطانية، وأرشيف مكتب الهند في لندن[٤].

---

(١) يوجد العديد من الكتب المطبوعة والرسائل الجامعية التي فصلت الحديث عن تاريخ مصر في عهد محمد علــي باشا وأولاده وأحفاده. وفي هذه الكتب وغيرها من المصــادر والمراجع مدونات عديدة عن نفوذ حكام مصــر في جزيرة العرب خلال القرن (١٣هـ /٢٠م). ومــازال هنــاك الكثير من الوثائق غير المنشورة التي لها صلة بهذه الموضوعات تستحق أن تُدرس وتُناقش في دراسات عديدة.

(٢) حبــذا أن يظهر بعض الباحثين الجادين فيدرســون تاريخ محافظة الطائف من خــلال المصادر والوثائق المخزونــة في دار الوثائــق المصريــة. ومن يقــوم بذلك فسوف يجد مــادة علمية جديدة عن هــذه الناحية، ويخدمنا نحن معاشر المؤرخين باطلاعنا على صفحات تاريخية قيمة عن هذه الديار الحجازية السروية.

(٣) إن الحديــث عــن المصادر والمخطوطــات العربية والفارســية وغيرها في مكتبات جامعات الــدول الغربية، وبخاصة أوربا موضوع كبير جدير أن يوثق في العديد من البحوث والكتب العلمية. وأثناء دراساتي العليا في كل مــن أمريــكا وبريطانيا خلال العقد الأول من هذا القرن (١٤هـ/٢٠م)، زرت عدداً من الدول الأوربية، ورأيــت في مكتباتهــا الجامعية آلاف المخطوطــات العربية والفارسية في شتى ميادين المعرفة. والكثير من هــذا الــتراث الإسلامــي تم الاهتمام به دراسة وتحقيقاً مــن قبل بعض المستشرقين، كمــا أن بعض طلاب العلــم العــرب والإيرانيين وبعض طلاب جنوب وشرق آسيا درسوا بعضهــا، ومنهم من حصل على درجات الماجستــير والدكتــوراه في تحقيــق بعض تلــك المخطوطات، ومــازال في هــذه المؤسسات التعليميــة العالية الأجنبية الكثير من هذا التراث العربي والإسلامي الذي يستحق الجمع والدراسة والتحقيق .

(٤) كانــت بريطانيــا ذات نفوذ استعماري واسع شمل معظم قارات العــالم. وفي هذه المراكز المعرفية الوثائقية وبخاصــة إرشيــف وزارة الخارجيــة البريطانية ملايين الوثائــق عن كثير من بلدان وشعــوب العالم. وكون الأمــراء الأشــراف والدولة العثمانية كانوا علــى صلات ومواجهات مع بعض القــوى الإنجليزية، ففي هذه المراكــز الإنجليزيــة الكثير من المصــادر الوثائقية الخاصة بالحجاز وحواضرهــا. ومدينة الطائف إحدى مــدن الحجاز، التي لها دور سياسي وتاريخــي خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م)، حبذا أن يدرس تاريخ هذه الناحية من خلال الوثائق الأجنبية في بريطانيا.

تأتـي دول الغرب الأخرى، ثـم الولايات المتحدة الأمريكية بعـد بريطانيا من حيث وجـود مراكز الوثائق التي لا تخلو من مصادر وثائقية عن بلاد الحجاز وبخاصة مدينة الطائـف. آمـل أن نرى مؤرخاً جاداً يدرس تاريخ وحضـارة الطائف في العصر الحديث من خلال مراكز الوثائق الغربية في ألمانيا، وإيطاليا، وإسبانيا، وفرنسا ثم أمريكا. ومن يتـولى هذا المشـروع بالبحث والترجمـة والدراسة والتحقيق فسـوف يطلعنا على تاريخ مهم وجديد عن هذه الحاضرة الحجازية[1].

٣ـ الأرشيف العثماني :

إن الدولـة العثمانيـة لهـا تاريخ طويـل ومتنوع لطـول المدة التي قضتهـا في النفوذ السياسـي والحضاري، ولكثرة البلـدان والدول التي وصلت إليهـا، ولها علاقات سلبية أو إيجابيـة معها. وكانت بلاد الحجاز من أهم النواحي التي مدت نفوذها عليها لبضعة قرون. وتاريخ هذه الإمبراطورية من القرن (١٠ـ١٤هـ/ق١٦ـ ٢٠م) خلف لنا كماً هائلاً مـن المصادر والوثائق التاريخية التي معظمها بالحرف العثماني، ولغات أخرى عديدة، ومنهـا اللغة العربية. ومعظم هذه الوثائق جمعـت في الأرشيف العثماني، ويُعرف باسم (أرشيـف رئاسة الوزراء للإمبراطورية العثمانية)، ومقره في مدينة استانبول التركية. وهـذا الأرشيف يعد من أهم وأكبر وأفضل الأرشيفـات في العصر الحديث، ويوجد فيه كميـات كبيرة من المصادر، والسجـلات، والمدونات، والوثائق الخاصـة بشبه الجزيرة العربية. وفي العقود الماضية المتأخرة أصدر بعض البـاحثين بعض الكتب والوثائق المكتوبة باللغة العثمانية، وقد تمت ترجمتها وتحقيقها، ثم طباعتها ونشرها. كما نُشرت العديد مـن الوثائق العثمانية بلغتهـا الرئيسية في بعض الكتب والرسائل الجامعية التي صدرت خـلال الخمسين سنـة الماضية (١٣٩٠-١٤٤٤هـ/ ١٩٧٠-٢٠٢٢م)، وهنـاك من ترجم بعض الوثائق إلى اللغة العربية[2].

---

(١) لا تخلـو جامعاتنـا العربية مـن بحوث ودراسات علمية اعتمـدت بشكل كبير على مصـادر ووثائق أجنبية، لكن جمع الوثائق والمصادر الأجنبية من جميع دول العالم، وبخاصة كل ماله علاقة بأهلنا وبلادنا في شبه الجزيـرة العربيـة خلال العصر الحديث والمعاصر مازال يعد من المشروعات العلمية الكبيرة، آمل أن نرى جامعاتنا ووزارات تعليمنا تقوم بتشكيل فرق علمية تقوم بجمع هذا التراث، ثم ترجمته وغربلته وتحقيقه، ثـم طباعته ونشـره. وإن تم ذلك فسوف نطلع علـى معارف وتفصيلات عن تاريخ بلادنـا وحضارتها منذ القرن (١٣هـ/١٩م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م).

(٢) هـذا الذي عرفته واطلعـت عليه أثناء رحلاتي العلميـة الداخلية والخارجية، وخـلال إنجاز بعض بحوثي الأكاديميـة والتوثيقية في الفـترة الممتـدة مـن (١٤٠٠-١٤٤٤هـ/١٩٨٠-٢٠٢٢م). كما أنَّنـي زرت هذا الأرشيـف في ثلاثينيـات هـذا القرن (١٥هـ/٢١م) واطلعت على مئـات الوثائق الخاصـة بشبه الجزيرة العربية. والحكومة التركية سهلت الدخول إلى هذا الأرشيف والاستفادة منه.

من يدرس تاريخ شبه الجزيرة العربية في العصر الحديث، فلا بد أن تكون ضمن خططه ورحلاتـه العلميـة الاستفادة مما في هـذا الأرشيف من مصادر علميـة أولية. وبلاد الحجاز والسـروات وتهامة مـن البلدان التي لها ذكر واسع في وثائق هذا الـدار، لأن الدولة العثمانية وجيوشهـا لها صولات وجولات مع سكان وشعوب هذه البلدان المحلية. ومحافظة الطائف تعد مـن أهم مناطق الحجاز السروية التي لم تخـدم بحثيا عبر عصور التاريخ، ومن يدرس هذه الناحيـة معتمدا بالدرجـة الأولى على الأرشيف العثماني فإنه سـوف يجد مادة علمية كثيرة وجديدة، آمل أن نرى من طلاب العلم والمؤرخين الحجازيين من يدرس تاريخ هذه البلدان من خلال هذا الأرشيف الآنف ذكره، ومن يفعل ذلك فسوف يخدمنا نحن المؤرخين ويطلعنا على تاريخ حديث جديد عن بلاد الطائف والطائفيين خلال ثلاثة قرون (١٢ـ ١٤هـ/١٨ـ٢٠م).

هـ ـ مصادر ومراجع أخرى:

إن محافظـة الطائف تستحق الخدمة البحثية التوثيقية، وعندها الإمكانات المادية والمعنويـة التـي تدعم المؤرخ والباحـث فيرصد شيئاً من تاريخهـا، بالإضافة إلى ما تم ذكـره في الصفحات السابقة، فما زال هناك وسائل أخرى تروي شيئاً من حضارة هذه البلاد، وأشير إلى بعضها في البنود التالية :

١- سبق أن أشرت إلى احتواء المحافظة على آثار سطحية ومدفونة كثيرة، وهذا موضوع مهـم وكبير وجدير بالاهتمام والعناية العلمية البحثيـة. وأثناء سيري في أجزاء من المحافظة شاهدت الكثير من القرى القديمة التي أصاب معظمها الخراب والاندثار. وهذه القرى بما تحتويه من مرافق عمرانية وخدماتية، كانت ذات تاريخ حيوي ونشط في عصر الآباء والأجداد، واليوم صارت من التراث السطحي المادي في أنحاء البلاد. أرجو من جامعة الطائف، وإمارة منطقة مكة، والمحافظة الطائفية ومراكزها خدمة هذا الموروث بالحفظ والاعتناء العمراني، والسياحي، والمعرفي والتعليمي.

مما شاهدته أيضاً آثار مادية أخرى عديدة، مثل: بقايا الأسواق الأسبوعية، والآبار الجوفيـة والسـدود القديمة، والدروب القديمـة التي تربط بـين العديد من القرى والأرياف في المحافظة، وبعض المقابر والكهوف في بعض الجبال، والأحمية في العهود السابقـة، والكثير من الأدوات الزراعية، والمهنية الحرفية القديمة، وبعض الألبسة وأدوات الزينـة، وأواني الأشربة والأطعمة التقليدية وغيرها من مستلزمات الأوائل في حياتهـم الاجتماعيـة، والتجارية، والرعويـة، وأسفارهم وإقامتهـم، وحروبهم وسلمهـم، وغيرها مـن ميادين الحياة اليومية. كل هذه المـواد شاهدتها عند بعض الأسـر الريفية والقرويـة في مراكز الطائـف الجنوبية، ورأيتهـا في بعض المتاحف التاريخيـة في المدينة، وبعض القرى الطائفية. أرجو أن يجد هذا التاريخ المادي من

يوثقه، ويشرح غموضه ومصطلحاته وطرق استخدامه. وإن تم ذلك فإننا سوف نقرأ تاريخاً حضارياً ماجداً لهذه البلاد الحجازية السروية العريقة.

٢- أما التاريخ المعنوي لأهل الطائف المتمثل في فنونهم ورياضاتهم الشعبية، ولهجاتهم ومصطلحاتهم اللغوية، وقصصهم وأشعارهم التراثية والنبطية، فذلك مجال كبير، والجميل في هذه المحافظة أنها جمعت بين حياة الحاضرة والبادية، ثم إن لها تاريخاً أدبياً عريقاً، فهي موطن سوق عكاظ الشهير، وبرز فيها الكثير من الشعراء، والرواة، وحافظي القصص، والأمثال، والأحداث والعلوم المعرفية خلال عصور الإسلام المختلفة. وقد يكون هناك صعوبة أن يجمع هذا التراث في العصور الماضية البعيدة، لكن القرون الماضية المتأخرة (ق١٢ــ ق١٥هـ/ ق١٨ـ ق٢١م) قد تكون ميسورة وسهلة فيوثق شيئاً من تاريخها الحضاري المتنوع[١].

٣- عرفت محافظة الطائف الكثير من العلماء، والأدباء، والمؤرخين، والمعلمين والمتعلمين خلال العصر الحديث، وبخاصة في المئة سنة الماضية (١٣٤٣ - ١٤٤٤هـ / ١٩٢٤ـ ٢٠٢٢م)، أرجو أن يكون من بين هؤلاء من دون مذكراته الشخصية، أوشيئاً من مشاهداته اليوم أثناء عمله وسيره في مناكب هذه المحافظة الحجازية العريقة. ومن يسعى إلى ترجمة هذا المصدر إلى عمل حقيقي فسوف يقدم خدمة جليلة لهذه البلاد العربية السعودية. أرجو ممن لم يقم بذلك، ومازل قادراً على أن يوثق صفحات من تاريخ هذه البلاد في العصر الحديث والمعاصر، معتمداً على المعاصرة، والتجارب، والخبرات أن يسارع في تأليف شيء مما سمعه وعرفه وعاصره. ومن يقوم بإنجاز هذا الطلب، فأرجو أن يتوخى الحيطة، والحذر، والحيادية، والمصداقية، والشفافية في كل ما يمكن توثيقه، وإن تحقق ذلك فقد نطلع على لمحات من تاريخ جديد للأرض والناس عن هذه البلاد، ويصعب أن نجده في أي مصدر آخر من المصادر المعروفة المألوفة[٢].

رابعاً : خلاصة النتائج والتوصيات :

من يطالع هذا المبحث يدرك محدودية مادته العلمية، وعنوان الدراسة الرئيسي كبير ويستحق أن يوثق في عشرات الأبحاث. ونحن نشير إلى محافظة حجازية سروية قديمة جداً، سكنها الكثير من الأقوام قبل الإسلام وبعده، ومن المؤكد أن لها تاريخاً طويلاً وعريقاً. وإذا بحثنا عن المادة المطبوعة والمنشورة عنها وجدناها محدودة وقليلة،

(١) خرجت بهذا القول بعد أن تجولت في ربوع محافظة الطائف أياماً عديدة، في أوقات مختلفة، ولديَّ الكثير من التراث والتاريخ المعنوي الجدير بالاهتمام والدراسة والحفظ والتوثيق. .

(٢) أنادي بمثل هذه النداءات لاطلاعي على شيء من موروث هذه البلاد الضائع، الذي لم يجد من يوثقه ويدرسه. وأهل كل ناحية هم أفضل من يقوم على خدمة تراثهم وتاريخهم وحضارتهم المحلية.

ومعظمهـا ناقشت التاريخ الحديث والمعاصـر لها. وأذكر في هذه الخلاصة بعض الرؤى والتوصيات التي أرجو أن تفيد في خدمة هذه البلاد علمياً ومعرفياً وتوثيقياً، فأقول:

١- تستحق بلاد الطائف دراسة رصينة في علم الأنساب، وإذا كان صدر بعض الشذرات في هذا المجال، فمازالت بحاجة إلى تنقيح وتصحيح ومراجعات ولا نريد أن يقتصر البحث في هذا الموضوع على القبائل التي استوطنت الطائف من عصور قديمة قبل الإسلام، إنما نتطلع إلى دراسة شاملة لأنساب سكان المحافظة عبر عصور التاريخ (القديم، والإسلامي المبكر، والوسيط، والحديث، والمعاصر).

٢- مجال التراث والتاريخ الأثري المعنوي والمادي من الأبواب الكبيرة والمهمة، والواجب أن يخـدم هذا الجانب بأعمال علمية جـادة ورصينة، وأن تتولى المؤسسات البحثية والجامعيـة في بلادنـا التخطيط والدعـم والتشجيـع والإشراف لإنجـاز مثل هذا المشروع الجدير بالاهتمام والرعاية.

٣- لا يخلـو تراثنا العربي والإسلامي من مواد علمية تذكر الطائف أرضاً وسكاناً. ولو شكل لهذا المشـروع فريق عمل تحت مظلة جامعة الطائف، أو مؤسسة علمية بحثية عريقة، فقد يخرجوا لنا بعض الكنوز المعرفية عن تاريخ وحضارة الطائف منذ فجر الإسلام إلى القرن (١١هـ/١٧م).

٤- إن تاريـخ الطائف الحديث (ق١١ـ ق١٤هـ/ق١٧ــ ق٢٠م) مجال واسع، وكتب عنه في مصادر عربيـة وأجنبية كثيرة. حبذا أن تتولى جامعة الطائف دعم ورعاية هذا العمل العلمي المهم والرائد، وإن فعلت ذلك، فقد قدمت شيئاً من واجباتها الوطنية تجاه محافظة الطائف وأهلها.

٥- تاريـخ تنمية الطائف في عهد المملكـة العربية السعودية(١٣٤٣ــ ١٤٤٤هـ/ ١٩٢٤ـ ٢٠٢٣م)، مشـروع لم يخـدم بشكل علمي وجاد، ويصعب أن يقـوم به فرد أو أفراد معـدودون، والأفضـل أن تقوم به مؤسسة علمية بحثيـة في الحجاز، أرجو من إمارة منطقة مكة، وجامعات الطائف، ومكة المكرمة، وجدة أن تبادر في خدمة ورعاية مثل هـذه الأعمال العلمية الكبيرة. ومحافظة الطائف تستحق أن تخدم بحثيا وتوثيقيا، لأنها مازالت بلاداً بكراً في ميادين البحوث العلمية الرصينة.

٦- لا أقـول إننـي استوفيت كل ما يجب رصده في هذه الورقـات عن محافظة الطائف، لكـن حسبي أنني اجتهدت، وذكرت بعض التنويهات والشـذرات التي آمل أن تكون لبنـات أولية لإصدار دراسة علمية طويلة ورصينة في توثيقها، وتحليلها. والله أسأل أن يكـون هـذا العمـل خالصاً لوجهه الكـريم، وأن يكون حجـة لي لا حجة عليَّ يوم العرض الأكبر. (والله من وراء القصد) ٠

ثالثاً : الاختزال ومظاهره في اللغة العربية ومحكياتها (اليمن وجنوب السعودية وغيرهما أنموذجا). بقلم. أ.د. عباس بن علي السوسوة [1].

أولاً: مدخل:

اختزال المفردات والتراكيب طويلةً ومتوسطةً ظاهرة ملموسة سمعيا في لغات العالم الحية، حسب علمنا القاصر وحسب علم كثيرين من لسانيي الغرب. وسيكون تركيزنا على لغتنا العربية ومحكياتها في اليمن وجنوب السعودية وغيرهما، ولا بأس بالاستئناس بغيرها. وفق المباحث/المطالب الآتية: (١) ظاهرة الاختزال عند اللسانيين الغربيين. (٢) ظاهرة الاختزال عند لغويي العرب. (٣) ألفاظ ومصطلحات تتقاطع مع الاختزال. (٤) من مظاهر الاختزال في اللهجات العربية الحديثة، وأصولها في المصادر الفصيحة المكتوبة.

ثانياً : الاختزال عند اللسانيين الغربيين:

جاء في معجم ميريام ويبستر عن ظاهرة الاختزال (Haplology) أنه: تقليص كلمة بحذف صوت أو مقطع وأكثر من الأصوات والمقاطع المتشابهة فيها، وسببها السرعة في الكلام، وقد أدرك هذا الاتجاه في الإنجليزية اللغوي الأمريكي (١٨٥٥ – ١٩٢٨) (Maurice Bloomfield) وسماه بهذا الاسم. ويراه معلومًا في الإنجليزية، وأن له أثرًا في تسمية هذه الأمة (English) من كلمتي (Engla +Land) التي صارت

(١) للمزيد عن الأخ العزيز الأستاذ الدكتور عباس بن علي السوسوة انظر نبذة من سيرته في موسوعة: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (٢٨) مجلداً، وله بحوث عديدة في عدد من أجزاء هذه الموسوعة. والصديق عباس السوسوة عالم جليل، عمل في جامعة الملك خالد أكثر من عقد من الزمان، وهذا العام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م) عاد إلى بلاد اليمن، وأسأل الله له التوفيق والسداد. (ابن جريس).

(ENGLAND)[١]. ويلاحظ من أمثلتـه أنها تجاوزت الاختزال في الكلمة الواحدة إلى مجمـوع كلمتين، وسيأتي بعده لسانيون يجاوزون به ثلاث كلمات، وهذا ما نراه في بحثنا المتواضع هذا.

لاحظ باحثون غربيون أنّ «تقصير الكلمات عبر الزمن يجعل الاتصال أكثر كفاءة. (...) وقـد عاش بعضنـا ليروا هذا يحـدث: التلفزيـون (television) أصبح (tv) أو (telly)، والميكروفـون (microphone) اختـزل إلى (mike) أو(mic)، وعرَض نقص المناعة المكتسب تضاءل إلى إيدز(AIDS) وهكـذا (...) وقد لاحظ عالم اللغة الاشتقاقي الأمريكي جورج كنغسلي زيف(George Kingsly Zipf) أن الكلمات الأكثر تكـرارًا أميلُ إلى أن تختصر من الكلمات الأقل تكـرارًا، وعزا ذلك إلى مبدأ (بذل أقل جهـد)»[٢]. بل إنّ الكلمات الأكثر تكرارًا تكون أقصر من الكلمات الأقل تكرارًا؛ فحرف الجر (about) أقل تكرارًا في الكلام من الحرف (to) الأقصر الذي لفظه أسهل؛ مما يقلّـل مـن الجهد الكلي اللازم لإصدار الـكلام[٣]. وبعض اللسانيـين الإناسيين - ومعه حقّ - لا يوافقه في أمثلته المضروبة، ويرى أنّ لكل حرف وظيفته، وأنّ طول كلمة أو جملة تحدده كمية المعلومات التي تحتويها؛ فالوظيفة اللغوية تشكل الصيغة اللغوية[٤].

والحـق أن هذا الـرأي عام بين اللسانيـين الغربيين - مع الاختـلاف في التفاصيل - لا تختصّ بـه طائفة دون أخـرى، فها هو روبرت لورنس تراسـك (١٩٤٤ - ٢٠٠٤م) يذكـر أن قـدرًا كبيرًا من التغـير اللغوي مردّه الكسـل أو قلة الصـبر؛ فالبشر يفضّلون التعابير الأكـثر اختصارًا على الأطول منها، فتليفون صـارت فون، وجيمنازيوم صارت جيـم، وإنفلونـزا صـارت فلـو (... و) كم مـن النـاس مـن يتذكر المبيـد الحشري دي. دي. تـي[٥] باسمـه الكامـل:Tricchilorethane) (Dichloro Diphenyl، ويرجح أننا نختصـر الكلمـات والعبـارات التـي نستخدمها بشكل متكـرر، فقد اختُصـرت عبارة: (God be with you) = ليكن الله معك، إلى (by good) ثم (by)[٦].

---

(١) ينظـر: https:llwww.merriam-webster.com..dictionary...haplology.، الدخـول في (٦ صباح الأربعاء ٤ مايو ٢٠٢٢).

(٢) مايـكل كورباليـس: في نشأة اللغة من إشارة اليد إلى نطـق الفم، ترجمة محمود ماجد عمر، الكويت: عالم المعرفة ٢٠٠٦م، ص٢١٢. وقد عاش زيف بين عامي ١٩٠٢ – ١٩٥٠م.

(٣) ينظـر: Zipf; G; K: The Psycho-biology of Language: An Introduction to Dynamic Philology. Boston; Hoghton Mifflin; 1935; p14.

(٤) ينظـر: دانييل إيفريت: اللغة: تلك الأداة الثقافية، ترجمة عبـد العزيز بن عبد الرحمن أبانمي، الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر ١٤٣٨م، ص ١٣٩ - ١٤١. وقد جعله المترجم الفاضل: زيبف!!

(٥) كنا نسمّيه في اليمن: تيتي.

(٦) ينظر تراسك: لماذا تتغير اللغات؟ ترجمة محمد مازن جلال، الرياض: جامعة الملك سعود ٢٠١٣م، ص ٥٩ - ٦٨.

ونحسب أن تراسك قد أجمل عوامل الاختزال في اللغات مع تطبيق على أمثلة دالة في الإنجليزية. وسيكون هدفنا أشكال الاختزال في العربية ولهجاتها.

ويرى جورج هنري فالنز (١٨٩٧-١٩٥٦م) أن الكلمات كقطع النقود، تتآكّل بالاستعمال، وأن هذا التآكّل يصيب غالبًا أوائلها وقليلًا أواخرها، واستشهد بأمثلة كثيرة منها: (sport) يراها مختزلة من (disport) الفرنسية، و(cheat)) المختزلة من (escheat) و(sample) أصلها: (example)، و(story) من ((history)[١]. وزاد فأورد أمثلة من المنحوت المتطور عن المركب في الإنجليزية، مثل: (woman) من (wif + man) و(husband) من: ((house + banda)[٢]. ومن أراد وسيطًا عربيًّا قيّمًا يمكنه الرجوع إلى: نهاد الموسى(١٩٤٢-٢٠٢٢م)، وهو الذي عرفنا بالمصدر الإنجليزي مشكورًا[٣].

وعرض له ج. فندريس (١٨٧٥- ١٩٢٥م) وذكر أن «الكلمات القصيرة كثيرًا ما تقاوم الانحرافات التي تصيب الكلمات الطويلة باطراد،... وهي الحال بالنسبة لكلمات كثيرة الاستعمال، ومن ثم يمكن فهمها قبل النطق بها إلى حد أن المتكلم يستطيع أن يعفي نفسه من توضيح النطق بها مكتفيًا بالنطق بها في صورة مختصرة، فالبلى الصوتي واضح فيها بدرجة خاصة، وهذه الألفاظ في عمومها إما آلات مساعدة وإما عبارات محفوظة متداولة»[٤]، وهنا نلاحظ أنه ركز على أبرز ما يحدث فيه الاختزال في اللغات إضافة إلى عامل كثرة الاستعمال. وهذا العامل جعله علماء العربية السبب في اختزال الكلمات والتعابير في أكثر من ظاهرة، كما سيأتي.

ثالثاً: الاختزال عند لغويي العرب:

سماه رمضان عبد التواب (١٩٣٠- ٢٠٠١م): قانون بلى الألفاظ، وشبّه الألفاظ المستعملة كثيرًا بالعملات المعدنية والورقية التي تتداولها الأيدي كثيرًا فتبلى ويحدث لأطرافها تآكل وتمزُّق. ونقل كلام فندريس، وضرب لذلك أمثلة من العربية وغيرها، واجتهد في الفهم. ونحن نوافقه - وغيره - في المجمل، ونزيد على ما ذكره، إن في الظواهر، وإن في إيراد الشواهد؛ فهو محكوم بموضوع كتابه (التطور اللغوي)، وبلى الألفاظ قانون واحد من قوانين التطوّر[٥].

---

(١) ينظر: Vallins ; G; H: The making and meaning of Words; London: Genric; 5th edition 2019; pp 90- 92.

(2) IBID; P 102- 103.

(٣) نهاد الموسى: النحت في اللغة العربية، الرياض: دار العلوم للطباعة ١٩٨٤م، ص ٢٠٦، ٢١٦.

(٤) ج. فندريس: اللغة، ترجمة محمد القصاص وعبد الحميد الدواخلي، القاهرة: لجنة البيان العربي ١٩٥١م، ص٨٩ وعنه نقلها رمضان عبد التواب: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي١٩٩٧م، ص١٣٥.

(٥) رمضان عبد التواب: التطور اللغوي ١٣٦ - ١٤٤.

رابعاً: ألفاظ ومصطلحات تتقاطع مع الاختزال:

نسأل الله الصبر على متاهات معاجمنا اللغوية الكبرى، ففي اللسان: «حذف الشيء يحذفه حذفا: قطعه من طرفه، والحجام يحذف الشعَر... أذُنٌ حذفاء كأنها حُذفت قُطعت... حذف رأسه بالسيف حذفا ضربه فقطع منه قطعة... الحذف: الرمي عن جانب... الجوهري: حذف الشيء إسقاطه، ومنه حذفت من شعري، وفي الحديث: حذف السلام في الصلاة سُنّة، هو تخفيفه وترك الإطالة فيه... الأزهري: الحذف قطف الشيء من الطرف»[١].

وقد جمع باحثٌ معاني الحذف من المعاجم القديمة في حدود صفحة ونصف صفحة، فانظرها عنده إن شئت[٢].

١- **الاختزال: في اللسان** «الخزَل والتخزّل والانخزال: مشية فيها تثاقل وتراجع وتفكك... الخَزل القطع... الاختزال الاقتطاع... في حديث أُحُد انخزل عبد الله بن أبي من ذلك المكان أي انفرد... المخزول من الشعر ضرب من زحاف الكامل... ابن سيده: الاختزال الحذف، استعمله سيبويه كثيرًا...»[٣]. ولما رجعنا ننقب في كتاب سيبويه وجدنا الاختزال عنده في كل سياقاته محصورًا في ترك ذكر الفعل مطلقًا والاكتفاء بالمصدر المنصوب في مثل: سقيًا ورعيًا، بدلًا من (سقاك الله سقيًا ورعاك الله رعيًا)، بدأها بـ «باب ما ينصب من المصادر على إضمار الفعل غير المستعمل إظهاره»[٤]، وتلاه بأبوابَ من السنخ نفسه[٥]. وكنا نتوقع أن نجد كلمة أو منطوقًا اختزل قسم منه صغر أو كبر، لا أن يضمر الفعل إضمارًا فلا يذكر البتة. وعلى كل حال فهذا مصطلحه.

وفي معجم الغني الزاهر الإلكتروني، نجد بعض المعاني الجديدة الشائعة للاختزال في العربية المعاصرة ومنها: اختزل تعابير كثيرة من إنشائه: حذفها، اختزلت محضرَ الاجتماع: كتبته مقتضبًا برموز وإشارات، اختزلَ الكسرَ: حوّله إلى كسر مساوٍ...[٦].

وفي معجم العربية المعاصرة: اختزال مصدر اختزل: طريقة تختزل بها الحروف والكلمات بقصد السرعة، نظام كتابة سريع باستعمال رموز كلمات وعبارات وحروف، فن

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين (ح ذ ف)، ص٨١٠ - ٨١١.

(٢) سلمان سالم رجاء السحيمي: الحذف والتعويض في اللهجات العربية من خلال معجم الصحاح للجوهري، المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٥هـ، ص١٠٥ - ١٠٦.

(٣) لسان العرب (خ ز ل) ص١١٥١ - ١١٥٢، والمادة نفسها في المعجم الوسيط، ص ٢٣٢، لم تذكر أي معنى حديث للاختزال.

(٤) كتاب سيبويه، ١/ ٣١٢.

(٥) كتاب سيبويه، ١/ ٣١٤ - ٣٢٨.

(٦) ينظر عبد الغني أبو العزم: معجم الغني الزاهر - إلكتروني، (خ ز ل).

أو مهارة الكتابة السريعة، (فز) عملية في مادة ما ينتج عنها إنقاص في الأكسجين. أو زيادة الهيدروجين...(جب) اختزال الكسور: تحويلها إلى كسور مساوية أبسط من الأولى[١].

والذي نريده بالاختزال في بحثنا هذا: حذف قسم من الكلمة أو التركيب أو الجملة، في سياق كلامي دون آخر لا يحذف فيه، وبذلك لا يقتصر على ترخيم آخر المنادى، أو الاجتزاء بالحركة القصيرة عن الطويلة، أو نحت كلمة واحدة من كلمتين أو من جملة طويلة؛ بل يشملها جميعًا.

وننبه إلى أننا لن نعالج اجتزاء الحركة خصوصًا في نهاية الكلمة - مع أنه اختزال - لكثرته الشديدة في العربية ولهجاتها، ولكثرة تقصير الحركات وتطويلها في الأواخر دون نكير من متكلم أو سامع، ولصعوبة رصده بدقة تلزم أن تكون قوة السمع عند الإنسان قريبة من قوة السمع لدى الفصيلة السنورية. بل إننا لاحظنا أن المتكلمين لا يحسون باجتزاء الحركات ولا بتوفيرها في الأواخر.

ولن نعالج النحت - مع أن فيه اختزالًا وتركيبًا معًا - لكثرة ما كتب فيه قديمًا وحديثًا، ونشير إلى كتاب نهاد الموسى، إذ هو أفضلها من كل الجوانب[٢]. ونحيل إلى كتابنا؛ ففيه نظرة تاريخية تعاقبية لاستعمال النحت خارج كتب اللغة[٣]. ويلحق به التركيب الأوائلي كبناء كلمة واحدة من أوائل حروف كلمات كثيرة، مثل: رادار وناتو وإيدز؛ لأنه ليس من سمات اللغة الطبيعية المنطوقة، وليس من أمثلة مبتدعة فيها[٤].

والمنهج المتبع هو المنهج الوصفي القائم على الملاحظة والاستقراء والتصنيف، وسنستعين بالنظرة التاريخية أو التقابلية إن أسعفتنا النصوص المكتوبة.

٢- الحذف اللغوي: جمع السحيمي الألفاظ التي استعملها علماء العربية والعروضيون والمعجميون لمعنى الحذف، ابتداء من سيبويه مرورًا بالأخفش والفراء والزجاج والرماني وغيرهم؛ فكان منها: الإسقاط والكف والاكتفاء والاجتزاء والإلقاء والطرح[٥]. فجزاه الله خيرًا عنا. غير أن الناظر في السياقات المتنوعة لديهم يجد الحذف نوعًا واحدًا متعلقًا بالكلمة الواحدة من صامت أو حركة، بل قد يكون حذفًا مفترضًا، كما في تفاعيل العروض.

---

(١) ينظر: أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة. القاهرة: عالم الكتب ٢٠٠٨م، ص٦٣٨.

(٢) نهاد الموسى: النحت في اللغة العربية، الرياض: مكتبة دار العلوم ١٩٨٤م.

(٣) عباس علي السوسوة: العربية الفصحى المعاصرة وأصولها التراثية، القاهرة: دار غريب ٢٠٠٢م، ص٥٣ - ٥٥.

(٤) المرجع نفسه، ص٥٦ - ٥٧.

(٥) سلمان سالم رجاء السحيمي: الحذف والتعويض في اللهجات العربية من خلال معجم الصحاح للجوهري، ص١٠٦ - ١١٧.

٣- الاجتـزاء: في اللســان «الجَزء والجُزء البعض... المجــزوء من الشعر ما حذف منه جزآن... الجزء الاستغناء بالشيء عن الشيء، وكأنه الاستغناء بالأقل عن الأكثر... يجزئ قليل من كثير ويجزئ هذا من هذا: أي كل واحد منهما يقوم مقام صاحبه...»[١].

تنطـق الحركات الطوال في زمــن أقصر؛ فتصير ألف المد فتحة قصيرة، وياء المد كسرة قصيرة، وواو المد ضمة قصيرة. في موقعي الوسط والختام في الكلمة[٢].

٤- الترخيـم: يشرحه إمــام النحاة بقوله: «الترخيم حذف أواخر الأسماء المفردة تخفيفًـا، كمــا حذفوا غير ذلك تخفيفًــا... واعلم أنّ الترخيم لا يكـون إلّا في النداء، إلّا أن يضطر شاعر، وإنما كان ذلك لكثرته في كلامهم، فحذفوا ذلك كما حذفوا التنوين، وكمــا حذفوا الياء من قومي ونحوه في البناء. واعلم أن الترخيم لا يكون في مضاف إليه ولا في وصف لأنهما غير مناديين...»[٣]. من الواضح أن حذف أواخر الكلمات في النداء هــو المصطلح عليه بالترخيم، وتبعه النحاة الخالفون فيه، وإن لم يبلغوا في أمثلته مبلغه إذ وصـل بالترخيــم في النداء (١١) إلى أحد عشر بابا وجعل الثاني عشر في غير النداء لضرورة الشعر[٤]، أما الحذف في غير النداء فلا يسمى ترخيمًا.

وكان غريبًا أن نجد ابن دريد يستعمل الترخيم في الحذف في غير النداء؛ نقلًا عن أبي زيد في (كتاب اللغات) عن العرب «... ويرخمون العدد فيقولون: الواح والثانِ هكذا إلى العشــرة، ثــم يقولون: الحادِ عشر والثــانِ عشر»[٥]. ولا نحتــاج إلى ذكاء قلَّ أو كثر أنهم قالــوا: الثال والراب والخامَ والساد والسَاب والثام والتاس والعاش!، وفي اللهجات المغربيــة ذكر مارسيــه ظاهرة غريبة متعلقة باختزال (واحــد) للتعبير عن حال الاسم المعرفــة المنــوّن فيصير (واح) ثم يلحقه الاسم معرّفًا وغــير معرّف، مثل: الواحد/ واح الراجل، واحد المرَة![٦].

---

(١) لسان العرب، (ج ز ء)، ٦١١ - ٦١٢.

(٢) هــذا مجمــل مــاورد في: هاني الفرنواني: ظاهــرة الاجتزاء في العربيــة، الإسكندرية: دنيــا الوفاء للطباعة ٢٠٠٥م، ص١٤ - ٢٠.

(٣) كتاب سيبويه، ٢/ ٢٣٩ - ٢٤٠.

(٤) ينظر كتاب سيبويه بعناية محمد كاظم البكّاء٣/ ١٥٤-١٧٨و٣/١٧٨-١٨١.

(٥) ابن دريد الأزدي: جمهرة اللغة (تحقيق رمزي منير بعلبكي، بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٧م)، ٣/ ١٣١١.

(٦) ينظر: مارسيه: اللهجات الغربية، ضمن (دراسات في تاريخ اللغة العربية - ترجمة حمزة بن قبلان المزيني -ط٢، عمّان: كنوز المعرفة ٢٠١٣م)، ص٨٥.

خامساً: من مظاهر الاختزال في اللهجات العربية الحديثة :

(*) الاختزال في النداء والتسمية وما في حكمهما:

في لهجة فِيفا في إمارة جازان - تسميه الباحثة الترخيم -: «من الصفات البارزة فيهـا ، فلم يخلُ من نداءاتهم في الغالب...[1] أمَحَ لمحمـد ، أأحمَ لأحمد ، أسلَ لسليمان ، أسلَ لسلامة ، أسَلـمَ لسلمان ، أقاس لقاسـم ، أعَل لعلي ، أمسع لمسعـود ، أحَس لحسن ، أحسَن لحسين ، أجـبرَ لجُبران ، أفَرحَ لفرحان ، أيَح ليحيى ، أجـاب لجابر ، أسال لسالم ، أسَعَ لأسعد ، أسَعَ لَسعيدة ، أفاط لفاطمة ، أمَش لمشنيَة ، أجَم لجميلة ، أعاي لعائشة. وهم لم يرخمـوا الاسم الثلاثي المتحرك الوسط ، كعمَر أو فَرَح أو جُبَر ، باستثناء حسن وعلي لا غـير»[2]. والمحذوف حرف واحد ، واثنان ، وأكثر. وكل المرخّم يختزل إذا كان مضافًا مـع بعض الاختلافات التي من أبرزها زيادة الميم أو التاء أو الباء غالبًا للاسم المضاف بعد ترخيمه ، فَـ (يحيى محمد) - يحمّد ، وفاطمة محمد — فاطمحمد ، ومحمد بن سعد - محباسعد ، وجميلة بنت سعد - جمّتسّعد ، وعايشة بنت محمد — عايمتحمد. والغرض ربـط الاسم بالاسم الذي يليه ليكون كالاسم الواحد الذي لا يتجزأ[3]. وتعرض الباحثة للاختزال في الجمل وغيرها[4].

وذكرها عرَضًا باحث آخر من اللهجة نفسها ، فسمّى الحذف في نداء المفرد ترخيمًا وسمى الحذف في إضافة الأسماء اختزالًا[5]. وفي لهجات الصهاليل في محافظة هَروب اختـزال في المنـادى وفي أسماء العَلَم مـع الأب والجد[6] ، وبعضها يبقـون على حروفها كاملـة ؛ (أداة النداء الواو أو الهمـزة) ، محَ لمحمد وحما لأحمد ، أما الأسماء التي ثانيها ألـف مدّ مثل: مازن وماطر وماجد فلا يبقـون منها إلا (ما) ، فإن وجد اثنان مترافقين وخُشـي اللبس بينهما نوديا بالاسم كاملًا. أما عَليّ فيبقـون منه (عَ) فينادى: أعا ، وَعا بإطالة الفتحة. وما كان خماسيًّا مثل جُبران وعثمان وحمدان لا يختزلون منه شيئًا!

---

(١) ننبه أنها فيفا وفيفاء ، وأن أداة النداء الشائعة بين أهلها: /أَ/ وليست يا.

(٢) ينظـر: سوسـن يحيى محمد الفيفـي: خصائص الأبنيـة والتراكيب في لهجة فيفا ، رسالـة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة الملك خالد ، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م ، ص١٨.

(٣) المرجع السابق ، ص١٩.

(٤) المرجع السابق ، ص٢٠.

(٥) عيسـى محمد سليمان الفيفـي: ألفاظ الزراعة والري في محافظة فيفـاء ، ماجستير غير منشورة ، جامعة الملك خالد ، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م ، ص١٢.

(٦) مـن الباحـث علي أحمد جعفري ، من المنطقة ، يدرس في مرحلة الدكتوراه. تسلمتها منه في خمس صفحات مطبوعة.

أما في شمال نجد، فيختزلون نداء: يا أُمّاه! إلى: ياه![١].

(*) **وفي اللهجات العربية الحديثة - حتى في غير النداء - اختزال في أسماء الأعلام، وأظهرها ما يلي:**

(*) **في لهجات مصر** قلما نجد العلم المضاف إلى اسم من أسماء الله الحسنى - وما أشبهها - لا يُختزل، ومنه: عبعزيز وعبغني وعبحكيم وعبعال وعبشكور وعبقادر وعبلطيف، في: عبد العزيز وعبد الغني وعبد الحكيم وعبد العال وعبد الشكور وعبد القادر وعبد اللطيف، وتدغم الباء من (عبد) في الميم بعدها مثل: عمّحسن وعمّتَجلّي، في عبد المحسن وعبد المتجلّي. وربما قلدهم في ذلك آخرون.

(*) **في لهجات العراق والبحرين والكويت** تختزل الأعلام المضافة إلى أسماء الله الحسنى - وما يشبهها - فلا يبقى غير الصفة؛ مثل: جبّار وقادر ورزّاق وفتّاح وحكيم ومجيد وحميد وجليل... إلخ، وتمامها: عبد الجبّار وعبد القادر وعبد الرزّاق وعبد الفتّاح وعبد الحكيم...إلخ.

وفي لهجات يمنية توجد الظاهرة لكن أقل مما في العراق، عزيز في عبد العزيز ومجيدي في عبد المجيد، وهي في أعلام النساء أكثر: حفيظة في أمة الحفيظ، ورحيمة في أمة الرحيم، وصبورة في أمة الصبور، وقادري وعليمي ورازقي، في أمة القادر وأمة الصبور وأمة الرزّاق. زد على ذلك ترخيم هذه الأعلام بطريقة أخرى فينادون - أو يتحدثون عن - متلله، ومترّحيم، ومترّزّاق، في: أمة الله وأمة الرحيم وأمة الرزّاق... إلخ. ومن العجيبَ في بعض لهجات اليمن الحديثةَ اختزال بعض أصوات (مُحَمّد/ مِحمّد/ محَمّد) فيصبح: حَمّد، غالبًا حين ينادى، وقليلًا في غير النداء.

في المملكة المغربية نجد اختزالًا للأعلام؛ عَقّا = عبد القادر، وحدّو = عبد الواحد، عسّو = عبد السلام، رحّو = عبد الرحمن، عبّو = عبد الله[٢].

ومما يتعلق به اختزال المقطع /ءَ/ من العلم المبدوء بـ (أَبو) مثل: أبو علي، أبو حسين، أبو مساعد؛ فتصير بو علي وبو حسين وبو مساعد، بل إن الضمة الطويلة تقصر في النداء مع تقصير الفتحة الطويلة أيضًا فيقال: يَبُ علي/ يبو علي، يَبُحسين، يَبُمساعد. وفي أقطار المغرب العربي يبدو أن هذا النوع من الاختزال قد تمكن من زمن

---

(١) ينظر: عبد الرحمن بن زيد السويداء: فصيح العامي في شمال نجد، الرياض: دار السويداء ١٩٨٧م، ص١٦.

(٢) ينظر: سعيد بن عبد الله الدارودي: حول عروبة البربر - مدخل إلى عروبة الأمازيغيين من خلال اللسان، الرباط: منشورات فكر ٢٠١٢م، ص٣٩.

قديم لا ندريه تحديدًا فنجد من رؤساء الجمهوريات من لقبه - أو لقب أسرته - بو رقيبة وبو مدين وبو تفليقة وبو ضياف، وفي عامة الناس: بو قراع، بو كساسة، بو علّام، بو شعيب، بو نجاح، بو خلخال، بو عمامة. بو منيجل، بو رَوراوة، بو شطارة... إلخ.

وفي أقطار عربية كثيرة صار المضاف إلى اسم من أسماء الله الحسنى مختزلًا يكتفى فيه بـ (عبده) سواء رفعت الدال أو نصبت أو كسرت، وتمادى الحال إلى أن صار (عبده) وحده اسم علم. ويهمّنا هنا ملاحظة الاختزال في حالة أنّ فردًا اسمه عبده واسم أبيه (أنعم)، فبدلًا من الحديث عن (عبدُه أنعم) نجدهم يختزلون الهاء وءَ؛ ليصير: عبدُنعَم، وربما صار مثله: عبدُسعَد، وعبدُحمَد. أما في غيرها فيعوض اختزال الهاء بإطالة الضمة ليصير مثل: عبدو علي وعبدو حسن.

وأخبرنا زملاء من سوريا أن أهالي معلولا - شمال شرقي دمشق - يختزلون يوسف إلى يوس، وفاطمة إلى فاط. ولا نشكّ أن سائر الأقطار العربية تختزل الأعلام، ولكل منها طرائق تتقاطع وتتفق مع غيرها. واكتفينا بما سبق حتى لا يتحول البحث إلى دراسة مسحية عن الترخيم.

وإذا كان المنتسبون إلى قبيلة أو فصيلة يقال لهم: (بنو كذا)[1] مثل: بنو تميم، بنو زهرة، بنو عبد المطّلب، بنو هاشم، بنو مروان...إلخ؛ فإن الاختزال طال بعض المضاف إلى ما فيه (ال)؛ مثل: بنو القين وبنو الهُجَيم، وبنو الحارث فصارت: بَلقين، وبَلهُجيم. وبلحارث. وهذا ما ذكرته كتب النحو واللغة منذ سيبويه (ت١٨٠هـ). جاء في الكتاب. «ومن الشاذ قولهم في بني العنبر وبني الحارث: بَلعَنبَر وبَلحارث، بحذف النون. وكذلك يفعلون بكل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة، وأما إذا لم تظهر فلا يكون ذلك»[2]، وأيّده المبرّد[3]، وابن السرّاج[4]، والاستراباذي[5].

وفي اللهجات الحديثة لاسيما في جنوب السعودية نجد: بَلّسمر، وبَلّحمر من قبائل رجال الحجر، ولا يخفى أن أصلهما بنو الأسمر وبنو الأحمر. ومثلهما بلقرن و بلعُلا

(١) يلاحظ أن الفصحى معربة، بنو في حالة الرفع، وبني في حالتي النصب والجر، أما في اللهجات المعاصرة فشكل واحد (بني كذا).

(٢) كتاب سيبويه، ٤/ ٤٨٤. (ط هارون) و٥/ ٧٧٠ (ط محمد كاظم البكّاء)، وبقي على شيخ النحاة أن يقول: تحذف النون والواو أو الياء - حسب اصطلاحهم. فكلّه يختزل.

(٣) المبرّد: الكامل في الأدب واللغة، تحقيق محمد أحمد الدالي، بيروت: مؤسسة الرسالة ١٩٨٦م، ٣/ ١٢٢٨.

(٤) ابن السرّاج: الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، بيروت: مؤسسة الرسالة ١٩٨٥م، ٣/ ٤٣٣.

(٥) الاستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب ٣/ ٢٤٧.

وبلمعـزا وبلخَشيـف...[١]. وفي منطقة مكة نجـد بلقرن وبلحارث وبلعَريـان وبلعير[٢]. وتحَـذف الهمزة – (يقصد الهمـزة والفتحة) – من أسماء الأماكـن المصدّرة بـ (أبو) في الأعـلام المصدرة بها، ويقـع معها حذف آخر إذا أضيف أبـو إلى ما فيه ال فتسقط الواو (بقصد الضمة الطويلة) وهمزة الوصل، فيقال: بُلقَطَف، بُلكُروش، بُلخير، في: أبو القَطَف و أبو الكُروش، وأبو الخير[٣].

وبعض اللهجات في جنوب الجزيرة العربية رغبت عن (أبو) وفضّلت (أبا) واختزلت المقطـع /ءَ/ فصرنا نسمع ونقرأ مثل: باعلَوي، باعشـن، باجرش، باحُمبُص، باجَمّال، بـا صهي، با مشموس، باسَردَة، ألقاب أسر وأسماءَ. وأكثر ما يتركز ذلك في محافظتي حضرَمـوت وشَبـوَة في اليمـن، ومن هاجر منهم نقـل معه لقبه. ويبـدو أن لذلك أصلا قديمًـا، فالمؤرخ ابن المجاور(ت٦٣٠هـ تقريبًا) في حديثه عن حضرموت يقول: «وأسامي رجالهـم بالكنى فمنهم: أبا لالكة وأبا هالكة وأبا مداس وأبا فارس وأبا راس (...) وأبا حبـل وأبا فيل وأبا سل وأبا ريق وأبا بريق وأبـا حيف وأبا دليف وأبا كنيف. ومهما جرى علـى ألسنتهم يكنّونه به ولم يأنفوا من تلك الأسامي»[٤]. وما زالت هذه الظاهرة شائعة فيهم مع اختزال /ءَ/، كما قدّمنا.

ونعلـم أن بـين العلم والعلم الذي يليه (ابن) أو (بـن) في لهجات معاصرة، وبعض لهجـات تعـز المعاصرة في اليمن تحذف النون فيقال عن ابن حـزام: إب حزام[٥]، وإب سلطان وإب علي.

(*) **ولد/ ود :**

في لهجة القطيف في كثير من الأحيان تختزل كلمة (ولد) إلى: (وَدّ)، فيقال: حسين وَدّ منصور، أو حسين ودِّ الشيخ، أو: هذا وَدّ خالتي/ ودّ عمّي. وفي لهجة ذَمار وما حولها في اليمـن يقال: وَد علي سعدني؛ يريدون: ولَد علي.ومثلها في لهجات الذاري والسَّدة ووادي

---

(١) ينظـر: فهد بن سعيد آل مثيـب القحطاني: أسماء الأماكن في منطقة عسير، أبهـا: النادي الثقافي الأدبي ٢٠٢١م، ص١٩٢ و٢٥٧.

(٢) ينظـر: مكـين بـن حوفان القـرني: أسماء الأماكـن في منطقة مكة المكرمـة – دراسة لغويـة، دكتوراه غير منشورة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. ١٤٣٤هـ، ص٢٤٤.

(٣) المرجع السابق، ص٢٤٦.

(٤) ابـن المجاور: صفـة بلاد اليمن المسمـى تاريخ المستبصـر، تحقيق أوسكـر لوفغرين، لَيـدِن: مطبعة بريل ١٩٥٤م، ٢/ ٢٥٤.

(٥) لاحظها قبلنا المرحوم خليل يحيى نامي في ١٩٣٤، انظر له: «من اللهجات اليمنية الحديثة – مفردات من تعز وتربة ذبحان»، مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول، مج٨، ج١، ص٧٨ و٨١. مايو ١٩٤٦.

بَنا، وهو قياس شائع. وهي في بعض لهجات السودان، وقد ذكره التونسي في رحلته[١]، وفي عدن وأكثر مناطق جنوب اليمن وقسم من محافظة تعز يصغّرون (وليد) بـ (ليد)، وينادون البنت: (ليدة) وكثيرًا ما نسمع في مطاعمهم وأسواقهم: هات... يا ليد.

وبعض الأعلام يُسبق تكريمًا واحترامًا بـ (سِيدي): سيدي عباس، سيدي علي، سيدي حَسن...إلخ. وهذه تختزل إلى: سي عباس، سَي عُمَر، بل إن سيدي حسن/ حسين اختزلت في مصر إلى: سحس، وتبعناهم في اليمن. وفي لهجة القطيف والساحل الشرقي للسعودية يقال سي سّعيد... إلخ لمن كان ينتسب إلى أهل البيت رضوان الله عليهم[٢].

(*) (أيش)أداة استفهام كانت أكبر حجمًا: أيُّ شَيءٍ؟ = أربعة مقاطع

من الناحية الصوتية هي مقطع من النوع الخامس مزدوج الإغلاق، مكون من: صامت (ء) + حركة قصيرة (الفتحة القصيرة)[٣] + صامتي الياء والشين. ولا نكون قد جئنا بشيء جديد إن قلنا بتركيب هذه الأداة من: أي + يُ + شَي + ءِن. ثم حذفت الهمزة في مرحلة تالية أي + شَي، ثم أيشٍ، ثم أيش[٤].

وهي تعود إلى عصر الاحتجاج باللغة، كما ذكر بعض النحاة واللغويين البارزين؛ فها هو السيرافي (ت ٣٦٨هـ) يقول: «... فحذفوه استخفافًا، كما قالوا: (أيش) و(وَيلمِّه)، والأصل: أيّ شيء، وويلٌ لأمِّه. وقالوا: عم صباحًا والأصل: أنعم صباحًا»[٥]. وبمثل ذلك قال ابن جنّي (ت ٣٩٢هـ) بزيادة إيضَاح: «وهُم لما كَثُر في استعمالهم أشد تغييرًا، كما جاء عنهم لذلك: لم يَكُ، ولا أدر، وأيش تقول، وجا يجي»[٦]. بل إنه يسأل أحد الأعراب الفصحاء في عصره - وهو أبو عبد الله العسّاف الشجري - فيرد عليه بكلام فيه هذه الأداة. ومن ذلك «...كيف تقول ضربني أخوك؟، فرفع. فقلت: ألست زعمتَ أنك لا

(١) انظر محمد بن عمر التونسي: تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، طبعة متصرف فيها، نيويورك: المكتبة العربية، ٢٠١٢م، ص٦١ و٦٢ - ٧١.

(٢) أخبرنا بذلك الأديب حسين منصور الشيخ.

(٣) وإذا تلتها كسرة طويلة مائلة أو صريحة ستكون مقطعًا من النوع الرابع: صامت + حركة طويلة + صامت = إيش.

(٤) عباس علي السوسوة: قد اليمنية، ص ٩٦.

(٥) السيرافي، أبو سعيد الحسين بن عبد الله: شرح كتاب سيبويه، ج١/ ٩٣، تحقيق رمضان عبد التواب وآخرين، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١م.

(٦) ابن جني: المحتسب في بيان وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٩م، ١/ ٣٧. والمبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة، تحقيق حسن هنداوي، دمشق: دار القلم ١٩٨٧م، ص٣٤.

تقول: أخوك أبدًا؟، فقال: أيشٍ هذا!، اختلفت جهتا الكلام»[١].

ومنــه: «فقلت له: هــلّا قلتَ أيضًا: عثامين؟!، قــال: أيش عثامــين؟!، أرأيتَ إنسانًا يتكلم بما ليس من لغته؟، والله لا أقولها أبدًا»[٢].

وقبل ذلك وردت في الحديث النبوي: «قيل يارسول الله، فأيشٍ هو؟، قال: القتلَ القتلَ»[٣].

أمــا بعض المؤلفــين في لحن العامة فعدّوها خطأ!! رغــم وجودها في شعر من يحتج بلغتــه كالمجنــون وغيره[٤]. نقل الصفــدي عن الجواليقــي (ت ٥٤٠هـ): «ويقولون: أيش فعلت؟، والصواب: أيّ شيء»[٥]، وابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) يزري بعامّة عصره، «وتقول: أيّ شيءٍ تريده؟، والعامة تقول: أيش تريد»[٦]، في حين أنه ملأ كتابه المنتظم بها.

وأما الأدباء والكتّاب - وإن استعملوها على ندرة - فيفضلون عليها (ما) و(ماذا)، وقــد يأتون بصيغتها الكاملة المكونة من جزءيــن. نجدها عند الجاحظ (ت ٢٥٠هـ) في رسائله: «فأيشٍ لك أن تقضي على الجميع بإساءة البعض»[٧].

ونجدها عند البلوي (القرن الرابع): «فلما رآه قال له: أيش هذا الزيّ؟»[٨].
وعنــد القاضي المحسّن بن علي التنوخي (ت ٣٨٤هـ) في نشوار المحاضرة[٩]، وعند السراج الطوسي (ت ٣٧٨هـ): «والفقير الصادق أيش ما لبس يحسن عليه»[١٠].

---

(١) ابــن جنّــي: الخصائص، تحقيق محمد علي النجّــار، القاهرة: دار الكتــب المصريــة ٥٢ - ١٩٥٦م، ١/ ٧٦، وانظر: الفرّاء: معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتي وآخرين، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م، ٣/ ٢٧٤.

(٢) ابن جني: الخصائص ١/ ٢٤٢، وانظر: ٢٥٠ و٢/ ٤٤٧، و٤٦٦.

(٣) ابــن حجر العسقــلاني، أبو الفضل أحمــد بن علي: فتح البــاري شرح صحيح البخــاري، القاهرة: مطبعة الحلبي، ١٣/ ١١.

(٤) انظر الأصفهاني: كتاب الأغاني ٥/ ١٥٦ و١٥٧ و٧٠ و١٣/ ١٩، والإحالات التي ذكرها أحمد تيمور في: معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، تحقيق حسين نصّار، القاهرة: الهيئة العامة للتأليف ١٩٧١م، ٢/ ٨٩ - ٩٠.

(٥) الصفدي، صلاح الديــن خليل بن أيبك: تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، تحقيق السيد الشرقاوي، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٧م، ص١٤١.

(٦) ابــن الجــوزي، أبو الفــرج عبد الرحمن بن علــي: تقويم اللسان، تحقيــق عبد العزيز مطــر، القاهرة: دار المعرفــة ١٩٦٦م، صــ٩٥، وقابل بكتابه «المنتظــم في تاريخ الملوك» ط حيدر آبــاد، ج٦ صفحات ٥ و٧ و١١٦ و٢٥٤ و٢٥٨ و٣٢٢. وج٩ ص٧٣ وج١٠ ص١٢٧، مما يدلّ على ازدواج المعايير عنده.

(٧) الجاحظ: رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي ١٩٧٩م، ٤/ ١٠٠.

(٨) البلــوي، عبد الله بن محمد: سيرة أحمد بن طولون، تحقيق محمد كرد علي، ط٢، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية ١٩٨٦م، ص١٣١، وانظر: ١٤١.

(٩) انظر كتابه: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبّود الشالجي المحامي، بيروت: دار صادر ١٩٧١م، ١٣٣ و١٨٠ و١٩٧ و١٩٨ و٢١٣.

(١٠) السراج الطوسي، أبو نصر عبد الله بن علي: اللُمع، نشر نكلسون، لندن ١٩١٦م، ص١٨٨.

وأورد المعـري حكاية تعـود إلى القرن الرابـع فيها هـذه الأداة: «وكانت عند سيف الدولـة بنت عمـه أخت أبي فراس، وكان يلقى من أخلاقها شدّة، فحدّث من يخبُر أمرَه أنها لمّا حصلت في داره أقامت سنة لم تكلمه بكلمة، فعوتبت في ذلك بعد السنة، فقالت: أيش أقول؟، فتباشر خدمُها وجواريها وأشاعوا في الدار: قد قالت: أيش أقول»[١].

ونجدها فاشيةً عنـد التوحيدي (ت ٤١٤هـ) في القصص التي يوردها من القرون: الثاني والثالث والرابع، فانظرها ثمة[٢].

ونلاحـظ أن كتّاب المناقـب الشخصية يفضلونها على (ما)، فهـا هو ساويرس بن المقفّـع أسقف الأشمونين بمصـر في القرن الرابع الهجري ينقل عن مؤرخيهم القدماء، مثل: «وقالوا في قلوبهم أيش هذا الفعل؟»[٣]، و«ولكن هذا الراهب أيش هو منك؟، فقال له: هو ولدي»[٤].

والمالكي (ت بعد ٤٦٩هـ) في رياضه ينقل عن مصادر أقدم منه، مثل: «فقال له أبو عبد الله على النكير منه: أيش هذا؟»[٥]، ومثل: «هذه دار عظماء أيش أعمل فيها؟»[٦].

ونجدهـا في مذكـرات الأمـير أسامة بن منقـذ (ت ٥٨٤هـ): «فقلـت: أيش أنتم؟، قالـوا: نحن مـن بني أبي - وبنو أبي فرقـة من العرب من طيء لا يأكلـون إلّا الميتة»[٧]. ويلاحـظ أنهـا هنا في معنى (مَـن) الاستفهامية، ومثلها: «فقلت: يا شيـخ، أيش أنت؟، قال: يا مولاي، أنا رجل صعلوك»[٨].

---

(١) أبو العلاء المعرّي، أحمد بن عبد الله بن سليمان: رسالة الصاهل والشاحج، تحقيق بنت الشاطئ، القاهرة: دار المعـارف ٦٦٨- ٦٦٩، وانظـر: أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٣م، ١/٥٥.

(٢) التوحيـدي، أبـو حيّان علي بـن محمد بن عباس: البصائـر والذخائر، تحقيـق وداد القاضي، بيروت: دار صـادر ١٩٨٨م، ١/ ٨٠ و٩٨ و١٢٧ و١٢٩ و٢٣٠، و٢/ ١٧٠، و٣/ ٨٤ و١٠٠ و١٦٢، و٤/ ٤٣ و ٤٤ و٤٨ و٥٥ و٧٣ و٧٦ على سبيل التمثيل لا الحصر.

(٣) ساويرس بـن المقفـع: سير الآباء البطاركـة، تحقيق عبد العزيز جمـال الدين، القاهـرة: مكتبة مدبولي ٢٠٠٦م، ١/ ١٨٨.

(٤) نفس المرجع ٢/ ٨٢. وانظر أيضًا: ٢/ ١١٤ و٣/ ٦٧٧، و٧١٨ و٧٥١.

(٥) المالكـي أبـو بكر عبد الله بـن محمد: رياض النفوس في طبقات علماء القـيروان وأفريقية، تحقيق بشير البكوش، بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٩٨٣م، ٢/ ٧٩ وانظر: ٣٦٠ و٣٦١.

(٦) نفس المرجع ٢/ ١٨٠، وانظر: ٢٣٩ و٢٨٧ و٣٦٠ و٤٣٥ و٤٤٦ و٤٨٣.

(٧) أسامة بن منقذ: الاعتبار، تحقيق قاسم السامرائي، الرياض: دار الأصالة ١٩٨٧م، ص٣٥.

(٨) الاعتبار، ص١٧٩، وانظر: ص٢١٢.

وفي تاريخ ابن المجاور (ت ٦٣٠هـ): «قال أبو عبد الله الجلال: أيش معكم؟»[١].
ومنها ما جاء عند ابن خلكان (ت ٦٨١هـ): «يا مولانا، أيش في هذه المرأة يشبه الظبية؟... تشبهها في ذنبها وقرونها»[٢].

وجاءت عند النحوي الشهير الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ): «أقول: أيش المانع من كون الفعل المتعدي طبيعة أو كالطبيعة؟»[٣]، وفي كتاب آخر يقول: «كيف خالفتَ الأربعة منها، أعني المحذوفة اللام أخواتها: يد ودم، في ردّ اللام في الإضافة، وأيش الغرض من ردّها إذا لم يكن لأجل الإعراب بالحرف»[٤].

والمؤرخ اليوسفي (ت٧٥٩ه) يستعملها، كلها على ألسنة رجال السلطة، منها: «والله ما أعرف أيش قلت لي»[٥]، و«إن المثال الذي عندي ما أعرف أيش هو قد علمته في أكياس وختمته وكتبت اسم السلطان عليه»[٦].

كذلك جاءت في الفنون الشعرية الملحونة، مثل: الزجل والكان كان، فممّا ورد عند صفي الدين الحلّي (ت ٧٥٠هـ):

«أُعَدّ بين الأحياء ... وأنا مع الأموات
ودّعتموني وسرتم ... والقلب يتبع ركبكُم
أيش ضرّ لو كان جسمي ... من جملة التبَعات»[٧]

ويلاحظ أنها عند الزجّالين تختزل أحيانا إلى: (اش) منذ أيام عبد الملك بن قُزمان (ت ٥٥٥هـ)[٨].

(١) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن = تاريخ المستبصر، تحقيق أوسكر لوفغرين، ليدن: مطبعة بريل ١٩٥٤م، ص٣٢٣ – ٣٢٤، وانظر: ص١٣٥.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ٤٨ – ١٩٤٩م، ٦/ ٤٧، في ترجمة ابن يعيش النحوي.

(٣) رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن وآخرين، القاهرة المكتبة التجارية ١٣٥٨هـ، ١/ ٧٤.

(٤) الاستراباذي: شرح كافية ابن الحاجب، تحقيق يوسف حسن عمر، بنغازي: جامعة قاريونس ١٩٩٦م، ١/ ٧٧.

(٥) اليوسفي: نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق أحمد حطيط، بيروت: عالم الكتب ١٩٨٧م، ص١٣٨.

(٦) نزهة الناظر ٣٦١، وانظر: ١٢٥ و١٤٥ و١٧٨ و١٨٧ و٣١٤ و٣١٥ و٣٢٥ و٤٠١.

(٧) الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد: المستطرف في كل فن مستظرف ٢/ ٢٨٨، ولها شواهد كثيرة في علي بن سودون البشبغاوي (ت ٨٦٨هـ): نزهة النفوس ومضحك العبوس، تحقيق أرنود فروليك، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٩٩م، ص٧٨ و٩٨ و٩٩ و١٠١ و١٢٥ و١٣٠ و١٣٨.

(٨) النواجي: شمس الدين محمد بن حسن: عقد اللآل في الموشحات والأزجال، ص١١، ٣، تحقيق أحمد عطا، القاهرة: مكتبة الآداب ١٩٩٩م، و٣٣٩. وانظر: ابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥هـ): المُغرب في حُلى المَغرب، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة: دار المعارف ١٩٦٨م، ١/ ١٧٤، و٤٤٠ و٢/ ٤٥٥.

وجاءت في أمثال العامة في القرن التاسع عند الأبشيهي: «لا انتِ مليحة ولا تغنّي، بايش تدلّي»[(١)].

ولا يكاد كتاب من كتاب التراجم مناقبيًّا كان أو غير مناقبي يخلو منها[(٢)]. وقد سبق للعلامة رمضان عبد التواب أن قرّر وجود أداة الاستفهام (أيش) في كل نصوص القدماء وأحال في الهامش إلى ٢٧ مرجعًا قديمًا، ونحن اشتركنا معه في ثلاثة، فانظرها ثمة[(٣)].

وفوق هذا، نجد هذه الأداة في بعض كتب العقيدة، فقد جاء في الاعتصام للشاطبي (ت ٧٩٠هـ): «قال الحصري: أيش أعمل بسماع ينقطع ممن يسمع منه (...) وقال السلمي: دخلت على أبي عثمان المغربي، وواحد يستقي الماء من البئر على بكرة فقال لي: يا با عبد الرحمن، أتدري، أيش تقول هذه البكرة؟، فقلت: لا. فقال: تقول الله!»[(٤)]. وجاء في لسان الميزان: «ما تدرون أيش أكتب فيه»[(٥)].

ويبدو أنها كانت ذات شيوع كبير في الريف المصري في القرن الحادي عشر الهجري، حسبما جاء في حكايات الشربيني (ت بعد ١٠٩٧هـ). ومنها: «فقالوا له: أيش الخبر يا بو كتكوت؟، فقال لهم: وقعت هرجة كبيرة، ولا سلّمني إلّا الله وبركة الشيخ أبو طبل»[(٦)].

وهي كثيرة في تاريخ المؤرخ المصري أحمد شلبي (ت ١١٥٠هـ) نحيل إلى بعض مواضعها[(٧)].

---

(١) المستطرف، ١/ ٦٣، وانظر: ٥٥ و٦٥ و٥٧، وراجع: الشرجي الزبيدي: طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص ٢٢٢، وبهاء الدين محمد بن حسين العاملي: المخلاة، القاهرة: المطبعة الميمنية ١٣١٦هـ، ص١٢.

(٢) انظر مثلًا لا حصرًا: ياقوت الحموي: معجم الأدباء تحقيق إحسان عباس، ١/ ٢٨٩، والصفدي: أعوان العصر، تحقيق نبيل أبو عمشة ١/ ٧١٣، والوافي بالوفيات ٢/ ١٦٣ و٧/ ٣٠٤، و٨/ ٢٣ و٩/ ٣٥٤ و٤٢٩ و١٨/ ٢٩٥. ومحمد بن شاكر الكتبي: فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس ١/ ٣٣٥ و٣٤٦، و٢/ ١٠١ و٣٧٨ و٣/ ٣٥، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٨/ ٢٥٢ و١٥/ ٢٨٢، وعرب فقيه: فتوح الحبشة، نشر رينيه باسيه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص٨١ و٨٥ و٩١ و١٠٥ و١٣٣ و١٧٢.

(٣) انظر: رمضان عبد التواب: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، ص ١٣٧.

(٤) الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي: الاعتصام، القاهرة: المكتبة التجارية، ١/ ٢٨٢.

(٥) ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، حيدر آباد الدكن: جمعية دائرة المعارف النظامية ١/ ٢٥١.

(٦) الشربيني، يوسف بن محمد بن خضر بن عبد الجواد: هزّ القحوف شرح قصيد أبي شادوف، القاهرة: المكتبة المحمودية، ص٢١، وانظر مثلًا: ٤٦ و٦٤، والحسن بن مسعود اليوسي (ت ١١٠٣هـ): المحاضرات في الأدب واللغة، ١/ ١٣٥، تحقيق محمد حجي.

(٧) أحمد شلبي بن عبد الغني الحنفي المصري: أوضح الإشارات فيمن ولي مصر من الوزراء والبشوات، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، القاهرة: مكتبة الخانجي ١٩٩٨م، ٤/ ٢٥٦ و٤٨٢ و٣٠٩ و٥٥٥ و٥٥٧ و٦٤٩ و٦٧٢ و٦٩٩ و٩٢٧ و٩٨٣.

والشعـر اليمنـي الحميني من القرن الحادي عشر حتـى الرابع عشر لا يخلو منها، وكذا في كتابات المؤرخين اليمنيين المحليين[١].

وفي كثير من اللهجات العربية المعاصرة نجد استعمال أيش فاشيًا، بل إنها تختزل إلى (اش)؛ ففي لهجة ظهران الجنوب في السعودية - مثلًا لا حصرًا - تعدّ: إيش، ويش، وش أداة واحدة متعددة الصور: إيش اسمش؟ ويش بلاك؟ اش علومكُم؟ إيش اللي صار لهُم؟[٢].

وفي شمال نجد يذكر من يبحث عن الفصيح عند العامة أنّ (وش) تستعمل للاستفهام بمعنى: (ما)[٣]، وماذا، وكم، وكيف؛ كقولهم: «وش هذا؟»، «وش تَبي؟»، «وش تَرى؟»، «وش عددهم؟»، «وش عمل الرجل؟». ويختصرون جملة: أيّ شيء هو؟ إلى: وش هو؟، ثم وشّو هذا؟. وفي حالة المؤنث وَشّي هذه؟، وشّي مِن مَرَة؟[٤].

وفي لهجة الأحساء تختزل إلى: إش، وشِ مثل: شِسمِك، شِنصَلّي به، شِمصَبّرك[٥].

وفي لهجات القَطيف والساحل الشرقي للسعوية: «وش حال أم فلان، شَخبار صحتك، شِمسَوّي، شعلومك، شحوالك على هالدنيا؟»[٦].

وفي كثير من لهجات اليمن: أيش/ إيش/ أش/ إش[٧]، وترتبط بالضمائر المتصلة: أيشو، أيشي، أيشم، أيشِن، باختزال الهاء، كما لا يخفى.

ويتناولها مارون عبّود (١٨٨٦ـ١٩٦٢م) ضمن خصائص اللهجة اللبنانية كثيرة الاختزال واللز (هكذا)، ففيها: أيشو في: أي شيء هو، وفي منطقة الشوف: شو[٨]: «ومن اختزالهم للاستفهام عن الثمن قولهم: بقَدّيش؟، أي: بقدر أيّ شيء؟ ومثلها:

---

(١) انظر عباس علي السوسوة: قد اليمنية، ص١٠٠ وإحالاته.

(٢) ينظر: تهاني جبران الوادعي: لهجة ظهران الجنوب وصلتها بالفصحى دراسة في البنية والتركيب، ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الملك خالد، ١٤٣٧هـ، ص١٧٠.

(٣) موجودة في القرن السادس في أزجال ابن قزمان كما نقلها علي بن سعيد المغربي، المُغرب ١/ ٤٤٠.

(٤) ينظر: عبد الرحمن بن زيد السويداء: فصيح العامي في شمال نجد، الرياض: دار السويداء ١٩٨٧م، ص٩.

(٥) ينظر: محمد صالح المشاجرة: لهجة الأحساء - تأصيل لغوي، إصدارات نادي الأحساء الأدبي ٢٠١٨م، ص٢٠٩.

(٦) السيد شُبّر القَصّاب: عبارات الآداب الفاضلة، ص٧٨ و٨٤ و٨٥ و٨٨ و٩١.

(٧) انظر مثلًا: عبد ربه طاهر الحميقاني: لهجة البيضاء دراسة في ظواهر صرفية ونحوية، رسالة دكتوراه، جامعة تعز ٢٠١١، ص١٨٠ - ١٨٢، وسند عبد القوي سالم: اللهجة اليافعية، دراسة في ظواهر صرفية ونحوية، رسالة دكتوراه، جامعة عدن ٢٠١٣م، ص١٦٩ - ١٧١.

(٨) مارون عبّود: الشعر العامي - أمثال القرية اللبنانية وأغانيها وسهراتها واللغة العامية، بيروت: دار مارون عبود ودار الثقافة ١٩٦٨م، ص٤٤.

لاش وماش وبلاش، أي: لاشيء وما شيء وبلا شيء»[١].

وكما أن (ما) و(ماذا) الاستفهاميتين في الفصحى قد تسبقان بما اصطلحوا عليه أنهـا حروف جر؛ مثل: بمَ، علامَ، لمَ، لماذا، بماذا، فكذلك مع أيش التي تحذف همزتها في هذا السياق مثل: بيشَ سافرت؟ = بأي شيء، عليش العمل؟ ليش/ لش هرَبت؟ - مع اختزال الياء -. ومصادر تراثنا تسعفنا بوجودها.

(*) **لَيش / لِيش :**

لعل أقدم نص وردت فيه عند أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ): «أنت ليش ما تدخل؟»[٢].

ثم في مطلع موشحة منسوبة لابن سناء الملك (ت ٦٠٨هـ):

ليش تمنع وصالك ياحبيب   من يحبّك ولا يعشق سواك؟[٣]

ثم عند ابن شاكر الكتبي والصفدي - كلاهما توفي عام ٧٦٤هـ - في ترجمة الوهراني (ت ٥٧٧هـ): «إذا رأى أحدًا يضرب كلبًا أو يؤذيه، يخاصمه وينهره ويقول: ليش تفعل ذا؟»[٤].

وعند المؤرخ اليوسفي (ت ٧٥٩هـ): «ليش ما تعمل حساب الاصطبل وتعطيه للناظر؟»[٥].

وفي أمثال عوامّ مصر في القرن التاسع الهجري: «زاوية بلا عيش، بنيت ليش؟»[٦].

وهي ليست بالقليلة عند ابن سودون (ت ٨٦٨هـ) زجله ونثره، ومنها:

«يا قَطر حين تسيل   ليش قلبي لك يميل؟   هل لو إليك سبيل؟»[٧]

وجاءت في فتوح الحبشة: «فقال الأمير عمر: ليش تحزن؟»[٨].

---

(١) مارون عبود، المرجع نفسه، ص٥١.

(٢) أسامة بن منقذ: الاعتبار، ص١٧٩.

(٣) الأبشيهي: المستطرف، ٢/ ٢٧٥.

(٤) انظر محمد بن شاكر الكتبي: فوات الوفيات والذيل عليها، ٤/ ١١٨، والصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، ١/ ٧١٣.

(٥) اليوسفي: نزهة الناظر، ص٢٦٢.

(٦) الأبشيهي: المستطرف، ١/ ٥٧.

(٧) علي بن سودون البشبغاوي: نزهة النفوس، ص١٠١، وانظر: ٨٠ و٨٦ و١٢٧ و١٣٢ و١٣٣ و١٣٩.

(٨) فتوح الحبشة، ص ٣٣٧.

وجاءت في تاريخ ابن الصديق (ت ١١٨٥هـ) ومنه: «ليش تتكلف علايف وذخاير؟»[١]، و«وليش جميع ماله في الصراي؟»[٢].

وتوجـد في لهجات كثيرة منها ظهران الجنوب: ليش كسرت الصحن؟، ليش تَخبط السفيـه؟، ليش صالح مقفّل عليه الباب؟[٣]. وفي لهجات بدو مصر، والشام وفي لهجات اليمـن أوضح من أن نذكرها. لكنها - وهي مختزلة - اختزل منها الياء أيضًا فصارت: لَش. والاختزال الأخير له شواهد في تراثنا؛ إذ ورد في الأزجال ومنه:

وتـــرى لــشـ تـشــتـكـي ضُــر   لـشـ نـــراك رقـيّــق اصـــفــر؟[٤]

(*) **عَليش :**

تقابل في الفصحى ــ وفي لهجات حديثة ــ علامَ، وشواهدها القديمة نزرة. جاءت في أمثال عوام مصر في القرن التاسع: «لا اخوك ولا ابن عمّك تشقّ ثوبك على أيش»[٥]. ومنــه ما جاء عند الشربيني في القــرن الحادي عشر: «على أيش تهجرونا يا حبايب بلا سبب؟»[٦].

وفي شعر العنسي (ت ١١٣٩هـ):

عَلَـيـش تـكـتـم عِـشـقَـتَـك عـلامـه؟   تـخـفـي الـهـوى والـحـبّ لـه عـلامـة[٧]

ونلاحـظ استعمـال الشاعر لأداتين موجودتـين في لهجات اليمـن في معنى واحد، بغرض التجنيس. ونجدها في شعر أحمد بن أبي الرجال (ت ١١٦٠هـ):

أفـــديـــك وا ريـم الــلــوى   عـلـيـش ذا الـهـجـرَ الـطـويـل؟[٨]

وفي اللهجة اليافعية: لويش بدل ليش، وعلاويش بدل عليش[٩]

---

(١) حسن ابن الصديق: غرائب البدائع وعجايب الوقائع، تحقيق يوسف نعيسة، دمشق: دار المعرفة ١٩٨٨م، ص٣٤.
(٢) غرائب البدائع، ص٧٤.
(٣) تهاني الوادعي: لهجة ظهران الجنوب، ص١٧٢.
(٤) علي بن سعيد المغربي: المُغرب، ١/ ١٧٤، وانظر: ١/ ٢٨٣.
(٥) المستطرف، ١/ ٦٠.
(٦) هزّ القحوف شرح قصيد أبي شادوف، ص٣٥.
(٧) القاضي علي العنسي: وادي الدور، بعناية يحيى منصور بن نصر، القاهرة ١٩٥٣م، ص١٥.
(٨) عبد الله محمد الحبشي: الأدب اليمني عصر خروج الأتراك الأول، بيروت: الدار اليمنية ١٩٨٦م، ص ٤٤٥.
(٩) سند عبد القوي سالم: اللهجة اليافعية، ص١٧١.

وتأتـي على + أيش، دون اختزال، من ذلك ما جـاء في أغنية محمد سعد عبد الله (١٩٣٤ - ٢٠٠٢م):

أمـيرَ الغيـد يـا سـيـدَ الـغـواني   علـى أيـش الجـفـا يـا قُـرَّةَ الـعـين؟

بل نجد اختزال: عَلَيش، إلى عَلَش في زجل ابن قُزمان (ت ٥٥٥هـ):

وَعَـلَـش حـبـيـبِ قـطـعـت الـزيـاره   وعـيـنـيـك سـحّـاره؟[1]

(*) **اختزالات أخرى من /أَي/ شَي/ ءِن/:**

لَشو هَلحَكي؟، من: لأيّ شَيء هو /hu/ هذا الحكي (= الكلام). ونلاحظ اختزال هاذا إلى: هَ. ونقل السويداء عن شمال نجد: هالرجل من هذا الرجل.

في لهجـات العراق والخليج والسودان: شِنِو، شُنو، شِنهو، مختزلة من: أيّ شيءٍ هو /hu/. اتخذت أشكالا متعددة.

على شو؟، من: على أيّ شيءٍ هو.

مِن شان شو؟، مختزلة من: من شان (= أجل) أيّ شيءٍ هو.

ومـن الطريف أن نجد في الأزجال الأندلسية ما يشبـه (شنو) في القرن السادس. قال ابن قزمان (ت ٥٥٥هـ):

وإذا كـنـت مَـع فـقـي أو إمـام
ويَـقـل لـك: شـربـت قَـطّ مـدام؟
قـل لـه: اشـنُـه يـا فـقـي ذا الـكـلام!؟[2]

(*) **في التحيات:**

(السـلام عليكـم) هـي: التحيـة الأشيـع بـين العـرب وتقـال في كل الأوقات من اليـوم والليلة، والرد التـام: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاتـه، وبعضهم يختزل منه (وبركاتـه)، وآخرون يزيدون في الاختزال (ورحمة الله) إلى أن يتبقى منها (وعليكم) في حالة الضجر، وعند بعضهم: سام ورحمة الله!، وقد سمعت من كثيرين مذ ٢٠١١م، حتى الآن: سَحتَر كاتو، و سَرَكاتُه/ سَرَكاتو. فلا تعجب.

---

(١) ابن سعيد المغربي، علي: المُغرب في حُلى المَغرب، ١/ ٢٧٨.

(٢) المغرب في حلي المغرب ١/١٧٢.

ونقل بعض الباحثين أن بعض المتكبرين يسلم على الآخرين بصيغة: (إسّ)[١].

وهـو صادق؛ إذ خبرت ذلـك (١١) أحد عشر عامًا دراسيًّـا في جامعة الملك خالد بأبهـا، كنـت أصادف في أروقتهـا كثيرين ممن يبـدو عليهم سيماء التديّـن يبادرونني بصـوت كفحيـح الحيّة ذات الأجراس: اسسسسسسس!، فأردّ عليهـم: وعليكم السلام ورحمـة الله. ولا أحسبه تكبـرًا منهم، بل هو تكاسل ولا مبـالاة في إلقاء تحية الإسلام، وهو سلوك شائن معيب[٢].

(*) تحية الصباح: صباح الخير:

هـي الصيغـة الأشيع في الأقطار العربية لا الوحيدة، ومـن وجوه الرد عليها: صباح النـور والسرور، صبـاح النور، صباح الورد، لا تكاد تقف عند حـد[٣]، وفي اليمن وبعض أجزاء مـن جنوب السعودية تسمع أيضًا: صبّحكـم الله بالرضا، وصبّحكم الله برضاء الله، - بالعافية. غير أني ألفت النظر إلى اختزال فيها وفي تحية المساء؛ إذ يقال: كيفَ صبحتـو؟ أصبحتـو؟ كَصبَحتو؟ بَحتو؟، على الأقل في محافظتـي صنعاء وذَمار. وبعض مناطق جازان، ونجران، وعسير.

(*) تحية المساء: مساء الخير:

ووقتها من غروب الشمس. يقال أيضًا: كيف امسيتو؟، ردًّا عليها يقال بصور كثيرة منهـا: مسّاكـم الله بالخير، - والعافية، وغـير ذلك[٤]، وفي اليمـن وأجزاء من جنوب السعودية تقال ابتداء مختزلة: أمسيتو؟، كَمسيتو؟

وترد العبارتان المسائية والصباحية - تأثرًا بلهجات العراق -ألله بالخير = أل/ لَ/ بِل/ خير/. تصلحان لكل الأوقات[٥]، وفي مصر اختزلت تحية المساء إلى: سَلخير[٦].

---

(١) السيد شُبَّر بن علوي القصّاب: عبارات الآداب الفاضلة - مناسباتها ودلالاتها، القطيف: نادي اقرأ كتابك ٢٠١٦م، ص٣٢.

(٢) السيد شُبَّر بن علوي القصّاب: عبارات الآداب الفاضلة - مناسباتها ودلالاتها، القطيف: نادي اقرأ كتابك ٢٠١٦م، ص٣٢.

(٣) نفسه، ص٥٩ - ٦٣.

(٤) عبارات الآداب الفاضلة، ص٦٣.

(٥) نفسـه ٦٤ - ٦٥. وفي شمـال نجـد: بلخير، فقط، ينظر: عبد الرحمن السويـداء: فصيح العامي في شمال نجد، ص١٤.

(٦) للأسـف هذا الذي شاهدته وسمعتـه في أمكنة عديدة في بلاد تهامة والسراة، وأنا أسير في مناكب هذه الديار منذ خمسة عقود. ومثل هذه المصطلحات اللغوية وغيرها جديرة بالبحث والدراسة والتنبيه. (ابن جريس).

في التوديع يقال :

ودّعتكَ اللّه، ودّعناكم اللّه، ولكن يقال: في داعة اللّه، يختزلون في وَداعة اللّه. وفَمانلله،يريدون: في أمانِ اللّه. ولاحظت – في اليمن – قَولهم فيا مَلله، تحولت من دلالة التوديَع إلى إغلاق الكلامَ عن خبر مضى والبدء في خبر جديد.

في الصلاة على النبي (ﷺ) :

في طلبها يقال: صلّوا على النبي، وصلّوا عَنّبي مختزلة. وتستحب الصلاة عليه وعلى آله نيلاً للثواب، وبها تستنجح الأعمال، وإذا ذكر خطيب أو قارئ أو واعظ أو اسم المصطفى أو كلمة الرسول أو النبي فإنه يتبعه بـ (صلى اللّه عليه وسلّم) في الأغلب، ويقول السامعون والحاضرون بعده: اللهُمَّ صلِّ وسلّم عليه، أو اللهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد، أو اللهم صلّ على محمد وآل محمد.

للأسف لاحظت منذ عام (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) مباشرة في المساجد وفي شاشات الفضائيات من يختزلها فيقول: «الرسول/ النبي صا سَلّم»، تتكرر حتى آخر البرنامج أو العظة. وما أوقعه في هذا المحذور غير سرعته وعدم انتباهه. وسمعتها في من يعظون حجاج موسم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)، ولم أجد أحدًا من المستمعين يعترض عليهم. ولا حول ولا قوة إلا باللّه!

ويتعلق بذلك عبارات التسبيح الواردة بعد الصلوات المكتوبة ومنها: الحمدُ للّه (٣٣) مرّة، واللّه أكبر (٣٣) مرّة. وفي كثير من المساجد تقال جَماعيًّا، وفي مساجَد تقال فرديًّا، وفي الحالات الفردية يجهر بها بعضهم بسرعة كأن وحَشًا يطاردهم، فيختزلونهما إلى: حَمْدِلاّه/ حمدلاّ + لاهُوَ كبَر! وهذا لا يجوز قطعًا[١].

(*) في التأسف والحسرة: افا :

يوضحها السيد شُبّر: «...أفا أفا، هادي آخرتها يبو فلان؟!... يبدو أنها مخفّفة عن (وا أسفا) التي تقال في مثل هذا المقام وغيره، ويبدو أن القول فيها صائب؛ لأنها تُقرَن بـ (مع الأسف) لتعزيزها، وبدليل أنه إذا فات أحدَهم شيء أو حصل له شيء لا يريده قَال: (أفا) يعني مع الأسف»[٢]. وقد تخرج إلى الشتم والتقبيح وغيرها[٣].

---

(١) هذه حقيقة، فدائماً تسمعها من كثير من الناس بعد الانتهاء من الصلوات. ومثل هذا السلوك يحتاج إلى نصح وتوضيح. (ابن جريس).

(٢) عبارات الآداب الفاضلة، ص٣٨٣.

(٣) نفسه، ص٣٨٤ – ٣٨٥.

وسمعـت العامة في نجران ومناطق من جنوب السعودية يظهرون ندمهم ويحوقلون بقولهم لاحُو يريدون: لاحول ولا قوّة إلاّ باللّه العظيم.

(*) في الاستجابة سَم:

مختزلة من: سمعًا وطاعة[١]، وسمعتها في كثير من مناطق السعودية.

(*) للاستعاذة: أعوذُ باللّه من الشيطان الرجيم.

ويختزل منها (الرجيم)، ثم (الشيطان) إلى أن يكتفى بـ (أعوذ باللّه). وفي شمال نجـد (عوذا) - على مثال بوذا -: «اختصار أعـوذ اللّه من الشيطان الرجيم، للتعجب والتأسف والاستغراب والتوجع عند المصيبة»[٢]. وهي أيضًا في دولة الكويت.

(*) في الطمأنة والتهدئة من المخاوف:

سَعلَيك، للمخاطب المفرد، وسَعلَيش للمخاطبة، وسَعلِيكُم (للجمع المذكر) وسَعلَيكن (لجمع الإناث) هذا في اليمن، ولا أذكر أني سمعتها في قُطر غيره[٣]. ولا يحتاج القارئ إلى ذكاء ليعلم أنها مختزلة من: لا بأسَ عليك، مع ما يلحق بها من ضمائر.

(*) في التهنئة بالسلامة من مرض أو مشكلة: حَمدلّه عَسَّلامَة:

وهي مختزلة من: حَمْدًا للّه على السلامة/ الحمد للّه على السلامة.

(*) في الغِبطة وإظهار السرور للآخر:

نِيّا لَك، - لِك، - لكم. مختزلة من: هنيئًا لك... إلخ. وأكثر انتشارها في بلاد الشام. وفي الترحيب في السودان يقولون: حَبابَك، يريدون: مرحبا بَك.

(*) في تعابير مختلفة متنوعة:

(*) في التعبير عن الإحساس بالوقت:

في شمـال نجد يقولون: ذِوان وذِلوان، اختزال من هذا الأوان = من هذا الوقت[٤].

---

(١) عبد الرحمن بن زيد السويداء: فصيح العامي في شمال نجد، ص١٠.

(٢) نفسه، ص١٠

(٣) مستعملـة في ألعاب الأطفال؛ أكبر الأطفال يمثـل الأب، والصغار يكونون سلسلة بعد الأب، ويمثل آخر دور الذئـب يظل يناور ويحول خطف أحدهم، وهم يصيحـون جماعة: الذيب الذيب يا بَه، فيرد الأب: سعليكم يَعيالي = لا بأس عليكم يا عيالي. ويدور ليرفس الذيب.

(٤) عبدالرحمن السويداء: فصيح العامي في شمال نجد ١٤

ويـورد مارون عبّـود أن اللبنانيين يختزلون السّاعة وللساعة في:إسّـا ولسّا[١] وهَسَّه. ولا أحسـبِ أنـه يغيب عن بال القارئ انتشارها في مصـر ، ومنها قول عبد الفتاح مصطفى متسائلاً:

لـسّـه فـاكـر قـلـبـي يــدّي لـك أمـــان؟

ومثل:هَلَّق وهَلّأ في الشام = هذا الوقت، في مصر دلوَكت ودلوَك، وفي اليمن والسعودية ذَلحين وذَحّين ودلحين ودحّين. والقارئ فطن يستطيع رَدها إلى أَصلها بيسر[٢] .

(*) ضمائر الإشارة:

كلهـا تبـدأ بهاء مفتوحة، فإذا جـاء المشار إليـه - أيًّا كان – معرفًا بــ (ال) ، فإن بقيتهـا تختـزل، فهاد الولد في لهجـة دمشق - مثلا لا حصرًا - يصبـح: هَلولد، ومثله: هنّاس وهلبِنِت وهلجماعة، ونحسبها كذلك في بقية الشام الكبرى، ونكتفي بشاهد عند مارون عبودَ:

راحـــت لَـــوَيـــن بـتـقـدر تـقـلّـي   هـالـتـاركـي فـسـطـانـهـا الأحـمـــر؟[٣]

ومثل ذلك في شمال نجد: هالرجل[٤] . وهم يختزلون الهاء في: من هنا ومن هناك = من نا ومن ناك[٥] .

(*) نُص :

لا نحتـاج إلى ذكاء لنعلـم أن أصلهـا: نصـف. ولعلنا لا نبالغ إن زعمنـا أنها تنطق مختزلـة في غير المستوى الفصيـح في الأقطار العربية كافة، وسـواء ضعّفت الصاد أم لم تضعّـف؛ فيقال: نُصّ الوقت، نص الليـل، نص دقيقة، نص مـتر، نص ريال، نص فدّان... إلخ. ويجاب عن «تغدّى فلان؟» بـ: «تغدّى ونص»، يريدونَ توكيد الفعل والصفة - حسـب سياق الموقف. وإذا كانت أجـزاَء الشيء حين قسمتها يقال فيها: أثلاث وأرباع وأخماس وأسداس وأسباع وأثمان؛ فإن الغالب أنصاص لا أنصاف. على أن الفاء تظهر

---

(١) مـارون عبود : الشعر العامي، بـيروت ١٩٦٨م،ص٤٤ونحسبها في الشام جميعها،وتنتشر بنسب متفاوتة في الأقطار العربية.

(٢) أمـا وليـم مارسيه: اللهجات الغربية،ص٨٩ فيذكر أن لهجات المغرب اشتقت مـن(ذا الوقت)كثيرا مثل: دلوق ودروق، دلوكك، دروكك، دروخ، وإسّا = للساعة في مالطة.

(٣) مَارون عَبود١٣٠

(٤) عبد الرحمن السويداء: فصيح العامي في شمال نجد، ص٢٠.

(٥) نفسه ص١٤

في سيـاق قسمة مـيراث أو مال مشترك أو نحوها... فيقال: لقـي الناصِفَة، والنصيف. هذا في لهجات اليمن وجنوب السعودية على الأقل، ولا أعمّم.

وقد ورد (نُص) في الموّاليا المنسوبة لأبي شادوف في القرن الحادي عشر الهجري: علـى مَن جَتـو جَفنة بنصٍّ رغيف. ويعلـق الشارح: «حُذفت الفاء مـن نصف جريًا على اللغـة الريفيـة كقولهـم: نُص فضّـة»[١]، واللّه أعلـم بالزمن الذي انحـدرت منه. لكن ابـن هشـام اللخمي (ت ٥٧٧هـ) يذكـر أن فيها أربع لغات: النصـف - وهي الأفصح - ونُصـف كالعامّـة، ونَصَف، ونَصيف[٢]، فـإذن كانت مستعملـة في الأندلس والمغرب في القـرن السادس على أقل تقدير، وسقوط الفاء سببه أنها - وهي صامت شفوي أسناني احتكاكـي - وقعـت في نهاية كلمة هي مقطع من النوع الخامس = صامت حركة قصيرة صامت صامت، فضَعُفت ثم تلاشت وصارت إلى: نُص.

مـن + المدرسـة = م نَل مَد رَ سَه، تصير مختزلـةً ملمَدرَسَه، في كل التقاء مع كلمة معرفـة ب ال. جـاءت في شعر جميل العـذري: وما أنسَ ملأشيـاء لا أنس قولها... وقد قَرَّبَت نِضوي: أمصرَ تريدُ؟

واستغرب سعد مصلوح انهم عابوا على المتنبي:

نـحـن رَكـبٌ مِـلجِـن في زِيِّ نـاسٍ فـوقَ طَـيرٍ لـهـا شُـخـوصُ الجِـمـال

مـع أن البيتـين قاعدتهما واحدة، وكأن لا عيب عند المتنبـي غير التأخر في الزمن. وقد صدق[٣].

وهـي شائعة في أكثر اللهجـات الحديثة. ومنها: مِلباب للشبّـاك، مِلعين دي والعين دي، جيّ مسّوق. هات مِلآخِر.

علـى + العين = عَ لَل عين، تختـزل: عَل عين، وما جاء مثلها. في سيبويه: «قول بعضهم: عَلماء بنو فلان، فحذف اللام، يريد: على الماء بنو فلان. وهي عربية»[٤]، ونقل قول الشاعر:

فـما سُـبقَ القيسـيّ مـن سـوء سيرة ولـكـن طفـت عـلمـاء غـرلـة خـالـدِ[٥]

---

(١) الشربيني: هزّ القحوف شرح قصيد أبي شادوف، القاهرة: المطبعة المحمودية، ص١٤٧.

(٢) ينظـر ابـن هشام اللخمي، محمد بن أحمد بن إبراهيم: المدخل إلى تقويم اللسان، تحقيق حاتم الضامن، دمشق: دار البشاير١٩٩٣م، ص١٧١.

(٣) سعد عبدالعزيز مصلوح: في تاريخ العربية - مغامرات بحثية، ص٣٦ و١٢٦ - ١٢٧.

(٤) كتاب سيبويه، ط هارون ٤/ ٤٨٤ وط محمد البكّاء ٥/ ٧٧١.

(٥) سيبويه ٤/ ٤٨٥.

وهي كثيرة جدا في المحكيات، من اللبنانية نقتطف:

ياعشير إن طالت الأيام	عا فراقنا بتصير تندم[١]
قلّي ما هو عا كيفك	هلليلي أنا ضيفك[٢]

هما شائعتان في اللهجات العربية الحديثة على نسب متفاوتة.

ومنه التعبير الذي يرد بأشكال متعددة: على شان، علشان..عَشان، بمعنى كي، لأجل. وتتصل بها الضمائر، وكانت أكثر ما تستعمل في مصر، والآن عمّت الأقطار العربية.

حَلنا: الشوام «يقولون: حلنا نفعل كذا، أي آن. وفصيحُه (حان لنا) فكأنهم سكنوا النون من حانَ أولاً فصارت حان لنا ثم حذفوا الألف وسكنوا اللام من لنا فصارت حان لنا ثم حذوا الألف دفعًا لالتقاء الساكنين فصارت (حلنا)...»[٣].

تَ مقطوعة من حتَّى تدخل على المضارع: (تَناكُل) = حتّى ناكل – قلت له: (تييجي) = قلت له: حتّى يأتي[٤] وقد تطول حركتها، وهي في الشام أكثر شيوعًا. من شواهدها في كلامهم:

بعّد بيوت مع قُصدان	تا خبّركم باللي كان[٥]
ونسبّح ربّ البريّة	تا يغفر لنا الخطيّه[٦]

مَرتِن لُخ: سمعناها كثيرا من إخوتنا العراقيين، وفي المرة الأولى ظننت أنهم يريدون عالما هولنديا أو ألمانيا، ولما تثبتُّ منهم علمت أنهم يختزلون عبارة: مَرّةً أخرى/ المرّة الأخرى. أي إن(ال مر ر تل أخ را) صارت لكثرة الاستعمال(مَر تِن لُخّ)!!

---

(١) مارون عبود ٧٢.

(٢) مارون عبود ٨٣ وأمثلة أخرى ص٩٧ و١٣٠ و١٢٨. ولا يخفى أنّ هلليلي = هذه الليلة.

(٣) رشيد عطية: الدليل إلى مرادف العامي والدخيل، بيروت ١٨٩٨م، ص١٠١.

(٤) انظر:أنيس فريحة: الألفاظ العامية في اللهجة اللبنانية، الجامعة الأمريكية بيروت، ١٩٤٧م، ص١٩.

(٥) مارون عبود ٨٣.

(٦) نفسه ١٠٦، وانظر: ١١ و١١٢ و١٢٧

سادساً: خاتمة ونتائج عامة :

ليس ما درسناه هو كلّ ظواهر الاختزال في العربية ومحكيّاتها/ لهجاتها، بل نزعم أنــه أشيعهــا وأبرزها، وما زال المجال متاحا لدراسة مالم نتنبــه إليه. ونلفت النظر إلى أبرز نتائج بحثنا:

١- لفتت هذه الظاهرة اللغوية أنظار علماء العربية واللسانيين الغربيين على حد سواء.

٢- اتفــق الفريقــان على أن مــا كان كثــير الاستعمال علــى ألسنة النــاس أشدّ عرضة للتغيير/ الاختزال.

٣- الاختزال يصيب المفردة والتركيب والجملة، بل التعبير المكون من عدة جمل.

٤- ما كان متعلقًا بالتعبيرات الاجتماعية أكثر عرضةً للاختزال من المختزلات الأخرى.

٥- اشتركــت الفصحى - كما تتجلــى في كتب النحو والصرف والمعاجم - مع المحكيات في قسم لا يستهان به من أشكال الاختزال. وليس بصحيح أنّ بينهما برزخًا وحِجرًا محجورًا.

٦- احتوت كتب التراث غير اللغوي على مظاهر وأشكال اختزالية مثلما هو في المحكيات، كما يتضح من النقول الكثيرة.

٧- أزعم أن البحث لفت النظر إلى محكيات لم تكن تُذكر، وإلى كتب تراثية فيها - غير الاختزال - ظواهر لغوية كثيرة، نوصي بالرجوع الجادّ إليها.

٨- مازالت بلاد اليمن وجنوب السعودية ميدان كبير لدراسات لغوية في ميادين عديدة، وهــذه فرصة الباحثين وطلاب الدراسات العليــا لدراسة هذا المجال في العديد من البحوث العلمية النوعية.

سابعاً: المصادر والمراجع :

١- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة: دار الكتب المصرية ٥٢ - ١٩٥٦م.

٢- --------: المبهــج في تفسير أسمــاء شعراء الحماسة، تحقيــق حسن هنداوي، دمشق: دار القلم ١٩٨٧م.

٣- --------: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي

النجدي ناصف وآخرين، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٩م.

٤- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي: تقويم اللسان، تحقيق عبد العزيز مطر، القاهرة: دار المعرفة ١٩٦٦م.

٥- --------: المنتظم في أخبار الملوك، حيدر آباد الدكن: جمعية دائرة المعارف العثمانية ١٣٣٤هـ.

٦- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي: فتح الباري شرح صحيح البخاري، القاهرة: مط مصطفى الحلبي ١٣٥٤هـ.

٧- --------: لسان الميزان، حيدر آباد الدكن: جمعية دائرة المعارف النظامية ١٣٧٠هـ.

٨- ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨ - ١٩٤٩م.

٩- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن: جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي، بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٧م.

١٠- ابن السرّاج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل: الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، بيروت: مؤسسة الرسالة (١٩٨٥م).

١١- ابن سعيد المغربي، علي بن موسى: المُغرِب في حُلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة: دار المعارف (١٩٦٤م).

١٢- ابن سودون البشبغاوي: نزهة العبوس ومضحك النفوس، تحقيق أرنولد فروليك، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة (١٩٩٩م) .

١٣- ابن فارس، أحمد: مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، ط٢، دار الفكر العربي(١٩٦١م).

١٤- ابن المجاور، جمال الدين يوسف بن يعقوب: تاريخ المستبصر / صفة بلاد اليمن، تحقيق أوسكر لوفغرين، ليدن: مكتبة بريل (١٩٥٤م).

١٥- ابن منظور، محمد بن مكرّم: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، القاهرة: دار المعارف (١٩٨١م).

١٦- ابـن هشـام اللخمـي، محمد بن أحمـد: المدخـل إلى تقويم اللسـان، تحقيق حاتم الضامن، دمشق: دار البشاير ٢٠٠٣م.

١٧- أحمـد تيمور: معجـم تيمور الكبـير في الألفاظ العاميـة ج١، تحقيق حسين محمد نصار، القاهرة: الهيئة العامة للتأليف(١٩٧١م).

١٨- أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة: عالم الكتب ٢٠٠٨م.

١٩- أحمـد عيسـى بك: المحكم في أصـول الكلمات العامية، القاهـرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي١٩٣٩م.

٢٠- الأبشيهي، محمد بن أحمد: المستطرف في كل فن مستظرف، بيروت: مكتبة الحياة ١٩٨٦م.

١٢- الأسترابـاذي، رضي الدين محمد بـن الحسن: شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق مجمد نور الحسن وآخرين، القاهرة: المكتبة التجارية ١٣٥٨هـ.

٢٢- --------: شرح كافية ابن الحاجب، تحقيق يوسف حسن عمر، بنغازي: جامعة قاريونس ١٩٩٦م.

٢٣- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين: الأغاني، القاهرة: دار الكتب المصرية.

٢٤- أنيـس فريحة: الألفـاظ العامية في اللهجـة اللبنانية، بـيروت: الجامعة الأمريكية ١٩٤٧م.

٢٥- تراسـك، ل. ر: لمـاذا تتغير اللغات؟، ترجمة محمد مازن جـلال، الرياض: جامعة الملك سعود ٢٠١٣م.

٢٦- تهـاني جبران الوادعي: لهجة ظهـران الجنوب وعلاقتهـا بالفصحى - دراسة في ظواهر صرفية ونحوية، ماجستير جامعة الملك خالد (١٤٣٧هـ).

٢٧- التوحيـدي، أبو حيان علي بـن محمد: البصائر والذخائر، تحقيـق وداد القاضي، بيروت: دار صادر ١٩٨٨م.

٢٨- حسـن ابـن الصدّيـق: غرائب البدائـع وعجائب الوقائـع، تحقيق يوسـف نعيسة، دمشق: مكتبة المعرفة١٩٨٨م.

٢٩- الحسن بن مسعود اليوسي: المحضرات في اللغة والأدب، تحقيق محمد حجي، الدار البيضاء(١٩٧٤م).

٣٠- خليل يحيى نامي: من اللهجات اليمنية الحديثة - مفردات من تعز وتربة ذُبحان «مجلة كلية الآداب»، جامعة فؤاد الأول = القاهرة، مج٨، ج١، مايو (١٩٤٦).

٣١- دانيال ايفريت: اللغة تلك الأداة الثقافية، ترجمة عبد الرحمن أبا نمي، الرياض: دار جامعة الملك سعود (١٤٣٨هـ).

٢٣- رشيد عطية: الدليل إلى مرادف العاميّ والدخيل، بيروت: (١٨٩٨م).

٣٣- رمضان عبد التوّاب: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، ط٤، القاهرة: مكتبة الخانجي (١٩٩٧م).

٣٤- ساويرس بن المقفع: سير الآباء البطاركة، إعداد عبد العزيز جمال الدين، القاهرة: مكتبة مدبولي (٢٠٠٦م).

٣٥- السراج الطوسي: كتاب اللمع، تحقيق نكلسن، لندن (١٩٣٥م).

٣٦- سعيد بن عبد الله الدارودي: حول عروبة البربر-مدخل إلى عروبة الأمازيغيين من خلال اللسان، الرباط: منشورات فكر (٢٠١٢م)

٣٧- سعد عبد العزيز مصلوح: في تاريخ العربية - مغامرات بحثية، القاهرة: عالم الكتب (٢٠١٧م).

٣٨- سلمان سالم رجاء السحيمي: الحذف والتعويض في اللهجات العربية من خلال معجم الصحاح للجوهري، المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية ١٤١٥هـ.

٣٩- سند عبد القوي محمد سالم: اللهجة اليافعية، رسالة دكتوراه، كلية التربية جامعة عدن (٢٠١٣م).

٤٠- سوسن يحيى الفيفي: خصائص الأبنية والتراكيب في لهجة فيفا، ماجي، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الملك خالد، أبها (٢٠١٤م).

٤١- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي (١٩٨٨م).وطبعة بعناية محمد كاظم البكّاء، بيروت: منشورات زين الحقوقية والأدبية،(٢٠١٥م).

٤٢- السيد شُبّر علوي القصاب: عبارات الآداب الفاضلة - دلالاتها ومناسباتها، القطيف: نادي اقرأ كتابك (٢٠١٦م).

٤٣- السيرافي، أبوسعيد الحسين بن عبد الله: شرح كتاب سيبويه، ج١ تحقيق رمضان عبد التواب وآخرين، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨١م).

٤٤- الشربيني، يوسف بن عبد الجواد بن خضر: هز القحوف شرح قصيد أبي شادوف، القاهرة: المكتبة المحمودية. د ت.

٤٥- الشرجي الزبيدي: طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، تحقيق عبدالله الحبشي، بيروت: الدار اليمنية (١٩٨٦م).

٤٦- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: أعوان العصر وأعوان النصر، تحقيق نبيل أبو عمشة وآخرين، أبو ظبي: المجمع الثقافي (٢٠٠٣م).

٤٧- ---- تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، تحقيق السيد الشرقاوي، القاهرة: مكتبة الخانجي (١٩٨٧م).

٤٨- ------الوافي بالوفيات، تحقيق مجموعة من المستشرقين والعرب، ط٢، فيسبادن: فرانز شتاينر للنشر (٢٠٠٩م).

٤٩- عباس علي السوسوة: دراسات في المحكية اليمنية، ط٢، صنعاء: مركز عبادي، (٢٠٠٧م).

٥٠- ------ العربية الفصحى المعاصرة وأصولها التراثية، القاهرة: دارغريب (٢٠٠٢م).

٥١- ----- قد اليمنية - أبحاث في الأبنية والنحو والاقتراض المعجمي، صنعاء: مركز عبادي، (٢٠١٢م).

٥٢- عبد ربه طاهر الحميقاني: لهجة البيضاء، دراسة في ظواهر صرفية ونحوية، دوكي، كلية الآداب جامعة تعز (٢٠١١م).

٥٣- عبد الرحمن بن زيد السويداء: فصيح العامي في شمال نجد، الرياض: دار السويداء (١٩٨٧م).

٥٤- عرب فقيه: فتوح الحبشة، تحقيق محمد فهيم شلتوت، القاهرة: الهيئة العامة للتأليف (١٩٧٢م).

٥٥- عيسى محمد سليمان الفيفي: ألفاظ الزراعة والري في محافظة فيفاء، ماجستير، جامعة الملك خالد (١٤٣٧هـ).

٥٦- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد: معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتي وآخرين، ط٢، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨٣م).

٥٧- فندريس، ج: اللغة، ترجمة محمد القصاص وعبد الحميد الدواخلي، القاهرة: لجنة البيان العربي (١٩٥١م).

٥٨- فهد بن سعيد آل مثيب القحطاني: أسماء الأماكن في منطقة عسير، أبها: النادي الثقافي الأدبي(١٤٤٣هـ).

٥٩- مارسيه، ف: اللهجات الغربية (ضمن: حمزة بن قُبلان المزيني: دراسات في تاريخ اللغة العربية) ط٢، عمّان: كنوز المعرفة (٢٠١٣م).

٦٠- مارون عبّود: الشعر العامي ـ أمثال القرية اللبنانية وأغانيها وسهراتها واللغة العامية، بيروت: دار مارون عبود (١٩٦٨م).

٦١- مايكل كورباليس: في نشأة اللغة من إشارة اليد إلى نطق الفم، ترجمة محمود ماجد عمر، الكويت: عالم المعرفة (٢٠٠٦م).

٦٢- المبرّد، محمد بن يزيد: الكامل في الأدب واللغة، تحقيق محمد أحمد الدالي، بيروت مؤسسة الرسالة (١٩٨٦م).

٦٣- محمد صالح المشاجرة: لهجة الأحساء تأصيل لغوي، نادي الأحساء الأدبي (٢٠١٨م).

٦٤- مكين بن حوفان القرني: أسماء أماكن منطقة مكة المكرمة، دراسة لغوية، دكتوراه، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (١٤٣٢هـ).

٦٥- النواجي، شمس الدين محمد: عقد اللآل في الموشحات والأزجال، تحقيق أحمد عطا، القاهرة: مكتبة الآداب (١٩٩٩م).

٦٦- هاني الفرنواني: ظاهرة الاجتزاء في العربية، الإسكندرية: دنيا الوفاء للطباعة (٢٠٠٥م).

٦٧- اليوسفي، موسى بن محمد بن يحيى: نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق أحمد حطيط، بيروت: عالم الكتب (١٩٨٧م).

رابعـاً: كلمة عـن اليوم الوطنـي السعودي رقـم (٩٢) (توثيقـات، وخلاصات، وتوصيات). بقلم أ. د. غيثان بن علي بن جريس.

أولاً: مقدمة:

لا يمكـن اختـزال الحديـث عن اليـوم الوطنـي السعـودي في فقـرات، أو صفحات معـدودات، وهنـاك الكثـير مـن الدراسـات والكتـب والوثائق التـي بينت بدايـات هذا التاريـخ العظيـم لملكتنا الحبيبة منذ بـدأ الإمام عبدالعزيز بـن عبدالرحمن الفيصل رحلتـه الكفاحية في استرداد حكم آبائه وأجـداده، وقد تحقق له هدفه، ثم واصل رحلته السياسيـة الحربية حتى وحد هذا الكيان الكبـير (المملكة العربية السعودية). وفي عام (١٣٥٢هـ/١٩٣٢م) بـدأ تاريـخ أول يوم سعـودي وطني ماجد، ثم صـار يقام في تاريخ (٢٣/سبتمـبر) من كل عام. والذي جعلني أدون هذه الصفحات أنني منذ خمسين عاماً (١٣٩٣ـ ١٤٤٤هـ/١٩٧٣ـ ٢٠٢٢م) أشاهد الدولة بـكل مؤسساتهـا الرسمية والأهلية تحتفـل بهذا الحـدث التاريخي المهم، وكنا في السابق نرى ونسمـع استعدادات الحكومة السعودية لذلك، وعموم الشعب السعودي يفرحون مع دولتهم بهذا اليوم الذي له دلالاتٍ سياسية وحضارية كثيرة. وبعد أن فاض الخير على الناس، وتطورت أحوال البلاد تنموياً في شتى المجـالات، زادت عندئذ الاحتفالات والاستعـدادات الرسميةٍ والأهليةٍ للاحتفاء بهذه المناسبة الكريمة التي يجبً أن يفخر به كل سعودي (ذكوراً وإناثاً، صغاراً وكباراً).

وكوني عملت في التعليم الجامعي (٤٤) عاماً، فقد رأيت ومازالت أشاهد مساهمات وأنشطـة أجهزة الدولة، وجميـع العاملين فيها، كل في محيط إدارته ومؤسسته، والوضع نفسـه عنـد الأفـراد والأسر وعمـوم شرائح المجتمـع يتشاركون إيجابيـاً في هذا العيد الوطنـي. وفي الوقت نفسـه عاصرت وعرفت بعض السلوكيـات السلبية التي تصدر من بعض أفراد المجتمـع، وبخاصة مـن الشابات والشبـاب أثناء اليـوم الوطني، فتراهم يسـيرون في الطرقات والتجمعـات العامة، ويصدر منهم بعض الهتافات، والحركات، والأعمـال التي تضر ولا تفيد. ومؤخراً صار بعض النسـاء والرجال يجتمعون في أماكن متفرقة في طول البلاد وعرضها، ويجري بينهم اختلاطات وبعض التحرشاتٍ، وسلوكيات لا تتوافق مع منهج هذا البلد المبارك، ويسمون بعض تلك التصرفات أفراحاً واحتفالات

باليـوم الوطنــي. وقد يحدث صياحات وتجمهرات في الشـوارع الكبيرة والفرعية، أو في بعض الأسواق، والأماكن الرئيسية ببعض المدن، ويتولد عن ذلك تكدس وازدحام بشري كبير فتعطل شـؤون الناس ويتضررون، واحياناً ينتج بعض التلفيات وربما تدخلت بعض الجهـات الأمنية لمنـع ذلك فيزداد الأمر سـوءاً. كما أن بعض الأفـراد (إناثاً وذكوراً) قـد يرتدون ألبسـة غير مناسبة، وأحيانـاً تكون خادشة للمـروءة، والاحتشام، والأدب، والأخلاقيات والمبادي الإنسانية الكريمة [(١)].

في اليوم الوطني رقم (٩٢)، الذي وافق يوم الجمعة (١٤٤٤/٢/٢٧هـ الموافق ٢٣/ سبتمبر/٢٠٢٢م)، قمت بجولة في محافظات عديدة، بمنطقة عسير (سراة وتهامة)، وشاهدت أيضاً بعض وسائل التواصـل والإعلام، ورصدت بعض المعلومات والمشاهدات عن احتفالات الناس بهذا اليوم التاريخي الوطني الذي تعيشه المملكة العربية السعودية بجميـع شرائحهـا وأطيافها، وعندئذ رأيت أن أدون بعضـ التوثيقات والخلاصات، وفي نهاية هذا الرصد أسجل بعض المقترحات، والرؤى، والتوصيات.

ثانياً: توثيقات وخلاصات :

إن الهـدف الأساسـي من تحديد مناسبـة فرائحية احتفالية باليـوم الوطني ليس الضحـك والمرح، ثم ضياع القيم الجميلة والوقت، والمـال، والأخلاق الحميدة. إنما هو استشعـار جميع أفـراد الشعب (رعاة ورعية) بحب الوطـن ورعاية مصالحه وخدمته وعمـل كل شـيء يعود على البـلاد (أرضاً وسكاناً) بفوائد إيجابيـة معنوية ومادية. ولا يمنـع أن تقضى أيام فرح وأنس بهذه المناسبة، مع الحرص التام بالحفاظ على مصالح الوطن ومقدراته التاريخية والحضارية.

مـن يدرس التاريخ الماضي لسكان شبـه الجزيرة العربية، وبخاصة المملكة العربية السعوديـة قبل توحيدهـا في منظومتها الحالية، فإنه يتأكد لـه الجوع، والفقر، والمرض وتدني جميع الأوضاع السياسيـة والأمنية. بل إن جميع الناس أفراداً ومجتمعات، أسراً وقبائـل وعشائر كانوا في احتراب دائم، ولم يكـن هناك رعاية أمنية وحضارية وتنموية عامـة، إنما الفرقة والتمزق البشري كان هو السائد. ثم جاء ذلك الرجل الهمام، الملك عبد العزيز آل سعود (يرحمه الله) فبذل كل ما في وسعه حتى وحد هذا الكيان العظيم

---

(١) إننــي لا أقول ذلك من فراغ، إن مـا شاهدته خلال السنوات الماضية (١٤٢٨ـ ١٤٤٤هـ/٢٠٠٧ـ ٢٠٢٢م) في مدن عديدة كبيرة بالمملكة العربية السعودية. ورأيت معاناة الإدارات الأمنية في بعض المواقع، وبخاصة من التصرفـات اللامسؤولة لبعضـ الأفراد السعوديين، وفي الأربع سنوات الأخـيرة (١٤٤٠ـ ١٤٤٤هـ/٢٠١٨ـ ٢٠٢٢م) زادت مشـاركات النساء مع الشبـاب الرجال، وهذا ليس من الاحتفاء أو الاحتفال الإيجابي بهذه المناسبة العظيمة المباركة التي يجب تسخيرها في خدمة الدين وبلادنا وأهلنا ٠

(المملكــة العربيــة السعودية) ، ثم ســار بها وأولاده الملوك من بعــده (سعود، وفيصل، وخالــد، وفهد، وعبـد الله، وسلمان) خير مسيرة وقيام، حتــى أصبحت من دول العالم الكبيرة المشهود لها بالتطور، والاستقرار، والنماء الجغرافي والإنساني [١] .

أقــول إن حــب الوطن واجــب على كل إنسان، ولنــا في رسولنا (عليــه أفضل الصلاة والسلام) القدوة الحسنة. فقد حاربه قومه، وعاندوه، وسعوا إلى إيذائه وقتله، وفي النهاية أجبروه على الخروج من بلدته التي ولد فيها وعاش بها بداية حياته (مكة المكرمة) ، فقال أثناء خروجه منها مهاجراً « ما أطيبك من بلد وأحبك إليَّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك مــا سكنت غيرك ». وهــذا الحديث الشريف يؤكد على حب الإنســان لوطنه، لكن الرسول الكريم (عليه الصلاة والسلام) كان صاحب رسالة سماوية، والدين مقدم على الوطن، عندئذ هاجر من بلده الأول مكة إلى يثرب (المدينة المنورة) لبناء دولة الإسلام، وتأسيس عاصمتهــا الأولى. وتحققت الدعوة الإسلامية ونجحت بالظهور والانتشار حتى عادت مكة المكرمــة إلى حضن السلطة الجديدة، الدولة الإسلاميــة الأولى في عهد الرسول (عليه أفضــل الصــلاة والسلام). ونجد القــرآن الكريم يذكر الوطــن، وحبه وعدم الخروج منــه، قال تعــالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُــونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُــونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ) [٢] .وفي القرآن الكريم وكتب السنن النبوية آيات قرآنية وأحاديث نبوية عديدة عــن حب الوطن، وجميعها تدل على التمسك بالوطن والاعتزاز به والدفاع عنه، وضرورة الانتماء له، وذلك يدل على مدى علو ومنزلة الوطن عند الله (عز وجل) [٣] .

لا يتســع المجال في هذه الصفحــات من تفصيل الحديث عن تاريخ الأوطان وحبها، بــل إن الحضــارات الشرقية والغربيــة على مر العصور أسهبــت في الحديث عن الوطن وحبــه. ونحن في هذا البلد الكريم المملكة العربيــة السعودية نملك ما لا يملك غيرنا في أنحــاء الكرة الأرضية، فالقبلــة الإسلامية (الكعبة والبيت الحــرام) ، والمسجد النبوي الشريــف إحدى الركائــز الرئيسية لهذا الوطــن بالدرجة الأولى، ولعمــوم المسلمين في أرجــاء المعمــورة. وهذا مما يجب علــى أهل هذا البــلاد (المملكة العربيــة السعودية)

---

(١) إن تاريــخ توحيد المملكــة العربية السعودية مــدون في مئات الكتب والمصادر والمراجــع العربية والأجنبية. ومازال هناك الكثير من السجلات والوثائق التاريخية المحلية، والإقليمية، والعالمية غير المنشورة، وتحتوي علــى مواد علمية كبيرة عن تاريخ هذه البلاد السعودية خــلال المئة عام الماضية (١٣٤٠ـ ١٤٤٤هـ/١٩٢١ـ ٢٠٢٢م). نأمــل مــن الجامعات السعودية وكلياتهــا وأقسامها الأكاديمية أن تجتهــد في جمع هذه المصادر الأساسية ثم دعم وتشجيع دراساتها وتحليلها ثم طباعتها ونشرها.

(٢) سورة البقرة، الآية (٨٤) .

(٣) من رغب أن يكتب عن الوطن وحبه من مصادر التشريع الإسلامي (القرآن والسنة) فإنه سوف يجد مادة علميــة كثيرة وتفصيلية. بل إن كتــب التاريخ والتراث الإسلامي (نثراً وشعــراً) مليئة بالمادة العلمية التي تصب في خدمة هذا الموضوع.

(حكاماً وشعباً) أن يستشعروا هذه المنزلة الدينية والإنسانية والحضارية الكبيرة، ثم يبذلوا قصارى جهودهم في خدمة ورعاية هذين الحرمين الشريفين والوطن الذي يحتضنهما. وهذه من الأمور الواجبة المسلم بها. وإن تشعبنا في توثيقنا إلى عروبة هذه البلاد، ومقدراتها المادية والمعنوية، وتاريخها وحضارتها، فالمسؤولية أكبر وأعظم على كل سعودي ذكر وأنثى. وهذا الذي يجب أن نعمل من أجله، كما أن على مؤسساتنا الحكومية والأهلية، الخاصة والعامة أن تسخر جميع نشاطاتها وإمكاناتها في توجيه الأفراد، والأسر، والمجتمعات ثقافياً، وتعليمياً، وتوعوياً، وإعلامياً، ومعرفياً في كل ما يعود على الوطن بالصلاح والفلاح، والبناء والتطويرات الهادفة داخلياً وخارجياً.

وكوني مؤرخاً منذ عقود، أقدم محاضرات، وأشارك في ندوات ومؤتمرات، وأكتب بعض البحوث والمؤلفات. وفي الوقت نفسه شاهد عيان لنمو المملكة العربية السعودية وتطورها التاريخ منذ نهاية السبعينيات. ومما عاصرته ومازلت أعرفه وأشارك في فعالياته اليوم الوطني السعودي الذي يحتفل به السعوديون والمقيمون سنوياً. ولا أذهب إلى توثيق ما يحدث ويتم من نشاطات واستعدادات قبيل وأثناء اليوم الوطني كل عام، لأن ذلك موثق بالعديد من الطرق والوسائل الورقية والرقمية، ثم إن ذلك مجالا كبيرا يكتب في مئات الصفحات الشعرية والنثرية، مع دعمها بالرسوم البيانية، والجداول الإحصائية، والصور الفوتوغرافية [١] .

وتحديد هذه الكلمة باليوم الوطني رقم (٩٢) خلال هذا العام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)، لا يفهم من هذا العنوان أنني سوف أرصد صفحات تفصيلية عن تاريخ هذا اليوم الذي عشته وعاصرته في أرجاء البلاد السعودية، ومن مقر إقامتي في منطقة عسير، فذلك ليس هدفي، وبحث مثل هذا الموضوع في عمل توثيقي علمي يحتاج إلى زمن أطول، ومصادر ومراجع تاريخية حقيقية، لكن قصدي من هذه الكلمة يرتكز على بضعة أمور أذكر أهمها في النقاط الآتي:

١- رأيت أنه من الواجب الوطني عليّ كمؤرخ وباحث معاصر أن أساهم بعمل تاريخي إيجابي أنوه فيه إلى كيف كنا قبل توحيد المملكة العربية، وكيف أصبحنا في هذا العصر الذي تعيشه بلادنا من رخاء وتقدم وتطور في كل المجالات الحضارية المادية والمعنوية. وأقول إن من الواجب على كل إنسان سعودي في هذه البلاد أن لا يتقاعس أو يتوانى في خدمة بلده فكرياً، ونفسياً، وثقافياً، ومادياً ومعنوياً، أي كل حسب

(١) إن الأيام الوطنية السعودية من عام (١٣٥٢-١٤٤٤هـ/١٩٣٢-٢٠٢٢م)، مجتمعة أو متفرقة تستحق أن يصدر عنها دراسات توثيقية تاريخية في عدد من الكتب والبحوث العلمية، مع توضيح ما يقدم فيها في أنحاء البلاد من عروض وأنشطة إيجابية، وبعض السلوكيات والتصرفات السلبية، مع الخروج بتوصيات تدعم كل عمل إيجابي، ومحاربة والتخلص من الأعمال السلبية خلال هذه المناسبات الاجتماعية الحضارية الوطنية.

جهده واستطاعته، لكن توفر النية والهمة والرغبة للذود عن حياض الوطن وخدمته تكون الشعار الأساسي لكل إنسان سعودي.

٢- إن الهدف من رصـد هذه المقدمات والشذرات المعرفية، أن تكون مساهماتنا في خدمة بلادنـا إيجابية، ونجتهد في البعد عـن أي نشاط أو مشاركة سلبية، والواجب أن ندرك أنه لا حياة للإنسان بعزة وكرامة ورفعة عند الله (عز وجل) . إلا بالعمل الصالح الذي يقرب صاحبه من مولاه (عز وجل)، ثم الولاء والحب وبذل الجهد في خدمة وطننا.

٣- مما لفت نظري في اليوم الوطني رقم (٩٢) يوم الجمعة (١٤٤٤/٢/٢٧هـ) أن معظم خطباء الجمعة في أرجاء المملكة أشاروا في خطبهم إلى اليوم الوطني السعودي الذي تزامـن مع يوم الجمعة، وأشاروا إلى إيجابيات الوحدة والتقارب والوئام الذي يعيشه الشعـب السعـودي ومعهـم المقيمون من جنسيـات عربية وإسلامية وغـيـر إسلامية، وبعض الخطباء أشاروا إلى الفرقة والتشـرذم الذي كانت تعيشه المجتمعات في هذه البلاد قبل توحيدها تحت مطلة الدولة السعودية الحالية (المملكة العربية السعودية)، والأجمـل مما سمعته في خطبتي الحرمين الشريفين، وبعض الجوامع التي مررت من حولهـا، وصليت في أحدها بمنطقة عسير أن قدمت العديد من النصائح والتوجيهات للمصلـين وعموم الناس بمـا يعود بالفائدة والنفع الكبير خـلال اليوم الوطـني، فإذا احتفـل السكان بذلك فتكون أنشطتهم واحتفائهم بكل مبادرة وعمل يصب في خدمة البلاد والرفع من شأنها في شتى الجوانب، وأن لا يكون هناك أعمال أو سلوكيات تضر بالأرض والناس دينيا، وأخلاقيا، وحضاريا وتنمويا[1] .

ثالثاً: توضيحات وتوصيات:

خرجت بالعديد من الرؤى والتوضيحات والتوصيات التي يجب على المجتمع السعودي (حكومـة وشعبا، ذكورا وإناثا، صغارا وكبـارا) ان يعرفوها، ويتعلموها، ثم الاجتهاد في العمل بها، وجعلها من الأساسيات في حياتهم العامة والخاصة، وهي على النحو الآتي :

---

(١) إن الشـيء الحسـن إن وزارة الشؤون الإسلامية والدعـوة والإرشاد السعودية أصبحت جـادة ومتابعة لشؤون الجوامـع والمساجد في أنحاء البلاد، وكل ما يقام فيها مـن محاضرات وأنشطة دعوية. كما أن خطب الجمعة صارت تقريباً شبه موحدة عن الباب أو الموضوع الذي تكون الخطبة عنه. وهذا في اعتقادي تنظيم جيد، حتى لا يخـترق هذه المنابـر الدينية الدعوية من يحملون أفـكاراً سلبية تضر بأمن البـلاد واستقرارها. وكم رأيت وعاصـرت خلال العقود الأربعة الماضية (١٣٩٠ــ ١٤٣٠هـ/١٩٧٠ـ ٢٠٠٩م) من لبس رداء الدعوة والإرشاد، ثـم تصـدروا المجالس والندوات والمنابر، وكانـوا يحملون الكثير من التيارات والأفـكار الخطيرة التي أساءت لعقيـدة الإسلام الوسطية، ونتج عن أنشطتهم المتعددة الكثير من الأضرار للإسلام، وللأرض والناس وأقول إن ما عرف بعصر الصحوة الذي عاشته البلاد الإسلامية بشكل عام، والمملكة العربية السعودية خلال العقود الماضية المتأخرة يستحق أن يدرس ويوثق في أعمال علمية جادة ومنصفة. (والله من وراء القصد).

١- هـذه البلاد (المملكة العربيـة السعودية) أرض الحرمـين، فالواجب على سكانها أن لا يعيشـوا كغيرهم مـن شعوب العـالم في احتفالاتهم ومناسباتهـم الاجتماعية والحضارية، وأن يكون نصب عيونهم الأعمال والسلوكيات الإيجابية التي تعود على بلادهـم (معرفياً، ودينياً، واجتماعياً، وإدارياً، وحضارياً) بالخير والتمكين، ثم عكس صورة إسلامية حضارية وسطية يمتد خيرهـا وأثرها على العرب والمسلمين داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها. وإذا أخذنا اليوم الوطني السعودي أنموذجاً، فليس الهدف الاحتفاء الهلامي الذي يتمحور حول المهرجانات الغنائية والترفيهية، أو الحـركات والسلوكيات البهلوانيـة، أو الإعلانات التجاريـة والدعائية الإعلامية الشكليـة، وغيرها مـن الأنشطـة الفردية والجماعيـة، الرسمية والأهليـة المؤقتة. إنمـا الواجـب على الـوزارات، والجامعات، وجميـع المؤسسات الحكوميـة والأهلية أن تعـد خططـاً وبرامـج عملية ذات آثار إيجابيـة طويلة الأمد. كمـا أن على جميع الجهـات والقطاعـات في أرجاء البلاد أن تعلم علم اليقـين أن بلادنا قبل توحيدها تحت هـذه الكيان الكبير (المملكة العربية السعوديـة) ، كانت فاقدة للهوية الأمنية الرئيسيـة والموحـدة، ثم إن بلاد الحرمـين (مكة المكرمة والمدينـة المنورة) كانت تعيشـ في فتن وقلاقل واضطرابـات منقطعة النظير، فلا يستطيـع الحاج والمعتمر الداخلـي والخارجي أن يؤدي مناسك عمرته وحجه بأمان وسهولة ويسر. بالإضافة إلى فقـدان الحياة الآمنة على المـال والنفس، وصعوبة العيش في شتى الجوانب. ثم مـن الله على هذه الأوطـان بالوحدة، وتوفر الأمن، والاستقـرار، والتطور في جميع الميادين. وهذا التحول من العسر إلى اليسر، ومن الشدة والبلاء والفتن والفوضى إلى الوحـدة الشاملة، والخير والرخاء. كل هـذا لم يحدث من فراغ، إنما هو تدبير وتصريـف من خالق السمـاوات والأرض، ثم جهود رجـال جادين مخلصين عملوا الليل والنهار حتى جرت أقدار الله (عز وجل) على ما حدث من تحولات جغرافية، وسياسيـة، ومجتمعية حضارية. وأصبحنا أجيال هذا العصر نعيش في هذا الفضل والنعـم التـي أنعم الله بها على هـذه الديار. والأمر لا يتوقف عنـد هذا الحد، إنما الواجـب علينا جميعاً إدراك هذا التاريـخ الحديث والمعاصر، وما جرى فيه وله من تبـدلات تاريخية وتنمويـة، ولا نغفل أو نتقاعـس أو نتكاسل مـن استكمال المسيرة، والسـير علـى خطى الآباء والأجداد، والعمل والمساهمـة في كل قول أو عمل يبني ولا يهدم، يفيد ولا يضر[١] .

---

(١) إن المراقـب لأحـوال الكثـير من الدول في العـالم يجد بعضها في فرقـة وشتات وتخلـف واضطراب بسبب البعـد عـن منهج الله. وهنـاك حكومات وشعوب أخرى تعيش في أمـن واستقرار إلى حدما، ولها الكثير من الاحتفـالات الاجتماعيـة المتعددة، كاليوم الوطنـي وغيره. ومعظم ما يعرض خلال هـذه المناسبات يصب في أعمـال وأنشطـة ترفيهية، بالإضافة إلى ما يصاحبها من سلوكيـات مجتمعة غير أخلاقية، ناهيك عن

٢- مـن الواجب علينا أن لا ننسى أو نتناسى ما بذله حكام هذه البلاد (المملكةالعربية السعوديـة) مـن بداية عصر المؤسـس الملك عبدالعزيز الفيصـل (يرحمه الله) إلى هـذا العصـر، عهد خادم الحرمـين الشريفين الملك سلمان بـن عبدالعزيز آل سعود، وكذلك ما بذله جميع الرجال المخلصين معهم من بناء وتأسيس وتطوير.وأن نبـذل الجهد والنية والدعاء الصـادق في المغفرة والرحمة لمن مات منهم، والتوفيق والهـدى والصلاح للأحياء الصالحـين المخلصين الذين لا يتوانـون في رعاية هذه البلاد وشعبها بكل جد، وصدق، وعزم، ونية صالحة [1] ٠

٣- أرى أن مناسبـة اليـوم الوطنـي وغيرها من المناسبـات الوطنية الكبـيرة يجب أن تستغـل بطرق علمية عملية تخطيطية في صقل مواهب الشابات والشباب من خلال أنشطـة علمية وأدبية، وندوات، ولقاءات، ومهرجانات إيجابية وهادفة، فيقدم فيها كل علـم ومعارف جديدة فنية، وتقنيـة، ومعرفية، ورياضيـة، وإبداعية. وحبذا أن تقـدم مواد علمية تنويرية بطرق تربويـة مشوقة تعكس كيف كان التخلف والرجعية الحضاريـة في أرجـاء بلادنا، ثم الإشارة إلى تاريخ المرحلـة التنموية الحديثة التي مـرت بها البـلاد في جميع المجالات، حتـى أصبحت اليوم مليئـة بالعلماء المبدعين والمميزيـن في شتـى المعارف، مع الإشارة إلى أهمية الحفـاظ على مدخرات البلاد معنويـا وماديا، سياسياً وإدارياً وحضاريـا، والعمل أيضاً على الاجتهاد والاستمرار في التطوير والبناء للأرض والإنسان [2] ٠

٤- إن الأفـراد، والأسـر، والطالبـات والطلاب في جميـع المراحل التعليميـة (العامة والعاليـة) هم الشريحة الرئيسية والكبـيرة في المجتمع السعودي. والواجب أن تعد لهـم برامج جـادة ومدروسة مـن قبل خبراء وأساتـذة متخصصين حتـى ينتفعوا بهـا ويستفيدوا منها أثنـاء مناسبة اليوم الوطني، وغيرها مـن المناسبات الوطنية الرئيسيـة. وقد شاهدت الجامعات والمدارس، وأيضـا المؤسسات الرسمية والأهلية

النفقات والمصروفات العيثية. والواجب علينا في هذه البلاد أن نأخذ أفضل ما عند الغير قولاً وعلماً وثقافة وحضـارة، ونبتعـد عن الأعمال غير المفيدة لنا كعرب مسلمين، نؤمـن ونعمل بكل ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة. (والله من وراء القصد) ٠

(١) إن الدعـاء لـولاة الأمر في هذه البـلاد، وللعلماء، ورجال الدولة الصالحين واجـب علينا جميعاً. ومن يقرأ عـن تاريخ حكام بلادنا خلال المئة عام الماضية (١٣٤٣ــ ١٤٤٤هـ/١٩٢٤ـ ٢٠٢٢م)، ثم يقارن سياساتهم وغيرهـم مـن حكام العالم مـع شعوبهم، فإنه يجد هـؤلاء الحكام السعوديين يتقدمـون غيرهم في خدمة بلادهـم وشعوبهم، ورعايتهم سياسيا وحضاريا. والواقع الذي تعيشه البلاد السعودية من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م) خير دليل حقيقي وإيجابي على ما أشرت إليه.

(٢) إن معظـم أجهـزة الدولة، ولله الحمد، تعمل وتدرك أهمية هذا المقـترح، والجميع يعملون في نفس الاتجاه الذي أشرت إليه أعلاه، لكن لا تخلو البلاد والناس من سلبيات يجب أن تعدل وتعالج وتوجه البوصلة العامة إلى الصواب في كل الأعمال والاتجاهات ٠

في البلاد يتفاعلون مع اليوم الوطني ببعض الأنشطة الدعائية والإعلامية، وهذا ما لا نريده، ونتطلع إلى استشعار أهمية هذه المناسبة، وبالتالي يقدم فيها أعمال وبرامج هادفة، ولا يمنع أن تكون بعضها ترفيهية ومسلية، لكن تكون ذات رؤىٍ وأهدافٍ تربوية تثقيفية يعودٍ نفعها وخيرها على الفرد والمجتمع بشكل عام معرفياً، وتنموياً، وحضارياً، وسلوكياً، وتنويراً.

٥- يجب قراءة التاريخ بشكل جيد، ثم الخروج بدروس وعبر ذات نفع عام للبلاد. ومن يبحث عن العنف الديني والإرهاب الذي مر به العالم، ومازال يعيشه. ثم الكراهية والحرب الموجه للدين الإسلامي الوسط، والمملكة العربية السعودية جزء من هذا الدين الحق. وعلى جميع السعوديين (الذكور والإناث) أن يدركوا هذا الأمر، ويعرفوا العداء والحقد والمؤامرات التي تدبر وتخطط لهم وبلادهم، ثم يعملوا بجد واجتهاد، ويصلحوا عيوبهم التي قد تفقدهم أمنهم وبلادهم، وإن فعلوا ذلك، فسوف تسير بهم السفية نحو النجاة. ومثل اليوم الوطن وغيره من الأعياد الإسلامية الوطنية تكون مسرحاً وفرصة جيدة لتوظيفها في خدمة الدين والوطن، وأن لا تكون معول تخلف وهدم بما يُعرض ويقدم خلالها من أنشطة وبرامج غير هادفة، أو ذات توجهات سلبية للإفساد، وتدمير الثوابت الرئيسية للبلاد ومقدراتها وتراثها وحضارتها العربية الإسلامية الأصيلة.

٦- إن الإمكانات المعرفية، والعلمية، والتقنية، والمادية اليوم أصبحت في مستويات جيدة في أرجاء البلاد. والواجب الاجتهاد والتوجيه نحو الاستفادة من هذه المؤهلات في كل عمل خاص وعام يعود على الفرد والمجتمع بالخير والفائدة. والفرد السعودي صار على مستوى جيد من الوعي، والواجب على المؤسسات والوزارات السيادية والخدماتية أن تجتهدٍ في خلق آلياتٍ وسياسات عملية معنوية ومادية للإنسان السعودي، حتى يكون عضوا صالحاً مفيدا نافعاً لنفسه، وأهله، وبلاده. وإذا سخرت الجهود العامة في تحقيق ذلك، فسوف نرى مجتمعاً عاملاً نافعاً، وجاداً مجتهداً للصالح العام والخاص.

٧- للأسف إنني في اليوم الوطني رقم (٩٢)، وكذلك الأيام الوطنية (٨٩) و (٩٠) و(٩١) شاهدت عدداً من النساء والفتيات في بعض مدن المملكة خرجن إلى الشارع بدون غطاء رأس، مع نزع الحجاب (العباءة)، ثم صرن يلتقطن بعض الصور، ويرقصن في الشارع مع بعضهن أو بعض الرجال. وهذا السلوك لم يظهر إلا منذ بضع سنوات، وأعدادهن مازالت قليلة. وهناك بعض الرجال والنساء يشجعن مثل هذه التصرفات غير اللائقة. كما أن معظم المجتمع السعودي (نساءً ورجالاً) غير مؤيدين لهذا السلوك السلبي، والكثير من النساء والرجال انتقدوا ذلك قولاً وكتابة في العديد من وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي، وأبدوا امتعاضهم، وقالوا ليس

هـذا سلوك النساء السعوديـات، فأغلبهن محتشمات جـادات محترمات حافظات لدينهن، وحجابهن، وسلوكهن السليم المستقيم.

ومن المؤسف أيضاً رأيت مثل هـذه المظاهـر الشـاذة في مناسبات اجتماعيـة أخرى، وفي بعض (المـولات) والأسـواق والتجمعـات الكبـيرة. وأقـول مـن خـلال قـراءة تاريخ التحـولات الاجتماعيـة والسلوكية الحديثة والمعاصرة في العـالم العربي والإسلامي، ثم معاصرتـي ومعرفتي للمجتمع السعودي ومـا جرى له من تبدلات وتغيرات حضارية خلال الخمسين سنة الماضية (١٣٩٥ـ ١٤٤٤هـ/ ١٩٧٥ـ ٢٠٢٢م)، فقد خرجت ببعض التصورات والخلاصات الحضارية، واذكر بعضها في البنود الآتية :

أ ـ كانـت النساء في جنوب المملكة وغـيره يلبسن ألبسة طويلة ساترة للجسد ما عـدا الوجه يبقى مكشوفا خلال القرون الإسلامية الماضية. ومنذ تسعينيات القرن (١٤هـ/ ٢٠)، وأثناء ما عرف بـ (عصـر الصحوة) نشطت الدروس الشرعيـة والدعـوة إلى لبس الحجـاب وتغطية الوجه، ولم نصـل إلى نهاية العقـد الأول من هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) إلا معظـم النسـاء لا يخرجن من بيوتهـن إلا متحجبات، ووجوههن مغطـاة، وفي العشرينيات من القرن نفسه بـدأ النقاب ينتشر بين النساء حتى صـار السواد الأعظم من السعوديات في أرجاء المملكة يلبسن الحجاب مع النقاب[1] .

ب ـ أصـدرت الدولـة بعض الأنظمة واللوائـح التنظيمية القانونيـة والاجتماعية خـلال الثلاثينيـات من هذا القـرن (١٥هـ/ ٢١م)، ومنها السمـاح للمرأة بالعمـل في قطاعات حكومية ورسمية عديدة، وكـن سابقا لا يعملن غالبا إلا في قطاعـي التعليم والصحة، ثم صـدرت الموافقة على قيادة المرأة للسيارة، والسماح لها بالعمل، في معظم قطاعات سوق العمل (الحكومية والخاصة). وكل هذه الإجراءات الرسمية كانت في صالح المرأة ماليا، ووظيفيا، وتنمويا. وهـذه التحـولات الاجتماعيـة أوجـدت بعض التغـيرات في تركيبـة الأسرة السعودية، والعلاقة بين الرجال والنساء[2] . وكان على الدولة أن تتخذ مثل هذه القرارات الإدارية التطويرية للمجتمع السعودي[3] .

---

(١) تاريخ الحجاب، والنقاب في المملكة العربية السعودية خلال الستين سنة الماضية (١٣٨٥ـ ١٤٤٤هـ/ ١٩٦٥ـ ٢٠٢٢م) موضوع بحثي جيد، يستحق أن يدرس ويوثق في العديد من الرسائل الجامعية والكتب العلمية.

(٢) إن تاريخ هـذه التغيرات الاجتماعية لم تدرس حتى الآن في بحوث علميـة رصينة، وهي جديرة أن توثق في أعمال بحثية كبيرة وجادة .

(٣) إن بعض الـدول العربية والأجنبية، والمؤسسـات الحقوقية العالمية وغيرها بذلت مـا في وسعها، ومازالت تعمـل على محاربة السعوديـة اجتماعيا، ودينيا وحضاريـا. وتصفها بالكثير من الأوصـاف الظالمة، ليس حبـا في المملكة وشعبها، لكن حقداً وحسـداً وكراهية لهذه البلاد المقدسة، كونها المركز الرئيسي للإسلام

ج ـ إن مهندس هذه القرارات والأنظمة التطويرية الجديدة في المملكة العربية السعودية، ولي عهد البلاد، الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز آل سعود. ومن خلال أعماله وجهوده الداخلية والخارجية في رعاية بلاده وتطويرها في شتى المجالات المادية والمعنوية، ظهر الكثير من الأعداء والحساد أفراداً، وحكومات، وهيئات، ومؤسسات إقليمية وعالمية، فهي تحاربه، وتسعى إلى تشويه سمعته بكل الوسائل، والتقليل مما قدم وأجرى من تعديلات لبلاده وشعبها[1] .

د ـ إن أي تغير اجتماعي وحضاري على مستوى الأسر، والمجتمعات، والشعوب، والأمم يحدث له ردة فعل سلبية، وقيل وقال وكثرة كلام. وهذا الذي جرى ويجري في المملكة العربية السعودية مع التغيرات والإجراءات الجديدة التي أصدرتها الدولة في وزارات وقطاعات حكومية وأهلية كثيرة. وصار في المجتمع السعودي من يؤيد هذه التحولات، وآخرين يرون أنها غير سليمة، وليست في صالح البلاد. ومن يستقرئ تاريخ المملكة العربية السعودية من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م)، ويحلل الأدوار السياسية والحضارية التي مرت بها، في الداخل والخارج، ثم يكون حيادياً، وشفافاً، ومنصفاً، فإنه سوف يتأكد له الحظ والتوفيق الذي حظيت به هذه البلاد، عندما آلت الأمور إلى الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، ثم تعيين هذا الشاب المبدع (محمد بن سلمان) ليكون ولي عهده، ومهندس سياسة المملكة العربية السعودية المعاصرة. وهذا القول ليس مداهنة، أو لأسباب عاطفية، إنما هي الحقيقة. فقد سافرت وعشت في أمريكا وبريطانيا حوالي عقد من الزمان، وقرأت واطلعت على الكثير من سياسات وتواريخ الشعوب العربية والإسلامية والأجنبية، ووجدت مجيء هذا الأمير السعودي الطموح إلى دفة السلطة وصنع القرار يعد منحة من الله (عز وجل) لبلاد الحرمين. نسأل الله له الحماية، والتوفيق، والسداد لتحقيق ما يسعى إليه لخدمة دينه وبلاده وشعبه[2] والمسلمين.

(١) إن هذا الأمير الشاب دخل التاريخ من أوسع أبوابه، وصار حديث المجالس الخاصة والعامة، الرسمية والأهلية، الداخلية والخارجية. وسوف يُكتب تاريخه بشتى اللغات، وفي مجالات سياسية وحضارية عربية وإسلامية وأجنبية.

(٢) إنها فقط بضع سنوات، والأمير محمد بن سلمان آل سعود في مركز القيادة والإشراف. وقد أجرى الكثير من التعديلات والتطويرات والمراجعات السياسية والإدارية، وما فعله يحتاج إلى عشرات السنين، لكن بعزمه وإصراره وشجاعته استطاع أن يختصر كل هذه المنجزات الكبيرة في سنوات معدودة. والمؤرخون والباحثون سوف يوثقون أعماله وتاريخه القصير في مئات الدراسات والبحوث العلمية.

٨- ممــا سبــق الإشارة إليه في النقاط الآنف ذكرها، وغيرها لابد أن يجرى في المجتمع السعــودي تحــولات كثيرة، مالية، وإداريــة، وعلمية وتعليميــة، وسياحية وتطويرية، واجتماعية، واقتصادية وغيرها. ويتولد عن ذلك مساحة أوسع وأكبر من الحريات، والانفتــاح المجتمعي. وما نراه من سلوكيات عند قليل من الرجال والنساء، مثل نزع الحجاب عن الوجه والرأس للمرأة، أو الرقص للنساء والرجال في بعض المناسبات الاجتماعية أو التجمعات العامة، أو غيرها من السلوكيات الشاذة وغير اللائقة. كل هــذا واقع وسوف يستمر، وقد تزيد نسبــة مثل هذه التصرفات الاجتماعية السلبية التــي لم يألفهــا المجتمع السعــودي، وهذا التاريــخ الاجتماعي المعاصــر يحتاج إلى بعضــ الوقت حتى تنصهر كثير من إفرازاته وتغيراته، ثم يتجه المجتمع في تحولات وتشكيــلات جديدة، لكن معظم سكان البــلاد لديهم من الثقافة المجتمعية المحلية، والثوابت الدينية، والمكانة الجغرافية الإسلامية ما يجعلهم يدركون وجوب التمسك بعاداتهم وقيمهم العربية الأصيلة، حتى وإن ظهر فيهم أو منهم حالات شاذة، فذلك مــن باب الخبــث، أما ما ينفع الناس ويصلح البلاد والعباد فسوف يكون هو السائد المهيمــن على حياة النــاس العامة والخاصة. قال تعالى (كَذَلِــكَ يَضْرِبُ اللّه الْحَقَّ وَالْبَاطِـلَ فَأَمَّا الزَّبَـدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَــا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُــثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّه الْأَمْثَالَ)[1] ٠

٩- أوصــى جامعاتنــا المحليــة بكلياتهــا وأقسامها العلميــة، وطلاب دراساتهــا العليا، وأساتذتهــا أن يلتفتــوا إلى دراســة ما تحتوي عليــه البلاد السعوديــة وسكانها من تاريــخ حديث ومعاصــر في شتى الجوانب الماديــة والمعنوية، الجغرافيــة والبشرية، والمناسبات والأنشطة الاجتماعية كالأيام الوطنية وغيرها من الميادين الكبيرة التي يجــب دراسة أسبابها، وأحداثهــا، وأهدافها ونتائجها، مع إيجــاد الحلول والآليات العلمية التي تعود بالفائدة الإيجابية لخدمة الأرض والناس[2] ٠

(١) سورة الرعد، الآية (١٧) ٠

(٢) إن بلادنــا مخــزن واســع وكبير لإنجــاز الكثير من الأعمــال العلمية البحثيــة النافعة لتطويــر أوطاننا في شتــى المجــالات. ومؤسساتنا التعليمية العالية تؤدي رسالتها العلميــة والتدريسية، لكن دعم البحث العلمي وتشجيعه مازال يحتاج مزيداً من الرعاية والاهتمام المادي والمعنوي الكبيرين.



القسم الثاني

حاضرة خميس مشيط

(١٣٧٣ـ١٣٩٥هـ/١٩٥٣ـ١٩٧٥م)

(دراسة تاريخية حضارية)

القسم الثاني

حاضرة خميس مشيط(١٣٧٣- ١٣٩٥هـ/١٩٥٣- ١٩٧٥م)
(دراسة تاريخية حضارية).بقلم. أ. فوزية محمد معشي القحطاني[(١)]

(١) الأستاذة فوزية معشي القحطاني من سكان الواديين بمحافظة أحد رفيدة بمنطقة عسير، من طالباتنا المميزات بجامعة الملك خالد، حصلت على درجة الماجستير عام (١٤٣٧هـ /٢٠١٥م) في ثلاثينيات هذا القرن (١٥هـ/٢١م)، وحصلت على العديد من الدورات التدريبية الفنية والتقنية في الحاسب الآلي والإدارة المكتبية، وحسب علمي مؤخراً أنها تعيش حالياً (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م) في مدينة الرياض وتعمل موظفة في وزارة العدل. (ابن جريس) ٠

أولاً: مدخل[١]:

من يستقرئ تاريخ محافظة خميس مشيط خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة يجد أن هذا الاسم كان غير موجود، وهناك أسماء أخرى عُرفت بها بعض المواضع في هذه الناحية. فكتب المعاجم الجغرافية، ومؤلفات بعض الرحالة المسلمين الأوائل، ومصادر تراثية أخرى ذكرت مخلاف جرش، وحاضرة جرش، وذهبان، وبلاد العواسج، وديار عنز بن وائل وغيرها، وأشارت إلى العديد من العشائر والقبائل وبعض المستوطنات البشرية في هذه البلاد منذ عصور ما قبل الإسلام، والقرون الإسلامية الأولى. وقبائل خثعم والأزد وعنز بن وائل من أكثر القبائل التي ذكرتها كتب التاريخ الإسلامي المبكرة[٢]. وهناك إشارات كثيرة في كتب التاريخ والحضارة إلى شيء من الحروب والصراعات القبلية التي جرت على تراب هذه البلاد. كما أن هناك العديد من النقوش والرسومات الصخرية والآثار المادية في أنحاء محافظة خميس مشيط وبعضها يعود إلى العصر الجاهلي، والقرون الإسلامية الأولى، ولا يخلو أي مصدر من إبراز شيء من حياة الناس في هذه الديار[٣].

وقبيلة شهران صاحبة النفوذ الأكبر في محافظة خميس مشيط وما حولها، وهذه القبيلة فرع رئيسي من فروع القبيلة الأم خثعم، ومع تعاقب العصور التاريخية. وما جرى فيها من أحداث تاريخية وسياسية وحضارية جعلت القبيلة الرئيسية (خثعم) تتراجع، وتتفرق في أصقاع الأرض، وحلت قبيلة شهران محل خثعم في التوسع والشهرة والانتشار، وعلو الصيت حتى صار مصطلح (شهران العريضة) يطلق على بلادٍ كبيرةٍ وشاسعة تجاوزت محافظة خميس مشيط المعروفة حالياً إلى أوطان أبعد شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً[٤].

---

(١) هذا المدخل من إعداد ناشر الدراسة، (ابن جريس) ، وبلادة السراة الممتدة من ظهران الجنوب إلى غامد وزهران مازالت بحاجة ماسة لدراسات عميقة ورصينة في عصور ما قبل الإسلام، والقرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١ـ ق١١هـ/ق٧ـ ق١٧م). (ابن جريس).

(٢) الحديث عن قبائل خثعم التي تنتسب فيها قبيلة شهران وغيرها في عصر ما قبل الإسلام وبعده ببلاد السروات من نجران إلى الطائف موضوع كبير ومتشعب، وعنها إشارات وأحياناً تفصيلات في بعض المصادر الإسلامية المبكرة والوسيطة. وهذا موضوع، حسب علمي، لم يدرس في مجال البحث والتحليل والتوثيق، ومن يتخصص في هذا الباب فقد يطلع على معلومات جيدة، جديرة بالاهتمام والدراسة ثم الطباعة والنشر. أرجو من مؤرخي مناطق عسير، والباحة، والطائف، أن يهتموا بهذا الموضوع التاريخي فهو مجال خصب لمن رغب في دراسته وتوثيقه.

(٣) هذا الذي شاهدته وعرفته وأنا أسير في مناكب السروات وتهامة من ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٤ه / ٢٠٢٣م). آمل أن تقوم جامعات السروات (الملك خالد، وبيشة، والباحة، والطائف) بإنشاء كليات آثار تهتم وتدرس نقوش، وتراث، وآثار هذه الأوطان المعنوية والمادية السطحية والمدفونة.

(٤) إن الحديث عن تاريخ وحضارة قبيلة خثعم أولاً، ثم شهران العريضة ثانياً يحتاج الدراسة والبسط في مئات

أمـا محافظـة خميس مشيط، أو بـلاد الخميس، أو مدينـة الخميس فجميعها مصطلحـات حديثة، وأخذت هذا الاسم مـن سوقها الأسبوعي (سوق الخميس)، ومر هـذا السـوق بالعديد مـن المصطلحات مثل: سوق خميس شهران، نسبـة إلى القبيلة، وسـوق موجان لشـدة ازدحامه ونشاطه التجـاري، وسوق ابن حمـدان نسبة إلى إحدى الأسر الشهرانية في نهاية العصر الإسلامي الوسيط، وبداية العصر الحديث، ثم أسرةٍ آل مشيـطٍ التي نزحـت من سروات قحطان إلى سراة شهران قبـل ثلاثة قرون تقريباً، وتدريجيـاً ذاع صيـت هذه الأسـرة، وعلا مجدها حتـى أصبحوا شيـوخ قبيلة شهران، وصـار سوق خميس موجـان أو شهران يعرف بـ (سوق خميـس مشيط)، فالسوق بقي يعقـد أسبوعياً كل يوم خميـس، واشتهر السوق باسم جد الأسرة (مشيط)، ومع مرور الزمـن، وما جرى علـى البلاد من تحولات تاريخية وحضاريـة استطاع أعلام أسرة آل مشيـط وشيوخ قبيلة شهـران أن يثبتوا جدارتهم في ضبط الحيـاة القبلية والإدارية في أوطانهـم، وأن يكونوا علـى علاقات حسنة مع القوى السياسيـة التي مدت نفوذها على بـلاد السروات وتهامـة منذ بدايات القـرن (١٣هــ/١٩م)، وبالتالي صـاروا الواجهة الرئيسيـة في ديارهم. واتسع اسم سوق الخميس حتى أصبح يطلق على اسم القرية، أو بلدة ثم مدينة الخميس. ومرت هذه الحاضرة أيضاً بالتحولات التي مر بها السوق، مثل خميـس شهران على عموم القرية ثم المدينة حتى استقر الاسم على مدينة ثم محافظة خميس مشيط، نسبة إلى جد أسرة آل مشيط الأول[1] .

إن الحديث عن بلاد أو محافظة خميس مشيط يحتاج إلى تفصيلات أكثر وبخاصة في أوضاعهـا السياسيـة والعسكريـة والاجتماعية والاقتصاديـة والحضارية، بل عموم محافظـات السرويـة وتهامة تستحق هـذا الاهتمـام والعناية العلميـة والبحثية. وهذه الدراسة: **حاضرة خميس مشيط (١٣٧٣-١٣٩٥هـ/١٩٥٣-١٩٧٥م)**، رسالة علمية جامعيةٍ قامـت بهـا إحدى طالباتنا الجيـدات عام (١٤٣٧هـ/٢٠١٥م)، وقـد بذلت فيها جهداً مبـاركاً، ورأيت أن أعيد النظر فيها، وأحذف بعض الجزئيات الثانوية مثل الديباجات

الصفحـات. واعلم أن هناك أكثر من رسالة علمية جامعية داخـل شبه الجزيرة العربية وخارجها درست ووثقت تاريخ قبيلة خثعم قبل الإسلام وبعده. وهناك بعض الكتب والدراسات الحديثة ناقشت صفحات من تاريـخ قبائل شهران، لكن حتى هذه اللحظـة، لم أطلع على دراسة جادة وعميقة ورصينة وشفافة وحيادية عن هذه القبائل وبخاصة قبيلة شهران العريضة بفروعها السروية والتهامية.

(١) اختصـرت الحديـث في هذا التـدرج والتحول التاريخـي لاسم (خميـس مشيط) على المدينـة أو السوق الأسبوعي. مـع أن الموضوعـين يستحقـان أن يدرسا في بحثين أو كتابين مطولـين. والأستاذ عبد العزيز بن سعيـد بن مشيط أصدر كتابـاً عن والده الشيخ سعيد بن مشيط وعن نفسـه، وذكر فيه بعض التفصيلات عن جده مشيط وأسرته منذ نزوحها من بلاد قحطان إلى بلاد شهران، وفصل الحديث عن بعض أجداده وآبائه الذين تولوا المشيخة العامة على قبائل شهران، ومازالت فيهم حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م).

والمقدمات والشروحات الزائدة، كما أنني غيرت مصطلح (مدينة) إلى (حاضرة خميس مشيط)، لأن الفترة التي درستها الطالبة (١٣٧٣ـ ١٣٩٥هـ/١٩٥٣ـ ١٩٧٥م)، بدأت بلدة الخميس ثم المدينة تخرج من حيز المحدودية في مساحتها، ونموها السياسي والحضاري إلى عالم أوسع وأرحب حتى أصبحت تعرف باسم (محافظة خميس مشيط) وتشمل مدينة الخميس ونواحي، وقرى ومراكز كثيرة ومتباعدة ومتنوعة في أرضها وسكانها وتنميتها الحضارية[1] .

ثانياً: مقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وخاتم المرسلين، سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد. فإن مدينة خميس مشيط تشكل النطاق المكاني لهذه الدراسة، حيث تقع في قلب منطقة عسير جنوب المملكة العربية السعودية، ولها أهميتها الكبرى؛ لتبوئها المركز التجاري والصناعي الأول في منطقة عسير، والرابع على مستوى المملكة العربية السعودية.

والمتتبع لتاريخ مدينة خميس مشيط، يجد أنها كانت تتكون من قريتين صغيرتين، عند ملتقى وادي عتود بوادي بيشة، تعرف الأولى بقرية قمبر، والثانية بالدرب، وقد عُرفت مدينة خميس مشيط باسم: (خميس شهران)؛ نسبة لسكانها الذين ينتمون إلى قبيلة شهران، وكان يقام بها سوق تجاري يوم الخميس من كل أسبوع، ويحضره عدد كبير من سكان منطقة عسير، وبلدان نجد، وقبائل شرق عسير، والحجاز، وغيرها من البلدان شمالا وجنوبا. وبعد أن انتقلت مشيخة قبيلة شهران إلى آل مشيط، أصبح يطلق عليها اسم: (خميس مشيط)، حيث حمل السوق الاسم نفسه، وقد تعزز موقعها التجاري في العهد السعودي الزاهر؛ فاحتلت المركز الأول تجاريا وصناعيا في المنطقة الجنوبية.

وقد سجل التاريخ الحديث أهمية خميس مشيط، كموقع للانطلاق العسكري عند تأسيس المملكة، وتوحيد البلاد على يد القائد المؤسس الملك عبد العزيز، ولهذا كان لافتتاح مدينة الملك فيصل العسكرية في عام (١٣٩١هـ/١٩٧١م) دور في انتعاش الحركة الاقتصادية والعمرانية، وازدياد أعداد السكان فيها، وتوسع أحيائها، وانتشار

---

(١) المفروض أن الرسالة في البداية تسمت باسم (حاضرة) وإن وثقت باسم (محافظة)، فذلك جائز. لأنها تحتوي على معلومات شملت جزئيات عديدة في محافظة خميس مشيط. نعم جل مادة الرسالة ركزت على مدينة خميس مشيط، لكن التسمية التي وثقتها في هذه الدراسة المطبوعة والمنشورة قد تكون أفضل من مفردة (مدينة). ومازالت محافظة خميس مشيط وغيرها من محافظات منطقة عسير (سراة وتهامة) تحتاج إلى دراسات علمية توثيقية جادة، أرجو من قسم التاريخ في جامعة الملك خالد أن يوجه طالباته وطلابه في برامج الدراسات العليا إلى دراسة تاريخينا وموروثنا وحضارتنا المحلية. (والله من وراء القصد) .

المدارس والمراكز الصحية فيها. كما أولت الدولة اهتمامًا كبيرًا بمدينة خميس مشيط، حيث عملت على النهوض بالجوانب الإدارية، والتعليمية، والصحية، كما أقامت المنشآت العسكريـة؛ مما كان له عظيم الأثـر في نموها واتساعها، وتحولهـا إلى مركز حضاري مهـم، يحوي مختلف النشاطات الاقتصادية، والصناعيـة، والزراعية، والتجارية، وقد نتج عن ذلك توسع المدينة تجاريًا، وعمرانيًا، واقتصاديًا، واتساعها جغرافيًا، وسكانيًا؛ حتـى أضحت من كبريات المدن في المملكة، وترتب على ذلـك تغير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للسكان في المدينة.

ومن هنـا برزت أهمية وجود دراسة علمية تاريخية، تتناول مدينة خميس مشيط بشيء مـن التفصيل، وذلك بتتبع تاريخها وتطورها الحضاري، في الفترة من (١٣٧٣- ١٣٩٥هـ/١٩٥٣- ١٩٧٥م)، وكيف قفزت بسرعة إلى مصـاف المدن الرئيسية، بعد أن كانـت مجموعة من القـرى المتناثرة، ومن هنا فـإن أسباب اختيـار الموضوع ترجع إلى النقـاط التاليـة: (١) عدم وجـود دراسة علمية تتنـاول تاريخ وحضـارة مدينة خميس مشيـط. (٢) إلقاء الضوء على ما طـرأ على الهيكل الإداري من تطور في مدينة خميس مشيط. (٣) تتبع مجالات التطـور والتنمية في مختلف الجوانب العسكرية، والتعليمية، والصحيـة، وفي مجال المواصـلات والاتصالات في مدينة خميس مشيط. (٤) إبراز أثر التنميـة والتطور الحضـاري على التغير الاقتصادي والاجتماعـي في المدينة. كما ترمي هـذه الدراسـة إلى عدة أهداف وهـي: (أ) إعداد دراسة تاريخيـة حضارية عن مدينة خميس مشيط خلال فترة الدراسة. (ب) رصد شامل لمسيرة التطور والتنمية في حاضرة خميس مشيط. (ج) التاريخ للإنجازات التي قامت بها الدولة في مدينة خميس مشيط خـلال فترة الدراسة. (د) بيان أثر التنميـة والتطور في التغير الاجتماعي والاقتصـادي في بلاد خميس مشيط.

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التاريخي التحليلي، وذلك بجمع المادة العلمية من مظانها الأصلية، ومن ثم دراستها وتحليلها؛ بهدف الوصول إلى النتائج العلمية المرجوة من هذه الدراسة. وقمت بتقسيم هذه الدراسة إلى :

١- تمهيد تطرقت فيه إلى النطاق الجغرافي لمدينة خميس مشيط، وسبب تسميتها بهذا الاسم، إضافـة إلى الحديث عن كيفية دخول خميس مشيط تحت الحكم السعودي سنة (١٣٣٨هـ/١٩٢٠م).

٢- اختص الفصـل الأول بالحديث عن التطـور الإداري في حاضـرة خميس مشيط، في ستـة محـاور، الأول يتعلق بمركز الإمـارة، والثاني بالقضـاء، والثالث بالبلدية،

والرابع بالأحوال المدنية، والخامس بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأخيراً المساجد والأوقاف.

٣- تضمن الفصل الثاني موضوع المؤسسات العسكرية في خميس مشيط في محورين، اختص الأول بالمنشآت العسكرية الجوية والبرية، والثاني ببعض المؤسسات الأمنية، الشرطة، والدفاع المدني، وإدارة السجون.

٤- أما الفصل الثالث فقد خُصص لدراسة المؤسسات الخدمية في حاضرة خميس مشيط في أربعة محاور: النهضة التعليمية، والرعاية الصحية، والمواصلات والاتصالات، والمياه والكهرباء.

٥- الفصل الرابع والأخير تم التركيز على أثر التنمية على التغيير الاجتماعي، والتغيير الاقتصادي، ثم ذُيلت الدراسة في آخرها بالخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع.

أما مصادر الدراسة فقد رجعت الباحثة إلى العديد من الكتب الخاصة بمنطقة عسير، ومدينة خميس مشيط، وكتب تاريخ المملكة العربية السعودية بصفة عامة، بالإضافة إلى الوثائق العربية المنشورة وغير المنشورة، وقامت الباحثة بالزيارات الميدانية العلمية لجميع الدوائر الحكومية بخميس مشيط، وزيارة المراكز التابعة للمحافظة، وأيضا زيارة العديد من المدارس والمستشفيات والمراكز الصحية، والمؤسسات الأمنية (الشرطة، الدفاع المدني، إدارة السجون)، بالإضافة إلى زيارة مدينة الملك فيصل العسكرية، وقاعدة الملك خالد الجوية، للحصول منهم على خطابات رسمية وموثقة، تفيد بمعلومات تاريخية حضارية عن مدينة خميس مشيط خلال فترة البحث، وأمضت الباحثة فترة في مراسلتهم بالمتابعة والاتصالات المستمرة، وأغلب هذه الدوائر الحكومية بادرت مشكورة بالرد، ومنهم من لم يظهر اهتماماً ولم يرسل أي شيّ.

كما اعتمدت الباحثة على المصادر الشفهية، سواء كان عن طريق عمل مقابلات شخصية مع كبار السن في خميس مشيط، أو الاتصال على كل من لديه معلومة تفيد الدراسة، من أجل الوصول للحقيقة، واستفادت الباحثة من الكتب والمطبوعات التي أصدرتها الوزارات الحكومية، والأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، وكان للصحف والجرائد والمجلات أهمية لهذا البحث، خاصة صحيفة أم القرى الرسمية،إلى جانب جريدة البلاد، وجريدة المدينة، وجريدة الندوة، وغيرها.

ثالثاً : لمحة جغرافية تاريخية عن مدينة خميس مشيط:

تقـع مدينة خميس مشيط في الجزء الجنوبي الغربي من المملكة العربية السعودية، في قلب منطقة عسير[١]، عند بداية السهول الشرقية لجبال السروات[٢]، وهي تبعد عن مدينــة أبها بنحو (٢٧)كم تقريبا إلى الشـرق، ويبلغ ارتفاعها عن مستوى سطح البحر بين (١٧٠٠ ــ ٢٢٥٠م) تقريبا، وتقع المدينة بالنسبة لخطوط الطول والعرض بين خطي طول (٤٢،٤٥ و ٤٣،٢٠) شرقا، وبين خطي عرض(١٨،٢٠ و١٩،٧) شمالا[٣].

ومدينة خميس مشيط هي حاضـرة شهران[٤]، وهي العاصمة الإدارية للمحافظة، المسماة باسمها: (محافظة خميس مشيط)، والتابعة لإمارة منطقة عسير[٥]؛ وتشترك في حدودهــا الإداريــة مع عدد من المحافظـات[٦]، حيث تمتد من حـدود محافظة أحد رفيـدة[٧] في الجنــوب، إلى حدود محافظة بيشة[٨] والنماص في الشمال، كما تمتد من

(١) يطلق اسم عسير على المنطقة التي تقع غرب الجزيرة العربية، وتحديدا في جنوب الحجاز وشمال اليمن، ويحدهــا شمالا بلاد غامــد وزهران، وجنوبا منطقة نجران، وشرقا صحــراء الربع الخالي، وغربا ساحل البحر الأحمر. وللمزيد انظر: وهبة، حافظ، جزيرة العرب في القرن العشرين، دار الآفاق العربية، بيروت، ط٣، ١٣٧٥هـ، ص٣٦؛ النعمي، هاشم بن سعيد، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، الرياض،(١٤١٩ هـ-١٩٩٩م)، ص١٥.

(٢) جبــال السروات يطلق عليها أيضا جبــال الحجاز، وهي البلاد الممتدة من اليمن حتى بلاد الحجاز. انظر: فيلبي، هاري سانـت جون، تعريب حسن مصطفى، مرتفعات الجزيرة العربية، مكتبة العبيكان، الرياض، (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)،ج١،ص٢٤٤.

(٣) آل طالــع، عبـد الكريم عائض، قبيلة شهران بين الماضي والحاضر بحـوث تاريخية وجغرافية واجتماعية، منشورات نادي أبها الأدبي، د.ت، ج ١، ص١١٦.

(٤) قبيلــة شهــران تنتسـب إلى قبائـل خثعـم، ومــن ثـم إلى قحطــان، يحدهــا مــن الجنــوب رفيــدة وعسـير، ومــن الغــرب بنــو مغيـد مــن عسـير، وبنــو شهــر، وبنــو عمــرو، وبللحمــر، وبلقــرن، وبللسمــر، ومــن الشمــال الشــلاوة وسبيــع، ومــن الشــرق تحدهــا القبائــل القحطانيــة. انظــر : آل طالع، قبيلة شهران بين الماضي والحاضر، ج١، ص ٣٦.

(٥) انظر: ملحق رقم (١)، خريطة توضح موقع محافظة خميس مشيط بالنسبة إلى منطقة عسير.

(٦) الفيفــي، أحمــد بــن حسن، مخطط النطــاق العمراني ودوره في نمــو مدينة خميس مشيــط، رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الماجستير بجامعة الملك خالد، ١٤٣١هـ، ص ٧٨.

(٧) أحــد رفيــدة: تقع على الطريق الذي يربط بين الخميس ونجران جنــوب خميس مشيط، وتبعد عنها بنحو (١٥) كم تقريبا إلى الجنوب، وتعد من المناطق الرئيسة في بلاد قحطان. انظر: الحربي، علي بن إبراهيم، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية منطقة عسير، د.ن ، (١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ج١، ص١٥٤.

(٨) بيشــة: تقع على الحدود الشمالية الشرقية لمنطقة عســير، يحدها جنوبا الحدود الإدارية لمنطقتي خميس مشيط والنماص، وشمالا رنية، وشرقا تثليث، وغربا منطقة سبت العلايا ومنطقة الباحة. انظر: الحربي، المعجم الجغرافي، ج ١، ص ٢٧١.

حـدود محافظة تثليث[١] شرقا، إلى حدود عدد من المراكز التابعة لأبها في الغرب[٢]، بـ مسافة(١٣٠) كم تقريبا[٣].

لم تكن مدينة خميس مشيط سوى عدة قرى مبانيها من الطين، ومن هذه القرى: (الدرب، وقنبر، والمثناة، والعرق، وذهبان، والغرابة)، وغيرها[٤]، وقد كان لهذه القرى في ذلك الوقت – أحياء الخميس حاليا- أهمية خاصة، فقرية ذهبان كانت تعد عاصمة الخميس- إن صح التعبير- ففيها مقر آل مشيط[٥]، كما اشتهرت بمستودعات تخزين الحبوب «المدافن» وبخصوبة الأرض ووفرة المياه، وهناك العرق مقر الشيخ عبد الوهاب أبو ملحة[٦]، ومسكنه فيه، حيث كانت هاتان القريتان قبلة للناس، ويكثر زوارهما[٧].

يعـد اسم (خميس مشيـط) الاسم الشامل، بعد أن أصبحـت مدينة ضمت الكثير مـن القـرى تحت هذا الاسم، أمـا ما سبق من الأسمـاء مثل خميس بن حمـدان[٨]، أو

---

(١) تثليث: تقع شمال شرق أبها، حيث تبعد عنها بمسافة (٢٣٠) كلم تقريبا، وتربطها بالمناطق المجاورة طرق مسفلتة،منهـا: طريـق أبها- الرياض، وطريقا بيشة ـ ونجران. انظـر: العمروي، عمر بن غرامة، منطقة تثليث وما حولها عبر العصور، دار الطحاوي، الرياض، (١٤٢٤هـ)، ص ٤٣.

(٢) مـن المراكز التابعة لأبها من الجهـة الغربية، التي تشترك في الحدود الإدارية مع محافظة خميس مشيط، مراكز بللسمر وبللحمر. انظر: الخثعمي، مسفر بن سعد، خميس مشيط دراسة توثيقية، مطابع السروات، جدة، (١٤٢٩هـ)، ص ٢٨.

(٣) ابن معبر، محمد أحمد، خميس مشيط سيرة رجل وتاريخ مدينة، د ن، (١٤٣٢هـ/٢٠١١م)، ص ٥؛ انظر: ملحق رقم (٢)، خريطة توضح التقسيم الإداري لمحافظة خميس مشيط.

(٤) مثـل: الصمدة، وآل قصال، والهرير، وآل هميلة، والرونـة، وطيب الاسم، وعتود. انظر: ابن مشيط، عبد العزيز بن سعيد، الشيخ سعيد بن عبد العزيز بن مشيط، شيخ شمل قبائل شهران في ذاكرة التاريخ، دار ابن حزم، الرياض،(١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ص ١١٨.

(٥) أسرة آل مشيط من أشهر الأسر في المنطقة، وتنتمي إلى قبائل شهران التي تعد خميس مشيط حاضرتها، وتنحـدر من قبيلة آل رشيد، ومما تجدر الإشارة إليه أن آل مشيط قد رحلوا من موطنهم الأصلي في نهاية القـرن الثامن عشـر الميلادي من الحمرة، وهي بلدة صغيرة من بلاد قحطـان قرب ظهران الجنوب، إلى بـلاد شهران قرب وادي بيشة، ولا شك أن هـذه الأسرة اشتهرت شهرة واسعة، ويشهد التاريخ لهم بذلك. للمزيد انظر: ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص ص ٣٩ – ٤٣.

(٦) هـو عبـد الوهـاب بن محمد بن علـي بن سلطان بن مفلـح بن على أبو ملحـة، ينتسـب إلى قبيلة الرشدة الحبابيـة القحطانيـة، مـن بلدة الحمـرة القريبة من ظهـران الجنوب، عينـه الملك عبـد العزيز في عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م رئيسـا لماليـة أبها وملحقاتها، وفي عـام (١٣٥٩هـ/١٩٤٠م) ضم لـه الملك عبد العزيز جميـع ماليات المنطقة الجنوبية، وبقي في منصبه حتى وفاته عام(١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م). انظر: ابن جريس، غيثـان بن علي، عبـد الوهاب أبو ملحة في جنوبـي البلاد السعودية (١٣٤٠- ١٣٧٤هـ /١٩٢١- ١٩٥٤م) دراسة تاريخية وثائقية، مطابع الحميضي، الرياض، (١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م)، ص ٣٠.

(٧) جفشر، سعيد عبد الله، مذكرات تاريخية شفهية غير منشورة عن مدينة خميس مشيط، (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)، ص١.

(٨) خميـس بن حمـدان: سميت بهذا الاسم نسبـة إلى سوقها الذي كان يقام كل يـوم خميس، وحمدان نسبة إلى أسـرة آل حمـدان من آل رشيد من قبيلة شهران الخثعمية. انظـر: آل طالع، قبيلة شهران بين الماضي والحاضر، ج١، ص ١٨، ١٩.

خميس شهران[١]، فقد كانت مرتبطة بالسوق، وليس اسما لمدينة، وقد ثبت اسم (خميس مشيط) كمدينة منذ دخول منطقة عسير تحت مظلة الحكم السعودي عام ١٣٣٨هـ/١٩١٩م[٢].

ذكر المؤرخ هاشم النعمي خميس مشيط في كتابه فقال: «يطلق اسم خميس مشيط على وجه التخصيص على السوق المعروف بخميس مشيط، نسبة إلى مشيط بن سالم جد الأسرة التي تعاقبت على منصب مشيخة شهران، وعلى وجه العموم يطلق على عدة قرى قائمة على عدوتي وادي عتود ووادي بيشة، ويرجع تأسيسه إلى العهد السعودي الحالي»[٣]، كما وصفها المؤلف فؤاد حمزة قديما في كتابه فقال: «كانت في ذهني صورة للخميس لم أجدها مطابقة للأصل حينما بلغتها، سمعت بالخميس منذ سنوات، وتصورتها مدينة كبيرة، فسيحة الأرجاء، واسعة العمران، معتدلة الإقليم، لأنها كانت تتخذ مركزا للمعسكرات كلما حصل النفير إلى جهة الحدود اليمانية، وإلى جهة تهامة، فحينما وصلتها لم يحقق الخبر الخُبر، نعم وجدتها معتدلة الهواء، قائمة على سهل منبسط، تبعد عن الجبال مسافات كافية، ولكن لم أجدها المدينة العظيمة التي رسمها الخيال في ذاكرتي»[٤]، وقال الرحالة موريس تاميزيه[٥] عن خميس مشيط: «لم أشاهد منذ تركنا الطائف مثل هذا التجمع الكبير في المنازل وفي الجبال، نظرنا أسفل، فاكتشفنا وجود نهر جاف، وعمق السطح مقدار قدم، والماء نقي جدا من الدرجة الأولى، وحوض خميس مشيط يبدو مخضرا مغطى بالقرى، حيث إن أكثرها كثافة سكانية وأهمية، تمتد في السلسلة الجنوبية، ويوجد في هذا الجانب ستة حصون، يمكن أن نطلق عليها قلاعا بسبب حجمها»[٦].

---

(١) خميس شهران: سميت بهذا الاسم نسبة إلى سوقها الذي كان يقام كل يوم خميس، وشهران نسبة لقبيلة شهران الخثعمية. انظر: آل طالع، قبيلة شهران بين الماضي والحاضر، ج١، ص ١٨، ١٩.

(٢) جفشر، مذكرات تاريخية، ص ١.

(٣) النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ص ٢٨.

(٤) حمزة، فؤاد، في بلاد عسير، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، ص ٧٣.

(٥) موريس تاميزيه: رحالة فرنسي، من الرحالة الأوروبيين الذين زاروا الجزيرة العربية، فقد رافق الحملة المصرية التي أرسلها محمد علي باشا إلى الجزيرة العربية، وصل للجزيرة العربية عام ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م، كان ملما باللغة العربية قبل وصوله للجزيرة العربية، وقد زار الحبشة في عام (١٢٥٢هـ/١٨٣٦م)، وكتب عن رحلاته في هذه البلدان في كتابه (رحلة في بلاد العرب ورحلة في بلاد الحبشة). انظر: تاميزيه، موريس، ترجمه وعلق عليه: محمد بن عبد الله آل زلفة، رحلة في بلاد العرب، الحملة المصرية على عسير (١٢٤٩هـ/ ١٨٤٣م)، د.ن، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ص ص١٥، ١٦؛ العسكر، عبد الله بن إبراهيم، رحلات الغربيين إلى الحجاز، جريدة الرياض، (١١/٢/٢٠٠٢م)، ص ١.

(٦) تاميزيه، رحلة في بلاد العرب، ص ٢٧٤.

ارتبطت المدينة من حيث الاسم باسم سوقها التجاري الأسبوعي القديم، المعروف باسم: (سوق خميس مشيط)، الذي كان يعقد كل أسبوع في يوم الخميس، بين قريتي الدرب وقنبر، كما ارتبط اسمها بأسرة آل مشيط، الذين تكفلوا بحماية السوق منذ عام(١١٨٣هـ/١٧٦٩م) [١] قبل قيام الحكم السعودي، بدءاً بالجد مشيط[٢]، ثم ابنه علي[٣]، ثم ابنه حسين[٤] ثم ابنه عبد العزيز[٥]، ثم الشيخ سعيد بن مشيط[٦].

أطلق العامة على السوق في ذلك الوقت اسم (موجان)؛ تشبيها له بموج البحر حينما يعج بالناس، وكان قديما مبان طينية ومظلات خشبية، أما الآن فهو مبان حديثة منسقة، وأصبحت كل أيام الأسبوع أسواقا مفتوحة بمدينة خميس مشيط[٧]، كان السوق يعقد كل يوم خميس لتسويق المنتجات، وللمبادلات التجارية، ويتم فيه الإعلان عن القضايا بين القبائل، مثل عقد الصلح، وعرض الخلافات، والصراعات بين القبائل، ودفع الديات، إضافة إلى إلقاء المواعظ والشعر، وكان المتسوقون فيه من جميع القبائل في منطقة عسير، وتباع فيه الأغنام، والإبل، والبقر، والحبوب بأنواعها، والأسلحة البيضاء والنارية، وفي السوق العديد من أهل الحرف الذين كانوا يصنعون جميع ما يحتاجه رواد السوق من أدوات منزلية، أو زراعية، أو سيوف، أو خناجر، أو مشغولات فضية، حيث كان الذهب نادر التداول في تلك الفترة[٨]. ويتضح للباحثة مما سبق أن الأرض الزراعية الخصبة،

---

(١) الحربي، المعجم الجغرافي، ج٢، ص ٦٣١.

(٢) مشيط سالم بن حسين بن إبراهيم بن سعد بن مصلح بن علي الغنومي الرشيدي الشهراني، كان يتميز بالذكاء والفطنة، متمتعا بثقة أمير عسير آنذاك علي بن مجثل. انظر: ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص ٤٤.

(٣) تولى علي بن مشيط قيادة شهران، وحماية السوق بعد وفاة والده الشيخ مشيط بن سالم، وعرف بالتقوى والصلاح، ومن الأعمال التي قام بها بناؤه قصرا في نعمان، وهي قرية قديمة من قرى شهران، وحاليا تعد جزءا من خميس مشيط، وبنى بجوار القصر مسجدا جامعا. انظر: ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص ٤٥.

(٤) تولى حسين بن علي القيادة بعد وفاة والده الشيخ علي بن مشيط، كان يتمتع بحسن الرأي، كما اشتهر بعدائه للأتراك، وكانوا يخافونه، فقاموا باعتقاله وإرساله إلى الحديدة، وحكموا عليه بالسجن المؤبد فيها، ثم تم نفيه إلى إسطنبول ثم إلى يانيا، وتوفي هناك، انظر: ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص ص٤٥، ٤٦.

(٥) تولى الشيخ عبد العزيز بن حسين مشيخة شهران وحماية السوق، عندما علم بوفاة والده في المنفى، وقد انتقل الشيخ عبد العزيز من نعمان إلى ذهبان، ومن الأعمال التي قام بها بناؤه للقصر الذي عرف باسم (مشرف). انظر: ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص ٤٨.

(٦) سعيد بن عبد العزيز بن حسين بن علي بن مشيط بن سالم الغنومي الرشيدي الشهراني، ولد في قرية ذهبان عام (١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م)، يكنى بأبي محمد، وكان يلقب نفسه بالواثق بالله، تميز بصفات أهلته لمشيخة قبائل شهران، من مشاركاته الحربية في عهد الملك عبد العزيز حملة الأمير فيصل ضد ابن عايض، وحصار جدة عام(١٣٤٣هـ/١٩٢٥م)، كما شارك في غزوة الحديدة في اليمن عام (١٣٥١هـ/١٩٣٢م)، بالإضافة إلى غزوة القهر وباقم، توفي عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) عن عمر يناهز مئة وعشرة أعوام تقريبا. انظر: ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص ص ٩١– ١٠٢.

(٧) الحربي، المعجم الجغرافي، ج ٢، ص ٦٣١.

(٨) جفشر، مذكرات تاريخية، ص ٢.

وموارد المياه المتعددة، من أحد أهم الأسباب التي أدت إلى تطور المدينة، حيث نشأت على ضفـاف مجرى وادي بيشة؛ ممـا أدى إلى زيادة عدد سكانها، واتسـاع كتلتها العمرانية، وزيادة الأنشطة الاقتصادية تبعا لذلك.

تقـع مدينة خميس مشيط في المنطقة الجبليـة المعروفة بمنطقة السراة، ويقع جزء منها في المنحـدرات الشرقية، حيث السهـول الفسيحة[١]، تكسوها الأعشـاب والأشجار، وتتخللها مجموعة من الجبال والهضاب والتلال[٢]، التي تتكون من صخور الجرانيت، والحجر الأخضر المتحـول من الصخور الرسوبية، التي تظهـر في أجزائها الشماليـة، والشمالية الغربية، كما تتكون على امتداد مجاري الأودية صخور رسوبية؛ الأمر الذي أدى إلى وجود تربة خصبة[٣].

يتخلـل المدينة عدد من الأوديـة التي تتميز بتربتها الخصبة، حيث تملأ الإرسابات المكونـة مـن الطـين والطمي والرمـال والحصى بطـون الأودية، وتظهر علـى جوانبها، وترسبـت هـذه التربة عـن طريق ميـاه السيول المتدفقة مـن المرتفعـات الجبلية، ومن الأوديـة التي تكثر بها هـذه الإرسابات، ويشكل الطمي نسبة كبـيرة من الإرسابات،كما تشكل التربة الغرينية نسبة كبيرة في المناطق السفلى من الأودية، ومن خصائصها أنها رواسب ناعمة، تشتمل على الطمي، والرمال، والصلصال[٤]. ولعل من أهم تلك الأودية التي تخترق مدينة خميس مشيط: وادي بيشة، ووادي عتود [٥]، وقد أقيم على بعض هذه الأودية عدد من السدود لحفظ مياه الأمطار[٦].

بعد خروج العثمانيين من عسير عام (١٣٣٦هـ/ ١٩١٩م)، واستقلال الأمير حسن بـن عائض[٧] بحكمها، أصبحت الأوضاع في عسير متدهورة؛ نتيجة الصراع المحلي بين

---

(١) ابن معبر، خميس مشيط، ص ٥.

(٢) النحاسـ، أحمد مصطفـى، الاستخدامات التجارية بمدينة خميس مشيـط دراسة جغرافية في استخدام الأرض، الحضري، الكويت، الجمعية الجغرافية الكويتية، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م ، ص ٢٩.

(٣) النحاس، الاستخدامات التجارية، ص ٦.

(٤) القاضـي، حنـان عبد الهادي، الأنشطـة الاقتصادية وأبعادها المكانية في مدينـة خميس مشيط، دراسة في الجغرافيـا الاقتصاديـة، رسالة علمية مقدمـة لنيل درجة الدكتـوراة في الجغرافيا بجامعـة الملك خالد، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص٥٦.

(٥) الخثعمي ، خميس مشيط ، ص٣٠.

(٦) هناك سد وادي عتود، وهو داخل المدينة، ويقع خلف منزل الأستاذ عبد العزيز بن مشيط إلى الغرب. زيارة ميدانية قامت بها الباحثة لسد وادي عتود، يوم الخميس، بتاريخ (١٤٣٦/٧/٤هـــ ٢٠١٥/٤/٢٣م).

(٧) حسـن بن عائض،هـو آخر أمراء أسرة آل عائـض، قام بمبايعة الإدريسي عندما دعـا لتأسيس حركته في صبيـا عام(١٣٢٦هــ/ ١٩٠٨م)، التي كان هدفها تكفير العثمانيـين، وطردهم عن البلاد، فأجابته الكثير مـن القبائل، وحاصروا مدينة أبها، ولكن حسنـا لم يستمر معهم؛ فقد تحول ولاؤه إلى الشريف حسين بن علـي، عندما قدم هذا الأخـير من مكة ودخل أبها ،فكافأه الشريف بأن جعلـه معاونا للمتصرف العثماني عليهـا، وبعدما رحـل العثمانيون عنها بعـد الحرب العالميـة الأولى، انفرد بالحكم. انظـر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ج٢، ص ٢٠٧.

آل عائض[١] في أبها، والسيد محمد علي الإدريسي في جازان كما أصبحت هدفا لأطماع كل من شريف مكة (الشريف حسين في الحجاز)، وإمام اليمن يحيي حميد الدين في الجنوب، كما ازداد الخلاف بين حسن بن عائض، وبعض القبائل المهمة في المنطقة[٢]؛ فاشتكى زعماؤها إلى الملك عبد العزيز تصرفات أميرهم حسن بن عائض[٣].

كانت أولى الرسائل المرسلة إلى الملك عبد العزيز من قبل مشايخ منطقة عسير، رسالة من الشيخ سعيد بن مشيط بتاريخ ٢٤ذي الحجة(١٣٣٧هـ/١٩١٩م)، يشتكي إليه القبائل المعتدية، ويستنكر فعلتهم، ويطلب مقاضاتهم، ويُذَكّر ابن مشيط في رسالته إلى الملك عبد العزيز بما يربط بين آل سعود وآل مشيط من علاقات قديمة، كما يؤكد الشيخ سعيد بن مشيط في رسائله ولاءه للملك عبد العزيز، وأنه هو الشخصية الصالحة لقيادة هذه البلاد[٤].

من الملاحظ أن هذه الرسالة تدل على أن المراسلات بين الطرفين كانت متبادلة قبيل دخول عسير في حكم الملك عبد العزيز، كما تؤكد الرسالة أن الإمام عبد العزيز كان على اتصال بمشايخ القبائل في عسير؛ مما يدل على بعد نظره، وفراسته في ذلك. ومن الواضح أن الملك عبد العزيز لم يكن راضيا عما قامت به بعض القبائل من اعتداء وسلب ونهب، والذي يؤكد ذلك: الرسالة التي أرسلها الشيخ سعيد بن مشيط إلى الأمير عبد الرحمن بن ثنيان (أمير بيشة)، وهي غير مؤرخة، لكن يبدو من مضمونها أنها كتبت عام (١٣٣٨هـ/١٩٢٠م)، حيث ذكر فيها ابن مشيط: " الخطوط الذي أرسلتوا عندي وعند الأمير حسن، وهي من الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود، وتعرف أنها رد جواب لخطوطنا الذي أرسلناه إليه، وذكر فيها من جهة ما صار على... ـ هنا إشارة إلى التعديات التي حصلت على إحدى قبائل شهران سنة (١٣٣٧هـ/١٩١٩م)، وذكر أنه قد أرسل على جميع رعاياه الشيخ عبد الله بن راشد[٥]، ومن معه، ينبهون

---

(١) حكمت أسرة آل عائض عسير قبل الحكم السعودي، وهم ينتسبون إلى عائض بن مرعي الذي تولى الحكم سنة (١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م)، وجعل مقر حكمه في مدينة أبها، وينحدرون من آل يزيد من بني مغيد في بلدة ريدة،وفي عام (١٢٩٠هـ/١٨٧٣م) قام العثمانيون بتخريبها، وسموها صيدة. انظر: شاكر، محمود، شبه الجزيرة العربية عسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ط٣، ص ٧٦؛ الزركلي، خير الدين، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، دار العلم للملايين، بيروت، (١٩٨٨م)، ص ٦٧.

(٢) مثل قحطان وشهران وغامد وزهران. انظر:ابن زلفة، محمد بن عبد الله، عسير في عهد الملك عبد العزيز دورها السياسي والاقتصادي والعسكري في بناء الدولة السعودية الحديثة، منشورات نادي أبها الأدبي، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م) ، ص٢١.

(٣) ابن زلفة، عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص٢١.

(٤) ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص٩١.

(٥) الشيخ عبد الله بن محمد بن راشد بن جعلود، وآل جعلود من قبيلة عنزة، ولد عام ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م في بلدة القصب إحدى بلدان الوشم، تولى عدة مهام، من أهمها المهمة التي كلفه إياها الملك عبد العزيز في

عليهم من التعدي على الخلق، وذكر أن لابد للشيخ عبد الله بن راشد ومن معه يوصلون إلينا. فنقول: بهم الرحب والسهل...»[١].

يتضح من هذه الوثيقة أن الشيخ سعيد بن مشيط ذكر للأمير عبد الرحمن بن ثنيان أمير بيشة، أنه تلقى الرسائل التي بعث بها الملك عبد العزيز إليه، وإلى أمير عسير حسن بــن عائض، وأنها رد على الرسالة التي كان قد بعث بها إلى الملك عبد العزيز، والخاصة بشكــواه من تعدي القبائل على قبائل شهران، إذ أبدى الملك عبد العزيز في تلك الرسالة عدم رضاه، واستنكاره لما حدث، وأنه نتيجة لذلك؛ قرر إرسال الشيخ عبد الله بن راشد علــى رأس بعثة مــن العلماء إلى منطقة عسير؛ لإرشاد النـاســ ونصحهم، وقد أعلن ابن مشيــط في رسالتــه الترحيب بقدوم الشيخ ابن راشد ومن معــه. ومن الجدير بالذكر أن بعثة الشيخ عبد الله بن راشد هي أول بعثة رسمية يبعث بها الملك عبد العزيز إلى منطقة عسير، في شهــر صفر (١٣٣٨هـ/ نوفمبر١٩١٩م)، وقد حمل معه رسائل من الإمام عبد العزيــز إلى أمير عسير والى مشايخ القبائل، يوضح لهم ما يدعو إليه الملك عبد العزيز، بالإضافة إلى تفقيه النـاس أمور الدين، وكذلك التباحث مع الأمير حسن بن عائض، وقد وجد الشيخ ابن راشد استجابة وتفهما من قبل مشايخ المنطقة[٢].

استقبــل الشيخ سعيد بــن مشيط رسالة الملك عبد العزيــز بالرضا، وإعلان الولاء والطاعــة، حيث قال: «بعث الملك عبد العزيز عددا من العلماء يرأسهم الشيخ عبد الله بــن راشــد برسائل إلى مشايــخ الجنوب، وأنا منهــم، فاستجبت لــه، واتصلت بمشايخ القبائــل، وأبديــت لهم وجهة نظري، وقلت لهم: لن أخادعكم، فأنا مع الملك عبد العزيز بن سعود، فمنهم من أجاب،ومنهم من تردد، فكان ما كان»[٣].

وعلــى إثــر استجابة أغلبية مشايخ القبائل في منطقــة عسير، تم اتخاذ التدابير اللازمة لدخول عسير تحت حكم الملك عبد العزيز، ففي شوال عام (١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م) وصلــت طلائع قوات الملــك عبد العزيز إلى منطقة عسير، بقيادة الأمير عبد العزيز بن

عســير، حيــث رافق الأمير عبد العزيز بن مساعد إلى عسير قاضياً للجيش، وقام بعدة مفاوضات سياسية مــع مشايــخ القبائل في عســير، ومع الإدريسي، وتــوفي في أبهــا سنة (١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م). انظــر: آل بسام، عبد الله بن عبد الرحمن، علماء نجد خلال ثمانية قرون، دار العاصمة، الرياض، (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، ج٢، ص ص ٤١٥ – ٤١٧.

(١) وثيقــة رقــم (٢٩)، بدون تاريخ، ملف٢٢، مجموعة عســير، رسالة من سعيد بن عبد العزيــز بن مشيط إلى عبد الرحمن بن ثنيان، بخصوص وصول رسائل من الملك عبد العزيز، محفوظة في دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

(٢) ابن زلفة، عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص ٢٣.

(٣) ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص ٩٢.

مساعد[١] إلى مشارف بلاد شهران، ورافقه الشيخ عبد الله بن راشد، ومن موقعهم في القاعة[٢]، حيث اتخذت مركزا لتجميع القوات، وبعثوا برسائل كانوا يحملونها من الملك عبد العزيز إلى حسن بن عائض، يدعونه فيها إلى دخول منطقة عسير تحت حكم الملك عبد العزيز، كما قاموا بتجديد دعوة مشايخ القبائل للغرض نفسه[٣].

ويتضح من ذلك سياسة الملك عبد العزيز التي كان يتبعها في كل حروبه، فهو لا يقوم بحرب حتى يعطي الطرف الثاني فرصة الجنوح إلى السلم؛ رغبة في عدم سفك الدماء، وكان موقف مشايخ عسير على نفس موقفهم الأول من الترحيب، ومنهم الشيخ سعيد بن مشيط[٤].

ونلحظ هنا أن الشيخ سعيد بن مشيط قد أعلن منذ البداية ولاءه للملك عبد العزيز، ودخول خميس مشيط تحت حكمه، وذلك قبيل دخول منطقة عسير تحت حكم الملك عبد العزيز، فكان محل تقدير الملك عبد العزيز، والدليل على ذلك ما ورد في التعليمات التي وجهها الملك عبد العزيز إلى الأمير عبد العزيز بن مساعد، وكان منها: «ضرورة مشاورة أهل عسير من الموالين لآل سعود، مثل سعيد بن عبد العزيز بن مشيط، وعامر الصعيري، وإكرامهم، ووضعهم في المكان اللائق بهم»[٥].

(*) دور مدينة خميس مشيط في ضم منطقة عسير تحت حكم الملك عبد العزيز:

رفض حسن بن عائض وساطة الملك عبد العزيز، المتمثلة في وفد العلماء الذين أرسلهم إلى عسير، مع عدم سماعه لنصائحهم[٦]، بالإضافة إلى أن الإمام عبد العزيز

---

(١) الأمير عبد العزيز بن مساعد بن جلوي بن تركي بن عبد الله بن سعود، ولد في الرياض في عام (١٣٠٢هـ/١٨٨٥م) في مدينة الرياض، كانت له مشاركات حربية مع الملك عبد العزيز، بدءا من فتح الرياض سنة (١٣١٩ هـ/١٩٠١م) وحتى تم تأسيس المملكة العربية السعودية سنة (١٣٥١هـ/١٩٣٢م)، ويعد تعيينه أميرا لمنطقة القصيم سنة (١٣٣٩هـ/١٩٢١م) أول عمل إداري أسند إليه، كما كان قائدا لجيش الملك عبد العزيز في معركة حجلاء، التي نحن بصدد الحديث عنها، توفي في ربيع الأول عام (١٣٩٧ هـ/١٩٧٧م). وللمزيد عن حياته العائلية، والحربية، والإدارية، وصلته بالملك فيصل، والملك خالد، والأمراء من آل سعود انظر: سليمان، حسن، الأمير عبد العزيز بن مساعد حياته ومآثره، د.ن ، د.ت، ص ٢٣.

(٢) القاعة: أرض منبسطة في شرق بلاد شهران. انظر: ابن زلفة، عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص ٢٩.

(٣) ابن زلفة، عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص ٢٣.

(٤) ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص ٩٢؛ ومما هو جدير بالذكر أن الشيخ سعيد بن مشيط جدد ولاءه وإخلاصه للإمام عبد العزيز، وما يؤكد ذلك الرسالة التي أرسلها الشيخ سعيد بن مشيط للإمام عبد العزيز في السادس من ربيع الأول (١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م)، وكذلك الرسالة الثانية في التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر من نفس العام. انظر: وثيقة بدون رقم، بتاريخ ٦ربيع الأول (١٣٣٩هـ/١٩٢٠م)، محفوظة لدى الأستاذ عبد العزيز بن سعيد بن مشيط؛ ووثيقة بدون رقم، بتاريخ ٢٩ربيع الآخر (١٣٣٩هـ/١٩٢٠م)، محفوظة لدى الأستاذ عبد العزيز بن سعيد بن مشيط.

(٥) ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص ٩٣.

(٦) الريحاني، أمين، تاريخ نجد الحديث وملحقاته، المكتبة العلمية، بيروت، (١٣٤٧هـ/١٩٢٨م)، ط١، ص٢٧٠.

قــد تجلت لديه عدة عوامل سياسيــة وتارِيخية[١]؛ جعلته يقــرر أن الوقت مناسب لضم منطقــة عســير إلى حكمه، فأعد جيشــاً بقيادة ابن عمه عبد العزيــز بن مساعد، وكان أغلــب هذا الجيش من الإخوان[٢]، وممــن انضم إليهم من أهل عسير، وأمره أن يتوجه إلى عسير، في شعبان عام (١٣٣٨هـ/١٩٢٠م)، واستطاع جيش الملك عبد العزيز هزيمة جيشــ ابن عائض في معركة (حجلاء)[٣] سنة (١٣٣٨هـ/١٩٢٠م)، ثم تقدم ابن جلوي بقواتــه؛ حتــى استطاع ضم عسير، ثم عاد إلى الرياضــ[٤] في صحبة حسن بن عائضٍ، الــذي استسلم بعد فترة قصيرة مــن انضمام عسير، وبعد أن أقام آل عائض أشهراً في ضيافة الإمام عبد العزيز بن سعود، عادوا إلى عسير[٥].

بعد عودة آل عائض إلى عسير، كان شويش بن ضويحي[٦] حينها أميرا عليها، وهنا بــدأ حسن بن عائض بإثارة المشاكل؛ فكتب إلى الإمام عبد العزيز يشكو الأمير شويش؛ فاستجــاب له الملك، واستبدل به أمــيرا آخر هو عبد الله بن سويلم[٧]، وفي كل مرة كان يشكــو للإمام عبد العزيــز يستجاب له، ثم ما لبث ابن عايضــ أن اغتنم فرصة إظهار قبائــل عسير سخطهــا، وذلك لتنفيذ أطماعــه في المنطقة؛ فخرج ابــن عائض وأتباعه والموالون له بثورة كبيرة عام (١٣٤٠هـ/١٩٢٢م)، وحاصروا على إثرها أمير عسير فهد

---

(١) لمعرفة هذه العوامل بالتفصيل انظر: ابن زلفة، عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص ص ٢٦ — ٢٨.

(٢) الإخوان: مصطلح يطلق على البدو الذين هجروا حياة البادية، واستقروا في الهجر التي أسسها لهم الملك عبــد العزيز، وقد كون هؤلاء الإخــوان الجيش الأساسي لقوات الملك عبــد العزيز بن عبد الرحمن، خلال حروب توحيد السعودية؛ لما تميزوا به من شجاعة وإقدام. للمزيد انظر: المانع، محمد بن عبد الله، توحيد المملكة العربية السعودية، العبيكان، الرياض، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ط٢، ص ص ١١١، ١١٢.

(٣) حجلاء: بلدة كبيرة تقع بين أبها وخميس مشيط، تقوم على أطرافها أبراج كثيرة، يسميها أهلها القصبات، وتستعمــل هــذه القصبات مراقب للحراسة مــن هجوم الأعــداء، وللدفاع عن القرية، ومــا يحيط بها من مزارع. انظر: حمزة، في بلاد عسير، ص٩٧.

(٤) ممــا هــو جدير بالذكر أنه في نفس العــام (١٣٣٨هـ/١٩٢٠م)، توطدت العلاقة بــين أسرة آل مشيط وآل سعود، فعندما كان الأمير عبد العزيز بن مساعد في عسير لضم أبها، كان قد تعرف عن قرب على الشيخ سعيد بن مشيط، الذي بذل وسعه في خدمته، وحسن ضيافته؛ مما دفع الأمير عبد العزيز بن مساعد إلى مصاهرة الشيخ سعيد؛ من أجل توثيق أواصر المودة والإخاء بينهم، فتزوج شقيقته سارة (سراء) بنت عبد العزيز بن مشيط. انظر: سليمان، الأمير عبد العزيز بن مساعد، ص ١٥٤.

(٥) الريحاني، تاريخ نجد، ص ص ٢٧٠، ٢٧١.

(٦) شويش بن ضويحي المطيري: عين أميرا لعسير في شهر جمادي الأولى عام(١٣٣٩هـ/١٩٢١م)، وقد كانت مدة إمارته على عسير ثمانية أشهر فقط. انظر: النعمي، تاريخ عسير، ص٣٦٢.

(٧) باشر عبد الله بن سويلم عمله في إمارة عسير في أواخر عام (١٣٣٩هـ)، وبقي عدة أشهر في الإمارة، وفي أول عام(١٣٤٠هـ) استبدل بالأمير فهد العقيلي. انظر: النعمي، تاريخ عسير، ص ٣٦٢.

العقيلي[١]، وحاميته في قصر شدا[٢]، والذي حاول المقاومة، لكنه لم ينجح، واستمر الحصار عشرة أيام، استسلم بعدها الأمير فهد وحاميته[٣].

في شوال(١٣٤٠هـ/١٩٢٢م) غادرت الحامية السعودية مدينة أبها، وقد لجأ الأمير فهد العقيلي إلى خميس مشيط، هو ومن معه من الحامية، وهناك قابلهم الشيخ سعيد بن مشيط، والشيخ عبد الوهاب أبو ملحة، واستضافهم الشيخ عبد الوهاب أبو ملحة في بيته، ثم أرسل الشيخ سعيد بن مشيط والأمير فهد مندوبين للسفر إلى نجد؛ لإخبار الملك عبد العزيز بما يدور بالمنطقة من تمرد ومشاكل، وعندما علم ابن عائض ببقاء الحامية في خميس مشيط، جهز جيشا، وتوجه به إلى خميس مشيط، وهاجمها، وضمها[٤]، تم ألقى القبض على العقيلي، وأجبروا الشيخ عبد الوهاب على الخروج من الخميس، بعد أن أحرقوا قصوره، حيث توجه إلى بلاد بني واهب، وهي مقر الفويه[٥]، أما الشيخ سعيد بن مشيط فقد تحصن في قصره في ذهبان، واستسلم بعد أن أعطي الأمان على قصوره وأملاكه[٦]، وواصل الثوار تقدمهم جنوبا، حيث احتلوا بلاد رفيدة قحطان[٧].

في هذا الوقت وصلت رسالة من الملك عبد العزيز إلى الشيخ عبد الوهاب أبو ملحة، يخبره بقدوم ابنه الأمير فيصل لإنقاذ الحامية، وهي الوثيقة المؤرخة في (٢٤-١٢-١٣٤٠هـ/١٨-٨-١٩٢٢م) حيث قال: «بلغنا ما صار من أحوال عسير... وإن شاء الله ذليل ومخذول بحول الله وقوته، المسلمين قريبين في طريقهم إليكم، توجه الابن فيصل ومن معه من رجال المسلمين وجندهم... واصل إليكم إن شاء الله، ومعهم إن شاء الله القوة الكافية، وفيه إن شاء الله البركة والسداد»[٨].

---

(١) تولى إمارة عسير عام (١٣٤٠هـ/١٩٢٢م)، وقد استدعت الظروف حينها التغيير؛ لمراعاة بعض الأوضاع. انظر: النعمي، تاريخ عسير، ص ٣٦٣.

(٢) قصر شدا: القديم بناه محمد بن عايض عندما نقل مركز حكمه من ريدة إلى أبها، ويقع جنوب القصر الأبيض الحالي، الذي أسماه خالد الفيصل شدا، بدلا عن ذلك الذي هدم، وبني عليه عمارة للاتصالات. انظر: شاكر، عسير، ص٧٤؛ تقرير مرسل من الأستاذ محمد بن عبد الوهاب أبو ملحة، بتاريخ (١٣-٦-١٤٣٤هـ/٢-٤-٢٠١٣م).

(٣) ابن هذلول، سعود، تاريخ ملوك آل سعود، مطابع الرياض، الرياض، (١٤٨٠هـ-١٩٦١م)، ط١، ص ص١٤٦، ١٤٧.

(٤) ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص ٥٥.

(٥) بنو واهب: فرع من فروع شهران القديمة، وكان الشيخ هيف بن ناصر الفويه من أوائل المناصرين للملك عبد العزيز في المنطقة. انظر: ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص ٥٣٢.

(٦) لعبت رابطة القرابة والمصاهرة بين آل مشيط وآل عائض دورا في تخفيف انتقام الثوار من ابن مشيط. انظر: ابن زلفة، عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص ٤٦.

(٧) ابن زلفة، عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص ٤٦.

(٨) وثيقة بدون رقم، بتاريخ (٢٤-١٢-١٣٤٠هـ/١٨-٨-١٩٢٢م)، رسالة من الملك عبد العزيز إلى عبد الوهاب أبو ملحة، يخبره بقدوم ابنه الأمير فيصل بن عبد العزيز، ومعه قوة عسكرية، محفوظة لدى الأستاذ محمد بن عبد الوهاب أبو ملحة.

خـرج الشيـخ سعيد بـن مشيط مستقبـلا الحملة التـي يقودها الأمـير فيصل بن عبـد العزيز، وذلـك بعد أن أرسل له الأمـير فيصل رسالة شكر وثنـاء على مواقفه مع الدولـة، ويخبره بالتوجه إليهم، وهي مؤرخة في (١٣- ١-١٣٤١هـ/٥-٩-١٩٢٢م)،قال فيها:«بلغنـا خروج عسير عليكم، وتحصنكم واحتمائكم علـى طرفكم، وتثبتكم في رجا الله ثـم رجا المسلمين، وهـذا ظننا فيكم؛ لأن فعلك الجميل سابقـا ولاحقا، ولا شك أن هـذا مما يزيـد المسلمين في محبتكم...من طرف حنا حـال التاريخ متوجهين من رنية، وجادين السير إلى طرفكم، وعن قريب إن شاء الله عندكم»[1].

كان الأمـير فيصـل قبل مغادرته بيشة قد قام بتقسيـم جيشه إلى قسمين رئيسين: قسم يتجه إلى بلاد بني شهر، أما القسم الآخر فكان بقيادته، حيث تقدم بكامل جموعه عـن طريق تندحـة[2]، باتجاه خميس مشيـط[3]، ودخل الأمير فيصـل خميس مشيط، وكان في استقباله الشيخ سعيد بن مشيط الذي قدم ما يجب عليه من الولاء والإخلاص والـود للأمـير فيـصل[4]، ثم دخل أبها، دون أن يلقى أيـة مقاومة،وقام بتعيين سعد بن عفيصان[5] أميرا على أبها[6].

بدخول الأمير فيصل بن عبد العزيز خميس مشيط ثم أبها، هرب حسن بن عائض هو وابن عمه محمد، حيث توجه حسن إلى بلدته حرملة[7]- الحصن القوي لآل عائض

---

(١) وثيقة بدون رقم، بتاريخ (١٣- ١-١٣٤١هـ/٥-٩-١٩٢٢م)، وهي رسالة من الأمير فيصل بن عبد العزيز إلى الشيـخ سعيد بن مشيط، بخصوص ثنائه وشكره لابـن مشيط، ويخبره بأنه سيتوجه إليهم، محفوظة لدى الأستاذ عبد العزيز بن مشيط.

(٢) تندحـة: واد يعـد امتداداً لوادي السـراة، ووادي الجـوف، ووادي الوهابة، لينحدر باتجـاه الشمال، حتى يسيـل في وادي بيشـة، ويبلـغ طوله ما يقـارب (٦٠) كم تقريبا، وهـو من أشهر روافـد وادي بيشة. انظر: الحربـي، المعجـم الجغرافي، ج ١، ص ٣١٤. ومركـز تندحة يتبع محافظة خميس مشيـط، وقد أنشئ عام (١٤٠٣هــ/١٩٨٣م)، وأول مـن تـولى رئاستـه حسـين بـن راشـد القبيان.انظـر: خطـاب رقـم ١٢٤٠، بتاريـخ(٣-٨- ١٤٣٥هــ/٢-٦-٢٠١٤م)، مرسـل مـن رئيـس مركز تندحـة الأستاذ محمد بـن عون أبو خضاعة؛ زيارة ميدانية قامت بها الباحثة لمركز تندحة، بتاريخ (٤- ٨- ١٤٣٥هـ/٣-٦-٢٠١٤م).

(٣) ابن زلفة، عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص ٥٢.

(٤) مما لاشك فيه أن ما تميز به الشيخ سعيد بن مشيط من صفات عظيمة، وما تمتع به من تقدير من الملك عبد العزيـز، أهلـه لزيادة توثيق العلاقات بين الطرفين، فقد تزوج الملـك فيصل شقيقة الشيخ سعيد بن مشيط، فاطمـة بنت عبد العزيز بن مشيط، ثم توثقـت العلاقات بينهما بزواج الأمير مشعل بن عبد العزيز من ابنة الشيخ سعيد بن مشيط صالحة بنت سعيد بن مشيط. انظر: ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص ٩٤.

(٥) سعد بن عفيصان: تسلم عمله في إمارة عسير في ٢٠ من جمادي الأولى عام (١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م)، ولم تتجاوز إمارته ما بين ٤ جمادي الأولى إلى ١٢ رجب من العام نفسه. انظر: النعمي، تاريخ عسير، ص ص ٣٦٧-٣٦٩.

(٦) النعمـي، تاريخ عسير، ص ٣٦٧؛ تقرير مرسل من الأستاذ محمد بن عبد الوهـاب أبو ملحة يوم الأربعاء بتاريخ (١٣- ٦- ١٤٣٤هـ/٢٣-٤-٢٠١٣م)، يفيد بمعلومات تاريخية حضارية عن مدينة خميس مشيط.

(٧) حرملة: بلدة عُمرت عام (١١٢٢هـ/١٧١٠م)، على يد الأمير يحيى بن عبد الرحمن بن علي، وقد توارثها آل عائض حتى دُمرت عام (١٣٤٠هــ/١٩٢٢م)، عندما دخلتها القوات السعوديـة التي استعادت منطقة عسير من حسن بن عائض. انظر: شاكر، شبه الجزيرة، عسير، ص ٧٧.

منذ القدم - والتجأ بها هو وعائلته، أما محمد فقد هرب إلى القنفذة[١]، ومن القنفذة توجه إلى الحجاز، واستنجد بالشريف حسين، الذي لم يتأخر عن تلبية طلبه، وأنجده بحملة صغيرة، مؤلفة من الجنود النظامية، وبعض المدافع والرشاشات[٢].

مما لاشك فيه أن جهود الأمير فيصل، لم تقف عند هذا الحد، فعندما علم بأخبار آل عائض، أرسل قوات إلى حرملة، وبعد معارك استمرت يومَين، صعد الإخوان إليها، ولم يجدوا حسن بن عائض فيها، فهدموا قصورها، وعادوا إلى أبها، وتقدمت فرق من الإخوان لمواجهة الجيش الحجازي القادم لنجدة آل عائض؛ فأوقعت الهزيمة به، ولم ينج منه إلا قادته[٣].

استطاع الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود، أن ينتصر على ابن عائض، ويعيد حكم آل سعود إلى منطقة عسير، وعاد الأمير فيصل إلى الرياض، في جمادى الآخرة عام (١٣٤١هـ/يناير١٩٢٣م)، بعد أن عين سعد بن عفيصان أميراً على أبها[٤]، ولما عرف عنه من شدة؛ فقد كان أول المتذمرين منه أكثر الزعماء إخلاصا لآل سعود في المنطقة الشيخ سعيد بن مشيط، الذي أنكر سوء معاملته للرعية، ونفور الناس منه، وقد كتب للأمير فيصل يخبره عن هذا الأمر، وقد رد عليه الأمير فيصل بالرسالة المؤرخة في (٢٢ـ ٢ـ١٣٤١هـ/١٩٢٢م) وفيها: «من طرف الأمير ابن عفيصان، تدري أنه عاقل ولا يمضي في أمر إلا حنا مدبرينه»[٥].

لم تمض فترة وجيزة حتى وصلت فرقة عسكرية أخرى من قبل الشريف حسين للنجدة، يرافقها حسن بن عائض، وحاصرت أمير أبها سعد بن عفيصان، حيث دام الحصار مدة عشرين يوما، وفي حينها صدرت أوامر الشريف لجيشه بالعودة إلى الحجاز للدفاع عن الطائف، وفي الوقت نفسه وصلت نجدة من الرياض بقيادة محمد بن جيفان[٦] أجبرت ما تبقى من الثوار على الانسحاب، أما آل عائض فقد لجؤوا إلى حصونهم في حرملة، وقد توفي ابن عفيصان بعد أيام من فك الحصار، ثم تم تعيين عبد العزيز بن إبراهيم[٧] أميرا على أبها، الذي نجح في التفاوض مع حسن بن عايض

(١) القنفذة: كانت بلدة صغيرة تقع على شاطئ البحر الأحمر، تبعد عن جدة بمسافة (٢٠٠) ميل، و(٧٢) ميلا من محايل. انظر: وهبة، جزيرة العرب، ص ٤٠، انظر ايضاً غيثان بن جريس ، بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١ - ق ١٥هـ) الطبعة الثانية (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م).

(٢) الريحاني، تاريخ نجد، ص ٢٧١.

(٣) ابن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود، ص ص ١٣٨، ١٣٩.

(٤) الريحاني، تاريخ نجد، ص ٢٧٣.

(٥) وثيقة رقم (١٦)، بتاريخ (٢٢-٢- ١٣٤١هـ/١٤-١٠-١٩٢٢م)، جواب من فيصل بن عبد العزيز إلى الشيخ سعيد بن مشيط بخصوص الأمير ابن عفيصان، من كتاب ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص ٣٥٧.

(٦) تم تعيين محمد بن جيفان وكيلا لإمارة أبها، فقام بتصريف الأمور لمدة أربعة أشهر، من نصف شهر رجب (١٣٤١هـ/١٩٢٣م)، إلى أوائل شهر ذي القعدة من نفس العام. انظر: النعمي، تاريخ عسير، ص ٣٦٩.

(٧) وصل عبد العزيز بن إبراهيم إلى أبها في أواخر شهر ذي القعدة من عام (١٣٤١هـ/١٩٢٣م)، وقد كان

في مقره في حرملة، وانتهت المفاوضات بإبعاد حسن بن عايض وذويه عن أبها، وأرسلوا للرياض، فضمــن لهم الأمان، وتعهـدوا للإمام عبد العزيز بالطاعـة؛ وبذلك استطاع الأمير عبد العزيز القضاء على أسباب الفتن، واستتب الحكم لآل سعود في عسير[١].

بالإضافة إلى دور مدينة خميس مشيط في توحيد المملكة العربية السعودية في عهد الملك عبد العزيز، فقد كان أهالي خميس مشيط من ضمن جيوش الملك عبد العزيز في توحيد البلاد، حيث كان الشيخ سعيد بن مشيط من ضمن الشيوخ في حصار جدة، ومعه (٨٠٠) رجـل مــن أهالي خميس مشيـط في جمادي الآخرة عـام (١٣٤٣هـ/١٩٢٥م)، واستمر ومن معه حتى انتهاء الحصار، ودخول الملك عبد العزيز جدة[٢]. كما كلف الشيخ سعيـد بـن مشيط أحد أبنائه، وهو عبد الله، بقيادة خمس مئة مقاتل من قبائل شهران؛ لينضمـوا إلى الجيش السعودي بقيادة الأمير فيصل بن عبد العزيز المتجه إلى الحديدة، وقد تمكن الجيش بقيادة الأمير فيصل من دخول الحديدة، التي أعادها الملك عبد العزيز بعد ذلك إلى اليمن[٣]. كما كان الشيخ سعيد بن مشيط ضمن الوفد الذي أرسله الملك عبد العزيــز إلى صنعاء، والــذي كان يتألف من: الشيخ سعيد بن مشيط، والشيخ عبد الوهاب أبـو ملحـة، والأمير تركي بن محمد بن ماضــي[٤]، والشيخ محمد بــن دليم[٥]؛ وذلك في مهمـة رسمية لاستئناف المفاوضات مــع الإمام يحيي[٦]. بهـذا كان لمدينة خميس مشيط دور بارز في توحيد المملكة، حين انضوت تحت راية الموحد الملك عبد العزيز، إلى أن تحقق الهــدف الكبير، وهو توحيــد جميع أراضي المملكة في كيان واحـد، وأصبحت تحت مسمى المملكة العربية السعودية في عام (١٣٥١هـ/١٩٣٢م)، وانتشر الأمن والاستقرار في ربوعها.

الملك عبد العزيز موفقاً في اختيار ابن إبراهيم؛ لأنه اتبع سياسة الحزم والشدة في معاقبة المجرمين، خاصة اللصوص، ومرتكبـي السرقات، وقد بقي في منصب إمارة عسير حتى ١٢ رجب عام (١٣٤٢هـ/١٩٢٤م)، حتى تم تعيين الأمير عبد الله بن إبراهيم العسكر. انظر: النعمي، تاريخ عسير، ص ص ٣٧٠، ٣٧١.

(١) ابن زلفة، عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص ص ٥٥- ٦٤.

(٢) ابن مشيط، الشيخ سعيد، ص ٩٨.

(٣) ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص ٩٧.

(٤) هــو تركـي بن محمد بـن تركي آل ماضي، مــن مواليد سنة (١٣٢٢هــ/١٩٠٤م)، نشأ تحـت رعاية والده محمـد بـن تركي، من أهم أعماله تقلده مناصب إدارية، فقد عينه الملك عبد العزيز في ٢٠ ربيع الثاني سنة (١٣٥٣هـ/١٩٣٤م) أمـيرا لإمارة الظفير، ثم في ٢٧ صفر سنة (١٣٥٧هــ/١٩٣٨م) تم تعيينه أميرا على إمـارة نجـران، ومكث فيها (١٥) عامـا، وفي ١٠ رمضان (١٣٧١هـ/١٩٥٢م) تم تعيينــه على إمارة عسير، وبقـي فيهـا إلى أن توفي في ذي الحجة سنة (١٣٨٥هـ/١٩٦٦م). للمزيد انظر: القحطاني، عبد الله بن سعيـد، تركي بن محمد بـن ماضي (١٣٤٢ـ١٣٨٥هـ/١٩٢٤-١٩٦٦م)، دراسة تاريخيـة وثائقية، رسالة علمية لنيل درجة الماجستير من جامعة الملك خالد، (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)، ص ٦.

(٥) محمـد بـن دليم: شيخ قبائـل قحطان، وكان صاحـب كلمة ونفوذ وحكمـة، أسرته لا تـزال باقية، وفيهم المشيخة. انظر: ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص ٣٤٦.

(٦) ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص ١٠٢.

رابعاً : التطور الإداري في مدينة خميس مشيط (١٣٧٣ـ١٣٩٥هـ/ ١٩٣٥ـ١٩٧٥م):

١ـ مركز الإمارة:

تمثلت البنية الإدارية للمملكة العربية السعودية، في عهد الملك عبد العزيز، في تعيينه أميرا على كل منطقة يوحدها، يقوم بأمورها، ويهتم بشؤونها، ويعاونه عدد من الموظفين[(١)]، مع منحهم صلاحيات واسعة؛ فكانوا يشرفون على الشؤون المالية والحربية والأمنية، كما كان يتبع أمراءَ المناطق شيوخ القبائل والعشائر المختلفة، الذين كانت سلطاتهم محدودة، حيث تشمل حل القضايا العشائرية، مع استشارة أمير المنطقة في ذلك[(٢)]، ولهذا حرص الملك عبد العزيز- وأبناؤه من بعده- على اختيار الرجال الأكفاء؛ مما ساعد ذلك كثيرا على استتباب الأمن في البلاد[(٣)]، كما كان يتم اختيار بعضهم من أفراد شعبه، ويخطئ من يظن أن كل أمير ينسب إلى الأسرة الحاكمة[(٤)].

كان التنظيم الإداري في عهد الملك عبد العزيز محكوما بنظام الأمراء، فبعد دخول الأمير عبد العزيز بن مساعد إلى عسير، وضمها في شوال سنة (١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م)، واستتباب الأمن في المنطقة؛ أرسل الملك عبد العزيز تعليماته إلى الأمير عبد العزيز بن مساعد، التي تقضي بتعيين أمير على عسير، ولتجنب حدوث المشاكل منع تعيين (طارفة حكومية)[(٥)] في عسير؛ حتى تستقر الأمور[(٦)]، وبهذا فقد توالى على إمارة عسير في عهد الملك عد العزيز عدة أمراء[(٧)].

---

(١) الغلامي، عبد المنعم، الملك الراشد جلالة المغفور له عبد العزيز آل سعود، دار اللواء، الرياض، (١٣٧٣هـ/١٩٥٤م)، ص ١٩٢.

(٢) البشري، إسماعيل محمد، إقليم عسير في عهد الملك عبد العزيز آل سعود (١٣٣٧-١٣٧٣هـ/١٩١٩-١٩٥٣م)، دراسة في التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي، رسالة مقدمة لقسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الحديث، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص ٢٢٥.

(٣) الغلامي، الملك الراشد، ص ١٩٣.

(٤) حافظ، وهبة، خمسون عاما في جزيرة العرب، دار الآفاق العربية، القاهرة، (١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ص ١٨٢.

(٥) طارفة حكومية: تعني ممثلة حكومية. اتصال هاتفي أجرته الباحثة مع د.محمد بن زلفة، يوم الخميس بتاريخ(١٣/٨/١٤٣٥ هـ ـ ١٢/٦/٢٠١٤م).

(٦) النعمي، تاريخ عسير، ص ٣٦٠.

(٧) في جمادى الأولى عام (١٣٣٩هـ/١٩٢١م) عُين شويش بن ضويحي المطيري أميرا على عسير، الذي لم تتعد مدة حكمه أحد عشر شهرا، فتم عزله، ثم تم تعيين عبد الله بن سويلم في عام (١٣٣٩هـ/١٩٢١م)، وكانت مدة حكمه تسعة أشهر، ثم نقل إلى إمارة أخرى، وتولى بعده فهد بن عبد الكريم العقيلي في جمادي الأولى عام (١٣٤٠هـ/١٩٢١م)، وكانت مدة حكمه بضعة أشهر، وقد ثار عليه حسن بن عايض، حتى تمكن الملك فيصل-رحمه الله- من القضاء على هذه الثورة، ثم تسلم الإمارة بعد ذلك سعد بن عفيصان في٤ جمادى الأولى عام (١٣٤٠هـ/يناير١٩٢٢م)، لكنه توفي في ١٢رجب من نفس العام، ثم تولى محمد بن جيفان الإمارة بالوكالة، واستمر حكمه ثلاثة أشهر، ثم تولى عبد العزيز بن إبراهيم الذي عرف بحزمه القوي، وحسن تصرفه؛ فقد استطاع أن يعقد صلحا مع حسن بن عايض في قصره، واستمرت مدة حكمه بضعة أشهر، ثم تولى عبد الله بن إبراهيم بن عسكر في رجب (١٣٤٢هـ/فبراير ١٩٢٤م)، واستمر في الإمارة حتى

كان للشيخ سعيد بن عبد العزيز بن مشيط- شيخ قبائل شهران - رأي في مستقبل الإدارة والحكم في منطقة عسير، اتضح ذلك من خلال الرسالة التي بعث بها إلى الملك عبد العزيز برفقة الأمير عبد العزيز بن مساعد، حين عودته إلى نجد، وبعد الانتهاء من ضم عسير(١)، ورسالته هذه كانت ردًا على رسالة وصلته من الملك عبد العزيز، وكان الملك عبد العزيز قد طلب من الشيخ ابن مشيط أن يتشاور مع الأمير عبد العزيز بن مساعد، والشيخ عبد الله بن راشد في شأن مستقبل إدارة المنطقة، وذكر ابن مشيط أنه في الوقت الذي وصلت فيه الرسالة، كان الشيخ عبد الله بن راشد قد انتقل إلى رحمة الله، كما أوضح عدة نقاط في رسالته منها: (١) أن جميع سكان المنطقة الجنوبية قد أعطوا العهد للملك عبد العزيز، وأنهم مجيبون للدعوة، وممتثلون لأمر ولي الأمر. (٢) ضرورة إبقاء طارفة من قبل الملك، ويقترح أن يكون مقرها إما في أبها، أو في خميس مشيط. (٣) الحث على ضرورة الإسراع في إرسال شيوخ العلم(٢).

من هنا يتضح صدق ولاء الشيخ سعيد بن مشيط للملك عبد العزيز، ومدى تمسكه بالشريعة الإسلامية، كما أثبت الشيخ سعيد بن مشيط في خضم هذه الأحداث قدرته على التفاعل معها، وهذه الصفات هي التي أهلته لمشيخة القبائل بخميس مشيط، واحترام قبائل المنطقة الجنوبية من جانب، وتحمل مسؤولية خميس مشيط من جانب آخر، إضافة إلى الثقة التي وضعها فيه المؤسس الملك عبد العزيز. وفي يوم (٥-٦-١٣٥٨هـ/ ٢٣-٧-١٩٣٩م) صدر أمر سام، يقضي ببعض التطورات الخاصة بالتنظيم الإداري لإمارة عسير، وكان من ذلك إنشاء إمارات جديدة، ومن هذه الإمارات إمارة شهران في خميس مشيط(٣).

كان الشيخ سعيد بن عبد العزيز بن مشيط نفسه هو القائم بالعمل، وبجميع مسؤوليات إمارة شهران، وكان له مجلس عام(٤) مفتوح، يعقد يوميا في قصره في

عام(١٣٤٨هـ/١٩٢٩م)، حيث تولى بعده ابنه عبد العزيز العسكر، وفي عام (١٣٥٢هـ/١٩٣٣م) عين بدلا منه تركي السديري، الذي استمر قرابة(١٩) عاما حتى عام(١٣٧١هـ/١٩٥٤م)، ثم تم تعيين تركي بن ماضي الذي استمر حتى ما بعد وفاة الملك عبد العزيز. انظر: النعمي، تاريخ عسير، ص ص ٣٦١ - ٣٨٣.

(١) الرسالة غير مؤرخة، ويفهم من مضمونها أنها مؤرخة في عام(١٣٣٩هـ/١٩٢١م)، استدللت على ذلك بأن الشيخ سعيد ذكر في رسالته أنه في حين وصول الرسالة، كان الشيخ عبد الله بن راشد قد توفي، وقد ذكر ابن بسام في كتابه أن الشيخ عبد الله بن راشد قد توفي سنة (١٣٣٩هـ/١٩٢١م). انظر: ابن بسام، علماء نجد، ج ٢، ص ٤١٧.

(٢) وثيقة بدون رقم، غير مؤرخة، رسالة من الشيخ سعيد بن مشيط إلى الملك عبد العزيز،محفوظة لدى الأستاذ عبد العزيز بن سعيد بن مشيط.

(٣) ابن جريس، غيثان بن علي، عسير في عصر الملك عبد العزيز، دراسة تاريخية للحياة الإدارية والاقتصادية، د.ن، (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ص ٣٦.

(٤) كان للشيخ سعيد بن مشيط مجلس آخر، وهو مجلس العلم، يعقد يوميا بعد صلاتي العصر والعشاء، يقدمه الشيخ سعد بن محمد بن سعيدان - وسوف يتم الحديث عن هذه الشخصية في صفحة تالية من

ذهبان[١] (المقر الرئيس للإمارة)، فيدخل كل من يريد مقابلته، وكان يستقبل شيوخ قبائل شهران، ويستقبل المتخاصمين، ويفصل بينهم[٢]، ولعل أهم ما يتميز به مجلسه إكرام الضيوف؛ فقد كان أبناؤه وخدمه ومواليه، يهتمون بتقديم كل ما يحتاجه الضيوف[٣]،و كان يعاون الشيخ سعيد بن مشيط عدد من الخويا[٤].

شهدت خميس مشيط في عهد الشيخ سعيد بن مشيط هدوءاً وأمانا، وأديت الزكاة على أكمل وجه[٥]، حيث كان الشيخ سعيد بن مشيط رئيسا لمجموعة، تقوم بخرص المنتجات الزراعية وفق الضوابط التي تحددها الزكاة الإفرادية (الحبوب والثمار والعسل)، لعدد من القرى والقبائل بخميس مشيط[٦]، ونستدل على ذلك بالخطاب الموجه إلى الشيخ سعيد بن مشيط، من وكيل أمير عسير وملحقاتها[٧]، بتاريخ (١-٣-١٣٦٢هـ/١٩٤٣م)، حيث جاء فيه «...يقتضي التنبيه على عموم أهالي طرفكم بأنه في حالة تسليم كل فرد منهم بيان ما عليه من الزكاة من قبل الخراص، يلزمه توريد زكاته حال الحصاد بدون تأخير، وتعقيب ذلك من قبلكم، وأنتم المسؤولون عن كل فرد من

هذه الدراسة – وكان يقوم بشرح الأحاديث النبوية، وتفسير القرآن الكريم، يحضره الأبناء والجيران. انظر: ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص ٨٧.

(١) ذهبان: سبق التعريف بموقعها، أما القصر: فيرجع بناء قصر مشرف في (ذهبان) إلى عام ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م، عندما تسلم الشيخ عبد العزيز بن حسين بن مشيط قيادة قبائل شهران؛ فقرر الانتقال من نعمان مقر أجداده إلى ذهبان. انظر: ابن مشيط الشيخ سعيد بن مشيط، ص ٤٨.

(٢) مقابلة مع الأستاذ عبد العزيز بن سعيد بن مشيط، يوم الإثنين، بمنزله بخميس مشيط، بتاريخ (١/١/١٤٣٥هـ ـ ٤/١١/ ٢٠١٣م).

(٣) كان هناك عدد من الخدم مختصون بصنع القهوة، وكان الشيخ عبد الله بن علي بن مانع مشهورا في ذلك الوقت بجلب البن من اليمن، والذي يعد من أجود الأنواع، ويقدمها للشيخ سعيد بن مشيط. انظر: ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص٨٦.

(٤) الخويا:هم فرقة يرأسها رئيس، تلازم الأمير، وتكون بمنزلة الحراسة له، مهمتها توفير الأمن، وتعقب المجرمين، وتسليمهم للعدالة. انظر: البشري، إقليم عسير، ص ٢٢٨.

(٥) ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط ، ص ١٣٠.

(٦) هناك نموذج لضوابط خرص الزكاة الإفرادية لقرية ذهبان بتاريخ (١١/١١/١٣٦٢هـ-٩/١١/١٩٤٣م)، يوضح المقدار المطلوب منهم بموجب الخرص، وهو ثلاثة خرص من الذرة، وعليها بصمة المكلف بدفع الزكاة، وتوقيع كاتب الخرص، وختم الخارص، والتاريخ الذي جرى التصديق فيه على المضبطة. وثيقة رقم (٥٠) بتاريخ (١١/١١/١٣٦٢هـ)، مضبطة خرص الزكاة الإفرادية لقرية ذهبان، من كتاب: ابن مشيط، الشيخ سعيد ابن مشيط، ص ٤٥١.

(٧) كان أمير عسير حينها الأمير تركي السديري، الذي بدأ عمله بإمارة عسير في عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م، وقد كان قوي الشخصية، حيث مثل إمارة عسير خير تمثيل، فاستقامت له الأمور، وكان يساعده في تصريف شؤون المنطقة أخوه الأمير خالد السديري، وقد ناب عنه في الإمارة لمدة ستة أشهر تقريبا أثناء غيابه. انظر: النعيمي، تاريخ عسير، ص ٣٨١.

الرعايا التابعين لكم...»[١]، كما يتضح حرص الشيخ سعيد بن مشيط على تأدية الزكاة في وقتها، وحث الأهالي على ذلك، ويؤكد ذلك الخطاب الموجه إلى الشيخ سعيد من أمير عسير وملحقاتها بتاريخ (١٦-٣-١٣٦٧هـ/٢٨-١-١٩٤٨م)، حيث جاء فيه «... ما ذكرتم فهمناه من خصوص الزكاة، إن شاء الله تحرصون على سوق ما بقي منها كما ذكرتم...»[٢]. ونستنتج من ذلك حرص الدولة- في عهد الملك عبد العزيز- على جباية الزكاة، وعدم التهاون فيها، كما يدل ذلك على أن الدولة كانت تعتمد على شيوخ القبائل في كل ما يتعلق بشؤون القبيلة، ومدى استقرار أوضاعها.

في عام (١٣٧٦هـ/١٩٥٧م) تقريباً أنشئت إمارة خميس مشيط تحت مسمى دورية، ورأس منصبها فلاح بن محماس[٣]، ويشبه نظام الدوريات في وقتنا الحاضر المراكز الإدارية، ويتمثل في القيام بعملية الإشراف على عدة قرى، للوقوف على حاجياتها؛ وضبط الأمن فيها[٤]. إلا أن تحولا كبيرا حدث في التنظيم الإداري لإمارة خميس مشيط، وذلك بناء على الأمر السامي البرقي الصادر بتاريخ (٧-١٠-١٣٧٨هـ/١٦-٤-١٩٥٩م)، وهو القرار الخاص ببعض الترتيبات الخاصة لإمارة خميس مشيط، فقد أحدثت تنظيمات إمارة خميس مشيط في ميزانية عام (١٣٨١/١٣٨٢هـ-١٩٦٢/١٩٦٣م)، وفقا للقرار الوزاري الصادر بتاريخ(٢٣-٨-١٣٨١هـ/٣٠-١-١٩٦٢م)[٥].

كان أبرز ما ورد في ذلك القرار الخاص بإمارة خميس مشيط، بأن يتم إحداث الإمارة في المرتبة السادسة في موازنة عام (١٣٨١/١٣٨٢هـ-١٩٦٢/١٩٦٣م)، ويتم

---

(١) وثيقة رقم (٥١)، بتاريخ (١-٣-١٣٦٢هـ/٨-٣-١٩٤٣م)، رسالة موجهة من وكيل أمير عسير وملحقاتها، بخصوص موضوع جمع الزكاة الشرعية، انظر: كتاب ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص ص ٤٥٢-٤٥٦.

(٢) وثيقة رقم (٥٣)، بتاريخ (١٦-٣-١٣٦٧هـ/٢٨-١-١٩٤٨م)، رسالة موجهة من أمير عسير وملحقاتها بخصوص موضوع جمع الزكاة الشرعية. انظر كتاب: ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص ص ٤٥٢-٤٥٦.

(٣) عبد المتعالي، محمد بن علي، محافظة خميس مشيط دليل الأسماء القديمة للقرى والهجر والأماكن العامة المتعارف عليها تاريخيا في منطقة عسير، إمارة منطقة عسير، إدارة الوثائق والمحفوظات، (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، ص٢؛ وقد حاولت الباحثة معرفة ترجمة هذه الشخصية، من خلال المصادر والمراجع المكتوبة والشفهية المتاحة لديها، فلم تتمكن من ذلك.

(٤) القحطاني، تركي بن ماضي، ص ١٠٦.

(٥) وثيقة رقم (٢٥٩٢٧)، بتاريخ (٢٩-١١-١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، خطاب محافظ محافظة خميس مشيط إلى وكيل إمارة منطقة عسير، إشارة إلى خطابه رقم(٦١٩٤٢) في (١٦-١١-١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، يفيد بمعلومات عن محافظة خميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

تعيـين عبد العزيز بن سعيد بـن مشيط[١] أميراً على خميس مشيط[٢]، وذلك بناء على الخطاب الصادر بتاريخ (١٥- ٨-١٣٨١هـ/٢٢-١-١٩٦٢م)، والذي رفعه الشيخ سعيد بـن مشيط، طالبا فيه وزارة الداخلية تعيين ابنه عبد العزيز على الإمارة؛ لما عرف عنه من صفات منها: حسن التصرف، والجدارة[٣].

نجـد أن إمـارة خميس مشيط أصبح لها الكيان الإداري المنظم المكون من أمير، وكاتـب واحد، وخمسة أخوياء، ومقر الإمارة بيت من الطين، مستأجر بثلاثة آلاف ريال سنويـا، وحينها كان السـكان لا يتجاوزون عشرين ألف نسمة، ومـن النـادر أن تجد بيتا مـن البلوك أو الطوب[٤]. وفي عام (١٣٩١هـ/١٩٧١م) جرى افتتاح مبنى إمارة خميس مشيط، برعاية سمو أمير المنطقة آنذاك ــ الأمير خالد الفيصل ــ والجدير بالذكر أن هذا المبنى كان على الطراز الحديث[٥]،وكان يقع بين حي الدرب وحي قمبر[٦].

تـولى عبد العزيـز بن مشيط عـدة مهام قبل تعيينـه أميرا علـى خميس مشيط، ففـي عـام (١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م) تم تعيينه معلمـا في مدرسة العرين[٧]، ثـم تم انتدابه

---

(١) عبـد العزيـز بن مشيط: هو عبد العزيز بن سعيد بـن عبد العزيز بن حسين بن علي بن مشيط، من مواليد مدينـة خميس مشيط عام (١٣٦٠هـ/١٩٤١م)، نشأ تحـت رعاية والده وإشرافه عليه، حيث قام بتعليمه، فـكان يجلب له المعلمين قبل افتتاح المدارس لتعليمه القراءة والكتابة، وتحفيظه القرآن، والتوحيد، والفقه، فتعلـم القـراءة والكتابة على يد كل من موسى بن فرج، وسلمان بـن معيض، وكان يقوم بقراءة الصحف- ولم يكـن في ذلك الوقت سوى صحيفـة البلاد وأم القرى، وبعض الكتب على الشيخ سعد بن سعيدان، ومن بعـده الشيـخ عبـد الله بن عيدان، وكلما غلـط في اللغة كانا يـردان عليه للتقويم والتصحيـح. انظر: ابن مشيـط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص ١٧٤؛ مقابلة مـع الأستاذ عبد العزيز بن سعيد بن مشيط يوم الأحد بمنزله بخميس مشيط، بتاريخ (٢٣- ٢ - ١٤٣٤هـ/٦- ١- ٢٠١٣م).

(٢) قبل صدور نظام المحافظات عام (١٤١٢هـ/١٩٩١م)، كان يطلق على من يتولى منصب إمارة خميس مشيط لقـب أمير، وقد حملت خميس مشيط اسم محافظة خميس مشيط عام (١٤١٥هـ/١٩٩٤م). للمزيد انظر: الشيحة، عدنان بن عبد الله؛ الحريقي، فهد: نحو تفعيل نظام المناطق كآلية للتخطيط الحضري في المملكة العربيـة السعودية، جامعـة أسيوط، مجلة العلوم الهندسية، المجلـد (٣٠، يوليو ٢٠٠٢ م)، ص ص ٨١٥ – ٨٢٦؛ ابن جريس، غيثان علي، القول المكتوب في تاريخ الجنوب عسير وجازان والقنفذة، مطابع الحميضي، الرياض، (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، ج٤، ص ١٧٠.

(٣) وثيقـة رقـم ١٢٠٦، بتاريخ (١٣٨١/٨/٢٣هـ)، قرار وزاري صـادر من وزارة الداخليـة بخصوص تعيين الأستاذ/ عبد العزيز بن مشيط أميرا على خميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

(٤) ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص ٢٠٥.

(٥) إمـارة منطقة عسير، عسير في عام مـن رجب(١٣٩١هـ/١٩٧١م) إلى رجب(١٣٩٢/١٩٧٢م)، منشورات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ص ٣٠.

(٦) أصبـح موقع مبنـى محافظة خميس مشيط الجديـد الآن على شارع الملك فيصل مقابل فنـدق ترايدنت. زيارة ميدانية قامت بها الباحثة لمحافظة خميس مشيط، يوم الخميس، تاريخ (٢٩- ٧ – ١٤٣٥هـ/٢٩-٥-٢٠١٤م).

(٧) العرين: تقع جنوب المملكة العربية السعودية شرق عسير، وسميت بذلك نسبة إلى بئر قديمة تسمى العرينية، بها مركز إداري، يتبعه قرى، وأودية، ومزارع كثيرة. انظر: الحربي، المعجم الجغرافي، ج ٣، ص ص ١١٦٧-١١٦٩.

في (١٠-٥-١٣٧٥هـ/١٩٥٥م) إلى مدرسة ذهبان بخميس مشيط[١]، ودَرَّس المرحلة الابتدائية، فقام بتدريس القرآن، والحديث، والتوحيد، والفقه، واللغة العربية، وبقي عليها إلى سنة (١٣٨١هـ/١٩٦٢م)، وهي السنة التي عُين فيها أميرا على خميس مشيط، أما مشاركاته الحربية، فقد شارك الأمير عبد العزيز والده الشيخ سعيد عام (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م) في قيادة الحملة التأديبية التي توجهت إلى جبل القهر، لإخضاع قبائل الريث[٢]، مع الأمير عبد الله الفيصل الفرحان[٣]، وأمير عسير (الأمير تركي الماضي)، وأمير جازان (الأمير سلمان بن جبرين)[٤]، بالإضافة إلى توليه رئاسة عدد من الأعمال الخيرية والتطوعية في خميس مشيط، ولقد استمر الأستاذ عبد العزيز بن مشيط أميرا على خميس مشيط، ثم محافظا لها حتى تقاعد[٥].

(*) حققت إمارة خميس مشيط نجاحا ملموسا في مواكبة التطور الحضاري والاجتماعي، وقامت بتطوير وزيادة مراكزها، ورافقت هذه الزيادة زيادة في عدد مباني الإمارات، وعدد القوى العاملة فيها، ومن بين تلك المراكز التي يرجع تأسيسها إلى فترة الدراسة، وما طرأ عليها من تطور ما يلي:

---

(١) سيتم الحديث بالتفصيل عن المدارس التي تأسست في مدينة خميس مشيط في صفحات تالية من هذ البحث.

(٢) جبل القهر: جبل منيع، يقع جنوب غرب المملكة العربية السعودية، سكانه من قبائل الريث، وتقع محافظة الريث حاليا شرقي منطقة جازان، وقد دارت عدة معارك عند هذا الجبل، من أهمها المعركة التي حدثت سنة (١٣٧٥هـ/١٩٥٦م)، وسببها تمرد قبائل الريث على الحكومة، حيث تحصنوا في جبل القهر؛ فأمر الملك سعود بحشد المجاهدين من قبائل عسير، ومن ثم الاجتماع مع أمير جيزان، والتقدم إلى جبل القهر، وكان الشيخ سعيد بن مشيط على رأس (٥٠٠) مجاهد من قبائل خميس مشيط، للمشاركة مع القبائل الأخرى، وكان يرافقه حينها ابنه عبد العزيز بن مشيط، وتمت السيطرة على الجبل بعد أكثر من شهرين، وأسّر المقاومين من الرجال، ثم أصدر الملك سعود قرارا بإطلاق سراحهم وإكرامهم. انظر: ابن زلفة، محمد بن عبد الله، دراسات من تاريخ عسير الحديث، منشورات نادي أبها الأدبي، (١٤١٢هـ/١٩٩١م)، ص١٠٩؛ ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص ١٠١ .

(٣) الأمير عبد الله بن فيصل بن تركي الفرحان آل سعود، من مواليد الرياض عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م)، من أهم أعماله توليه منصب أمير منطقة القصيم من عام (١٣٥٤هـ إلى ١٣٦٦هـ)، ثم تولى منصب رئيس الحرس الوطني في الفترة من (١٣٧٤هـ - ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٥م — ١٩٥٦م)، توفي يوم الإثنين (٢٩- ١٠- ١٤٢٧هـ/٢٠ من نوفمبر/٢٠٠٦م) عن عمر يناهز (٩٠) عاما. انظر: بدون مؤلف، الأمير عبد الله بن فيصل بن فرحان إلى رحمة الله، جريدة الرياض، الرياض، الثلاثاء (٣٠ - ١٠ - ١٤٢٧هـ /٢١ - نوفمبر- ٢٠٠٦م)، العدد ١٤٠٢، ص ١ .

(٤) ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص١٨٣ .

(٥) في (١- ٧-١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م)، طلب عبد العزيز بن مشيط إحالته للتقاعد، إلا أنه مدد له في العمل حتى (١- ٧- ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ثم تم تكليف ابنه سعيد بن عبد العزيز بن مشيط محافظا لخميس مشيط، بناء على خطاب الأمير خالد الفيصل- أمير منطقة عسير- في (٢٩- ٦-١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م). انظر: وثيقة رقم (٢٥٩٢٧)، بتاريخ (٢٩-١١- ١٤٢٨هـ /٢٠٠٧م)، خطاب محافظ محافظة خميس مشيط إلى وكيل إمارة عسير، يفيد بمعلومات عن محافظة خميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث .

أ ـ مركز يعرى:

يقع مركز يعرى إلى الشمال الشرقي من مدينة خميس مشيط، يبعد عنها بنحو (٧٠) كم تقريباً[١]، ويقع المركز على الطريق العام الذي يربط بين تثليث وخميس مشيط، عن طريق وادي ابن هشبل[٢]، ويحده من الشرق مركز الصبيخة، ومركز المضة، ومركز طريب، ومن الغرب خيبر الجنوب، ومركز وادي ابن هشبل، ومن الشمال مركز الصبيخة، ومركز خيبر الجنوب، ومن الجنوب خميس مشيط[٣]. تم افتتاح مركز يعرى في عام (١٣٧٢هـ/١٩٥٣م) تحت مسمى دورية، في مبنى مستأجر في قرية آل جرمان، وكان برئاسة عقل بن فهد الشمري، وفي عام (١٣٧٨هـ /١٩٥٩م) تطور إلى اسم مركز، وكان برئاسة فالح بن محماس[٤]. وبالنسبة للتنقلات المكانية لموقع المركز، فإن المركز عند إنشائه كان في قرية جرمان عام (١٣٧٢هـ/١٩٥٣م)، في مبنى مستأجر عندما تأسس دورية آن ذاك، وبعد أن طور إلى اسم مركز نقل إلى مبنى مستأجر بقرية الغول[٥]، ثم نقل إلى مبنى آخر مستأجر، ومازال المركز في هذا المبنى في انتظار إنشاء مبنى حكومي له[٦].

ب ـ مركز خيبر الجنوب:

يقع إلى الشمال الشرقي من مدينة خميس مشيط على بعد (٦٥) كم تقريباً[٧]، على الطريق العام الذي يربط بين مدينة بيشة وخميس مشيط[٨]،ويبعد عن مركز وادي ابن هشبل بمسافة (٣٠) كم تقريباً إلى الشمال، ويحده من الشرق مركز الصبيخة ومركز يعرى، ويحده من الغرب وادي ابن هشبل، ومن الشمال مركز صمخ، ومن الجنوب مركز يعرى ومركز وادي ابن هشبل[٩].

---

(١) الخثعمي، خميس مشيط، ص ٣٢ .

(٢) زيارة ميدانية قامت بها الباحثة لمركز يعرى يوم الثلاثاء، بتاريخ(٨- ١٠- ١٤٣٥هـ/٥-٨-٢٠١٤م) .

(٣) الخثعمي، خميس مشيط، ص ٣٢.

(٤) كان ممن تولى رئاسة المركز: علي سعد بن عسكر، جمل البصيري، طامي بن علي، حمود النايف، ويرأس المركز حاليا فيصل بن عبد العزيز بن مشيط. انظر: وثيقة رقم(٣- ٦٠٢- ١٩٩٧)، بتاريخ (٢٢- ١١- ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، إفادة من رئيس مركز يعرى إلى وكيل إمارة منطقة عسير، إشارة إلى تعميمه بشأن طلب توثيق المنجزات رقم (٦١٩٤٢) في(١٦-١١-١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)، يفيد بمعلومات عن مركز يعرى، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

(٥) وثيقة رقم (٣-٦٠٢-١٩٩٧)، بتاريخ (٢٢-١١-١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، تفيد بمعلومات عن مركز يعرى، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

(٦) خطاب رقم (٣- ٦٠٢-١٣٠٩)، بتاريخ (٨- ١٠- ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)، مرسل من رئيس مركز يعرى الأستاذ فيصل بن عبد العزيز بن مشيط.

(٧) الخثعمي، خميس مشيط، ص ٣٢.

(٨) زيارة ميدانية قامت بها الباحثة لمركز خيبر الجنوب يوم الأحد (٢٧-١٠- ١٤٣٥/٢٤-٨-٢٠١٤م).

(٩) الخثعمي، خميس مشيط، ص ٣٢.

وافتتـح مركـز خيـبر الجنـوب عـام (١٣٧٦هـ/١٩٥٧م)، تحـت اسـم إمـارة خيبر الجنوب[١]،وأغلـب الخدمـات الحكوميـة في مركـز خيـبر الجنـوب تأسست حديثـا - بعد فـترة الدراسـة - فبها مركـز شرطة، يرجع تاريـخ إنشائـه إلى عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)[٢]،كمـا يوجد بالمركز (سبـع عشرة مدرسـة)[٣]، ويرجع إنشاء أول مدرسـة فيها إلى عام (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م)، وهي مدرسة ابتدائية[٤]، ويوجد بهـا خمسة مراكز صحية[٥]، ويرجع إنشـاء أول مركز صحي بها إلى عام (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م)، وكان يرأس إدارته الدكتور محمد عبد السلام[٦].

جـ مركز وادي ابن هشبل:

يقـع إلى الشمـال من مدينة خميس مشيـط على بعد حوالي (٢٥) كـم تقريباً[٧]، ويمـر به الطريق العام الذي يربط بين خميس مشيط ومدينة بيشة[٨]،ويحده من الشرق مركـز يعـرى ومركز خيـبر الجنوب، ومـن الغرب مركـز بللحمر ومركـز بللسمر، ومن الجنـوب خميـس مشيـط، ومـن الشمال مركـز خيبر الجنـوب، ومركز صمـخ، ومركز تنومـة[٩]. ويطلـق عليـه وادي ابن هشبـل، نسبة إلى ابـن هشبل من مشايـخ بني بجاد من شهران[١٠].

---

(١) وثيقـة رقم ١٨٩٣/٦٠٢/٤، بتاريخ(٢٣- ١١- ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، إفـادة من رئيس مركز خيبر الجنوب إلى وكيـل إمـارة منطقـة عسير، إشـارة لتعميمه بشأن طلب توثيـق المنجزات رقـم (٦١٩٤٢ في ١٦- ١١- ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، يفيـد بمعلومـات عـن مركز خيـبر الجنوب، محفوظـة لـدى مؤسسة دار ألمـع للثقافة والـتراث؛ تقريـر مرسل من رئيـس مركز خيبر الجنـوب الأستاذ فهد بـن محمد السريعـي، يوم الأحد (٢٧-١٠-١٤٣٥هـ/٢٤-٨-٢٠١٤م).

(٢) وثيقـة رقـم (١٨٩٣/٦٠٢/٤)، بتاريخ(٢٣-١١-١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، تفيـد بمعلومـات عـن مركز خيبر الجنوب، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

(٣) تقريـر مرسـل مـن رئيس مركز خيبر الجنـوب الأستاذ فهد بن محمـد السريعي، يـوم الأحد (٢٧- ١٠- ١٤٣٥/٢٤-٨-٢٠١٤م).

(٤) وثيقـة رقـم (١٨٩٣/٦٠٢/٤)، بتاريـخ (٢٣-١١-١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، تفيد بمعلومات عـن مركز خيبر الجنوب، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

(٥) تقريـر مرسـل مـن رئيس مركز خيبر الجنـوب الأستاذ فهد بن محمـد السريعي، يـوم الأحد (٢٧-١٠-١٤٣٥هـ/٢٤-٨-٢٠١٤م).

(٦) وثيقة رقم١٨٩٣/٦٠٢/٤)،بتاريخ(٢٣-١١-١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، تفيد بمعلومات عن مركز خيبر الجنوب، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

(٧) الخثعمي، خميس مشيط، ص ٣٢.

(٨) زيارة ميدانية قامت بها الباحثة لمركز وادي ابن هشبل، يوم الثلاثاء (١٤٣٥/١٠/٢٩هـ- ٢٠١٤/٨/٢٦م).

(٩) الخثعمي، خميس مشيط، ص ٣٢.

(١٠) ليبنـز، فيليب، ترجمة: محمد الحناش، رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية، الرياض، دارة الملك عبد العزيز،(١٤١٩هـ) ، ص٥٨.

تم افتتاح مركز وادي ابن هشبل في (٢٥-٨-١٣٦٨هـ/٢٢-٦-١٩٤٩م)، تحت اسم دورية وادي ابن هشبل، وقد تلقى حينذاك والد شيخ قبائل آل بجاد[١] خطابا من أمير عسير تركي السديري، يتضمن تعيين فالح بن محماس رئيسا لدورية وادي ابن هشبل. وفي عام ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م تطور المركز إلى اسم (إمارة وادي ابن هشبل) برئاسة زيد بن خثلان، واستمر على ذلك الاسم، حتى صدر نظام المناطق والمحافظات عام (١٤١٢هـ/١٩٩١م)، ليصبح تحت اسم (مركز وادي ابن هشبل)[٢].

د ـ مركز المضة:

يقع إلى الشرق من محافظة خميس مشيط، على بعد حوالي(١٣٠) كم تقريباً[٣]، يحده مركز الصبيخة من الشمال، ومركز طريب من الجنوب، ومركزا الأمواه والحمضة من الشرق، ومركز العرين من الجنوب الشرقي، ومركزا يعرى وخيبر الجنوب من الغرب[٤]. وافتتح مركز المضة عام (١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م)، برئاسة إبراهيم بن محمد بن ماضي، ولم يطرأ على المركز أي تغيير في الاسم أو المكان[٥]، وبه جميع الخدمات الحكومية، منها ما تأسس قديما، ومنها ما تأسس حديثا، وبه هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويرجع إنشاؤها إلى عام (١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م)، وبه محكمة، ويرجع إنشاؤها إلى عام (١٣٧١هـ/١٩٥٢م)، وبه مكتب للبريد، ويرجع إنشاؤه إلى عام(١٣٧١هـ/١٩٥٢م)، وبه وحدة سجن، ويرجع إنشاؤها إلى عام (١٣٧٨هـ/١٩٥٨م)، وبه مركز شرطة، ويرجع إنشاؤه إلى عام (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)، وفي عام (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) افتتح بها مركز صحي[٦].

---

(١) آل بجاد: بطن من بطون قبائل شهران الرئيسة، وكان شيخهم تركي بن عبد الله بن هشبل الذي توفي في(١٢-١٠-١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، وتولى بعده ابنه سعيد بن تركي مشيخة بني بجاد. انظر: الجاسر، حمد، معجم قبائل المملكة العربية السعودية، د.ن، د.ت، ص ١٣.

(٢) وثيقة رقم(٣٨٨٢/٦٠٢/٢)، بتاريخ(٢٥-١١-١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، إفادة رئيس مركز وادي ابن هشبل إلى وكيل إمارة منطقة عسير، إشارة لتعميمه بشأن طلب توثيق المنجزات، برقم (٦١٩٤٢) في (١٦-١١-١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، تفيد بمعلومات عن مركز وادي ابن هشبل، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

(٣) زيارة ميدانية قامت بها الباحثة لمركز المضة بتاريخ (١-١١-١٤٣٥هـ/٢٧-٨-٢٠١٤م).

(٤) الخثعمي، خميس مشيط، ص ٣٣.

(٥) وثيقة رقم(١٠٨٦/٦٠٢/٥) بتاريخ(٢٩-٧-١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، إفادة رئيس مركز المضة إلى محافظ محافظة خميس مشيط، إشارة لتعميمه بشأن طلب توثيق المنجزات رقم (١٤٣٧٥) في (١٧-٦-١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، المبني على تعميم وكيل إمارة منطقة عسير رقم (٣١٧٧٦) في (١٠-٦-١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، تفيد بمعلومات عن مركز المضة، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للتراث والثقافة.

(٦) وثيقة رقم (١٠٨٦/٦٠٢/٥)، بتاريخ(٢٩- ٧-١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، تفيد بمعلومات عن مركز المضة، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للتراث والثقافة.

أولـت إمـارة خميس مشيط اهتماما كبيرا بالمشاريـع العمرانية وغير العمرانية، ومـن بين تلك المشاريع حل مشكلة الإعمار العشوائي، الذي قام به بعض الناس في غيبة عـن الوعي والتخطيط المدروس، وكانت صنادق خميس مشيط مثالا واضحا لذلك[١]، فهـي مبان مقامة بلا تخطيط، وبشكل فوضوي، مبانيها مـن الزنك أو الأخشاب، حتى اتسعت وتجاوزت الحد المقبول، وقد سمي حي بأكمله باسم: (حي الصنادق)، وأصبحت هـذه المشكلة تشكل خطرا من الناحية الأمنية، فقامت الإمارة بدراسة المشكلة مع بلدية الخميس، واقترحت حـلا يقضي بتخطيط منطقة الصنادق، وشـق شوارع واسعة، وفي عـام ١٣٩٢ هـ /١٩٧٢م، تم عرض الموضوع على الملك فهد[٢] ـ وزير الداخلية[٣] آنذاك ـ وتمت الموافقة، وحلت المشكلة مبدئيا من الوجهة التخطيطية[٤].

بهـذا حرصت إمارة خميس مشيط على تقديم المشورة والرأي للمصالح الحكومية في المدينـة، فيمـا يتعلـق باحتياجاتهـا من مشاريـع، ويتـم التنسيق فيما بـين المصالح الحكومية عن طريق الإمارة، التي ترعى تنفيذ خطة التنمية، وتشارك مشاركة فعالة في إعـداد خطط التنمية للمستقبل، وقد أخذت الإمارة علـى عاتقها متابعة هذه المشاريع، ومناقشـة تقدمهـا أو تأخرها في التنفيذ؛ رغبة منها في الوصـول إلى مبتغاها، من أجل راحة المواطنين، وتوفير كافة الخدمات.

٢ـ القضاء:

حرص الملك عبد العزيز على تحقيق العدل، وتطبيق الشريعة الإسلامية في نظامه القضائي، والدليل على ذلـك ما قاله سنة (١٣٤٣هـ/١٩٢٥م): «إن القرآن والسنة وما أقـره علماء الإسلام بطريق الإجماع أو القياس، ستكون مصادر التشريع»[٥]، ولعل أهم

---

(١) تقـع هذه المنطقة شرق مدينة خميس مشيط، وتحديـدا في حي العزيزية الآن. انظر: ابن معبر، محمد بن أحمد، ذكريات عن مدينة خميس مشيط (١٣٨٦ـ١٤٠٠هـ) ، د.ن، د.ت، ص١٤.

(٢) ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص ١٩٤، ١٩٥.

(٣) في ٣ جمـادى الآخـرة (١٣٨٢هـ/١٣أكتوبـر١٩٦٢م)، تولى الملك فهـد وزارة الداخلية، فأعـاد تنظيمها، وطـور كليـة قوى الأمـن الداخليـة (كلية الملك فهـد الأمنية حاليـا)، واستمر وزيـرا للداخليـة إلى تاريخ (١٣٩٥/٣/١٧هـ -١٩٧٥م). انظـر: آل الشيـخ، صالح بن عبد العزيز، جهود خـادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، د.ن ، د.ت، ص ١٥.

(٤) كان المخطط الأول لحل هذه المشكلة تقريبا عام (١٣٩٩/١٤٠٠هـ)، حيث تم توزيع نحو ألفي قطعة سكنية للمستحقـين، مـن الذين كانوا يسكنون هذه الصنادق، ثم ذكر الأستاذ عبد العزيز بن مشيط أن المخطط الثـاني لإنهاء هذه المشكلة، قد أصبح في مراحله الأخيرة عام (١٤٠٠ هـ/١٩٨٠م). انظر: جريدة المدينة، العدد (١٩)، شوال(١٤٠٠هـ/أغسطس١٩٨٠م) ،ص ٥٣.

(٥) آل دريـب، سعـود بن سعـد، التنظيم القضائي في المملكـة العربية السعودية في ضـوء الشريعة الإسلامية ونظـام السلطـة القضائية، رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراة في السياسة الشرعية، جامعة الإمام محمد بن سعود، (١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ص ٢٨٤.

ما يميز القضاء في المملكة العربية السعودية منذ بدايته وحدة المذهب، فليس هناك إلا مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وكتبه، وكتب فقهاء الحنابلة[١]، إلا أن بعض القضاة في عسير كانوا يعتمدون على المذهب الشافعي في أحكامهم، إلى أن صدرت عدة أنظمة متوالية، نقلت القضاء في عسير إلى تنظيم أدق، حيث صدر توجيه من الملك عبد العزيز بتاريخ (٢٤-٧-١٣٤٤هـ/٢٧-٢-١٩٢٦م) بجعل المحاكم في عسير مرتبطة بدائرة رئاسة القضاء في مكة المكرمة، للإشراف على القضاء والقضاة، وما يصدر من أحكام[٢]، ثم صدر مرسوم ملكي في (٢٤-٦-١٣٤٦هـ/١٩-١٢-١٩٢٧م) بتشكيل لجنة مراقبة، للإشراف على معاملات المحاكم، والمعارف، وهيئة الأمر بالمعروف[٣].

تميز القضاء في بداية عهد الملك عبد العزيز بسهولة الإجراءات القضائية، وعدم وجود محاكم متخصصة[٤]، ففي كل مدينة قاض وأمير[٥]، وذلك إلى جانب الأعراف القبلية، إذ كانت القبائل في القرى تتبع الأعرافَ القبلية التي لا تكون مخالفة للشريعة الإسلامية[٦]؛ وبهذا فقد حظيت مدينة خميس مشيط- حينها- بالشيخ سعيد بن مشيط، الذي كان له دور بارز في حل القضايا الداخلية بين القبائل، فكان يعقد مجلسا في قصره في ذهبان، وتعرض عليه قضايا مختلفة ومتباينة، وكان يسعى بالحكم بالتراضي بين الطرفين، ومن ذلك ما جاء في إحدى الوثائق المؤرخة في (٧- ٤-١٣٥٤هـ/٩-٧-١٩٣٥م) حيث قال: «بأنه حضر من على يدي أنا يا سعيد بن عبد العزيز بن مشيط أهل لعبان، بينوا دعواهم من خصوص ماليتهم، وخيرناهم على الشرع أو على الصلح، فرضيوا الصلح، فصار أن صالحناهم...»[٧]، كما كان يحكم في قضايا المواريث، ففي إحدى الوثائق إشارة إلى إسناد أمير عسير حينها الأمير تركي السديري إلى الشيخ سعيد بن مشيط الحكم في قضية ميراث في عام ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م، حيث قال: «تذكر سعيدة أن لها حصة إرث لدى أخواتها، وعيال أخوها، خلصها بما أحق الله لها، وما

---

(١) الزركلي، الوجيز، ص ١٠١.

(٢) السناني، محمد بن مبارك، التنظيمات الإدارية في عهد الملك سعود (١٣٧٣-١٣٧٤هـ/١٩٥٣م-١٩٦٤م)، رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في التاريخ الحديث، جامعة أم القرى، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ص ٤٥٢.

(٣) لمعرفة المزيد عن التنظيم القضائي في عسير انظر: جفشر، سعيد بن عبد الله، القضاء في منطقة عسير في عهد الملك عبد العزيز (١٣٣٨-١٣٧٣هـ/١٩٢٠-١٩٥٣م)، رسالة علمية لنيل درجة الماجستير، جامعة الملك خالد، (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)، ص ص ١٩ـ٣٤.

(٤) العتيبي، إبراهيم بن عوض، تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز (١٣٤٣-١٣٧٣هـ/١٩٢٤-١٩٥٣م)، دراسة تاريخية، الرياض، العبيكان، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ص ٢٠٨.

(٥) البشري، إقليم عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص ١٠٠.

(٦) آل دريب، التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية، ص ٢٨١.

(٧) وثيقة بدون رقم، بتاريخ(٧-٤-١٣٥٤هـ-/١٩٣٥م)، بخصوص صلح الشيخ سعيد بن مشيط لأهل لعبان، محفوظة لدى الباحث سعيد جفشر.

أشـكل ترفـع الطرفين للشرع»[١]، بالإضافـة إلى الفصل في قضايـا الحدود، والمحاجر بـين القبائل، ومن ذلك ما ورد في الوثيقة المؤرخة عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م، حيث حد فيها الحـدود التـي تفصل بين محاجر بني جابـرة، وأهل المسقي من شهـران، حيث قال في نهاية الوثيقة: «هذا حد الحدود الذي بينهم»[٢].

كان يعـاون الشيـخ سعيـد بن مشيـط الشيخ سعد بن سعـدان[٣] في أمـور القضاء وتعليـم النـاسـ، ونظرا لضيـق العيش في منطقة نجـد بصفة عامة؛ فقـد أحب الشيخ سعـد السفـر إلى الجنـوب، فوصـل إلى خميـس مشيـط، واستقبلـه الشيـخ سعيد بن مشيـط، وأسكنـه أحد قصـوره[٤]، وكان الشيـخ سعد عالماً ورعـاً أديباً شاعـراً، فقال عنـه الأستـاذ محمد أحمد أنـور[٥]- رحمه الله- وهـو ممن عاصر الشيـخ سعد: «كان يوجـد بخميـس مشيـط قاض منـذ بداية الحكـم السعـودي، طلبه الأمـير/ سعيد بن عبـد العزيـز بن مشيـط منً الملـك عبد العزيـز[٦] - رحمهـم الله - ويدعـى سعد بن

(١) وثيقـة بدون رقم، بتاريخ(١٣-٦-١٣٦٣هـ/١٩٤٤م)، رسالة من تركي السديري للشيخ سعيد بن مشيط، للحكم في قضية ميراث، محفوظة لدى مكتبة الباحث سعيد بن عبد الله جفشر.

(٢) وثيقـة رقم (٢٦)، بتاريـخ (٢٥-٦- ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م)، الفصل في قضية حدود ومحاجر، بين بني جابرة وأهل المسقي من شهران، من كتاب: ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص ٣٨٤.

(٣) الشيـخ سعـد هو: سعد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعدان، مـن مواليد سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م، في بلدة نخيلان في منطقة العرض، أحد أقاليم نجد، تعلم منذ صغره، فأتم حفظ القرآن الكريم في فترة قصيرة، ولم يبلغ الثالثة عشرة من عمره، حتى أصبح يؤم الناس في الجمعة والجماعة، كان كثير المطالعة والقراءة، خاصـة كتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، لازم العلماء، وأولهم الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، وكانت له مقـدرة عجيبة في الحفظ؛ فحفظ أحاديث كثيرة، بلـغ مجموعها حوالي سبعة آلاف وخمس مئة. انظر: آل بسام، علماء نجد،ج٢، ص ص ٢٣٢-٢٣٨.

(٤) ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص ١٢٥.

(٥) سيتم التحدث عن هذه الشخصية في محور قادم .

(٦) اختلفت الآراء هنـا، فمنهم من ذكر أن الشيخ سعـد بن سعدان كان في خميس مشيط بأمر من الملك عبد العزيـز، كمـا ورد في كتاب: ابـن جريس، عسير في عصر الملك عبد العزيز، ص ٧٣، ومنهم من ذكر أن الشيـخ سعد سافر إلى خميـس مشيط لضيق العيش في منطقة نجد بصفة عامـة، حيث وصل إلى هناك، وهـو لا يعـرف أحدا، وبينما هو يتجول في قرية ذهبان، إذ بمجموعة مـن الرجال جالسين في دكة مرتفعة، فوقـف عليهـم، وسلم، ثم جلس، وساقـوا إليه القهوة أسوة بغيره من الجالسـين، وفي أثناء ذلك وقف أحد المواطنين، وسلم على الشيخ سعيد بن مشيط، وألقى عليه سؤالا فقهيا يخص عائلته، وطلب منهم الإجابة، فسكتـوا جميعـا نظراً لعدم وجود مشايـخ لديهم في ذلك الوقت، فطرح الشيخ سعيـد بن مشيط السؤال علـى الحاضرين فسكتـوا، فاستأذن الشيخ سعد بن سعدان في الإجابة عليـه، وفي نهاية تلك الجلسة طلب منـه الشيـخ سعيد بن مشيط الإقامة معه في قصره، وأقره على إمامة المسجد قاضيا ومرشدا. هذا ما ورد في كتـاب: اليابس، عبـد الله بن محمد، القويعية قاعدة العرض، د.ن، (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، ص ٣١. وقد ورد في كتـاب: ابـن بسام، علمـاء نجد، ج٢، ص٢٣٤، أن الشيخ سعد ارتحـل إلى خميس مشيط، ولم يذكر أنه بأمر من الملك عبد العزيز، وهذا ما أكده لي حفيد الشيخ سعد بن سعدان الأستاذ/سعد بن محمد بن سعدان، والأرجح هو الرأي الثاني؛ لأنه -كما سأذكر فيما بعد- أن الشيخ سعيد بن مشيط رفع للملك عبد

سعيدان[١] ،عـالم جليـل ورع ومتديـن، وقل نظـيره في مخافة الله، وأديـب وشاعر على طريقة العلماء لا الشعراء»[٢].

كان الشيـخ سعد عابـدا زاهدا كثير الصيام، عرف بحسن خطه، فكان يقوم بنسخ كثـير من الكتب النافعـة، وكان ينصح، ويرشد، ويأمر بالمعـروف، وينهى عن المنكر[٣]، لذلك عندما توجه إلى مدينة خميس مشيط، وتعرف إلى الشيخ سعيد بن مشيط، الذي كان له الأثر في معرفة الناس بالشيخ سعد، كان يعقد له مجلسا علميا كل يوم خميس في الدرب، يستقبل النـاس، فيرشدهـم، ويجيبهم على أسئلتهم في أمور الدين والدنيا،كما كان يساعـد الشيـخ سعيـد بن مشيط في الفصـل بين النـاس في الخصومـات، وتقسيم الإرث، ويشهـد في ذلك، ومن ذلك ما ورد في الوثيقـة المؤرخة في(١٤- ٤-١٣٥٢هـ/٦-٨-١٩٣٣م) ، حيـث جاء فيها: «وصار أنه صار لهـم نصيفة حق الهالكة نفلا بنت سالم بن عمير... إلى أن جاء فيها: «حضر ذلك الشيخ سعد بن محمد بن سعدان»[٤].

كان للشيخ سعد بن سعدان دور في متابعة قضايا البيع والشراء، وإثباتها، ومن ذلك ما ورد في الوثيقة المؤرخة في سنة (١٣٥٦هـ/١٩٣٧م) ، حيث قال: «فبموجب ذلك شرعا وصحـة، لم يبـق للبائع ولا لمن يأتي من جهته في ذلـك المبيع حق، ولا تبعة، بل صار ملكا ثابتا، وحقا لازما، ومالا للمشتري»[٥].

مارس الشيخ سعد بن سعدان القضاء في مدينة خميس مشيط حسبة فقط، وذلك إلى جانـب تعليمه النـاس[٦]، وعندما أراد الشيخ سعيد بن مشيـط أن يرفع للملك عبد العزيـز بطلب تعيين الشيـخ سعد (قاضيـا رسميا) في خميس مشيـط، رفض واعتذر،

العزيز، يطلب تعيين الشيخ سعد بن سعدان قاضيا رسميا، إلا أن الشيخ سعد رفض واعتذر، وهذا يدل على أن الشيخ سعد لم يذهب إلى الخميس بأمر من الملك عبد العزيز.

(١) اسم الشيخ: سعد بن سعدان، وليس سعيدان كما اشتهر. انظر: اتصال هاتفي أجرته الباحثة مع الأستاذ سعـد بن محمـد بن سعدان، أحـد أحفاد الشيخ سعـد بن سعدان، يـوم الثلاثاء تاريـخ (١٤٣٥/٣/١٢هـ ـ٢٠١٤/١/١٤هـ).

(٢) ابن جريس، عسير في عصر الملك عبد العزيز، ص ٧٣.

(٣) آل بسام، علماء نجد، ج٢، ص ٢٣٥.

(٤) وثيقـة بدون رقـم، بتاريخ (١٤- ٤-١٣٥٢هـ/١٩٣٣م) ، بخصوص تقسيـم إرث نفلا بنت سالم بن عمير، محفوظة لدى مكتبة الباحث سعيد جفشر.

(٥) وثيقة بدون رقم، بتاريخ (١٣٥٦هـ/١٩٣٧م) ،بخصوص إثبات قضية بيع وشراء، مصدقة من الشيخ سعد ابن محمد بن سعدان، محفوظة لدى مكتبة الباحث سعيد جفشر.

(٦) يعـد الشيخ سعد بـن سعدان أول من أسس القضـاء في خميس مشيط على مبـدأ الحسبة. انظر: اتصال هاتفـي أجرتـه الباحثة مـع الأستاذ سعد بـن محمد بن سعدان أحـد أحفاد الشيخ سعد بـن سعدان، يوم الثلاثاء بتاريخ (١٢- ٣ - ١٤٣٥ هـ/١٤-١-٢٠١٤هـ).

ونستــدل على ذلك بمــا ورد في الوثيقة التي بعث بها الشيخ سعــد بن سعدان إلى الشيخ سعيــد بن مشيط، فقال فيهــا: «ما أشرتم إليه من جهة القضــاء، فهذا أمر لا طاقة لي فيه، ولا أوافق عليه أبدا ألبتة»[١].

كان بــين الأهالي ــ في ذلــك الوقت ــ المحبة والألفة، يسعــى كل واحد في مساعدة الآخــر، لم تكن بينهم خلافات كبيرة مثــل وقتنا الحاضر، وكانوا يحترمون القاضي، أو الذي يحكم بينهم، لذلك كان يتم القضاء حينها بيسر وسهولة[٢].

يتضــح ممــا سبق اهتمــام الملك عبد العزيــز بإرسال القضاة وطلبــة العلم إلى خميســ مشيط، وحرصــ الشيخ سعيد بن مشيط على ذلك، كمــا نلحظ السلاسة التي اتسمت بها مجالســ القضاء في ذلك الوقت، وإمكان تسجيلهــا، وكتابتها، وإجراءاتها، كما أن الأحكام الشرعية كانت تستقبل بالترحيب والرضا.

وعندما تطور النظام القضائي في عسير أواخر عهد الملك عبد العزيز، افُتتح فرع للمحاكــم الشرعية في أبها، ومحاكم ملحقة بمحكمة أبها، منها محكمة خميس مشيط، ويرأس عملها القاضي عبد الله بن عيدان[٣]، وتحديدا في عام (١٣٧٠هـ/١٩٥١م) [٤]. وبدأ الشيخ ابن عيدان عمله بالحكم في القضايا التي تعرض عليه، ومن أشهرها قضايا

(١) وثيقة رقم (٥٦)، بدون تاريخ، خطاب من الشيخ سعد بن سعدان إلى الشيخ سعيد بن مشيط، من كتاب: ابــن مشيــط، الشيخ سعيد بــن مشيط، ص ٤٦٤؛ وما يؤكد هــذا الكلام القصة التــي ذكرها ابن بسام في كتابــه فقــال: "ونظرا لمكانة الشيخ في المنطقة، ومحبة أهلها لــه، فقد رأى رئيس محاكم عسير الشيخ عبد الله بــن يوسف الوابل، وأمير أبها تركــي السديري، أن يكتبا للملك عبد العزيز، بطلب تعيين الشيخ رسميا في القضــاء، لثقتهــم بعلم الشيــخ ومنزلته، وجاء الرد بتعميــد الشيخ سعد قاضيــا في خميس مشيط، ولم يكــن يعلــم بالأمر مطلقا، وجاء مرســول أمير أبها يحمل الخطاب ليسلمه للشيــخ، وكان جالسا في المسجد مــع ابن مشيــط، وأبنائه، وبعضــ أصحابهم، فلما دخل الرجــل سلم، ثم تلا الخطــاب، فنزل الخبر على الشيــخ كالصاعقة، وتغير وجهه، وارتعدت فرائصه، وأخذ يقول: "أنــا ما أعرف شيئا..."، فتأثر الجميع بمــا شاهــدوه، وأشفقوا عليه، وأيقنوا أن هــذا من ورع الشيخ وخشيته، ولما وصل الخــبر لأمير أبها ورئيس المحاكــم، تمــت الكتابــة للملك بــأن الشيخ مريضــ ومتعــب، ولا يستطيع أن يتــولى الوظيفة، فجــاء الأمر بإعفائه"، بعد ذلك انقطع الشيخ عن الناس، وداوم على تلاوة القرآن، حتى توفاه الله في شهر ذي الحجة عام (١٣٧٦هـ/١٩٥٧م). انظر: آل بسام، علماء نجد، ج٢، ص ص ٢٣٧، ٢٣٨.

(٢) مقابلــة شخصية مع سعيد بن عبد الله بــن سلمان آل مثيب، من مواليد عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م) بخميس مشيــط، في مزرعته على طريق وادي ابن هشبل يوم الأربعاء (٣٠-١٠-١٤٣٥هـ/٢٧-٨-٢٠١٤م)، الساعة الرابعة عصرا.

(٣) الشيــخ عبد الله بن عبد العزيز بن عيدان، مــن قرية حرمة من قرى سدير، كان صاحب علم واسع بأمور القضــاء، وقــد بقي في محكمة خميس مشيــط إلى عام (١٣٨٠هـ/١٩٦٣م)، وهو العــام الذي نقل فيه إلى محكمــة العلا. انظــر: مقابلة مع الشيخ سعيد بن عبد الله عياش الغامدي رئيس المحكمة المتقاعد بخميس مشيط، بمنزله في مدينة الطائف، يوم الخميس بتاريخ (١- ٢- ١٤٣٥هـ/ ٥- ١٢- ٢٠١٣م).

(٤) البشري، إقليم عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص ٢٣٤.

عقود الأنكحة والفسوخات، ونستدل على ذلك بما ورد في الوثيقة الموقعة بخط الشيخ عبد الله بن عيدان، حيث ذكر فيها: «يكون وليا لها في النكاح، فتحضر أنت وأربعة من أعيانهم لإثبات شهادتهم على انقطاع نسب سعيد بن عتيق؛ لتتمكن من التولي عليها في عقد النكاح»[١]، وما يشكل عليه يرفعه لإمارة شهران؛ ليحكم فيها الشرع، ومن ذلك ما ورد في الوثيقة المؤرخة في (٢٢-٥-١٣٧٦هـ/٢٥-١٢-١٩٥٦م)، التي أرسلتها إمارة شهران إلى سعيد بن محمد بن سعيد[٢]، حيث جاء فيها: «بناء على طلب قاضي خميس مشيط إحضار نواب شهران إليه؛ ليقضي الأمر لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي المملكة العربية السعودية»[٣]. خلف الشيخ عبد الله بن عيدان في تولى القضاء في محكمة خميس مشيط الشيخ سعيد بن عبد الله بن عياش[٤]، حيث صدر قرار سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم[٥] في (١٧-٣-١٣٨٠هـ/١٩٦١م)، الموجه إلى الشيخ سعيد بن عياش، بتعيين فضيلته قاضيا بمحكمة خميس مشيط[٦].

---

(١) وثيقة رقم (٣٩١)، بدون تاريخ، الملف (١٥)، المجموعة عامة، رسالة من قاضي خميس مشيط إلى سعيد بن محمد بن سعيد، محفوظة لدى دارة الملك عبد العزيز بالرياض.

(٢) سعيد بن محمد بن سعيد من أعيان تندحة. اتصال هاتفي أجرته الباحثة مع الأستاذ محمد بن معبر، يوم الأحد (١٠ - ٣ - ١٤٣٥هـ/١٢-١-٢٠١٤م).

(٣) وثيقة رقم (٣٩٩)، بتاريخ (٢٢- ٥-١٣٧٦هـ/١٩٥٦م)، الملف (١٥)، المجموعة عامة، خطاب من إمارة شهران إلى المكرم سعيد بن محمد بن سعيد، محفوظة لدى دارة الملك عبد العزيز بالرياض.

(٤) الشيخ سعيد بن عياش: هو سعيد بن عبد الله بن عياش الغامدي، من مواليد قرية الجبل من قرى بني ظبيان، وذلك في شهر رجب من عام (١٣٤٦هـ/١٩٢٧م)، نشأ في بيئة عطرة بأنفاس العلم والهدى والصلاح، حيث بدأ حياته الوظيفية بالعمل في القضاء، ونجح في كل ما أسند إليه من مهام. تعلم الشيخ سعيد على يد فضيلة الشيخ سالم الحناكي، وعلى يد سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز،كما درس على يد سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم وعلى يد فضيلة الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم. انظر: الزهراني، عبد الله بن محمد، تاريخ القضاء والقضاة في العهد السعودي (١٣٤٤-١٤١٦هـ/٩٢٥-١٩٩٥م)، د.ن، د.ت، مج٥، ص ص١٦٩-١٧١؛ الغامدي، سعيد بن عبد الله، الإتحاف بتخريج أحاديث شرح المنتهى والكشاف، الريحانية، الباحة، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م، ص ٢١.

(٥) الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، كان مفتي المملكة الأكبر، وقاضي قضاتها، من مواليد عام (١٣١١هـ/١٨٩٣م)، من أهم الأعمال والمناصب التي تولاها رئاسة الإفتاء في المملكة العربية السعودية، حيث تولى رئاسة الإفتاء رسميا في شهر شعبان من عام (١٣٧٤هـ/١٩٥٥م)، كما ساهم في تأسيس وإدارة عدد من الجامعات، مثل الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وجامعة الإمام محمد بن سعود وغيرها، توفي في شهر رمضان من عام (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م). للمزيد انظر: آل الشيخ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف، مشاهير علماء نجد وغيرهم، الرياض، دار اليمامة، (١٣٩٤ه/١٩٧٤م)، ص ١٦٩-١٨٤؛ العجلاني، منير، تاريخ مملكة في سيرة زعيم فيصل ملك المملكة العربية السعودية، منشورات مكتبة الجامعة الأردنية، (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، ص ٢٥٤.

(٦) مقابلة مع الشيخ سعيد بن عبد الله عياش الغامدي رئيس المحكمة المتقاعد بخميس مشيط، بمنزله في مدينة الطائف، يوم الخميس بتاريخ (١-٢- ١٤٣٥هـ/٥-١٢-٢٠١٣م).

تقلـد الشيخ سعيد بن عياش مناصـب قضائية قبل تعيينه قاضيا في محكمة خميس مشيـط، ومنها: تعيينه كاتب ضبط بمحكمـة الدلم[١] عند سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز- رحمـه الله- من (٤-٨-١٣٦٧هـ/١٩٤٧م)، إلى (٩-٣-١٣٧٠هـ/١٩٥١م)، وبعد تخرجه في كلية الشريعة عام (١٣٧٨هـ/١٩٥٩م)، تم تعيينه ملازما قضائيا في المحكمة الكبرى بمكة المكرمة، بأمر من سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، على أن يكون عمله فيما بعـد بمحكمة الطائـف، حتى صدر قرار الشيخ محمد بن إبراهيـم بتوليه قضاء محكمة خميـس مشيـط[٢]. واستمر الشيخ سعيد في محكمة خميـس مشيط منذ تاريخ تعيينه في (٢٧-٣-١٣٨٠هـ/١٩٦٠م)، متدرجا في السلم القضائي[٣]، حتى صدر قرار تقاعده رقم (٢/٨٧٧)، في (٦-٦-١٤١٠هـ/١٩٨٩م) بطلب منه؛ نظرا لظروفه الصحية وقتئذ[٤].

أ ـ مقر القضاء في خميس مشيط:

كانت الحياة في عسير- بصفة عامة- تتميز في بدايتها بالبساطة والسهولة؛ ولهذا كان التقاضـي، والفصل بين النـاسـ، وفض المنازعات بينهم، يتم في أي مكان، سواء في السـوق أم في البيـت؛ لذلـك نجد أن القاضـي كان يحكم في بيتـه، أو في المسجد، أو في مجلسـ الأمير، أو مجالس شيـوخ القبائل[٥]. وكان الشيخ سعيد بن مشيط- قبل مجيء الشيخ سعد بن سعدان- يعقد مجلسا للقضاء بين الناس، مستندا إلى الأعراف القبلية التـي لا تخالف الشريعة الإسلامية في قصره في ذهبـان، وعندما وصل الشيخ سعد بن سعـدان إلى الخميس، كان لـه مجلسٌ يوميٌ بعد صلاتي العصـر والعشاء، حيث يجلس علـى دكـة خارج المسجدِ مع الشيخ سعيـد، يجيب الناس الذيـن يسألونه في أمور الدين والدنيا[٦]. وكان معروفاً في عسير أن كل شيخ قبيلة كان يتكفل بحماية سوقه، وله مجلس في هـذا السوق يحضره كبار أفراد قبيلته، ويحضره قاضي البلدة؛ ليكون مجلسا كذلك

---

(١) الـدلم: تقـع وسـط المملكـة العربية السعوديـة، وهي قاعـدة إقليم الخـرج قديما، وكبرى مدنهـا. انظر: ابـن خميسـ، عبد الله بـن محمد، المعجـم الجغرافي للمملكـة العربيـة السعودية، معجـم اليمامة، د.ن، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ج١، ص ٤٣١.

(٢) الزهراني، تاريخ القضاء والقضاة، ص ١٧١.

(٣) ترقـى إلى قاضـي تمييـز في محكمـة خميسـ مشيط، بقـرار معـالي وزير العـدل رقـم (٢١٢٦) بتاريخ (٢-١٢-١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، علمـا بـأن الشيخ سعيد منـذ أن ولي القضاء، وهو يعمـل في محكمة خميس مشيط حتى تقاعده. انظر: الغامدي، الإتحاف بتخريج أحاديث شرح المنتهى والكشاف، ص ٢٣.

(٤) مقابلة مع الشيخ سعيد بن عبد الله عياش الغامدي، رئيس المحكمة المتقاعد بخميس مشيط، يوم الخميس، بمنزله في مدينة الطائف، تاريخ (١-٢-١٤٣٥هـ/٥-١٢-٢٠١٣م).

(٥) ابن جفشر، القضاء في منطقة عسير، ص ٣٦.

(٦) ابن بسام، علماء نجد، ج ٢، ص ٢٣٢.

للحكم والقضاء بين الناس[١]؛ ولهذا كان الشيخ سعيد بن مشيط يعقد للشيخ سعد مجلسا في السوق الأسبوعي المعروف بسوق خميس مشيط، والذي كان يعقد كل يوم خميس بين قريتي الدرب وقنبر[٢].

عندما افتتحت محكمة خميس مشيط في أواخر عهد الملك عبد العزيز،عام (١٣٧٠هـ/١٩٥١م)، خصص لها مبنى من الطين[٣]، بالقرب من المسجد الجامع الذي بني وسط ساحة السوق، حتى يكون قريبا من المجتمع[٤]. وبقيت المحكمة على ذلك بضع سنوات، ثم انتقلت إلى بيت آخر على الشارع العام المؤدي إلى مدينة أبها، وهو مبني من الإسمنت المسلح، وظلت فيه حوالي عشر سنوات[٥]، ثم انتقلت المحكمة إلى بيت محمد بن عوض بن لادن- رحمه الله- على نفس الطريق، وبقيت فيه لأكثر من عشر سنوات، ثم انتقلت المحكمة لبيت يملكه سعيد بن مشبب القحطاني[٦].

ب ـ كتابة العدل في خميس مشيط:

بعد دخول منطقة عسير تحت حكم الملك عبد العزيز عام (١٣٣٨هـ/١٩١٩م)، كان اهتمامه منصبا على تعيين القضاة الأكفاء، مع الأمراء الذين كان يعينهم الملك عبد العزيز على إمارة المناطق، ففي كل مدينة أمير وقاض، ولم يكن هناك من كلف بوظيفة كاتب للقاضي[٧]. ويعاون الشيخ سعيد بن مشيط في الكتابة كاتب، عُرف بحسن وجمال خطه، وهو محمد بن مانع[٨]، وما يؤكد ذلك الوثيقة المؤرخة في (١٤-٣-١٣٥٢هـ/٧-٧-١٩٣٣م)، التي تخص تقسيم إرث الهالكة نفلا بنت سالم بن عمير، ففي نهاية الوثيقة

---

(١) ابن جفشر، القضاء في منطقة عسير، ص ٣٧.

(٢) ابن جفشر، القضاء في منطقة عسير، ص ٣٨.

(٣) هذا البيت كان ملكا لشخص يدعى البشري. مقابلة مع الشيخ سعيد بن عبد الله عياش الغامدي، رئيس المحكمة المتقاعد بخميس مشيط يوم الخميس، بمنزله في مدينة الطائف، بتاريخ (١-٢-١٤٣٥هـ/٥-١٢-٢٠١٣م).

(٤) مقابلة مع الشيخ سعيد بن عبد الله عياش الغامدي، رئيس المحكمة المتقاعد بخميس مشيط يوم الخميس، بمنزله في مدينة الطائف، بتاريخ (١- ٢- ١٤٣٥هـ/٥-١٢-٢٠١٣م).

(٥) يملكه: سالم بن حمود الغامدي، وهو أحد التجار بخميس مشيط. مقابلة مع الشيخ سعيد بن عبد الله عياش الغامدي، رئيس المحكمة المتقاعد بخميس مشيط، يوم الخميس بمنزله في مدينة الطائف، بتاريخ (١-٢-١٤٣٥هـ/٥-١٢-٢٠١٣م).

(٦) مقابلة مع الشيخ سعيد بن عبد الله عياش الغامدي، رئيس المحكمة المتقاعد بخميس مشيط، يوم الخميس بمنزله في مدينة الطائف، بتاريخ (١-٢-١٤٣٥هـ/٥-١٢-٢٠١٣م).

(٧) ابن جفشر، القضاء في منطقة عسير، ص ٣٩.

(٨) مقابلة مع الأستاذ/ عبد العزيز بن سعيد بن مشيط، يوم الإثنين بمنزله بخميس مشيط، بتاريخ (١-١-١٤٣٥هـ/٤-١١-٢٠١٣م).

ذكر: «وكاتبه محمد بن مانع»[١]،كما وجد في الوثيقة المؤرخة في سنة(١٣٥٦هـ/١٩٣٧م) مـا يفيد أن القاضي يقـوم بعمل الكاتب أيضا، فجاء في نهايـة الوثيقة: «محرره ومثبته الفقير إلى الله سعد بن محمد بن سعدان»[٢].

في عام (١٣٧٠هـ/١٩٥١م) تم تعيين الشيخ إبراهيم محمد الراقدي[٣] كاتب عدل بخميس مشيط، حيث توجه إلى القاضي الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عيدان قاضي خميس مشيط حينها، وعرض عليه أوراق تعيينه، وتم تعيينه كاتب عدل[٤]. وعندما تسلم الشيخ سعيد بن عياش العمل في محكمة خميس مشيط عام(١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م)، لم يكن لديه كاتب عدل، وكان يقوم بوظيفة كاتب العدل في المحكمة تقريبا لمدة ثلاث سنوات إضافة إلى عمله، وكان يعاونه كاتب ضبط يدعى: (عبد الله بن محمد بن مُعَبِّر)[٥]،وقد توسم فيه صلاحيته لكتابة العدل، فقام برفع ذلك لرئاسة القضاء، وصدرت الموافقة بتعيينه كاتبا للعدل في محكمة خميس مشيط[٦]، ويدل على ذلك الوثيقة التي بين يدي، وهي غير مؤرخة من قاضي خميس مشيط الشيخ سعيد

---

(١) وثيقة بدون رقم، بتاريخ (١٤-٤-١٣٥٢هـ)، بخصوص تقسيم إرث نفلا بنت سالم بن عمير، محفوظة في مكتبة الباحث سعيد جفشر.

(٢) وثيقة بدون رقم، بتاريخ (١٣٥٦هـ/١٩٣٧م)، بخصوص إثبات قضية بيع وشراء، مصدقة من الشيخ سعد ابن محمد بن سعدان، محفوظة في مكتبة الباحث سعيد جفشر.

(٣) هو الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الراقدي، بدأ حياته العملية مبكرا كاتب عدل في محكمة خميس مشيط مع الشيخ ابن عيدان، وعمل فيها ما يقارب عشر سنوات، ثم انتقل إلى محكمة أبها مع الشيخ إبراهيم الحديثي، وعمل بها مدة (١٥) عاما تقريبا، حتى تقاعد عام(١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، وقد انبرى للعمل الخيري والاجتماعي، وكان له العديد من المشاركات في العمل الاجتماعي، ومنها إنشاء متحف رجال ألمع التاريخي، وتشجيع الناس على تطوير القرية التراثية، توفي عام(١٤٣٢هـ/٢٠١١م)، عن عمر يناهز الثانية والتسعين سنة. انظر: جريدة الرياض، الثلاثاء ١٣ذي القعدة(١٤٣٢هـ-١١أكتوبر٢٠١١م)- العدد (١٥٨١٤).

(٤) ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص ص ٩٥، ٩٦.

(٥) هو عبد الله بن محمد بن معبر، من أهل قرية (القرن)، إحدى قرى تمنية بمنطقة عسير، حيث تبعد عن مدينة أبها نحو (٤٥) كم إلى جهة الجنوب من أبها، وينتمي سكان القرية إلى قبيلة رفيدة، ولد سنة (١٣٤٥هـ/١٩٢٦م)، وبدأ تعليمه في مدرسة سعد بن أبي وقاص في قرية (آل ينفع) بتمنية، ثم التحق بحلقات الشيخ عبد الله بن يوسف الوابل، الذي توفي عام (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) بمدينة أبها، وكان الوابل - حينذاك - رئيسا للمحكمة الكبرى بأبها وتوابعها، وبعد مدة قضاها في طلب العلم، عينه الشيخ عبد الله الوابل على وظيفة (كاتب عدل) بمحكمة (المشرف) في الجوة بتهامة قحطان، وقد بدأت خدمته الوظيفية بتاريخ(٤-١١- (١٣٧٠هـ/٧--١٩٥١م)، وخلال عمله في محكمة المشرف واصل طلب العلم على يد الشيخ سعد بن سعود بن غرير، والشيخ محمد بن صالح الغفيلي، وكانا من قضاة محكمة المشرف في تلك المدة، وفي سنة (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) انتقل إلى المحكمة الشرعية بمدينة خميس مشيط، توفي في (١٩-١٢- ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م). انظر: تقريرا مرسلا من الأستاذ محمد بن معبر، ترجمة عن حياة الشيخ عبد الله بن محمد ابن معبر، بتاريخ (٢٠ - ٥ - ١٤٣٥هـ/٢٢-٣-٢٠١٤م).

(٦) مقابلة مع الشيخ سعيد بن عبد الله عياش الغامدي، رئيس المحكمة المتقاعد بخميس مشيط، يوم الخميس، بمنزله بمدينة الطائف، بتاريخ (١-٢- ١٤٣٥هـ/٥- ١٢- ٢٠١٣م).

بن عياش، ذكر فيها: «إن كاتب عدل خميس مشيط الشيخ عبد الله بن محمد بن معبر كان مثالا في الجد والاجتهاد، وفي الإخلاص والاستقامة في عمله، ومنذ توليه أعماله الوظيفية، لم نسمع عنه إلا كلاما يرضينا، وبناء على طلبه، أعطيت له الشهادة العملية»[(١)]. وفي سنة (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م) أسست كتابة العدل بخميس مشيط[(٢)]، وكان الشيخ عبد الله بن معبر أول من قام بأعمالها، وأصبح رئيسا لها حتى تقاعده سنة (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، وهو على المرتبة الثانية عشرة[(٣)].

٣- البلدية:

عندما تم التنظيم الإداري في الحكومة السعودية، نصت التعليمات الأساسية على إنشاء بلديات في البلدان الكبيرة[(٤)]. وقد اتضح أول تنظيم للبلديات في المملكة بالمرسوم الملكي في (٢١-٢-١٣٤٥هـ)، ثم تلا ذلك صدور نظام دائرة البلدية عام (١٣٤٦هـ/١٩٢٧م)، وفي عام (١٣٥٧هـ/١٩٣٨م) صدر نظام أمانة العاصمة والبلديات، والذي يعد أول نظام مستقل للبلديات، يقع في (٨٣) مادة، ثم في عام (١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م) - ونتيجة لنمو الخدمات البلدية المقدمة للمواطنين- صدر قرار مجلس الوزراء بتاريخ (٢٥-٩-١٣٨٢هـ/١٩٦٢م)، بالموافقة على تطوير ورفع مستوى إدارة البلديات، بإنشاء وكالة لشؤون البلديات، ترتبط بوزارة الداخلية، وفي عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) تم إنشاء وزارة الشؤون البلدية والقروية، بموجب الأمر الملكي بتاريخ (٨-١٠-١٣٩٥هـ/١٤-١٠-١٩٧٥م)[(٥)].

رسمت هذه التعليمات الخطوط الأساسية لمهام ومسؤوليات البلدية، ومن أهمها تنظيم المدن، وتخطيطها، وإنارتها، والمحافظة على نظافتها، وتوسيع الطرق، ومراقبة المأكولات من اللحوم غير الصالحة، ومصادرتها، والإشراف على شؤون المقابر، وتعميرها، وتنظيفها، ومراقبة أسعار البضائع، ومنع احتكارها، والعناية بالمجاري، والحراسة الليلية، وغير ذلك[(٦)].

---

(١) وثيقة بدون رقم، بدون تاريخ، شهادة صادرة من محكمة خميس مشيط من الشيخ سعيد بن عياش لكاتب العدل الشيخ عبد الله بن معبر، محفوظة لدى الأستاذ محمد بن معبر.

(٢) وثيقة بدون رقم، صادرة من كتابة العدل في خميس مشيط، محفوظة لدى الأستاذ محمد بن معبر، بها ختم كتابة العدل، وعليها سنة تأسيسها عام (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م).

(٣) تقرير مرسل من الأستاذ محمد بن معبر، ترجمة عن حياة الشيخ عبد الله بن محمد بن معبر، بتاريخ (٢٠-٥-١٤٣٥هـ/ ٥-١٢-٢٠١٣م).

(٤) الزركلي، الوجيز، ص ٩٩.

(٥) وزارة الشؤون البلدية والقروية، وكالة وزارة الداخلية لشؤون البلديات، نبذة عن الوزارة، مركز المعلومات، ص١.

(٦) حمزة ،فؤاد، البلاد العربية السعودية، الرياض، مكتبة النصر الحديثة، (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م)، ص ١٩١.

أقــدم تلك البلديات، التــي كان يتم تعيين أعضائها عن طريــق الانتخابات[١]، هي بلديــة أبهــا، حاضرة منطقة عســير، ويرجــع تأسيسها إلى عــام (١٣٥٧هـ/١٩٣٨م)، عندمــا صدر قــرار المجلس المالي في (٤- ٨- ١٣٥٧هــ/٢٩-٩-١٣٥٧م) بالموافقة على تأسيــس البلديــة[٢]. ومن أبرز المهام التي كانت تقوم بهــا بلدية أبها، قبل تأسيس بلدية خميــس مشيــط، أنها كانــت تقوم بإرســال منــدوب إلى خميس مشيــط، مكلف بمهمة تخطيــط الأراضــي، وتوزيعها[٣]، وقد ناقشــ مجلس الشــورى عام(١٣٦٠هـ/١٩٤١م) ميزانية بلدية أبها، وقرر الموافقة على جباية رسوم سوق خميس مشيط[٤].

تأسســت نواة بلدية خميس مشيط في عام ١٣٨٣هــ /١٩٦٣م[٥]، مبتدئة أعمالها بــكادر لم يتجاوز عشرة موظفين، وبمهــام بسيطة في نظافة المدينة، وحراسة الأراضي، وتوزيعهــا، وفي مبنــى متواضــع من الطين، لكــن كل ذلك لم يكن حجر عــثرة في سبيل تطويــر البلديــة[٦]. وقد بدأت بلدية خميس مشيط بمباشــرة المهام الموكلة إليها في عام (١٣٨٣هــ/١٩٦٣م) كفــرع لبلديــة أبها، ثم تم فصلهــا، وأصبحت بلديــة مستقلة عام (١٣٩٢هــ/١٩٧٢م)[٧]، وأصبــح لهــا مبنــى خاص في وســط البلد في حــي الدرب[٨]، وأول رئيــس لهــا هو الشيــخ محمد عبد اللّه أبو ملحــة[٩]، وقدتعاقب علــى البلدية عدد

---

(١) وثيقــة رقــم (٢٢٥)، بتاريخ (١٢- ٩- ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م)، قرارات مجلــس الشورى حول نشأة بلدية أبها، محفوظة بمعهد الإدارة العامة بالرياض.

(٢) وثيقــة رقــم (١٠٩٧)، بتاريــخ (٢٩-٨-١٣٥٧هـ/١٩٣٨م)، خطاب مــن وكيل وزارة الماليــة، إلى صاحب السمــو الملكي النائب العام لجلالة الملك، بشأن تأسيس بلدية أبها، وثائق محفوظة في معهد الإدارة العامة بالرياض.

(٣) اتصال هاتفي أجرته الباحثة مع الأستاذ سفر عبد اللّه برقان عضو المجلس البلدي بمنطقة عسير سابقا، يوم الخميس بتاريخ (٢٧- ١١-١٤٣٤هـ/٣-١٠-٢٠١٣م).

(٤) ابن جريس، عسير في عصر الملك عبد العزيز، ص ٨٠.

(٥) وثيقــة رقــم (٧٤٠٨)، بتاريــخ (٢٣- ٩-١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، خطــاب رئيس بلدية محافظــة خميس مشيط، إلى أمــين منطقــة عســير، إشــارة إلى تعميمــه بشــأن طلب توثيــق المنجــزات، رقــم (٤١٦١٠)، في(١٩-٨-١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، يفيد بمعلومات عن بلدية خميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

(٦) اتصــال هاتفــي أجرتــه الباحثــة مــع الأستــاذ/ سفــر عبــد اللّه برقــان، يــوم الخميــس بتاريــخ(٢٧-١١-١٤٣٤هـ/٣-١٠-٢٠١٣م).

(٧) آل يحيي، خالد مستور، دراسة ميدانية استطلاعية حول أبرز المشكلات التي تعترض سير العمل في بلدية خميــس مشيط، وسبــل التغلب عليها، من إصدارات معهــد الإدارة العامة، تم إعدادهــا كمتطلب لبرنامج إدارة البلديات والمجمعات القروية، الذي تنظمه وزارة الشؤون البلدية، ص ١٠.

(٨) مقابلة شخصية مع عبد اللّه بن محمد بن سلمان آل مثيب من مواليد عام (١٣٥٦هـ/١٩٣٧م)، في منزله في حي العرق، يوم الجمعة (٢-١١-١٤٣٥هـ/٢٠١٤م).

(٩) الشيــخ محمد عبد اللّه أبو ملحة أول من تــولى رئاسة البلدية عام (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م)، واستمرت رئاسته حتى عام (١٣٨٦هـ/١٩٦٨م). وثيقة رقم (٧٤٠٨)، بتاريخ (٢٣ – ٩- ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، تفيد بمعلومات عن بلدية خميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

مـن الرؤسـاء هم: (١) حمد سعد بحيبجاء[١]. (٢) أحمـد عبد العزيز البدر[٢]. (٣) إبراهيـم عبد الرحمن البليهي، وكان مـن أشهر من تولى رئاسة البلدية، حيث كانت له مساع حميدة في البلدية[٣].

سرعـان ما تطورت بلديـة مدينة خميس مشيـط، وأصبحت مـن البلديات الرائدة في المنطقـة؛ فقـد عملت على تطويـر مدينة خميس مشيط من نـواح شتى، وبالتعاون مع المديريـة العامـة للشؤون البلديـة والقروية في منطقة عسير، تقـومً بلدية خميس مشيط بالإشـراف على مشاريع السفلتة، ومشاريع نـزع الملكية، والمشاريع الإنشائية، والصحية، والفنية[٤].وشملت الخدمات المتنوعة التي تقدمها بلدية خميس مشيط للمواطنين مجال السفلتـة النظاميـة، والسفلتة المؤقتة للطرق، ومجال رصف الشـوارع وإنارتها، ومشاريع نزع الملكية، التي تم إنجازها منذ عام(١٣٩١هـ /١٩٧١م)[٥].وفي عام (١٣٩١/١٣٩٢هـ-١٩٧١/١٩٧٢م) ،تم اعتمـاد مبلغ (١،٧٢٧،٤٦٣) ريال؛ لنـزع ملكية الشارع العام الممتد مـن الشمـال إلى الجنـوب، وتم بالفعل نـزع الملكية، وجـرى هدم المساكـن[٦]، وفي عام (١٣٩٢/١٣٩٣هــ-١٩٧٢/١٩٧٣م) تم إنجاز مشروع سفلتة الشوارع، ورصفها، وإنارتها بمساحة(٢٦،١٣٨م)) ، وبلغت قيمة العقد (١،٧٢٣،١٠٠) ريال[٧].

---

(١) حمد سعد بحيبجاء تولى رئاسة بلدية خميس مشيط من عام(١٣٨٦إلى عام(١٣٨٨هـ/١٩٦٦-١٩٦٨م). انظـر: وثيقة رقم (٧٤٠٨)، بتاريخ (٢٣-٩-١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، تفيد بمعلومات عن بلدية خميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

(٢) أحمـد عبـد العزيز البدر تولى رئاسة بلدية خميس مشيط من عـام (١٣٨٨ إلى١٣٩٤هـ/١٩٦٨-١٩٧٤م). انظر: وثيقـة رقم (٧٤٠٨)، بتاريخ (٢٣-٩-١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، تفيد بمعلومات عن بلدية خميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

(٣) هو الكاتب والمفكر السعودي إبراهيم بن عبد الرحمن بن سليمان البليهي، تولى رئاسة بلدية خميس مشيط عام (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)، واستمـر حتى عام ١٣٩٧هــ/١٩٧٧م، ويعد من أشهر رؤسائها، ولـه مساع حميدة في البلديـة، عـرف بنزاهته الشديدة وصرامته، وما يدل على ذلك كتابه "النبـع الذي لاينضب»، الذي يعد من أوله إلى آخره مرافعة ضد الكسل الشائع، والتراخي الممتد، عمل بعد ذلك رئيسا لبلدية مدينة حائل من عام (١٣٩٧هــ/١٩٧٧م)، ثم مديرا عاما للشؤون البلديـة بالمنطقة الشرقية عام (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ثم مديرا عامـا للشؤون البلدية بالقصيم من عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، وقد عين عضوا في مجلس الشورى اعتبارا من (١٤٢٦/٣/٣هـ-٢٠٠٥م)، وله العديد من المؤلفات. انظر: ابن معبر، ذكريات عن مدينة خميس مشيط، ص ٣٥؛ المطيري، عبد الله، البليهي في حوارات الفكر والثقافة، إصدارات النادي الأدبي بحائل، د.ت، ص ص ٥٤ – ٥٦ ؛ البليهي، إبراهيم، النبع الذي لا ينضب، إصدارات نادي القصيم الأدبي ببريدة، د.ن، د.ت، ص ١.

(٤) إمـارة منطقة عسـير، عسير في عشر سنوات مـن (١٣٩١/٩٠هـ إلى١٤٠٠/٩٩هـ)، دليـل إحصائي، من إصدارات نادي أبها الأدبي، ص ٣٣.

(٥) إمارة منطقة عسير، عسير في عشر سنوات، ص ٣٣.

(٦) إمـارة منطقة عسـير، عسير في عام من رجـب (١٣٩١هــ/١٩٧١م)، إلى رجب(١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، من إصدارات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ص ٢٣.

(٧) إمارة منطقة عسير، عسير في عشر سنوات ، ص ٣٣.

منذ عام(١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) استمرت عملية اعتماد وسفلتة الشوارع، ورصفها، وإنارتها داخل مدينة خميس مشيط، ففي العام (١٣٩٣/١٣٩٤هـ-١٩٧٣/١٩٧٤م)، تم إنجاز مشروع سفلتة وأرصفة وإنارة بمساحة (١٠٠،٩٤٥م)، وقيمة العقد (٨،٧٨٢،٨٩٥) ريال[١]، وفي عام(١٣٩٤/١٣٩٥هـ-١٩٧٤/١٩٧٥م) تم إنجاز مشروع، واعتماد مشروع آخر مكمل للشوارع التي نفذت في سفلتة الشوارع بخميس مشيط، الأول كان بمساحة(٥٢،١٦١م)، وبقيمة (٤،٩٣٥،٢٧٨)[٢]، والثاني بلغت تكلفته (٦،٣١٧،٠٠٠)[٣]. الجدول رقم (٤): يلقي ضوءا كافيا لمشاريع الطرق(سفلتة، وأرصفة، وإنارة، وإنشاء الجسور والكباري، نزع ملكية)، التي تم إنجازها من قبل بلدية خميس مشيط بين الأعوام(١٣٩٠/١٣٩٥هـ-١٩٧٠/١٩٧٥م) [٤].ولم يختلف الأمر بالنسبة إلى اعتماد مشاريع تسوير المقابر ودورات المياه، ففي عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) تم اعتماد مشروع تسوير مقابر بقيمة (١١٥،٦٨٦) ريالا، وفي عام (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) تم اعتماد مشروع دورات مياه بقيمة (١٧٢،٢٤٤،٧٠) ريال [٥] الجدول رقم (٥)يلقي ضوءا كافيا حول هذين المشروعين[٦].

نلحظ مما سبق أن مشاريع السفلتة التي تم إنجازها، كانت تزداد عاما بعد عام، حتى بلغت ذروتها في العام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، كذلك الأمر باعتماد مشاريع تسوير المقابر ودورات المياه التي أخذت تزداد في السنوات التي تليها، ويوضح هذا التطور الذي وصلت إليه بلدية خميس مشيط، من أجل النهوض بالمدينة. وقد أولت بلدية خميس مشيط اهتماما كبيرا بالمشاريع العمرانية وغير العمرانية، فمن الناحية العمرانية قامت بتنفيذ عدد من المشاريع، من خلال منح رخص بإقامة المنشآت، والأبنية، وجميع التمديدات العامة والخاصة، ومراقبتها من تشييد، وترميم، وتسوير، خلال السنوات من (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م إلى١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).

---

(١) إمارة منطقة عسير، عسير، ص ٣٣.

(٢) إمارة منطقة عسير، عسير، ص ٣٣.

(٣) وثيقة رقم (١٩٨)، بتاريخ (١٣٩٥/٢/٢٢هـ-١٩٧٥م)، اعتماد مشروع السفلتة بخميس مشيط، محفوظة لدى المركز الوطني للوثائق والمحفوظات بالرياض.

(٤) انظر: ملحق رقم (٤)، جدول يوضح مشاريع الطرق التي تم انجازها من قبل بلدية خميس مشيط بين الأعوام (١٣٩٠/١٣٩٥هـ- ١٩٧٠/١٩٧٥م).

(٥) إمارة منطقة عسير، عسير في عشر سنوات، ص ٣٣.

(٦) انظر: ملحق رقم (٥)، جدول يوضح مشاريع تسوير المقابر ودورات المياه التي تم إنجازها من قبل بلدية خميس مشيط.

عنـد تتبع مجموع رخص البناء الممنوحة من تشييد وترميم وتسوير، من قبل بلدية خميس مشيط؛ نجد أنها قد بدأت منذ عام (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)، حيث بلغت في النصف الأول (٢٤) رخصة، وفي النصف الثاني من نفس العام ١٣ رخصة[١]، وفي النصف الأول من عام (١٣٩١هـ/١٩٧١م) بلغ مجموعها (٢٠) رخصة، وفي النصف الثاني من عام (١٣٩١هـ/١٩٧١م) بلغت (٢٨) رخصة، وفي النصف الأول من عام (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) بلغت (٥٨) رخصـة، وارتفعت في النصف الثاني مـن عام (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) إلى (٦٧)، ثـم ازدادت في النصـف الأول من عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) إلى(٨٩) رخصة، في حـين بلغت في النصف الثاني من عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) (٤٣) رخصة، وقد أمكن التعـرف إلى رخصـ البنـاء الممنوحة من تشييد وترميم وتسويـر، من قبل بلدية خميس مشيـط بشكل مفصـل، من خلال الجدول رقـم (٦)، حيث اتضح منـه تباين في نسبة التشييـد والبناء، إلا إنـه في السنتين (١٣٩٢/١٣٩٣هـ-١٩٧٢/١٩٧٣م) شهدت نسبة التشييد نموا ملحوظا في الحركة الإنشائية[٢].

مـن الناحية غـير العمرانيـة، فقد اهتمـت بالمجـال الصحي، حيث عملـت بلدية خميسـ مشيـط على تأمين سلامـة المواد الغذائية، مـن خلال الإشـراف على المواشي المذبوحـة في حاضرة خميس مشيط، من إبـل، وبقر، وضأن، وماعز، وعند تتبع مجموع عـدد المواشي التـي أشرفت عليها بلدية خميس مشيط، نجـد أنه خلال النصف الثاني مـن عـام (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) بلـغ مجموعهـا (٢٤١٨٦رأسـا)[٣]، وفي النصف الأول مـن عام (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) بلغـت (١٩٢٢٣) رأسا[٤]، وفي النصـف الثاني من عام (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) بلغت(٤٠٨٥٠رأسا)[٥]، في حين بلـغ مجموعها في النصف الثاني

---

(١) النشرة النصفية لإحصاءات البلديات، النصف الثاني من عام (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)، وكالة وزارة الداخلية لشؤون البلديات، إدارة الإحصاء والتنظيم، رخص البناء الممنوحة من قبل البلديات خلال النصف الأول من عام (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)، السنة ٤، العدد ٨ ، ص ١٣٤.

(٢) النشـرة النصفية لإحصاءات البلديات، النصف الثـاني من عام ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، وكالة وزارة الداخلية لشؤون البلديات، إدارة الإحصاء والتنظيم، السنة ٧، العدد ١٤، ص١٤٢؛ انظر : ملحق رقم (٦) ، جدول يوضح رخص البناء الممنوحة من قبل بلدية خميس مشيط خلال الأعوام:(١٣٩٠ -١٣٩١- ١٣٩٢ -١٣٩٣ هـ/١٩٧٠ - ١٩٧١-١٩٧٢- ١٩٧٣م) تبعا لنوع الرخصة ونصف العام.

(٣) النشرة النصفية لإحصاءات البلديات، النصف الثاني من عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، المواشي المذبوحة تحت إشراف بعض البلديات خلال النصف الثاني من عام (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)، السنة ٤، العدد ٨، ص٣٩.

(٤) النشرة النصفية لإحصاءات البلديات، النصف الأول من عام (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، المواشي المذبوحة تحت إشراف بعض البلديات خلال النصف الأول من عام(١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، السنة (٦) ، العدد ١١، ص ٤٧.

(٥) النشـرة النصفيـة لإحصاءات البلديات، النصف الثاني من عام (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، المواشي المذبوحة تحت إشراف بعض البلديات خلال النصف الثاني من عام ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، السنة ٦، العدد١٢، ص ٤٧.

مــن عام(١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) (٢٤١١٤)رأسا[١]، وهذا يبــين مدى اهتمام بلدية خميس مشيــط بسلامة الأغذية، من خلال مراقبة كافــة حلقات السلسلة الغذائية، وتفادي كل العوامل التي تؤدي إلى فساد الأغذية، وتسببها في الأمراض المنقولة بواسطة الأغذية[٢].

حرصت بلدية خميس مشيط على منح رخص مزاولة الحرف والمهن، وفتح المحلات العامــة، ومراقبتهــا صحيا وفنيا، وعند تتبع رخص المهــن الممنوحة من قبل بلدية خميس مشيــط للسعوديين وغير السعوديين، من عام (١٣٨٨هــ إلى ١٣٩٣هـ/١٩٦٨- ١٩٧٣م)، نجــد أنهــا قد بلــغ مجموعهــا في النصــف الأول من عــام (١٣٨٨هــ /١٩٦٨م) (١٨٢) رخصــة للسعــودي وغــير السعــودي، في حين بلغ مجموعهــا في النصف الثــاني من نفس العــام (١٥٩) رخصة للسعودي وغير السعودي، وبلغ مجموعها في النصف الأول من عام (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) (١٤٦)رخصة للسعودي وغير السعودي، وفي النصف الثاني من نفس العــام بلغ مجموعها (٤٦) رخصة للسعودي ولغــير السعودي، وفي النصف الأول من عام (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) بلغ مجموعها (١٣٠) رخصة للسعودي ولغير السعودي، وفي النصف الثاني من نفس العام بلغت (١٧٥) رخصة للسعودي ولغير السعودي[٣]، وبالنسبة للنصف الأول من عام(١٣٩١هـ/١٩٧١م) ارتفــع مجموعها فوصلت إلى(٢٦٣) رخصة للسعودي ولغير السعودي، وفي النصف الثاني من نفس العام بلغ مجموعها (١١٥) رخصة للسعودي ولغــير السعــودي، وفي عام (١٣٩٢هــ/١٩٧٢م) بلغــت في النصــف الأول(١٣٧)رخصة للسعــودي ولغير السعودي، وفي النصف الثــاني(١٢٧) رخصة للسعودي ولغير السعودي، وفي عام(١٣٩٣هــ/١٩٧٣م) وصل مجموعهــا في النصف الأول (٢٤٣) رخصة للسعودي ولغير السعودي، وفي النصف الثاني (٢٠٨) رخصة للسعودي ولغير السعودي[٤].

مــن خلال الجدول رقم (٥) نلحظ أن بلدية خميــس مشيط قدمت الخدمات على مستــوى عالٍ في الأداء، حيث يعد الترخيص إحدى الطرق لضمان ذلك، وإن كنا نلحظ

(١) انظــر : ملحق رقــم (٧) ، جدول يوضح بشكل مفصل المواشي المذبوحة التــي أشرفت عليها بلدية خميس مشيط خلال الأعوام (١٣٩٠، ١٣٩٢، ١٣٩٣هـ/١٩٧٠، ١٩٧٢، ١٩٧٣م).

(٢) النشــرة النصفية لإحصاءات البلديــات، النصف الثاني من عام (١٣٩٣هــ/١٩٧٣م)، المواشي المذبوحة تحــت إشراف بعض البلديات خلال النصف الثاني من عــام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، السنة (٧)، العدد ١٤، ص ٤٤.

(٣) النشرة النصفية لإحصاءات البلديات، النصف الثاني من عام (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)، رخص المهن الممنوحة من قبل بعض البلديات للسعوديين وغير السعوديين خلال الأعوام (١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠هـ/١٩٦٧، ١٩٦٨، ١٩٦٩، ١٩٧٠م) ، السنة ٤، العدد ٨، ص ١٢.

(٤) النشرة النصفية لإحصاءات البلديات، النصف الثاني من عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، رخص المهن الممنوحة من قبل بعض البلديات للسعوديين وغير السعوديين، خلال الأعوام (١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣هـ/١٩٧١، ١٩٧٢، ١٩٧٣م)، السنة ٧، العدد ١٤، ص ٤٤.

ارتفــاع نسبة الأجانب مقارنة بالسعوديين، وقد تكون الظروف الاجتماعية من المبررات في ارتفــاع نسبــة الأجانــب؛ لأن بعض مجــالات العمل غير مرغوب بها مــن قبل الشاب السعــودي، وإن وجــدت رغبة قوية في ذلك الوقت لدى الحكومــة في إيجاد حلول لقضية السعــودة[١]. وفي مجال التطور الإداري لأجهــزة البلدية، ففي عام (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، تم إنشــاء قســم التخطيــط في بلديــة خميــس مشيط كوحــدة صغيرة، وأخــذ في النمو والتطــور، مــع تطور الحركة العمرانيــة في المنطقة، لكن في المقابــل كانت هناك مشاكل تواجــه مجال التخطيــط، وتعد عائقا في سبيل تطــور المدينة، وهي مشــاكل ناجمة عن عشوائية البناء القديم، وعند تصحيح هذا الخطأ، فإن ذلك يتطلب وقتا طويلا؛ لأنه لا بد من نزع ملكية أراض وإزالة منازل، وهذا يتطلب إعطاء تعويضات كبيرة، مع ضرورة توفير الأراضي الجديدة[٢].

٤ـ الأحوال المدنية:

في عهــد الملــك عبد العزيــز بدأت المملكــة العربيــة السعودية في تسجيــل وإحصاء النفوســ، حيث كان ذلك من أولويات اهتماماته؛ وذلــك لإدراكه أهمية التوثيق، وتزويد المواطنــين بما يفيد إثبات هويتهم، ومن هنــا كانت بداية تكوين المديرية العامة للأحوال المدنية، مع صدور نظام الجنسية السعودية عام (١٣٤٥هـ/١٩٢٦م)، كان تابعا للشرطة، واستمــر هذا النظام في التطور الإداري، ففــي سنة (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) تحولت المديرية العامــة للجــوازات والجنسية إلى (وكالــة وزارة الداخلية للجــوازات والأحوال المدنية)، وساعد ذلك على تنظيم أعمالها، ومسايرة حركة النمو السريعة في الدولة[٣].

نلحــظ هنا ارتباط الجــوازات بالأحــوال المدنية إداريــا[٤]، علمًا بــأن طبيعة عمل كل واحــدة منها تختلف عن طبيعــة عمل الأخرى؛ إذ تتعلق الأحــوال المدنية في أعمالها بالمواطنين السعوديين فقط، وذلك فيما يخص منحهم حفائظ النفوس لإثبات جنسيتهم السعودية، وكذلك تسجيل الوقائع المدنية للمواطنين وغيرهم، من ولادة ووفاة، أما المهام التي تقوم بها الجوازات، فإنها تختص بتنظيم وضبط شؤون السفر الخاصة بالمواطنين والأجانــب، فتمنــح وثائق السفر اللازمــة لتأمين تنقلاتهم مــن وإلى المملكة، وإقامتهم

---

(١) انظــر: ملحق رقم (٨)، جدول يوضح بشــكل مفصل رخص المهن الممنوحة من قبل بلدية خميس مشيط للسعوديــين وغير السعوديين خلال الأعوام (١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣هـ/١٩٦٧، ١٩٦٨، ١٩٦٩، ١٩٧٠، ١٩٧١، ١٩٧٢م).

(٢) جريدة المدينة، شوال (١٤٠٠هـ/أغسطس١٩٨٠م)، العدد ١٩، ص ٣٤.

(٣) الهاجري، راشد بن ظافر، جواز السفر السعودي تاريخ نشأته وتطور قطاع الجوازات، دار المداد، الرياض، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ص ٦٨.

(٤) العتيبي، تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز، ص ٤٢٨.

بموجبها في الدول الأجنبية، وتسجيل مغادرتهم وقدومهم؛ لذا فقد صدر الأمر السامي الكـريم تاريخ (١٤٠٢/٩/١٥هـ-١٩٨٢م) بالموافقة على قرار اللجنـة العليا للإصلاح الإداري في(١٤٠٢/٧/١٥هـ-١٩٨٢م)، القاضي بفصل قطاع الجوازات عن وكالة وزارة الداخلية للأحـوال المدنية، واستقلالها في قطاع مستقـل، اعتبارا من(١٤٠٣/٧/١هـ-١٩٨٣م)، تحت مسمى: المديرية العامة للجوازات[١].

قبـل افتتـاح إدارة الأحـوال المدنيـة بخميس مشيط، كانـت الأحوال المدنيـة في أبها تخـدم أهـالي خميس مشيط[٢]،حتى تم افتتـاح إدارة الأحـوال المدنيـة بخميس مشيط عام(١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)، تحت مسمى إدارة الجـوازات والجنسية بخميس مشيط، وكان أول مدير لها إبراهيم بن محمد البريك[٣]، وتخدم أهالي محافظة خميس مشيط والمراكز التابعة لها، وكذلك تخدم أفراد القطاعات العسكرية، حيث كانت تصدر حفائظ النفوس للسعوديـين، وإضافة الزوجات والأبنـاء، وقضايا التعديل الخاصـة بالأسماء، والألقاب، وتواريـخ الميلاد، وتعديل المهن، وكان بها قسم خاص بالأجانب، يعالج إصدار الإقامات، وتجديدها، والتأشيرات، والترحيل، حتى تم فصل الجوازات عن الأحوال المدنية[٤].

وجـرت العـادة- زمن الدراسـة- أنه عنـد فقـدان البطاقة الشخصيـة (حفيظة النفوس)، أو شهـادة الميـلاد، أن يتقـدم فاقد البطاقـة إلى مكتب الأحـوال المدنية في منطقتـه؛ للإبـلاغ عن الفقـدان، فيعطى صيغة إعـلان وخطاب مـن الإدارة، للإعلان في إحـدى الجرائـد اليوميـة، وبعد مضـي شهر من تاريـخ النشر، يتم عمـل إجراءات

---

(١) الهاجري، جواز السفر السعودي، ص ٧٣.

(٢) جفشر، مذكرات تاريخية، ص ١٠.

(٣) وثيقـة رقـم (٢٥٩٢٧)، بتاريـخ (١٤٢٨/١١/٢٩هـ-٢٠٠٧م)، خطاب محافظ محافظـة خميس مشيط إلى وكيـل إمارة منطقة عسير، إشـارة إلى خطابه رقـم(٦١٩٤٢) في (١٤٢٨/١١/١٦هـ-٢٠٠٧م)، يفيد بمعلومات عن محافظة خميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

(٤) في عام (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، تم افتتاح قسم السجل المدني، وتسجيل المواطنين في الحاسب الآلي، وإصدار البطاقـات الشخصية، ودفاتر العائلة بـدلا من حفيظة النفوس المعمول بها، وفي عام (١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، تم افتتـاح مكتب المواليد والوفيات بعد نقـل اختصاص تسجيل واقعات المواليد والوفيات من وزارة الصحة إلى وزارة الداخليـة (الأحوال المدنية)، ويقوم المكتب بتسجيل واقعات المواليد والوفيات بمحافظتي خميس مشيـط، وأحد رفيدة، والمراكز التابعة لهمـا في السجل المدني، وإصدار الشهادات آليا. وبلغ عدد أساسات المواطنـين الصادرة مـن أحوال خميس مشيط، منذ افتتاحها وحتى الوقـت الحالي، (١١٣،٨٨٧) أساسا، وبلـغ عـدد شهادات الميـلاد (١٤٣،٦٥٧) شهـادة، وعدد شهادات الوفـاة (١١٤٤٣) شهـادة. انظر: نبذة مختصـرة حصلت عليهـا الباحثة من مكتب الأحـوال المدنية بمحافظة خميس مشيط عـن إدارة الأحوال المدنية بخميس مشيط، يوم الأحد بتاريخ (٢٥-٧-١٤٣٥هـ/٢٥-٥-٢٠١٤م).

ميسـرة؛ لتعويض المواطـن ببطاقـة بـدل فاقـد[١]، وقـد ألغيت هـذه الإجـراءات في وقتنـا الحاضـر؛ رغبـة في التسهيل علـى المواطنين، لمـا تسببه من متاعـب، وتأخير في إنهاء المعاملات[٢].

٥. هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

كان أول وجود لهذه المؤسسة الإدارية في منطقة عسير في عام (١٣٦٠هـ/١٩٤١م)، وذلـك بعـد زيـارة الشيخ محمد البيـز[٣] لعسـير، فعندما لم يجـد إدارة تهتـم بالأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر، أمـر بتشكيل إدارة تتولى ذلك، وكانـت مؤلفة من رئيس، قاضي أبها، وسكرتير، مدير شرطة أبها، ورئيس البلدية كعضو، وعشرة مرشدين[٤].

قبل إنشاء هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في خميس مشيط، كان الملك عبد العزيز لا يكاد يبلغه أن قرية ليس فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؛ إلا وجه إلى القائـم عليها كتاباً، يأمـره بتعيين رجال من أهل الصلاح والتقـوى لهذا الأمر[٥]، ففي

---

(١) من أعمال مكتب الأحوال المدنية بخميس مشيط إعطاء خطاب لمن فقد بطاقته أو شهادة ميلاده؛ من أجل الإعـلان عنها في إحدى الجرائد اليومية. انظر: جريدة عكاظ، السنة الثامنة، السبت (١٨ جمادى الثانية ١٣٩٢هـ/٢٩ يوليو ١٩٧٢م)، العدد ٢٣٤٠، ص ٢.

(٢) الزيـدان، خالـد، إلغاء الإعلانات عن فقدان بطاقات الأحوال ودفـتر العائلة، جريدة الرياض، السنة ٣٧، الأربعـاء، (١١ شعبان ١٤٢١هـ)، العدد ١١٨٢٥، ص١١؛ حرصت علـى معرفة نشاط مكتب الأحوال المدنية بخميـس مشيط في ذلك الوقت، لكـن المعلومات كانت- وما زالت- شحيحة، فقـد اتصلت وراجعت مكتب الأحـوال المدنيـة بخميس مشيط، ووكالـة وزارة الداخلية للأحـوال المدنية بالرياض، موضحة هدفي من الطلب، لكن دون جدوى؛ لذلك اكتفيت بالمراجع التي توافرت لدي.

(٣) الشيـخ محمـد بـن علي بـن محمد بـن عبد الله بـن محمد بن حمـد بن عبـد الله بن عيسـى، اشتهرت عائلتـه بلقب البيز نسبـة إلى لقب جدهم محمد، من مواليد بلدة شقـراء سنة (١٣١٠هـ/١٨٩٢م)، وقيل (١٣١٣هـ/١٨٩٥م)، تعلم على يد والده القراءة، والكتابة، وحفظ القـرآن، كان والده أحد تلاميذ الشيخ إبراهيـم العيسـى، ومن الشيـوخ الذين تعلم علـى أيديهم الشيـخ إبراهيم بن صالح بـن عيسى في الفقه والفرائض، والشيخ عبد الله بـن عبداللطيف في التوحيد والعقيدة، وغيرهم، ومـن أهم أعماله: تولى في عام (١٣٤١هـ/١٩٢٢م) قضاء مليح إحدى قرى سدير، وعين مدرسا في المعهد العلمي السعودي بمكة عام (١٣٤٩هـ/١٩٣٠م)، وفي عام (١٣٥١هـ/١٩٣٢م) عين قاضيا في مستعجلة جدة، ثم عين قاضيا في محكمة جـدة عام (١٣٥٣هـ/١٩٣٤م)، حتى عام (١٣٧٢هـ/١٩٥٣م)، ثـم عين رئيسا للمحكمة الكبرى بالطائف، واستمر بها حتى أحيل للتقاعد عام (١٣٨٧هـ/١٩٦٨م)، توفي في الرياض عام (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م). انظر: آل بسام، علماء نجد، ج٦، ص ص ٣٢٦ - ٣٣٠.

(٤) ابن جريس، عسير في عصر الملك عبد العزيز، ص ٧٥.

(٥) القحطاني، فهد بن سعد، جهود هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواجهة الجريمة (هيئة محافظة خميس مشيط أنموذجا)، رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٣١/١٤٣٢هـ-٢٠١٠/٢٠١١م، ص ٥٢.

عـام (١٣٦٣هـ/١٩٤٤م) أمر الملك عبد العزيز الشيخ عبـد الله بن حسن آل الشيخ[١] باختيـار مجموعة من طلبة العلم، ثم إرسالهم إلى قرى عسير؛ من أجل إرشاد الناس، وإزالـة المنكـرات، وسميت هذه المجموعـة بهيئة الوعظ والإرشـاد[٢]، وقد حظيت قرى خميس مشيط بهؤلاء الوعاظ، حيث تم توجيه عبد الله بن عبد العزيز بن مبارك كعضو إليها، وكذلك يوسف بن حامد، وكانت مهمتهم التجول لإرشاد الناس، وتعليمهم أصول العقيدة، على أن تكون مدة بقاء كل عضو خمسة عشر يوما لينتقل لغيرها، بعد أن يولي أحـدا من أهالي القرية التي مكـث فيها؛ ليقوم بإمامتهم، بعـد أن تتوافر فيه الشروط الشرعيـة للإمامة[٣]. ويذكر الـرواة أن هناك لجانا من أهل الحسبة كانت تزور القرى في خميـس مشيـط وغيرها، وأنهم كانـوا يرصدون ما يحدث مـن مخالفات، ويحذرون أهاليها منها، وإذا أصروا على ذلك يتم تأديبهم، حيث كانوا مجتهدين في القضاء على تلـك المخالفـات، خاصة ما يتعلق بأمـور السحر والشعوذة التي كانـت منتشرة في ذلك الوقت؛ بسبب الجهل المنتشر حينها[٤].

في عـام (١٣٧٣هـ/١٩٥٤م) تم إنشاء هيئة الأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر في مدينـة خميس مشيط، وكانت الإمكانات محدودة في ذلك الوقت، وكانت مركزا واحدا، يعمـل فيه مجموعة من الأعضاء برئاسة الشيـخ سعد بن عتيق[٥]، ثم خلفه في الرئاسة تسعـة مديرين إلى وقتنا الحاضـر[٦]. ورسمت هيئة الأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر

(١) الشيخ عبد الله بن حسن بن إبراهيم بن عبد الملك بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، من مواليد الحوطة عـام (١٣١٠هـ/١٨٩٢م)، جـد في طلب العلم منـذ شبابه، ولازم عددا مـن العلماء، منهم الشيـخ عبد الرحمن بـن عبـد العزيز بن فرحـان، والشيخ عبد الله بـن عبد اللطيف في التوحيـد والعقيدة، ومن أهـم أعماله: في عام (١٣٤٣هـ/١٩٢٥م) عـين قاضيا في الصرار، وبقي إلى عام (١٣٤٧هـ/١٩٢٨م)، ثم عين قاضيا في الطائف إلى عام(١٣٥٤هـ/١٩٣٥م)، ثم نقل إلى قضاء بيشة، واستمر في عمله إلى أن أحيل للتقاعد عام (١٣٧٧هـ/١٩٥٨م)، توفي عام (١٣٩٩هـ). انظر: آل بسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج ٤، ص ص ٦٤ – ٦٦.

(٢) جفشر، مذكرات تاريخية، ص ١٢.

(٣) ابن جريس، عسير في عصر الملك عبد العزيز، ص ٧٦.

(٤) جفشر، مذكرات تاريخية، ص ١٢.

(٥) وثيقـة رقـم (٣٨/٥٧٢)، بتاريخ (١٤٣١/٣/٢٧هـ-٢٠١٠م)، إفادة رئيس هيئة الأمـر بالمعروف والنهي عـن المنكـر بمدينة خميس مشيط، إلى محافظ محافظة خميس مشيـط، إشارة لتعميمه رقم (٥٢٧٣) في (١٤٣١/٣/٢١هـ-٢٠١٠م)، المبنـي على تعميم أمير منطقة عسير رقـم (٣٨٢٦٦) في(١٤٣٠/٧/١٣هـ-٢٠٠٩م)، بشـأن طلـب توثيق المنجزات، يفيد بمعلومات عن هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمدينة خميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للتراث والثقافة.

(٦) خلف الشيخ سعد بن عتيق في إدارة هيئة خميس مشيط: الشيخ عبد الله بن سعيد العكاسي، ثم الشيخ سعيد بن مشبب عسيري، ثم الشيخ أحمد بن عبد الله الأحمري، ثم الشيخ موسى بن سعيد الشهراني، ثم الشيخ سلطان بن شخبوط الدوسري، ثم الشيخ عامر بن عبد المحسن العامر، ثم الشيخ محمد بن جابر العلياني، ثم الشيخ علي بن صالح الشمراني، ثم الشيخ معيض بن عائض القحطاني. وثيقة رقم (٣٨/٥٧٢)، بتاريخ

بمدينة خميس مشيط الخطوط الأساسية لأبرز المهام والمسؤوليات التي تقوم بها، ومن أبرز تلك المهام إلقاء المحاضرات، وعقد الندوات في المرافق العامة، كالمدارس، والمستشفيات، والسجون، وغيرها، وتقديم النصح والتوجيه، وذلك من خلال دوريات الهيئة الميدانية في الأماكن العامة، ومعالجة الظواهر الموجودة في أوساط المجتمع بالطرق الشرعية والنظامية، والتنبيه على الصلوات في أوقاتها، وحث الناس عليها، ومكافحة السحر والشعوذة، والقبض على السحرة والمشعوذين؛ حماية لجانب التوحيد، وحماية للمجتمع من شرورهم، ومنع الاختلاط والتبرج والسفور؛ من أجل حماية الأعراض والأخلاق[١]. وبمرور الوقت وتغير الأمور، شهد هذا الجهاز تطوراً كبيرا، وذلك من خلال افتتاح عدد من الفروع داخل مدينة خميس مشيط وخارجها، حيث بلغ مجموع هذه المراكز ثمانية مراكز، أربعة منها داخلية، وأربعة خارجية، منها ما تأسس قديما، ومنها ما هو حديث[٢].

من المراكز الداخلية التي تأسست في فترة الدراسة، (مركز هيئة السوق) الذي يعد من أهم وأقدم المراكز التي تأسست، وكان أول رئيس له الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب أبو ملحة[٣]، ويقع في وسط مدينة خميس مشيط، ويشرف على الأسواق الشعبية (سوق الحرف اليدوية، وسوق النساء التراثي، وسوق التمور والثلاجات، وسوق الخضار)[٤]، وفي السبعينيات الهجرية تم إنشاء (مركز هيئة العزيزية) تحت اسم: (المركز الثاني)، وأول رئيس له هو الشيخ سعد بن سعيد أبو راس، ثم تغير اسمه إلى مركز حي الصنادق، ثم مركز الشرفية، ثم مركز هيئة العزيزية، ولا يزال بهذا الاسم إلى الآن[٥]، أما بقية المراكز الداخلية فقد تأسست حديثا[٦]. وعن المراكز الخارجية التابعة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن

(٢٧/٣/١٤٣١هـ-٢٠١٠م)، تفيد بمعلومات عن هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمدينة خميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للتراث والثقافة.

(١) وثيقة رقم (٣٨/٥٧٢)، بتاريخ (٢٧/٣/١٤٣١هـ-٢٠١٠م)، تفيد بمعلومات عن هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمدينة خميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للتراث والثقافة.

(٢) الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فرع منطقة عسير، محافظة خميس مشيط، لمحة تاريخية عن هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمحافظة خميس مشيط، ص ٢.

(٣) وثيقة رقم (٣٨/٥٧٢)، بتاريخ (٢٧- ٣- ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، تفيد بمعلومات عن هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمدينة خميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للتراث والثقافة.

(٤) القحطاني، جهود هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواجهة الجريمة، ص ١٢٠.

(٥) وثيقة رقم (٣٨/٥٧٢)، بتاريخ (٢٧-٣-١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، تفيد بمعلومات عن هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمدينة خميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للتراث والثقافة.

(٦) المراكز الداخلية التي تأسست حديثا هي: مركز هيئة الرونة، وتم إنشاؤه عام (١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، وأول رئيس له هو محمد سلمان البشري، ومركز هيئة الصناعية في الجزء الغربي الشمالي من محافظة خميس مشيط، وأول رئيس له محمد ماجد الدوسري. انظر: وثيقة رقم (٣٨/٥٧٢)، بتاريخ (٢٧-٣-١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، تفيد بمعلومات عن هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمدينة خميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للتراث والثقافة.

المنكـر بمدينة خميس مشيط، والتـي تأسست قديما، فهي (مركز هيئة المضة)، ويرجع تأسيسه إلى عام (١٣٧٤هـ/١٩٥٥م)، وأول رئيس له الشيخ حسن حسين فايز، ويشرف هـذا المركز علـى الكثير من القرى[١] التي تتبع مدينة خميس مشيط، أما بقية المراكز الخارجية فقد تأسست حديثا[٢].

٦. المساجد والأوقاف:

يعـد المسجد أهم الدعائم التي قام عليهـا المجتمع الإسلامي، والركن الأساسي في بناء المجتمع على أسس قوية وراسخة؛ كانت أول خطوة قام بها رسول الله- ﷺ- عندما وصل إلى المدينة المنورة بناء مسجد قباء، الذي يعد أول مسجد في الإسلام[٣].

لم يكـن المسجـد مكانـا للعبـادة فقط، بـل كان مركز نشـاط لكل منـاحـي الحياة الاجتماعية، فكان النبي- ﷺ- يعقد فيه الاجتماعات، ويستقبل فيه الوفود، ويقيم فيه حلق الذكر والعلم، وكان منطلق الدعوة[٤].

حرصت المملكة العربية السعودية منذ نشأتها على الاهتمام بالمساجد، وإقامة حلقات العلم فيها، ولعل أبرز النماذج هو جلوس العلماء في المساجد للتعليم، مثل جلوس سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ للتعليم بالمسجد، ففي عام (١٣٣٩هـ/١٩٢١م) عينه الملـك عبد العزيز في الفتيـا وإمامة مسجد في حي دخنة في الرياض، خلفا لعمه الشيخ عبـد الله بن الشيخ عبد اللطيف[٥]، فصار يـؤم النـاس في الصلوات، ويجلس في المسجد

---

(١) القرى التي يشرف عليها مركز هيئة المضة، وتتبع مدينة خميس مشيط هي: قرية الغضاة، وقرية الحفائر، وقرية الشفاء، وقرية عرقة آل سليمان، وقرية المعيقل، وقرية لسس، وقرية صبيحا. انظر: الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرع منطقة عسير محافظة خميس مشيط، لمحة تاريخية عن هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمحافظة خميس مشيط، ص ٤.

(٢) المراكز الخارجية التي تأسست حديثا: مركز هيئة يعرى، وتأسس عام (١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م)، وأول رئيس له الشيـخ سعيد بن فاهد حسن، مركز هيئة وادي ابن هشبل، تأسس عام(١٤١٣هـ/١٩٨٣م)، وأول رئيس له عبـد الرحمن بن سعيد بن حنش الشهراني، مركز هيئـة خيبر الجنوب، تأسس عام (١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، وأول رئيس له الشيخ عبد الله =سعيد عبد الرحمن. انظر: وثيقة رقم (٣٨/٥٧٢)، بتاريخ(١٤٣١/٣/٢٧هـ -٢٠١٠م)، تفيـد بمعلومات عـن هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر بمدينة خميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للتراث والثقافة.

(٣) العقل، ناصر بن عبد الكريم، أثر العلماء في تحقيق رسالة المسجد، د.ن، د.ت، ص ١٠.

(٤) القـادري، أبو بكر، رسالـة المسجد عبر التاريخ، مجلة البحوث الإسلامية، مـن شوال إلى ربيع الأول، من سنة(١٣٩٥هـ ـ ١٣٩٦هـ)، العدد الثاني، ص ٥٠١.

(٥) الشيـخ عبـد الله بن الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبـد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، من مواليـد مدينة الهفوف سنة (١٢٦٥هـ/١٨٤٩م)، حفظ القرآن منذ صغره، وتعلـم على يد والده التوحيد والفقـه والحديث والتفسير، وعلى يد جده عبد الرحمن، وبعد وفاة والده سنة (١٢٩٣هـ/١٨٧٦م)، سافر إلى الأفـلاج، ودرس على يد الشيخ حمد بن عتيـق، ثم بدأ بعد ذلك بنشر العلم عن طريق داره الواقعة في

مـن بعد صلاة الصبح لإلقاء الدروس على طلبة العلم، وشغل جل وقته في نشر العلم[١]. كما أولت حكومة هذه البلاد عناية فائقة ببناء المساجد، ولا تزال هذه الحكومة إلى وقتنا الحاضر ـ ممثلة في وزارة الأوقاف والدعوة والإرشاد[٢] ـ تولي المساجد عناية طيبة[٣].

انتشـرت في مدينـة خميـس مشيط حركـة البناء وتعمـير المساجد، وتميـز بناؤها بالبساطـة المرتبطـة بطبيعـة الأرض المحيطة بها، ولم تكـن مزينة بالنقوش ونحوها، وكانـت جدرانها مبنيـة من الطين أو الطـوب، وأرضيتها من الرمـل، تفرش عليها قطع مـن الحنابل، ومـع ذلك كانت تؤدي أدوارهـا في التعليم، والتربيـة، والوعظ، والتوجيه، والإرشاد، والتكافل الاجتماعي، والحسبة[٤]. ومن المساجد التي مرت بمراحل من البناء والتجديـد في مدينة خميس مشيط، المسجد الجامـع الواقع وسط المدينة، حيث تم بناؤه قبـل خمسين سنة تقريبا[٥]، بناه الشيخ سعيد بـن مشيط من الطين والأخشاب، لحاجة وسـط المدينة إلى جامع، خاصـة لأن المتسوقين بالسوق كانوا لا يجدون مصلى، فكان كل واحـد يصلي بمكانـه؛ لذلك تم بناء المسجـد ليؤدي المسلمون الصـلاة فيه وسط ساحة السوق، وفي طرف السوق كانت توجد بئر تسمى بئر مشيط، تسحب منها المياه للوضوء[٦].

كان أول مـن قـام بإمامـة النـاس بالمسجـد الجامـع، الشيـخ سعد بـن محمد بن سعـدان[٧]، ثـم الشيخ عبد الله بن عبـد العزيز بن عيدان، ثم الشيـخ سعيد بن عياش الغامدي رئيس محكمة خميس مشيط منذ عام (١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م)[٨].

حي دخنة في الرياض، الذي تخرج منه مجموعة من العلماء، قاموا بواجب الدعوة إلى الله والتعليم، وبعد أن فتح الملك عبد العزيز الرياض سنة (١٣١٩هـ/١٩٠١م)، بايعه الشيخ عبد الله، وازدادت أواصر المحبة بينهما؛ فصاهره الملك عبد العزيز، فالشيخ عبد الله جد الملك فيصل، وقد استمر الشيخ عبد الله في نشر العلم، وتخرج على يده عدد كبير من العلماء، أمثال الشيخ محمد بن الشيخ إبراهيم بن الشيخ عبد اللطيف مفتي الديار السعودية ورئيس قضاتها، في حياته وغيرهم، توفي يوم الجمعة سنة (١٣٣٩هـ/١٩٢١م)، عن عمر يناهز (٧٤) سنة. انظر: آل الشيخ، مشاهير علماء نجد، ص ص ١٢٩ — ١٣٨.

(١) آل الشيخ، مشاهير علماء نجد، ص ١٧٠.

(٢) وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وكالة الوزارة للتخطيط والتطوير، ١٤٢٧ـ ١٤٢٨هـ، ص ٥.

(٣) العقل، أثر العلماء في تحقيق رسالة المسجد، ص ١٠.

(٤) ابن معبر، ذكريات عن مدينة خميس مشيط، ص ٩.

(٥) اتصال هاتفي أجرته الباحثة مع الأستاذ/ سفر عبد الله برقان، يوم الخميس بتاريخ (١٤٣٤/١/٢٧هـ ـ ٢٠١٣/١٠/٣م).

(٦) ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص ص ١٢١، ١٢٢.

(٧) اتصال هاتفي أجرته الباحثة مع الشيخ أحمد الحواشي إمام المسجد الجامع بخميس مشيط، يوم الثلاثاء بتاريخ (١٤٣٥/٢/١٣هـ — ٢٠١٣/١٢/١٧م).

(٨) وقـد تـولى إمامته الشيـخ أحمد الحواشي بعـد عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) إلى وقتنـا الحاضر. انظر: ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص ١٢٢.

كانت المرحلة الأولى مـن تجديد المسجد في عام (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، بتوجيه الأمير سلطان بن عبد العزيز بعد زيارته للمنطقة، عن طريق مؤسسة محمد بن لادن، فتم إعادة بناء المسجد من الأسمنت المسلح[١]، أما المرحلة الثانية من إعادة ترميم المسجد، فكانت في وقتنـا الحاضر قبـل أربع سنـوات؛ بسبب تعرض المسجـد للحريق[٢]. ومـن المساجد القديمـة التي تأسست في مدينة خميس مشيط مسجد العتبـان، بناه حمد الطعيمي على نفقتـه عام (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)، ويقـع المسجد في حي العتبان في نطاق حي الهميلة، وأول مـن قام بإمامة النـاس في هذا المسجد الشيخ عون بن محمد معـبر، ثم الشيخ سعيد بن مشبـب، وتم إعادة بناء هذا المسجد على نفقة (سعيد بـن زريب)، وأطلق عليه (مسجد الهجرتـين)[٣]. وفي حي الدرب تم إنشـاء مسجد النملة، وكانت تقام فيه حلقات لتحفيظ القرآن الكريم، وأول حلقة أقيمت فيه عام (١٣٩١هـ/١٩٧١م)، حيث قام بتدريس طلاب هـذه الحلقة مدرس باكستـاني الجنسية، اسمـه عيسى، وفي حي قنـبر تم إنشاء مسجد قنـبر، وكان إمامـه في التسعينيـات الشيـخ مبارك الدوسـري. وفي حي الضبـاط- أحد الأحياء القديمة في مدينة خميس مشيط- أقيم مصلى للعيد لتقام فيه صلاة العيد[٤].

خامساً: المؤسسات العسكرية في مدينة خميس مشيط (١٣٧٣-١٣٩٥هـ/١٩٥٣-١٩٧٥م).

١ـ المؤسسات الأمنية:

أـ الشرطة:

كان لتطبيـق المملكـة العربيـة السعودية الشريعـة الإسلامية أثـره في رسوخ الأمن واستقـراره[٥]، فقـد طبق الملك عبـد العزيز- وأبنـاؤه من بعده - الشريعـة الإسلامية بحزم - ، وضرب على أيدي المجرمين بصرامة؛ فاستتب الأمن في ربوع بلاده، واستفاد أبنـاؤه مـن بعده في هذا المجال، واستحدثـوا أفكارا رائدة، وتنظيمـات رائعة؛ مما جعل جهودهم تؤتي ثمارا وفيرة الخير مستمرة النماء[٦]. بعد توحيد الملك عبد العزيز للملكة العربيـة السعودية، اهتم بالإصلاحات الداخلية في جميع مرافق ومؤسسات الدولة، ومن جملـة ذلـك اهتمامه بالتنظيـم الإداري للأجهزة الأمنية المتعـددة الأغراض والمهام في

---

(١) ابن معبر، ذكريات، ص ٩.

(٢) جريدة الوطن، السنة العاشرة، (٢٠ جمادى الأولى١٤٣١هـ/٤مايو٢٠١٠م) العدد ٣٥٠٤.

(٣) ابن معبر، ذكريات عن مدينة خميس مشيط، ص ١٠.

(٤) ابن معبر، ذكريات، ص ص ١٠، ١١.

(٥) العتيبـي، إبراهيـم، الأمـن في عهد الملك عبـد العزيز تطوره وآثـاره (١٣٧٣-١٣٧٣هـ/١٩٢٠-١٩٥٣م)، الرياض، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ص ١٥٤.

(٦) الغلامي، الملك الراشد، ص ص ٢٠٥ — ٢٠٧.

البــلاد[١]، قال في منشور عــام: «إن البلاد لا يصلحها غير السكـون، إني أحذر الجميع من نزغات الشياطين، والأهواء التي ينتج عنها الاسترسال وراء الأهواء، التي ينتج عنها إفساد الأمن في هذه الديار المقدسة، فإنني لن أراعي في هذا الباب صغيرا ولا كبيرا»[٢].

بـدا هذا الاهتمام واضحا بعـد ضم الحجاز عام (١٣٤٤هــ/١٩٢٥م) ؛ لاشتماله علـى شيء من التنظيم الإداري والأمني، فأمر الملك عبـد العزيز في ذلك العام بإنشاء مديرية للشرطة في مكة المكرمة، بالإضافة إلى إنشاء عدد آخر من مديريات الشرطة في مدن المملكة الرئيسة الأخـرى، كالمدينة المنورة، والرياض، والطائف[٣]. وأخذت أعمال الشرطة بعد ذلك تتسع، وفروعها تتعدد، حتى أصبح في كل مدينة إدارة للشرطة، وتحول اسـم مديريـة الشرطة العامة إلى: «مديرية الأمن العــام»، ووضع لها نظام اشتمل على تشكيل مديرية الأمن العــام، وأقسامها، والواجبات المناطة بها، كما اشتمل على قواعد التحقيق، والضمانات التي يجب أن تتوافر لمن يشمله التحقيق، من مبلغين، أو شهود، أو متهمين؛ لتأخذ العدالة مجراها دون تجاوز أو ضغط[٤].

كان حفـظ الأمن في إقليم عسير – قبل استحـداث الشرطة – من اختصاص أمير المنطقة، ومن معه من الخويا، ويقوم الخويا بأعمال الشرطة في المناطق التي لا يوجد بها رجـال الشرطة، من حيث الحراسة، وأعمال السجن، وتنفيذ الأحكام الشرعية كالحد، والقصاص، ومراقبـة الحدود، والمشبوهــين[٥]. ومن مهمات الخويـا أيضا البحث عن المسروقـات، ولا سيما المواشــي، وغالبا ما يكون الخويا من أهل القرى؛ للاستعانة بهم في معرفة المسالك، والقبائل، والعادات[٦]، كان أمير الإقليم أو المنطقة يقوم باختيار العاملين معه (الخويــا)، ممن عرف بحسن السيرة والسلوك، وهو المسـؤول عن هذا الاختيار[٧]. ويُلحَق الخويا بالإمارات كمدنيين مسلحين، للقيام بأعمال الحراسة، ومطاردة المجرمين، وهــم بذلك يشاركـون في المحافظة على النظام، ولا سيما في المناطق النائية التي لا يوجد بهــا شرطة، ولهــم دور في المشاركة في مكافحة التهريب، والتسلل عبر الحدود، ويرابطون عند موارد المياه؛ لمنع الخلافات بين القبائل، ولتنظيم السقيا منها[٨].

---

(١) العتيبي، الأمن في عهد الملك عبد العزيز، ص ٨١.
(٢) العتيبي، الأمن، ص ٨١.
(٣) حمزة، البلاد العربية السعودية، ص ٢٢٠.
(٤) العتيبي، الأمن في عهد الملك عبد العزيز، ص ص ٧٦، ٧٧.
(٥) البشري، إقليم عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص ٢٣٠.
(٦) العتيبي، الأمن في عهد الملك عبد العزيز، ص ٧٧.
(٧) العتيبي، الأمن، ص ٧٧.
(٨) العتيبي، الأمن، ص ٧٧.

في عام (١٣٦٠هـ/١٩٤١م) افتتح في عسير فرعٌ للشرطة، كإدارة قائمة بذاتها، وهي من تخدم أهالي خميس مشيط، وما جاورها من قرى، ولها مسؤوليات محددة، ويرأسها مسؤول يعين من قبل المديرية العامة للأمن العام، وبدأت مديرية الشرطة في عسير بشكل متواضع، إلا أنها نمت في أواخر حكم الملك عبد العزيز وما بعده، وأصبحت تضم عدة أقسام: (قسم المكتب والتحريرات، قسم الأوراق، والمحاسبة، وأمانة الصندوق والمستودع، والمباحث الجنائية، والسجن، وقيادة القوة) ثم ألحقت بشرطة أبها مراكز فرعية في الملحقات، ومنها مركز شرطة خميس مشيط[١]. في أواخر عهد الملك فيصل (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) طرأ تطور على شرطة خميس شيط، حيث أصبحت إدارة قائمة بذاتها[٢]، وأول من تولى إدارتها النقيب عبد الهادي شقدار[٣]، ومقرها في مبنى وسط المحافظة بجوار بلدية محافظة خميس مشيط[٤].

أُلحق بشرطة محافظة خميس مشيط مراكز فرعية في المراكز التابعة لها، منها ما أنشئ قديما، ومنها الحديث، ومن المراكز التي أنشئت قديما مركز شرطة المضة، تم افتتاحه في عام (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م) [٥]، وفي عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) افتتح مركز شرطة خيبر الجنوب[٦]، ثم في عام ١٣٩٤ هـ /١٩٧٤م تم افتتاح مركز شرطة يعرى، وأول من تولى إدارته رئيس الرقباء (سعيد بن عبود الشهراني)[٧]، أما مركز شرطة وادي ابن هشبل، فقد أنشئ حديثا[٨].

ب ـ الدفاع المدني:

الدفاع المدني في المملكة العربية السعودية: مجموعة من الإجراءات والأعمال

---

(١) البشري، إقليم عسير، ص ٢٣٠.

(٢) تقرير من شرطة منطقة عسير عن طريق المقدم مشاري بن محمد آل مفرح، يفيد بمعلومات عن شرطة خميس مشيط، يوم الأربعاء، بتاريخ (١١-٤- ١٤٣٥هـ/١٢-٢-٢٠١٤م)).

(٣) النقيب عبد الهادي شقدار من أهل جدة، تولى شرطة سبت العلايا قبل شرطة خميس مشيط. انظر: تقرير من شرطة منطقة عسير، عن طريق المقدم مشاري بن محمد آل مفرح، معلومات عن شرطة خميس مشيط، يوم الأربعاء، بتاريخ (١١- ٤- ١٤٣٥هـ/١٢-٢-٢٠١٤م).

(٤) حاليا أصبح مقر الشرطة في حي الحسام بجوار المحكمة العامة. زيارة ميدانية قامت بها الباحثة لمركز الشرطة بمدينة خميس مشيط يوم الثلاثاء، بتاريخ (١٠- ٤ - ١٤٣٥هـ).

(٥) أول من تولى إدارته رئيس الرقباء ماهر القحطاني. انظر: وثيقة رقم (١٠٨٦/٦٠٢/٥) بتاريخ (٢٩-٧-١٤٣٠هـ)، تفيد بمعلومات عن مركز المضة، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للتراث والثقافة.

(٦) أول من تولى إدارته رئيس الرقباء (ناصر زميع المنبهي). انظر: وثيقة رقم (١٨٩٣/٦٠٢/٤)، بتاريخ (٢٣-١٤٢٨هـ)، تفيد بمعلومات عن مركز خيبر الجنوب، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

(٧) وثيقة رقم (١٩٩٧/٦٠٢/٣)، بتاريخ (٢٢- ١١-١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، تفيد بمعلومات عن مركز يعرى، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

(٨) وثيقة رقم (٣٨٨٢/٦٠٢/٢)، بتاريخ (٢٥-١١-١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، تفيد بمعلومات عن مركز وادي ابن هشبل، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

اللازمة لحماية السكان، والممتلكات العامة والخاصة، من أخطار الحريق، والكوارث، والحروب،والحوادث المختلفة، وإغاثة المنكوبين، وتأمين سلامة المواصلات والاتصالات، وسير العمل في المرافق العامة، وحماية مصادر الثروة الوطنية في زمن السلم، وحالات الحرب، والطوارئ[١]. ونظرا لأهمية سلامة المواطن والمقيم، وحفظ الممتلكات العامة والخاصة من الأخطار الطبيعية والصناعية؛ ظهرت الحاجة إلى جهاز متخصص يواجه تلك الأخطار، ولأهمية ذلك فقد حرص ولاة الأمر في هذه البلاد على توفير مثل هذا الجهاز، بدأ ذلك الاهتمام منذ عهد الملك عبد العزيز، وتطور حتى وصل إلى ما وصل إليه الآن، ولهذا فقد تم إحداث أول فرقة للإطفاء في مكة المكرمة عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٦م، وانضمت هذه الفرقة إلى جهاز الأمن العام، وسميت رئاسة عموم المطافئ، وفي (١٥-٧-١٣٦٧هـ/٢٣- ٥-١٩٤٨م) تم إحداث فرقة إطفاء المدينة المنورة، وانشئت فرقتين أيضا في كل من الرياض وجدة، وفي عام (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م) سميت هذه الرئاسة بالمديرية العامة للإطفاء، وانفصلت عن الأمن العام، وارتبطت بوزارة الداخلية، وفي(٢٤-٣-١٣٨٥هـ/٢٢-٧-١٩٦٥م) صدر الأمر السامي بتغيير ذلك المسمى إلى المديرية العامة للدفاع المدني[٢].

حظيت منطقة عسير منذ زمن مبكر بإحداث فرقة للإطفاء، كان ذلك في مدينة أبها عام (١٣٤٦هـ/ ١٩٢٩م)[٣]، وقد أشار الأستاذ محمد أنور إلى ذلك حيث قال: «بدأت إدارة الدفاع المدني[٤] في أبها منذ عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٩م، وكان يتولى إدارتها ضابط يدعى أحمد بدوي، ومع الضابط عدد من الجنود، ومعهم مطوع يصلي بهم الصلوات الخمس، وكان ارتباطهم الإداري مباشرة مع الإمارة في أبها، حتى عين الأمير منصور بن عبد العزيز آل سعود وزيرا للدفاع، فارتبط به الدفاع المدني، وتشكل تشكيلا أصوليا»[٥].وفي (١-١-١٣٩٠هـ/٢٧-٢-١٩٧١م) تأسست إدارة الدفاع المدني بمدينة خميس مشيط باسم مركز الدفاع المدني بوسط الخميس، بإمكانيات محدودة فرقة حريق واحدة، مكونة من سيارة إطفاء، وسيارتين وايت، وسيارة جيب واحدة فقط،

---

(١) وثيقة رقم(٢٤/٢/٩٣٠)، بتاريخ (٢٧-٣-١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، إفادة من إدارة الدفاع المدني بمدينة خميس مشيط إلى محافظ محافظة خميس مشيط، إشارة إلى تعميمه بشأن طلب توثيق المنجزات رقم(٥٢٧٣)، في(١٢-٣-١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، تفيد بمعلومات عن إدارة الدفاع المدني بمدينة خميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

(٢) الإدارة العامة للشؤون الثقافية والإعلامية، الدفاع المدني ومسيرة (٧٤) عاما، ب. ن، ١٤٢٠هـ، ط١، ص ٩.

(٣) ابن جريس، غيثان، من رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية محمد أنور، الرياض، مطابع الحميضي، ١٤٣١ه /٢٠١٠م، ص ١٩٦.

(٤) لم تكن في ذلك الوقت تسمى إدارة الدفاع المدني، بل كانت تسمى بفرقة الإطفاء. انظر: الإدارة العامة للشؤون الثقافية والإعلامية، الدفاع المدني ومسيرة (٧٤) عاما، ص ٩.

(٥) ابن جريس، من رواد التربية والتعليم، ص ١٩٦.

وكان يغطـي كامل محافظة خميـس مشيط وتوابعها[١]، وبقي كذلك حتى تأسست إدارة الدفاع المدني بمحافظة خميس مشيط[٢].

عملـت إدارة الدفـاع المـدني في خميـس مشيط على إنشـاء وحـدات ومراكز تبعا للاحتيـاج الفعلـي، ومسايرة لمتطلبات الخدمـات في المدينة؛ لهذا ألحق بـإدارة الدفاع المدني عددٌ من الوحـدات الداخلية والمراكز الخارجية، منها ما يرجع تأسيسها قديما، وهـي وحدة الدفاع المدني بوسط المدينة، وأخرى غرب المدينة عام (١٣٩٠هـ/١٩٧١م)، أما بقية الوحدات والمراكز الخارجية، فيرجع تأسيسها حديثا خارج فترة الدراسة[٣].

ج ـ إدارة السجون:

كانـت السجون في المملكة العربيـة السعودية مرتبطة بـإدارات الشرطة، بوصفها واحـدة من أقسامها المتعددة، وفي عـام (١٣٨٨هـ/١٩٦٩م) صدرت الموافقة السامية على إنشاء مصلحة عامة للسجون، مستقلة عن الأمن العام، وفي عام (١٣٩٨هـ/١٩٧٩م) صـدرت الموافقة السـامية على نظـام السجون والتوقيف، وفي العـام نفسه صدر قرار صاحـب السمـو الملكي وزير الداخليـة بتاريخ (١٣٩٨/١٠/٢٢هـ-١٩٧٨م)، القاضي بالموافقة على تشكيل الإدارة العامة للسجون، واختصاصاتها، وواجباتها[٤].وكان سجن خميـس مشيط[٥] يقع تحـت إشراف شرطـة الخميس، وتتولى أيضـا حراسته، وترجع

---

(١) وثيقة رقم(٩٣٠/٢/٢٤)، بتاريخ (٢٧-٣-١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، تفيد بمعلومات إدارة الدفاع المدني بمدينة خميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

(٢) تأسست إدارة الدفاع المدني بمدينة خميس مشيط في (١-٨-١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ويوجد بها ثلاثة وعشرون ضابطـا، وثلاث مئة وأربعة أفراد، وتولى إدارتها عند تأسيسها العميد/ عبد الله محمد القحطاني.انظر: وثيقة رقم (٩٣٠/٢/٢٤)، بتاريخ (٢٧-٣- ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، تفيد بمعلومات إدارة الدفاع المدني بمدينة خميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

(٣) الوحـدات الداخليـة التـي تأسسـت خـارج فـترة الدراسـة: وحـدة الدفـاع المدني بشـرق المدينـة، وتم افتتاحهـا في (١- ٧- ١٤٠٦هـ/ ١٢-٣-١٩٨٦م)، وحـدة الدفـاع المـدني بالرونـة، وتم افتتاحها في(٨-٨-١٤٢٥هـ/٢٣-٤-٢٠٠٤م)، وحـدة الدفـاع المـدني بالصناعيـة الجديـدة، وتم افتتاحهـا في(٢٢-١-١٤٢٢هـ/١٦-٤-٢٠٠١م)، أمـا مراكـز الدفاع المدني الخارجيـة فهي: مركز الدفاع المـدني بالمضة، وتم افتتاحـه في (١١-٨-١٤١٠هـ/٩-٣-١٩٩٠م)، مركـز الدفـاع المدني بوادي ابن هشبـل، وتم افتتاحه في (٣-١١-١٤١٣هـ/٢٥-٤-١٩٩٣م)،مركز الدفاع المـدني بتندحة،وتم افتتاحه في(٣-١-١٤٢٩هـ/١٢-١-٢٠٠٨م).انظـر: وثيقة رقم(٩٣٠/٢/٢٤)،بتاريـخ (٢٧-٣-١٤٣١هـ)، تفيد بمعلومات عـن إدارة الدفاع المدني بمدينة خميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

(٤) المديرية العامة للسجون، نبذة تعريفية عن المديرية، الرياض، وزارة الداخلية، ص ٣.

(٥) عندمـا أنشـئ سجن خميس مشيط، كان يحمل اسم: (سجن خميس مشيط)، ثم تم تغيير المسمى إلى: قسم سجـن خميس مشيـط، ورفع تشكيله إلى قسم فئـة (أ)، ويكون مدير السجن برتبة عميـد. انظر: وثيقة رقم ١٣١٩٤،بتاريـخ(١٧-١١- ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، إفـادة من إدارة سجون منطقة عسـير إلى محافظ محافظة خميس مشيط، إشارة إلى تعميمه بشأن طلب توثيق المنجزات رقم (١٤٩٥)، في (٢٨-٣-١٤٣١هـ/٢٠٠٩م)، يفيد بمعلومات عن قسم سجن خميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

نشأتـه إلى عـام ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م،[١]، في مبنـى مستأجر[٢]، وكان عـدد أفراده تسعة وعشريـن مـن الرتب الصغيرة، وعـدد السجناء لا يزيد عن خمسـة وستين سجينا، ثم أنشئ بعد فترة قصيرة المبنى الحكومي للسجن في مقره الحالي[٣].

٢ ـ المنشآت العسكرية (البرية والجوية):

أ- الجيش:

لم يكـن للملك عبد العزيز جيش نظامي دائـم، يعتمد عليه خلال مرحلة التوحيد، فكانـت قواته تتكون من أفـراد الحاضرة والبادية، وبعد نجاح فكـرة الملك عبد العزيز في توطـين أفـراد البادية، وجعلهم يسكنون الهجر- والذيـن أطلق عليهم فيما بعد اسم (الإخوان)- اعتمد عليهم في بناء الجيش وأصبحوا في طليعة قواته المحاربة[٤].

سرعان ما بدأ الجيشـ يتطور تدريجيا، ففي عام (١٣٤٨هـ/١٩٢٩م) أمر الملك عبد العزيـز بإنشاء مديرية الأمـور العسكريـة[٥]، وأدخلت تحسينات كبـيرة في فروع الجيش النظامـي، فتشـكل بفوج مـن المدفعية، وآخر مـن الرشاشـات، وثالث من المشـاة[٦]،وفي عام(١٣٥٣هـ/١٩٣٤م)تم إنشاء وكالة للدفاع مع استمرار بقاء مديرية الأمور العسكرية، وفي عـام (١٣٥٨هـ/١٩٣٩م) ألغيـت مديريـة الأمـور العسكريـة؛ لتقوم مكانهـا رئاسة الأركان[٧]، وقد اكتمل بناء الأسس القوية للجيش السعودي في عهد الملك عبد العزيز بإنشاء وزارة الدفـاع سنة(١٣٦٣هـ/ ١٩٤٣م)، وأصبح الأمير منصور بـن عبد العزيز[٨].وزيرا

(١) أول من تولى إدارته عبد الله سعد عسيري. انظر: تقرير مرسل من الملازم أول/ جابر بن أحمد الشهراني، مدير العلاقات والإعلام في مديرية السجون بمنطقة عسير، يفيد بمعلومات عامة عن إدارة سجن خميس مشيط، بتاريخ(١٦-١-١٤٣٦هـ/٨-١١- ٢٠١٤م).

(٢) موقـع السجـن القـديم كان قريبـا مـن الموقـع الحـالي، علـى طريـق الملـك خالـد تقاطـع الحـزام الدائـري. انظـر: تقريـر مرسـل مـن المـلازم أول/ جابـر بـن أحمـد الشهـراني، مديـر العلاقـات والإعـلام في مديريـة السجون بمنطقة عسير، يفيد بمعلومات عامة عن إدارة سجون خميس مشيط، بتاريخ (١٦- ١-١٤٣٦هـ/٨-١١ ٢٠١٤م).

(٣) كان يضـم عنابـر للسجناء، ومباني لـلإدارة، والخدمات المسانـدة الأخرى، (كالمستوصـف، والمطبخ، وورش التدريـب، والمدرسـة الإصلاحيـة، وسكـن للأفـراد)، والموقع الحـالي في حي المثنـاة بخميس مشيـط. وثيقة رقم(١٣١٩٤)، تفيد بمعلومات عن قسم سجن خميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

(٤) الزركلي، خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، من منشورات مكتبة الحرم الملكي الشريف، ج٣، ص ٩٨٩.

(٥) المالـك، إبراهيـم بن مالك وآخرون، القـوات المسلحة السعودية (١٣١٩هـ- ١٤١٩هـ/١٩٠١-١٩٩٨م)، إدارة الشؤون العامة للقوات المسلحة وزارة الدفاع والطيران، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ص ٤٠.

(٦) السناني، التنظيمات الإدارية في عهد الملك سعود، ص ١٥٤.

(٧) المالك، القوات المسلحة، ص ص ٤٠ – ٤٤.

(٨) الأمـير منصور بن عبـد العزيز آل سعود، ولد في مدينة الرياض، وتعلم فيهـا، وولي إدارة القصر الملكي، زار مصـر خـلال الحـرب العالمية الثانية زيـارة رسمية، حيـث شاهد المنشـآت العسكريـة، ومستودعات

لها، فاتخذ عدة خطوات موفقة، أدت إلى تطوير الجيش، وتنظيمه تدريباً وتسليحاً[١].

سجل التاريخ الحديث أهمية مدينة خميس مشيط كموقع للانطلاق العسكري، عند تأسيس المملكة وتوحيد البلاد، على يد القائد المؤسس الملك عبد العزيز[٢]، وكان الملك فيصل أول من اتخذ خميس مشيط موقعا للانطلاق العسكري عام (١٣٤١/١٩٢٢م)، عندما استنجدت به القبائل في عسير أثناء حربها ضد ابن عائض[٣]، واتخذت خميس مشيط موقعا للانطلاق العسكري لعدة أسباب، ملاءمة مناخ مدينة خميس مشيط للتدريب العسكري، فهي تتميز باعتدال جوها، وتتميز كذلك بسهولة تضاريسها؛ مما يسهل لجيش كبير الحركة والتنقل، بالإضافة إلى وفرة مياهها، حيث تخترقها عدة أودية، من أهمها وادي بيشة ووادي عتود[٤]، ويتميز موقع خميس مشيط بأن أرضها منبسطة وسهلة، وشعابها وأوديتها كثيرة ومنبسطة[٥]، كما تتوافر فيها أشجار الطلح بكثرة والسدر، وهو ما يحتاج إليه الجيش، والإبل، والخيل، كما أنها تختلف عن أبها بانبساط الأرض، فهي غير محصورة بين الجبال[٦]، وقال الدكتور عبد الرحمن صادق الشريف في حديثه عن موقع مدينة خميس مشيط: «كون خميس مشيط تقع على حافة السراة، ومنفذا وبوابة لها، وليست بعيدة عن حدود اليمن، وعند ملتقى طريق هضبة عسير في الشرق، وفي متسع من الأرض لا تحجبها الجبال، اتخذت- منذ تأسيس المملكة وضم عسير، ومنذ أيام الحروب مع اليمن قبل نصف قرن- مقرا للمعسكرات الحربية»[٧].

الأسلحة، وبعد تعيينه وزيرا للدفاع عام (١٣٦٣هـ/١٩٤٣م) برتبة فريق أول- وهو أول وزير للدفاع- أخذت النهضة العسكرية تسير بسرعة؛ فتم في عهده بناء أول صناعة حربية في شبه الجزيرة العربية. وبعد وفاة الأمير منصور خلفه في وزارة الدفاع الأمير مشعل بن عبد العزيز عام (١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م)، وبعد استقالته من الوزارة عام (١٣٧٦هـ/١٩٥٧م) تبعه الأمير فهد بن سعود، وفي عهده تم تشكيل رئاسة أركان الحرب، وفي عام (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م) تم تعيين الأمير محمد بن سعود وزيرا للدفاع، واستمر حتى عام(١٣٨٢هـ/١٩٦٢م)، حتى خلفه الأمير سلطان بن عبد العزيز، وبعد وفاته عام(١٤٣٢هـ/٢٠٠٣م) أصبح الأمير سلمان وزيرا للدفاع، ثم أصبح الأمير محمد بن سلمان وزيرا للدفاع. انظر: المالك، القوات المسلحة السعودية، ص ص ٦٢ – ٦٥.

(١) المالك، القوات المسلحة، ص ٦٢.

(٢) آل عامر، سعاد، حكاية اسم خميس مشيط، الرياض، المجلة العربية، (ذو القعدة ١٤٢٦هـ ديسمبر ٢٠٠٥م)، العدد ٣٤٦، ص٣.

(٣) ابن زلفة، عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص ٥٢.

(٤) حمزة، في بلاد عسير، ص ٧٣.

(٥) الشريف، عبد الرحمن صادق، جغرافية المملكة العربية السعودية، إقليم جنوب غرب المملكة، الرياض، دار المريخ، (١٤٠٤/ ١٩٨٤م)، ص ٣١٣.

(٦) ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص ١٠٦.

(٧) الشريف، جغرافية المملكة، ص ٣١٤.

في عام(١٣٥٢هـ/١٩٣٣م) اتخذت خميس مشيط موقعا للانطلاق العسكري، عندما أمر الملك عبد العزيز الأمير سعود بن عبد العزيز ـ ولي العهد حينها ـ بقيادة الحملة المتوجهة إلى نجران[١]، فأقام الأمير سعود معسكرا له في مدينة خميس مشيط[٢]، وقد قام الكاتب والباحث السياسي فؤاد حمزة بزيارة خميس مشيط في العام نفسه (١٣٥٢هـ/١٩٣٣م)، ووصفها في كتابه فقال: «حينما أشرفنا على وادي الخميس من الهضاب الشرقية، أصيل يوم الأحد الواقع في (١٩شوال١٣٥٢هـ/٤فبراير١٩٤٣م)، كان أول ما لفت نظري الخيام البيضاء المنتشرة في أطراف الوادي، وفي جنبات السهل المنبسط، وحركة الجيش، وتنقلات جند الإخوان، وما يلازم المعسكرات من حركات عسكرية، أو قوافل مؤن وذخائر، أو سيارات غادية رائحة»، ثم قال: «بعد وصولي إلى الخميس، فهمت السر في اختيارها مقرا للمعسكرات الحربية؛ ذلك أن أبها، وإن كانت أكبر منها وأقرب إلى الحدود اليمانية وتهامة، فإنها محصورة بين الجبال، ولا توجد فيها الفلاة لرعي الإبل، وكذلك ليس فيها متسع لحركات جيش كبير، ووجدت أن ولي العهد قد اختار الإقامة في مخيم، نصب على أطراف الوادي، على سكنى بيوت القرية وقصورها»[٣]. وقد حظيت المنشآت العسكرية (الجوية والبرية) في مدينة خميس مشيط بنصيب وافر من رعاية واهتمام الدولة، منذ عهد الملك سعود بن عبد العزيز[٤]، حيث كان الملك سعود منذ أن شب مرافقا للملك عبد العزيز في حروبه، وقاد الجيش في العديد من فتوحات والده، حيث تولى القيادة العليا للقوات المسلحة، وقوات الدفاع والحرس والأمن في(١٥/١٢/١٣٧٢هـ الموافق٢٩/١٢/ ١٩٥٢م)[٥].

---

(١) شهدت الفترة ما بين (١٣٤٥هـ-١٣٥٠هـ/١٩٢٦م-١٩٣١م) توترا في العلاقات السعودية اليمنية، نجم عن مشاكل الحدود المتنازع عليها في عسير، وقد حاول الملك عبد العزيز حل تلك المشاكل بالطرق السلمية، وكان آخرها مؤتمر أبها الذي لم يسفر عن أي نتائج؛ بسبب تعنت الوفد اليمني، وإصراره على عدم مناقشة مسألة نجران؛ مما جعل الملك يغلق أبواب الحلول السلمية، ويستخدم القوة الحربية، فجهز الملك عبد العزيز قواته، وقسمها إلى جبهتين:شرقية وتشمل حدود عسير الجبلية ونجران، بقيادة الأمير سعود بن عبد العزيز، الذي أقام معسكرا لقواته في مدينة خميس مشيط، وغربية بقيادة الأمير فيصل بن عبد العزيز، واستطاعت القوات السعودية أن تهزم القوات اليمنية، وتتوغل إلى مدينة الحديدة، ثم سعت عدة جهات عربية وإسلامية إلى الصلح بين البلدين، ودارت مفاوضات بين الطرفين، انتهت بعقد صلح أدى إلى توقيع معاهدة الطائف في(٦ صفر١٣٥٣هـ/١٩٣٤م). انظر:الخترش، فتوح عبد المحسن،(تاريخ العلاقات السعودية اليمنية١٩٢٦/١٩٣٤م)،الكويت،دار السلاسل،ص ص٢٢٧ـ ٢٤٠.

(٢) آل خليل، أنور بن محمد، ملامح من زيارتي الملك سعود بن عبد العزيز إلى مدينة أبها عامي(١٣٧٣هـ/١٩٥٣م ـ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م)، بحوث الندوة العلمية لتاريخ الملك سعود بن عبد العزيز، التي عقدتها الدارة في الفترة(٥-٧ ذي القعدة١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م) ، ص ٥٨٢.

(٣) حمزة، في بلاد عسير، ص ص ٧٣، ٧٤.

(٤) آل خليل، ملامح من زيارتي الملك سعود، ص ٥٨٢.

(٥) السناني، التنظيمات الإدارية في عهد الملك سعود، ص ١٦٠.

ب- مطار خميس مشيط وقاعدة الملك خالد الجوية:

بعـد سبعة أشهر من وفاة الملك عبد العزيـز في (٢-٣-١٣٧٣هـ/٩-١١-١٩٥٣م)، عزم الملـك سعـود على زيارة منطقة عسـير، فأرسل برقيـة في (٢٨-٨-١٣٧٣هـ/٢-٥-١٩٥٤م) إلى أمـير عسـير تركي بن ماضي، والى رئيس المالية عبد الوهاب أبو ملحة، يخبرهم بقدومه إلى المنطقـة بعد رمضان من عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٤م)، وكان أهم ما نصت عليه تلك البرقية تجهيـز المطـارات، واللجـوء إلى الأمير مشعـل بوصفه وزيـرا للدفاع والطـيران فيما يخص ذلـك[١]. وعلـى إثر ذلك تم التباحث مع وزير الدفاع والطـيران الأمير مشعل بن عبد العزيز بشـأن عدم وجـود مطارات في عسـير، وحول إمكانية إنشـاء مطار في أبها؛ مـن أجل هبوط الطائرة التي سوف تحمل الملك سعود إلى عسير، وعلى ضوء ذلك تم تشكيل لجنة من خبراء المطـارات[٢]، واطلعت اللجنة على عدة مواقـع منها: شعار[٣]، والشرف في خميس مشيط[٤]، والقرعاء[٥]، وقد وقع الاختيار على الشرف بخميس مشيط، إلا أن الطائرة لم تنزل هنـاك، بل هبطـت على أرض شاسعة في القرعاء جنوب مدينة أبها[٦]. وعلى الرغم من ذلك، تم اختيار الشـرف بخميـس مشيط، ليكون مكانا لهبوط وإقلاع الطائرات، مـن وإلى أبها فيما بعد، ولا يـزال هـذا المطار العسكري يعمل حاليـا ضمن قاعدة الملك خالد الجويـة، ويرجع السبب في اختياره لندرة المعوقات الجغرافية، التي تشكل خطورة على حركتي الإقلاع والهبوط[٧].

لا تـزال زيارة الملـك سعود إلى منطقـة عسير[٨] عالقـة في أذهان المعاصريـن الأحياء،

---

(١) آل خليل، ملامح من زيارتي الملك سعود، ص ص ٥٩١، ٥٩٢.

(٢) كانـت اللجنة برئاسـة المهندس عبد السلام سرحان. انظر: آل خليل، ملامـح من زيارتي الملك سعود بن عبد العزيز إلى مدينة أبها، ص ص٥٩٤، ٥٩٥.

(٣) شعـار: تطل على شفـا تهامة محايل، وهي منطقة واسعة تحف بها الجبـال، يخترقها طريق الطائف أبها المعبـد ببـلاد بني مالـك، ويطلق اسم شعـار على عقبة تنحـدر إلى تهامة، يخترقها الطريـق المعبد (أبها محايل). انظر: الحربي، المعجم الجغرافي، ج ٢، ص ٨٩٧.

(٤) الشرف موضع شرق خميس مشيط، وهو موقع المطار العسكري حاليا، الذي يعمل ضمن قاعدة الملك خالد الجوية. زيارة ميدانية قامت بها الباحثة لقاعدة الملك خالد الجوية، يوم الأحد (٧-٢-١٤٣٦هـ/٣٠-١١-٢٠١٤م).

(٥) القرعاء: تقع في الجهة الجنوبية الشرقية من مدينة أبها، وقد اختارها محمد بن لادن لوجود القصر الملكي فيها، وأكد الأستاذ يحيي إبراهيم الألمعي في كتابه "رحلات في عسير" وجود ذلك المطار في القرعاء، وإن كان لا أثر لهذا المطار في وقتنا الحاضر. انظر: الألمعي، يحيي بن إبراهيم، رحلات في عسير، من منشورات مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض، ج ١، ص ٣١.

(٦) آل خليل، ملامح من زيارتي الملك سعود، ص ص٥٩٤، ٥٩٥.

(٧) آل خليل، ملامح، ص ص٥٩٤، ٥٩٥.

(٨) زار الملك سعود مدينة أبها مرتين، الأولى كانت في شهر شوال من عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٤م)، وفي هذه الزيارة وجـه بإنشـاء عدد من المشاريـع، وقد أحدثت هذه الزيـارة الكثير من النقلات التنمويـة في منطقة عسير، التـي انعكست على مسار الحياة المعيشية بكثير مـن الإيجابية، والزيارة الثانية كانت في ربيع الأول من عام (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م)، وهي متممة للأولى، لم يفصل بينهما سوى ستة أعوام، وكانت الاستعدادات لاستقبال الملك سعود أكبر من سابقتها. انظر: آل خليل، ملامح من زيارتي الملك سعود، ص ص ٥٩١- ٥٩٨.

وخاصة أهالي مدينة خميس مشيط، فقد أقاموا له احتفالاً في شمال الخميس في حي قنبر، ونصبت الخيام، فحضرت جميع قبائل شهران، وغيرها من القبائل المجاورة، وحضر أغلب سكان خميس مشيط في هذه المناسبة، التي قرنت بهبات عظيمة من الملك سعود، لأناس كانت أغلبيتهم في عوز وفقر، ووزعت الأعطيات[١] . كان لهذه الزيارة الأثر الكبير في نفوس الأهالي، وكذلك في رسم مستقبل المدينة، من حيث الاهتمام بإنشاء مطار فيها. ففي عام (١٣٧٨هـ/١٩٥٩م) بدأت مؤسسة محمد بن لادن في أعمال بناء مطار الشرف في خميس مشيط، وفي العام نفسه (١٣٧٨هـ/١٩٥٩م) أدخلت طائرات (الكونفير)- إلى جانب طائرات (الداكوتا)- في الخدمة في منطقة عسير، وهي تتميز بعدد أوفر من المقاعد، وفي عام (١٣٧٩هـ/١٩٦٠م) كان المطار جاهزا بمدراجه ومبنى سفر الركاب[٢]، وتكررت زيارة الملك سعود لمدينة أبها عام(١٣٧٩هـ/١٩٥٩م)، وقام خلالها بجولة تفقدية لمدينة خميس مشيط[٣] .

كان مطار خميس مشيط في بدايته مهبط ترابي، وليست به منشآت[٤]، ومن وجهة نظر الباحثة، فإن الأحداث التي تعرضت لها حدود المنطقة الجنوبية ــ وخاصة خميس مشيط ــ من قصف بالطائرات المصرية خلال عام (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) ؛ هي التي أدت إلى السرعة في تطوير مطار خميس مشيط، ومن ثم إنشاء قاعدة الملك خالد الجوية؛ من أجل الدفاع عن حدود المنطقة الجنوبية، وحدود المملكة بصفة عامة[٥] . ففي(٢٧-٤- ١٣٨٢هـ/٢٧-٩-١٩٦٢م) بدأ الصراع اليمني على السلطة،وقامت ثورة عبد الله السلال[٦]؛ للإطاحة بالنظام الإمامي بزعامة الإمام محمد البدر حميد الدين[٧]، والذي هرب إلى المملكة العربية السعودية، بعد نجاح الثورة بإعلان الجمهورية في اليمن[٨]، والسؤال المطروح هنا هو: لماذا تحول الصراع في اليمن بين الجمهوريين والملكيين إلى صراع مصري سعودي؟

---

(١) ١. مائة ريال لكل نائب قبيلةٍ أو قرية.٢. من سبعين إلى ثمانين ريالاً للأعيان وكبار القبائل.٣. ثلاثون ريالاً للأفراد.٤. عشرون ريالاً للمرأة، وخمسة وعشرون ريالاً للمرأة وطفلها. إضافة إلى كسوة قماش لكل شخص بدون استثناء. انظر: جفشر، مذكرات تاريخية، ص ٨.

(٢) الحمادي، صالح، جريدة الجزيرة، (٢١ذو القعدة ١٤١٠هـ/يونيو١٩٩٠م)،العدد (٦٤٦٨)، ص ١٥.

(٣) صحيفة أم القرى، السنة ٣٦، (٢٩ ربيع الأول ١٣٧٩/ ٢ أكتوبر١٩٥٩م) ، العدد (١٧٨٧)، ص ٤.

(٤) الحمادي، صالح، جريدة الجزيرة، (٢١ذو القعدة ١٤١٠هـ/يونيو١٩٩٠م،العدد (٦٤٦٨)، ص ١٥.

(٥) أوراق حصلت عليها الباحثة من السجل التاريخي بقاعدة الملك خالد الجوية، بمدينة خميس مشيط، ص١٠.

(٦) هو عبد الله يحيي السلال، ولد في صنعاء عام(١٣٣٥هـ/١٩١٧م) ، وهو أول رئيس للجمهورية العربية اليمنية في الفترة (١٣٨٢/١٣٨٧هـ- ١٩٦٢/١٩٦٧م). انظر:الغليسي، سعيد حميد، ثورة سبتمبر اليمنية قادتها وصراعاتها الداخلية والخارجية (١٩٦٢-١٩٧٠م)، من منشورات مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض، ص١١٧.

(٧) الإمام محمد البدر بن أحمد بن يحيى حميد الدين: هو آخر حكام المملكة المتوكلية اليمنية، أطيح به بتدبير المخابرات المصرية أيام جمال عبدالناصر، وقد توفي في لندن عام(١٤١٧هـ/١٩٩٦م).انظر:الغليسي، ثورة سبتمبر اليمنية، ص ١١٧.

(٨) الغليسي، ثورة سبتمبر اليمنية، ص ١١٧.

عندمـا قررت مصر دخول اليمن، لم يكـن هدفها الأول والوحيد، هو مساعدة الثورة اليمنيـة في تحقيق أهدافها، بل كان جمـال عبد الناصر يبحث عن سبل، يعوض بها هيبته المفقـودة في العـالم العربي، حيث أخذ علـى عاتقه محاولة إسقاط جميـع الأنظمة الملكية العربية، التي كان يعدها أنظمة رجعية، تقف في وجه الوحدة العربية، خاصة بعد أن أعلنت سوريا انفصالها عن الجمهورية العربية المتحدة في(٢٨-٩-١٣٨١هـ/١٩٦١م)، فوفرت له شمـال اليمن عام(١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) فرصة لذلك، وكان هدفه النهائي ليس فقط اليمن، لكن كامل شبه الجزيرة العربية، واليمن فقط هي موطئ القدم الأول له[١].

كانت المملكة العربية السعودية تراقب عن كثب التوجه المصري نحو التدخل في الحكومة الجمهوريـة الجديدة في شمـال اليمن، وكان الملك سعود، ملك المملكـة العربية السعودية حينها- وبسبب المرض- يزور أوروبا لفترات طويلة أثناء العام (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م)، وكان الأمير فيصل بن عبد العزيز ولي العهد في ذلك الوقت، يحضر الاجتماع السنوي للجمعية العامـة بالأمم المتحدة في نيويورك عام (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م)، وعندما سُئل عن الانقلاب اليمنـي أجاب: «بأنه شأن داخلي يمني، والمملكـة العربية السعودية ليس لديها أي شيء تقولـه حيـال ذلك»، غير أن الوضـع بالمملكة العربية السعودية قد تغـير؛ نتيجة الهجوم الجوي المصري في (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) على المدن الحدودية السعودية[٢].

في (١٤-١-١٣٨٣هـ/٧-٦-١٩٦٣م) تعرضـت مدينة خميـس مشيط إلى قصف مـن الطائرات المصرية، أولها صباح يوم الجمعـة، فقد أغارت طائرتان مصريتان من نـوع ميج (Mig)[٣] وثالثة من نوع إليوشن (Ilyushin)[٤]، وأحدثت بعض الخسائر في الأرواح والممتلـكات، والثانية في صباح اليوم الثاني يوم السبت (١٥-١-١٣٨٣هـ/٨-٦-١٩٦٣م)، فقد أغارت أربع طائرات، اثنتان منها من نوع ميج (Mig)، واثنتان من نوع إليوشن (Ilyushin)[٥]، كما أصابت الطائرات المصرية نجران، وجيزان، وأبها، وأدت إلى مقتل ستة وثلاثين مريضا داخل مستشفى أبها[٦].

---

(١) الغليسي، ثورة سبتمبر، ص ١١٩؛ العجلاني، تاريخ مملكة في سيرة زعيم، ص ٣٨٦.

(٢) العجلاني، تاريخ مملكة في سيرة زعيم، ص ٣٨٨.

(٣) طائـرة مقاتلـة نهارية من إنتاج روسيـا. انظر: البشتاوي، حمـزة، ترجمة: سامح أبو الهـدى، الموسوعة الشاملة للطائرات العسكرية والمدنية، بيروت، دار الكتاب الحديث، (١٩٩٩م)، ص ١١٨.

(٤) هـي شركـة روسية لتصميم وتصنيع الطائرات، تم تأسيسها من قبل سيرجـي إليوشن. انظر: البشتاوي، الموسوعة الشاملة للطائرات العسكرية والمدنية، ص ٢٥١.

(٥) صحيفة أم القرى، السنة(١٩٧٤)،(٢٢ محرم ١٣٨٣هـ/١٤يونيو١٩٦٣م)، العدد (٤٠)،ص١؛
Badeeb, Saeed, The Saudi Egyptian conflict over North yemen, 1962 – 1970, Westview Pr, Edition November 1986, P,51.

(6) Badeeb, The Saudi Egyptian conflict, P,51.

علـى إثر ذلك، وانطلاقا من الإستراتيجيـة العسكرية السعودية بالدفاع عن جميع حدود المملكة، فقد تم تجهيز مطار خميس مشيط؛ ليكون قادرا على استقبال الطائرات المقاتلـة النفاثـة، من أجل مواجهـة التحديات والأخطـار الجسيمة التي قـد تواجهها، بالإضافة إلى تسهيل أمور المسافرين من وإلى أبها[١].

وفي يـوم الإثنين(١٤-٨-١٣٨٣هـ/ ٣١-١٢-١٩٦٣م) افتتح وزير الدفاع والطيران – حينـذاك – الأمير سلطان بـن عبد العزيز مطار خميس مشيـط العسكري، الذي تم تجهيزه؛ ليصبح معدا لاستقبال مختلف أنواع الطائرات[٢]، وألقى الأمير سلطان خطابا في حفـل الافتتاح الذي أقامه أهالي خميس مشيط ابتهاجا بهذه المناسبة، فقال: «إنه لا يمـن بزيارته لهذه المقاطعة، بل يعتبرها واجبـا، وأن الحكومة ساهرة على مصالحهم، وتعمل ليل نهار من أجل خير الوطن، مؤثرة العمل قبل القول»[٣]. وفي شهر شعبان من عام (١٣٨٥هـ/ نوفمبر١٩٦٥م)، إبان عهد الملك فيصل، الذي بدأ عهده بوضع خطة لسلاح الطيران الجوي، شملت أسلحة، وأجهزة متطورة[٤]، فقد وقعت المملكة العربية السعودية عقدا مع الجانب الأمريكي والبريطـاني، سمي بمشروع (السجادة السحرية)، يحصل فيـه سلاح الطيران السعودي على أحدث الطائـرات المقاتلة آنذاك، والتي تكونت من: طائرة (Lightning) لايتنيـج[٥] (٥٣) ذات مقعد واحد، وست طائرات (Lightning) لايتنيج ــ ٥٥ ذات مقعدين، وخمسة وعشرين طائرة تدريب من نوع (باك ١٦٧)؛ وبهذا فقـد بدأت طائرات (Lightning) لايتنيج عملها من مطار خميس مشيط، اعتبارا من عام(١٣٨٥هــ/١٩٦٥م). وفي شهر جمادى الأولى (١٣٨٥هـ/ سبتمبر١٩٦٥م) وصلـت إلى المملكـة أولى طائـرات النقل مـن نوع سي ــ ١٣٠ (C-130)[٦] لمساندة نقل القوات، خاصة إلى جنوب المملكة، ولتحل محل طائرات سي ــ ١٢٣ (C–123)[٧].

---

(١) أوراق حصلت عليها الباحثة من السجل التاريخي بقاعدة الملك خالد الجوية، بمدينة خميس مشيط، ص١٠.

(٢) صحيفة أم القرى، السنة ٤١، (٢٥شعبان١٣٨٣هـ/يناير١٩٦٤م) ، العدد (٢٠٠٤)، ص ٤.

(٣) صحيفة أم القرى، السنة ٤١، (٢٥شعبان١٣٨٣هـ/يناير١٩٦٤م) ، العدد (٢٠٠٤)، ص ٤.

(٤) المالك، القوات المسلحة، ص ٢٨١.

(٥) هـي طائرة اعتراضيـة أنتجت في المملكة المتحدة، مـن صناعة شركة إنجلش إلكتريـك، وكانت تستخدم بشكل أساسي من قبل سلاح الجو الملكي، وكان أول طيران لها في عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٤م، وانتهت خدمتها في(١٩٨٨م) ، حيث صنع منها (٣٣٧)طائرة. انظر: البشتاوي، الموسوعة الشاملة، ص ٩٩.

(٦) طائـرة للنقـل التكتيكـي والاستراتيجـي، وللقيـام ببعض المهمـات الأخرى، مـن إنتاج الولايـات المتحدة الأمريكيـة، سرعتهـا القصوى (٥٩٢) كلم في الساعة، وتعد من أضخم طائـرات النقل العاملة في منطقة الشرق الأوسط، حيث تتمتع بمرونة في طرق استخدامها. انظر: البشتاوي، الموسوعة الشاملة، ص ١٦٣.

(٧) أوراق حصلت عليها الباحثة من السجل التاريخي بقاعدة الملك خالد الجوية بمدينة خميس مشيط ، ص١٠.

من هنا كانت بداية نشأة قاعدة الملك خالد الجوية[١] من هذا العام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، وكانـت مفرزة[٢] لسلاح الطيران السعودي (حاليـاً القوات الجوية الملكية السعودية)[٣] ملحقة بمطار خميس مشيط لخدمة طائرات النقل العسكري وقتها من طراز سي-١٣٠ (C - 130)[٤]. وفي (٢٥-٤-١٣٨٨هـ/٢٢-٧-١٩٦٨م)، تم اعتمـاد قاعدة الملك خالد الجويـة كقاعدة جوية، تحت مسمى قاعدة خميسـ مشيط الجوية[٥]، وقت افتتاحها من قبل وزير الدفاع والطيران الأمير سلطان بن عبد العزيز[٦].

كانـت بدايـة مهـام قاعـدة خميس مشيـط الجويـة عـام (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)، حيـث شاركـت قواتهـا القـوات المسلحـة[٧]، في تحريـر الوديعـة[٨] من غزو عـدن، ففي (١٧-٩-١٣٨٩هـ/٢٧-١١-١٩٦٩م) تم تكليـف المنطقة الجنوبية بهـذه المهمة، بأمر من وزيـر الدفاع والطيران الأمير سلطان بن عبـد العزيز، على إثر دخول قوات يمنية جنوبية مركز الوديعة، فأصدر الملك فيصل حينها أمره بطرد المعتدين، وقد نجحت بهذه المهمة، وتم

(١) أول قائـد لقاعـدة الملك خالـد الجوية هو العقيد الطيار ركـن (سامي أبو السعود)، كانـت قيادته للقاعدة في الفـترة مـن (٣٠-٦-١٣٨٦هـ إلى ١-٧-١٣٨٩هـ/١٩٦٩م). انظـر: أوراق حصلت عليها الباحثة من السجل التاريخـي بقاعـدة الملك خالد الجويـة بمدينة خميس مشيط، ص١٠؛ وقد خلفه في القيـادة العقيد عبد الله رحيمي. صحيفة أم القرى، السنة ٤٩، (٤شعبان١٣٩١هـ/١٩٧١م،٢٤سبتمبر١٩٧١م)، العدد (٢٣٩٠)، ص٦.

(٢) جمعهـا: مَفَـارِزُ: وهـي (مَفْرَزَةُ الجُنْـد): فِرْقَةٌ، أو مَجْمُوعَـةٌ. انظر: أبو العزم، عبد الغنـي، معجم الغني الزاهر، ب.ن، (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، ص ٤٠٥.

(٣) القـوات الجويـة: كانت قطع صغيرة يطلـق عليها اسم: (سلاح الطيران السعـودي)، ويتكون من عدد من الطائـرات والمرافق المحدودة، إلا إنها في منتصف الثمانينيات الهجرية، وتحت إلحاح الضرورة في الدفاع عن المملكة العربية السعودية ذات المساحات الشاسعة، وإدراكا لما للطيران من أهمية ودور فعال في الدفاع والتصـدي؛ فقد شملت خطة تطويرها بناء العديد من القواعد بوسائل الإنذار المبكر والدقيق، إضافة إلى الطائرات الحديثة، ووسائل الدفاع الجوي. انظر: وزارة الدفاع والطيران والمفتشية العامة، قيادة المنطقة الجنوبية، الشؤون العامة، الأرشيف المضيء لقواتنا المسلحة بين الأمس واليوم، ص ٤.

(٤) تقرير مرسل من قبل الأستاذ محمد بن سعيد الشهراني، المستشار الفني بقاعدة الملك خالد الجوية، يوم الخميس(٢٦-٤-١٤٣٥هـ/٢٧-٢٠١٤م).

(٥) تم تغيير مسمى القاعدة من قاعدة خميس مشيط الجوية، إلى قاعدة الملك خالد الجوية بخميس مشيط، بأمـر صاحـب السمو الملكي الأمـير سلطان بن عبد العزيز وزيـر الدفاع والطيران والمفتش العام، في ٩-٨-١٣٩٩هـ/١٩٧٩م). انظر: تقرير مرسل من قبل الأستاذ محمد بـن سعيد الشهراني، المستشار الفني بقاعدة الملك خالد الجوية، يوم الخميس(٢٦-٤-١٤٣٥هـ/٢٧-٢-٢٠١٤م).

(٦) تقرير مرسل من قبل الأستاذ محمد بن سعيد الشهراني، المستشار الفني بقاعدة الملك خالد الجوية، يوم الخميس (٢٦-٤-١٤٣٥هـ/٢٧-٢-٢٠١٤م).

(٧) القـوات المسلحـة: تنقسـم القوات المسلحـة إلى أربع قوات رئيسـة، تعمل هذه القوات في إطـار تنسيق واحد، ولتحقيـق غرض واحـد، وهو الدفاع عن الوطن، وهـذه الأقسام هي: القوات البرية، القـوات الجوية، القوات البحرية، الدفاع الجوي. وللمزيد انظر: وزارة الدفاع والطيران والمفتشية العامة، الأرشيف المضيء، ص ١٠.

(٨) الوديعـة: تعد البوابة الجنوبية الجديدة للسعودية، بالنسبة للقادمين عبر الجمهورية اليمنية، وهي تقع في الطرف الغربي الجنوبي من صحراء الربع الخالي. المالك، القوات المسلحة، ص ٣٣٩.

استرجاع مركز الوديعة، ومطاردة المعتدين خارج الحدود[١]. وفي عام(١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) أدخلت طائرة حديثة نفاثة من نوع دي سي - ٩ (DC-9)[٢]، وحمولتها في حدود مئة راكب، فكان لها أثر في زيادة عدد المسافرين، حيث تم عمل أول إحصاء لحركة المغادرين في عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، وكان العدد خمسة آلاف مسافر، وذلك بعد إدخال طائرات دي سي - ٩ (DC-9) في منطقة عسير[٣].

يتضح للباحثة أن كل هذه الأحداث الجسام، ساعدت على رسم مستقبل المدينة[٤]، كما أنه من الطبيعي أن يكون لهذه الأحداث انعكاسات قوية في مجال تطوير المنشآت الجوية العسكرية بمدينة خميس مشيط، التي استدعت تطويرا كبيرا للوسائط والتجهيزات اللازمة لهذه المنشآت، حتى تكون جاهزة للدفاع عن حدود المنطقة الجنوبية بصفة خاصة، وحدود المملكة بصفة عامة.

(*) أهم مشاريع التطوير التي تمت من قبل المؤسسات التابعة لوزارة الدفاع والطيران، لتطوير المنشآت الجوية العسكرية في مدينة خميس مشيط:

١ـ مشاريع مصلحة الطيران المدني[٥]:

أ ـ تم تكليف شركة الوادي بتاريخ (٢٧-٣-١٣٨٨هـ/٢٤-٦-١٩٦٨م) بإتمام عملية سور مطار خميس مشيط، والذي تبقى من مساحته (٢٩٧٦م ط)، بمبلغ وقدره (١٦٥،٤٩٥) ريال[٦]، وقد بدأ بناء السور بقيمة تبلغ (٥٤٩،٠٠٠) ريال، وبمساحة تبلغ (١٤،٠٠٠م ط)[٧].

ب ـ تم توقيع عقد مشروع تطوير مطار خميس مشيط بتاريخ (٣-١-١٣٩١هـ/١-٣-١٩٧١م)، ويتضمن توسعة المطار، وإنشاء مدرج جديد بما يلزمه من جميع

---

(١) المالك، القوات المسلحة، ص ص ٣٣٩ — ٣٤١.

(٢) هي طائرة أمريكية، ونوعها طائرة ركاب ونقل، من صناعة شركة دوغلاس للطائرات. انظر: البشتاوي، الموسوعة الشاملة، ص ١٦٣.

(٣) الحمادي، صالح، جريدة الجزيرة، (٢١ذو القعدة ١٤١٠هـ/يونيو١٩٩٠م)، العدد (٦٤٦٨)، ص ١٥.

(٤) انظر: ملحق رقم (٣)، خريطة توضح موقع قاعدة الملك خالد الجوية بخميس مشيط، ضمن القواعد الجوية في المملكة العربية السعودية.

(٥) تم تعديل مسمى مصلحة الطيران المدني إلى الهيئة العامة للطيران المدني عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م). انظر: وزارة الدفاع والطيران والمفتشية العامة، إدارة التخطيط والميزانية، وحدة البحوث والإحصاء، القوات العربية السعودية المسلحة، التقرير العشري، ص٩.

(٦) وثيقة رقم (٣٤١)، بتاريخ (٢٧-٣-١٣٨٨هـ/٢٤-٦-١٩٦٨م)، بخصوص إتمام عملية سور مطار خميس مشيط، محفوظة لدى معهد الإدارة العامة بالرياض.

(٧) وزارة الدفاع والطيران، التقرير العشري، ص ٦٦.

المعدات الالكترونية، وإنشـاء مخابئ بالإسمنت المسلح، ومواقع انتشار للطائرات؛ لتكـون جاهـزة لتقويـة ومسانـدة الدفاع الجـوي عـن المنطقـة الجنوبية،وبلغت تكاليـف التوسعـة التقديريـة (١١٠،٠٠٠،٠٠٠) ريـال سعودي، وتم طـرح عملية المطـار وتوابعـه بمناقصة محـدودة، بـين أربع شـركات عالمية مختصـة بالقيام بهـذه العملية، وهي شـركات، ذات مهـارة وخبرة فنية في مجال عمـل المطارات، وللدخول في هذه المناقصة، وُجهت برقيـة بتاريخ (١٩-٦-١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) إلى كل مـن: الشركة الإنجليزية بلفور بيتـي (Balfour Beatty)، والشركة الأمريكية وورلـد وايد ويلكوكـس (Worldwide Wilcox)، والشركة النمساوية بورينج وين (Buring Wayne)، والشركة الإيطالية أميريسا يرينج (Omereesa Wareing)، وقدمت الشـركات عطاءاتها ماعدا شركة واحدة، وهي شركـة أميريسا الإيطالية، واتضـح أن أحسـن العطـاءات من الناحيـة الفنيـة، وأرخصها سعـرا، هو عطاء شركـة بوريـنـج ويـن (Buring Wayne) النمساوية، حيث إن قيمـة عطائهم هو مبلـغ قـدره (١٣٠،٠٢٥،٨٤٢،٧٠) ريـال سعودي لكامـل قيمة العمليـة، ولأن هذا المشـروع مـن المشاريع الحيوية المهمة بالنسبة للدفاع عـن أرض الوطن؛ فقد تمت الموافقـة على الزيادة التـي طرأت على قيمة تكاليف المشـروع التقديرية، والبالغة (٢٠،٠٢٥،٨٤٢،٧٠) عشريـن مليـون وخمسـة وعشريـن ألف وثمـان مئة واثنين وأربعين ريال وسبعين هللة، ليصبح كامل قيمة المشروع (١٣٠،٠٢٥،٨٤٢،٧٠) مئة وثلاثـين مليونـا، وخمسة وعشرين ألفا، وثمان مئة واثنـين وأربعين ريالا، وسبعون هللة، وبذلك تمت الموافقة على إرساء العملية على شركة بورينج وين النمساوية[١].

ج ـ تم توقيـع عقد مشروع مبـاني المطار بتاريـخ (٢٤-١٠-١٣٩٢هـ/١-١٢-١٩٧٢م) بقيمة تبلغ(٨،٦٢٢،٧١٦) ريالا سعوديا[٢].

د ـ تم توقيـع عقد مشـروع إنشاء مبنـى مطار خميـس مشيط، بالتعاقد مـع مؤسسة العربي للتجـارة والمقاولات العامـة، بتاريخ (٢١-٤-١٣٩٣هـ/٢٤-٥-١٩٧٣م)، بقيمة إجمالية تبلغ (٧،٩٩٧،٦٢٢) ريالا سعوديا، ومدة العقد (٦٠٩) أيام[٣].

هـ ـ يوجد داخل منشآت المطارات أماكن مخصصة (للبوفيهات)، ولخدمات الطيران، تقـوم المديرية العامة للطـيران المدني بتأجيرها، وخلال عـام (١٣٩٢/١٣٩٣هـ-

(١) وثيقة رقم (٩)، بتاريخ (٣-١-١٣٩١هـ/١-٣-١٩٧١م)، للموافقة على الارتباط بالزيادة التي طرأت على قيمة التكاليف التقديرية لمشروع توسعة مطار خميس مشيط وتوابعه، محفوظة لدى المركز الوطني للوثائق والمحفوظات بالرياض.

(٢) وزارة الدفاع والطيران، التقرير العشري، ص ٦٨.

(٣) وزارة الدفاع والطيران، التقرير، ص ٦٣.

١٩٧٢/١٩٧٣م) قامت المديرية العامة للطيران المدني بتأجير بوفيه بمطار خميس مشيط، استأجره محمود أحمد بهيان بقيمة ألف وست مئة ريال[١].

٢ـ مشاريع الخطوط الجوية العربية السعودية[٢]:

أ ـ تم افتتاح وعمل ديكور مكتب للتذاكر بمطار خميس مشيط في عام (١٣٩١هـ/١٩٧١م)، بمساحة تبلغ (١٣٨م٢) مئة وثمانية وثلاثين مترا مربعا، وبقيمة تبلغ (٤٨١٠٠) ريال سعودي[٣].

ب ـ ترميم مبنى المطار بمساحة تبلغ (٢٣٥م٢) مائتين وخمسة وثلاثين مترا مربعا، وبقيمة تبلغ (٣١٧٣٠) ريالا سعوديا[٤].

٣ـ مشاريع مصلحة الأرصاد الجوية[٥]:

أ ـ تم إنشاء محطة للأرصاد الجوية في مدينة خميس مشيط في (١٥-٥-١٣٨٦هـ/١-٩-١٩٦٦م)[٦].

ب ـ اعتماد مشروع إنشاء محطات بث الخرائط المصورة لاسلكيا، في كل من جدة، والرياض، وخميس مشيط، بتكلفة قدرها (٥١١٢٣٦٢/٩٢) ريالا سعوديا[٧].

ج ـ اعتماد المشروع الذي يقضي بإنشاء (راديو سوند) لرصد الظواهر الجوية العليا، وقيمة المشروع (٥٤ ، ٤٢٨٩٧٧٦) ريالا سعوديا[٨].

---

(١) وزارة الدفاع والطيران، التقرير، ص ٧٢.

(٢) في عام (١٣٦٤هـ/١٩٤٥م) أسست الخطوط الجوية العربية السعودية للقيام بأعمال النقل التجاري، وتسلمت أول طائرة دي سي -٣ (داكوتا)، وكانت أولى عمليات النقل التجاري، هي تسيير رحلات جوية بهذه الطائرة بين جدة والرياض والظهران، ثم ازداد عدد الطائرات، ففي عام (١٣٧١هـ/١٩٥٢م) تم شراء عشر طائرات لتعزيز أسطول الخطوط الجوية السعودية. انظر: وزارة الدفاع والطيران، التقرير العشري، ص ٣.

(٣) وزارة الدفاع والطيران، التقرير العشري، ص ٤٤.

(٤) وزارة الدفاع والطيران، التقرير، ص ٤٤.

(٥) كانت المديرية العامة للأرصاد الجوية جزءا من تشكيلات الخطوط الجوية العربية السعودية، وبعد اعتماد ميزانية خاصة لمصلحة الطيران المدني، أصبحت أجهزة الأرصاد الجوية ضمن تشكيلات مصلحة الطيران المدني، وابتداء من السنة المالية (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م) جرى اعتماد ميزانية مستقلة للأرصاد الجوية، وأصبحت فرعاً من فروع وزارة الدفاع والطيران، ومقرها في مدينة جدة، وتستأجر مبان لأجهزتها الإدارية، ولها فروع في مناطق عديدة. انظر: وزارة الدفاع والطيران، التقرير العشري، ص ٣.

(٦) وزارة الدفاع والطيران، التقرير العشري، ص ١٨.

(٧) وزارة الدفاع والطيران، التقرير، ص ٢٣.

(٨) وزارة الدفاع والطيران، التقرير، ص ٢٤.

كانـت هنـاك نتائـج إيجابية لكل ذلك، فقد حققـت وزارة الدفاع والطيران نجاحا ملموسا في مدينة خميس مشيط، وذلك بمواكبة التطور الحضاري والاجتماعي، وقامت بتطويـر وزيـادة منشآت مطـار خميس مشيط، بعـد أن كان مهبط ترابـي، ليس به من المنشآت سوى اثنين من الصناديق الخشبية، (كشك) واحد يستخدم لوكيل السعودية[١]، والثـاني يستخدم للحراسات[٢]. وفي الجدول رقم (٩) نلحظ ازديادا كبيرا، وعاما بعد عـام، في أعـداد منشآت المطار، ففي الثمانينيات الهجرية مـن القرن الماضي كان عدد المشاريـع التـي تمت مشروعين فقـط، أمـا في التسعينيات فقد تم إنجاز عـدة مشاريع لتطويـر منشآت المطار، وقد رافق هذه الزيادة في المشاريع زيادة في مصاريف وتكاليف الميزانية[٣].

٤ـ النقل الجوي:

قبل إنشاء مطار أبها، كانت منطقة عسير تعتمد على خدمات النقل الجوي لقاعدة سلاح الجو الملكي السعودي "المطار العسكري" في خميس مشيط، ففي عام(١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) تم افتتـاح مكتـب الحجـز والمبيعـات في مدينـة خميس مشيـط؛ لتقديم خدمـات الحجز والمبيعات[٤].ومن خلال الجدول رقم (١٠) نلحظ ازديادا في عدد الرحلات الجوية، وعدد الركاب، وكمية الشحن الجوي، وعدد القوى العاملة في المطار [٥].

ج- المدارس والمراكز العسكرية في مدينة خميس مشيط:

١- مركز ومدرسة سلاح المشاة[٦]:

أحـد الصـروح التعليميـة المهمـة للقـوات المسلحة كلها، يتـدرب فيـه العسكريون

(١) كان وكيـل السعودية آنذاك شخص يدعى عبـد الله بن مسفر، وكانت الطائرات تطلب حسب الحاجة؛ إذ لا توجـد جدولة رسمية، فـإذا توافر عدد من المسافرين، تم طلب حضور الطائرة من قبل الوكيل، بواسطة جهاز(المورس) التجاري، التابع لوزارة البرق والبريد والهاتف آنذاك، ثم إذا تعينت الرحلة، يقوم الوكيل بتجميـع المسافريـن في أحد اللواري (سيـارة نقل) إلى المطار، حيـث تتم إجراءات السفـر هناك. انظر: الحمادي، صالح، جريدة الجزيرة ،(٢١ذو القعدة١٤١٠هـ/يونيو١٩٩٠م)، العدد(٦٤٦٨)، ص ١٥.

(٢) الحمادي، صالح، جريدة الجزيرة، (٢١ذو القعدة ١٤١٠هـ/يونيو١٩٩٠م)،العدد (٦٤٦٨)، ص ١٥.

(٣) انظـر: ملحـق رقم (٩) جدول يوضح ما طرأ على منشآت مطار خميس مشيط من تطور ونمو بين الأعوام (١٣٨٥هـ- ١٣٨٨/ ١٩٦٥- ١٩٦٨م/١٣٩٠- ١٣٩٥هـ/١٩٧٠-١٩٧٥م).

(٤) إمارة منطقة عسير، عسير في عشر سنوات ، ص ٤٠.

(٥) انظـر: ملحـق رقـم (١٠) جـدول يوضح حركة الـركاب في مطـار الخميس قبـل افتتاح مطـار أبها عام (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) بين الأعوام (١٣٩٠هـ ـ ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٠ـ١٩٧٥م).

(٦) سـلاح المشاة: أقـدم سلاح في القوات البريـة. تأسـس في عام(١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م). انظـر: وزارة الدفاع والطيران والمفتشية العامة، الأرشيف المضيء، ص ١٠.

ضباطـاً وأفـراداً؛ ليعودوا بعد تخرجهم إلى وحداتهم مزوديـن بما استجد من تدريب، وتعليـم، وثقافة عسكرية، وقد ساهم هذا الصرح الكبير مساهمة فعالة في رفع مستوى التدريـب في مختلـف وحدات القـوات البرية[١]. ويعـد عام (١٣٦٤هـ/١٩٤٥م) بداية التدريـب في الجيشـ السعـودي، حيث بُدئ بتدريـب العسكريين التابعـين للجيش تحت مسمـى فرق التدريـب الأولى بالطائـف، وأنشئـت في أواخر عـام (١٣٦٧هـ/١٩٤٨م) مدرسـة سميت بـ: (مدرسـة ضباط الصف)؛ لازدياد عـدد المتدربين العسكريين، وفي (١-٦-١٣٧٢هـ/١٩٥٢م) ضُم إليها جناح للضباط، وغير مسماها إلى مدرسة دورات الضبـاط وضبـاط الصف، وعندمـا زادت الأعباء على المدرسة- نتيجـة لزيادة أعداد الدارسين، أصبحت الحاجة ماسة للتوسع؛ فتم في عام (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م) إنشاء مبان جديـدة[٢]، وتغـير مسماها إلى مدرسة المشاة[٣]، وفي عـام (١٣٩١هـ/١٩٧١م) تم نقل هـذه المدرسة إلى مدينة خميس مشيط قرب مدينة الملـك فيصل العسكرية، وأصبحت داخل نطاق المدينة فيما بعد، وتعد من الصروح التعليمية المهمة التي أسهمت في تدريب العسكريين ضباطًا وأفرادًا، في مختلف وحدات القوات البرية[٤].

٢- مركز ومدرسة سلاح المدفعية:

يرجع إنشاء هذه المدرسة إلى عام (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م) في مدينة الطائف، وكانت تضم جناحين رئيسين، هما: جناح مدفعية الميدان، وجناح المدفعية المضادة للطائرات، وعقـدت أول دورة في مدرسة المدفعية عـام (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م) بجناح مدفعية الميدان، وثاني دورة عقدت بجناح المدفعية المضادة للطائرات في بداية عام (١٣٧٧هـ/١٩٥٧م)، وفي نفـس العام تشكلت أفواج المدفعية الخفيفة، وأدخلـت الأسلحة الأمريكية المتوسطة والثقيلـة، والمجهـزة بمعدات مراقبة النـيران، وفي عام (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) تم تحويل جنـاح المدفعية المضادة للطائرات إلى مدرسة الدفـاع الجوي، ونقلها إلى جدة، بعد أن تقـرر تشكيل سـلاح الدفاع الجوي[٥]. وفي (٢٢-٢-١٣٩٢هـ/٢٧-٤-١٩٧٢م) تم نقل

---

(١) المالك، القوات المسلحة، ص ١٩٥.

(٢) المالك، القوات، ص ص ١٩٥، ١٩٦.

(٣) في عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) ضـم مركز تدريب المستجديـن- الذي كان إنشاؤه بتاريـخ (١/١٢/١٣٨٢هـ-٤/٧/١٩٦٢م) مرتبطـا بقيادة مدرسة المشاة ـ وتم تحويـل مدرسة الشرطة العسكرية السابقة إلى جناح للشرطـة العسكريـة في مدرسة المشاة؛ وتحول مسمى مدرسة المشـاة إلى المسمى الحالي: (مركز ومدرسة سلاح المشاة). انظر: المالك، القوات المسلحة، ص ١٩٦.

(٤) وزارة الدفاع والطيران والمفتشية العامة، القوات البرية الملكية السعودية نشأتها وتطورها، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) ص٣.

(٥) المالك، القوات المسلحة، ص ص ٢٠٩، ٢١٠.

موقع المدرسة من مدينة الطائف، إلى مدينة خميس مشيط[١] في المنطقة الجنوبية[٢].

٣ - مركز تدريب قيادة العربات:

تعد مراكز قيادة العربات أحد صروح القوات البرية التعليمية، التي تقوم باستقبال المواطنين الراغبين في الالتحاق بصفوف وحدات القوات البرية كسائقين، وذلك لقيادة العربات العسكرية بمختلف أنواعها، حيث يتلقون دورة تدريب الفرد الأساسي؛ لتحويلهم إلى عسكريين ثم يبدؤون بدورة تعليمية في قيادة العربات العسكرية، وتمييز الاختلاف بينها وبين العربات المدنية، وبعد إتمام المتقدم لهذه الدورة وتخرجه، يعين في الوظيفة الملائمة له، أما الأفراد العسكريون فيعطون دورة تعليمية في قيادة العربات العسكرية، وعند تخرجهم يعودون لوحداتهم لممارسة عملهم الجديد كسائقين[٣]. وهناك عدة مراكز تقوم بهذه المهمة ـ مهمة تدريب قيادة العربات ـ منها مركز تدريب قيادة العربات بالمنطقة الجنوبية بخميس مشيط[٤]، ويرجع إنشاؤه إلى عام (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) باسم: مدرسة السواقة، وفي عام (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) أعيد تشكيله باسم: مركز تدريب قيادة العربات[٥].

وتلحظ الباحثة هنا أن تواريخ انتقال هذه المدارس إلى مدينة خميس مشيط، كانت في زمن متقارب في التسعينيات من القرن الهجري الماضي، وفي هذا دلالة واضحة على أن بناء القوة العسكرية في مدينة خميس مشيط، تبلور إداريا في عهد الملك فيصل، بعد إنشاء مدينة الملك فيصل العسكرية،وجميع هذه المدارس قائمة حتى الآن[٦].

د- نشأة قيادة المنطقة الجنوبية وافتتاح (مدينة الملك فيصل العسكرية):

يعد وصول أول قوة واجب إلى مدينة خميس مشيط، ثم قوة أخرى إلى نجران، ثم قوة

---

(١) في عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) تم نقل هذه المدرسة إلى موقعها الجديد قرب مدينة الملك فيصل العسكرية؛ لتوفير المناخ المناسب للتحصيل العلمي، والتدريب على الأسلحة، وأحدث ما توصلت إليه التقنية الحديثة من مساعدات التدريب، والمشبهات، وغيرها. انظر: المالك، القوات المسلحة، ص ٢١١.

(٢) السبيعي، جفال بن جبر، التعليم العسكري والأمني في المملكة العربية السعودية، رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة أم القرى، (١٤٢٦/١٤٢٧هـ-٢٠٠٥/٢٠٠٦م)، ص ٣٦.

(٣) المالك، القوات المسلحة، ص ص ٢٢٤، ٢٢٥.

(٤) من المراكز التي تقوم بمهمة قيادة العربات: مركز تدريب قيادة العربات بقاعدة الخرج، ويرجع إنشاؤه إلى عام (١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م)، ومركز تدريب قيادة العربات بالمنطقة الشمالية الغربية، ويرجع إنشاؤه إلى عام (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م)، ومركز قيادة العربات بالمنطقة الشمالية، وقد أنشئ هذا المركز حديثا في عام (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م). انظر: وزارة الدفاع، القوات البرية، ص ٢١.

(٥) وزارة الدفاع، القوات البرية، ص ٢١.

(٦) زيارة ميدانية قامت بها الباحثة لمدينة الملك فيصل العسكرية بخميس مشيط، يوم الأربعاء(٩-١٠-١٤٣٥هـ/٦-٨-٢٠١٤م).

ثالثة إلى جازان في عام (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) البداية الفعلية لإنشاء قيادة المنطقة الجنوبية، وكان أول من تولى قيادة المنطقة العميد (حمزة بن عبد الله صالح سبكي)[١]. كانت هذه الوحدات العسكرية التي وصلت إلى المنطقة الجنوبية وحدات مشاة، ووحدات مدفعية خفيفة، بعد ذلك أخذ حجم هذه الوحدات يتزايد بشكل تصاعدي، وأضيفت بعض التشكيلات والوحدات الأخرى، ومن هنا دعت الحاجة إلى إنشاء مدينة عسكرية حديثة، تستوعب هذه الوحدات العسكرية التي كانت في تزايد مستمر؛ لتوفير الاستقرار لهم من النواحي المعيشية كالسكن، والصحة، والتعليم، والأمن؛ مما يتيح لهم التفرغ للقيام بواجباتهم[٢].

في ربيع الآخر من عام (١٣٨٨هـ أبريل ١٩٦٨م) قام وزير الدفاع والطيران الأمير سلطان بن عبد العزيز بزيارة مدينة خميس مشيط، وكان برفقته رئيس هيئة أركان حرب الجيش، ورئيس هيئة التخطيط في المملكة[٣]، وكان في استقبالهم أمير عسير عبد الله الماضي[٤]، وقائد المنطقة الجنوبية[٥]، وكبار قادة وضباط القوات المسلحة في الجيش والطيران، ومشايخ وأعيان قبائل الجنوب[٦]، وكان لزيارة وزير الدفاع والطيران الأمير سلطان أكبر الأثر في تطور مدينة خميس مشيط؛ فقد قام بوضع حجر الأساس لمشروع بناء مدينة عسكرية فيها، سميت بمدينة الملك فيصل العسكرية، وذلك في (٢٤- ٤- ١٣٨٨هـ/ ٢١-٧-١٩٦٨م)، وكان من بين ما أعلنه وزير الدفاع أن تكلفة البناء ستبلغ ثلاث مئة مليون ريال، ضمن مساحة قدرها خمسون مليون متر مربع، وسيتم بناء مستشفى ضخم، وورش، ومساكن، وعنابر، ومطاعم في هذه المدينة[٧]، وكل ذلك بهدف

---

(١) وزارة الدفاع، القوات البرية، ص ٨. لم تجد الباحثة ضمن المراجع المتاحة لديها تعريفا لهذه الشخصية، سوى أنه أول من تولى قيادة المنطقة الجنوبية عام (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م).

(٢) اتصال هاتفي أجرته الباحثة مع النقيب المهندس/ ضيف الله جابر الشمراني في مدينة الملك فيصل العسكرية، يوم الأربعاء(٩- ١٠- ١٤٣٥هـ/٦-٨-٢٠١٤م)؛ إدارة مدينة الملك فيصل العسكرية للتشغيل والصيانة بالمنطقة الجنوبية، كتيب المسيرة والبناء في أرض العطاء، جمادى الثاني (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ص ١٠.

(٣) كان رئيس هيئة أركان حرب الجيش الفريق أول (عبد الله المطلق)، وكان رئيس هيئة التخطيط في المملكة -آنذاك- الأستاذ (هشام ناظر). انظر: صحيفة أم القرى، العدد (٢٢٣١)، السنة ٤٥، (١ جمادى الأولى١٣٨٨هـ/٢٦يوليو١٩٦٨م)،ص ص١، ٦.

(٤) تولى عبد الله بن محمد بن ماضي منصب إمارة منطقة عسير بالوكالة في بداية عام (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)، ثم صدر أمر سام بتعيين الأمير فهد بن محمد بن عبد الرحمن أميرا لمنطقة عسير، لكنه لم يباشر عمله، وفي عام (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) تم تعيين إبراهيم بن عبد العزيز بن إبراهيم وكيلا لإمارة عسير. انظر: النعمي، تاريخ عسير، ص ٢٨٦.

(٥) كان قائد المنطقة الجنوبية في تلك الفترة (محمد بن إبراهيم الهنيدي). انظر: صحيفة أم القرى، السنة ٤٥، ١ جمادى الأولى، ١٣٨٨هـ/٢٦يوليو١٩٦٨م) ، العدد (٢٢٣١)، ص ص ١، ٦.

(٦) صحيفة أم القرى، السنة ٤٥، (١جمادى الأولى ١٣٨٨هـ/٢٦يوليو١٩٦٨م)، العدد(٢٢٣١) ، ص ص١، ٦.

(٧) صحيفة أم القرى، السنة ٤٥، (الأول من جمادى الأولى، ١٣٨٨هـ/٢٦يوليو١٩٦٨م)، العدد(٢٢٣١)، ص٦.

تطويـر البنـاء العسكري في المدينـة، والمساهمة الفاعلة في تحقيق الاستقـرار السياسي، والاقتصادي، والأمني في المملكة، وإعداد ضباط مؤهلين للعمل في مختلف الأسلحة.

كان لصباح يوم الأربعاء (٢٤- ٧-١٣٩١ هـ/١٥-٩-١٩٧١م) أهمية قصوى لمدينة خميس مشيط بصفة خاصة وللمنطقة الجنوبية بصفة عامة، حيث افتتح الملك فيصل بن عبد العزيز المدينة العسكرية، التي تعد أول مدينة عسكرية شُيدت في المملكة العربية السعودية[١]، وواكب الافتتاحَ العرضُ العسكري الذي قامت به وحدات رمزية من القوات المسلحة في المنطقة الجنوبية، مع عرض كبير أقامته وزارة الدفاع والطيران[٢]. وتخليدا لمنجـزات الملك فيصـل، تقرر أن تسمى المدينة العسكريـة في خميس مشيط بـ: (مدينة الملـك فيصل العسكرية)، وقد علق أحد الخـبراء الأجانب الذين أشرفوا على بناء هذه المدينة، بأنها تعد فريدة من نوعها في الشرق الأوسط، وبهذا يحق لمدينة خميس مشيط أن تفتخر باحتضانها أول المدن العسكرية التي شيدت في المملكة العربية السعودية[٣].

في نفـس العـام (١٣٩١هـ/١٩٧١م) صـدر أمـر وزيـر الدفـاع والطـيران والمفتش العـام -آنـذاك- الأمـير سلطـان، بإحداث جهـاز فني هندسـي متخصص، تـوكل إليه مهمـة تشغيل وصيانة وتطويـر المدينة العسكرية، وبموجب هذا القـرار الذي صدر بتاريخ (١-٩-١٣٩١هـ/٢١-١٠-١٩٧١م) تم تأسيـس إدارة مدينـة الملـك فيصـل العسكريـة للتشغيـل والصيانـة بالمنطقة الجنوبيـة، ومن حينه أخذت هذه الإدارة علـى عاتقها إدارة وتشغيـل وصيانة كافة المنشآت العسكرية بالمنطقة الجنوبية[٤]، وفي بدايات تشكيل الإدارة كانت تتم الصيانة عن طريق شـركات فنية متخصصة، بعقود صيانة (صيانة تعاقدية)، وذلـك لندرة الكوادر الوطنية - حينذاك - من المهندسين والفنيين المتخصصين في إدارة وتشغيل وصيانة مثل هذه المشاريع تشغيلا ذاتيا، ولتشغيل وصيانة هذه المنشآت العسكرية، على اختلاف مكوناتها، وطبيعة تشغيلها، وصيانتها ذاتيا؛ كان لا بد من توفير أجهزة إدارية وفنية كبيرة من المهندسـين، والفنيين، والإداريين بالإدارة، وتم البدء في حينه باستقطاب الضباط المهندسين والفنيين في جميع المجالات والتخصصات؛ لتقوم الإدارة بدور التشغيل والصيانة، عوضا عن الشركات المستأجرة ذاتيا (الصيانة الذاتية)[٥].

كانـت المهمة الأساسيـة لإدارة مدينة الملك فيصـل العسكرية للتشغيـل والصيانة بالمنطقة الجنوبية، هي تشغيل وصيانة المنشآت العسكرية، من مباني الوحدات العسكرية،

---

(١) وزارة الدفاع، القوات البرية، ص٨.

(٢) جريدة الندوة، السنة ١٤، (١٨ رجب١٣٩١هـ/٨سبتمبر١٩٧١م)،العدد (٣٨٢٥)، ص١.

(٣) جريدة الندوة، السنة ١٤، (١٨ رجب ١٣٩١هـ/٨سبتمبر١٩٧١م)، العدد (٣٨٢٥)، ص١.

(٤) إدارة مدينـة الملـك فيصل العسكرية للتشغيل والصيانة بالمنطقة الجنوبية، كتيب المسيرة والبناء في أرض العطاء، ص١٣.

(٥) إدارة مدينة الملك فيصل العسكرية، كتيب المسيرة والبناء، ص١٤.

والإسكانيات بكل مرافقها العلمية، والتعليمية، والرياضية، والمساجد، والمدارس، والطرق، وكذلك البنية التحتية، والخدمات العامة، وإعداد الدراسات اللازمة لتطوير وتحديد متطلبات تحديث تلك المرافق[١]. تلحظ الباحثة اهتمام حكومتنا الرشيدة بأبنائها العسكريين، والعمل على توفير سبل الراحة والعيش الكريم لهم ولعائلاتهم؛ ليتمكنوا من أداء أعمالهم، وتنفيذ مهامهم، والوفاء بالالتزامات والواجبات المناطة بهم على أكمل وجه، فكانت النظرة القيادية الثاقبة من حكومتنا الرشيدة، لإنشاء مدن عسكرية حديثة في المناطق العسكرية المختلفة ـ حيث حظيت مدينة خميس مشيط بتشييد أول مدينة عسكرية فيها ـ يستقر بها العسكريون وعائلاتهم، وتكون مشتملة على جميع مرافق الحياة المهمة كالنوادي، والأسواق التجارية، والمدارس، وغير ذلك ٠

كما يتضح للباحثة الأهمية الإستراتيجية لموقع مدينة الملك فيصل العسكرية، حيث تقع بجوار جبل ضمك[٢] الذي يشكل حاجزا طبيعيا للمدينة العسكرية من الجهة الغربية، كما توجد المدينة العسكرية في مجال التقاء الطرق المؤدية لمختلف مناطق المملكة؛ مما يسهل عملية الانتقال والمواصلات عبر طرق سريعة ومعبدة، كما يجاور موقع المدينة العسكرية جبل حمومة[٣] التاريخي، وفيه بعض الكتابات والرسوم، التي تعود إلى ما قبل ظهور الإسلام، وتدل على وجود مظاهر الحياة والحضارة في هذه المنطقة من القدم[٤].

وقد وصف الرحالة والمؤرخ عاتق البلادي مدينة خميس مشيط، بعد إنشاء مدينة الملك فيصل العسكرية، حيث قال: «ظلت الخميس قرية تتبع أبها إداريا، حتى فكرت الدولة في اتخاذ منطقة عسكرية في العقد التاسع من هذا القرن، فوقع الاختيار على (خميس مشيط)، فقفزت بسرعة إلى مصاف المدن الرئيسية، وأصبحت الآن تضاهي أبها، مع أنها لا زالت تابعة لها»[٥].

ومن هنا قامت النهضة، وبدأت تنمية مدينة خميس مشيط بشكل ملحوظ عند تأسيس مدينة الملك فيصل العسكرية، وقاعدة الملك خالد الجوية، ويعود الفضل في

---

(١) اتصال هاتفي أجرته الباحثة مع النقيب المهندس/ضيف الله جابر الشمراني، في مدينة الملك فيصل العسكرية، يوم الأربعاء (٩- ١٠- ١٤٣٥هـ/٦-٨-٢٠١٤).

(٢) جبل ضمك: يقع جنوب خميس مشيط، وهو الآن مكان عسكري يطل على المدينة العسكرية بالمدينة، وهو جزء منها. انظر: الزهبان،علي، خميس مشيط أسوارة التاريخ وحفاوة الماضي،جريدة الرياض، (٢٧صفر١٤٢٨هـ/١٧مارس٢٠٠٧)،العدد (١٤١٤٥)، ص ١.

(٣) جبل حمومة : يقع إلى الشرق من جبل ضمك (شرق وادي بيشة)، ويعد في الجزء الشمالي من مدينة أحد رفيدة؛ مما يلي حدودها مع الخميس. انظر: الزهبان، خميس مشيط أسوارة التاريخ وحفاوة الماضي، ص١.

(٤) زيارة ميدانية قامت بها الباحثة لمدينة الملك فيصل العسكرية بخميس مشيط يوم الأربعاء،(٩- ١٠- ١٤٣٥هـ/٦-٨- ٢٠١٤م).

(٥) البلادي، عاتق بن غيث، بين مكة وحضرموت رحلات ومشاهدات، مكة، دار مكة للنشر والتوزيع،(١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ،ص٥٣.

ذلك لله أولا، ثم للقيادة الكريمة للقوات المسلحة السعودية، وعلى رأسها الأمير سلطان بـن عبد العزيـز، ويتضح ذلك من خلال زياراتـه المتكررة للمنطقـة الجنوبية، وتفقده للقوات المسلحة بخميس مشيط، ودعمه الدائم لمشروعات المنطقة، والقوات المسلحة في خميس مشيط بشكل خاص[١].

سادساً: المؤسسات الخدمية في مدينة خميس مشيط (١٣٧٣ـ ١٣٩٥هـ/١٩٥٣ـ ١٩٧٥م):

١. النهضة التعليمية:

جـاءت أول آية من كتـاب الله- عز وجل- المنزلة على سيدنـا محمد- ﷺ- لتؤكد أهميـة العلم، وتسمو بقدره، وتجعل القراءةِ والكتابة أول لبنة في بناء الأفراد، والشعوب، وكيـان الأمم والمجتمعات، قال تعالى(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّـذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ(٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥))[٢].

قـامَ التعليم في عسير بصفة عامة - قبـل العهد السعودي — على الكتاتيب والحلقات العلميـة، وكان الأهـالي يسمّونهـا (المعْلامة)، وفيهـا اقتصرتْ المـادة العلميّة على حفظ القـرآن الكريم، وتعلم بعض مبادئ القَراءة، والكتابة، والفقه؛ والكتاتيب هي المظهرُ الأوّل مـن مظاهر التعليم، حيث يقومُ بالتدريس فيها القـادرون على ذلك من أهالي القرى، ولا يُشترط أنْ يكونَ هؤلاء المعلمون من العلماءٍ المشهود لهم بسعة العلم، ولا تكاد تخلو قرية من معلامة، ومكان التّعليم في منزل الفقيه المعلم، أو في أحد بيوت في القرية[٣].

في بدايـات العهـد السعودي استمرت الحلقـات العلمية والكتاتيـب - في السنوات الأولى من توحيد البلاد ـ وكان من أشهر الكتاتيب التي تم فتحها في أبها: كُتَّاب الشيخ ناصـر بن فرج[٤]، وكتاب الشيخ عبد الرحمن المطوع[٥]، وكان يُدرس في هذين الكُتَّابَيْن

---

(١) في عام ١٣٩٣ هـ/١٩٧٣م قام الأمير سلطان بن عبد العزيز بزيارة تفقدية لوحدات القوات المسلحة، في كل من شرورة والخميس. انظر: صحيفة أم القرى، السنة (٥١)، (٦ذو القعدة ١٣٩٣هـ/٣٠نوفمبر١٩٧٣م)، العدد (٢٥٠٠)، ص٨.

(٢) سورة العلق، آية رقم ١-٥.

(٣) أبوداهش، عبد الله بن محمد، الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية، (١٢٠٠-١٣٥١هـ/١٧٨٥-١٩٣٢م)، من منشورات نادي أبها الأدبي، ص ص ٤١، ٤٢.

(٤) ولـد الشيـخ ناصر بن فـرج وعاش بداية حياتـه في بلدة رجال ألمع مـن تهامة عسير، تعلم على يـد بعض الفقهاء والعلمـاء من أسـرة آل الحفظي ببلده، وعندما أصبح قـادرا على التدريس، فتح مدرسة كتـاب في بلدته، واستمر ذلـك إلى عام (١٣٣١هـ/١٩١٣م)، حيث انتقل إلى مدينة أبها، واستقر بها، وفتح مدرسة كتاب أخرى؛ ليعلم فيها العديد من الطلاب الذين كانوا يفدون إليه من مدينتي أبها، وخميس مشيط، وما حولها، وبقي على ذلك إلى أن تم افتتـاح أول مدرسـة نظامية في أبها عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م)، وقد مارس مهنة التعليم في مدارس خميس مشيط ـ كما سأذكرـ في طيات هذا المبحث، وتوفي عام(١٣٧٥هـ/١٩٥٦م) انظر: ابن جريس، غيثان بن علي، تاريخ التعليم في منطقة عسير(١٣٥٤-١٣٨٦هـ/١٩٣٤-١٩٦٦م)، د.ن،(١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، (الجزء الأول)، ص ٢٤٤.

(٥) ولد الشيخ عبد الرحمن المطوع بن محمد بن مبارك في عام (١٣٠٠هـ/١٨٨٣م)، في قرية اليزيديين البدلة

القرآن، وتجويده، والخط، والإملاء، وقليل من الحساب[١].

منذ استقرار الأمر للملك عبد العزيز في البلاد، أولى التعليم عناية خاصة في وقت مبكر، فحين استقر كيان الدولة عام (١٣٤٤هـ/١٩٢٥م)، أخذ يوجه كل طاقاته إلى الإصلاح الداخلي، على أسس راسخة، وبخطوات سريعة، وحظي مرفق التعليم بالجانب الأكبر من اهتماماته، حيث أنشئت مديرية المعارف في رمضان (١٣٤٤هـ/١٩٢٥م)، وكان ذلك بمنزلة إرساء حجر الأساس لنظام التعليم الحديث في المملكة العربية السعودية، ويمكن القول: إن مديرية المعارف هي النواة الأولى لنظام التعليم في المملكة، ونتيجة لسياسة الملك عبد العزيز التعليمية؛ تأسست المدارس، وتطور نظام التعليم في جميع مراحله، وحظيت منطقة عسير بصفة عامة- ومدينة خميس مشيط بصفة خاصة- بنصيب وافر في هذا المجال[٢].

بدأ التعليم النظامي في عسير بافتتاح أول مدرسة حكومية في أبها عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م)، بخمسة وثلاثين طالبا، وهي المدرسة السعودية[٣]، حيث قال عنها الشيخ الطرابلسي[٤]: «في عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م من شهر ذي القعدة، افتتحنا مدرسة أبها السعودية، وكنا ثلاثة: الأستاذ/ عبد الرحيم الأهدل[٥] مديرا، وعبد المالك الطرابلسي أستاذا، ومحمد إسماعيل[٦] أستاذا، وتكونت المدرسة من ثلاثة

ببني مغيد، تبعد عن مدينة أبها- جهة منطقة السودة- بحوالي (٧) كلم تقريبا، وتلقى تعليمه في قريته البدلة، التي كانت بها مدرسة كتاب، حيث التحق بها، فتعلم القرآن الكريم، وختمه، وواصل تعليمه في الفقه والتوحيد، وبعد أن صار قادرا على التدريس، فتح هو مدرسة كتاب، ثم بعد افتتاح أول مدرسة نظامية في أبها، تم اختياره معلما بها. انظر: ابن جريس، تاريخ التعليم في منطقة عسير، ج١ ، ص ص ٢٤٦، ٢٤٧.

(١) ابن جريس، تاريخ التعليم، ج١ ، ص ٣٥.

(٢) ابن دهيش، عبد اللطيف بن عبد الله، التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبد العزيز، د.ن، د.ت، ص ٢٦.

(٣) ابن جريس، تاريخ التعليم، ج١ ، ص ٥٢.

(٤) هو الشيخ عبد المالك الطرابلسي، ولد عام (١٣١٨هـ/١٩٠٠م) ببرقة في ليبيا، حفظ القرآن الكريم عندما بلغ الحادية عشرة من عمره، اختير ضمن الطلبة الذين تم ابتعاثهم من قبل الحكومة العثمانية إلى إسطنبول عام (١٣٣٠هـ/١٩١٩م)، وواصل الدراسة هناك حتى حصل على المرحلة المتوسطة، ثم الثانوية عام (١٣٣٨هـ/١٩٢٠م)، قدم الشيخ الطرابلسي إلى الجزيرة العربية مع قيام الدولة السعودية الثالثة على يد الملك عبد العزيز، وكانت بداية عمله معلما، ثم مديرا لمدرسة أبها الابتدائية،حيث باشر مهمته بها في عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م)، وفي عام (١٣٦٢هـ/١٩٤٣م) توفيت زوجة الشيخ الطرابلسي؛ فاضطر لطلب نقله من بلاد عسير إلى مكة المكرمة. للمزيد انظر: ابن جريس، تاريخ التعليم في منطقة عسير ، ج١ ، ص ٢٢٧- ٢٣١.

(٥) عبد الرحيم بن عبد الغني الأهدل، أول مدير لمدرسة أبها في عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م)، ولم يبق بها إلا نحو ستة أشهر، ثم انتقل إلى مكة المكرمة في عمل غير التدريس، وحل محله في إدارة مدرسة أبها الشيخ عبد المالك الطرابلسي. انظر: ابن جريس، تاريخ التعليم ، ج١، ص٢٥٦.

(٦) الأستاذ محمد إسماعيل تحدث عنه الأستاذ محمد أنور، فقال عنه: «الأستاذ محمد إسماعيل الإبي، مكث طويلا بمنطقة عسير، وهو تلميذ الشيخ عبد المهيمن أبو السمح إمام الحرم المكي، وكان جيدا في

فصـول للابتدائيــة، هــي: الأول، والثــاني، والثالث؛ لأننا وجدنــا من طلبــة الكُتَّاب أنّ أغلبهـم متعلمون، وبدأنــا الدراسة لمدة ستة أشهر، ثم نقل الأستاذ عبد الرحيم الأهدل إلى بيشــة، وافتتـح بها مدرسة، وصــار مديرا لها، ورُفع عبد المالـك الطرابلسي مديرا للمدرســة السعودية بأبها، ووجدنا بأبها الأستاذ محمد أنور، فطلبنا تعيينه أستاذا، وتم ذلــك، كما طلبنا الأستاذ موســى بن ناصر[١]، وتم تعيينه أيضــا، وأصبحنا في المدرسة أربعة: عبد المالك الطرابلسي، ومحمد إسماعيل، ومحمد أنور، وموسى بن ناصر»[٢].

هكـذا بـدأت الحيــاة التعليمية النظامية في عســير في ظل حكومــة المملكة العربية السعوديــة، وقــد طــرأ عليهــا التطور في جميــع مجالات المعرفــة، وعلى جميــع المراحل التعليميــة. وفي عام (١٣٥٧هـ/١٩٣٨م) وصلت هيئة ملكية إلى أبهــا، وكان من ضمن أعمالهــا فتح أربع مدارس بمنطقة عسير، وبعد اجتماع الهيئــة الملكية مع الأمير تركي السديــري[٣]، ومــع رئيس المالية الشيــخ عبد الوهاب أبو ملحة، قــرروا المدن التي سيتم افتتــاح المدارس الابتدائيــة فيها، وكانــت مدينة خميــس مشيط إحدى تلــك المدن[٤]؛ لتصبــح فيما بعد واحدة من مدن المملكة العربيــة السعودية، التي تفتخر بتقدم التعليم في بلادها[٥].

علــوم العقيــدة والحديث، وكان شاعرا أيضا، وتزوج بأبها، ثم رحل إلى اليمن، ولم يعد له ذكر». انظر: ابن جريس، تاريخ التعليم، ج١ ، ص ٢٦٩.

(١) موســى بــن ناصر بن فرج، ولد ببلدة رجال ألمع عام (١٣٣٨هــ/١٩٢٠م)، وتولى تربيته عمه شقيق والده، بــدأ حياته بقراءة القــرآن، وبعض العلوم الشرعيــة الأخرى، وفي عام (١٣٤٦هـ/١٩٢٧م) لحقت أسرته بوالده الذي كان قد هاجر إلى أبها من قبل، وواصل تلقيه العلم على يد والده، حتى استطاع مساعدة والده في التدريس من عــام (١٣٥٣هـ/١٩٣٤م) إلى عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م) في أبهــا، مع الشيخ عبد الرحمن المطــوع، في أول مدرسة حكومية غير نظامية، ثم عين بالمدرسة الحكومية بأبها عام (١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م)، وفي عام(١٣٦٤هــ/١٩٤٥م) تم تعيينــه وكيلا لمدير المدرســة بأبها، ثم أصبح مديــرا للمدرسة. توفي عام (١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م). انظر: ابن جريس، تاريخ التعليم، ج١ ، ص ص ٢٤٤، ٢٤٥.

(٢) ابن جريس، تاريخ التعليم، ج١ ، ص ٥٢.

(٣) الأمير تركي بن أحمد السديري، وصل إلى أبها في عام (١٣٥٢هـ/١٩٣٣م)، وباشر عمله في جو كان يحتاج إلى صرامــة وحنكــة، وكان الأمــير تركي قوي الشخصيــة، حيث مثل إمارة عسير خــير تمثيل، فاستقامت لــه الأمــور، وكان يساعده في تصريف شــؤون المنطقة أخوه الأمير خالد السديــري، وقد ناب عنه في إمارة أبهــا لمـدة ستة أشهــر أثناء غيابه، وبقــي الأمير تركــي السديري على رأس إمارة عســير حتى (١٠-٩-١٣٧١هــ/١٩٥٢م)، حيــث تم نقله إلى إمارة جــازان، وحل محله الأمير تركي بن ماضــي. انظر: النعمي، تاريخ عسير، ص ص ٣٨١-٣٨٣.

(٤) بقيــة المــدن التي قُرر فتح مدارس ابتدائيــة فيها: رجال ألمع، محائل، النماص. انظــر: ابن جريس، تاريخ التعليم، ج١ ، ص٥٥.

(٥) ابن جريس، تاريخ التعليم، ج١ ، ص ٥٥.

مدرسة خميس مشيط التي سميت «بالمدرسة السعودية»[(١)]، هي أول مدرسة ابتدائية افتتحت في مدينة خميس مشيط، تم افتتاحها عام (١٣٥٩هـ/١٩٤٠م)، فكانت أول منارة للعلم والمعرفة في مدينة خميس مشيط، وكان أول معلم التحق بها هو الأستاذ موسى بن ناصر بن فرج، وأول من تولى إدارة هذه المدرسة الأستاذ عبد الفتاح راوه[(٢)] قادما من مكة المكرمة، ومعه الأستاذ سيف السروري، وكان نظام التعليم فيها ثلاث سنوات، مصنفة على أنها مدرسة قروية[(٣)]. وفي عام (١٣٦١هـ/١٩٤٢م) انتقل الأستاذ عبد الفتاح راوه مدير المدرسة السعودية في خميس مشيط إلى مسقط رأسه مكة المكرمة، وتم تعيين الأستاذ محمد أنور مديرا للمدرسة بدلا عنه، حيث باشر عمله في شهر شعبان من عام (١٣٦١هـ/١٩٤٢م) بمرتب وقدره ثمانون ريالا[(٤)].

كان للأستاذ محمد أنور الأثر المهم جدا في تطوير العمل بالمدرسة السعودية في خميس مشيط، على أساس خبرته في مدرسة النماص -التي استمر فيها ثلاث سنوات من عام (١٣٥٧-١٣٦١هـ/١٩٣٨-١٩٤٢م)، ثم تم تعيينه في المدرسة السعودية في خميس مشيط – وقد أقبل الأهالي بأبنائهم؛ لما لمسوه في الأستاذ محمد أنور من حسن إدارته، وإخلاصه في عمله، والدراسة بالمدرسة في بداية تأسيسها تشمل تدريس العلوم الدينية، وعلوم اللغة العربية فقط؛ لذلك كانت الدراسة في مطلع تأسيس المدرسة أشبه بالتدريس في المساجد، وكانت كلها أشبه بفصل كبير واحد، لذلك واجه الأستاذ محمد أنور صعوبة في فتح فصول جديدة، أو الانتقال بالطلاب الناجحين من فصلهم إلى فصل أعلى منه، فكان الطلاب يمضون السنين في الفصل الواحد بدون تقدم[(٥)].

كان مقر المدرسة في بيت في قرية الدرب، وغرف هذا البيت قديمة، ومظلمة، وضيقة، وغير مهيئة للجو العلمي، لكن كل ذلك لم يكن حجر عثرة في سبيل تطوير المدرسة،

(١) المدرسة السعودية الابتدائية لا تزال قائمة حتى الآن، تحت مسمى مدرسة (مسلمة بن عبد الملك)، وموقعها حاليا في حي الربيع بخميس مشيط. زيارة ميدانية قامت بها الباحثة لموقع مدرسة مسلمة بن عبد الملك، يوم الثلاثاء، بتاريخ (٢- ٢- ١٤٣٦هـ/ ٢٥- ١١- ٢٠١٤م).

(٢) الشيخ عبد الفتاح بن حسين بن إسماعيل بن محمد طيب راوه المكي، ولد في عام (١٣٣٤هـ/١٩١٦م)، شارك العلماء في التدريس بالمسجد الحرام بباب السلام القديم، كما كان يدرس في الصيف بمسجد ابن عباس في الطائف، تقلد عدة وظائف منها: مدرس بجدة عام (١٣٦٢هـ/١٩٤٣م)، كما عين مساعد مدير المدرسة الرحمانية عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٤م)، وبعد إحالته إلى التقاعد، طلب مدرسا بمعهد المسجد الحرام، وكان من طلابه: الشيخ صالح بن عبد الله بن محمد بن حميد، إمام وخطيب المسجد الحرام، له عدة مؤلفات، توفي يوم الأربعاء عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) بمكة المكرمة. انظر: صحيفة الندوة، الإثنين (٠٦-٠٩-١٤٣١هـ/ ١٦- ٨- ٢٠١٠م)، العدد (٧٦١)، ص ١.

(٣) ابن جريس، من رواد التربية والتعليم، ص ٢٣٤.

(٤) ابن جريس، من رواد التربية، ص ٢٣٦.

(٥) ابن جريس، من رواد التربية، ص ٢٣٦.

ففي (١٣٦١/٨/١٧هــ/١٩٤٢م) صدرت الموافقة من وزارة المالية على بناء مبنى لهذه المدرســة، بملغ وقدره سبعمائة ريــال[١]. وفي ربيع الثاني من عــام (١٣٦٥هـ/١٩٤٦م) تبرع الشيخ عبد الوهاب أبو ملحة- رئيس مالية أبها- ببناية دار أنيقة للمدرسة، تحتوي علــى ســت غرف، وعلى صالون كبــير، وحفر إلى جانب المبنى بئــرٌ للسقيا[٢]، وفي شهر ذي الحجــة لعام (١٣٦٥هــ/ ١٩٤٦م) أقيم احتفال بمدرسة خميســ مشيط، بمناسبة افتتــاح العــام الدراسي الجديد، وفي هــذه المناسبة تبرع الشيخ عبــد الوهاب أبو ملحة بــ (١٠٠) ريال للمدرسة، كما قام الحاضــرون في الاحتفال بالتبرع، وكان ذلك بهدف إنهاض التعليم وتشجيعه، وتطوير المدرسة السعودية في خميس مشيط[٣].

كانــت أول بذرة لتطور التعليــم في المدرسة السعودية بخميس مشيط، أن تم تخريج أول دفعــة في الشهادة الابتدائية والتي قادها الأستــاذ محمد أنور، واحتلت هذه الدفعة المركــز الأول علــى مدارس المنطقة، ولعل أبرز تلامذة الأستــاذ محمد أنور:عبد العزيز بن سعيد بن مشيط[٤]، ومريع بن حسن الشهراني[٥]. وبعد أن اطمأن على سير العمل، انتقــل إلى معتمديــة أبهــا[٦]، كأول مفتشــ مركزي عــام (١٣٧٤هــ/١٩٥٥م)، وخلفه الأستاذ محمد بن سعد بن عبد الرحمن[٧] في إدارة المدرسة[٨].

---

(١) وثيقــة رقم (١٤٩٠)، تاريــخ (٢٤-٨-١٣٦١هـ/٦-٩-١٩٤٢م)، الموافقة على بناء مدرسة خميس مشيط، بمبلغ وقدره (٧٠٠) ريال، محفوظة لدى المركز الوطني للوثائق والمحفوظات بالرياض.

(٢) صحيفة أم القرى، السنة ٢٢، (١٢ ربيع الثاني ١٣٦٥هـ/١٥مارس١٩٤٦م)، العدد (١٠٩٨)، ص ٢.

(٣) صحيفة أم القرى، السنة ٢٢، (١٢ربيع الثاني ١٣٦٥هـ/١٥مارس١٩٤٦م)، العدد(١٠٩٨)، ص ١.

(٤) سبق تدوين ترجمته.

(٥) معــالي الفريق مريع بــن حسن الشهراني: رئيس الهيئــة العامة للمساحة، تخــرج ضابطا برتبة ملازم في كليــة الملك عبــد العزيز الحربية عــام (١٣٧٧هـ/١٩٥٧م)، ووصــل إلى رتبة فريق ركن، عــين بأمر ملكي عام(١٤٢٩هــ/٢٠٠٨م) رئيســا للهيئــة العامــة للمساحــة. للمزيد انظر: ابــن جريس، مــن رواد التربية والتعليم، ص ٢٥٤.

(٦) في سنــة (١٣٦٩هــ/١٩٥٠م) تأسّســت معتمديّــة المعــارف بأبهــا، وأسنــدت أعمالها بالوكالــة إلى مدير المدرســة الابتدائية السعودية بأبها الأستاذ خليل كتــب خانة، وفي أوائل عام(١٣٧٦هـ/١٩٥٦م) بُدّلَ اسمُ المعتمديّــة، إلى اســم إدارة التعليــم في أبها، وكان الأستــاذ عبد العزيز العبدان أول مديــر لها. انظر: ابن جريســ، غيثان بن علي، دراسات في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية، الرياض، مطابع الحميضي، (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، الجزءان الأول والثاني في مجلد واحد ، ص ص ٥١٣، ٥١٤.

(٧) محمــد بــن سعد بن عبــد الرحمن بن بحيبحــا الملقب بـ (أبي الكــف)، من مواليــد (١٣٤٤هـ/١٩٢٥م)، كان طالبــا في المدرســة السعودية بخميس مشيط، وعند تخرجه عين بهــا معلما عام (١٣٦٥هـ/١٩٤٦م)، وفي عام(١٣٧٤هــ/١٩٥٥م) أصبح مديرا للمدرسة، له العديد من الإسهامات الجيدة في مجالات التربية والتعليــم، والنشاطات الثقافية، والاجتماعيــة، والتنموية في منطقة عسير. للمزيد انظر: ابن جريس، من رواد التربية والتعليم، ص ٢٥٠.

(٨) ابن جريس، من رواد التربية والتعليم، ص ٢٣٧.

كان للأستاذ محمد أنور الدور الكبير في تطور التعليم في عسير بصفة عامة، وفي مدينة خميس مشيط بصفة خاصة، فبعد تعيينه مفتشا في معتمدية أبها، كان يقدم تقريرا مفصلا عن أوضاع مدارس عسير التابعة للمعتمدية إلى وزارة المعارف، ومن ذلك التقرير الذي قدمه الأستاذ محمد أنور عام (١٣٧٥هـ/١٩٥٦م) عن مدرسة خميس مشيط الابتدائية، إذ قال فيه: «مدرسة خميس مشيط ابتدائية كاملة التشكيل، بها ستة فصول، ومجموع طلابها مئة وخمسة عشر طالبا، وبها وظيفة مدير شاغرة، ووظيفة وكيل شاغرة، وبها سبعة مدرسين وخادمان، وسير الدراسة فيها فوق المتوسط، إن لم يكن متوسطا، وأعمال الإدارة بها منظمة، وتبعد عن أبها بثلاثين كيلوا مترا، وأداة الوصل إليها السيارة، ويؤخذ عليها فقط أن إدارة المدرسة كانت ضيقة، وضوؤها غير كاف»[١].

تطور التعليم في المدرسة السعودية الابتدائية بخميس مشيط بعد الستينيات من القرن الهجري الماضي، ففي عام (١٣٧٧هـ/١٩٥٧م) كان عدد الفصول في مدرسة خميس مشيط للصف الأول اثنين، وعدد الطلاب سبعون، وعدد الفصول للصف الثاني واحد، والطلاب ثلاثون، وفصل واحد للصف الثالث، والطلاب واحد وعشرون طالبا، وفصل واحد للصف الرابع، والطلاب ستة عشر طالبا، وفصل واحد للصف الخامس، والطلاب ثمانية، وفصل واحد للصف السادس، والطلاب تسعة[٢]. وحسب إحصائية عام (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م) كان عدد الفصول في الصف الأول اثنين، والطلاب سبعة وثمانون طالبا، وفصلان للصف الثاني، والطلاب واحد وسبعون طالبا، وفصلان للصف الثالث، والطلاب واحد وخمسون طالبا، وفصل واحد للصف الرابع، والطلاب واحد وأربعون طالبا، وفصل واحد للصف الخامس، والطلاب ستة وعشرون طالبا، وفصل للصف السادس، والطلاب ثلاثة عشر طالبا، كما كان بها عشرة مدرسين، ومدير، وأربعة خدم[٣].

تلحظ الباحثة مما سبق التطور الملموس في سير العمل في مدرسة خميس مشيط الابتدائية، خلال عام (١٣٧٧هـ/١٩٥٧م)، وعام(١٣٨٠هـ/١٩٦٠م)، حيث يظهر زيادة أعداد الطلاب والفصول، مع اكتمال جميع السنوات الابتدائية حتى السنة السادسة، حيث بلغ مجموع عدد الفصول في مدرسة خميس مشيط عام (١٣٧٧هـ/١٩٥٧م) سبعة فصول، وبلغ مجموع عدد الطلاب مئة وتسعة وخمسين طالبا، وفي عام (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م) زاد عدد الفصول والطلاب؛ فبلغ مجموع عدد الفصول تسعة،

(١) ابن جريس، من رواد التربية، ص ٣٠.
(٢) ابن جريس، تاريخ التعليم، ج١ ، ص ٧١.
(٣) ابن جريس، تاريخ التعليم، ج١ ، ص ٧٧.

وعدد الطلاب مئتان وتسعة وثمانون طالبا[١].

بعد افتتاح المدرسة السعودية الابتدائية في خميس مشيط بفترة قصيرة، تم افتتاح مدرسة ابتدائية أخرى بخميس مشيط، هي مدرسة ذهبان[٢]، ويرجع تأسيسها إلى عام(١٣٦٥هـ/١٩٤٦م)، وقيل عام(١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م)[٣]، وهي تبعد عن المدرسة السعودية بخمسة كيلو مترات، وعن مدينة أبها (٣٥كم)، وأخذت هذه المدرسة تتطور تطورا متوسطاً، ففي عام (١٣٧٥هـ/١٩٥٦م) كانت تضم (٥٥) طالبا، وأربعة فصول، وبها خمسة مدرسين، وخادمان، وبها وظيفة مدير شاغرة، وكان أحد المدرسين يقوم[٤] بعمل الإدارة، والدراسة فيها إلى الصف الرابع الابتدائي فقط، وفي عام (١٣٧٦هـ/١٩٥٦م) أصبحت تضم (٦٧) طالبا، وأصبحت سنوات الدراسة فيها إلى الصف الخامس الابتدائي فقط، إلا أنها كانت تحتاج إلى ترميم وتوسعة بعض نوافذها، وإضافة بعض الغرف بها[٥]، وفي عام (١٣٧٧هـ/١٩٥٧م) اكتملت سنوات الدراسة في مدرسة ذهبان إلى الصف السادس الابتدائي، فقد بلغ مجموع عدد الطلاب (٧٧) طالبا، ومجموع عدد الفصول ستة فصول، وفي عام (١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م) ارتفع عدد الطلاب الذين انضموا إلى مدرسة ذهبان؛ فأصبحت تضم (١٠٢) طالبا، ومجموع عدد الفصول ستة فصول، كما أصبحت تضم سبعة مدرسين، ومديرا، وخادما[٦].

من المدارس الابتدائية التي افتتحت في مدينة خميس مشيط، ولا تزال قائمة حتى الآن، مدرسة طارق بن زياد[٧]، ويرجع تأسيسها إلى عام (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م)، في مبنى مستأجر بقيمة(٨٠٠) ريال، وفي عام (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) تم تأسيس المدرسة الخالدية[٨] في مبنى مستأجر بقيمة (١٠٠٠) ريال، ثم ارتفعت قيمة الإيجار ارتفاعا

---

(١) ابن جريس، تاريخ التعليم ، ج١ ، ص ص ٧١، ٧٧ .

(٢) مدرسة ذهبان لا تزال حتى الآن تحت مسمى مدرسة محمد بن عبد الوهاب، وموقعها حاليا بحي النزهة بخميس مشيط. زيارة ميدانية قامت بها الباحثة لموقع مدرسة محمد بن عبد الوهاب، يوم الثلاثاء بتاريخ (٢-٢-١٤٣٦هـ/٢٥-١١-٢٠١٤م).

(٣) ابن جريس، تاريخ التعليم، ج١ ، ص ٦٤.

(٤) كان يدعى: سعد بن علي. انظر: ابن جريس، من رواد التربية والتعليم، ج١ ، ص٣١.ولم تجد الباحثة أي ترجمة لهذه الشخصية ضمن المراجع المتاحة لديها.

(٥) ابن جريس، من رواد التربية والتعليم، ج١ ، ص ٤٨.

(٦) ابن جريس، تاريخ التعليم، ج١ ، ص ٧١، ٧٧ .

(٧) موقع مدرسة طارق بن زياد حاليا في حي الرونة بخميس مشيط. زيارة ميدانية قامت بها الباحثة لموقع مدرسة طارق بن زياد، يوم الثلاثاء بتاريخ (٢- ٢- ١٤٣٦هـ/٢٥-١١-٢٠١٤م).

(٨) موقع مدرسة الخالدية حاليا في حي الخالدية بخميس مشيط. زيارة ميدانية قامت بها الباحثة لموقع مدرسة الخالدية الابتدائية، يوم الثلاثاء بتاريخ (٢- ٢-١٤٣٦هـ/٢٥-١١-٢٠١٤م).

طفيفـا، فأصبحت عام (١٣٩٢/١٣٩٣هـ-١٩٧٢/١٩٧٣م) (١٥٠٠) ريال؛ مما يعكس مـدى اهتمام حكومة المملكة العربيـة السعودية بتطوير المجتمع السعودي في كافة مرافق الحياة بشكل عام، وفي مجال التعليم بصفة خاصة[1].

بـدأ التعليم المتوسط[2] في مدينة خميس مشيط، فقـد بدأ بافتتاح المتوسطة الأولى عام(١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م)[3]،ثم افتتحت المتوسطة الثانية عام(١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)[4]،ثم افتتحت المتوسطـة الثالثة[5]عام (١٣٩٥هــ/١٩٧٥م)[6]، وفي عام(١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) كانـت هنـاك مدرسـة ثانوية في خميـس مشيط، هي ثانويـة خميس مشيـط الأولى[7]، وضمت (٣٠١) طالبا، و(١٣) فصلا[8].

تطور التعليم تدريجيا في مدينة خميس مشيط، وأنشئت المدارس في المراكز التابعة لها، ففي مركز المضة تأسس خلال فترة الدراسة مدرسة ابتدائية للبنين، وهي ابتدائية الزبـير بن العوام في عام(١٣٨٢هــ/١٩٦٥م)، وابتدائية للبنات، وهـي ابتدائية المضة للبنـات في عـام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)[9]، وتم إنشـاء أول مدرسة ابتدائيـة للبنين[10] في

---

(١) ابن جريس، تاريخ التعليم، ج١ ، ص ٧٧.

(٢) كان التعليم المتوسط حتى عام ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م مندمجا في التعليم الثانوي، وابتداءً من عام (١٣٧٨هـ/١٩٥٨م)، أنشئـت المرحلـة المتوسطـة، كمرحلـة تعليمية مستقلة عـن المرحلة الثانويـة. انظر: الحقيـل، سليمان بن عبد الرحمن، نظام وسياسة التعليم في المملكة العربية السعودية، د.ن، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ص ٢٤٩.

(٣) المدرسة المتوسطة الأولى بخميس مشيط لا تزال حتى الآن تحت مسمى: متوسطة المدينة المنورة. وموقعها حاليـا بحـي قمبر بخميس مشيط. انظر: تقرير مرسل من الأستاذ عبـد الرحمن بن محمد عوضة، مدير مكتب التعليم بخميس مشيط، يوم الخميس بتاريخ (٤-٧-١٤٣٦هـ/٢٣-٤-٢٠١٥م)؛ زيارة ميدانية قامت بها الباحثة لموقع متوسطة المدينة المنورة، يوم الأحد(٧-٧-١٤٣٦هـ/ ٢٦-٤-٢٠١٥م).

(٤) المتوسطـة الثانيـة بخميس مشيط لا تـزال حتى الآن تحت مسمى: متوسطة الإيمـان. وموقعها حاليا بحي الخالديـة بخميـس مشيط. انظر: تقريـر مرسل من الأستاذ عبد الرحمن بـن محمد عوضة، مدير مكتب التعليـم بخميس مشيط، يوم الخميس، تاريخ (٤-٧-١٤٣٦هـ /٢٣-٤-٢٠١٥م) ؛ زيارة ميدانية قامت بها الباحثة لموقع متوسطة الإيمان، يوم الأحد (٧-٧-١٤٣٦هـ/٢٦-٤-٢٠١٥م).

(٥) المتوسطة الثالثة بخميس مشيط لا تزال حتى الآن تحت مسمى: متوسطة الكسائي، وموقعها الحالي بالعرق الشمـالي. تقرير مرسل من الأستاذ عبد الرحمن بن محمـد عوضة، مدير مكتب التعليم بخميس مشيط، يـوم الخميس، تاريخ (٤-٧-١٤٣٦هــ/٢٣-٤-٢٠١٥م)؛ زيارة ميدانية قامت بهـا الباحثة لموقع متوسطة الكسائي، يوم الأحد (٧-٧-١٤٣٦هـ/٢٦-٤-٢٠١٥م).

(٦) ابن جريس، تاريخ التعليم، ج١ ، ص ٩٢.

(٧) ثانويـة خميس مشيـط الأولى لم يتغير اسمها إلى الآن. تقرير مرسل مـن الأستاذ عبد الرحمن بن محمد عوضة، مدير مكتب التعليم بخميس مشيط، يوم الخميس، تاريخ (٤-٧-١٤٣٦هـ/٢٣-٤-٢٠١٥م).

(٨) جريدة المدينة، السنة (١٠)، (الجمعة ٢٥ صفر ١٣٩٣هـ/٣٠مارس١٩٧٣م،العدد(٢٧٣٣)، ص ٤.

(٩) وثيقـة رقـم (١٠٨٦/٦٠٢/٥)، بتاريـخ (٢٩-٧-١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، تفيـد بمعلومات عـن مركز المضة، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للتراث والثقافة.

(١٠) وثيقة رقـم (١٨٩٣/٦٠٢/٤)، بتاريخ(٢٣-١١-١٤٢٨هــ/٢٠٠٧م)، تفيد بمعلومات عن مركز خيبر

مركـز خيبر الجنوب عام (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م)، أمـا مركز وادي ابن هشبل، فكانت أول مدرسة عام (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)، وهي المدرسة الابتدائية الأولى للبنين[١].

(*) **تعليم البنات:**

تأخر تعليم البنات في المملكة العربية السعودية نسبيا عن تعليم البنين؛ لأن المواطنين استنكـروه؛ خوفا من الآثار الاجتماعية السيئة التـي أحدثها التعليم المختلط، أو الفاقد لأسبـاب الحشمة في كثير من البلدان في العالم العربي، فقد مثلت التقاليد الاجتماعية، والأعـراف السائدة- آنـذاك- عائقا كبيرا أمـام تعليم البنات، حتـى اضطرت الدولة إلى التـدرج في تعميمه، ولم تتمكن من جعله مقبولا لـدى الناس، إلا بعد أن جعلته تابعا للمؤسسة الدينية، بل كان المفتي العام في البدء هو المشرف على تعليم البنات؛ مما جعل النـاس يطمئنون إليه، ويلحقون بناتهم به، واستمرت المملكة تتدرج بتعليم البنات، حتى أصبح مماثلا من حيث المناهج، والنظم، والمنشآت لتعليم البنين، وأخيرا تم دمج تعليم البنات مع تعليم البنين، وأصبحت وزارة التربية والتعليم مسؤولة عنهما معا[٢].

شهـد قطاع تعليـم البنات اهتماما من الدولة في المنطقـة الجنوبية، مثله مثل بقية المناطـق في المملكـة العربيـة السعودية، وعام (١٣٨٠هــ/١٩٦٠م) بدايـة دخول تعليم البنـات إلى منطقـة الجنـوب[٣]، وهو العـام الذي أنشئت فيـه الرئاسـة العامة لتعليم البنـات، وقـد تأسست المدرسة الابتدائيـة الأولى لتعليم البنـات في خميس مشيط عام (١٣٨٢هــ/١٩٦٢م)[٤]، وكانـت أول بـذرة لتعليـم البنـات المدرسـة الأولى بخميـس مشيط،حيث شهدت تخريج أول دفعة للشهادة الابتدائية عام (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)[٥]، ثم شهد عام (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) تخريج الدفعة الثانية[٦]، وتطور التعليم في المدرسة الأولى للبنـات في خميس مشيط؛ حتـى أصبح مجموع عدد الطالبات عـام (١٣٨٩/١٣٩٠هـ-١٩٦٩/١٩٧٠م) (٦٤٠) طالبـة، وبلغ مجموع عدد الفصول (١٦) فصلاً، وبلغ مجموع عـدد موظفات المدرسة (٢٣) موظفة، وبهـا (٤) خادمات، كما كانت المدرسة في مبنى

الجنوب، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

(١) وثيقـة رقـم (٢/٦٠٢/٣٨٨٢)، بتاريخ (٢٥-١١-١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، تفيـد بمعلومات عن مركز وادي ابن هشبل، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

(٢) ابـن دهيش، عبد الملك، تعليـم البنات في المملكـة العربية السعوديـة، بحث مقدم لمؤتمـر المملكة العربية السعودية في مئة عام من (١٣١٩هـ - ١٤١٩هـ)، ص ص ٨٦ - ٨٨.

(٣) جريدة المدينة، السنة (١٠)، (الجمعة ٢٥ صفر ١٣٩٣هـ/٣٠مارس١٩٧٣م)، العدد (٢٧٣٣)، ص ٤.

(٤) ابن معبر، خميس مشيط، ص ٩٥.

(٥) جريدة البلاد، (الثلاثاء ٢٧ ربيع الأول ١٣٨٧هـ/٣يوليو١٩٦٧م)، العدد (٢٥٥٢)، ص٣.

(٦) جريدة البلاد، السنة(٩) ، (الأحد ٢١ ربيع الثاني١٣٨٩هـ/٦يوليو١٩٦٩م)، العدد (٣١٥٧)، ص ٤.

حكومـي، ويمكن التعرف إلى مـا طرأ على المدرسة الابتدائيـة الأولى للبنات في خميس مشيـط، من تطور بشكل مفصل في عدد الطالبـات في جميع الفصول الدراسية، وعدد الفصـول، وعـدد موظفـات المدرسة مـن إداريات ومعلمـات عـام (١٣٨٩/ ١٣٩٠هـ – ١٩٦٩/ ١٩٧٠م)[١].

(*) **تعليم الكبار:**

تعـد المملكـة العربيـة السعودية مـن أوائل الـدول التـي اهتمت بمكافحـة الأمية، وهـي في ذلك تحرص على أن تربط بين تعليـم الكبار وخطط التنميـة، وتبذل جهدها في سبيـل مكافحـة الأميـة، وبهـذا اهتمـت المملكـة العربيـة السعوديـة بتعليـم الكبار ومحـو الأميـة، وبالتعليـم النظامـي؛ وذلـك لحرصها على بنـاء المجتمـع السعودي في شتـى المجـالات[٢]، وحظيـت مدينة خميـس مشيط بمدارس ليلية لتعليـم الكبار منذ عام(١٣٧٩/ ١٣٨٠هـ-١٩٦٩/ ١٩٧٠م)، وبلغ مجموع عدد الطلاب في المدرسة السعودية الليليـة عام(١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) في خميس مشيط (١٧٨) طالبـا، وفي مدرسة ذهبان الليلية (٢٣) طالبا[٣].

٢ـ الرعاية الصحية:

عانـت المناطق الجنوبيـة في المملكة العربيـة السعودية بصفة عامة مـن سوء الأحوال الصحية، وانتشار العديد من الأمراض خلال القرون الماضية، التي أودت بحياة العديد من المواطنين، وكان الطب الشعبي، وبعض العقاقير والأعشاب الأساس في مقاومة الأمراض[٤]. وهناك عدة عوامل أدت إلى انتشار الأمراض في المناطق الجنوبية، فالعامل الجغرافي يتضح مـن المناطق التي توجد بها الأوبئة، وتتوطن فيهـا الأمراض المعدية، حيث تؤدي إلى سهولة انتقـال الأمراض، بالإضافة إلى التلوث الذي لعب دورا كبيرا في الإصابة ببعض الأمراض، كذلك سوء التغذية، والشرب والاستحمام في المياه الملوثة، والتعرض لأشعة الشمس لفترات طويلة، وعدم التدفئة الكافية في فصل الشتاء، وإنهاك الجسم بالعمل المتواصل، إلى جانب انعدام الوقاية الصحية والوعي الصحي، وإهمال المرض، كما لعب العامل الاقتصادي الدور الأكبر في انتشار الأمراض؛ فالفقر يؤدي إلى عدم توفير إمكانيات الخدمات الصحية؛ مما ينتـج عنـه انتشار الأمراض[٥]. ومن الأمراض الشائعة في خميس مشيـط في تلك الفترة

(١) ابن جريس، تاريخ التعليم، ج١ ، ص ١٧٦ .
(٢) الحقيل، نظام وسياسة التعليم، ص ٢٠١.
(٣) ابن جريس، دراسات في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية، ج١ + ٢ ، ص ٥٤٩.
(٤) ابن جريس، غيثان، تاريخ عسير الحديث والمعاصر، جدة ، العويفي ، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ص ٨٠.
(٥) ابن جريس، تاريخ عسير الحديث، ص ص ٨٠، ٨١.

الأمراض الجلدية، فقد انتشرت الحصبة، ومرض الجذام، والجدري؛ بسبب تدني مستوى النظافـة، وانتشـار الحشـرات المسببة لهـا، وكان مرض الطاعـون أخطـر الأمراض التي انتشرت في معظم المناطق الجنوبية[١].

بـدأ تفعيل الخدمات الصحية بمنطقة عسير في عهد الملك عبد العزيز، وعلى وجه التحديد عام (١٣٥٦هـ/١٩٣٥م)، ضمن منظومة الخدمات العامة التي تقدمها الدولة، وبدأت تلك الخدمات بإنشاء أول طبابة في أبها، بمجموعة قليلة من العاملين، تتكون من طبيـب، وممرض، وخـادم، في بيت مبني من الطين، ثم مساعـد صيدلي، وخادمين في فـترة افتتاحه[٢]، وفي عـام (١٣٦٢هـ) طورت تلك الطبابـة إلى مسمى (مديرية صحة عسـير)، وكانت مرتبطة إداريـا بالمديرية العامة للصحة في مكـة المكرمة من النواحي الإدارية، وصرف الأدوية اللازمة، والاحتياجات الأخرى[٣].

منذ بدايـة الستينيات من القرن الهجري الماضي بدأت الخدمات الصحية بالمنطقة تنمـو وتـزداد، حيـث زود مستوصف أبهـا بمجموعة مـن الفنيين، وطبيب عـام، وطبيب أسنان، ومجموعة من المستخدمين، والتلاميذ الصحيين؛ ليخدم منطقة أبها وما يجاورها مـن مدن وقـرى، ومن ضمنها خميـس مشيط، وكانـت وسائل النقل الوحيـدة- آنذاك- بدائيـه جداً، وتمثلت هـذه الخدمة الصحية في طبيب عام واحـد، يقوم بتقديم الخدمة الصحيـة الوقائية، والعلاجيـة للأهالي؛ لمعالجتهم من الأمراض، وإعطائهم اللقاحات اللازمـة ضـد الجدري، والكولـيرا، والتيفوئيد، ثم عين أول مديـر للصحة بالمنطقة عام (١٣٦٢هـ/١٩٤٣م)؛ ليشرف على أعمال الصحة بمنطقة عسير[٤].

لم يكن هناك مستشفيات في مدينة خميس مشيط، قبل فترة الثمانينيات من القرن الهجـري الماضي، وكان هنـاك المأمور الصحـي، وهو طبيب سعودي غـير حاصل على شهـادة طبية، ولكنه تلقـى دورات تدريبية، تتفاوت ما بين ثلاثـة أشهر إلى ستة أشهر، ودوره فقـط أن يقـوم بالإسعافات الأولية، وصرف بعض الأوديـة البسيطة[٥]. وافتتح أول مستشفـى بمنطقة عسير في أبها يـوم الجمعـة الموافق(٢٤-٨-١٣٧٢هـ/١٩٥٣م) بمـا يقارب ثلاثين سريرا، افتتاحا رسميا، وافتتحت عدة أقسام مساعدة، ومستودعات

---

(١) ابن جريس، تاريخ عسير، ٨١.

(٢) وزارة الصحة، المديرية العامة للشؤون الصحية بمنطقة عسير، إدارة العلاقات العامة والإعلام والتوعية الصحية بعسير، (١٤٣٣هـ /٢٠١٢م)، ص ٣٠.

(٣) وزارة الصحة، إدارة العلاقات العامة والإعلام والتوعية الصحية بعسير، ص ٣٠.

(٤) وزارة الصحة، إدارة العلاقات العامة والإعلام، ص ٣٠.

(٥) مقابلـة شخصيـة مـع الأستاذ عبد العزيـز بن سعيد بـن مشيط، في منزلـه بخميس مشيـط، يوم الأحد بتاريخ(٢٣-٢-١٤٣٤هـ/٦- ١- ٢٠١٣م)

للأثـاث والآلات، للتوزيع على المرافـق الصحية بالمنطقة، وفي عام (١٣٧٤/١٩٥٥م) تم بنـاء مبنى حكومي لمستشفـى أبها العام، وفي عام (١٣٧٧هـ/١٩٥٧م) تم الانتقال إلى المبنـى الجديد الحكومـي، وتسليم المبنـى المستأجر لصاحبه[١]. كمـا تم فتح مستشفى للأمراض السارية (العزل) بأبها، في تاريـخ (١٥-٨-١٣٧٣هـ/١٩٥٤م)، وكان يخدم أهـالي مدينـة خميس مشيط أيضـا. وفي تلك الأثنـاء تطورت الخدمـات الوقائية من تطعيمات، ومكافحة أمراض سارية، وأعطي مدير الصحة العامة للمنطقة صلاحيات، مـن ضمنها التوقيع على شهـادات الميلاد والوفيات، من قبل مديـر صحة منطقة أبها، وتعيـين وتدريب مجموعة من تلاميذ المنطقة في صحة جـدة، للالتحاق بفرقة الملاريا، وصدرت التعاميم لمكافحة الحشرات[٢].

في عـام (١٣٧٣هـ/١٩٥٤م) تقريبا، حضـر إلى خميس مشيط طبيب يدعى: أكرم البيطـار، يرافقه الشيـخ محمد بن جلبان، واستضافهم الشيـخ عبد الوهاب أبو ملحة، واتفقـوا مـع الشيخ سعيد بن مشيط على أن يقام مركـز صحي في قرية الدرب، واختير موقـع أمام الجامـع بوسط الخميس، يحاد السوق من الجهـة الجنوبية، ثم عين محمد بن جلبان مأمورا صحيـا للمركز الصحي، ويعاونه بعض الممرضين، وكان هنـاك طبيب يمر على قرى منطقة عسير، ويطلع على الحالات الصحية أولا بأول، هو الدكتور (فؤاد أبـو غزالة)[٣]، وفي الثمانينيات من القرن الهجري الماضي تقريبا، أنشئ مركز التنمية الاجتماعية بخميس مشيط[٤]، ومثل عددا من القطاعات، ومنها القطاع الصحي، حيث زود بعدد من الأطباء لمعالجة المرضى[٥].

في عام (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) قامت الجهات المختصة بوزارة الصحة بدراسة إنشاء مستشفـى للأمراض الصدريـة، في مناطق مختلفة في المملكـة العربية السعودية، ومن ضمنهـا منطقة عسير، خاصـة مدينة خميس مشيط[٦]، علـى أن يتم تزويد جميع هذه المستشفيـات بأحـدث الأجهزة الطبيـة، مع تأمـين الأطباء الإخصائيـين في الأمراض الصدرية، والممرضين، والفنيين اللازمين للعمل بهذه المستشفيات[٧].

---

(١) اتصـال هاتفـي أجرته الباحثة مع الناطق الإعلامي لصحة عسـير الأستاذ سعيد بن عبد الله النقير، يوم الأحد، بتاريخ (١٩-٤-١٤٣٦هـ/٢٠١٥م).

(٢) وزارة الصحة، إدارة العلاقات العامة والإعلام، ص ٣٠.

(٣) الدكتور فؤاد أبو غزالة شارك في حملات مكافحة داء الجدري الذي انتشر في الستينيات من القرن الهجري الماضي، وكان له جهد مميز في تطعيم حالات كثيرة، ثم أصبح مديرا عاما للشؤون الصحية بمنطقة عسير. انظر: تقرير مرسل من الأستاذ محمد بن عبد الوهاب أبو ملحة، بتاريخ (١٣-٦-١٤٣٤هـ/٢٣-٤-٢٠١٣م).

(٤) سيتم التفصيل في المؤسسات الاجتماعية التي أنشئت في خميس مشيط في صفحات قادمة ٠

(٥) تقرير مرسل من الأستاذ محمد بن عبد الوهاب أبو ملحة، بتاريخ (١٣/٦/١٤٣٤هـ-٢٣/٤/٢٠١٣م).

(٦) تم افتتاح مستشفى الصدرية فيما بعد على طريق أبها — الخميس.

(٧) صحيفة أم القرى، السنة (٤١)، (ربيع الثاني ١٣٨٤هـ/٢٨أغسطس١٩٦٤م)، العدد (٢٠٣٥)، ص ١.

تستنتــج الباحثــة مما سبــق، أن الرعاية الصحيــة الفعلية بمنطقــة عسير، بدأت منــذ عهد الملك سعود، حيث كانــت الخدمات الطبية قبل ذلك، تعــد- وبكل المقاييس- متواضعــة، اتضحت القفزة النوعية التي شهدها القطــاع الصحي بمنطقة عسير، بعد زيارة الملك سعود الأولى إلى أبها عام ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤م. وأخذت الخدمات الصحية في خميــس مشيط في التوسع، ففي عام ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م تقريبا أنشئ المستشفى العسكري القــديم بخميس مشيــط[١]، وكان موقعه في جنوب المدينة، خارجا عن العمران، وأصبح هــذا الموقــع الآن وسط البلد، حيث يقــع إلى الغرب من بلدية خميــس مشيط[٢]، ثم في عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) تم افتتاح مستشفى خميس مشيط المدني، الذي افتتحه الأمير خالــد الفيصل، أمير منطقة عسير آنــذاك[٣]، وتم البدء بإنشاء مبنــى المستشفى منذ عــام (١٣٨٣هــ/١٩٦٣م)، حيــث يتسع لخمســين سريــرا، ويشمل عدة أقســام، وهي: الباطنية، والجراحــة العامة، والأطفال، والنساء والولادة، بالإضافة إلى بعض الأقسام الطبيــة المساعدة، وجميع هــذه الأقسام في المبنى الرئيســ للمستشفى، كما يوجد عدد (٦) وحدات سكن للمرضات، وبعض الأطباء[٤]، وفي عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) تم افتتاح المستشفى العسكري داخل مدينة الملك فيصل العسكرية[٥].

٣. المواصلات والاتصالات:

أ ـ المواصلات (الطرق ـ وسائل النقل):

يعد التطور المذهل الذي شهده قطاع النقل والمواصلات في المملكة العربية السعودية مــن الإنجازات والعلامات البارزة في التجربة السعوديــة التنموية، حيث كان التنقل في

---

(١) في عام (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) تم إغلاق المستشفى العسكري القديم مع افتتاح مستشفى الملك فهد العسكري. تقريــر مرسل مــن الأستاذ محمد الشهراني، المستشــار الفني بقاعدة الملك خالــد الجوية، يوم الخميس، (١٨/٧/١٤٣٦هـ-٧/٥/٢٠١٥م).

(٢) أوراق حصلت عليها الباحثة من الأستاذ محمد بن معبر، بتاريخ الأربعاء (١٣/١١/١٤٣٤هـ،١٨/٩/٢٠١٣م).

(٣) جريدة الندوة، (الأربعاء ١٦صفر١٣٩٣هـ/٢١مارس١٩٧٣م)، السنة (١٥)، العدد ٤٢٨، ص ٢.

(٤) وزارة الصحــة، المديريــة العامة للشــؤون الصحية بمنطقة عسير، مستشفيــات ومراكز الرعاية الصحية الأولية بمحافظة خميس مشيط، ص ١.

(٥) أدارت شركة ويتكر مستشفى الملك فيصل العسكري، وهي شركة أمريكية في ولاية تكساس مدينة هيوستن، تعنــى بتشغيل المستشفيات داخــل أمريكا وخارجها، تسلمــت إدارة مستشفى الملك فيصــل العسكري عند إنشائــه عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م). وقمت بزيارة المستشفيات العسكرية بخميس مشيط، والشؤون الصحية في أبهــا، للحصول على أكبر قدر من المعلومــات عن هذه الشركة، لكن ذكروا لي بأن هذا ما توافر لديهم. انظر: أوراق حصلت عليها الباحثة من الأستاذ محمد بن معبر، الأربعاء، بتاريخ (١٣-١١-١٤٣٤هـ/١٨-٩-٢٠١٣م)؛ تقريــر مرسل من الأستاذ محمد الشهراني، المستشار الفني بقاعدة الملك خالد الجوية، يوم الخميس، (١٨-٧-١٤٣٦هـ/٧-٥-٢٠١٥م).

الماضي من شرق المملكة إلى غربها، أو من شمالها إلى جنوبها، أو حتى بين المناطق الداخلية أمرًا شاقًّا، يستغرق عشرات الأيام؛ لاتساع المساحة الجغرافية، وتباعد الحواضر عن بعضها بعضًا، وتنوع التضاريس، ووعورة مسالكها، إضافة إلى قلة الطرق المعبدة، وندرة وسائط النقل الحديثة. وبدأت الجهود المباركة في العمل على تطوير وسائل المواصلات ومد الطرق، منذ عهد الملك عبد العزيز، وأخذ هذا التحسن في التطور تدريجيًّا، فشقت العديد من الطرق في المناطق الجبلية، ومدت الطرق ذات المسار الواحد بين المدن الرئيسية[١].

شهد جنوب المملكة تطورًا في مجال إنشاء الطرق الحديثة، وربط هذه المنطقة الحيوية بكافة مدن المملكة بشبكة من الطرق، وما تحقق في هذه المنطقة بالذات، يعد من العلامات البارزة على الإنجازات التي حققتها المملكة في هذا المجال؛ نظرًا لوعورة هذه المنطقة الجبلية، وصعوبة الانتقال بين أجزائه [٢].

تعد مدينة خميس مشيط من المدن التي شهدت تطورا في المنطقة في تعبيد الطرق، ومن ثم استخدام وسائل نقل حديثة، وقد حدثت بدايات متواضعة لتحديث شبكة الطرق وتوسعها في خميس مشيط منذ عام (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م)[٣].

ففي (عام ١٣٨٣-١٣٨٤هـ/١٩٦٣-/١٩٦٤م) تم إنشاء كبري يقع على واد في خميس مشيط[٤]، وفي نفس العام تم إبلاغ مؤسسة بن لادن بإصلاح طريق (خميس مشيط- ظهران الجنوب)[٥]، وفتح الطريق المؤدي من خميس مشيط إلى (الواديين – القرعاء)، بالإضافة إلى مشروع فتح عقبة نجران، وفقاً لأمر ملكي صدر بتاريخ (١٧-٤-١٣٨٣هـ/١٩٦٣م)، وتاريخ(٢٨-٧-١٣٨٣هـ/١٩٦٣م). وقد ذكر وزير المواصلات لرئيس مجلس الوزراء في الخطاب الذي رفعه، بأن إصلاح هذه الطرق والعقبات، لم يُعتمد له أي مبلغ من مشاريع الوزارة المعتمدة للعام المالي

---

(١) الزهراني، عبد الله بن عبد الرحمن، التوسع العمراني وتأثيره على المناطق السياحية في منطقة عسير بالمملكة العربية السعودية، دمشق، جامعة دمشق، كلية الهندسة المعمارية، (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص ١٥٤.

(٢) الزهراني، التوسع العمراني، ص ١٥٤.

(٣) وثيقة رقم(٦٦٨)، بتاريخ (٢١- ٩-١٣٨٣هـ/٥-٢-١٩٦٤م)، موافقة مجلس الوزراء على طلب وزارة المواصلات، على إجراء مناقلة بمبلغ أربعة ملايين ريال، من المبلغ المعتمد لمشروع طريق (المدينة ـ تبوك)، وذلك لمشاريع إصلاح طريق (خميس مشيط ـــ ظهران الجنوب)، وفتح الطريق المؤدي من الخميس إلى (الواديين ـ القرعاء)، ومشروع فتح عقبة نجران، محفوظة لدى المركز الوطني للوثائق والمحفوظات بالرياض.

(٤) طريق خميس مشيط ــ ظهران الجنوب: يخدم الطريق منطقتي عسير ونجران، وقد سهل الانتقال بينهما في عدة ساعات قليلة، بدلا من عدة أيام سابقا. انظر: الزهراني، التوسع العمراني، ص ١٦٠.

(٥) المرجع نفسه.

(١٣٨٣/١٣٨٤هـ-١٩٦٣/١٩٦٤م)، وأن اعتماد ذلك يعد أمراً ضرورياً؛ لصحة الارتباط والتكليف، ومباشرة العمل من المقاول، وأنه مـن المتعذر تقدير التكاليف اللازمة لذلك في الوقت الحاضر؛ لعدم وجود دراسة سابقة، أو مخططات للطرق المشار إليها، إلا أنه مـن الممكن تقديـر تكاليفها مبدئيا، وبصفـة تقريبية، بمبلغ أربعـة ملايين ريال، قابلة للزيادة والنقص، وأنه من الممكن إجراء مناقلة من المبلغ المعتمد لمشروع طريق (المدينة ــ تبوك) في هذا العام، وقدره (١٦،١٧٠،٠٠١) ريال، وطلب الموافقة على إجراء هذا المناقلـة. وتمت الموافقة من مجلس الـوزراء لطلب وزير المواصلات علـى إجراء مناقلة بمبلـغ أربعـة ملايين ريال، مـن المبلغ المعتمد لمشـروع طريق (المدينـة - تبوك)، وذلك لمشاريـع إصلاح طريق (خميس مشيط - ظهران الجنوب)، وفتـح الطريق المؤدي من خميس مشيط إلى (الواديين -القرعاء)، ومشروع فتح عقبة نجران[١].

في (٢٧-٨-١٣٩١هـ/١٩٧١م) رفـع وزيـر المواصـلات خطابا لمجلس الـوزراء، يتضمـن إعـادة تصميـم الكـبري الذي يقـع علـى واد في خميس مشيـط، وتم إنشاؤه عام (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م)، وقد تآكلت طبقة السفلتة السطحِّية منه، كما أن طريق (أبها- خميس مشيـط)[٢] المطار، والبالـغ طوله تقريبا (٣٥) كيلو مترا، يحتـاج إلى طبقة أسفلتية، وذكر في الخطـاب أنه لابد مـن دراسة تكاليف هذه الأعمال، التي اتضـح أنها ستبلغ حوالي سبعة ملايـين ريـال تقريبا، بجانب الإسراع في تنفيذ هذه الأعمـال؛ لأن موسم الأمطار قد أوشك علـى الحلول؛ ممـا يستدعي المباشرة في إصـلاح الطريق قبل أن تزداد حالتـه سوءا[٣]. تم تكليـف مؤسسـة بـن لادن بتنفيذ الأعمـال التي يحتاجها طريـق (أبها- خميـس مشيط- المطـار) مـن سفلتة، وإعـادة تصميم الكـبري في حـدود التكاليف المقدرة لذلـك، وقدرها سبعـة ملايين ريال، على أن يصرف المبلغ من الاعتمـاد المخصص لمشروع صيانة وإصلاح الطـرق المعبـدة، بموازنة الطـرق لعام(١٣٩١/١٣٩٢هـ-١٩٧١/١٩٧٢م)[٤]. وخلال

---

(١) وثيقـة رقـم (٦٦٨)، بتاريخ(٢١-٩-١٣٨٣هـ/٥-٢-١٩٦٤م)، موافقـة مجلس الـوزراء علـى طلـب وزارة المواصلات، على إجراء مناقلة بمبلغ أربعة ملايين ريال، من المبلغ المعتمد لمشروع طريق (المدينة – تبوك) وذلك لمشاريع إصلاح طريق (خميس مشيط ــ ظهران الجنوب)، وفتح الطريق المؤدي من الخميس إلى (الواديين – القرعاء)، ومشروع فتح عقبة نجران، محفوظة لدى المركز الوطني للوثائق والمحفوظات بالرياض.

(٢) طريق أبها ــ خميس مشيط: يعد من أهم الطرق داخل منطقة عسير، ويبلغ طوله حوالي (٣٠كم). انظر: الزهراني، التوسع العمراني، ص ١٦٠.

(٣) وثيقـة رقم (٦٤٨)،بتاريخ (٢-٩-١٣٩١هـ/٢٢- ١٠- ١٩٧١م)، موافقـة مجلس الوزراء على طلب وزارة المواصـلات، بتكليـف مؤسسة ابن لادن بتنفيذ الأعمال التي يحتاجها طريـق (أبها – خميس مشيط) من سفلتـة، وإعادة تصميم الكبري الذي يقع على وادٍ في خميس مشيط، محفوظة لدى المركز الوطني للوثائق والمحفوظات بالرياض.

(٤) وثيقـة رقـم (٦٤٨)، بتاريخ (٢- ٩- ١٣٩١هـ/٢٢- ١٠- ١٩٧١م)، تتضمن موافقـة مجلس الوزراء على طلـب وزارة المواصـلات، بتكليف مؤسسة ابـن لادن بتنفيذ الأعمال التي يحتاجهـا طريق (أبها – خميس

عام(١٣٩٠/١٣٩١هـ-١٩٧٠/١٩٧١م)، تم اعتماد أكثر من مشروع من مشاريع سفلتة الطرق في خميس مشيط، وقد أعتمدت سفلتة مشروعين للطرق العامة، بطول إجمالي قدره (٤٦٩) كيلوا متراً، وبتكلفة إجمالية قدرها (٤٥٧،٣٠٠) مليون ريال. كان المشروع الأول منها: سفلتة طريق (أبها – خميس مشيط – نجران)[١]، والمشروع الثاني طريق (أبها – اثنين بللسمر)[٢]، وفي نفس العام تم تكليف مؤسسة ابن لادن بسفلتة الشارع الرئيس المؤدي إلى المستشفى العام لمدينة خميس مشيط، ومنه إلى الشارع الرئيسي الذي يصل بين خميس مشيط وظهران الجنوب، ويبلغ طوله حوالي(١٦٠٠) متر[٣]. وفي عام(١٣٩٢-١٣٩٤- ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٢-١٩٧٣-١٩٧٤-١٩٧٥م)، تم إنجاز ثلاثة مشاريع من مشاريع سفلتة الطرق، ورصفها، وإنارتها في مدينة خميس مشيط، **المشروع الأول**: عام (١٣٩٢-١٣٩٣هـ/١٩٧٢/١٩٧٣م)، وبلغت تكلفته النهائية (١،٨٢٧،٥٩٠) مليون ريال، ومساحته(٢٦،١٣٨)كيلو مترا، **والمشروع الثاني**: عام(١٣٩٣/١٣٩٤هـ- ١٩٧٢/١٩٧٣م)، وبلغت تكلفته النهائية(٧،٤٦٣،٤١٨) مليون ريال، ومساحته(١٠٠،٩٤٥) كلم، **والمشروع الثالث**: عام (١٣٩٤/١٣٩٥هـ)، وبلغت تكلفته النهائية (٣،٥٨٣،٧٤١)مليون ريال، ومساحته (٥٢،١٦١) كلم[٤].

اتضح للباحثة مما سبق وجود بدايات متواضعة لتحديث شبكة الطرق وتوسيعها في خميس مشيط، في فترة الثمانينيات من القرن الهجري الماضي، لكن التطور المذهل، والقفزة الهائلة في مجال بناء شبكة الطرق في خميس مشيط، قد ظهرت بوادره منذ أوائل التسعينيات من القرن الهجري الماضي، أي منذ بداية تنفيذ خطط التنمية. وساعد هذا التوسع في شبكة الطرق التي تربط مدينة خميس مشيط، مع مناطق المملكة العربية السعودية، على تطور وسائل الانتقال في المدينة، وكانت وسائل النقل البري التي يستخدمها سكان مدينة خميس مشيط قديما، الحيوانات كالجمال، والحمير لنقل حاجاتهم، والسفر عليها؛ مما يستغرق وقتا طويلا، وجهدا كبيرا، وكانت العربات التي تجرها الحمير منتشرة بكثرة في خميس مشيط عام ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، وهي مسطح من الخشب طوله متران تقريبا، وعرضه متر وأربعون سم، وتحته عجلتان من إطارات السيارات، وارتفاع مسطح الخشب (١٢٠) سم عن الأرض، وفي مقدمته عمودان من

مشيط) من سفلتة، وإعادة تصميم الكبري الذي يقع على وادٍ في خميس مشيط، محفوظة لدى المركز الوطني للوثائق والمحفوظات بالرياض.

(١) طريق (أبها – خميس مشيط – نجران): له أهمية خاصة، حيث يربط مدينتي خميس مشيط، وأحد رفيدة، وعددا من مواقع الاستخدامات الخاصة والإستراتيجية، ويخدم نحو (٣٥٢) ألف نسمة. انظر: الزهراني، التوسع العمراني، ص ١٥٩.

(٢) إمارة منطقة عسير، عسير في عشر سنوات، ص ٣٧.

(٣) جريدة البلاد، الأربعاء (١٥رمضان ١٣٩١هـ/٣نوفمبر١٩٧١م)، السنة (١٢)، العدد (٣٨٦٧) ، ص ٤.

(٤) إمارة منطقة عسير، عسير في عشر سنوات، ص ٣٣.

الخشب، وهما متوازيان في شكل أفقي، ويثبتان على ظهر الحمار، وتتراوح أجرة العربة من ربع ريال إلى نصف ريال، وتصل أحيانا إلى ريال واحد، حسب الحمل والمسافة[١].

في بدايــة الثمانينيات من القرن الهجري الماضي تقريبا، كانت توجد سيارة واحدة في خميس مشيط، وهي (سيارة الفرت)[٢]، وفي التسعينيات من نفس القرن، وتحديدا عام (١٣٩١-١٣٩٢هـ/١٩٧٢-١٩٧٣م)، وُجدت في خميس مشيط سيارات مختلفة الأنواع، مثل: لندروفر، لوارى فورد، مرسيدس(شاحنة)، جيوب أستون، أتو بيس، فلكس واجن[٣]، وكان يقــوم بصيانــة وإصــلاح السيارات بعض الأفــراد أمام منازلهــم، ثم قامت محلات للإصلاح على جانبي الشارع العام، وبعدها معارض السيارات، حتى موقع الإشارة المرورية عند فندق (مير كيور)، الذي يقع أمام مبنى المحافظة الجديد، وكانت المعارض هي منتهى العمــران حينذاك، ثم انتقلت محلات إصلاح السيارات بعد عام ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م تقريبا إلى الصناعيــة القديمة، التي حل محلها الآن المحكمة العامة، وكانت تتراوح أجرة الراكب الواحد في السيارة، من خميس مشيط إلى أبها حينذاك ريالاً واحداً[٤].

ب ـ الاتصالات (البريد – الهاتف):

رأى الملك عبد العزيز أهمية البريد والاتصالات، وضرورة الاستفادة من المخترعات الحديثــة في هذا المجــال؛ لربط مناطق المملكــة المترامية الأطراف؛ التــي تفصل بينها المسافــات الشاسعة، فصدرت أوامره عام (١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م) بإنشاء مديرية الأعمال البريديــة، وكانت مصلحة البرق والبريد والهاتف قبــل عام(١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م)، تدير الأنشطــة البريدية، ثم انتقلت لوزارة المواصلات تحــت مسمى: وكالة وزارة المواصلات للشــؤون السلكيــة واللاسلكيــة والبريديــة، منذ عــام (١٣٩٠هــ/١٩٧٠م)، ومع بداية خطط التنمية السعودية الخمسية، شمل التطور الكبير للبريد مختلف مجالات الخدمة البريديــة بالتوســع كمــاً وكيفــاً، وصــدرت أول ميزانيــة مستقلة للبريــد في شهر رجب عام(١٣٩٢هــ/١٩٧٢م) بعــد إنشــاء المديرية العامة للبريــد، ثم أنشئــت وزارة البرق والبريد والهاتف بناء على الأمر الملكي الصادر بتاريخ (٨-١٠-١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)[٥].

---

(١) ابن معبر، ذكريات عن مدينة خميس مشيط، ص ١٩.

(٢) المقصــود بسيــارة الفــرت: الفورد. مقابلة شخصية مــع العم سعيد بن عبد الله بن سلمــان آل مثيب، من مواليــد (١٣٥٥هـ)، بمزرعته على طريق وادي ابن هشبــل، الساعة الرابعة والنصف عصرا، يوم الأربعاء (٣٠-١٠-١٤٣٥هـ/٢٧-٨-٢٠١٤م).

(٣) جريدة الندوة، الثلاثاء (٢٧ صفر١٣٩٢هـ/١١ابريل١٩٧٢م)، السنة (١٤)، العدد (٤٠٠١)، ص ٤.

(٤) ابن معبر، ذكريات عن مدينة خميس مشيط، ص ٢٠.

(٥) وزارة الاتصالات وتقنية المعلومات، نبذه تاريخية، ص١.

كانت منطقة الجنوب للبريد قبل عام (١٣٩١هـ/١٩٧٠م) جزءًا من منطقة مكة للبرق والبريد والهاتف، وفي شهر شوال (١٣٩١هـ/١٩٧١م) تم تأسيس منطقة عسير للبرق والبريد والهاتف، وفي شهر رجب من عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) تم تأسيس منطقة عسير للبريد بشكل مستقل عن البرق والهاتف[١].

وشملت خدمات البريد في عسير مدينة خميس مشيط، ففي عام (١٣٧٦هـ/١٩٥٧م) تم فتح مكتب بريد فيها، مكون من غرفة واحدة مبنية من الطين في حي قمبر، وكان عدد الموظفين اثنين فقط[٢]، وبالنسبة لمنجزات العمل فهو- منذ افتتاحه وحتى الوقت الحالي- يقوم باستقبال جميع المواد الرسمية، والمسجلة، والعادية، والبريد الممتاز، ثم يقوم بقيدها، وقفلها، وبعثها لمواردها حسب عناوينها، بواسطة النقل الجوي والبري[٣]. وحققت إدارة بريد خميس مشيط نجاحا ملموسا، وقامت بتطوير وزيادة فروعها، وأصبح يتبعها عشرة فروع، أربعة منها تأسست في فترة الدراسة، وهي مكتب بريد وادي ابن هشبل، حيث تم تأسيسه عام (١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)[٤]، وافتتاح مكتب بريد المضة عام (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)[٥]، وفي عام (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) تم افتتاح مكتب بريد مدينة الملك فيصل العسكرية[٦]، وفي نفس العام تم افتتاح مكتب بريد القاعدة الجوية[٧]، أما البقية فتم افتتاحها خارج فترة الدراسة[٨].

---

(١) إمارة منطقة عسير، عسير في عشر سنوات، ص ٤٩.

(٢) كان أول مدير لمكتب البريد بخميس مشيط عام ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م، المدعو/ هليل بن عشق بن عشوان، وفي عام (١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م) تم ترشيح المدعو/ سعيد مصلح القحطاني مديرا للبريد بخميس مشيط، وفي عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) تم فصل إدارة البريد من البرق والهاتف، وأصبحت إدارة مستقلة تابعة لبريد عسير، التابع للمديرية العامة للبريد بالرياض، وقد تم ترشيح المدعو/ غرم بن سعيد الشهراني، وكان يتم جلب العمل وتوزيعه بواسطة (سيكل ودباب). انظر: وثيقة رقم (١٦٦٥)، بتاريخ (٢٦- ١١-١٤٣٠هـ/١٤-١١-٢٠٠٩م)، خطاب مدير بريد خميس مشيط لمحافظ خميس مشيط، إشارة إلى تعميمه بشأن طلب توثيق المنجزات، رقم (٢٣١٩٤) بتاريخ (٧-١١-١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، يفيد بمعلومات عن البريد بخميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

(٣) وثيقة رقم (١٦٦٥)، بتاريخ (٢٦-١١-١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، تفيد بمعلومات عن البريد بخميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

(٤) أول من تولى رئاسة بريد وادي ابن هشبل المدعو/ فالح بن محماس القحطاني. انظر: وثيقة رقم (١٦٦٥)، بتاريخ(٢٦/١١- ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، تفيد بمعلومات عن البريد بخميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

(٥) أول من تولى رئاسة بريد المضة المدعو/محمد بن هادي المسردي. انظر: وثيقة رقم(١٦٦٥)، بتاريخ(٢٦-١١-١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، تفيد بمعلومات عن البريد بخميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

(٦) أول من تولى رئاسة بريد مدينة الملك فيصل العسكرية المدعو/ سعد حلاص القحطاني. انظر: وثيقة رقم (١٦٦٥)، بتاريخ (٢٦- ١١- ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، تفيد بمعلومات عن البريد بخميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

(٧) أول من تولى رئاسة بريد القاعدة الجوية المدعو/محمد لاحق القحطاني. انظر: وثيقة رقم(١٦٦٥)، بتاريخ ٢٦/١١/١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، تفيد بمعلومات عن البريد بخميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

(٨) مكتب بريد تندحة، تم افتتاحه عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، وتولى رئاسته المدعو/عبد الله بن علي بن مرعي الشهراني. مكتب بريد خيبر الجنوب تم افتتاحه عام(١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، وتولى رئاسته المدعو/فالح

مـرت الخدمـة الهاتفيـة بمنطقـة الجنـوب بطفـرات عـدة، كان الهـدف منهـا تحسـين الخدمـة الهاتفية على أحـدث النظم العالميـة، وربط مدن عسـير بباقي مدن المملكـة العربيـة السعوديـة، والعالم الخارجـي، وبدأت الخدمـة الهاتفيـة بمدينة أبها في عـام (١٣٧٣هـ/١٩٥٤م)، بسنترال يـدوي سعة (٥٠) خطـا، إلى (١٠٠) خط، ثم وصلـت إلى (٣٠٠) خط عـام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) بشبكة هوائيـة[١]. لم تصل الخدمة الهاتفيـة إلى مدينـة خميس مشيـط، إلا في التسعينيـات من القرن الهجـري الماضي، ففي عـام (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) تم إنشاء خمسة عشر مركـزا للهاتف في المملكة العربية السعوديـة، منها مركز هاتف في مدينة خميس مشيط،وبلغـت تكلفة المشروع الإجمالية (١٠٠،٠٠٠،٠٠) مليـون ريـال[٢].وفي عام (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) وقعـت وزارة المواصلات عقـدا مع شركة (نوركونسلـت) (Norconsult)[٣] الاستشارية، وذلـك للقيام بإجراء الدراسة اللازمة لإنشاء شبكة للهاتف الآلي في مدينة خميس مشيط بمنطقة عسير، مع تصميـم كيبل التصميم بين مدينتي خميس مشيط وأبها، ونص العقد على أن تتم هذه الدراسـة خلال ثلاثة أشهر من توقيعه، ثم يبـدأ التنفيذ مباشرة على ضوء المخططات والمواصفـات التي ستعد لهذا الغرض، ومن الجديـر بالذكر أنه سبق توقيع عقد مماثل مع نفس الشركة، لإجراء التخطيط اللازم لشبكة هاتف أبها[٤].

في عـام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) تمـت موافقـة مجلس الـوزراء علـى طلـب وزارة المواصـلات إنشاء مبنـى للهاتف الآلي في خميس مشيط، فقـد رفعت وزارة المواصلات خطابـاً لمجلس الوزراء، يتضمن رغبتها في إنشاء مبنى للهاتف الآلي في خميس مشيط، وأنهـا ترجـو الموافقة على التعاقد مع شركـة بيتا السعودية، التـي كانت تقوم- في ذلك الوقت- بتنفيذ عدد من مباني الهاتف الآلي بالمملكة العربية السعودية، من بينها مبنى الهاتـف الآلي في أبها، وأبدت الشركة استعدادها للقيام بتشييد المبنى، وشكلت الوزارة

سيـاف. مكتب بريد الرونة تم افتتاحه عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، وتولى رئاسته/مبارك ناصر آل عكوش. مكتـب بريـد شرق خميس مشيط، وتم افتتاحـه عام (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، وتـولى رئاسته/ عبد الله سعد سعيـد الشهراني.انظـر: وثيقة رقم (١٦٦٥)، بتاريـخ (٢٦-١١-١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، تفيد بمعلومات عن البريد بخميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

(١) إمارة منطقة عسير، عسير في عشر سنوات، ص ٥٢.

(٢) عبـد الستار، السيد، برنامج تطور المواصلات السلكية واللاسلكية بالمملكة العربية السعودية للفترة ما بين (١٣٨٦-١٣٩٠هـ/ ١٩٦٦-١٩٧١م)، الرياض، وزارة المواصلات، ب.ت، ص ٢.

(٣) هـي شركـة عالميـة رائـدة في مجـال الاستشـارات، وتتمتـع بخبـرة واسعـة في القطاعـات الصناعيـة النرويجيـة للاتصـالات وتقنية المعلومـات، وتقدم الاستشـارات التقنية واستشـارات الأعمال في أكثر من (٥٠) دولـة حـول العالم، لها فـرع في المكة العربية السعوديـة في مدينة الرياض انظـر: اتصال هاتفي أجرتـه الباحثـة لشركـة نوركونسلـت في مدينـة الرياض، علـى طريق الملك عبـد العزيـز الفرعي، يوم الأحد، بتاريخ (٥-٨-١٤٣٥هـ/٢٤-٥-٢٠١٥م).

(٤) جريدة الندوة، الاثنين (٢٩ جمادى الأولى١٣٩٢هـ،١٠يوليو١٩٧٢م)، السنة (١٤)، العدد (٤٠٦٨)، ص ٧.

لجنة فنية للتفاوض مع شركة بيتا، والاتفاق معها على سعر نهائي لهذه العملية، وتم بالفعل التفاوض على سعر كل بند على حدة، حيث بلغت تكلفة تنفيذ المبنى الإجمالية (٧،٦٧٤،١٠٨) ريال، ويمثل هذا السعر نصف السعر الذي عرضته شركة (لينج) لتنفيذ هذا العمل، بمبلغ وقدره (١٣،١٤٩،٧٠١) ريال، وعلى هذا تمت الموافقة على طلب وزارة المواصلات بالتعاقد مع شركة (بيتا) على إنشاء مبنى للهاتف الآلي في خميس مشيط بطريق الشراء المباشر، وفقا لسعرها البالغ قدره (٧،٦٧٤،١٠٨) ريال، مع إعطاء الوزارة صلاحية الزيادة والنقص في حدود (٢٠٪) [١].

٤. المياه والكهرباء:

أ- المياه:

تعد المياه عنصرا أساسيا للحياة البشرية في مختلف المناطق، وخاصة في المملكة العربية السعودية، التي تعرف بقلة المياه؛ بسبب طبيعة مناخها الجاف، وافتقارها للمجاري المائية الدائمة، ومسطحات المياه العذبة مثل البحيرات. وتعد منطقة عسير من بين أكثر مناطق المملكة حاجة لمشاريع مياه الشرب، رغم أنها أكثر المناطق ثراء بموارد المياه السطحية؛ وذلك بسبب تباين مناسيب تضاريسها، وعدم وجود تشكيلات من المياه الجوفية، تشجع حفر الآبار في كثير من قراها[٢]. والمياه السطحية أهم موارد المياه في منطقة عسير، وتضم مياه الأمطار والسيول التي تتشكل نتيجة لسقوطها، كما تعد منطقة عسير -كما ذكرت آنفا- من أكثر أقاليم المملكة العربية السعودية غنى بموارد المياه السطحية؛ بسبب غزارة أمطارها، وضمها العديد من الأودية التي تتجمع فيها مياه الأمطار[٣]، والأمطار المغذي الرئيسي لمصادر المياه في مدينة خميس مشيط، ويرجع ذلك نتيجة لتفاعل عامل الموقع الجغرافي مع الخصائص الطبيعية للإقليم، من ناحية تضاريس الأرض، والارتفاع عن سطح البحر؛ وبذلك تتباين كميات وأوقات هطول الأمطار في خميس مشيط، ويمثل سقوط الأمطار أهمية كبرى، حيث إنه المصدر الأساسي لتغذية مياه الآبار، كما تروى منه الأراضي الزراعية، وعليه تقوم الحياة[٤].

يخترق مدينة خميس مشيط العديد من الأودية التي تتجمع فيها مياه الأمطار، ولعل من أهمها:

١- وادي بيشة: يعد من أكبر الأودية في منطقة عسير وأهمها؛ لكثرة روافده والأودية

---

(١) وثيقة رقم (١٢١٦)، تاريخ (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، تتضمن موافقة مجلس الوزراء على طلب وزارة المواصلات التعاقد مع شركة (بيتا) على إنشاء مبنى للهاتف الآلي في خميس مشيط بطريق الشراء المباشر، محفوظة لدى المركز الوطني للوثائق والمحفوظات.

(٢) الزهراني، التوسع العمراني، ص ١٦٧.

(٣) الزهراني، التوسع العمراني، ص ١٦٧.

(٤) القاضي، الأنشطة الاقتصادية، ٥٧.

التي تصب فيه، حيث يبلغ طوله حوالي(٥٠٠) كم، ابتداء من أحد رفيدة جنوبا، حتى مدينة بيشة شمالا، وأغلب روافد وادي بيشة العليا تنحدر من جبال سراة عسير، ومن روافده العليا وادي أبها الذي يمر بمدينة خميس مشيط، كما يعد الوادي من أهم الأودية التي تمر داخل المدينة؛ وذلك بسبب امتداده الطويل الذي يشغل نحو (٣٣،٥) كم داخلها، ويبدأ من جبال عسير، ويتجه شمالا مارا بخميس مشيط، ويستقبل أهم روافده المنحدرة إليه من عسير، ثم يحول مساره جهة الشمال الشرقي[١].

٢- **وادي عتود**[٢]: يبلغ طوله داخل منطقة عسير نحو(٥٥) كم، يبدأ من جبال السراة، ويتجه شمالا، إلى أن يلتقي بوادي بيشة عند الجزء الشمالي من حي الجزيرة، الذي يمثل نقطة التقاء الواديين، لكنه يختلف في اتجاه سيره عن وادي بيشة، حيث يتجه نحو الجهة الجنوبية الغربية للمدينة، وينتهي عند حدودها الجنوبية، ويأتي وادي عتود في المرتبة الثانية بعد وادي بيشة من حيث الطول، ويبلغ طوله نحو (١٤،٤)كم داخل المدينة[٣].

حرصت بلدية خميس مشيط على تفادي حدوث مشكلات بيئية أو صحية، جراء تجمع مياه الأمطار، وبقائها دون تصريف في الشوارع أو في الطرق؛ وكان نتيجة ذلك صدور أمر ملكي بتاريخ (١٠-٣-١٣٩١هـ/ ١٩٧١م) بالتعاقد مع الشركة الاستشارية السعودية (واطسن العربية السعودية) للقيام بالإشراف على تنفيذ مشاريع المجاري، وتصريف مياه الأمطار في مدينة خميس مشيط، وفي مدينتي أبها وجيزان[٤].

أدى وجود بعض الأودية في مدينة خميس مشيط إلى توفير المياه الجوفية نسبيا في المدينة[٥]، ومن المعروف أن منطقة عسير منطقة فقيرة بالتشكيلات المائية الجوفية العميقة؛ بسبب وقوعها في النطاق الفاصل بين الحوض المائي الداخلي لشبه الجزيرة العربية، والحوض المائي للبحر الأحمر[٦]، إلا أن هناك موارد مائية جوفية قليلة، في سهول الترسبات الفيضية الضيقة في بطون الأودية، في الأطراف الغربية لمنطقة عسير، والتي تفضي إلى البحر الأحمر، مثل وادي عتود بخميس مشيط، وتتوافر كذلك موارد مائية جوفية محدودة في الترسبات الفيضية في حوض وادي بيشة، في الجزء الشرقي من المنطقة، يبلغ عمقها ما بين (٦ – ١٨م)، إلا أنه لا يمكن الاعتماد عليها كثيرا؛ بسبب ضعف معدل تغذيتها وتجددها، ويزداد هذا في حالة تدني معدلات الأمطار أو

(١) القاضي، الأنشطة الاقتصادية، ٥٧.

(٢) في عام١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، أنشئ سد وادي عتود في جنوب خميس مشيط، وطوله (٣٤٠) مترا، وارتفاعه(٢٢) مترا، وسعته التخزينية (٦،٤٠٠،٠٠٠) متر مكعب. انظر: ابن معبر، ذكريات عن مدينة خميس مشيط، ص ٣٩.

(٣) القاضي، الأنشطة الاقتصادية، ص ٥٧.

(٤) وثيقة رقم (٢٦٧)، بتاريخ (١٠-٣-١٣٩١هـ/٦-٥-١٩٧١م)، تتضمن الموافقة على تنفيذ مشاريع المجاري، وتصريف مياه الأمطار بمدينة خميس مشيط، محفوظة لدى معهد الإدارة بالرياض.

(٥) ابن معبر، خميس مشيط، ص ١٥.

(٦) الزهراني، التوسع العمراني، ص ١٦٨.

ندرتهـا لفترة طويلة؛ مما يعرضها للنضوب والجفاف[١]. واستفاد سكان مدينة خميس مشيط بحفر أعداد كبيرة من الآبار السطحية أو الضحلة بالطرق اليدوية، التي تتراوح أعماقها بين (١٠و٣٠) مترا في المواقع المناسبة، وغالبيتها بالقرب من مجاري الأودية[٢].

ب ـ الكهرباء:

قبل حوالي خمسين سنة لم تكن مدن المنطقة الجنوبية وقراها - ومن ضمنها خميس مشيـط- تنعم بالخدمة الكهربائية، حيـث كان الأهالـي يعتمدون على وسائل بدائية في مجال الإضاءة والتدفئة، وغير ذلك من أوجه استخدامات الكهرباء[٣].

كان أهالي مدينة خميس مشيط يستخدمون في الإضاءة أعواد حطب شجر الضرم، ثم السراج، ثم أدخـل الفانوس، واستخدم بعد ذلك الميسورون (القمرية، والفانوس)، ثم الإتريـك، ويعد في ذلك الوقت مـن الاختراعات العجيبة[٤]. واستمر الحال على ذلك حتى عـام (١٣٦٥هـ/١٩٤٥م)، حيث قام بعض الميسورين في مدينة خميس مشيط بإحضار بعض مولدات صغيرة، تستخدم لفترات محدودة ومتقطعة، وفي عام(١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م) بدأت الخدمة الكهربائية بالظهور في مدينة أبها بصورة مبسطة، دون أن تصل لما يجاورها مـن القرى، ثم في عام(١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) بدأ إطلاق التيـار الكهربائي في مدينة نجران علـى نطاق ضيق جدا، ثم بدأت تظهر الجمعيـات التعاونية، وشركات الكهرباء الصغيرة، بعـد إنشاء مصلحة الخدمات الكهربائية، مستفيدة مـن الدعم الذي بدأت الدولة تقدمه لـكل من يقدم على تأسيـس شركة لتوليد الطاقة الكهربائية، كمـا قامت جمعيات تعاونية وشركات كهرباء مساهمة في كل من عسير، والباحة، ونجران، وبيشة، وجازان، وتهامة[٥].

ظـل أهـالي محافظـة خميس مشيـط يستخدمـون مولـدات الكهربـاء الصغيرة حتى عام(١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)، ثم صدرت الموافقة بمرسوم ملكي بتاريخ (١٧-٥-١٣٩١هـ/ ١٩٧٠م) بتأسيس شركة للكهرباء في مدينة خميس مشيط[٦] برأس مال وقدره (١٢٥٠٠٠) ريال[٧]،

---

(١) الزهراني، التوسع العمراني، ص ١٦٨.

(٢) الزهراني، التوسع العمراني، ص ١٦٨.

(٣) وزارة الميـاه والكهرباء، تطور الكهرباء خلال مئة عام (١٣١٩/١٤١٩هـ-١٩٠١م/١٩٩٨م)، طبع بمناسبة مرور مئة عام على توحيد المملكة العربية السعودية، ص ٧١.

(٤) مقابلة شخصية مع العم سالم مسفر علي الدوسري، من مواليد خميس مشيط عام ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م، يوم الخميس ١-١١- ١٤٣٥هـ /٢٠١٤م، بمنزله بحي الهميلة.

(٥) وزارة المياه والكهرباء، تطور الكهرباء، ص ٧١.

(٦) صحيفة أم القرى، (٣٠ جمادى الأولى١٣٩١هـ/٢٣يوليو١٩٧١م)، السنة ٤٨، العدد (٢٣٨١)، ص ٤.

(٧) قامـت هذه الشركـة بفضل بعض جهود بعض رجال الأعمال ومساهمتهم فيهـا، ومنهم: علي بن سعيد بن مشيط، وعبد العزيز بن سعيد بن مشيط، ومحمد بن عبد الله أبو ملحة، وناصر بن محمد بن ثابت، وسالم بن حمود الغامدي، وسفر بن عبد الله بن برقان. انظر: وزارة المياه والكهرباء، تطور الكهرباء، ص ٧٩.

وتقدم مؤسسو شركة كهرباء خميس مشيط وضواحيها (شركة مساهمة تحت التأسيس) في (١٤-٥-١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) بطلب موافقة للترخيص بتأسيسها، بموجب نظام الشركات، لأن شركة المساهمة لا يمكن تأسيسها إلا بترخيص يصدر به مرسوم ملكي[١]، وتمت الموافقة على تأسيس شركة مساهمة في مدينة خميس مشيط باسم: (شركة كهرباء خميس مشيط وضواحيها)، مع منح الشركة حق امتياز توليد، وتوزيع، وبيع التيار الكهربائي في مدينة خميس مشيط وضواحيها[٢].

بدأ أول إنتاج للطاقة الكهربائية في مدينة خميس مشيط مع مطلع شهر ربيع الثاني من عام (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، بقدرة فعلية مقدارها (١٨٠٠ك.و)، وتخدم (٢٧١٩) مشتركًا، وقد بدأت الشركة منذ عام (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م) بإنشاء شبكات الضغط العالي، وشبكات الضغط المنخفض، وفي العام نفسه قامت الشركة بشراء أربعة مولدات كهربائية، حصلت عليها من شركة (هوكثيف)[٣]، ومع بداية عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) بدأت الشركة في استقبال طلبات المشتركين لإيصال التيار الكهربائي، حيث تم إيصال التيار الكهربائي إلى أول مشترك بتاريخ (١٣٩٣/٢/٧هـ-١٩٧٣م)؛ ليتزايد بعد ذلك عدد المشتركين إلى ثلاثة آلاف مشترك[٤] في نهاية عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)[٥].

سابعاً: أثر التنمية على الحياتين الاجتماعية والاقتصادية:

١- أثر التنمية على الحياة الاجتماعيه:

يؤكد ابن خلدون أن التغيير سمة ثابتة من سنن العمران البشري، ولازمة أساسية من لوازمه، ولا يحصل تطور الأفراد، والمجتمعات، والدول إلا به حيث يقول: «إن أحوال

---

(١) وثيقة رقم (٣١٦)، تاريخ (٢٨-٤-١٣٩١هـ/٢٣-٦-١٩٧١م)، خطاب من وزارة التجارة والصناعة لطلب الموافقة من مجلس الوزراء، على تأسيس شركة كهرباء خميس مشيط وضواحيها، محفوظة لدى المركز الوطني للوثائق والمحفوظات بالرياض.

(٢) وثيقة رقم (م/١٦)، بتاريخ (١٧-٥-١٣٩١هـ/١١-٧-١٩٧١م)، تتضمن أمرًا ملكيا بالموافقة على تأسيس شركة للكهرباء في مدينة خميس مشيط وضواحيها، محفوظة لدى المركز الوطني للوثائق والمحفوظات بالرياض.

(٣) شركة (هوكثيف) هي أكبر شركة بناء ألمانية، كُلفت بإنشاء مدينة الملك فيصل العسكرية. انظر: وزارة المياه والكهرباء، تطور الكهرباء، ص ٧٩؛ ابن مشيط، الشيخ سعيد، ص ٢٠٥.

(٤) نظرا لاتساع النهضة العمرانية والصناعية بمدينة خميس مشيط، بشكل تجاوز كل التوقعات، قامت الشركة بإنشاء محطة جديدة، مجهزة بمولدات حديثة ذات قدرات أكبر، وقام بافتتاح تلك المحطة الأمير خالد الفيصل- أمير منطقة عسير- بتاريخ (٦/٤/ ١٣٩٨هـ -١٩٧٨م)، وبناءً على ذلك؛ زاد عدد المشتركين، حتى بلغ مع نهاية عام (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) أكثر من سبعة آلاف مشترك، واستمرت شركة كهرباء خميس مشيط بإمداد المشتركين بالكهرباء، إلى أن تم دمجها في مشروع كهرباء عسير في (١٤٠١/١/١هـ-١٩٨١م). انظر: وزارة المياه والكهرباء، تطور الكهرباء، ص ٧٩.

(٥) وزارة المياه والكهرباء، تطور الكهرباء، ص ٧٩.

العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم، لا تدوم على وتيرة واحدة، ومنهاج مستقر، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة، وانتقال من حال إلى حال، وكما يكون ذلك في الأشخاص، والأوقات، والأمصار، فكذلك يقع في الآفاق، والأقطار، والأزمنة، والدول»[١]. وهناك عدة عوامل أدت إلى التغيير الاجتماعي في مدينة خميس مشيط، ومن هذه العوامل: العامل السكاني، فهناك ارتباط بين حجم السكان، والتغييرات الاجتماعية، فقد كانت مساحة مدينة خميس مشيط في تزايد مستمر، وفي نمو مطرد، حيث تقدر مساحتها حاليا بحوالي (٣٠٠كم٢)، وتمتد المدينة حاليا من الجنوب إلى الشمال بطول حوالي(٢٥) كم تقريبا، ومن حدود قاعدة الملك خالد في الشرق، إلى حدود مركز مدينة سلطان في الغرب، بطول حوالي(٢٠)كم تقريبا، وفي المقابل أصبحت مدينة خميس مشيط الأولى في المنطقة الجنوبية من حيث الكثافة السكانية[٢]، واحتلت المرتبة الحادية عشرة من بين المدن السعودية في عام (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) من حيث عدد السكان، إذ بلغ عدد سكانها آنذاك (٣٨١٩٧) نسمة تقريبًا، وكان لا يتجاوز عدد سكانها في الثمانينيات من القرن الهجري الماضي (٢٠،٠٠٠) نسمة، ثم تضاعف عدد سكان مدينة خميس مشيط عدة مرات خلال فترة وجيزة؛ ليبلغ عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) حوالي(٦٥،٠٠٠) نسمة تقريبا[٣]، وبلغ عدد السكان(٢١٧،٨٧٠) نسمة تقريبا في عام (١٤١٢هـ/١٩٩٢م)؛ لتصبح في المرتبة الحادية عشرة على المدن السعودية، أما على منطقة عسير، فاحتلت المرتبة الأولى دون منازع؛ إذ بلغ عدد سكانها حوالي ضعف مدينة أبها عاصمة المنطقة، التي جاءت في المرتبة الثانية[٤]، أما في الوقت الحالي فقد بلغ عدد سكان محافظة خميس مشيط- حسب تعداد عام(١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م) - (٢٢٤٧٠٨) نسمة تقريبًا[٥].

مدينة خميس مشيط في الوقت الحاضر من المدن الرئيسية في المملكة العربية السعودية، ومن أكبر التجمعات العمرانية بمنطقة عسير، بل في جنوب غرب المملكة، ولها أهميتها الكبرى؛ لتبوئها المركز التجاري والصناعي الأول في المنطقة، والرابع على مستوى المملكة[٦]. وهناك عوامل لها أكبر الأثر في تنظيم الحياة الاجتماعية، فقد أدت دورا فعالا في التغيير، حيث أظهرت الدولة اهتماما كبيرا نحو بناء ونشر مختلف مؤسسات المجتمع في المملكة العربية

---

(١) زريقات، مراد بن علي، التغيير الاجتماعي عند ابن خلدون، ورقة عمل مقدمة لندوة ابن خلدون التي تعقدها الجمعية السعودية لعلم الاجتماع، الرياض (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ص ١.

(٢) الخثعمي، خميس مشيط، ص ٢٩.

(٣) وزارة الشؤون البلدية والقروية، التصميم الحضري للمنطقة المركزية لمدينة خميس مشيط، الوضع الراهن، وكالة الوزارة لتخطيط المدن، (١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ص ٤.

(٤) النحاس، الاستخدامات التجارية، ص ص ١١-١٣.

(٥) وزارة الاقتصاد والتخطيط، مصلحة الإحصاءات العامة والمعلومات، تقديرات السكان في منتصف العام للمناطق الإدارية والمحافظات (١٤٣١ـ١٤٣٢هـ/١٤٤٦ـ١٤٤٧هـ)، الموافق (٢٠١٠- ٢٠٢٥م)، ص٢٠.

(٦) النحاس، الاستخدامات التجارية، ص١٢.

السعوديــة؛ فأنشأت بضع مؤسســات اجتماعية، وثقافية، ورياضيــة في مدينة خميس مشيط، وبدأت المحاولات الأولى في التخطيط تأخذ شكل برامج تنموية بسيطة ومحدودة، منذ منتصف الثمانينيات من القرن الهجري الماضي تقريبا، حيث تأسس مركز التنمية الاجتماعية بخميس مشيط، وتم تسلم مبنى المركز عام (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) من مدير التربية الاجتماعية بالمنطقة الغربية[١]، ويعمل معه لجنــة التنمية الأهلية بالمركز الاجتماعي، وتولى رئاسته الأستاذ/ عبد العزيــز بــن مشيط حتى عام (١٣٩٦هــ/١٩٧٦م). وتقوم هــذه المراكز علــى أساس مشاركة الأهــالي في تلمس احتياجاتهم، ومساعدتهم ماديــا ومعنويا وبشريا في تنفيذ مختلف البرامج التنمويــة الاجتماعية، والثقافية، والتدريبية، والترفيهيــة، والرياضية، والصحية، والزراعية، والبيئية التي تساهم في سد احتياجات المجتمع المحلي، وتنمية وتحقيق أمنه وسلامته[٢].

تأسست في عام (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) إدارة الجمعيات التعاونية بموجب نظام التعاون، كإحدى إدارات وزارة الشؤون الاجتماعية، بوكالة الوزارة والتنمية الاجتماعية، وتطورت حتــى أصبحت إدارة عامة، وكان من أبرز أهدافها: توجيه الحركة التعاونية في المملكة، والإشــراف على العمل التعــاوني عن طريقها مباشرة، والمساعــدة في تكوين الجمعيات التعاونيــة، ومراقبة سير أعمالها، والتأكد من حسن تطبيقهــا للنظام واللوائح، وإتاحة الفرصــة للجمعيات التعاونية لأداء دورها بشكل فعــال في قطاعات التنمية الاقتصادية والاجتماعيــة، وتنمية المجتمعات المحلية عن طريق تشجيــع استثمار المدخرات تعاونيا، لتحقيــق نتائــج لصالح أفــراد المجتمــع[٣]. بدأ التفكيــر في تأسيس جمعيــة تعاونية في خميــس مشيــط منذ عــام (١٣٨٤هــ/١٩٦٤م)[٤]، وفي تلك السنة تم جمــع مبلغ قليل، لكنهــم لم يتمكنوا من السير في العمــل، وأودع المبلغ في البنك الأهلي التجاري، وفي عام (١٣٨٥هــ/١٩٦٥م) عاودوا الفكرة في إنشاء جمعيــة تعاونية في خميس مشيط، وبلغت قيمــة الأسهم المدفوعة خلال هــذا العام (٢١٠٥٠) ريال، وبدأت الجمعية عملها بشراء بعضــ الحاجيات البسيطة، وقد أخــذ المساهمون يزدادون شيئــا فشيئا، حتى أصبحت قيمة الأسهم المدفوعة عام (١٣٨٧/١٣٨٨ هـ - ١٩٦٧/١٩٦٨م) (٤٣٣٠٠) ريال[٥].

سُجلــت الجمعيــة التعاونية في خميــس مشيط رسميا لــدى وزارة العمــل والشؤون الاجتماعيــة في (١٧/٣/ ١٣٨٦هــ/١٩٦٦م)، باســم: جمعية خميس مشيــط التعاونية

---

(١) جريدة عكاظ، الإثنين (٥ ربيع الثاني ١٣٨٥هـ/٢ أغسطس١٩٦٥م)، العدد (٢٣٧)، ص ٤.

(٢) ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص ١٨٨.

(٣) جريدة عكاظ، الأحد (٣٠ربيع الأول ١٣٨٩هـ/١٥يونيو١٩٦٩م)، العدد (١٣٩٣)، ص ٥.

(٤) مقابلــة مــع الأستــاذ/ عبــد العزيــز بــن سعيــد بــن مشيــط، يــوم الإثنــين، بتاريــخ (١/١/١٤٣٥هــ- ٤/١١/٢٠١٣م)، بمنزله بخميس مشيط.

(٥) جريدة عكاظ، الأحد (٣٠ ربيع الأول ١٣٨٩هـ/١٥يونيو١٩٦٩م)، العدد (١٣٩٣)، ص ٥.

متعددة الأغراض[١]، ويعني ذلك أن الجمعية لا تقتصر في بيعها وشرائها على حاجة واحدة معينة، إنما تتعامل بكل شيء تراه مناسبا في خدمة المدينة. ولهذه الجمعية مجلس إدارة[٢]، يقوم بالنظر والبحث في كل أمر تتطلبه الجمعية دون تأخير، بالإضافة إلى استقبال المعاملات، والرد عليها، والسعي في الحصول على امتيازات للجمعية لبعض مشترياتها، كما يقوم بدراسة مشروعات الجمعية، والعمل على تنفيذها، كذلك الإشراف على مشتريات الجمعية ومبيعاتها، وعمل لائحة أسعار المبيعات بأسعار أقل من سعر السوق. ويتفرع من مجلس إدارة الجمعية عدة لجان: لجنة متجر ويشرف عليها نائب الرئيس، ولجنة المشتريات، ويشرف عليها رئيس إدارة الجمعية ونائب الرئيس، ولجنة المبيعات والإشراف على البائع والأسعار، ويشرف عليها رئيس إدارة الجمعية، وأمين صندوق الجمعية والسكرتير[٣].

حققت الجمعية بعضا من أهدافها، واستطاعت خلال عام (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) أن تقوم ببناء متجر على حسابها، بعد أن كانت تستأجر محلا لبيع مشترياتها، كما أنها قامت بتأمين البذور الزراعية، والإسمنت الأسود والأبيض، وبعض المواد التموينية للمواطنين، كما قامت الجمعية بالاتصال بالبنك الزراعي بأبها؛ لتأمين شراء سيارة (مرسيدس) نقل؛ لتبتعد عن تكاليف الأجور الباهظة التي تقوم بدفعها لأصحاب السيارات مقابل نقل مشترياتها، وقامت بالاتصال ببعض الجهات المسؤولة حول تأمين الغاز بسعر أقل لمساهميها، واجتمعت بالمسؤولين لدى مركز التنمية الاجتماعية بخميس مشيط لفتح دار حضانة للأطفال[٤].

قامت الجمعية التعاونية بخميس مشيط بمساهمة جليلة في ميدان الخدمات الاجتماعية، وذلك باشتراكها في أسبوع النظافة العامة الذي أقيم في مدينة خميس مشيط عام (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)، فقدمت معونة تقدر بـ (٧٠٠) ريال للحملة، وقامت بشراء جوائز ثمينة، وتوزيعها على المدارس المشتركة بالحملة؛ من أجل تحقيق مخرجات تعليمية أفضل، من خلال توفير البيئة الصحية السليمة[٥]. ارتفع عدد المساهمين في الجمعية التعاونية خلال عام (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) عن العام الذي قبله، وانضم إلى

(١) جريدة عكاظ، الأحد (٣٠ ربيع الأول ١٣٨٩هـ/١٥يونيو١٩٦٩م)، العدد (١٣٩٣)، ص ٥.

(٢) يتكون مجلس الإدارة من أربعة أعضاء هم: الرئيس، وهو الأستاذ عبد العزيز بن سعيد بن مشيط، ونائب الرئيس، الأستاذ سعد بن محمد بن مبطي، وسكرتير، محمد بن سعد بن عبد الرحمن، وأمين صندوق، عبد الله بن محمد بن برقان.

(٣) جريدة عكاظ، الأحد (٣٠ربيع الأول ١٣٨٩هـ/١٥يونيو١٩٦٩م)، العدد(١٣٩٣)، ص ٥.

(٤) مقابلة مع الأستاذ/ عبد العزيز بن سعيد بن مشيط، يوم الإثنين، بتاريخ(١٤٣٥/١/١هـ-٢٠١٣/١١/٤م)، بمنزله بخميس مشيط.

(٥) جريدة عكاظ، الأحد (٣٠ ربيع الأول ١٣٨٩هـ/١٥يونيو١٩٦٩م)، العدد (١٣٩٣)، ص ٥.

الجمعية (٦٣) عضواً جديدًا، ومن المتوقع أن تزداد في السنوات التي تليها نظرا لتسهيل المشتريات أمام كل مساهم[١]. وتجد الباحثة أن أبرز الأهداف التي تسعى الجمعية التعاونية متعددة الأغراض في خميس مشيط في تحقيقها: توفير احتياجات الأهالي من المواد الغذائية والاستهلاكية، نشر الثقافة التعاونية بوسائل الاتصال المختلفة، تقديم الإرشاد، والتوجيه، والتدريب، والخدمات المساندة، وتوفير المستلزمات الزراعية، وتسويق منتجات المزارعين.

تأسس نادي ضمك الاجتماعي الثقافي الرياضي في خميس مشيط عام (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)، ويهدف إلى تنظيم ورعاية الأنشطة الاجتماعية، والثقافية، والعلمية، والتربوية، والرياضية، ويعد من أبرز الأندية السعودية في ألعاب القوى حاليا، تحت إشراف مركز التنمية الاجتماعية بخميس مشيط، وتسميته من جبل ضمك الذي يقع جنوب المدينة، وتولى رئاسته الأستاذ عبد العزيز بن مشيط[٢]، واصبح النادي رسميا ضمن أندية المملكة العربية السعودية في (١٣٩٢/٧/٧هـ/١٩٧٢م)، وبلغ عدد اللاعبين المسجلين بنادي ضمك خلال عام(١٣٩٢-١٣٩٣هـ/١٩٧٢-١٩٧٣م) مئتين وثلاثة وخمسين لاعباً، وفي عام (١٣٩٣-١٣٩٤هـ/١٩٧٣-١٩٧٤م) مئتين وخمسة وتسعين لاعبا، وفي عام (١٣٩٤-١٣٩٥هـ/١٩٧٤-١٩٧٥م)ثلاث مئة وثلاثة وخمسين لاعبا[٣].

هناك مؤسسة اجتماعية أخرى أنشئت في مدينة خميس مشيط في فترة الدراسة، كان لها دور فعال في التغيير الاجتماعي: مثل الجمعية الخيرية، حيث تأسست في (١٣٩٣/٩/١٨هـ/ ١٩٧٣م)، وكانت تهدف إلى إقامة حلقات القرآن الكريم للذكور، والإناث، والصغار، والكبار، وصرف المساعدات لذوي الظروف الاجتماعية أو الاقتصادية، مثل الأرامل، والمطلقات، واليتامى، والمعاقين، والمرضى، وأسر السجناء، بالإضافة إلى الاهتمام بتنشئة الأطفال، وذلك بإقامة حضانات لتنشئة الجيل الصغير على الأسس الإسلامية الصحيحة، وأيضا تقديم خدمات اجتماعية لبعض الأسر بالتدريب المهني السنوي، في مجال التفصيل، والخياطة، والحاسب الآلي، والآلات الكاتبة، لتصبح طاقات منتجة، تكفل نفسها بنفسها[٤]. وتحدث الأستاذ عبد الله بن عفتان في كتابه عن المؤسسات الاجتماعية التي أنشئت في خميس مشيط فقال: «

---

(١) مقابلة مع الأستاذ/ عبد العزيز بن سعيد بن مشيط، يوم الإثنين، بتاريخ (١٤٣٥/١/١هـ-٢٠١٣/١١/٤م)، بمنزله بخميس مشيط.

(٢) الرئاسة العامة لرعاية الشباب، مكتب منطقة عسير، تقرير عن رعاية الشباب بمنطقة عسير خلال الفترة من (١٣٩١هـ/١٩٧١م) إلى (١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ص ٢٤.

(٣) الرئاسة العامة لرعاية الشباب، تقرير عن رعاية الشباب، ص ص ٥٤ - ٥٦؛ انظر: ملحق رقم (١٤) بيان إحصائي بأعداد اللاعبين المسجلين بنادي ضمك بالدرجة(شباب، ناشئون، درجة أولى)،خلال الأعوام (١٣٩٢هـ/١٣٩٣هـ/١٣٩٤/١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٢/١٩٧٣/١٩٧٤/١٩٧٥م).

(٤) ابن مشيط، الشيخ سعيد بن مشيط، ص ١٨٨.

مع بداية تأسيس مركز التنمية الاجتماعية بخميس مشيط، كان الأستاذ عبد العزيز بن سعيد بن مشيط أميرا لخميس مشيط، وكان له أياد بيض في التعاون مع الوزارة في أعمال المركز، فكان رئيس لجنة التنمية المحلية، ورئيس مجلس إدارة الجمعية التعاونية، ورئيس مجلس إدارة الجمعية الخيرية بخميس مشيط، وبحكم عملي في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية بالرياض، كنت آتي إلى خميس مشيط في مهمات اجتماعية، تستدعي مشاركته معنا في الاجتماعات واللجان، وفي وزارة العمل والشؤون الاجتماعية يُشار إلى عبد العزيز بن مشيط بالرجل الاجتماعي»[١].

من العوامل التي كان لها الدور الأكبر في التغيير الاجتماعي في مدينة خميس مشيط العامل الديني، ونعلم أن دين الإسلام- بما يحمل من قيم وآداب وسلوكيات حياة متكاملة- له دوره البارز في تأييد أو رفض بعض التغييرات الحديثة في المجتمع، ومن المعروف أن منطقة عسير بصفة عامة وبحكم بعدها عن مراكز الحركة العلمية في مكة والمدينة، لم يكن بها علماء؛ لذلك لم يكن الوضع الديني فيها جيدا؛ وكان الجهل الديني متفشيا بينهم، وبعد تولي الملك عبد العزيز حكم البلاد، بدأ يدير شؤون بلاده على أساس تطبيق الشريعة الإسلامية[٢]، فقام بإرسال الدعاة والوعاظ إلى جميع بلدان المملكة العربية السعودية، وحظيت مدينة خميس مشيط ببعض هؤلاء الوعاظ وكانت هناك لجان من الحسبة تزور قرى خميس مشيط، يحذرون الأهالي من المخالفات التي كانت منتشرة، خاصة ما يتعلق بالسحر والشعوذة، والاختلاط نتيجة انتشار الجهل الديني، ونتج عن ذلك إنشاء هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتم معالجة الظواهر السيئة المنتشرة حينها بالطرق الشرعية النظامية، وكان لوجود القضاة في مدينة خميس مشيط دور في انتشار العدل والإنصاف بين الناس، كل ذلك كان له التأثير في التغيير الاجتماعي في مدينة خميس مشيط[٣].

كان هناك مجهودات كبيرة لتحقيق تقدم ملموس في جميع المجالات في مدينة خميس مشيط، وبخاصة التي لها علاقة بالتغيير الاجتماعي في مجالات التعليم، والصحة، وطرق وسائل الاتصال، وتوفير مياه الشرب، والكهرباء، والصرف الصحي، ففي مجال التعليم مثلا: تمثلت هذه المجهودات في زيادة عدد المدارس، وأنواعها، وعدد الفصول، ومستويات التعليم، وعدد الدارسين في كل مرحلة، ونسبهم في كل عام، وكانت بداية التعليم في خميس مشيط متواضعة؛ حيث بدأت بالكتاتيب والحلقات العلمية، لكن التقدم كان سريعا، وأخذت المدارس وأعداد الطلاب تتضاعف بسرعة، إذ شكلت نسبتهم في السبعينيات الهجرية من القرن الماضي- تحديدا عام (١٣٧٧هـ/١٩٥٨م)- في كل من

---

(١) ابن عفتان، عبد الله بن علي، بنو رزام تاريخ وحضارة، من منشورات نادي أبها الأدبي، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ص ٣٦٩.
(٢) الزركلي، الوجيز، ص ٩٠.
(٣) القحطاني، جهود هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص ٥٢.

المدرسة السعودية ومدرسة ذهبان فقط (١١٪) تقريبا، وزادت النسبة في بداية الثمانينيات فوصلت إلى (٢٠٪)، ودخلت الفتاة المدرسة، وبلغت نسبة الإناث في عام (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) تقريبـا (٦٠٪)، وكان انتشـار التعليم في خميس مشيط إيذانـا بظهور المكتبات مثل مكتبة حسنــون، التي لا تزال في موقعها منـذ سنة (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)، كانــت تبيع بعض الكتب والمجــلات، ثم أصبحت منذ زمن طويل مختصة بالقرطاسية، وتأسست مكتبة الأزهر إلى الجنوب من المسجد الجامع، وهي الآن في الجهة الغربية منه وغيرها[١].

٢. أثر التنمية على الحياة الاقتصادية :

تعـد الأنشطة الاقتصادية إحدى الركائز الأساسيــة للتنمية في أي إقليم، وهي من أهـم مؤشرات التنمية بأبعادها المكانية، والعمرانية، والاجتماعية[٢]. واتسمت الأنشطة الاقتصاديـة في مدينة خميس مشيط بالتباين والتنــوع في ممارساتها، وتعددت أنماط توزيعهـا من مكان إلى آخر، ويرجـع ذلك إلى تأثير عدة عوامـل، منها عوامل طبيعية، وبشريــة، ويمكــن رصد أهم تلـك العوامل، واستنتـاج دور كل منها، وأثــره في الأنشطة الاقتصادية المختلفة في محافظة خميس مشيط[٣].

فالموقـع يعد أحد العوامل الذي كان لــه دور في التغيير الاقتصادي في خميس مشيط، ويقصــد به المكان الذي تقوم فوقه المدينة[٤]، ولعبت سمــات الموضع دورا أساسيا في نشأة مدينــة ثـم محافظة خميس مشيط، وتطورهــا، وازدهارها؛ حيث تقع علــى ارتفاع يتراوح بين (١٧٠٠ــــ٢٢٥٠م) عن مستوى سطح البحر[٥]، عند نقطــة التقاء وادي بيشة بوادي عتود في الشرق، ولما كانت هذه المنطقة تشغل السفوح الشرقية الدنيا للحافات الجبلية الموجودة في هــذا الجزء من مرتفعات عسير، إلى جانب امتدادهــا على طول مجرى وادي بيشة وروافده؛ فهــي تتميز بالاتســاع والاستــواء، واستواء تضاريسهــا نسبيا، ساعد السـكان في مرور طرق القوافل من خلالها، فيما تقتضي الظروف تجنب المناطق الجبلية الوعرة[٦]. كما ساعد هذه الحاضــرة اقتصاديــا، أنها تقع في جنوب منطقة عسير، عند بدايــة السهول الشرقية لجبال الســروات، في منطقة شبــه مستوية إلى الشرق مــن مرتفعات عسير، وقـد استفادت المدينة مــن طبوغرافيــة الأرض السهلية، التي يســرت الوصول إليها، كما سهلـت اتصالها بالمناطق الأخــرى؛ فاختارتها القوافل القديمة لتكون محطة علــى الطرق بين اليمن في الجنوب، ومكة في الشمال، وصارت عقدة مواصلات رئيسية، ولم يقتصر الدور الحضاري لهذه الحاضرة في

---

(١) ابن معبر، ذكريات عن مدينة خميس مشيط، ص ص ٢٢، ٢٣.
(٢) القاضي، الأنشطة الاقتصادية، ص ٤٨.
(٣) القاضي، الأنشطة الاقتصادية، ص ٤٨.
(٤) النحاس، الاستخدامات التجارية، ص ٥.
(٥) آل طالع، قبيلة شهران، ج١، ص ١١٦.
(٦) القاضي، الأنشطة الاقتصادية، ص ٤٩.

الماضـي، بل استمر حتى وقتنا الحاضر، لتصبح ملتقـى لطرق النقل والمواصلات في المنطقة الجنوبية[١]، وتتركز المناطق الجبلية في مدينة خميس مشيط في جنوبها وجنوبها الغربي[٢].

تمتاز بـلاد خميس مشيط بموقـع متوسط، زاد من أهميتها، وعـزز من مركزيتها في بـلاد السـراة وتهامة بشكل عام، وفي منطقة عسير بشـكل خاص، حيث تقع في بؤرة تجميعيـة، تمثل منطقـة إشعاع لشبكة الطـرق الإقليمية والرئيسية التـي تصل الشمال بالجنـوب، والشـرق بالغرب مـرورا بالمدينة، وزادت أهميـة موقعها بعـد إنشاء المطار العسكـري إلى الجنوب منهـا، الذي افتتح في عام (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م)، لتصبح البوابة الرئيسية لعموم السروات من نجران إلى الطائف[٣].

حاضـرة خميس مشيط سهلة الموقع، مع تدرج بسيـط للسطح، حيث تتركز المناطق الجبلية في الجزء الجنوبي من المدينة، ومعظم أراضيها فقرات كنتورية عريضة المساحة، يمكـن اعتبارهـا أراضيَ منبسطة، وإذا كانـت السهول أكثر مظاهـر السطح أهمية من الناحيـة الاقتصاديـةَ، وأكثرها جذبـا للسكان[٤]؛ فـإن سهولة الطبوغرافيـة وانبساط السطـح الـذي اتسمت به هذه البلاد- بحكم موقعها الجغرافي- قد انعكس أثره في نشأة وتركـز الأنشطة الاقتصادية حول الأودية، إلى جانـب ذلك وجود صخور رسوبية، تشكل طبقـة غير متصلة من المـواد الحصوية، والرمليـة، والطينية، تظهر علـى طول امتداد مجـاري الأودية؛ الأمر الذي أدى إلى وجود تربة خصبة، يصل سمكها في بعض الأماكن إلى خمســة أمتار، تحولـت رسوبيات هذه الأودية إلى خزان لميـاه الأمطار والسيول، كما تتسم تربة مدينة خميس مشيط بتباين أنواعها[٥]، وتنوع الترسيبات السطحية[٦].

هيأت هذه الظروف وجود ظهير زراعي متسع نسبيا على طول وادي بيشة وروافده، واعتمـد هذا الظهير في أغلب الأحيان على سحب ميـاه الفيضانات السيلية، من خلال بنـاء قنوات جانبية، يطلق عليها محليـا اسم: (الخلجان)، إلى جانب ذلك تحفر الآبار في القـرى في رديم هـذه الأودية؛ لتستغل في الزراعـة، والشرب، وغيرها من الأغراض،

---

(١) النحاس، الاستخدامات التجارية، ص ص ٧، ٨.

(٢) آل طالع، قبيلة شهران، ج١، ص ١١٦.

(٣) الشريف، جغرافية المملكة العربية السعودية، الرياض، ص ٣١٤.

(٤) القاضي، الأنشطة الاقتصادية، ص ٤٩.

(٥) أهم أنواع التربة الموجودة في مدينة خميس مشيط: (١) تربة طميية صحراوية حديثة، يكثر وجودها حول أوديـة بيشـة، وعتود، وتندحة، وهي تربة جيـدة وملائمة للزراعة؛ لعمقها، وجـودة الصرف بها، واعتدال ملوحتهـا، ووفـرة الرطوبة بها معظم أيـام السنة. (٢) تربة حديثة رملية صحراويـة: تنتشر شرق وشمال شـرق المدينة، قليلة الملوحة، وحركتها دائمة، وقوامها خشن، وينمـو فوقها نباتات ذات جذور عميقة. (٣) تربة الأراضي الجافة: جيدة الصرف وملوحتها متوسطة. انظر: القاضي، الأنشطة الاقتصادية، ص ٥٥.

(٦) النحاس، الاستخدامات التجارية، ص ٦.

كمـا ساعدت خصائص السطح السابقة أن تحتل مدينة خميس مشيط المكانة التجارية الأولى، بدلا من مدينة أبها التي حالت ظروف سطحها دون ذلك[١].

بتوافـر مياه الأودية الصالحة للشرب وللزراعة، عملـت على جذب الاستقرار نحوها، وكانت السبب الرئيسي في نشأة المدينة، وتكوين نواتها، وإرساء قواعد النمو العمراني فيها. ويعد المناخ من أكثر العوامل تأثيرا في الظروف الطبيعية؛ وبالتالي أكثرها تأثيرا على حياة الإنسان، فهـو يؤثر بصفة عامة على النشاط البشري، الـذي يتضمن النشاط الاقتصادي بصـوره المختلفة،ويؤثـر في مستـوى قدرات الإنسان علـى التغلب على الظـروف الطبيعية؛ ويحدد إمكانيات الإنتاج الاقتصادي، ويؤثر في خصائصه الاجتماعية وفي عاداته[٢].

تتسـم مدينة خميس مشيط باعتدال درجات الحرارة فيها، وقلة التقلبات المناخية الموسميـة واليومية، نظرا لوقوعها بين خطي طول (٤٢،٤٥ و٤٣،٢٠) شرقا، وبين خطي عرضـ (١٨،٢٠ و١٩،٧) شمـالا؛ ممـا أدى إلى قلة تعـدد الظواهـر المناخية، من حيث تأثيرها على الأنشطة الاقتصادية في مدينة خميس مشيط[٣].

أمـا الرطوبة والأمطار فتختلف حسب درجـة الحرارة وضغط الهواء، فكلما كان الهواء أدفأ، زادت كمية بخار الماء الذي يحمله، فهذا يعني أن الرطوبة ترتفع في الصيف، وتنخفض نسبيـا في الشتاء، وعلـى أساس توزيع الرطوبة، تتباين كمية الأمطـار الساقطة، التي تعتمد علـى عامـل الارتفاع فوق منسوب سطـح البحر؛ لذلك نجد أن المناطـق الجبلية المرتفعة في الغرب، تكثر عليها الأمطار[٤] طوال السنة، ولا تزيد الحرارة صيفا عن (٣٠) درجة مئوية، أما في الشتاء فتميل إلى البرودة، وتهبط درجة الحرارة إلى خمس درجات مئوية[٥].

والريـاح السّائدة في محافظة خميس مشيط جنوبية غربيـة، إلى غربية، وشمالية شرقيـة جافة في فصل الربيـع، وتسود الرياح الشمالية والشمالية الشرقية خلال فصل الشتاء[٦]. ويؤثر عامل الحرارة في توزيع مظاهر الحياة على سطح الأرض، ويؤثر بشكل مباشر وغير مباشر على أنواع بعض الأنشطة الاقتصادية، ونظرا لارتفاع مستوى سطح حاضـرة خميس مشيط عن سطح البحر؛ فنجد درجات الحرارة منخفضة نسبيا؛ مما أدى إلى موسميـة بعض الأنشطة الاقتصادية، ويتركز بعضها في فصل الصيف، ويتمثل في أنشطة الفنادق والسياحة، وتحتل مدينة خميس مشيط حاليا المركز الأول، من حيث

(١) النحاس، الاستخدامات التجارية، ص ٦.
(٢) القاضي، الأنشطة الاقتصادية، ص ٦٠.
(٣) القاضي، الأنشطة الاقتصادية، ص ٦٠.
(٤) الشريف، مناخ إقليم جنوب غرب المملكة العربية السعودية، ص ص ١٤٩ـ١٥٢.
(٥) الشريف، مناخ إقليم جنوب غرب المملكة العربية السعودية، ص ص ١٤٤ـ١٥٢.
(٦) الشريف، مناخ إقليم جنوب غرب، ص ص ١٣٦ـ ١٣٨.

طاقتها الاستيعابية للفنادق بمنطقة عسير(١)، وقد افتتح أول فندق في مدينة خميس مشيط عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، افتتحه الأمير خالد الفيصل- أمير منطقة عسير حينها- وسمي بـ (الخميس بالاس)(٢)، وبلغت جملة تكاليفه حوالي مليون ريال تقريبا، وتعد هذه الفنادق أحد المصادر المهمة للدخل في منطقة عسير(٣).

وبلاد عسير من أغنى جهات المملكة العربية السعودية بالأمطار، حيث تنال قدرا كبيرا من الأمطار السنوية(٤)، وسقوط الأمطار يمثل أهمية كبرى؛ لإنه المصدر الأساسي لتغذية مياه الآبار فتروي منه الأراضي الزراعية، وعليه تقوم الحياة، ويرجع ذلك نتيجة تفاعل عامل الموقع الجغرافي، مع الخصائص الطبيعية للإقليم من ناحية تضاريس الأرض، والارتفاع عن سطح البحر؛ وبذلك تتباين كميات وأوقات هطول الأمطار في حاضرة خميس مشيط وغيرها من بلاد السروات(٥). الجدير بالذكر أن الأمطار تؤثر بصورة مباشرة وغير مباشرة على الأنشطة الاقتصادية، فتذبذب الأمطار يؤدي إلى تذبذب الإنتاج الزراعي، وينعكس ذلك على ضعف الإنتاج الرعوي؛ وبالتالي تتأثر الحركة التجارية للمحاصيل الزراعية في الأسواق(٦)، وقد انتشرت المزارع في خميس مشيط على ضفاف وادي بيشة، ومن المحاصيل الزراعية التي تنتجها هذه المزارع (القمح، والذرة، والشعير، والفواكه)، وهناك أساليب تستخدم في تخزين الحبوب، حيث كانوا يعملون مدافن للحبوب (الذرة، والشعير)، وهي حفر في الصخر الهش بعض الشيء، ويعملون مغارات تحت الصخر، ويخزنون الحبوب في هذه المدافن، وكان يدور الحول والحبوب نظيفة، لا تسوس ولا تتغير أبدا(٧).

حظيت الزراعة في مدينة خميس مشيط بنصيب وافر من رعاية واهتمام الدولة، ومن مظاهر اهتمام الدولة ورعايتها لهذا القطاع إنشاؤها فرعا للزراعة بخميس مشيط عام (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م)(٨)، بمسمى: مكتب زراعي، يتبع الوحدة الزراعية بأبها، ليتولى

---

(١) القاضي، الأنشطة الاقتصادية، ص ٦٢.

(٢) جريدة عكاظ، السبت ٢١ محرم ١٣٩٣ه/ ٢٤ فبراير ١٩٧٣م، العدد ٢٥١٠، ص ٤.

(٣) جريدة عكاظ، السبت ٢١ محرم ١٣٩٣ه/ ٢٤ فبراير ١٩٧٣م، العدد ٢٥١٠، ص ٤.

(٤) الزهراني، التوسع العمراني، ص ١٦٧.

(٥) القاضي، الأنشطة الاقتصادية، ص ٦٤.

(٦) القاضي، الأنشطة الاقتصادية، ص ٦٤.

(٧) ابن مشيط، الشيخ سعيد، ص ص ٨٣، ٨٤.

(٨) أول من تولى إدارة الفرع: عايض غرم الله الشمراني في (٦-١١-١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، ثم خلفه إبراهيم محمد اليحيا بتاريخ (١٧-٦-١٣٩٠/١٩٧٠م)، ثم خلفه في عام (١٣٩١هـ/١٩٧١م) حسن عبد الله القحطاني، ثم تولى عوضة محمد الغامدي في (٨-٦-١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، واستمر حتى عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، حيث تولى بعده محمد صالح أبو هتلة. انظر: وثيقة رقم (٥/٢/١٠٢٣٧٦)، بتاريخ (٧ -٤-١٤٣١هـ)، إفادة مدير فرع الزراعة بمدينة خميس مشيط، إلى محافظ محافظة خميس مشيط،

مهمــة التخطيــط والتنفيذ للمشاريــع الزراعية، من خلال تقديم الخدمــات الزراعية، وخدمات الثروة الحيوانية، والإشراف والمراقبة على مشاريع الدواجن، ومراقبة أراضي الغابــات، والإشــراف عليها وحمايتها، وإنجــاز معاملات المواطنين فيمــا يخص قطاع الأراضــي الزراعيــة، سواء طلبات حجــج استحكام، أو إجــراءات التحويل من أغراض زراعيــة إلى أغراض سكنية وتجارية، لثبوت عــدم جدواها، وإجراءات إفراغ الأراضي، وكافة الإجراءات المتعلقة بالأراضي والمجالات الزراعية الأخرى[١].

كانــت المنشــآت العسكرية من العوامل التــي كان لها تأثــير في التغيير الاقتصادي في المدينــة، حيث كان لاستواء سطح مدينة خميــس مشيط من ناحية، وموقعها العقدي والبــؤري للمنطقــة من ناحية ثانية، وموقعها بالنسبة للحــدود الجنوبية من ناحية ثالثة؛ أكــبر الأثر في بناء منشآت عسكرية بالمدينة، مثل: (قاعــدة الملك خالد الجوية، ومدينة الملك فيصل العسكرية)[٢]، وقد أنشئت قاعدة الملك خالد الجوية شرقي المدينة، وأنشئت مدينــة الملــك فيصل العسكرية جنوبــي المدينة على طريق نجران، وتضــم هذه المنشآت العديــد من الوحدات السكنية، وترتب على وجود هذه المنشآت زيادة عدد سكان المدينة، وتطورها العمراني؛ مما أدى إلى زيادة الأنشطة الاقتصادية فيها، خاصة زيادة المحلات التجارية، على طول الطرق المؤدية إلى هذه المنشآت، مثل طريق نجران[٣].

لعــب عامل الحجم دورا أساسيــا في التغيير الاقتصادي في المدينــة، فكلما زاد حجم المدينة، زادت احتياجاتها من الأنشطة الاقتصادية، خاصة ما يتعلق بالخدمات التجارية، فهناك علاقة طردية بين أحجام المدن والنشاط التجاري بها، والمتتبع لتاريخ مدينة خميس مشيــط، يجد أنها كانت تتكون مــن قريتين صغيرتين، تعــرف الأولى بقرية قنبر، والثانية بالــدرب، وزاد حجــم المدينة، واحتلت المرتبــة الحادية عشرة من حيــث الحجم بين مدن المملكة العربية السعودية، حسب تعداد عام (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)، ثم احتلت المرتبة السابعة حســب تعداد عام (١٤١٢هـ/١٩٩٢م) بين مدن المملكة العربية السعودية، أما على مستوى منطقــة عسير، فقد احتلت خميس مشيط المرتبة الأولى، حيث بلغ عدد سكانها (٣٨١٩٧)

إشــارة لتعميمه رقم(٥٢٧٣) في (٢١-٣-١٤٣١هــ)، المبني علــى تعميم أمير منطقة عسير رقم (٣٨٢٦٦) في(١٣/٧/١٤٣٠ هــ)، بشــأن طلــب توثيق المنجزات، يفيــد بمعلومات عن فرع الزراعــة بخميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للتراث والثقافة.

(١) وثيقة رقــم (٥/٢/١٠٢٣٧٦)، بتاريخ (٧-٤-١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، إفــادة مدير فرع الزراعة بمدينة خميس مشيط، إلى محافظ محافظة خميس مشيط، إشارة لتعميمه رقم (٥٢٧٣) في (١٤٣١/٣/٢١هـ-٢٠١٠م)، المبنــي على تعميم أمــير منطقة عسير رقــم (٣٨٢٦٦) في (١٣- ٧-١٤٣٠هــ/٢٠٠٩م)، بشأن طلب توثيق المنجزات، يفيد بمعلومات عن فرع الزراعة بخميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للتراث والثقافة.

(٢) النحاس، الاستخدامات التجارية، ص ١١.

(٣) النحاس، الاستخدامات التجارية، ص ١١.

نسمة تقريباً عام (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)، بينما كان عددٍ سكان مدينة أبها ـ عاصمة المنطقة ـ عام (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)، (٣٠٣٥٤) نسمة تقريبا، وجاءت في المرتبة الثانية[١].

نشأت المؤسسات التجارية في المدينة، حتى بلغت في عام (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) (٥٦٠) مؤسسة تجارية تقريبا، ولعب عامل الحجم- بالإضافة إلى العوامل السابقة، خاصة ما يتعلق بخصائص موقعها على طريق الحج- دورا كبيرا في احتلال مدينة خميس مشيط المكانة التجارية والصناعية الأولى في منطقة عسير، وكانت المدينة المركز التجاري لكافة أنحاء منطقة عسير والمناطق المجاورة، حيث كان يعقد فيها سوقٌ أسبوعيٌ كل يوم خميس، لتسويق المنتجات وللمبادلات التجارية، وسميت مدينة خميس مشيط، ثم المحافظة بهذا الاسم؛ نسبة إلى سوقها الأسبوعي، ولم يكن السوق في هذه الناحية يقتصر على البيع والشراء فقط، إنما كان يتم فيه عقد الصلح، وعرض الخلافات والصراعات بين القبائل، وتلقى فيه المواعظ والأشعار، وتدفع فيه الديات[٢].

من أشهر المؤسسات التي أقيمت في خميس مشيط في فترة الدراسة، وحصلت على تصنيف كمؤسسة من الدرجة الأولى في مجال (المقاولات، والطرق، والإنشاءات، والكباري، والمباني)، هي مؤسسة المبطي[٣]، كانت بدايتها منذ عام (١٣٧٥هـ/١٩٥٦م)، وسُجلت رسميا كمؤسسة عامة سنة (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)، كانت تهدف إلى المساهمة في تنمية وتطوير المشاريع الإنمائية التي سترغب الدولة في إقامتها، كمؤسسة سعودية لديها خبرات في هذا المجال، وكان المهندسون السعوديون القائمون على هذه المؤسسة، ينظرون إلى المساهمة في هذه المشاريع نظرة مهنية، وليست تجارية، بمبدأ تقديم الأفضل[٤].
ومن مشاريع مؤسسة المبطي مشاريع السفلتة داخل المدينة العسكرية، ومدارج مطار خميس مشيط، مع تعبيد العديد من الطرق في مدن وقرى الجنوب، ومشاريع السفلتة، والأرصفة، والإنارة، وإنشاء السدود، وبجانب نشاط المؤسسة في مجال المقاولات العامة من طرق ومبان، يوجد قسم خاص بالمباني الجاهزة، حيث له نشاط كبير بالمنطقة الوسطى والشمالية، ولها فرع خاص بالمباني الحديدية، ولدى المؤسسة قسم هندسي متكامل لتخطيط ودراسة المشاريع، كما يتوافر لديها معامل تقنية المياه، وكانت تخدم عددا كبيرا من سكان المنطقة الجنوبية، بالإضافة إلى هذا، فالمؤسسة مهتمة بالقطاع التجاري والاستيراد، حيث يوجد مكتب للمؤسسة بسنغافورة للعمل بهذا المجال، ومن هذه الأنشطة معارض لبيع الأثاث، والسجاد، والملابس الجاهزة، بالإضافة إلى مواد البناء[٥].

---

(١) النحاس، الاستخدامات التجارية، ص ١١.
(٢) النحاس، الاستخدامات التجارية ، ص ص ٧، ١١.
(٣) شركة المبطي صاحبها: سعيد محمد المبطي. جريدة المدينة، (شوال ١٤٠٠هـ/ أغسطس ١٩٨٠م)، العدد (١٩)، ص ٣٢.
(٤) جريدة المدينة، (شوال ١٤٠٠هـ/أغسطس١٩٨٠م)، العدد (١٩)، ص ٣٢.
(٥) جريدة المدينة، (شوال ١٤٠٠هـ/أغسطس١٩٨٠م)، العدد (١٩)، ص ص ٣٢، ٣٣.

صاحب نمو المؤسسات الاقتصادية في المملكة- خاصة في قطاع التجارة- تغير في أنماط ومعدلات الطلب والاستهلاك؛ نتيجة ارتفاع متطلبات الحياة بالنسبة للسكان؛ مما أدى إلى التوسع في نشاط القطاع الخاص، وتنوع السلع والخدمات، ونتيجة تلك المتغيرات، سارع رؤوس أصحاب الأموال نحو الاستثمار وتطوير القطاع الخاص، في المجالات التجارية والصناعية، ومن وجهاء القطاع الخاص النشط في خميس مشيط خاصة، والجنوب عامة، صاحب مؤسسة المعيض، الشيخ مسعود المعيض(١).

فقد بدأ نشاط مؤسسته عام (١٣٧١هـ/١٩٥٢م)، في شكل تجارة عامة في مجال الأغذية، والمواد الكهربائية، والزراعة، وفي عام (١٣٩١هـ/١٩٧١م) دخلت المؤسسة قطاع المقاولات، وكانت البداية هي تعبيد الطرق والميادين الداخلية بمدينة الملك فيصل العسكرية، ومشاريع سفلتة للطرق بمدينة خميس مشيط، ثم تواصل نشاطهم العمراني والإنشائي، فأقامت المؤسسة عدة سدود تابعة لمشاريع المياه بحاضرة أبها، ومن المعدات التي استخدمت- ومازالت تستخدم في تنفيذ المشاريع- خلاطات إسفلت تنتج في الساعة (١٢٠) طنا، بالإضافة إلى كسارات تنتج (١٥٠) طنا في الساعة، وأيضا تنتج المؤسسة البلاط ومشتقاته(٢).

تؤدي شبكة الطرق دورًا رئيسياً في العديد من مجالات التنمية، إذ تعد إحدى قواعد البنية الأساسية للتنمية الاقتصادية، والاجتماعية، والعمرانية لأي إقليم، وتتدفق المواد الخام والسلع عبر شرايينها، ما بين مناطق الإنتاج ومناطق الاستهلاك، ولا شك أن هناك علاقة طردية بين شبكات النقل والنشاط الاقتصادي، فكلما توافرت شبكات النقل، ساعد ذلك على رواج النشاط الاقتصادي، والعكس صحيح(٣). وكان طريق (أبها – خميس مشيط) من أكثر الطرق جذبا للأنشطة الاقتصادية؛ الأمر الذي ترتب عليه شبه اتصال عمراني بين مدينتي أبها وخميس مشيط، على امتداد الطريق البالغ طوله (٢٧) كم تقريبا(٤)، وقد اعتمد سفلتة طريق (أبها- خميس مشيط) عام (١٣٩١هـ/١٩٧١م)، وشهد هذا الطريق نموا تدريجيا للأنشطة الاقتصادية(٥).

يمكن تقسيم المركب النوعي للأنشطة الاقتصادية على جانبي طريق (أبها – خميس مشيط)، إلى أربع مجموعات رئيسية، تتصدرها القطاعات الأقدم نسبيا من حيث النشأة، التي تتمثل في خدمة، وصيانة، وبيع، ونقل السيارات، وتجارة مواد البناء،

---

(١) جريدة المدينة، (شوال ١٤٠٠هـ/أغسطس ١٩٨٠م)، العدد (١٩)، ص ص ٣٢، ٣٣.

(٢) جريدة المدينة، (شوال١٤٠٠ه/أغسطس١٩٨٠م)، العدد (١٩)، ص ص ٣٢، ٣٣.

(٣) بحيري، مسعد السيد، أثر شبكة الطرق في نمو الأنشطة الاقتصادية، (دراسة حالة لطريق أبها- خميس مشيط في منطقة أبها الحضرية، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، يونيو (٢٠٠٥)، العدد (٣٥)، ص ٢٨.

(٤) بحيري، أثر شبكة الطرق، ص ٢٩.

(٥) الزهراني، التوسع العمراني، ص ١٦٠.

وتأجير المعدات الثقيلة، وتجارة المواد الغذائية[١]. وتوجد قوى أخرى تؤثر في ترتيب مواقع الاستخدامات المختلفة للأنشطة الاقتصادية، وتتمثل في قوى الطرد والجذب، حيث يؤدي التنافس بين تلك القوى إلى ترتيب محدد للاستخدامات ما بين قلب المدينة وأطرافها، في عملية يختار فيها كل نشاط الموقع الأمثل له، فهناك بعض الأنشطة لا يناسبها الموقع المركزي بالمدن، مثل الصناعات الثقيلة، أو الأنشطة التي ينتج عنها ضوضاء أو تلوث، كما شجع رخص الأراضي وتوافرها بمساحات واسعة في أطراف المدن، وحول الطرق، على جذب الصناعات؛ وذلك للتسهيلات الكبيرة في نقل المواد الخام، والعمال، وتسويق الإنتاج[٢].

من الأنشطة الاقتصادية التي قامت في قلب حاضرة خميس مشيط وأطرافها، ونمت وتطورت، حتى أصبحت في الوقت الحاضر من أكبر الأسواق التجارية، هي أسواق الغروي، بدأ نشاطهم التجاري عام (١٣٧٤هـ/١٩٥٥م)، وكان مطعما ومخبزا صغيرا، ثم تطور الأمر إلى فتح متجر بقالة في خميس مشيط عام (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، ومع تطور النهضة العمرانية في المدينة، بدأت أسواق الغروي تدخل في آفاق تجارية أوسع، فشرعوا في استيراد المواد الغذائية من عدد من الدول الأوروبية، والآسيوية، وأمريكا، وعلى صعيد آخر دخلت أسواق الغروي جانبا آخر من جوانب الأنشطة الاقتصادية، يتعلق بمجال تجارة العقار والأراضي، ثم أصبح من الضروري أن تقوم بتشييد مجمع تجاري، يضم جميع أعمالهم، وبالفعل استدعى هذا التطور إلى فتح فرع في أطراف مدينة خميس مشيط، على باب مدينة الملك فيصل العسكرية، وفي المجال الصناعي كان لأسواق الغروي نصيب فيه، وتم افتتاح مصنع للألمونيوم عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) تقريبا، ومصنع لإنتاج صابون البودرة[٣].

تعد التجمعات العمرانية أحد العوامل التي تؤثر في التغيير الاقتصادي في المدينة، وتعكس الخصائص الطبيعية والبيئية لمواطن التجمعات العمرانية في حاضرة خميس مشيط، فقد أثرت الطبيعة الطبوغرافية- بالإضافة إلى محاور الحركة والأودية- في التوزيع المكاني للتجمعات العمرانية، فارتبط وجود التجمعات العمرانية بشبكة الأودية الرئيسية في المدينة (وادي عتود، ووادي بيشة، ووادي تندحة)، بسبب توافر المياه؛ مما أدى إلى جذب السكان إلى تلك الأودية، واستقرارهم فيها، وقيامهم بحرفة الزراعة على حواف الأودية، وتشير دراسة أحجام التجمعات العمرانية إلى أن أكبر وأهم

---

(١) بحيري، أثر شبكة الطرق، ص١٤.

(٢) القاضي، الأنشطة الاقتصادية، ص ٩٦.

(٣) جريدة المدينة ، شوال (١٤٠٠ه/أغسطس١٩٨٠م)، العدد (١٩)، ص ص ٤٨، ٤٩.

التجمعـات العمرانية على مستوى منطقة عسير، هي مدينة خميس مشيط، التي احتلت المرتبة الأولى (الحجم السكاني) للهيكل العمراني الحضري[١].

يشـكل توافر المرافق والخدمات التعليمية، والصحية، والثقافية، والعسكرية عاملا مهمـا في التغيـير الاقتصادي، مـن حيث المفاضلة بـين المناطق والمـدن، فهناك أماكن يفضلهـا أصحـاب المؤسسـات والشـركات، لأسباب منها: وجـود المراكـز التعليمية، أو المراكز الطبية، وكذلك توافر فرص الإسكان وتنوعها[٢].

لعبت العلاقات المكانية كذلك دورا في التغيير الاقتصادي في المدينة، حيث كان للتطور العمراني دور مهـم في تقوية العلاقة بين حاضرة خميس مشيط، والمدن والقرى المجاورة لها، ويمكن تقسيم ذلك إلى مدن رئيسية، تشمل مدينة أبها، وهي العاصمة الإدارية لإقليم عسير، وثاني مدن الإقليم من حيث عدد السكان بعد مدينة خميس مشيط، وتعد العلاقة بين مدينة أبها وخميس مشيط قديمة جدا، نشأت منذ بداية المدينتين كأسواق أسبوعية، وهناك تكامل واضح بين المدينين تجاريا وإداريا، و تكامل في المرافق والخدمات[٣].

وأحد رفيـدة- المدينة الواقعة شرقي منطقة عسـير- ذات تفاعل مع مدينة خميس مشيـط، التـي تشتمل على عدد من القـرى المجاورة لها، وقد أدى قـرب المسافة بينهما، ووجـود طريق المدينــة العسكرية الذي يربـط بينهما، إلى حدوث حالــة من الالتحام في النسيـج العمـراني، في المنطقة المحصـورة بين المدينــة العسكرية، وقاعـدة الملك خالد الجويــة التي تقع جنوب مدينــة خميس مشيط، وشمال أحد رفيــدة[٤]، وتعد أحد رفيدة مـن أكـثر مدن منطقة عسير تفاعلا مـع مدينة خميس مشيط؛ ممـا يؤكد على الأهمية الوظيفيــة لهـذه الناحية، حيث تعتمد أحد رفيدة على خميسـ مشيط اعتمادا شبه كلي؛ لتوافر الخدمات والأسواق، ويرجع ذلك لقرب المسافة بينهما حيث تبلغ نحو (٢٠) كم[٥].

أيضـا فـإن مركز وادي ابن هشبل يعـد من أكثر المراكز تفاعلا مـع مدينة خميس مشيــط، ويبعـد عنها بنحو (٣٠) كـم تقريبا؛ نظـرا لاعتماد هذا المركـز على حاضرة خميسـ مشيط في التزود بجميـع الخدمات والسلع، ويليه مركز يعـرى، الذي يبعد عن مدينــة الخميس نحـو (٦٠) كم تقريبا، ثم يليه مركز خيبر الجنـوب، ويبعد عنها بنحو (٧٠) كم تقريبا، ويأتي مركز المضة في المرتبة الأخيرة في قلة التفاعل بينه وبين خميس

(١) القاضي، الأنشطة الاقتصادية، ص ٧٨، ٧٩.
(٢) القاضي، الأنشطة الاقتصادية، ص ١٠٠.
(٣) الفيفي، مخطط النطاق العمراني، ص ١٣٤.
(٤) الفيفي، مخطط النطاق العمراني، ص ١٣٥.
(٥) القاضي، الأنشطة الاقتصادية، ص ٨٣.

مشيط؛ لطول المسافة التي تبلغ نحو (٩٥) كم تقريباً، ويرجع ذلك لاعتماد المضة على محافظة أحد رفيدة في تلبية جميع احتياجاتها من السلع والخدمات[١].

(*) **لقد ساهم الدور الحكومي بصورة غير مباشرة في رسم الملامح العامة لصورة توزيع الأنشطة الاقتصادية في مدينة خميس مشيط، ويمكن أن نستنتج أهم أبعادها في عدة نقاط، استهدفت النهوض بالأنشطة الاقتصادية؛ وانعكست آثارها على خطط التنمية في خميس مشيط، على النحو التالي:**

١- تعددت محاور الدور الحكومي؛ استجابة لتطبيق الخطط والسياسات الحكومية، فمع الاهتمام ببناء البنية التحتية، كان شق وتمهيد الطرق في الصدارة، وصاحب ذلك مشروعات الكهرباء والهاتف[٢].

٢- ساهم قيام كل من صندوق التنمية الصناعية السعودي، وصندوق الاستثمارات العامة، وصندوق التنمية العقارية عام (١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م)[٣] في دعم التنمية الصناعية في القطاع الخاص، والتوسع في الاستثمارات، وبناء العقارات، من خلال تقديم القروض متوسطة وطويلة الأجل؛ الأمر الذي ساعد في تحقيق الأهداف التنموية الشاملة، وقد واكب ذلك نمو سكاني واضح[٤].

٣- إذا كانت الهجرة الوافدة إلى المملكة العربية السعودية، ساعدت في تحقيق خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية في مدن المملكة؛ فإن الهجرة الداخلية (انتقال الكثير من سكان البوادي والأرياف إلى سكنى المدن) ساهمت في نمو الأنشطة الصناعية والتجارية، لتوافر المرافق، والخدمات المتنوعة[٥].

٤- كان لنمو المؤسسات التعليمية والخدمية دور فعال في جذب العديد من الأنشطة الاقتصادية[٦].

---

(١) القاضي، الأنشطة الاقتصادية، ص ٨٢.

(٢) بحيري ، أثر شبكة الطرق، ص ٣٢.

(٣) افتتح فرع للبنك السعودي للتسليف والادخار في خميس مشيط عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، وأول من تولى إدارته الأستاذ/ عبد الهادي علي حجاج، حيث كان في مبنى مستأجر في وسط البلد، وحاليا يقع في مبنى مستأجر في مخطط هيف، على طريق الأمير سلطان. انظر: وثيقة رقم (٤١٩٤)، بتاريخ (١٤٣٠/١١/٢٣هـ-٢٠٠٩م)، خطاب مدير عام فرع البنك السعودي بخميس مشيط إلى أمير منطقة عسير، إشارة إلى تعميمه بشأن طلب توثيق المنجزات، رقم (٣٨٢٦٦)، في (١٤٣٠/٧/١٣هـ/٢٠٠٩م)، يفيد بمعلومات عن فرع البنك السعودي بخميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

(٤) بحيري، أثر شبكة الطرق في نمو الأنشطة الاقتصادية، ص ٣٣.

(٥) القاضي، الأنشطة الاقتصادية، ص ٩٥.

(٦) القاضي، الأنشطة، ص ٩٥.

ثامناً : الخاتمة

رصـدت في هذه الدراسة تفصيـلات تاريخية حضارية عن حاضـرة خميس مشيط مـن سبعينيات إلى تسعينيات القـرن (١٤هـ/٢٠م)، ولا أدعي إنني شملت كل الجوانب التاريخيـة التـي عاشتها هذه الناحية، لكنني أزعم أن هنـاك توثيقات علمية جديدة عن هذه المدينة السعودية الكبيرة، التي تُعد أهم حاضرة اقتصادية حضارية في جنوب المملكة العربية السعودية[1]. وهناك بعض النتائج والتوصيات التي أدونها في النقاط الآتية :

من أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة ما يلي:

١- من خلال ما اشتملت عليه هذه الدراسة من معالجة لموضوعات مختلفة، فقد أبرزت أهميـة حاضـرة خميس مشيـط منذ القدم، حتـى أصبحت تحتل المركـز التجاري والصناعـي الأول في منطقة عسـير، والرابع على مستوى المملكة العربية السعودية، حيـث تقع على ارتفاع كبير عن سطح البحر؛ مما جعلها ذات موقع جغرافي متميز، ومن أجمل مصايف المملكة العربية السعودية.

٢- تميـزت مدينة خميس مشيط- خلال فترة الدراسـة- بتوافر أهم الخدمات؛ مما جعـل لها أهميـة ميزتها عن بقية مـدن عسير، وجعلتها منطقة جـذب للسكان من أنحاء إقليم عسير، ومناطق المملكة الأخرى، ومن أهم الخدمات التي توافرت فيها:

أ- **وحـدات لتوليـد الطاقـة الكهربائيـة**، ويتـم تغذيتها بخطوط نقـل هوائية، وكابلات أرضية.

ب - **الخدمـات التعليميـة**: انتشـرت في محافظـة خميـس مشيـط- في فـترة الدراسة- المدارس الابتدائية، التي تمثل القاعـدة الأساسية للتعليم؛ لأنها تمثل أعلى شريحة في المراحل التعليمية، من حيث أعداد طلابها، ثم توافرت المدارس المتوسطة والثانوية، ومدارس ليليـة لتعليم الكبار، ومدارس لتعليم البنات.

ج - **حظيت الخدمـات الصحيـة** في خميـس مشيـط بالرعايـة والإهتمام، وقد شهـد القطـاع الصحي بمنطقة عسير قفـزة نوعية، بعد زيـارة الملك سعود الأولى لمدينـة أبهـا عـام (١٣٧٣هـ /١٩٥٤م)، وأنشئت المراكـز الصحية، والمستشفيات العسكرية، والمدنية في خميس مشيط.

(١) كلامـك حقيقـة يا أستاذة فوزية فمدينة خميس مشيط،بل المحافظـة بشكل عام تعد من أهم محافظات جنـوب البلاد السعودية. وإذا درسنا أوضاعها التنمويـة الاقتصادية فهي من كبريات مدن المملكة تجارياً وحضاريـاً. ومازالـت هذه الناحية تستحق أن تدرس في عدد من الكتب والبحوث العلمية. أرجو من أساتذة جامعـة الملـك خالد وطالبات وطـلاب الدراسات العليـا أن يعكفوا على دراسة محافظـات منطقة عسير، ومحافظة خميس مشيط في المقدمة. (ابن جريس) ٠

د ـ **بدأت الخدمات الدينية** بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مدينة خميس مشيط عام (١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م)، وبلغ عددها ٨ مراكز.
هـ ـ **أنشئت الخدمات الأمنية**: مثل: مراكز للشرطة في حاضرة خميس مشيط، والمراكز التابعة لها، وأنشئ مركز للدفاع المدني، وإدارة للسجون.
و- **تضم خميس مشيط العديد من المؤسسات التي تهتم برعاية المجتمع**: ومن أهمها: مركز التنمية الاجتماعية، وجمعية خميس مشيط التعاونية متعددة الأغراض، والجمعية الخيرية بخميس مشيط.
ز ـ **الخدمات الرياضية**: يوجد بها نادٍ رياضي واحد (نادي ضمك).

٣- وفي المجال العسكري، أبرزت الدراسة أهمية مدينة خميس مشيط كموقع للانطلاق العسكري، منذ تأسيس المملكة العربية السعودية على يد القائد المؤسس الملك عبد العزيز، وكيف ساعدت تلك الأهمية في سرعة نهضتها وتطورها.
٤- لم تغفل الدراسة عن إبراز دور حاضرة خميس مشيط في المجال الاجتماعي والاقتصادي، واتضح أن هذه المدينة- منذ القدم وحتى اليوم- تشكل الزراعة فيها موردا أساسيا؛ ولوفرة المياه، وجودة التربة، كما اشتهرت بلاد خميس مشيط باهتماماتها التجارية، وكانت تمثل حلقة وصل بالمناطق الأخرى، فاختارتها القوافل القديمة؛ لتكون محطة على الطرق بين اليمن في الجنوب، ومكة في الشمال، وصارت عقدة مواصلات رئيسية قديما وحديثا، لتصبح بؤرة لتجميع طرق النقل في المنطقة الجنوبية.
٥- ومن أهم التوصيات أن يتم تناول موضوع هذه الدراسة في الفترة الزمنية التي تلي فترة دراستي في أطروحة علمية، ماجستير أو دكتوراة، حتى يمكن الإحاطة بآفاق الموضوع بصورة أعمق وأشمل.
٦- محافظة خميس مشيط تشتمل على مواضع تاريخية وحضارية قديمة، وهذه الأمكنة جديرة بالبحث والدراسة التاريخية الجادة.
٧- يوجد على أرض المحافظة الكثير من الآثار المادية السطحية والمدفونة، وهذا التراث جدير بالبحث والتنقيب والدراسة والتحليل.
٨- ظهر في محافظة خميس مشيط الكثير من الأحداث السياسية والعسكرية منذ عصور قديمة إلى القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، وهذا الموضوع يستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية جامعية.
٩- عرفت حاضرة خميس مشيط العديد من الأسر والأعلام الذين لهم تاريخ مشرق، حبذا أن نرى باحثين جادين يدرسون هذا الموضوع دراسة علمية حيادية ونزيهة.

تاسعاً: ملاحق الدراسة:

ملحق رقم (١)

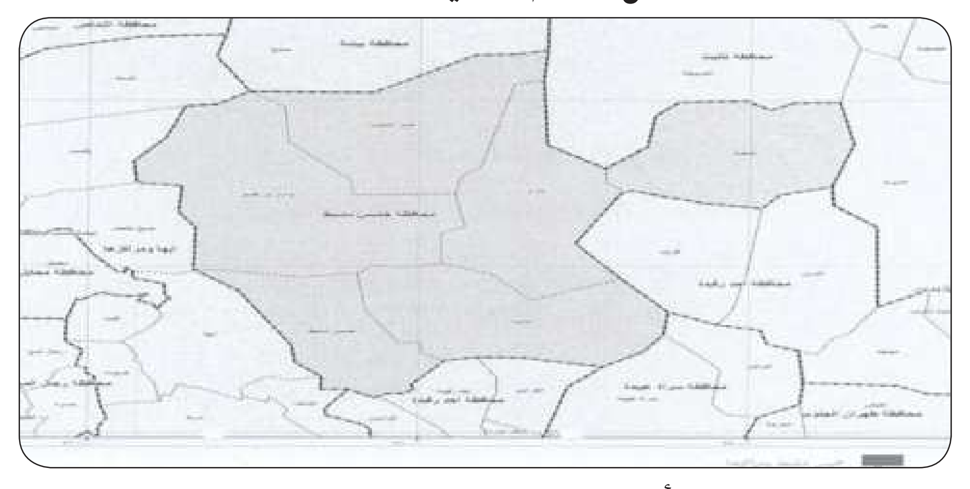
خارطة: توضح موقع محافظة خميس مشيط بالنسبة إلى منطقة عسير.



المصدر: الفيفي، مخطط النطاق العمراني ودوره في نمو مدينة خميس مشيط، ص ٧٨.

ملحق رقم (٢):

خارطة توضح التقسيم الإداري لمحافظة خميس مشيط



المصدر: مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

ملحق رقم (٣)

خارطة توضح موقع قاعدة الملك خالد الجوية بخميس مشيط من ضمن القواعد الجوية في المملكة العربية السعودية



المصدر : قاعدة الملك خالد الجوية بخميس مشيط.

ملحق رقم (٤):

مشاريع الطرق التي تم انجازها من قبل بلدية خميس مشيط بين الأعوام (١٣٩٠-١٣٩٥/١٩٧٠-١٩٧٥م)

اسم المشروع	عام الإنجاز	قيمة العقد	قيمة الختامي	مساحة السفلتة	رقم المشروع
سفلتة وأرصفة وإنارة	١٣٩٣/١٣٩٢ هـ ١٩٧٣/١٩٧٢م	١،٧٢٣،١٠٠	١،٨٢٧،٥٩٠	٢٦،١٣٨	١٧/ج/١٢/٣٠
سفلتة وأرصفة وإنارة	١٣٩٤/١٣٩٣ هـ ١٩٧٤/١٩٧٣م	٨،٧٨٢،٨٩٥	٧،٤٦٣،٤١٨	١٠٠،٩٤٥	١٧/٩/٣ج/١١
سفلتة وأرصفة وإنارة	١٣٩٥/١٣٩٤ هـ ١٩٧٥/١٩٧٤م	٤،٩٣٥،٢٧٨	٣،٥٨٣،٧٤١	٥٢،١٦١	١٦/٩/١٣ج/٢٣
سفلتة وأرصفة وإنارة	١٣٩٦/١٣٩٥ هـ ١٩٧٦/١٩٧٥ هـ	١٦،١١٤،٠٤٠	١٥،٦٩١،٩٨٥	١٠٣،٣٣٤	١٦/٩/١٣ج/٣٦
إنشاء ٢ كوبري	١٣٩٦/١٣٩٥ هـ ١٩٧٦/١٩٧٥ هـ	٧،١٦٧،٠٠٠	٨،٥٩٣،٤٠٠	-	١٦/٩/١٣ج/٣٧
مشاريع نزع الملكية	١٣٩٢/١٣٩١ هـ ١٩٧٢/١٩٧١م	١،٧٢٧،٤٦٣	نزع ملكية الشارع العام الممتد من الشمال إلى الجنوب، وقد تم بالفعل نزع الملكية، وجرى هدم المساكن.		-

المصدر: من إعداد الباحثة اعتمادا على: إمارة منطقة عسير، عسير في عشر سنوات، ص٣٣؛ إمارة منطقة عسير، عسير في عام، ص ٢٣؛ وثيقة رقم (١٩٨)، بتاريخ (١٣٩٥/٢/٢٢هـ-١٩٧٥م)، اعتماد مشروع السفلتة بخميس مشيط، محفوظة لدى المركز الوطني للوثائق والمحفوظات بالرياض.

ملحق رقم (٥):

مشاريع تسوير المقابر ودورات المياه التي تم انجازها من قبل بلدية خميس مشيط

اسم المشروع	رقم المشروع	تاريخ الترسية	قيمة الاعتماد أو الترسية
مشروع تسوير مقابر	١١/١٣/٤	١٣٩٣/٢/٢٧هـ	١١٥،٦٨٦
مشروع دورات مياه	١٧/٩/١٣ج/١٠	١٣٩٤/١٢/٢هـ	١٧٢،٢٤٤،٧٠

المصدر: إمارة منطقة عسير، عسير في عشر سنوات، ص ٣٣.

ملحق رقم(٦) :

رخص البناء الممنوحة من قبل بلدية خميس مشيط خلال الأعوام: (١٣٩٠ - ١٣٩١ - ١٣٩٢ - ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٠ – ١٩٧١ - ١٩٧٢ - ١٩٧٣م) تبعا لنوع الرخصة ونصف العام.

عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م							
النصف الأول				النصف الثاني			
تشييد	ترميم	تسوير	المجموع	تشييد	ترميم	تسوير	المجموع
٢٣	–	١	٢٤	١٢	–	١	١٣
٩٥,٨٣٪	–	٤,١٧٪	١٠٠٪	٩٢,٣١٪	–	٧,٦٩٪	١٠٠٪

عام ١٣٩١هـ / ١٩٧١م							
النصف الأول				النصف الثاني			
تشييد	ترميم	تسوير	المجموع	تشييد	ترميم	تسوير	المجموع
٢٠	–	–	٢٠	٢٢	–	٦	٢٨
١٠٠٪	–	–	١٠٠٪	٧٨,٥٧٪	–	٢١,٤٣٪	١٠٠٪

عام ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م							
النصف الأول				النصف الثاني			
تشييد	ترميم	تسوير	المجموع	تشييد	ترميم	تسوير	المجموع
٥٥	–	٣	٥٨	٩٤	–	١٨	٦٧
٩٤,٨٣٪	–	٥,١٧٪	١٠٠٪	٧٣,١٤ ٪	–	٢٦,٨٦٪	١٠٠٪

عام ١٣٩٣هـ / ١٩٧٥م							
النصف الأول				النصف الثاني			
تشييد	ترميم	تسوير	المجموع	تشييد	ترميم	تسوير	المجموع
٤٨	١	٤٠	٨٩	٩١	–	٢٤	٤٣
٥٣,٥٦٪	١,١٣٪	٤٤,٩٤٪	١٠٠٪	٤٤,١٩٪	–	٥٥,٨١٪	١٠٠٪

المصدر : النشرة النصفية لإحصاءات البلديات، وكالة وزارة الداخلية لشؤون البلديات، إدارة الإحصاء والتنظيم، السنة (٤، ٧)، العدد (٨، ١٤)، ص ص ١٣٤، ١٤٢.

ملحق رقم (٧) :
المواشي المذبوحة التي أشرفت عليها بلدية خميس مشيط خلال الأعوام (١٣٩٠، ١٣٩٢، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٠، ١٩٧٢، ١٩٧٣م).

عام ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م										
الجنس	إبل		بقر		ضأن		ماعز		المجموع	
	العدد	الوزن	العدد	الوزن	العدد	الوزن	العدد	الوزن	العدد	الوزن
ذكر	٣٩	٨٦٧٢	٢٣٢٦	٢٥٧٨٨٤	٣٠٣٥	٥٨١٠٧	١٨٧٦١	٢٧٢٢٢٢	٢٤١٨٦	٥٩٨٩٨٣
أنثى	–	–	١٨	١٩٩٦	–	–	٧	١٠٢		

عام ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م النصف الأول										
الجنس	إبل		بقر		ضأن		ماعز		المجموع	
	العدد	الوزن	العدد	الوزن	العدد	الوزن	العدد	الوزن	العدد	الوزن
ذكر	٦	١٤٨٩٨	٢٣٠٠	٢٥٥٠٠١	١٣٩٣	٢٦٨٥٧	١٥٤٦١	٢٢٤٣٣٩	١٩٢٢٣	٥٢١١٢٤
أنثى	–	–	–	–	–	–	٢	٢٩		

عام ١٣٩٢هـ /١٩٧٢م النصف الثاني										
الجنس	إبل		بقر		ضأن		ماعز		المجموع	
	العدد	الوزن	العدد	الوزن	العدد	الوزن	العدد	الوزن	العدد	الوزن
ذكر	١٤٦	٣٢٤٦٥	٢٨١٤	٣١١٩٨٨	٢٢١٥٣	٣٧١٨٣٤	١٥٧٣٦	٢٢٨٣٢٩	٤٠٨٥٠	٩٤٤٧٢٦
أنثى	–	–	١	٠١١	–	–	٧	١٠٢		

عام ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م										
الجنس	إبل		بقر		ضأن		ماعز		المجموع	
	العدد	الوزن	العدد	الوزن	العدد	الوزن	العدد	الوزن	العدد	الوزن
ذكر	٣٦٩	٨٢٠٥١	٢١٢٩	٢٣٦٠٤٢	٢٢٨٧	٤٣٧٣٩	١٩٣٢٩	٢٨٠٤٦٤	٢٤١١٤	٦٤٢٢٩٦
أنثى	–	–	–	–	–	–	–	–		

المصدر : النشرة النصفية لإحصاءات البلديات، وكالة وزارة الداخلية لشؤون البلديات، إدارة الإحصاء والتنظيم، السنة (٦، ٧)، العدد (١١، ١٢، ١٤)، ص ص ٤٤، ٤٧.

ملحق رقم (٨) :

جدول يوضح بشكل مفصل رخص المهن الممنوحة من قبل بلدية خميس مشيط للسعوديين وغير السعوديين خلال الأعوام

(١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣هـ/ ١٩٦٩، ١٩٧٠، ١٩٧١، ١٩٧٢، ١٩٧٣، ١٩٧٨)

عام ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م					
النصف الأول			النصف الثاني		
سعودي	غير سعودي	المجموع	سعودي	غيرسعودي	المجموع
٦١	١٢١	١٨٢	٢٩	١٣٠	١٥٩
٣٣,٥٢٪	٨٤,٦٦٪	١٠٠٪	١٨,٢٤٪	٨١,٧٦٪	١٠٠٪

عام ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م					
النصف الأول			النصف الثاني		
سعودي	غير سعودي	المجموع	سعودي	غيرسعودي	المجموع
٧٠	٧٢	١٤٢	١٣	٣٣	٤٦
٤٩,٣٠٪	٠٧,٠٥٪	١٠٠٪	٢٨,٢٦٪	٧١,٧٤٪	١٠٠٪

عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م					
النصف الأول			النصف الثاني		
سعودي	غير سعودي	المجموع	سعودي	غيرسعودي	المجموع
٤٠	٩٠	١٣٠	٦٦	١٠٩	١٧٥
٣٣,٧٧٪	٣٢,٩٦٪	١٠٠٪	٣٧,٧١٪	٦٢,٢٩٪	١٠٠٪

عام ١٣٩١هـ /١٩٧١م					
النصف الأول			النصف الثاني		
سعودي	غير سعودي	المجموع	سعودي	غيرسعودي	المجموع
١٠٨	١٥٥	٢٦٣	٢٤	٩١	١١٥
٤١,٠٦٪	٣٩,٨٥٪	١٠٠٪	٢٠,٨٧٪	٧٩,١٣٪	١٠٠٪

عام ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م					
النصف الأول			النصف الثاني		
سعودي	غير سعودي	المجموع	سعودي	غيرسعودي	المجموع
٧٠	٦٧	١٣٧	٢٠	١٠٧	١٢٧
٥١,٠٩٪	١٩,٨٤٪	١٠٠٪	١٥,٦١٪	٨٤,٣٩	١٠٠٪

عام ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م					
النصف الأول			النصف الثاني		
سعودي	غير سعودي	المجموع	سعودي	غيرسعودي	المجموع
٢٧	٢١٦	٢٤٣	١٤	١٩٤	٢٠٨
٪١١,١١	٪٩٨,٨٨	٪١٠٠	٪٦,٧٤	٪٩٣,٢٧	٪١٠٠

المصـدر : النشـرة النصفية لإحصـاءات البلديات، وكالـة وزارة الداخلية لشؤون البلديات، إدارة الإحصاء والتنظيم، السنة (٤، ٧)، العدد (٨، ١٤)، ص ص ١٢، ٤٤.

ملحق رقم (٩) :

جدول يوضح ما طرأ على منشآت مطار خميس مشيط من تطور ونمو

الفترة	عدد المشاريع التي تمت	نوع المشروع
١٣٨٥ – ١٣٨٦هـ ١٩٦٥-١٩٦٨م	٢	• عـام ١٣٨٦ هـ /١٣٦٥م تم إنشاء محطـة للأرصاد الجوية في مدينة خميس مشيط. • عام ١٣٨٨ هـ /١٩٦٨م تم بناء سور لمطار خميس مشيط.
١٣٩٠ – ١٣٩٥ هـ ١٩٧٠- ١٩٧٥م	٩	• عقد مشروع تطوير مطار خميس مشيط الذي يتضمن توسعة المطار، وإنشاء مدرج جديد بما يلزمه من جميع المعدات الالكترونية، وإنشاء مخابئ بالإسمنت المسلح، ومواقع انتشار للطائرات. • تم عقد مشروع مباني المطار. • تم عقد مشروع إنشاء مبنى مطار خميس مشيط. • تأجير بوفيه بمطار خميس مشيط. • تم ترميم وعمل ديكور مكتب التذاكر بمطار خميس مشيط. • تم افتتاح مكتب فرعي للخطوط الجوية في مدينة خميس مشيط. • تم ترميم مبنى المطار. • إنشاء محطة بث الخرائط المصورة لاسلكيا. • إنشاء (راديو سوند) لرصد الظواهر الجوية العليا.

المصدر : جمع وتنسيق ورصد الباحثة.

ملحق رقم (١٠) :

حركة الركاب في مطار الخميس في الفترة من (١٣٩٠هـ- ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٠-١٩٧٥م)

العام	الرحلات الأسبوعية	الركـاب		الشحن بالطن		عدد الإداريين في المطار	عدد المستخدمين في المطار
	من خميس مشيط	المسافرون	القادمون	وارد	صادر		
١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠م	٥٠	١٩٦٥٥	١٩١٥٠	٥٨	٨٢	٢	٢٢
١٣٩١هـ/ ١٩٧١م	٥٤	١٤٥٤٢	٢٤٦٠٠	٦١	٩٠	٢	٢٤
١٣٩٢هـ/١٩٧٢م	٦٠	٣٠٢٨٢	٢٩٥٠٠	٦٨	٩٢	٣	٢٦
١٣٩٣هـ/١٩٧٣م	٦٤	٢٨٣٠٠	٤٠٠٠٠	٧١	٩٨	٣	٣١
١٣٩٤هـ/١٩٧٥م	٧٥	٣٩٨٧٤	٤٢٠٠٠	٨٠	١٠٢	٤	٣٤
١٣٩٥هـ/١٩٧٥م	٨٠	٥٥١٧٤	٤٤٢٥٠	٨٢	١٢٢	٤	٣٩

المصدر : إمارة منطقة عسير، عسير في عشر سنوات، ص ٤٠.

ملحق رقم (١١) :

يوضح ما طرأ على المدرسة السعودية بخميس مشيط من تطور، في سنوات الدراسة وعدد الفصول، والطلاب، والمدرسين، ونوعية مبنى المدرسة بين عامي (١٣٧٧، ١٣٨٠هـ/١٩٥٧، ١٩٦٠م)

م	السنة	أول		ثانية		ثالثة		رابعة		خامسة		سادسة		نوع مبنى المدرسة	عدد المدرسين
		فصول	طلاب	فصول	طلاب	فصول	طلاب	فصول	طلاب	فصول	طلاب	فصول	طلاب	مستأجر	-
١-	١٣٧٧هـ ١٩٥٨م	٢	٧٠	١	٣٥	١	٢١	١	١٦	١	٨	١	٩	منذ عام ١٣٧٨هـ أصبحت المدرسة في مبنى حكومي	٩
٢-	١٣٨٠هـ ١٩٦٠م	٢	٨٧	٢	٧١	٢	٥١	١	٤١	١	٢٦	١	٣١		

المصدر: من إعداد الباحثة اعتماداً على ابن جريس، تاريخ التعليم. (الجزء الأول)، ص ٧١، ٧٧؛ انظر أيضاً ابن جريس، من رواد التربية والتعليم، ص ٣٠

ملحق رقم (١٢) :

يوضح ما طرأ على مدرسة ذهبان من تطور، في سنوات الدراسة وعدد الفصول، والطلاب، والمدرسين، ونوعية مبنى المدرسة بين عامي (١٣٧٧، ١٣٨٠هـ/١٩٥٧، ١٩٦٠م)

م	السنة	أول		ثانية		ثالثة		رابعة		خامسة		سادسة		نوع مبنى المدرسة	عدد المدرسين
		فصول	طلاب	فصول	طلاب	فصول	طلاب	فصول	طلاب	فصول	طلاب	فصول	طلاب	ملك	-
١-	١٣٧٧هـ ١٩٥٨م	١	٢٠	١	١٧	١	١٣	١	١٢	١	٧	١	٨	-	٩
٢-	١٣٨٠هـ ١٩٦٠م	١	٢٧	١	٢٠	١	٢٠	١	١٣	١	١٠	١	١١		

المصدر : مـن إعداد الباحثة اعتمـادا على: ابن جريس، تاريـخ التعليم . (الجزء الأول) ، ص ٧١، ٧٧؛ انظر أيضاً ابن جريس، من رواد التربية والتعليم، ص ٣٠.

ملحق رقم (١٣) :

ما طرأ على مدرسة ذهبان من تطور، في سنوات الدراسة وعدد الفصول، والطالبات، والمدرسات، ونوعية مبنى المدرسة بين عامي (٨٩ - ١٣٩٠هـ/٦٩ - ١٩٧٠م)

عدد طالبات الفصول الدراسية						مجموع الطالبات والفصول		موظفات المدرسة				مستخدمون	المبنى
أول	ثانية	ثالثة	رابعة	خامسة	سادسة	فصول	طالبات	إدارية	معلمة	سعودية	متعاقدة	٧	حكومية
١٧٣	١٧٥	١٠٨	١١٣	٣٦	٣٥	١٦	٦٤٠	٤	١٩	١	٢٢		

المصـدر : من إعـداد الباحثة اعتمادا علـى: ابن جريس، تاريـخ التعليم، (الجزء الأول) ، ص ١٧٦ .

ملحق رقم (١٤) :

بيان إحصائي بأعداد اللاعبين المسجلين بنادي ضمك بالدرجة (شباب، ناشؤون، درجة أولى)، خلال العوام (١٣٩٢هـ/١٣٩٣هـ/١٣٩٤هـ/١٣٩٥هـ ــ ١٩٧٢/ ١٩٧٣/ ١٩٧٤/ ١٩٧٥م)

السنة	١٣٩٢ـ ١٣٩٣هـ ١٩٧٢ـ ١٩٧٣م				١٣٩٣ـ ١٣٩٤هـ ١٩٧٣ـ ١٩٧٤م				١٣٩٤ـ ١٣٩٥هـ ١٩٧٤ـ١٩٧٥هـ			
الدرجة	شباب	ناشؤون	أولى	المجموع	شباب	ناشؤون	أولى	المجموع	شباب	ناشؤون	أولى	المجموع
	٧٣	٨٢	٩٨	٢٥٣	٨٥	٩٣	١١٧	٢٩٥	١٠٢	١١٩	١٣٢	٣٥٣
النسبة المئوية	٪٢٨,٨٥	٪ ٣٢،٤١	٪٣٨،٧٤	٪١٠٠	٪٢٨،٨١	٪٣١،٥٢	٪٣٩،٦٧	٪١٠٠	٪٢٨،٨٩	٪٣٣،٧١	٪٣٧،٤٠	٪١٠٠

المصدر: رئاسة العامة لرعاية الشباب تقرير عن رعاية الشباب، ص ص ٥٤ ــ ٥٦

عاشراً: مصادر ومراجع الدراسة :

أولاً: الوثائق :

أـ المركز الوطني للوثائق والمحفوظات بالرياض:.

١- وثيقة رقــم (١٢١٦)، تاريــخ (١٣٩٥ه/١٩٧٥م)، موافقة مجلــس الوزراء لطلب وزارة المواصــلات علــى التعاقد مع شركة بيتا علــى إنشاء مبنى للهاتف الآلي في خميــس مشيط بطريق الشراء المباشر، وفقا لسعرها البالغ قدره (٧،٦٧٤،١٠٨) ريال مع إعطــاء الوزارة صلاحية الزيادة والنقصــ في حدود (٢٠٪)، محفوظة لدى المركز الوطني للوثائق والمحفوظات.

٢- وثيقــة رقم (٦٦٨)، بتاريخ(١٣٨٣/٩/٢١هـ/١٩٦٣م)، موافقة مجلس الوزراء على طلب وزارة المواصلات على إجراء مناقلة بمبلغ أربعة ملايين ريال من المبلغ المعتمد لمشروع طريق المدينة – تبوك وذلك لمشاريع إصلاح طريق خميس مشيط ـــ ظهران الجنــوب وفتح الطريق المؤدي مــن الخميس إلى الواديــين ـــ القرعاء ومشــروع فتح عقبة نجــران، محفوظة لدى المركز الوطنــي للوثائق والمحفوظات بالرياض.

٣- وثيقة رقم (٦٦٨)، بتاريــخ (٢١/ ١٣٨٣/٩ه ـــ١٩٦٣م)، موافقة مجلس الوزراء على طلب وزارة المواصلات على إجراء مناقلة بمبلغ أربعة ملايين ريال من المبلغ المعتمد لمشروع طريق المدينة – تبوك وذلك لمشاريع إصلاح طريق خميس مشيط ـــ ظهران الجنوب وفتــح الطريق المؤدي مــن الخميس الى الواديــين ـــ القرعاء ومشــروع فتح عقبة نجــران، محفوظة لدى المركز الوطنــي للوثائق والمحفوظات بالرياض.

٤- وثيقة رقم (٣١٦)، تاريخ (١٣٩١/٤/٢٨هـ/١٩٧١م)، خطاب من وزارة التجارة والصنــاعــة لطلب الموافقــة من مجلس الــوزراء لتأسيس شركــة كهرباء خميس مشيط وضواحيها، محفوظة لدى المركز الوطني للوثائق والمحفوظات بالرياض.

٥- وثيقــة رقم (م/١٦)، بتاريــخ (١٣٩١/٥/١٧هـ ـــ١٩٧١م)، أمــر ملكي بالموافقة على تأسيــس شركة للكهرباء في مدينة خميس مشيط وضواحيها، محفوظة لدى المركز الوطني للوثائق والمحفوظات بالرياض.

٦- وثيقــة رقم (٦٤٨)، بتاريــخ (١٣٩١/٩/٢هـ-١٩٧١م)، موافقــة مجلس الوزراء علــى طلــب وزارة المواصــلات بتكليــف مؤسســة بــن لادن بتنفيذ الأعمــال التي

يحتاجها طريق أبها ــ خميس مشيط من سفلتة وإعادة تصميم الكبري الذي يقع على وادي في خميس مشيط، محفوظة لدى المركز الوطني للوثائق والمحفوظات بالرياض.

٧- وثيقة رقم (١٩٨)، بتاريخ (١٣٩٥/٢/٢٢هـ-١٩٧٥م)، اعتماد مشروع السفلتة بخميس مشيط، محفوظة لدى المركز الوطني للوثائق والمحفوظات بالرياض.

٨- وثيقة رقم (١٤٩٠)، تاريخ (١٣٦١/٨/٢٤هـ-١٩٤٢/٦/٩م)، الموافقة على بناء مدرسة خميس مشيط بمبلغ وقدره (٧٠٠) ريال، محفوظة لدى المركز الوطني للوثائق والمحفوظات بالرياض.

ب ـ معهد الإدارة بالرياض:

١- وثيقة رقم (١٠٩٧)، بتاريخ (١٣٥٧/٨/٢٩هـ-١٩٣٨م)، خطاب من وكيل وزارة المالية، إلى صاحب السمو الملكي النائب العام لجلالة الملك، بشأن تأسيس بلدية أبها، وثائق محفوظة في معهد الإدارة العامة بالرياض.

٢- وثيقة رقم (٢٢٥)، بتاريخ(١٣٥٧/٩/١٢هــ-١٩٣٨م)، قرارات مجلس الشورى حول نشأة بلدية أبها، محفوظة بمعهد الإدارة العامة بالرياض.

٣- وثيقة رقم (٢٦٧)، بتاريخ(١٣٩١/٣/١٠هــ-١٩٧١م)، الموافقة على تنفيذ مشاريع المجاري وتصريف مياه الأمطار بمدينة خميس مشيط، محفوظة لدى معهد الإدارة بالرياض.

٤- وثيقة رقم (٣٤١)، بتاريخ (١٣٨٨/٣/٢٧هـ /١٩٦٨م)، بخصوص إتمام عملية سور مطار خميس مشيط، محفوظة لدى معهد الإدارة العامة بالرياض.

ج ـ دارة الملك عبد العزيز:

١- وثيقة رقم (٢٩)، بدون تاريخ، ملف (٢٢)، مجموعة عسير، رسالة من سعيد بن عبد العزيز بن مشيط إلى عبد الرحمن بن ثنيان، بخصوص وصول رسائل من الإمام عبد العزيز، محفوظة في دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

٢- وثيقة رقم (٣٩١)، بدون تاريخ، الملف(١٥)، المجموعة عامة، رسالة من قاضي خميس مشيط إلى سعيد بن محمد بن سعيد، محفوظة لدى دارة الملك عبد العزيز بالرياض.

٣- وثيقـة رقم(٣٩٩)،بتاريـخ (١٣٧٦/٥/٢٢هـ-١٩٥٦م)، الملـف(١٥)، المجموعة عامة، خطاب مـن إمارة شهران إلى المكرم سعيد بن محمد بن سعيد، محفوظة لدى دارة الملك عبد العزيز بالرياض.

د ـ مركز دار ألمع للتراث والثقافة بأبها:

١- وثيقـة رقـم (٥/٢/١٠٢٣٧٦)، بتاريخ (٧-٤-١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، إفادة مدير فـرع الزراعـة بمدينـة خميس مشيـط، إلى محافـظ محافظة خميـس مشيط، إشـارة لتعميمه رقم (٥٢٧٣) في(٢١-٣-١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، المبني على تعميم أمـير منطقة عسير رقم(٣٨٢٦٦) في(١٣-٧- ١٤٣٠هـ /٢٠٠٩م)، بشأن طلب توثيق المنجزات، يفيد بمعلومات عن فرع الزراعة بخميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للتراث والثقافة.

٢- وثيقة رقـم (١٢٠٦)، بتاريخ(٢٣-٨-١٣٨١هـ/٣٠- ١-١٩٦٢م)، قرار وزاري صادر من وزارة الداخلية بخصوص تعيين الأستاذ/ عبد العزيز بن مشيط أميرا على خميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

٣- وثيقـة رقـم (١٣١٩٤)، بتاريـخ (١٧-١١-١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، إفـادة من إدارة سجـون منطقة عسير إلى محافـظ محافظة خميس مشيط، إشـارة إلى تعميمه بشأن طلـب توثيق المنجزات رقـم (١٤٩٥) في ٢٨-٣-١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، يفيد بمعلومـات عن قسم سجن خميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

٤- وثيقـة رقم (١٦٦٥)، بتاريـخ (٢٦-١١-١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، خطاب مدير بريد خميـس مشيط لمحافـظ خميس مشيـط، إشـارة إلى تعميمه بشـأن طلب توثيق المنجـزات رقم (٢٣١٩٤)بتاريـخ (٧- ١١-١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، يفيد بمعلومات عن البريد بخميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

٥- وثيقة (رقم ٣٨٨٢/٦٠٢/٢)، بتاريـخ (٢٥-١١-١٤٢٨ه/٢٠٠٧م)، إفادة رئيس مركـز وادي ابن هشبل إلى وكيل إمارة منطقة عسير، إشارة لتعميمه بشأن طلب توثيق المنجزات،برقم (٦١٩٤٢) في١٦ـ١١ـ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، يفيد بمعلومات عن مركز وادي ابن هشبل، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

٦- وثيقة رقـم (٢٥٩٢٧)، بتاريـخ (٢٩ـ١١ـ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، خطاب محافظ محافظـة خميـس مشيـط إلى وكيـل إمـارة منطقة عسـير، إشـارة إلى خطابه

رقـم(٦١٩٤٢) في (١٦-١١-١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)، يفيد بمعلومات عن محافظة خميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

٧- وثيقة رقم (٦٠٢/٣/ ١٩٩٧)، بتاريخ (٢٢-١١-١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، إفادة من رئيس مركز يعرى إلى وكيل إمارة منطقة عسير، إشارة إلى تعميمه بشأن طلب توثيق المنجزات رقم(٦١٩٤٢) في١٦-١١- ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، يفيد بمعلومات عن مركز يعرى، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

٨- وثيقة رقم (٦٠٢/٤/١٨٩٣)، بتاريخ (٢٣-١١-١٤٢٨هـ /٢٠٠٧م)، إفادة من رئيس مركز خيبر الجنوب إلى وكيل إمارة منطقة عسير، إشارة لتعميمه بشأن طلب توثيق المنجزات رقم (٦١٩٤٢) في (١٦-١١-١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، يفيد بمعلومات عن مركز خيبر الجنوب، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

٩- وثيقة رقم(٤١٩٤)، بتاريخ (٢٣-١١-١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، خطاب مدير عام فرع البنك السعودي بخميس مشيط الى أمير منطقة عسير، إشارة إلى تعميمه بشأن طلب توثيق المنجزات، رقم (٣٨٢٦٦)، في (١٣-٧-١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، يفيد بمعلومات عن فرع البنك السعودي بخميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

١٠- وثيقة رقم (٦٠٢/٥/١٠٨٦) بتاريخ (٢٩-٧-١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، إفادة رئيس مركز المضة إلى محافظ محافظة خميس مشيط، إشارة لتعميمه بشأن طلب توثيق المنجزات رقم (١٤٣٧٥) في (١٧-٦-١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، المبني على تعميم وكيل إمارة منطقة عسير رقم(٣١٧٧٦) في(١٠-٦-١٤٣٠ه/٢٠٠٩م)، يفيد بمعلومات عن مركز المضة، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للتراث والثقافة.

١١- وثيقة رقم (٣٨/٥٧٢)، بتاريخ(٢٧-٣-١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، إفادة رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمدينة خميس مشيط، إلى محافظ محافظة خميس مشيط، إشارة لتعميمه رقم (٥٢٧٣) في(٢١-٣-١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، المبني على تعميم أمير منطقة عسير رقم(٣٨٢٦٦) في (١٣-٧-١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، بشأن طلب توثيق المنجزات، يفيد بمعلومات عن هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمدينة خميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للتراث والثقافة.

١٢- وثيقة رقم (٧٤٠٨)، بتاريخ(٢٣-٩-١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، خطاب رئيس بلدية محافظة خميس مشيط، إلى أمين منطقة عسير، إشارة إلى تعميمه بشأن طلب

توثيق المنجزات، رقم (٤١٦١٠)، في (١٩ـ٨ـ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، يفيد بمعلومات عن بلدية خميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

١٣- وثيقة رقم (٢٤/٢/٩٣٠)، بتاريخ(٢٧ـ٣ـ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، إفادة من إدارة الدفاع المدني بمدينة خميس مشيط إلى محافظ محافظة خميس مشيط، إشارة إلى تعميمه بشأن طلب توثيق المنجزات رقم (٥٢٧٣) في(١٢ـ٣ـ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، يفيد بمعلومات إدارة الدفاع المدني بمدينة خميس مشيط، محفوظة لدى مؤسسة دار ألمع للثقافة والتراث.

هـ ـ مكتبة الأستاذ عبد العزيز بن مشيط.

١- وثيقة بدون رقم، غير مؤرخة، رسالة من الشيخ سعيد بن مشيط إلى الملك عبد العزيز ،محفوظة لدى الأستاذ عبد العزيز بن سعيد بن مشيط.

٢- وثيقة بدون رقم، بتاريخ(٦ربيع الأول١٣٣٩هـ/١٩٢٠م)، بخصوص تجديد ولاء الشيخ سعيد بن مشيط للإمام عبد العزيز، محفوظة لدى الأستاذ عبد العزيز بن سعيد بن مشيط.

٣- وثيقة بدون رقم، بتاريخ (٢٩ربيع الآخر١٣٣٩هـ/١٩٢٠م)، بخصوص تجديد ولاء الشيخ سعيد بن مشيط للإمام عبد العزيز، محفوظة لدى الأستاذ عبد العزيز بن سعيد بن مشيط.

٤- وثيقة بدون رقم، بتاريخ (١٣ـ١ـ١٣٤١هـ/٥ـ٩ـ١٩٢٢م)، رسالة من الأمير فيصل بن عبد العزيز إلى الشيخ سعيد بن مشيط، بخصوص ثنائه وشكره لابن مشيط ويخبره بأنه سيتوجه إليهم، محفوظة لدى الأستاذ عبد العزيز بن مشيط.

و ـ مكتبة محمد عبد الوهاب أبو ملحة:

١- وثيقة بدون رقم، بتاريخ (٢٤ـ١٢ـ١٣٤٠هـ /١٨ـ٨ـ١٩٢٢م)، رسالة من الملك عبد العزيز إلى عبد الوهاب أبو ملحة، يخبره بقدوم ابنه الأمير فيصل بن عبد العزيز ومعه قوة من المسلمين، محفوظة لدى الأستاذ محمد بن عبد الوهاب أبو ملحه.

ز ـ مكتبة الأستاذ محمد بن معبر:

١- وثيقة بدون رقم، بدون تاريخ، شهادة صادرة من محكمة خميس مشيط من الشيخ سعيد بن عياش لكاتب العدل الشيخ عبد الله بن معبر، محفوظة لدى الأستاذ محمد بن معبر.

٢- وثيقة بدون رقم، صادرة من كتابة العدل في خميس مشيط، محفوظة لدى الأستاذ محمد بن معبر، بها ختم كتابة العدل، وعليها سنة تأسيسها عام (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م).

ج ـ مكتبة سعيد بن عبد الله بن جفشر:

١- وثيقة بدون رقم، بتاريخ (١٣-٦-١٣٦٣هـ/١٩٤٤م)، رسالة من تركي السديري للشيخ سعيد بن مشيط، محفوظة لدى مكتبة الباحث سعيد بن عبد الله جفشر.
٢- وثيقة بدون رقم، بتاريخ (١٤-٤-١٣٥٢هـ/١٩٣٣م)، بخصوص تقسيم ارث نفلا بنت سالم بن عمير، محفوظة لدى مكتبة الباحث سعيد جفشر.
٣- وثيقة بدون رقم، بتاريخ(١٣٥٦هـ/١٩٣٧م)، بخصوص إثبات قضية بيع وشراء مصدقة من الشيخ سعد بن محمد بن سعدان، محفوظة لدى مكتبة الباحث سعيد جفشر.

ثانياً: المصادر والمراجع العربية والمعربة:

١- ابن جريس، غيثان بن علي، دراسات في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية، الرياض، مطابع الحميضي، (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م). (الجزءان الأول والثاني).
٢- غيثان بن علي، من رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية محمد أنور، الرياض، مطابع الحميضي،(١٤٣١هـ/٢٠١٠م).
٣- غيثان بن علي، أبها حاضرة عسير دراسة وثائقية، الرياض، المرزوق التجارية،١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٤- غيثان بن علي، تاريخ التعليم في منطقة عسير ١٣٥٤-١٣٨٦هـ / ١٩٣٤-١٩٦٦م، ب.ن، (١٤١٦هـ/١٩٩٥م). (الجزء الأول).
٥- غيثان بن علي، تاريخ عسير الحديث والمعاصر، جده، العويفي، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).
٦- غيثان بن علي، عبد الوهاب أبو ملحة في جنوبي البلاد السعودية(١٣٤٠-١٣٧٤هـ - ١٩٢١-١٩٥٤م) دراسة تاريخية وثائقية،الرياض، مطابع الحميضي، (١٤٣٣هـ-٢٠١٢م).
٧- غيثان بن علي، القول المكتوب في تاريخ الجنوب عسير، وجازان، والقنفذة، مطابع الحميضي، الرياض، (١٤٣٣هـ/٢٠١٢)، (الجزء الرابع) (طبعتان أولى وثانية).
٨- غيثان بن علي، عسير في عصر الملك عبد العزيز، دراسة تاريخية للحياة الإدارية والاقتصادية، د.ن، (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
٩- ابن حنبل، أبو الفضل صالح بن أحمد، سيرة الامام أحمد بن حنبل،الرياض، دار السلف،(١٤١٥هـ /١٩٩٥م).
١٠- ابن دهيش، عبد اللطيف بن عبد الله، التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبد العزيز، د.ن، د.ت.

١١- ابــن دهيش، عبد الملــك، تعليم البنات في المملكة العربيــة السعودية، بحث مقدم لمؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام (١٣١٩هـ ـ١٤١٩هـ).
١٢- ابن زلفة، محمد بن عبد الله، دراسات من تاريخ عسير الحديث، منشورات نادي أبها الأدبي، (١٤١٢هـ/١٩٩١م)، ص ١٠٩.
١٣- ـــ، محمــد بن عبــد الله، عســير في عهد الملــك عبد العزيــز دورهــا السياسي والاقتصــادي والعسكري في بناء الدولــة السعودية الحديثة، منشورات نادي أبها الأدبي، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
١٤- ابــن عفتان، عبد الله بن علي، بنو رزام تاريخ وحضارة، من منشورات نادي أبها الأدبي،(١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م).
١٥- ابــن مشيط، عبد العزيز بــن سعيد، الشيخ سعيد بن عبد العزيز بن مشيط شيخ شمل قبائل شهران في ذاكرة التاريخ، دار ابن حزم، الرياض،(١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
١٦- ابــن معبــر، محمد بــن أحمد، خميســ مشيط سيرة رجــل وتاريخ مدينــة، د ن، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
١٧- ـــ، محمــد بن أحمــد، ذكريات عــن مدينة خميســ مشيــط ١٣٨٦ــ١٤٠٠هـ / ١٩٦٦ــ١٩٨٠م، د.ن، د.ت.
١٨- ابن هذلول، سعــود، تاريخ ملوك آل سعود، مطابــع الرياض، الرياض،(١٤٨٠هـ ـ١٩٦١م)، ط١.
١٩- أبــو داهشــ، عبــد الله بن محمــد، الحيــاة الفكريــة والأدبية في جنوبــي البلاد السعودية(١٢٠٠ـــ ١٣٥١هــ/١٧٨٥-١٩٣٢م)، أبهــا، من منشــورات نادي أبها الأدبي.
٢٠- أحمد، فؤاد عبد المنعم، الحسبة في النظام الأساسي في الحكم في المملكة العربية السعودية، اللجنة العلمية، مركز البحوث والدراسات،(١٤٣١هـ/٢٠١٠م).
٢١- آل الشيــخ، صالح بن عبد العزيز، جهود خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، د.ن، د.ت.
٢٢- آل بسام، عبد الله بن عبد الرحمن، علماء نجد خلال ثمانية قرون، دار العاصمة، الرياض، (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).
٢٣- آل خليــل، أنــور بن محمــد، ملامح من زيارتــي الملك سعود بن عبــد العزيز إلى مدينــة أبها عامي (١٣٧٣هـ /١٩٥٣م ـ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م)، بحوث الندوة العلمية لتاريخ الملك سعود بن عبد العزيز التي عقدتها الدارة في الفترة (٥-٧ ذي القعدة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).
٢٤- آل طالع،عبــد الكريم عائض، قبيلة شهران بين الماضي والحاضر بحوث تاريخية وجغرافية واجتماعية، منشورات نادي أبها الأدبي، د.ت، ج ١.

٢٥- آل يحيي، خالد مستور، دراسة ميدانية استطلاعية حول أبرز المشكلات التي تعترض سير العمل في بلدية خميس مشيط، وسبل التغلب عليها، من إصدارات معهد الإدارة العامة، تم إعدادها كمتطلب لبرنامج إدارة البلديات والمجمعات القروية، الذي تنظمه وزارة الشؤون البلدية.
٢٦- الألمعي، يحيي بن إبراهيم، رحلات في عسير، من منشورات مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض، ج ١.
٢٧- إمارة منطقة عسير، عسير في عام من رجب١٣٩١هـ/١٩٧١م إلى رجب١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، الرياض، منشورات مكتبة الملك عبد العزيز العامة.
٢٨- إمارة منطقة عسير، عسير في عشر سنوات من٩٠/١٣٩١هـ إلى٩٩/١٤٠٠ هـ، دليل إحصائي، من إصدارات نادي أبها الأدبي.
٢٩- بحيري، مسعد السيد، أثر شبكة الطرق في نمو الأنشطة الاقتصادية (دراسة حالة لطريق أبها – خميس مشيط) في منطقة أبها الحضرية، مجلة بحوث كلية الآداب جامعة المنوفية، العدد ٣٥، يونيو ٢٠٠٥م.
٣٠- البشتاوي، حمزة، ترجمة: سامح أبو الهدى، الموسوعة الشاملة للطائرات العسكرية والمدنية، بيروت، دار الكتاب الحديث،(١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
٣١- البلادي، عاتق بن غيث، بين مكة وحضرموت رحلات ومشاهدات، مكة، دار مكة للنشر والتوزيع، (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).
٣٢- الحقيل، سليمان بن عبد الرحمن، نظام وسياسة التعليم في المملكة العربية السعودية، ب.ن، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٣٣- حمزة، فؤاد، في بلاد عسير، الرياض، مكتبة النصر الحديثة، (١٣٨٨ـ١٩٦٨م).
٣٤- ـــ ،فؤاد، البلاد العربية السعودية،الرياض، مكتبة النصر الحديثة، (١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م)،ص ١٩١.
٣٥- الخثعمي، مسفر بن سعد، خميس مشيط دراسة توثيقية، مطابع السروات،جدة،(١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).
٣٦- دلال، عبد الواحد محمد راغب، البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران، القاهرة، د.ن،(١٤١٨هـ ١٩٩٨م)، ط١ ،ج٢.
٣٧- الرحيلي، حمود بن أحمد، قواعد مهمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ضوء الكتاب والسنة، د.ن، د.ت.
٣٨- الريحاني، أمين، تاريخ نجد الحديث وملحقاته، المكتبة العلمية، بيروت، (١٣٤٧هـ/١٩٢٨م)، ط١.
٣٩- الزركلي، خير الدين، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، دار العلم للملايين،بيروت، (١٩٨٨م)، ط٥.

٤٠- الزركلــي، خــير الدين، شبه الجزيــرة في عهد الملك عبد العزيــز، من منشورات مكتبة الحرم الملكي الشريف، ج٣.

٤١- زريقات، مراد بن علي، التغيير الاجتماعي عند ابن خلدون، ورقة عمل مقدمة لندوة ابن خلدون التي تعقدها الجمعية السعودية لعلم الاجتماع، الرياض (٢٠٠٧م).

٤٢- الزهــراني، عبد الله بــن عبد الرحمن، التوســع العمراني وتأثيره على المناطق السياحية في منطقة عسير بالمملكة العربية السعودية، دمشق، جامعة دمشق كلية الهندسة المعمارية، (٢٠٠٦م).

٤٣- الزهراني،عبــد الله بــن محمــد، تاريخ القضــاء والقضــاة في العهــد السعودي (١٣٤٤-١٤١٦) هـ، د.ن، د.ت، مج٥.

٤٤- سليمان، حسن، الأمير عبد العزيز بن مساعد حياته ومآثره، د.ن، د. ت.

٤٥- شاكر،محمود،شبه الجزيرة العربية عسير، المكتب الإسلامي، بيروت،(١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ط٣.

٤٦- الشريف، عبد الرحمن صادق، مناخ إقليم جنوب غرب المملكة العربية السعودية، مجلة الدارة، العدد الأول، السنة الثانية، ربيع الأول (١٣٩٦/ مارس١٩٧٦م).

٤٧- ـــــ ، عبد الرحمن صادق، جغرافيــة المملكة العربية السعودية إقليم جنوب غرب المملكة، الرياض، دار المريخ، (١٤٠٤/١٩٨٤م).

٤٨- عبــد الستــار، السيــد، برنامج تطــور المواصلات السلكيــة واللاسلكيــة بالمملكة العربيــة السعودية للفــترة مابــين (١٣٨٦-١٣٩٠هـ/١٩٦٦-١٩٧١م)،الرياض، وزارة المواصلات، ب.ت.

٤٩- عبــد العزيــز، عبد الرحمن، الإنجــازات الحضارية الحديثــة في المملكة العربية السعودية، (مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢٥هـ).

٥٠- العتيبي، إبراهيم بن عوض، الأمن في عهد الملك عبد العزيز تطوره وآثاره ١٣٧٣- ١٣٧٣هـ/ ١٩٢٠-١٩٥٣م، الرياض، مطبوعات (مكتبة الملك عبد العزيز العامة).

٥١- ـــــ، إبراهيــم بــن عوض، تنظيمــات الدولــة في عهد الملــك عبد العزيــز (١٣٤٣- ١٣٧٣هـ/١٩٢٤-١٩٥٣م)،دراسة تاريخية،الرياض،العبيكان،(١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

٥٢- العجــلاني، منــير، تاريــخ مملكة في ســيرة زعيم، فيصــل ملك المملكــة العربية السعودية، منشورات مكتبة الجامعة الأردنية، (١٩٦٨م).

٥٣- العقل، ناصر بن عبد الكريم، أثر العلماء في تحقيق رسالة المسجد، د.ن، د.ت.

٥٤- العمــروي، عمر بن غرامة، منطقة تثليث وما حولها عبر العصور، دار الطحاوي، الرياض، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

٥٥- الغامـدي، سعيد بن عبد الله، الإتحاف بتخريج أحاديث شرح المنتهى والكشاف، الريحانية،الباحة، (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).
٥٦- الغلامـي، عبد المنعم، الملك الراشد جلالة المغفور لـه عبد العزيز آل سعود، دار اللواء، الرياض، (١٣٧٣هـ/١٩٥٤م).
٥٧- الغليسي، سعيد حميد، ثورة سبتمبر اليمنية قادتها وصراعاتها الداخلية والخارجية ١٩٦٢-١٩٧٠م، من منشورات مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض.
٥٨- فيلبـي، هـاري سانـت جـون، تعريـب حسـن مصطفـى، مرتفعـات الجزيـرة العربية،الرياض، مكتبة العبيكان،(١٤٢٦هـ/٢٠٠٥)، ج١.
٥٩- القـادري، أبـو بكر، رسالة المسجد عـبر التاريخ، مجلة البحـوث الإسلامية، من شوال إلى ربيع الأول، من سنة (١٣٩٥هـ-١٣٩٦هـ)، العدد ٢.
٦٠- ليبنـز، فيليـب، ترجمة: محمـد الحناش، رحلـة استكشافيـة في وسط الجزيرة العربية، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، (١٤١٩هـ).
٦١- المالـك، إبراهيم بن مالك وآخرون، القوات المسلحة السعودية (١٣١٩هـ ـ١٤١٩هـ) ـ، إدارة الشئون العامة للقوات المسلحة وزارة الدفاع والطيران، (١٤١٩هـ).
٦٢- المانـع، محمـد بـن عبـد الله، توحيـد المملكـة العربيـة السعوديـة، العبيـكان، الرياض،(١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م)، ط٢.
٦٣- الماوردي، علي بن محمد، تحقيق: أحمد البغدادي، الأحكام السلطانية، د.ن، ١٤١٩ هـ.
٦٤- المطيري، عبد الله، البليهي في حوارات الفكر والثقافة، إصدارات النادي الأدبي بحائل.
٦٥- موريسـ، ترجمه وعلق عليه: محمد بن عبـد الله آل زلفة، (رحلة في بلاد العرب الحملة المصرية على عسير١٢٤٩هـ/١٨٤٣م)، د.ن، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
٦٦- النحـاس، أحمـد مصطفـى، الاستخدامـات التجاريـة بمدينة خميـس مشيط دراسـة جغرافية في استخدام الأرض الحضـري، (الكويت، الجمعية الجغرافية الكويتية،١٤١٩هـ-١٩٩٨م).
٦٧- النعمـي، هاشم بـن سعيد، تاريـخ عسير في الماضـي والحاضـر، الأمانة العامة للاحتفـال بمرور مئـة عام علـى تأسيـس المملكـة العربيـة السعودية،الرياض، (١٤١٩هـ-١٩٩٩م).
٦٨- هاشـم بن سعيد، شذا العبير من تراجـم علماء وأدباء ومثقفي منطقة عسير في الفترة مابين (١٢١٥ـ١٤١٥هـ)، منشورات نادي أبها الأدبي، ١٤١٥هـ.
٦٩- الهاجـري، راشد بـن ظافر، جـواز السفر السعـودي تاريخ نشأتـه وتطور قطاع الجوازات، دار المداد، الرياض، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

٧٠- الهمداني، الحسن بن أحمد، صفة جزيرة العرب، صنعاء، مكتبة الإرشاد،(١٤١٠هـ ـ١٩٩٠م).
٧١- وهبة، حافظ، جزيرة العرب في القرن العشرين،دار الآفاق العربية، (القاهرة، ١٣٧٥هـ، ط٣).
٧٢- ـــ، حافظ، خمسون عاما في جزيرة العرب، دار الآفاق العربية، (القاهرة،١٤٢١هـ/٢٠٠١م).
٧٣- اليابس، عبد الله بن محمد، القويعية قاعدة العرض، د.ن، (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).
٧٤- آل دريب، سعود بن سعد، التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية في ضوء الشريعة الإسلامية ونظام السلطة القضائية، رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراة في السياسة الشرعية، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
٧٥- البشري، إسماعيل محمد، إقليم عسير في عهد الملك عبد العزيز آل سعود (١٣٣٧-١٣٧٣هـ /١٩١٩-١٩٥٣م)، دراسة في التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي، رسالة مقدمة لقسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الحديث،(١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
٧٦- جفشر، سعيد بن عبد الله، القضاء في منطقة عسير في عهد الملك عبد العزيز ١٣٣٨-١٣٧٣هـ /١٩٢٠- ١٩٥٣م) رسالة علمية لنيل درجة الماجستير جامعة الملك خالد، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م.
٧٧- السبيعي، جفال بن جبر، التعليم العسكري والأمني في المملكة العربية السعودية، رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة أم القرى،(١٤٢٦/١٤٢٧هـ).
٧٨- السناني، محمد بن مبارك، التنظيمات الإدارية في عهد الملك سعود (١٣٧٣-١٣٧٤هـ /١٩٥٣م-١٩٦٤م)، رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في التاريخ الحديث، جامعة أم القرى، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
٧٩- الفيفي، أحمد بن حسن، مخطط النطاق العمراني ودوره في نمو مدينة خميس مشيط، رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الماجستير بجامعة الملك خالد، (١٤٣١هـ/٢٠١٠م).
٨٠- القاضي، حنان عبد الهادي، الأنشطة الاقتصادية وأبعادها المكانية في مدينة خميس مشيط دراسة في الجغرافيا الاقتصادية، رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الجغرافيا بجامعة الملك خالد، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٨١- القحطاني، عبد الله بن سعيد، (تركي بن محمد بن ماضي١٣٤٢ـ١٣٨٥هـ /١٩٢٤ـ١٩٦٦م دراسة تاريخية وثائقية)، رسالة علمية لنيل درجة الماجستير جامعة الملك خالد، (١٤٣٥هـ /٢٠١٤م).

ثالثاً: الجرائد والمجلات، والموسوعات، والمعاجم:

١- القحطاني، فهد بن سعد، جهود هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواجهة الجريمة (هيئة محافظة خميس مشيط أنموذجاً)، رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (١٤٣١/١٤٣٢هـ ـ٢٠١٠/٢٠١١م).

٢- صحيفة أم القرى، السنة (٤١، ٢٥) (شعبان١٣٨٣هـ / يناير١٩٦٤م، العدد٢٠٠٤).

٣- صحيفة أم القرى، السنة (٢٢، ١٢) (ربيع الثاني١٣٦٥هـ /١٥ مارس١٩٤٦م، العدد١٠٩٨).

٤- صحيفة أم القرى، السنة(٣٦، ٢٩) (ربيع الأول١٣٧٩/٢ أكتوبر١٩٥٩م، العدد ١٧٨٧). ٨٦ـ صحيفة أم القرى، السنة (١٩٧٤)،(٢٢محرم١٣٨٣هـ /١٤يونيو١٩٦٣م، العدد٤٠).

٥- صحيفة أم القرى، السنة(٤١)، (ربيع الثاني١٣٨٤هـ/٢٨أغسطس١٩٦٤م،العدد٢٠٣٥).

٦- صحيفة أم القرى،السنة(٤٥، ١) (جمادي الأولى١٣٨٨هـ/٢٦يوليو١٩٦٨م،العد د ٢٢٣١).

٧- صحيفة أم القرى، السنة(٤٨)،(٣٠جمادي الأول١٣٩١هـ/٢٣يوليو١٩٧١م، العدد٢٣٨١).

٨- صحيفة أم القرى، السنة(٤٩)،(٤ شعبان١٣٩١هـ/٢٤سبتمبر١٩٧١م، العدد٢٣٩٠).

٩- آل عامر، سعاد، حكاية اسم خميس مشيط، الرياض، المجلة العربية، ذو القعدة(١٤٢٦هـ /ديسمبر ٢٠٠٥م، العدد ٣٤٦).

١٠- بدون مؤلف، الأمير عبد الله بن فيصل بن فرحان إلى رحمة الله، جريدة الرياض، (الثلاثاء٣٠/ ١٠/ ١٤٢٧هـ — ٢١/ نوفمبر/٢٠٠٦م، العدد ١٤٠٢).

١١- جريدة البلاد ، (الثلاثاء ٢٧ربيع الأول ١٣٨٧هـ/٣يوليو١٩٦٧م)، العدد (٢٥٥٢).

١٢- جريدة البلاد، السنة (٩)، (الأحد٢١ربيع الثاني١٣٨٩هـ /٦يوليو١٩٦٩م)، العدد(٣١٥٧).

١٣- جريدة البلاد،السنة(١٢)،الأربعاء(١٥)رمضان ١٣٩١هـ/٣نوفمبر١٩٧١م)، العدد(٣٨٦٧).

١٤- جريدة المدينة، السنة ١٠، الجمعة ٢٥ صفر ١٣٩٣هـ /٣٠ مارس ١٩٧٣م، العدد ٢٧٣٣.

١٥- جريدة المدينة، شوال ١٤٠٠هـ/ أغسطس ١٩٨٠م، العدد ١٩.
١٦- جريـدة النـدوة، السنــة(١٥)، (الأربعاء١٦صفر١٣٩٣هـ/٢١مارس١٩٧٣م)، العـدد(٤٢٨). ٩٩ـــ جريـدة النـدوة، السنة(١٤)،الثلاثـاء٢٧ صفـر ١٣٩٢هـ /١١ابريل١٩٧٢م، العدد (٤٠٠١).
١٧- جريدة الندوة، السنة (١٤)، (الاثنين ٢٩ جمادي الأولى ١٣٩٢هـ،١٠يوليو١٩٧٢م، العدد (٤٠٦٨).
١٨- جريـدة الوطـن، السنــة (١٠)، (٢٠ جمــادي الأولى١٤٣١هـ/٤ مايـو٢٠١٠م)، العدد (٣٥٠٤).
١٩- جريدة عكاظ، (الأحد٣٠ ربيع الأول١٣٨٩هـ/١٥يونيو١٩٦٩م)، العدد(١٣٩٣).
٢٠- جريدةعكاظ، (الاثنين٥ربيع الثاني١٣٨٥هـ/٢أغسطس١٩٦٥م)، العدد(٢٣٧).
٢١- جريدة عكاظ ، (السبت٢١محرم ١٣٩٣هـ/٢٤فبراير١٩٧٣م)، العدد (٢٥١٠).
٢٢- جريدة عكاظ، السنة(٨)، السبت١٨جمادي الثانية١٣٩٢هـ/٢٩يوليو١٩٧٢م)،ا لعدد (٢٣٤٠).
٢٣- الحمـادي، صالـح، جريـدة الجزيـرة،(٢١ذو القعدة١٤١٠هـ/يونيـو١٩٩٠م)، العدد(٦٤٦٨).
٢٤- الزيدان، خالد، إلغاء الإعلانات عن فقدان بطاقات الأحوال ودفتر العائلة، جريدة الرياض،السنة (٣٧)، (الأربعاء،١١شعبان١٤٢١هـ/٢٠٠م)، العدد (١١٨٢٥).
٢٥- العسكـر، عبد الله بن إبراهيم، رحـلات الغربيين إلى الحجاز، جريدة الرياض، (١٤٢٢/١١/٢٨هـ ــ٢٠٠٢/٢/١١م).
٢٦- جريـدة الريـاض، (الثلاثـاء١٣ذي القعدة١٤٣٢هـــــ ١١ أكتوبـر٢٠١١م) ــ العدد(١٥٨١٤).
٢٧- القادري، أبو بكر، رسالة المسجد عبر التاريخ، مجلة البحوث الإسلامية، من شوال إلى ربيع الأول، من سنة (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م-١٣٩٦ هـ/١٩٧٦م)، العدد (٢).
٢٨- ابـن خميس، عبـد الله بن محمد، المعجم الجغـرافي للمملكة العربيـة السعودية معجم اليمامة، د.ن، ١٣٩٨هـ،ج
٢٩- أبو العزم، عبد الغني، معجم الغني الزاهر، ب.ن، (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م).
٣٠- الحربي،علـي بن ابراهيـم، المعجم الجغـرافي للبلاد العربيـة السعودية منطقة عسير،د.ن،(١٤١٧هـ- ١٩٩٧م). (ثلاث أجزاء) .
٣١- الحموي،شهاب الدين، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، مج٢.
٣٢- الزركلي، خير الدين، الأعلام،دار العلم للملايين، بيروت،(١٩٨٠م).

٣٣- شامي، يحيي، موسوعة المدن العربية والإسلامية ، دار الفكر العربي، بيروت، (١٩٩٣م).
٣٤- شامي، يحيى، موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، (١٩٩٣م).

رابعاً : اتصالات هاتفية ومقابلات شخصية، وتقارير ومطبوعات حكومية ودراسات ميدانية :

١- اتصال هاتفي أجرته الباحثة، مع الأستاذ سعد بن محمد بن سعدان أحد أحفاد الشيخ سعد بن سعدان، يوم الثلاثاء تاريخ (١٢ـ٣ـ١٤٣٥هـ/١٤ـ١ـ٢٠١٤هـ).

٢- اتصال هاتفي أجرته الباحثة، مع الأستاذ سفر عبد الله برقان عضو المجلس البلدي بمنطقة عسير سابقا، يوم الخميس بتاريخ (٢٧ـ١١ـ١٤٣٤هـ /٣ـ١٠ـ٢٠١٣م).

٣- اتصال هاتفي أجرته الباحثة، مع النقيب المهندس في مدينة الملك فيصل العسكرية : ضيف الله جابر الشمراني، يوم الأربعاء (٩ـ١٠ـ١٤٣٥هـ /٦ ـ ٨ ـ ٢٠١٤).

٤- اتصال هاتفي أجرته الباحثة مع شركة نوركونسلت في مدينة الرياض، على طريق الملك عبد العزيز الفرعي، يوم الأحد، بتاريخ (٥ـ٨ـ١٤٣٦هـ/٢٤ـ٥ـ٢٠١٥م).

٥- اتصال هاتفي أجرته الباحثة مع أحد أبناء الشيخ أحمد الحواشي إمام المسجد الجامع بخميس مشيط، يوم الثلاثاء بتاريخ (١٣ـ٢ـ١٤٣٥هـ/١٧ـ١٢ـ٢٠١٣م).

٦- اتصال هاتفي أجرته الباحثة مع الناطق الإعلامي لصحة عسير الأستاذ سعيد بن عيد الله النقير، يوم الأحد، بتاريخ (١٩ـ٤ـ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م).

٧- مقابلة شخصية مع الأستاذ عبد العزيز بن سعيد بن مشيط، يوم الإثنين، بمنزله بخميس مشيط، بتاريخ (١ـ١ـ١٤٣٥هـ/٤ـ١١ـ٢٠١٣م).

٨- مقابلة شخصية مع الأستاذ عبد العزيز بن سعيد بن مشيط، يوم الأحد ،بمنزله بخميس مشيط، تاريخ (٢٣ـ٢ـ١٤٣٤هـ/٦ـ١ـ٢٠١٣م).

٩- مقابلة شخصية مع الشيخ سعيد بن عبد الله عياش الغامدي رئيس المحكمة المتقاعد بخميس مشيط،بمنزله في مدينة الطائف، يوم الخميس تاريخ(١ـ٢ـ١٤٣٥هـ/٥ـ١٢ـ٢٠١٣م).

١٠- مقابلة شخصية مع العم سالم مسفر علي الدوسري من مواليد خميس مشيط عام (١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م) ، يوم الخميس(١ـ١١ـ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م) بمنزله بحي الهميلة.

١١- مقابلـة شخصيـة مـع العـم عبـد الله بـن محمـد بـن سلمـان آل مثيـب مـن مواليـد عام(١٣٥٦هـ/١٩٣٧م)، في منزلـه في حـي العـرق، يـوم الجمعـة (٢-١١-١٤٣٥هـ/٢٠١٤م).

١٢- مقابلـة شخصيـة مع سعيـد بن عبـد الله بن سلمـان آل مثيب مـن مواليد عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م) بخميس مشيط، في مزرعته على طريق وادي بن هشبل يوم الأربعاء (٣٠/١٠ـ١٤٣٥هـ/٢٧-٨-٢٠١٤م). الساعة الرابعة عصرا.

١٣- إدارة مدينـة الملك فيصل العسكرية للتشغيل والصيانة بالمنطقة الجنوبية، كتيب المسيرة والبناء في أرض العطاء، ص ١٣.

١٤- أوراق حصلـت عليها الباحثة مـن الأستاذ محمد بن معبر، تفيد عن المستشفيات التي تأسست في خميس مشيط، يوم الأربعاء، بتاريخ (١٣ـ١١ـ١٤٣٤هـ/١٨ـ٩ـ٢٠١٣م).

١٥- أوراق حصلـت عليهـا الباحثة مـن السجل التاريخي بقاعـدة الملك خالد الجوية بمدينة خميس مشيط.

١٦- تقرير مرسل الأستاذ محمد بن معبر، ترجمة عن حياة الشيخ عبد الله بن محمد بن معبر، بتاريخ (٢٠ ـ٥ـ١٤٣٥هـ/٢٢ـ٣ـ٢٠١٤م).

١٧- تقريـر مرسل من الأستـاذ عبد الرحمن بن محمد عوضـة، مدير مكتب التعليم بخميس مشيط، يوم الخميس، تاريخ (٤-٧-١٤٣٦هـ /٢٣-٤-٢٠١٥م).

١٨- تقريـر مرسل مـن الأستاذ محمد بـن عبد الوهاب أبـو ملحـه، بتاريخ(١٣ـ٦ـ١٤٣٤هـ/٢٣ـ٤ـ ٢٠١٣م.

١٩- تقرير مرسل من الملازم أول/جابر بن أحمد الشهراني، مدير العلاقات والإعلام في مديرية السجون بمنطقة عسير، يفيد بمعلومات عامة عن إدارة سجن خميس مشيط، بتاريخ (١٦ـ١ـ ١٤٣٦هـ/٨- ١١- ٢٠١٤م).

٢٠- تقرير مرسل من رئيس مركز خيبر الجنوب الأستاذ فهد بن محمد السريعي يوم الأحد(٢٧ـ١٠ـ ١٤٣٥/ ٢٤- ٨- ٢٠١٤م).

٢١- تقرير مرسل من قبل الأستاذ محمد بن سعيد الشهراني، المستشار الفني بقاعدة الملك خالد الجوية، يوم الخميس (٢٦ـ٤ـ١٤٣٥هـ/٢٧ـ٢ـ٢٠١٤م).

٢٢- تقريـر مـن شرطـة منطقـة عسيـر، عـن طريـق المقدم مشـاري بـن محمـد آل مفـرح معلومـات عـن شرطـة خميـس مشيـط، يـوم الأربعـاء، بتاريـخ (١١ـ٤ـ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م).

٣٢- خطاب رقم (١٠٧٤)، بتاريخ (١٤ـ٨ـ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)، مرسل من مدير مركز شرطة يعرى الرائد مسفر بن ناصر الشهراني؛ زيارة ميدانية قامت بها الباحثة لمركز شرطة يعرى يوم الثلاثاء بتاريخ (٨ـ١٠ـ١٤٣٥هـ /٥ـ٨ـ٢٠١٤م).

٢٤- خطاب رقم(٣/٦٠٢ /١٣٠٩)، بتاريخ (٨ـ١٠ـ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م) مرسل من رئيس مركز يعرى الأستاذ فيصل بن عبد العزيز بن مشيط.

٢٥- خطاب رقم (٣٧٠/٤٤)، بتاريخ (٢٣ـ٩ـ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)، مرسل من رئيس مركز هيئة يعرى علي بن عائض العسيري.

٢٦- الرئاسة العامة لرعاية الشباب، مكتب منطقة عسير، تقرير عن رعاية الشباب بمنطقة عسير خلال الفترة من (١٣٩١هـ إلى ١٤١٧هـ).

٢٧- الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرع منطقة عسير محافظة خميس مشيط، لمحة تاريخية عن هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمحافظة خميس مشيط.

٢٨- المديرية العامة للسجون، نبذة تعريفية عن المديرية، الرياض، وزارة الداخلية.

٢٩- نبذة مختصرة حصلت عليها الباحثة من مكتب الأحوال المدنية بمحافظة خميس مشيط عن إدارة الأحوال المدنية بخميس مشيط، يوم الأحد، بتاريخ (٢٥-٧-١٤٣٥هـ/٢٥-٥-٢٠١٤م.

٣٠- النشرة النصفية لإحصاءات البلديات، النصف الثاني من عام (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)، وكالة وزارة الداخلية لشؤون البلديات، إدارة الإحصاء والتنظيم،، رخص البناء الممنوحة من قبل البلديات خلال النصف الأول من عام (١٣٩٠هـ)، العدد (٨)، السنة(٤).

٣١- وزارة الاتصالات وتقنية المعلومات، نبذه تاريخية.

٣٢- وزارة الاقتصاد والتخطيط، مصلحة الإحصاءات العامة والمعلومات، تقديرات السكان في منتصف العام للمناطق الإدارية والمحافظات(١٤٣١-١٤٣٢هـ/١٤٤٦ـ١٤٤٧هـ الموافق ٢٠١٠ – ٢٠٢٥).

٣٣- وزارة الدفاع والطيران والمفتشية العامة، إدارة التخطيط والميزانية، وحدة البحوث والإحصاء، القوات العربية السعودية المسلحة، التقرير العشري.

٣٤- وزارة الدفاع والطيران والمفتشية العامة، قيادة المنطقة الجنوبية الشؤون العامة، الأرشيف المضيء لقواتنا المسلحة بين الأمس واليوم.

٣٥- وزارة الشـؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشـاد، وكالة الوزارة للتخطيط والتطوير، (١٤٢٧ـ١٤٢٨هـ/٢٠٠٦م ـ٢٠٠٧م).

٣٦- وزارة الشؤون البلدية والقروية،(١٩٩٠م)، التصميم الحضري للمنطقة المركزية لمدينة خميس مشيط، الوضع الراهن، وكالة الوزارة لتخطيط المدن.

٣٧- وزارة الشؤون البلدية والقروية، وكالة وزارة الداخلية لشؤون البلديات، نبذة عن الوزارة، مركز المعلومات.

٣٨- وزارة الصحـة، المديرية العامة للشؤون الصحية بمنطقة عسير، إدارة العلاقات العامة والإعلام والتوعية الصحية بعسير، (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

٣٩- وزارة المياه والكهرباء، تطور الكهرباء خلال مائة عام (١٣١٩/١٤١٩هـ-١٩٠١/ ١٩٩٨م)، طبع بمناسبة مرور مائة عام على توحيد المملكة العربية السعودية.

٤٠- زيـارة ميدانيـة قامـت بهـا الباحثـة لـ حـي العـرق بخميـس مشيـط، يـوم الخميس،(٢-١١- ١٤٣٥هـ /٢٨ـ٨ـ٢٠١٤م).

٤١- زيـارة ميدانية قامـت بها الباحثة لـ حـي المثناة بخميس مشيـط، يوم الخميس، (٢-١١- ١٤٣٥هـ /٢٨ـ٨ـ٢٠١٤م).

٤٢- زيـارة ميدانيـة قامـت بهـا الباحثـة لبلديـة خميـس مشيـط، يـوم الخميـس، (٢٩ـ٧ـ١٤٣٥هـ /٢٩-٥-٢٠١٤م.

٤٣- زيـارة ميدانية قامت بهـا الباحثة لمحافظة خميس مشيـط، يوم الخميس، تاريخ (٢٩ـ٧ـ١٤٣٥هـ/ ٢٩-٥-٢٠١٤م).

٤٤- زيـارة ميدانيـة قامـت بهـا الباحثـة لمحكمـة خميـس مشيـط، يـوم الخميس، (٢٩ـ٧ـ١٤٣٥هـ/٢٩-٥-٢٠١٤م).

٤٥- زيـارة ميدانية قامت بها الباحثة لمدينة الملـك فيصل العسكرية بخميس مشيط، يوم الأربعاء، (٩-١٠-١٤٣٥هـ/٦ـ٨ـ٢٠١٤م).

٤٦- زيـارة ميدانية قامـت بها الباحثـة لمركز الشرطـة بمدينة خميـس مشيط، يوم الثلاثاء، بتاريخ(١٠ـ٤ - ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م).

٤٧- زيـارة ميدانية قامت بها الباحثة لمركـز المضة والدوائر الحكومية بها، بتاريخ١-١١-١٤٣٥هـ/ ٢٧-٨-٢٠١٤م.

٤٨- زيارة ميدانية قامت بها الباحثة لمركز خيبر الجنوب والدوائر الحكومية بها، يوم الأحد،٢٧ـ١٠ – ١٤٣٥/ ٢٤ــ ٨ـ٢٠١٤م).

٤٩- زيـارة ميدانية قامت بها الباحثة لمركز وادي بن هشبـل والدوائر الحكومية بها، يوم الثلاثاء، (٢٩-١٠-١٤٣٥هـ /٢٦-٨-٢٠١٤م).

٥٠- زيارة ميدانية قامت بها الباحثة لمركز يعرى والدوائر الحكومية بها، يوم الثلاثاء، بتاريخ (٨ـ١٠ ـ١٤٣٥هـ/٥-٨-٢٠١٤م) .

٥١- زيـارة ميدانية قامت بها الباحثة لمكتـب الأحوال المدنية، يوم الخميس، (٢٩-٧-١٤٣٥هـ/ ٢٩-٥-٢٠١٤م).

٥٢- زيـارة ميدانيـة قامـت بهـا الباحثـة لموقـع متوسطـة الإيمـان، يـوم الأحـد، (٧-٧-١٤٣٦ه/٢٦-٤-٢٠١٥م).

٥٣- زيـارة ميدانية قامـت بها الباحثة لموقـع متوسطة الكسائي، يـوم الأحد،(٧-٧-١٤٣٦هـ/٢٦-٤-٢٠١٥م).

٥٤- زيـارة ميدانية قامت بها الباحثة لموقـع متوسطة المدينة المنورة، يوم الأحد، (٧-٧-١٤٣٦هـ /٢٦-٤-٢٠١٥م).

٥٥- زيـارة ميدانية قامت بها الباحثة لموقع مدرسة الخالدية الابتدائية، يوم الثلاثاء، بتاريخ (٢- ٢-١٤٣٦ هـ / ٢٥- ١١- ٢٠١٤م).

٥٦- زيارة ميدانية قامت بها الباحثة لموقع مدرسة محمد بن عبد الوهاب الابتدائية،يوم الثلاثاء، بتاريخ (٢- ٢- ١٤٣٦هـ/٢٥-١١-٢٠١٤م).

٧٥- زيـارة ميدانية قامت بها الباحثة لموقع مدرسـة مسلمة بن عبد الملك الابتدائية، يوم الثلاثاء، بتاريخ (٢- ٢- ١٤٣٦هـ/٢٥-١١- ٢٠١٤م).

٥٨- زيـارة ميدانيـة قامت بها الباحثـة لهيئة الأمر بالمعروف والنهـي عن المنكر، يوم الخميس، (٢٩- ٧ - ١٤٣٥هـ/٢٩-٥-٢٠١٤م).

٥٩- زيارة ميدانية قامت بهـا الباحثة، لقاعدة الملك خالد الجوية، يوم الأحد، ٧-٢-١٤٣٦هـ/ ٣٠- ١١- ٢٠١٤م.

القسم الثالث

من تاريخ أدب الرحلات، والقلم والكتاب، والمواصلات ، والاتصالات ، ووسائل التواصل الاجتماعي في حياة الناس

(١٣٨٠ - ١٤٤٤هـ / ١٩٦٠ - ٢٠٢٣م)

القسم الثالث

من تاريخ أدب الرحلات، والقلم والكتاب، والمواصلات، والاتصالات، ووسائل التواصل الاجتماعي في حياة الناس (١٣٨٠ - ١٤٤٤هـ / ١٩٦٠ - ٢٠٢٣م)

أولاً: مدخل:

تضمن هذا القسم ثلاث دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر.

الأولى: لأستاذ مغربي متخصص في التاريخ الحديث، دون فيها تحليلاته وانطباعاته ووجهات نظره على بعض الرحلات الميدانية لغيثان بن جريس في بعض بلدان السروات وتهامة. وهي تكملة لدراسات سبق إنجازها ثم طباعتها ونشرها في جزء سابق من موسوعة: **(القول المكتوب في تاريخ الجنوب)** [(١)].

والدراسة الثانية: رحلتي مع القلم والكتاب وكيف رأيت تأثيرهما على حياة الناس خلال أكثر من ستة عقود (١٣٨٠ـ١٤٤٤هـ/١٩٦٠ـ ٢٠٢٢م). وفي هذا المحور لن أتحدث عن نفسي وسيرتي الذاتية مع الكتاب والقلم، لكنني سوف أذكر شذرات مما عرفته

---

(١) يوجد هناك الكثير من الكتب والبحوث التي رصدت الكثير من حياة وتوثيقات رحالة وجغرافيين ومدونين قدموا إلى مكة عبر أطوار التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث والمعاصر، ومعظم هذا التراث مطبوع ومنشور ومازال هناك بعض المخطوط الذي ينتظر الدراسة والتحقيق ثم الطباعة والنشر.

وعاصرته من تأثيرات إيجابية للقلم والكتاب على المجتمعات التي عشت فيها من بداية الثمانينيات في القرن الهجري الماضي إلى وقتنا الحالي (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م).

والدراسة الثالثة : ليست بعيدة في منهجها عن الدراسة الثانية السابق ذكرها، لكنها في المبحث الأول تناقش الكتاب والقلم في بناء المجتمعات وتطويرها بالطرق القديمة التقليدية. أما هذه الدراسة فهي تدور في فلك المواصلات، والتقنية والإنترنت وصلتها بالاتصالات ووسائل التواصل الإلكترونية وآثارها السلبية والإيجابية وبخاصة خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م).

كل الذي طرحته ونشرته في هذا القسم أمور علمية اجتهادية، وجل المادة المدونة لها صلة قوية ومباشرة ببلاد السراة وتهامة. مع أن معظم مادة الموضوعين الثاني والثالث عامة. والذي قد يقال عنهما في تهامة والسراة، قد يدرس ويناقش في بلدان ومجتمعات أخرى عربية وإسلامية وأجنبية.

ثانيا: الرحلات الغيثانية (الجريسيـة) في جنوب المملكة العربيـة السعودية من الإفادة والإمتاع إلى طرح الأفكار والتصورات «القسم الثاني». بقلم. أ.د. أحمد محمد إيشرخان[1].

م	الموضوع	الصفحة
أولا	في الدفاع عن التراث اللامادي المهدد بالضياع.	٢٣٤
ثانيا	الرحلات الغيثانية (الجريسية) سجل حافل بالتراث اللامادي.	٢٣٥
ثالثا	التاريخ علم يصنع المستقبل.	٢٤٢
رابعا	إن رجال التقدم بأتم معنى الكلمة، هم أولئك الذين يجلون الماضي كثيرا.	٢٤٢
خامسا	من التاريخ إلى السيسيولوجيا.	٢٤٣
سادسا	التراث الشفهي من المنطوق إلى المرقوم.	٢٤٥
سابعا	التاريخ هو دراسة تبدل الأحوال في الأمم والأجيال.	٢٤٦
ثامنا	لم تكن صيحة في واد ولا نفخة في رماد – القسم الثاني.	٢٤٩
تاسعا	في الدعوة إلى تجنب القطيعة بين الأجداد والأحفاد حتى لا يقع التنافر الثقافي بين الأجيال.	٢٦١
عاشرا	على سبيل الختم في الإشارات والتنبيهات الغيثانية (الجريسية).	٢٦٢

أولا: في الدفاع عن التراث اللامادي المهدد بالضياع:

كلما رجعت إلى قراءة مؤلفات الأستاذ الدكتور غيثان بن علي ابن جريس، يراودني سـؤال التراث للامادي، الذي طرحته الساحة الثقافيـة العالمية في سنوات الثمانين من القرن العشرين، حيث شكل المؤتمر العالمي المهتم بالسياسات الثقافية العالمية الذي جرت أشغـال انعقاده بالمكسيك خلال عام (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) المناسبة التي استخدمت فيها عبـارة «التراث غير المادي» لأول مرة، وفي السنوات الأولى من القرن الواحد والعشرين زاد الاهتمـام بهذا النوع مـن التراث، حيث تم اعتماده من طـرف منظمة اليونسكو في عـام (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، مـن خلال الدعـوة إلى حماية التراث غير المـادي باعتباره مكونـا أساسيـا في خصوصية الشعـوب وتنوعها، وهو مصدر من مصـادر قدرتها على التواصـل والانفتاح على الآخر. وقد تم توقيع اتفاقيـة بهذا الشأن صدرت عن اليونسكو بباريس في(١٧ أكتوبر ٢٠٠٣م) سُميت بـ «اتفاقية صون التراث الثقافي اللامادي».

أمـا مفهوم التراث اللامـادي فقد شمل مجمـوع الموروث من المعـارف والمهارات، والتعابير والتمثلات، والفنون والممارسات، والتقاليد والعادات، التي تنتقل من جيل إلى جيـل، إمـا بطريق السماع أو عـن طريق التعليم والتقليد والممارسـة. مما يعطي للأمم والشعوب، والجماعات، قلت أو كثرت، شعورا بالهوية والاستمرارية.

(١) انظـر سـيرة أ.د. أحمـد إيشرخـان في بحثين سابقين في (موسوعـة القول المكتوب في تاريخ الجنـوب) ، ج١٨ ، ص ٣٨٣ – ٣٩٥ ، ج٢١ ، ص ٣٥٤ – ٣٨٣ .

هل كان الأستاذ الدكتور غيثان من السباقين إلى هذه المفاهيم كما هو واضح في مؤلفاته بقصد إبيستيمولوجي موجه؟ أم عبر تجربته التي اكتسبها من منظومته المرجعية فقط؟

سؤال جوهري تجيب عليه مجمل مؤلفاته التي سجلت صفحات مشرقة في مجال التراث الثقافي غير المادي في جنوب المملكة العربية السعودية، وكأن المؤلف أدرك منذ عكوفه على الكتابة والتأليف لموسوعته في تاريخ الجنوب السعودي، بحس عالم الاجتماع، واعتمادا على علم العمران الذي هو جزء من علوم التاريخ، تلك القطيعة التي ستحدث بين الأجيال بسبب التطور الحضاري الذي شهدته المناطق التي زارها وألقى عصا التسيار بها في بلاد تهامة والسراة، من القنفذة وسراة عبيدة والمجاردة وجازان، إلى منطقة الباحة في غامد وزهران، ومحافظة بلقرن وظهران، وبارق عسير وقلوة زهران، وبلاد خثعم وشمران وعليان، والطائف وما يليها من المدن والقرى والحواضر، وفي كل هذه البلدان سجل بنظرته الاستشرافية خطر القطيعة بين الأجيال، كما نبه إلى تلاشي كثير من المعارف والمهارات في الحرف والصناعات، ونادى بتدارك ما يمكن تداركه من أجل صيانة تراث المملكة من الضياع وانتشاله من لعبة النسيان، فأصبحت مؤلفاته سجلا حافلا لما تداولته الأجيال السابقة من روائع التراث اللامادي، بأسلوبه الواضح الذي لا مجمجة فيه.

ثانيا: الرحلات الغيثانية (الجريسية) سجل حافل بالتراث اللامادي[١] :

يبدو للقارئ النبيه المتأمل في مجموع الرحلات الغيثانية أن الأستاذ الدكتور غيثان وضع التراث في جوهر اهتماماته بمعناه الشامل لكل موروث، تماما كما نجد عند المؤرخ المغربي الشهير أستاذنا الدكتور عبد الله العروي الذي كان شديد الاهتمام بالمفاهيم على العموم، كما كان بالغ التمحيص في التعريف بمعنى التراث وببناء صورة معرفية عن معاني الموروث عند دراستنا عليه في أعوام التسعين من القرن العشرين، وقد كتب محددا مفهوم التراث بقوله: «عندما نقول: الموروث أو التراث، فإننا نشير إلى مجموعة من الأشكال الكلامية، أو السلوكية، التي انحدرت إلينا من الأجيال السالفة، وبالتالي فإن كلمة تراث تعني كل ما هو موروث في مجتمع معين عن الأجيال الغابرة: العادات، والأخلاق والآداب، والتعابير، وهذا يعني بالضبط ما تؤديه كلمة تراث». (ثقافتنا في ضوء التاريخ، المركز الثقافي العربي المغرب، ط. ٢، صص. ١٩١-١٩٢).

وإن المتتبع لمؤلفات الأستاذ الدكتور غيثان التي تصدر تباعا منذ عقود يجد فيها الأجوبة على كثير من الأسئلة المتعلقة بصيانة التراث وإنقاذه من التلف والاندثار، مع الدعوة إلى حسن إدارته وجعله تراثا حيا قادرا على مواجهة تحديات الحداثة من خلال

(١) انظر القسم الأول من هذه الدراسة منشور في (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب) ج٢١. ص ٣٥٤ - ٣٨٣ .

نقـل المعـارف والمهـارات والمعاني من جيل إلى جيـل، بل دعا إلى ترويجـه على المستوى الوطنـي والدولي ليصبح مصدرا من مصادر الدخل في المجال السياحي، ولن تتم هذه المبـادرات دون توثيـق هذا التراث، وعرض نماذج منـه في المتاحف، وإدماجه في مجال الإعلام والتعليم وسياسات التخطيط.

ولقد سجل المؤلف المكـثر الدكتور غيثان ملاحظاته الدقيقة المنوهة بمكانة التراث غير المـادي بمنهجيـة الأكاديمي، وملاحظـات الأنثروبولوجـي، ودراسـة الإثنولوجي، ووصف الإثنوغرافي، وقد تمكن من خلال هذه المناهج المعرفية أن يجعل التراث معاصرا لنـا، بتقريب مفاهيمه ومضامينـه إلى الأذهان، محاولا جعله في مجال اهتمام الأجيال المتعاقبـة، الشـيء الذي سيسمح مستقبـلا ببعث التراث من مرقـده بتوظيفه وإغنائه، فيصبـح تراثنا معاصـرا للأجيـال المتعاقبة موصولا بهـا مرتبطا بشعورهـا وانتمائها الوطنـي، وسنوضـح ذلـك من خلال بعض مظاهر الـتراث اللامادي بجنـوب المملكة العربية السعودية من خلال النماذج التي نسوقها هنا على سبيل المثال لا الحصر:

أ- الجمع والالتقاط:

لا يـترك الرحالـة الأسـتاذ الدكتور غيثـان فرصة تمـر دون تسجيـل ملاحظاته، بنـاء على منظومتـه المعرفية التي تختزن جملة من المعـارف التاريخية بمختلف امتداد حقبهـا من التاريخ القديم إلى التاريخ الراهن، والتي تعطينا صورا واضحة عن مجتمع التكافـل والتـآزر، واقتسام موارد العيش، بل والتصدق بجـزء منه مما يعبر عن صورة مجتمع الفضيلة، ففي منطقة الباحة التي كان سكانها يعيشون حياة بسيطة في معاشهم وتدبير مـوارد رزقهم، مارس أهلها مهنةَ الجمعِ والالتقاط بشـكل واسع فاكتسبوا منها مهـارات ومعارف وتوارثـوا فيها أعرافاً وتقاليداً، وقد فصـل الدكتور غيثان في أسباب انتشـار هذه المهنة، كمـا فصل في دواعي انقراضها، فقـد كان الناس يجمعون الحطب قبـل ظهـور الكهربـاء وانتشارها في منطقـة الباحـة لاستعماله في طهـي طعامهم وفي التدفئـة والإنارة، كمـا يقومون بسقي الماء علـى ظهورهم وجمع الأعشـاب والحشائش التـي يقدمونها لحيواناتهم الأليفة في بيوتهم. (الرحلات والرحالة، ج. ٢، ص. ٧٣٧ـــ ٧٣٨). ويمارس بعض الأهالي الالتقاط في الملكيات الخاصة وفي الجبال والأودية حيث تنتشـر بعض الأشجار المثمرة، مثل: النبـق، والهدب، والتفاح البلـدي، والتين الجبلي، وأحيانا الصمغ، ويعتبر هذا النشاط من أقدم أساليب النمط المعيشي عند أفراد القرية أو العشيرة القريبة من منابت هذه الأشجار. وقد ربط الأستاذ الدكتور غيثان انقراض مهنـة الجمع والالتقاط في المقـام الأول بالرفاه الاقتصادي ووفرة المال في أيدي النـاس، أما السبب الثاني فهو متمثل في انتشار التعليم، وامتداد التنمية والتمدن، ولاحظ المؤرخ

الرحالة أن هذه المهنة وما يماثلها من المهن أصبحت غير معروفة، بل لا يجد الزائر أثرا كبيرا لها في المتاحف المحلية، كما هو الشأن مثلا عند أهل منطقة الباحة، لذلك: «يجب على مؤسسات التعليم والثقافة أن تطلع الأجيال الحاضرة على كيفية ممارسة هذه المهن، وفوائدها، وأسباب انقراضها، والعبر والدروس المستفادة منها». (الرحلات والرحالة، ج. ٢، ص. ٧٣٧).

ب ـ القنص البري والصيد البحري:

تعتبر المعارف والمهارات المتوارثة في ممارسة القنص البري والصيد البحري من أهم تجليات التراث اللامادي في جنوب المملكة العربية السعودية، وقد حرص المؤرخ الرحالة الأستاذ الدكتور غيثان على تسجيل صفحات تؤرخ لهذا الموروث الحضاري الذي تناقلت مهاراته الأجيال السالفة بينما قلت لدى الأجيال الراهنة، بل اختفت جل مظاهره بسبب انتشار التمدن واجتثاث الغابات وهجرة الوحيش، كما قلت أو اختفت مجموعة من المهارات التقليدية المتعلقة بالصيد الساحلي بسبب استغناء بعض الأسر البحرية عن الصيد في البحار، إلا القلة منهم حسب ما روى لي بعض أهل المدن الساحلية لما كنت في مدينة أبها البهية في عام (١٤٣٩ه/ ٢٠١٨م)، ولعل الأمر نفسه ينطبق على الأنهار التي تتدفق مياهها في أنحاء البلدان والمحافظات الجنوبية حيث لم أسمع بمن يحترف من أهلها مهنة اصطياد الأسماك في وديان الجنوب السعودي.

أما الرحالة المؤرخ الأستاذ الدكتور غيثان فقد ذكر عكس الروايات التي رويت لي، فبناء على مشاهداته وسماعته التي سجلها أثناء زياراته في مراسي البرك والقنفذة في عام (١٤٣١هـ/٢٠١٠م) نقف على نص يصف فيه بعضا من فنون الصيد البحري حيث يقول: «كان سكان الساحل ولازالوا يمارسون صيد الأسماك، والصيادون لهم أعراف وتقاليد وفنون في الصيد البحري، بل كان لهم شيخ يحتكمون إليه في مشاكلهم وقضاياهم، وتتفاوت سفنهم وقواربهم في الأحجام، والأنواع، والطاقات الاستيعابية، وبين صيادي البحر من التعاون والتكاتف ما يجعلهم يقفون إلى جانب من تحل به كارثة أو ضائقة، ومن لا يستطيع ممارسة الصيد لمرض أصابه، أو مشكلة حلت به فإنهم يساعدونه ويشاركونه فيما جمعوه من الصيد حتى يعود إلى سالف عهده، ويتجاوز محنته». (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص. ٥٩١).

أما في منطقة عسير فيتحدث الأستاذ الدكتور غيثان عن مجموعة من الأساليب والحيل التي كانت سائدة أثناء اصطياد السباع وبعض الأنواع من الحيوانات والطيور، ففضلا عن استعمال السلاح الناري المتمثل في بنادق الرصاص والبارود، فصل في الحديث عن الطرق البدائية التي كانت تستعمل في الصيد، مثل: حفر الحفر في

طريــق بعض السباع، مــع تغطيتها ببعض القشــ للتمويه على الحيــوان الذي يقصدون اصطيــاده، ويتم الاستعانة بأدوات مثل: الحبال والمسامير والأغطية كالحنابل والسجاد وفرشــ السعف وأحيانــا البلاستيك. (الرحلات والرحالة، ج.٢، صــ. ٧٤٠). ويسجل المــؤرخ الرحالة غيثــان ندرة ممارسة الصيد بناء على الأسئلــة التي طرحها على بعض الغامديــين والزهرانيين، ويعلــل ذلك بعدة أسبــاب يمكن أجمالهــا في انتشار العمران وعمــوم الرفاه المادي وانقراض الوحيش وهجرته وقلتــه، رغم وجود قلة من الصيادين الذين ما زالوا يمارسون الصيد في جبال المنطقة وأوديتها من أجل النزهة والاستمتاع، وكل هــذه العوامــل أدت إلى اختفاء مجموعة مــن المهارات المعرفيــة والتقاليد التراثية اللامادية توارثتها الأجيال في مجال الصيد.

ج. ممارسة الأعمال الزراعية :

ممــا لا شــك فيه أن ممارســة الأعمال الزراعيــة تضم معارف ومهــارات تناقلتها الشعــوب عبر الأجيال وهي ضمن تراثها اللامادي الــذي وجب الحفاظ عليه كما يقرر الأستاذ الدكتور غيثان في العديد من ملاحظاته في رحلاته، ففي منطقة الباحة يتحدث بنــوع من التفصيل عن هذا المــوروث الزراعي، حيث يقول: «وســكان المنطقة متعاونون في ممارســة أعمالهم الزراعيــة من تسوية الأرض واستصلاحهــا إلى زراعتها وسقيها وحصادهــا، وهنــاك موروث اقتصــادي واجتماعي وثقــافي ولغوي واســع عند أصحاب الأرضــ، ومــا يقومون به مــن أعمال ووسائــل أثناء القيــام على مزارعهــم وخدمتها». (الرحــلات والرحالة، ج.٢، صــ. ٧٤٢)، وينبه في الهامشــ إلى أن هناك: «تفصيلات حضاريــة وثقافية عــن مواسم الزراعة في منطقة الباحة وعــن طرق الحراثة والزراعة والــري، وأساليــب أخرى عديــدة في النشــاط والتبــادل الزراعــي، والأدوات الزراعية المستخدمة في هذه المهنة منذ استصلاح الأرض حتى جني المحاصيل ودرسها وتخزينها» (نفســ الصفحة، هامش ٥). بعد هذا الوصف يعتمد الرحالة غيثان على منهج المقارنة بــين أسلوب الزراعة قديما وبين مشاهداته في رحلتــه، ويسجل منذ البداية ذلك الفرق الشاســع في مفارقات متعددة لعــل أهمها: استبدال الآلات التقليديــة بالآلات العصرية الحديثــة، واكتساح العمران للأراضي الزراعية في منطقــة الباحة، وتخلي السكان عن ممارسة الأنشطة الزراعية، وجلب مزارعين من خارج المملكة للقيام بالأشغال الزراعية في بعض الأودية التي بقي فيها قلة ممن يمارسونها، كل ذلك أدى إلى فجوة وقطيعة في هذا المجال بين أجيال اليوم والأجيال السابقة، فبناء على سماعاته ومشاهداته وتجواله ومعاصرتــه للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية في جميع أجزاء المنطقة الجنوبية ما بين عامي(١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ــ ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م)، سجل هذا النص:

«ومنذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) وبداية القرن(١٥هـ/٢٠م) تلاشت الزراعة حتى أصبحت شبه معدومة، وتطورت المهن الاقتصادية الأخرى وبخاصة الأعمال التجارية والصناعية، ومن ثم تراجع انخراط السكان المحليين في هذه الحرف، وحل محلهم العمال الوافدون من بلدان عديدة في العالم الإسلامي وغير الإسلامي، وهذه التحولات الاجتماعية والاقتصادية أثرت سلبا على أبناء البلاد فانتشرت بينهم البطالة والاتكالية وأحيانا للامبالاة وعدم الاكتراث وبخاصة بين جيل الشباب». (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص. ٧٦٤).

د- فنون الطبخ وأدب الطعام:

تنبه الأستاذ الدكتور غيثان إلى أهمية المطبخ في حضارة الجنوب السعودي، وقد أحسن صنعا بتسجيل مجموعة من المعطيات في فن الطبخ وأدب الطعام، فكانت مبادرته القيمة في وصف أصناف من الأطعمة التقليدية، التي اختفى بعضها أو جلها من موائد الأسر الجنوبية، ففي بلاد القنفدة فصل الحديث عن الفطير والخمير، والمخردل، والفحيقة، والسحينة، والعربدة، والخوان والخضير، والرضيفة، وفي منطقة الباحة يسرد الرحالة غيثان مجموعة من الأطعمة التي كانت سائدة عند الغامديين والزهرانيين، مثل: العصيدة، واللبزة، والقرصان، والدغابيس، والمرصوص، والعيش، والكسكسية، والقلية،...حول هذه الأطعمة وما يصاحبها من الأشربة يسجل الأستاذ الدكتور غيثان اعتمادا على المنهج الوصفي وعلى علم الأثنولوجيا بمستواها النظري والمنهجي، ما خلفته العادات الموروثة المستخدمة في إنتاج الطعام، وما شكلته المطاعم الحديثة من منعطفات في تغير النمط الغذائي لجيلين مختلفين من المناطق التي زارها، حيث حلت الوجبات العالمية السريعة محل الأكلات البيتية التقليدية، وهو ما سيجعل الأجيال القادمة بعيدة كل البعد عن معارف ومهارات المطبخ السعودي، بل إن الذوق صار بعيدا عن تذوق لذة الطعام المتوارث. وقد ذكرني استحسان الطعام التقليدي وتنوعه ما ذكره أبو حيان التوحيدي في الليلة الثلاثة والثلاثون، حول الطعام والجمع بين أصنافه وتفضيل بعضه على بعضه، وأشرف مأكل منه وأطيبه. (الامتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، منشورات هنداوي، وندسور، المملكة المتحدة ٢٠١٩م، صص.٤٦٣- ٤٧٩)، وغني عن البيان ما يقدمه فن تقديم السفرة والمائدة والخوان من خصوصيات الجماعات في أدب الطعام، وما يظهر من أصالة في التنوع في المناسبات الوطنية والدينية وفي الأعياد وخلال استضافة الضيوف، وهذا التنوع يختلف أيضا باختلاف القبائل والجماعات وتؤثر فيه مواقع الاستقرار كما تؤثر فيه فصول السنة.

وقد أصبح البحث في موضوع فن الطبخ وتقديم الطعام ضمن ما تهتم به االأبحاث التاريخية في مجال دراساتها لفهم جوانب من خصوصية التراث اللامادي الذي تتكشف به تفاصيل حياة الإنسان اليومية المرتبطة بممارساته الدينية والاجتماعية والاقتصادية، باعتباره ظاهرة شعبية لها صلة بالرقعة الجغرافية التي يعيش فيها الناس، ويحاولون أن يؤسسوا وجودهم عليها، كما أنه موضوع يتعلق بالطبقات الاجتماعية بتفاوتاتها في تحقيق الرفاه والكفاف، كما هو مقرر عند الدكتور قيس كاظم الجنابي في كتابه الموسوم ب: (المطبخ العربي: دراسة تاريخية – فكرية في أنثروبولوجيا الطعام والجسد، بيروت لبنان، ٢٠١٩).

هـ ـ الحرف والصناعات التقليدية:

تعتبر المهارات الحرفية من التراث غير المادي الذي تنتقل معارفه وخبراته عبر التعليم المتوارث من جيل إلى جيل، وقد لاحظ الرحالة الدكتور غيثان في جولته التي قام بها لمنطقة الباحة عام (١٤٣٣ه/٢٠١٢م) تلاشي معظم الصناعات والحرف اليدوية القديمة، مثل: الدباغة والخرازة والنسيج والخياطة والنجارة والحدادة، وضمن التحول الاجتماعي الذي تشهده المملكة فإن ممارسة هذه المهن التي كانت تقوم بها بعض الأسر كاملة من الأب والزوجة والأبناء وهو ما تشهد عليه مجموعة من الوثائق التي اطلع عليها صاحب الرحلة فإن العمالة الأجنبية المكونة من الهنود، والباكستانيين، واليمنيين، والبنغاليين، حلت محل الأسر الغامدية والزهرانية في ممارسة هذه الأنشطة الحرفية. (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص. ٧٤٧).

وضمن الملاحظات الاجتماعية المرتبطة بعلم العمران يسجل الرحالة غيثان بن جريس التفاوت في الحرف والصنائع بين أهل البوادي وأهل الحواضر، فالحاجيات مرتبطة بحياة الترحال والاستقرار، كما هي مرتبطة بتغير نمط الحياة بسب النمو السكاني وتوفر المال في أيدي الناس، وما ترتب عنه من تطور حضاري.

ولا ينسى المؤلف الإشارة إلى العادات والثقافات، ومشاكل الصناع والحرفيين التي تتنوع بتنوع البيئة والظروف الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية التي كان شاهدا عليها وعلى تحولاتها العميقة خلال أزيد من نصف قرن، وقد سمع المؤلف مجموعة من الروايات أثناء تجوله في منطقة الباحة في شهر ذي الحجة من عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م). ويعزز ذلك بذكر عثوره على العديد من الوثائق التي تعكس الأعراف والتقاليد المصاحبة لبعض الحرف والصناعات الحديثة. (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص. ٧٤٨).

و ـ الفنون الشعبية :

تعتبر الفنون الشعبية بمختلف أشكالها وتعابيرها أسمى تجليات التراث اللامادي للأمم والشعوب، وقد أولى الأستاذ الدكتور غيثان اهتماما بالغا لهذا الموروث الحضاري، وتكاد رحلاته لا تخلو من ذكر فصل يتعلق بالفنون الشعبية في جنوب المملكة العربية السعودية. ففي منطقة جازان الغنية بفنونها الشعبية فصل القول عن بعض موروثها الفني، مثل: الربش، والدلع، والسيف، والعزاوي، والعرضة، والخمرة، والمصقة، والبرهة، وبالإضافة إلى هذه الفنون مارس أهل جازان مجموعة من الألعاب الشعبية، مثل: المشادخة، والصكعة، والدسيس أو الدسيسة، والمسحر، والساري، والمحاداة، والمهادبة، والمتايرة. (الرحالات والرحالة، ج.٢، صص. ٦٥٩- ٦٦٠). في حين نجد ألعابا شعبية أخرى عند الغامديين والزهرانيين، مثل: الدلاوة، واللقطة، والأمثال، والبيوت، والقبة، وماك بالحجارة، ولعبة اللسح، وساري بالغترة أو بأغصان الشجر، وغيرها من الألعاب على ضوء القمر أو النار، وألعاب القفز والسمر. (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص. ٧٣٢). وفي محافظة بلقرن ألمح إلى العديد من الفنون الشعبية التي كانت من مظاهر الاحتفال في الأعياد والمناسبات، مثل: العرضة، واللعب، والخطوة، والدمة.

ويقرر الأستاذ الدكتور غيثان اعتمادا على مشاهداته في رحلاته إلى محافظة بلقرن أن هذه الألعاب: «يواكبها الكثير من الشعر الشعبي، والأناشيد، والأهازيج المليئة بالعبر والحكم والأقوال الجميلة التي تدور في فلك الرثاء، والمدح، والغزل، والتفاخر بالأحساب والأنساب، وأحيانا بالقبيلة أو الأسرة، وهذه الفنون مازالت تمارس في الأعياد والمناسبات الاجتماعية كالزواجات وغيرها، لكن في مستوى أدنى مما كانت عليه في الماضي من حيث جودة الأداء وكثرة الممارسة، وانتشر في المجتمع مؤخرا بين الأسر والأفراد فنون وأغان وأهازيج دخيلة، حتى أن بعضها لا معنى لمفرداته وجمله». (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص، ٨٢٨).

كما لاحظ المبالغة في أجور الفنانين الشعبيين في منطقة جازان حيث يقول : «كما يصاحب عادات الزواج أحيانا مبالغة في أجور الفنون الشعبية التي تقدم في ليلة الحفل»، (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص. ٦٥٩). وكما هي عادته ينبه الرحالة الأستاذ الدكتور غيثان إلى أن معظم الألعاب والفنون الشعبية انقرضت أو في طريقها إلى الانقراض، حيث حلت محلها ألعاب أخرى، مثل: ألعاب الكرة بمختلف أنواعها، فيما انشغل الجيل الجديد بالألعاب الإلكترونية.

ثالثا: التاريخ علم يصنع المستقبل:

يسود الاعتقاد عند عامة الناس أن التاريخ هو رواية الماضي فقط، وهو مجرد إخبار بحوادث الزمان للتدبر والاعتبار، ومن تم يبدو علم التاريخ مترنحا بين ضرورة دراسته وبـين عـدم أهميته، ومن المؤسف حقا أن تجد هذه النظـرة عند بعض من ينتسبون إلى قبيلـة المؤرخـين أنفسهم، فتجد نوعا من الحيرة والشك والـتردد في مناقشتهم لأهمية وفعاليـة هـذا الحقل المعرفي ضمن الحقـول المعرفية الأخرى في العلـوم الإنسانية، وقد سبـق لابـن خلـدون أن ناقش في مقدمتـه كل ما يتعلق بفـن التاريخ، ويبـدو لي أن أهم نتيجة يتوصل إليها من تمعن في قراءة المقدمة الخلدونية هو أن جوهر التاريخ يكمن في ملاحظـات التغـيرات التي تطرأ على المجتمع في أدق تفاصيلهـا، وهو ما يمكن تلخيص قواعـده في إطـار علم العمـران الخلدوني، لكن هنـاك ما هو أكثر مـن ذلك في نظري وهو كون التاريخ وعاء حامل للمعارف والمهارات، ينبئنا بالمساهمات الحضارية في كافة العلـوم حتـى لا نضطر نحن ومن يأتي بعدنـا إلى البداية من الصفـر في كل عمل نقبل عليـه، كان علما أو حرفة أو صنعة أو فنا، وبذلك فـإن التاريخ علم يصنع المستقبل، كل هذه المعاني نجدها عند المؤرخ المكثر الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس.

فالتاريخ عنده هو تدوين كامل المعارف التي خلفتها الأجيال السابقة بأفضل طريقة يمكـن أن يستفيـد منها أكبر عدد من الناس، يقول عنـد حديثه عن مجموعة من المهن في منطقـة الباحـة والتي انقرض بعضها مثل مهنة الجمع والالتقـاط: «مثل هذه المهن وغيرهـا من المهن التي انقرضـت تستحق الذكر والتدوين، بل إن نقـل موروث الأجيال القديمـة إلى الأجيـال الحديثة أمانة في أعناقنا، ويجب أن تـؤدى هذه الأمانة بأساليب قولية وعملية فعالة». (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص. ٧٣٩).

رابعا: إن رجال التقدم بأتم معنى الكلمة، هم أولئك الذين يجلون الماضي كثيرا:

يـدرك القارئ الفاحص لمؤلفات الأستاذ الدكتور غيثان الهم العلمي الذي يخالجه أثنـاء حديثه عن الماضي البعيـد والقريب، في كل أبعاده الثقافيـة والحضارية والعلمية المتعلقـة بفئة العامة في تراثها الشعبي وممارستها اليومية في مواطنها وفي أسواقها وفي مواسمهـا وأعيادها وفي تجمعاتها وسمرها، فقـد كان المجتمع في جنوب المملكة العربية السعوديـة مجتمع التكافل والتآزر والعمل الجماعـي المشترك، مما يحقق الكفاف رغم قلـة الموارد الاقتصادية المتمثلة أساسا فيما تمارسـه من مهن وحرف في فنون الزراعة والتجارة والصنائع، وبفئـة الخاصة المتمثلة في النخبة بممارساتها الثقافية المتجلية في إنشاء المدارس الحرة والمكتبات العلمية التي تضم أمهات المصادر والكتب، وقد كان وراء ذلـك رجال نذروا أنفسهم من أجل خدمة العلم ونشر مكارم الأخلاق، وتعليم النـاس ما ينفعهم في دينهم ودنياهم. مما نشأ عنه مجتمع تحلى بصفات الجماعة الفاضلة.

إن هذه النظرة الغيثانية للماضي ليست من أجل الماضي الذي يبدو غالبا في أجمل تجلياته، ولكن هي نتيجة نظرة مؤرخ رحالة عاش ولاحظ بناء على رحلاته منذ ما يربو عن نصف قرن مجموعة من التحولات الاجتماعية التي أصبح فيها الإنسان أكثر جنوحا إلى الأنانية الفردانية نتيجة عوامل ذاتية وموضوعية، أبرزها تبدل نمط الحياة بسبب تغير أسلوب العمل ووسائل كسب العيش، وما ترتب عن ذلك من توفر المال وانتشار العمران، وكثرة العمالة الأجنبية الوافدة من عرب وعجم، مما أثر في السلوك والعادات في الطعام والملبس، بل وصل الأمر إلى دخول لهجات وانتشار مصطلحات أجنبية دخيلة على لغة أهل البلاد الجنوبية. وفي خضم هذا وذاك يظل الرحالة المؤرخ ابن جريس يرفع دعواته وينشر اقتراحاته ويبدي ملاحظاته التي تؤكد أن دراسة الماضي ليست مجرد رواية لحوادث الزمان وتقلب الأيام، بل هي استحضار للقيم وأدب السلوك وللمعارف والمهارات التي يجب بعثها والتعريف بها والحفاظ عليها، وتنبيه الأجيال القادمة إلى المكتسبات التي راكمتها الأجيال والتي يمكن تطويرها في ظل الحفاظ على الهوية والخصوصية التي اندثر بعضها وتلاشى جزء منها، بسب انتشار وسائل التقنيات الحديثة في ظل زحف العولمة الرهيبة، بسلبياتها السالبة للخصوصية، وإيجابياتها الموجبة في الانفتاح والاطلاع على ثقافات مختلفة.

خامسا: من التاريخ إلى السيسيولوجيا :

إذا كان التاريخ والسيسيولوجيا علمان متقاربان، يحدد موضوعهما المشترك قرب علاقتهما في مناهج البحث وهدفهما الموحد المتمثل في رصد نواميس وآليات واتجاهات تطور المجتمعات، فإن الرحالة الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس نجح إلى حد كبير في توظيف المنهج السوسيولوجي بمنتهى قواعده العلمية والمنهجية، بل تجاوز ذلك في بعض مقاطع رحلاته حين لا يكتفي بالوصف البسيط لمظاهر وسلوكيات الفرد والجماعة في المناطق التي زارها، حيث يفصل البحث في العوامل العامة لتطور المجتمع والقوانين الخاصة بالمجموعات محاولا تفسير العلاقة الدائمة في تطور أشكال الظواهر التاريخية.

لقد مارس المؤلف ابن جريس مهنة المؤرخ والأنثروبولوجي فيما تضمنته موسوعته (القول المكتوب في تاريخ الجنوب)، حيث ركز على تاريخ الحياة اليومية لسكان المحافظات في بلاد تهامة والسراة، وقدم تفسيرات وتأويلات من أجل فهم جديد للمحددات المتحكمة في صيرورة المجتمع بخصوصيته الثقافية والفكرية، فتضمنت رحلاته موضوعات متصلة بجوانب تهم العادات والتقاليد واللباس والطعام والشراب، وغيرها من الفصول التي تلقي الضوء على بعض مظاهر المعيش اليومي في الجنوب السعودي خلال مرحلة ما قبل العولمة وما بعد الحداثة، والتي أصبحت من صميم اهتمامات ما أصبح يعرف ب «التاريخ المهمش» الذي يؤرخ لظواهر قد تعتبر عادية وغير مثيرة للانتباه، فيغفل المؤرخون عن كتابتها وتدوينها. وإن المهم في كل ذلك هو التوفيق

الـذي حالف المـؤرخ الرحالة غيثـان بن جريسـ في رحلاته بسرد المقارنـة بين الماضي والحاضـر، وبـين العامـة والخاصة، من خلال اعتمـاده على منهج الاستـدلال وتفسير التغيرات لفهم السياق التاريخي لكل مظاهر التحولات الاجتماعية في أدق تفاصيلها.

فلنستمـع إلى هذا النص الحامل لكثير من المعاني والـدلالات، والتي تجسد حياة المجتمـع في جنـوب المملكة العربيـة السعودية قبل ظهـور التعليم النظامـي في المجتمع الغامـدي والزهـراني، حيث كان النـاس يتبادلون معارفهم وثقافتهـم بواسطة الرواية الشفهيـة في أسواقهم وفي مجالس سمرهـم، يقول الأستاذ الدكتور غيثان: «كان للأسر والقـرى والحواضر مجالس سمر محدودة وخاصة يتبادلـون فيها الأخبار، أو ما سمعه بعضهـم مـن قصص أو أمثال أو حكـم أو أشعـار بالفصحـى والعاميـة، وفي صلوات الجمـع والجماعـة خطـب ودروس ومواعـظ يتلوها بعض الفقهـاء أو العارفـون ببعض العلـوم الشرعية والعربية، ونجـد بعض الشعراء الشعبيين أو الحفـاظ أو الرواة الذين يلقـون بعض القصائد أو الأهازيـج أو الأناشيد أو الحكم أو القصص الشعبية في بعض المناسبات الاجتماعية مثل: الأعياد، والزواج، والختان، واستقبال المسافرين أو توديعهم، وللمزارعـين، والرعاة، والتجار، والحرفيين، والحجاج، وغيرهم، لهم نشاطات معرفية وثقافيـة يمارسونها أثنـاء ممارسة أعمالهـم الاجتماعية والاقتصاديـة والحضارية»، (الرحلات والرحالة، ج.٢، صص. ٧٨٠- ٧٨١).

إن توالي زيـارات الرحالة ابن جريس مكنته من ملاحظات التغيرات الدقيقة التي شهدها المجتمع في جنوب المملكة العربية السعودية، ففي منطقة الباحة التي تردد عليها بزيـارات متعـددة منذ عـام (١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م)، سجل تفاصيل تحـولات مفصلية من مجتمـع الرواية الشفهية إلى مجتمـع التقنية الحديثة، مرورا بمجتمـع القراء والثقافة وإنشـاء المكتبات العلمية العامـة والخاصة، وكما هي عادته أبدى تخوفاته من السلبيات التي نتجت من هذا التحول العميق المرتبط بالحداثة والعولمة، يقول: «إن وسائل التقنية الحديثة أصبحت في متناول جميع شرائح المجتمع، وهي تحمل كما هائلا من الفكر والعلم والثقافـة المحلية والإقليمية والعالمية»، وعلق في الهامشـ على هذه الظاهرة الاجتماعية بقوله: «هذه التقنية الحديثة سلاح ذو حدين فقد وصلنا عن طريقها ثقافات متنوعة في المحتـوى والأهداف، ومنها السلبـي والإيجابي، وشريحة كبيرة من الناس اليوم يقضون أوقات طويلة في الاطلاع على ما تنقل وتبث، ونسأل الله عز وجل أن يهدينا ويهدي جميع المسلمين إلى خيرها ويصرف عنا شرها» (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص. ٧٨٣).

بمثـل هذه النصوص الوصفية الدقيقة ينقلنا المؤرخ غيثان بن جريس بكفاءة عالية من التاريخ إلى السوسيولوجية العيانية، التي تجعل القارئ يتتبع في سلسلة مشاهد موثقة

بالكتابة الوصفية صور تفاصيل مجتمع يعرف تغيرات عميقة في مختلف المستويات من اللغة إلى السلوك الإنساني. كما ينقلنا فيما سجله حول قبائل المنطقة وأسلوب حياتهم وتصرفاتهم فيما بينهم إلى الأنثروبولجيا التي تدرس طريقة التفكير وأسلوب المعاملات بين أفراد القبيلة الواحدة وبين القبائل المتجاورة، وقد قدم وصفا ينتقد فيه مجموعة من السلوكيات التي تحتاج إلى النقد الذاتي. (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص. ٨٤٨).

وفي نص آخر يبرز نظرة المجتمع إلى من يمارسون حرف تجعلهم أقل مكانة في مجتمعهم، وهو ما ساهم في تخلي أسر كانت شهيرة في مهن بعينها، مثل: الحدادة والنجارة، ليتولى هذه المهن أفراد من العمالة الأجنبية، يقول: «كان نظام الناس قديما خدمة أنفسهم، فجميع أفراد الأسرة أو القرية تراهم يعملون في مهن كثيرة طوال ساعات النهار، لأن حياتهم المعيشية قائمة على السعي والكد، كل في مجاله حتى يوفروا أقواتهم مما يعملون فيه، وبعض المهن محدودة على فئة قليلة من الناس، مثل: الحدادة والصباغة مثلا، فلا يعمل فيها إلا أفراد معلومون، وهم في نظر المجتمع في مستوى اجتماعي أقل... هذا ما سمعته وشاهدته عند مجتمعات عديدة في بلاد تهامة والسراة خلال الأربعين عاما الماضية». (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص. ٨٣٥).

إن هذه المواضيع التي ذكرنا نماذج منها تعطينا فكرة على المضمون السوسيولوجي الذي تزخر بها مؤلفات المؤرخ الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس، ويمكن للباحثين في علم الاجتماع الاستناد إليها في إنجاز أبحاثهم لفهم كثير من مظاهر التحولات الاجتماعية في جنوب المملكة العربية السعودية.

سادسا: التراث الشفهي من المنطوق إلى المرقوم :

لو يسعف الباحثين الوقت لجمع الروايات الشفهية التي نقلها المؤلف الأستاذ الدكتور غيثان من الكلام إلى الكتابة في مجموع مؤلفاته، لجمعوا نصوصا في غاية الأهمية ربما تجيئ في مجلدين أو أكثر، فتحويل الرواية الشفهية من مجال الكلام إلى مجال الكتابة، أو من المنطوق إلى المرقوم، يعد من صميم عمل المؤرخ، وعلم اللسانيات، وقد سبق للفيلسوف الفرنسي رائد المدرسة التفكيكية ما بعد البنيوية جاك ديريدا (Jacques Derrida) أن نبه إلى أسبقية الكلام على الكتابة لأن: «الكتابة ثابتة وسلبية وغير متجددة، أما الكلام فقابل للاختلاف وإيجابي ويشير إلى التمييز وغياب الدلالة وتعددها»، (De La Grammatologie: في علم الكتابة، ١٩٦٧). وغني عن البيان أن جل المؤرخين المعاصرين يجعلون من الوثيقة المكتوبة مصدرا لأبحاثهم ويذهلون عن التراث الشفهي، حتى يبدو لنا أن جل من يشتغل بحقل التاريخ يتشبث بالقاعدة المقررة: «لا وجود للتاريخ خارج النص المكتوب». وبذلك يغضون الطرف على أن الكتابة

التاريخيــة نفسها مرتبطــة بإمكانية الرواية الشفهية الموثوقــة والتي يمكن أن تفتح بعد تدوينها مجالا للبحث التاريخي وللصيرورة التاريخية حتى لا نصبح شعوبا بلا كتابة لما تختزنه الذاكرة، وبلا تاريخ مدون للتاريخ القريب والراهن ولما يقع هنا والآن.

ففــي كتابــه: (الرحــلات والرحالة) تمكن المؤلـف ابن جريس مــن جمع كثير من الروايـات وتدوينها، فقد دون سماعاته، كمــا دون الروايات التي رواها أصحابها له عن مشاهداتهـم وعن تـراث آبائهم وأجدادهــم، وهو شديد الحرص علـى تدوين الأجوبة عــن الأسئلة التي كان يطرحها على من لهم معرفــة بتاريخ الآفاق التي جال بها، أو تقع في مجــال اهتمامه الجغرافي ولم يتمكن مــن إعمال الرحلة إليها، حيــث سأل العارفين بتضاريسها المطلعين على أحوال أهلها.

ففــي منطقة الباحة التي زارهــا في سنوات مختلفة من أعــوام الثلاثين من القرن الرابـع عشر الهجري، يمتعنا المؤلف بنصوص روايات للواقع الاجتماعي والاقتصادي، كمــا نتابع معه باهتمام بالغ التفاصيل الدقيقة للتحولات التي شهدها المجتمع السعودي في جنوب المملكة العربية السعودية، مع الرفاه الاقتصادي وتوافد اليد العاملة الأجنبية، وانقراض مجموعة من المهن والحرف وندرة بعضها، والأمر نفسه ينطبق على المعارف والمهارات التي كانت لدى أجيال سابقة قبل انتشار الرفاه المالي من خلال تدخل الدولة لدعم الأسر التي انقطع أفرادها عن ممارسة حرف ومهن من سبقهم.

سابعا: التاريخ هو دراسة تبدل الأحوال في الأمم والأجيال:

إذا كانــت التحــولات من ســنن التاريخ القائمة علــى التغيرات الظاهــرة في جميع المجــالات من المجــال السياسي إلى المجــال الاجتماعي وما يترتب عليهمــا من تأثيرات وتطـورات في العلاقــات الاجتماعية، وفي مختلف مظاهر الحيــاة اليومية، لدى الأفراد والجماعــات، فــإن العلامــة عبــد الرحمــن ابن خلــدون يلاحــظ ذهــول المؤرخين عن التحــولات الخفية التي تقع في المدى الطويل حيث تتبدل الأحوال بتبدل الأزمنة والأيام، حيث يقول: «ومن الغلط في التاريخ الذهول عن تبدل الأحوال في الأمم والأجيال، بتبدل الأعصــار ومــرور الأيام، وهو داء دوي شديد الخفاء، إذ لا يقع إلا بعد أحقاب متطاولة، فلا يكاد يتفطن له إلا الآحاد من أهل الخليقة. وذلك أن أحول العالم والأمم وعوائدهم ونحلهــم لا تــدوم علــى وتيرة واحــدة ومناهــج مستقرة، إنمــا هو اختلاف علــى الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال، وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار، فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول». (ابن خلدون، المقدمة، ص.٢٠). ولعل الرحالــة الأستاذ الدكتور غيثان أدرك بكل دقة تفاصيل ما ذكره ابن خلدون في نظريته هــذه، فأجـرى تطبيقها في رصد وتدويــن مجموعة من الملاحظــات المتضمنة للتغيرات والانتقــال من حال إلى حال في المجتمــع الجنوبي للمملكة العربيــة السعودية الذي كان

يغلب عليه طابع المحافظة على الموروث في العمل والمعاملات، وهو طابع يكاد يسود في أغلب مجتمعات جنوب الدول العربية، حيث الناس أكثر محافظة على خصوصياتهم وتقاليدهم وأعرافهم.

ففي محافظة بلقرن سجل ضمن مشاهداته ومراقبته التحولات والتغيرات التي عرفتها مدن وقرى هذه المحافظة منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، والتي تسارعت وتيرتها خلال العشرين سنة الماضية بسبب التطور الاقتصادي، يقول: «والمجتمع تغير في طبيعته ومكوناته، فهو في الأساس مجتمع قبلي، يتكون من: القبيلة، والعشيرة، والفخذ، واللحمة والأسرة والأفراد، وهذه السمة موجودة منذ القدم، لكن اليوم تزايدت أعداد هذه المكونات، فأفراد القبيلة أو العشيرة أو الأسرة الواحدة كثروا وتشعبوا عما كانوا في السابق، والسبب التطور الاقتصادي الذي يعيشه الناس اليوم، فاصبح الفرد الواحد في الأسرة يستقل بنفسه في منزل خاص، ولا يعيش معه إلا زوجته وأولاده وبناته وأحيانا والداه، بعكس الماضي إذا كانت مجموعة من الأسر تعيش في بيت واحد، وقس على ذلك القبيلة أو العشيرة أو الفخذ فقد تفرقوا في أماكن السكن والاستيطان والكثير من أبناء هذه الشرائح يعيشون في أماكن مختلفة في المحافظة نفسها، ومنهم من ترك بلاده الرئيسية وانتقل إلى مدن أو أماكن أخرى بسبب عمله ووظيفته». (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص. ٨٠٨).

وضمن الدعوة إلى الحفاظ على اللغة العربية واللهجات المحلية يناقش ابن جريس بدقة علماء اللسانيات مجمل الظواهر اللغوية الطارئة بسبب التحول اللغوي الطارئ على الأجيال الحالية في جنوب المملكة العربية السعودية، حيث ساد تكسير اللغة، وتم التلاعب بحروفها، واللحن في نطقها ومخارجها، نتيجة الرغبة في التواصل مع العمالة الأجنبية، ولعل هذه الظاهرة ليست خاصة بمنطقة دون أخرى بل هي كما يقول الرحالة غيثان بن جريس: «عند عموم سكان الجزيرة العربية، بل عند جميع سكان العالم العربي، الذين يتعاملون مع هذه العمالة الأسيوية الأعجمية، وهذه التعاملات الاجتماعية أثرت كثيرا وسوف تكون تأثيراتها أسوأ وأعمق مع الأجيال القادمة من أبنائنا وأحفادنا، مع أن جيل الشباب اليوم يعيش مشكلة أخرى أدهى وأمر، وهي دخول وسائل التقنية وما تحمله من لهجات وعبارات سيئة وحسنة، وهذا الجانب التقني وإفراط الشباب في استخدامه دون تعقل ودون معرفة الغث من السمين سوف يكون له عواقب وخيمة على الفكر واللهجة واللغة والقيم وغيرها». (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص. ٧٨٧، ه. ١).

وفي ملاحظاته حول التغيرات المناخية والطبيعية التي تلفت النظر لما كانت عليه الطبيعة الخلابة في بلاد السراة وما هي عليه في العقود المتأخرة، يقول هذا البحاثة الرحالة ابن جريس: «هذا الذي عاصرته وعرفته في بلاد السراة خلال الخمسين عاما الماضية، فالبلاد الممتدة من أبها إلى الباحة، كانت ذات طبيعة خلابة، مكتظة بحيواناتها

وطيورهـــا ومزارعها، واليوم لم يبق من هذا شيء نتيجة التمدن الذي تعيشه البلاد، نعم تطـور الإنسان في لباسه، ومأكله ومشربه وعمارتـه وأسواقه وغيرها، لكن طبيعة البلاد تأثرت سلبا وحل بها كثير من المعوقات». (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص. ٨٠٨، ٥.١٠).

مـن جانـب آخر فـإن مؤلفات العلامة المـؤرخ الأستـاذ الدكتور غيثـان بن جريس تسجـل بدقة متناهيـة مجموع التحـولات في سلوكيات كل من سكان البـدو والحواضر في ممارستهـم الاجتماعيـة المتباينـة، وذلك نظـرا إلى اختلاف طبيعـة العيش في كلا المجالـين، فسكان الباديـة الذين كانوا يعتمدون على الضـروري في معيشتهم كالزراعة والرعـي، ومختصر أيامهم ما بـين الانتجاع والاستقرار تبعا للمرعـى وبحثا عن الكلأ ومنابع الماء، فكانـت متطلبات عيشهم بسيطة التكلفة، وظلت حياتهم بسيطة ومستقرة الأحوال، رغم ما يتخللها من نزاعات قبيلة، وبالمقابل يسجل أن سكان الحواضر يعيشون في رفاهية ورغد عيش مقارنة بسكان البوادي، لاعتمادهم في معاشهم على طلب الزيادة على ما هو ضروري لتقويم الحياة، وذلك بالاستكثار من الأقوات والملابس والتأنق فيها، والتوسـع في الديار والبيوت، وبلوغ الغاية في الصنائع والعلوم، وهو ما ينطبق مع النظرة الخلدونيـة في طبائع العمران، (مقدمة ابن خلـدون، ص.٢٤٨)، لكن رفاهية العيش في المـدن، حسب التجربة والمشاهدة، تنعكس سلبا علـى ممارسة أهل الحواضر في أعمال الـبر والإحسان، فهـم أقل اندفاعا لإغاثة المحتاج والفقير، في حـين أن أهل البادية هم أقـرب في سلوكياتهم إلى الفطرة، وبالتالي فأهل القرى والبوادي لاعتمادهم أَرْيَحية في ممارسة العمل الاجتماعي من أهل المدن والحواضر؛ ويبدو هذا الأمر جليّا فيما سطره مجموعة من الرحالين العرب الذين جابوا الآفاق كابن بطوطة والعُمري وابن حوقل.

بل إن الترابط بين أفراد المجتمع قل أو اندثر حسب مشاهدات الرحالة ابن جريس كما يستنتج من قوله: «ونشاهد المحبة والتقارب الذي كان بين الأسر قديما قل وتناقص، وإذا درسنا أحوال كبار السن، أو من أعمارهم فوق الأربعين، فإنك تجد أحوالهم أفضل مـن جيل الشبـاب ما دون الثلاثـين، نعم الجيل الأكـبر لا يخلو من صراعـات وقطيعة وسلبيـات عديدة، لكن جيـل الشباب والشابات، وجميعهم متعلمـون ولدى الكثير منهم شهادات جامعية، أو شهادات عليا، إلا أنهم في الترابط الاجتماعي قليلو الحظ، وإن كان منهـم من مازال محافظا على ترابطه مـع أسرته وعشيرته، فهم نسبة قليلة، والأكثرية غزتهـم ثقافـات التقنية، وكسبـوا الكثير من الثقافـات الأخرى الناتجة عـن السفر أو الاتصال بحضارات وأجناس أخـرى داخل البلاد السعودية وخارجها، وهذا بدون شك أثـر على الكثير من السلوكيـات الفردية والجماعية، وليس هـذا التأثير مقصورا على الترابط الاجتماعـي وإنما شمل اللباس والزينة، والطعـام والشراب، والثقافة والفكر، وغيرها». (الرحلات والرحالة، ج. ٢، صص. ٨٠٩– ٨١٠).

ثامنا: لم تكن صيحة في واد ولا نفخة في رماد – القسم الثاني:

نظرا لأهمية المواضيع البحثية التي تتضمنها مؤلفات المؤرخ غيثان بن جريس، ونزولا عند رغبة بعض الباحثين الذي اطلعوا على الجزء الأول من هذه الجولات الفكرية التي خصصنها للرحلات الغيثانية، نذكر هنا القسم الثاني لسلسلة من الأبحاث التي اقترحها الأستاذ الدكتور غيثان على الباحثين، علما أننا توقفنا في البحث السابق في الصفحة (٧٣٧) من الجزء الثاني من كتاب (الرحلات والرحالة)، وبما أننا توقفنا عند الرقم الترتيبي (١٢٠)، فإننا سنستهل هذه الأرقام برقم ١٢١. ليسهل على الباحث جمع الجزأين في جدول واحد متسلسل الأرقام:

الترتيب	عنوان الموضوع	ملاحظاته على الموضوع	الصفحة
١٢١	تاريخ الصيد في بلاد تهامة والسراة خلال القرون الماضية المتأخرة.	موضوع يستحق إجراء دراسات علمية وأكاديمية.	٧٤٠
١٢٢	تاريخ الصيد في منطقة تهامة والسراة الممتدة من الحجاز إلى اليمن خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة والمعاصرة.	يقترحه كأطروحة لنيل الدكتوراه أو كتابا أكاديميا. ويؤكد على أن نتائج هذا البحث ستكون ذات فائدة علمية جيدة.	٧٤٠
١٢٣	تاريخ المدرجات الزراعية في بلاد تهامة والسراة.	موضوع جدير بالبحث والدراسة.	٧٤١
١٢٤	الزراعة في منطقة الباحة خلال القرنين ١٣-١٤هـ/ ١٩-٢٠م.	موضوع يستحق أن يكون موضوعا لرسالة ماجستير أو دكتوراه، مع التنبيه إلى أن سكان المنطقة يملكون آلاف الوثائق التي تصور تاريخ الزراعة في منطقة الباحة.	٧٤٢
١٢٥	تاريخ الزراعة في بلاد تهامة والسراة خلال القرون الماضية المتأخرة.	موضوع جدير بالبحث والدراسة الأكاديمية.	٧٤٢
١٢٦	الصلات الاقتصادية بين بلاد السراة وبلاد الحجاز (الطائف ومكة) في العصر الإسلامي المبكر والحديث.	موضوع جدير بالبحث والدراسة مع التنبيه إلى أن هناك كثير من المصادر والوثائق التي تشير إلى التبادل التجاري بين المنطقتين.	٧٤٣
١٢٧	الزراعة في العصر الحديث على ضوء ما قدمته الدولة من إعانات عينية ومادية.	الأمل معقود على بعض الباحثين لإخراجه هذا الموضوع في دراسة أكاديمية.	٧٤٣
١٢٨	وضع الزراعة في القديم والحديث (دراسة مقارنة).	يستحق أن يجرى عليه بعض الدراسات الأكاديمية.	٧٤٤

الترتيب	عنوان الموضوع	ملاحظاته على الموضوع	الصفحة
١٢٩	أوضاع الزراعة في الباحة وعسير ونجـران وجـازان. (دراسـات ومقارنات تحليلية)	مواضيع تستحق الاهتمام من الجامعات السعودية.	٧٤٤
١٣٠	تاريخ الحرف والصناعات في منطقة الباحة خلال القرنين ١٣-١٤ هـ/ ١٩-٢٠م.	موضوع لرسائل الماجستير أو الدكتوراه.	٧٤٤
١٣١	حرف صناعة الأديم والحديد والنجارة عند سكان غامد وزهران.	موضوع جدير بالتقصي والدراسة.	٧٤٥
١٣٢	الصناعات والحرف القديمة في منطقة الباحة.	موضوع يستحق دراسة علمية أكاديمية.	٧٤٥
١٣٣	الأيادي العاملة والمواد الأولية للصناعات قديما وحديثا: (دراسة مقارنة)	يقترحه على بعض الباحثين في جامعة الباحة.	٧٤٧
١٣٤	المنافع والأضرار للصناعات القديمة والحديثة في منطقة الباحة.	يأمل إجراء دراسات علمية أكاديمية لهذا الموضوع من قبل كلية الطب وأقسام الكيمياء وعلوم الحياة في جامعة الباحة.	٧٤٧
١٣٥	الثقافات والأعراف والتقاليد عند الحرفيين والصناع قديما وحديثا.	موضوع جدير بأن يكون عنوانا لكتاب أو لرسالة علمية.	٧٤٨
١٣٦	التاريخ التجاري لمنطقة الباحة خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة.	موضوع جدير بالاهتمام ليكون كتابا أو رسالة علمية أكاديمية.	٧٤٨
١٣٧	تاريخ التجارة لبلاد الباحة خلال القرن (١٤هـ/ ٢٠م).	يقترحه موضوعا لرسالة ماجستير أو دكتوراه على طلاب قسم التاريخ بجامعة الملك خالد.	٧٤٩
١٣٨	الطرق القديمة والحديثة الرابطة بين تهامة والسراة: (دراسة مقارنة).	موضوع يستحق الدراسة مع التركيز على طريقة بنائها قديما وحديثا، وذكر السلبيات والإيجابيات لكل نوع من هذه الدروب.	٧٥١
١٣٩	دراسة في اللغة واللهجات في الأسواق الأسبوعية القديمة والحديثة والمعاصرة.	يقترحه على بعض المتخصصين بقسم اللغة العربية بجامعة الباحة.	٧٥٦
١٤٠	الأسواق الحديثة والمعاصرة وما يتعلق بها من عقود واتفاقيات، ونظم وإجراءات.	يأمل من أقسام التاريخ والجغرافيا أن تولي هذا الموضوع أهمية في بحوثها ودراساتها.	٧٥٦

الترتيب	عنوان الموضوع	ملاحظاته على الموضوع	الصفحة
١٤١	تاريخ التنمية في منطقة الباحة.	الأمل معقود على جامعة الباحة لتشجيع بعض البحوث العلمية التي تصب في هذا المجال الحضاري.	٧٥٤
١٤٢	صادرات وواردات منطقة الباحة في العصر الحديث والمعاصر: (دراسة مقارنة).	موضوع يستحق أن يكون عنوانا لكتاب أو رسالة ماجستير أو دكتوراه.	٧٥٤
١٤٣	تاريخ النقل والأجور والعاملين في التجارات المختلفة في أسواق منطقة الباحة. خلال القرن ١٤هـ/٢٠م.	يرجو أن يكون موضوعا لنيل الماجستير أو الدكتورة لأحد طلاب أو طالبات قسم التاريخ بجامعة الملك خالد.	٧٥٤
١٤٤	تاريخ الأسعار في منطقة الباحة من بداية القرن ١٤هـ/ ٢٠م إلى وقتنا الحاضر.	موضوع جيد ويستحق أن يكون بحثا علميا أكاديميا مطولا، بناء على توفر الوثائق التي اطلع عليها المؤلف.	٧٥٧
١٤٥	تاريخ الأسعار والرواتب والأجور في بلاد تهامة والسراة.	من يدرس هذا الموضوع سيجد مادة علمية قيمة وجديدة في بابها، وهي جديرة بالبحث والنشر.	٧٥٧
١٤٦	تاريخ المقايضة في جنوبي البلاد السعودية خلال القرون الماضية المتأخرة.	موضوع يستحق أن تفرد له دراسة علمية أكاديمية موثقة.	٧٦٠
١٤٧	العملات والمكاييل والمقاييس والأوزان في منطقة الباحة خلال القرن ٥١٤/ ٢٠م.	يأمل من أقسام التاريخ بجامعات جنوبي البلاد السعودية أن تولي هذا الموضوع اهتماما في بحوثها ودراساتها.	٧٦١- ٧٦٢
١٤٨	العقبات والمعوقات التاريخية والحضارية في منطقة الباحة خلال القرون الماضية المتأخرة.	موضوع يستحق أن يكون عنوانا لرسالة الماجستير أو الدكتورة.	٧٦٣
١٤٩	مظاهر اللصوصية وقطع الطريق بمنطقة الباحة في القرن ١٤هـ/ ٢٠م.	موضوع جدير بالدراسة يقترحه على طلاب الدراسات العليا. مع التنبيه إلى وفرة الرواة المعاصرين، وبعض الوثائق الجديرة بالدراسة.	٧٦٣
١٥٠	الحوادث المرورية وأثرها الاجتماعي والاقتصادي.	يأمل من أحد أكاديميي جامعة الباحة دراسة هذا الموضوع مع ذكر الوسائل والحلول للتخفيف من الآثار السيئة لحوادث السير.	٧٦٣
١٥١	تاريخ الأمن في منطقة الباحة خلال القرنين: (١٣-١٤ هـ/ ١٩-٢٠م).	يقترحه كعنوان لكتاب أو رسالة علمية أكاديمية، مع التنبيه إلى أن هناك مئات الوثائق الجديدة وغير المنشورة التي تصب في خدمة هذا العنوان	٧٦٤

الترتيب	عنوان الموضوع	ملاحظاته على الموضوع	الصفحة
١٥٢	تاريخ الهجرات العلمية من منطقة الباحة وإليها خلال القرون الهجرية الماضية المتأخرة (١٢-١٤هـ/ ١٨- ٢٠م).	موضوع يستحق أن يكون عنوانا لرسالة دكتوراه، يقترحه على أقسام التاريخ بالجامعات السعودية، وينبه إلى أن هناك عدد من المخطوطات ومئات الوثائق التي تصب في خدمة هذا الموضوع.	٧٦٥
١٥٣	تاريخ الأسر العلمية والكتاتيب في منطقة الباحة من القرن١٢هـ/١٨م إلى القرن ١٤هـ/ ٢٠م.	يقترحه على أحد الباحثين الجادين لدراسته دراسة علمية أكاديمية.	٧٦٦
١٥٤	تراجم الرواد الأوائل في التعليم النظامي الحكومي العام بمنطقة الباحة مابين (١٣٥٣-١٣٩٠هـ/١٩٣٣-١٩٦٠م).	يأمل من أحد المعلمين الباحثين في بلاد الباحة القيام بجمع هذه التراجم.	٧٦٦
١٥٥	تاريخ التعليم في منطقة الباحة ما بين (١٣٥٣-١٤٠٠هـ/١٩٣٣-١٩٨٠م).	يقترحه على طلاب الدكتوراه في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد وبالجامعات الأخرى، مع التنبيه إلى توفر كم هائل من السجلات والوثائق الجديدة بإدارات التعليم بالباحة المفيدة لإنجاز هذا الموضوع.	٧٦٨
١٦٦	التعليم في منطقة الباحة ما بين (١٤٠٠- ١٤٣٣هـ/١٩٨٠-٢٠١٢م) رصد تاريخي مع دراسة وتحليل.	يقترحه على الباحثين بجامعة الباحة وهو موضوع مهم وسهل بسبب توفر كم هائل من المذكرات والوثائق والسجلات في إدارتي التعليم بالباحة والمخواة.	٧٦٨
١٦٧	تاريخ المعاهد العلمية في منطقة الباحة، أدوارها العلمية والثقافية منذ نشأتها إلى اليوم.	موضوع جدير بالدراسة في منطقة الباحة أو في غيرها من مناطق المملكة.	٧٦٩
١٦٨	تاريخ التعليم العالي للبنات في منطقة الباحة.	يقترحه على الطالبات لرسالة الماجستير بجامعة الملك خالد. مع التنبيه إلى أن هناك الكثير من الوثائق والسجلات في هذا الموضوع.	٧٧٠
١٦٩	جامعة الباحة، نشأتها وتطورها، منجزاتها وما يجب عليها، وعلاقتها بالمجتمع.	يقترح أن يقوم به أحد أعضاء هيئة التدريس بهذه الجامعة.	٧٧١

الترتيب	عنوان الموضوع	ملاحظاته على الموضوع	الصفحة
١٧٠	الحراك الحضاري بمنطقة الباحة قبيل وبعد افتتاح الجامعة: (دراسة علمية موثقة).	يأمل من مراكز البحث بالجامعة أن تتولى مثل هذا الموضوع بالبحث والدراسة.	٧٧٣
١٧١	تاريخ تعليم المساجد والكتاتيب والأسر العلمية في منطقة الباحة قبيل خمسينيات القرن (١٤هـ/ ٢٠م).	موضوع يستحق أن يكون عنوانا لرسالة الماجستير أو أطروحة الدكتوراه في أحد أقسام التاريخ بإحدى الجامعات السعودية.	٧٧٣
١٧٢	محمد بن علي ابن جماح الغامدي، سيرته العلمية وجهوده الدينية والدعوية ومدرسته السلفية ببلجرشي في منطقة الباحة.	يستحق أن يصدر حوله كتاب علمي موثق، أو تخصص له رسالة دكتوراه في إحدى الجامعات السعودية.	٧٧٣
١٧٣	سعد بن عبد الله المليص، حياته وجهوده العلمية ومدرسته الريحانية ببني ظبيان.	يستحق أن يكون عنوانا لرسالة ماجستير أو دكتوراه في أحد أقسام التاريخ بالجامعة السعودية.	٧٧٦
١٧٤	الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي، جهوده العلمية والثقافية ومدارسه التعليمية في جنوب المملكة العربية السعودية.	الموضوع لا زال في حاجة إلى بحوث علمية أكاديمية موثقة. مع التذكير بصدور مذكرتين تناولت جوانب من هذا الموضوع.	٧٧٧
١٧٥	التعليم النسائي في بلاد غامد وزهران خلال القرنين (١٣-١٤هـ/ ١٩-٢٠م).	يقترحه على أحد الطلاب الجادين ليتخذ منه بحثا علميا أكاديميا.	٧٧٨
١٧٦	التعليم الأهلي في منطقة الباحة خلال القرنين (١٣-١٤هـ/ ١٩-٢٠م).	موضوع جدير بأن يكون عنوانا لكتاب أو لرسالة علمية في أقسام التاريخ في جامعة الباحة وغيرها من الجامعات السعودية.	٧٧٨
١٧٨	إسهامات الغامديين والزهرانيين الحضارية على مر العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة وأوائل الحديثة.	موضوع يستحق أن تصدر عنه كتب ورسائل وبحوث عديدة.	٧٧٩
١٧٩	الحياة العلمية والثقافية والفكرية والأدبية في جنوب الجزيرة العربية من فجر الإسلام إلى اليوم.	موضوع يستحق تصدر عنه عدة بحوث ودراسات وكتب علمية. والأمل معقود على الجامعات في جنوب المملكة وفي اليمن للاهتمام بهذا الجانب العلمي الجدير بالاهتمام.	٧٧٩

الترتيب	عنوان الموضوع	ملاحظاته على الموضوع	الصفحة
١٨٠	التيارات والأفكار العقدية والسياسية المنحرفة منذ أربعة عقود إلى اليوم.	موضوع مهم جدير بالدراسة يجب على مراكز البحوث الإنسانية والاجتماعية والتاريخية والعقدية في الجامعات السعودية الاهتمام به في بحوثها ودراساتها العلمية الأكاديمية.	٧٧٩- ٧٨٠
١٨١	الحياة الثقافية العامة عند عامة الناس في منطقة الباحة في القرن (١٤هـ/ ٢٠م)	موضوع جدير بالدراسة يقترحه على أحد الطلبة كموضوع لأطروحة دكتوراه.	٧٨١
١٨٢	الحياة الثقافية في منطقة الباحة خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري (١٣٥٠-١٤٠٠هـ/١٩٣٠-١٩٨٠م)	موضوع هام لرسالة ماجستير أو دكتوراه.	٧٨١
١٨٣	التنمية ودورها في ازدهار الحياة الثقافية والعلمية في منطقة الباحة ما بين (١٤٠٠-١٤٣٤هـ/ ١٩٨٠-٢٠١٣م)	موضوع مهم يستحق أن يكون عنوانا لكتب في عدة مجلدات، والأمل معقود على جامعة الباحة أن توليه اهتماما كبيرا.	٧٨١
١٨٤	المكتبات العلمية الخاصة والعامة ودورها الثقافي في بلاد غامد وزهران خلال القرنين (١٣-١٤هـ/ ١٩-٢٠م)	الأمل معقود على أحد الباحثين الجادين للقيام بدراسة مطولة حول هذا الموضوع.	٧٨٢
١٨٥	الحياة العلمية والثقافية والفكرية في المملكة العربية السعودية في العصرين الحديث والمعاصر.	موضوع هام وكبير يحتاج إلى عشرات المجلدات ومئات الدراسات العلمية والأكاديمية.	٧٨٣
١٨٦	المدرسون والموظفون الوافدون على منطقة الباحة من الأربعينيات إلى التسعينيات من القرن الرابع عشر الهجري (دراسة في التأثير والتأثر).	يقترحه كعنوان لكتاب أو رسالة علمية جامعية، ويدعو الباحثين للاهتمام به في جامعة الباحة.	٧٨٤
١٨٧	ببيليوغرافيا مفصلة حول منطقة الباحة (باللغتين العربية والانجليزية).	يأمل من أحد أبناء المنطقة أن يقوم بهذا العمل العلمي الذي سيكون ذا فائدة في البحث الببليوغرافي بما ألف حول منطقة الباحة في شتى العلوم.	٧٨٥
١٨٨	الاتصال الحضاري بين الباحة وعسير من العصر الجاهلي إلى الوقت الحاضر.	عمل هام وهو من مسؤولية الباحثين والمؤرخين المنتمين لهاتين الناحيتين.	٧٨٦

الترتيب	عنوان الموضوع	ملاحظاته على الموضوع	الصفحة
١٨٩	اللهجات في جنوب البلاد السعودية: (تهامة والسراة: الباحة، وعسير، ونجران، وجازان والقنفدة) دراسة علمية موثقة.	المسؤولية تقع على أقسام اللغة العربية في الكليات بجنوب المملكة العربية السعودية للقيام بأبحاث ودراسات في هذا الموضوع.	٧٨٦
١٩٠	الموروث اللغوي والثقافي والحضاري في منطقة الباحة: (جمع وتدوين).	يحث الجامعات والمؤسسات العلمية والأكاديمية والجهات والمؤسسات المختصة القيام بهذا العمل الذي سيحفظ الموروث الحضاري من الاندثار.	٧٨٧
١٩١	منطقة تهامة من مكة المكرمة إلى بلاد القنفذة وجازان: (دراسة في تراثها اللغوي والحضاري).	يؤكد على أهمية الموضوع ويحيل على مؤلفاته التي ذكر فيها جوانب من هذا الموضوع.	٧٨٨
١٩٢	لهجات قبائل بالشهم وبني ميمون، وخثعم وعليان وشمران وبلقرن: (دراسة مقارنة في خصوصية المفردات ومخارج الأصوات).	الأمل معقود على أقسام اللغة العربية في جامعة الملك خالد، وجامعة الباحة ان تتظافر جهودها للقيام بدراسة اللهجات في منطقتي الباحة وعسير.	٧٨٨
١٩٣	لهجات السروات من مدينة بلجرشي إلى محافظة القرى في زهران: (دراسة في اللغة ومعاني المفردات).	موضوع جدير بالدراسة. وقد قدم المؤلف نماذج منها في صفحات هذا الجزء الثاني من رحلاته.	٧٨٨
١٩٤	لهجات قبائل منطقة السراة: (دراسات وبحوث علمية).	موضوع في غاية الأهمية يحتاج إلى جهود جبارة علمية من الباحثين والمؤسسات الأكاديمية في المنطقة.	٧٩٠
١٩٥	اللهجات في منطقة الباحة من العصر الجاهلي إلى اليوم.	موضوع يحتاج إلى دراسات عديدة علمية وأكاديمية.	٧٩٠
١٩٦	مبادئ وأخلاقيات وقيم وصفات الفرد والمجتمع قديما وحديثا في منطقة الباحة: (دراسة مقارنة).	على الجامعات في جنوبي البلاد السعودية مسؤولية دراسة الماضي والحاضر وفتح مراكز بحوث علمية تخدم مثل هذا الجانب.	٧٩١
١٩٧	التاريخ الاقتصادي لمنطقة الباحة خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/ ٢٠م).	موضوع يستحق أن يكون عنوانا لرسالة ماجستير أو دكتوراه.	٧٩١
١٩٨	بلاد بلقرن وشمران وآل حبة (العوامر) وخثعم وعليان: (دراسة جغرافية تاريخية في الطبيعة والسكان).	الأمل معقود على الباحثين وطلاب الدراسات العليا في جامعتي بيشة والملك خالد للقيام بدراسة هذا الموضوع.	٧٩٨

الترتيب	عنوان الموضوع	ملاحظاته على الموضوع	الصفحة
١٩٩	محافظة بلقرن في تاريخها الحديث خلال القرنين: (١٣-١٤هـ/ ١٩-٢٠م).	موضوع جدير بالبحث والدراسة في رسالة ماجستير أو دكتوراه.	٧٩٨
٢٠٠	بلدة سبت العلاية قاعدة محافظة بلقرن، صلة وصل بين الشمال والجنوب والشرق: (دراسة تاريخ حضارية).	الأمل معقود على أحد طلاب الدراسات العليا في جامعة الملك خالد لتكون موضوعا لرسالته في الماجستير أو الدكتوراه.	٧٩٩
٢٠١	الأحلاف والصلات القبلية بين العشائر السروية والتهامية: (دراسة في التاريخ والأنساب والعلاقات).	موضوع جدير بالبحث والدراسة.	٧٩٩
٢٠٢	محافظة العرضيات عبر التاريخ.	تستحق أن يفرد لها العديد من البحوث والدراسات.	٧٩٩
٢٠٣	البلدان التهامية عبر أطوار التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث.	يدعو جامعة أم القرى وجامعتي الباحة وجازان أن تتولى الأجزاء التهامية الممتدة من مكة المكرمة إلى جازان وتخدمها بالكثير من الرعاية والاهتمام في أبحاثها ودراساتها.	٧٩٩
٢٠٤	محافظات منطقة عسير التهامية: (رجال ألمع، ومحايل، وبارق، والمجاردة والبرك) جغرافيتها وتاريخها.	يدعو الباحثين من هذه الأوطان للقيام بدراسات علمية أكاديمية لخدمة بلدانهم علميا وبحثيا.	٧٩٩
٢٠٥	سبت العلاية، والبطاطة، والبشائر، وعفراء، وقرى وادي طلال: (دراسات في التاريخ والجغرافيا والاقتصاد وعلم الاجتماع).	الأمل في جامعة بيشة لتأسيس مراكز بحثية في العلوم الإنسانية والنظرية لدراسة مثل هذه المدن والحواضر الرئيسية في محافظتي بيشة وبلاد بلقرن.	٨٠٠
٢٠٦	منطقة الأصدار الممتدة من بلاد فيفا في جازان إلى تهامة الطائف: (دراسات في التاريخ والجغرافيا وفي العلاقات الحضارية).	تستحق هذه المنطقة أن تفرد لها دراسة علمية توضح طبيعتها، وأن يصدر حولها عدد من البحوث العلمية.	٨٠٠
٢٠٧	الأودية في محافظة بلقرن: (دراسة جغرافية تاريخية حضارية).	يأمل من أحد الأساتذة في علم الجغرافيا في جامعتي الملك خالد أو بيشة، أن يتولى دراستها.	٨٠٣

الترتيب	عنوان الموضوع	ملاحظاته على الموضوع	الصفحة
٢٠٨	وادي بيه وقنونا وروافدهما: (دراسة تاريخية أثرية).	الموضوع يحتاج إلى دراسة علمية، وقد وردت الإشارة إلى الواديين في كتب التراث كما تغنى بهما الشعراء القدماء والمحدثين.	٨٠٣
٢٠٩	الصلات التاريخية والحضارية والجغرافية بين محافظة بلقرن والعرضيات خلال القرون الماضية المتأخرة.	موضوع جدير يستحق دراسة علمية أكاديمية.	٨٠٣
٢١٠	مناخ السروات وجغرافيتها بين الماضي والحاضر: (دراسة في التغيرات المناخية والطبيعية).	موضوع مهم يحتاج إلى بحوث أكاديمية.	٨٠٣
٢١١	قبائل محافظة بلقرن: (دراسات في أصولها وأنسابها مع تاريخها السياسي والحضاري وصلاتها مع غيرها من القبائل في جنوب الجزيرة العربية).	يوصي بدراسة مثل هذه الموضوعات الجديدة في أبوابها والجديرة بالبحث والدراسة.	٨٠٣
٢١٢	المستوطنات البشرية القديمة في بلاد السروات : دراسة تاريخية أثرية.	أرض السروات بحاجة إلى بحث في هذا الميدان لاعتقاد المؤلف أنها كانت مجالا للاستيطان البشري منذ عهود قبل الإسلام.	٨٠٣
٢١٣	تاريخ السروات خلال العقدين الأولين من عصر الإسلام.	من الموضوعات الجديدة ويستحق أن يكون عنوانا لرسالة ماجستير أو دكتوراه.	٨٠٤
٢١٤	التطور والتنمية في أنحاء البلاد السعودية منذ منتصف القرن ١٤هـ/ ٢٠م.	موضوع في غاية الأهمية يحتاج إلى عشرات المجلدات ومئات البحوث التي ترصد النماء والرخاء الذي يعيشه الإنسان في هذه البلاد.	٨٠٥
٢١٥	أرض السروات من جنوبي الطائف إلى أرض قحطان: (دراسة في التاريخ الحديث).	يأمل من أقسام التاريخ في الجامعات الجنوبية السعودية أن تولي هذه البلاد كثيرا من العناية.	٨٠٥
٢١٦	التغيرات الاجتماعية في بلدان تهامة والسراة من تسعينيات القرن (١٤هـ/ ٢٠م) إلى عصرنا الحالي.	على الجامعات في الجنوب السعودي إنشاء مراكز بحوث اجتماعية تدرس التغيرات الاجتماعية.	٨٠٨

الترتيب	عنوان الموضوع	ملاحظاته على الموضوع	الصفحة
٢١٧	تاريخ شيوخ القبائل في بلاد السراة بين الماضي والحاضر.	موضوع مهم وجديد يستحق أن تفرد له عشرات الكتب والبحوث.	٨٠٩
٢١٨	علاقة شيوخ القبائل بقبائلهم: (دراسة في الصراعات بين أفراد القبيلة أو العشيرة الواحدة).	موضوع كبير يستحق أن تفرد له عشرات البحوث والدراسات العلمية، نظرا لتوفر الوثائق والمعاملات التي تعكس هذا الجانب.	٨٠٩
٢١٩	القرى والأحياء الجديدة في محافظة بلقرن: (دراسة عن مواقعها وأسباب اختطاطتها، وساكنتها، وتطورها التاريخي والحضاري).	نشأة هذه القرى والأحياء الجديدة جديرة بالبحث، مع ضرورة مقارنة تركيبتها الاجتماعية والاقتصادية مع غيرها من القرى والمدن القديمة في المحافظة.	٨١٢
٢٢٠	العمارة القديمة في محافظة بلقرن خلال القرون الماضية المتأخرة.	موضوع مهم للدراسة من قبل أحد الباحثين الجادين ليقوم بدراسة علمية موثقة.	٨١٢
٢٢١	المساجد القديمة والحديثة في بلاد السراة: (دراسة معمارية).	موضوع يستحق من يدرسه في بحوث عديدة.	٨١٣
٢٢٢	العمارة في بلاد تهامة والسراة.	الأمل في طلاب قسم التاريخ بجامعة الملك خالد للالتفات إلى هذا الموضوع لدراسته في رسائل وبحوث علمية.	٨١٣
٢٢٣	تاريخ المؤسسات الإدارية في عموم محافظة بلقرن خلال الستين سنة الماضية.	هذا الموضوع يستحق أن يكون عنوانا لكتاب أو رسالة علمية.	٨١٣
٢٢٤	الأسواق الأسبوعية في محافظة بلقرن: (دراسة تاريخية اقتصادية واجتماعية).	يقترحه على أحد الباحثين الجادين خصوصا وأن هناك روايات شفهية ومدونات تحفظ الكثير من تاريخ هذه الأسواق التي اندثر جلها.	٨١٣
٢٢٥	الأسواق الأسبوعية واليومية في محافظة بلقرن: (دراسة مقارنة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية).	يأمل من أحد الباحثين الجادين القيام بهذه الدراسة مع ذكر أوجه الشبه والاختلاف بينها.	٨١٦
٢٢٦	المقابر القديمة في محافظة بلقرن.	موضوع جدير بالدراسة في بحوث أو رسائل علمية أكاديمية.	٨١٦
٢٢٧	تاريخ الرعي والزراعة في أرض تهامة والسراة خلال القرنين (١٣-١٤هـ/ ١٩-٢٠م).	يأمل من الأقسام التاريخية والأكاديمية في جامعات تهامة والسراة أن تولي هذا الباب أهمية كبيرة في بحوثها ورسائل طلابها وطالباتها.	٨١٧

الترتيب	عنوان الموضوع	ملاحظاته على الموضوع	الصفحة
٢٢٨	تاريخ الأغذية والأشربة في بلاد السروات خلال القرون الماضية المتأخرة.	موضوع يستحق الدراسة من قبل أحد الباحثين الجادين.	٨١٧
٢٢٩	الأطعمة والأشربة القديمة والحديثة في محافظة بلقرن: (دراسة مقارنة).	من الموضوعات الجديدة والجديرة أن يصدر حولها رسالة علمية أو كتاب علمي موثق.	٨١٨
٢٣٠	تاريخ الأطعمة والأشربة بمنطقة عسير في العصر الحديث.	موضوع يجب دراسته من قبل الأقسام العلمية في جامعتي الملك خالد وبيشة.	٨١٩
٢٣١	الأيادي العاملة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية بمحافظة بلقرن.	من المواضيع الجديدة الجديرة بالبحث.	٨١٩
٢٣٢	الزينة واللباس في عسير وجازان والباحة ونجران خلال القرن (١٤هـ/٢٠م).	يأمل أن يلتفت المؤرخون والباحثون لمثل هذه الأبواب الحضارية الهامة.	٨٢٢
٢٣٣	تاريخ اللباس والزينة في محافظة بلقرن منذ بداية القرن (١٣هـ/١٩م) حتى ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م).	موضوع يمكن أن يكون عنوانا لرسالة ماجستير أو دكتوراه.	٨٢٢
٢٣٤	التقاليد والأعراف قديما وحديثا في محافظة بلقرن.	حبذا أن يفرد لها عدد من الدراسات العلمية الموثقة.	٨٢٥
٢٣٥	تاريخ الفنون الشعبية في محافظة بلقرن خلال القرنين الماضيين (١٣-١٤هـ/ ١٩-٢٠م)	موضوع جديد يستحق البحث والدراسة، ويأمل من أحد الباحثين الجادين من هذه المنطقة بدراسة هذا الموضوع دراسة علمية.	٨٢٨
٢٣٦	اللغة واللهجات في محافظة بلقرن.	موضوع يستحق أن يفرد له كتاب أو رسالة علمية.	٨٣١
٢٣٧	حرف الجمع والصيد والزراعة والرعي عند سكان تهامة والسروات منذ عصور قبل الإسلام إلى نهاية (القرن ١٤هـ/٢٠م).	من الموضوعات التي لم تدرس بشكل علمي وموضوعي.	٨٣١
٢٣٨	الصيد قديما في أرض السروات وتهامة.	من الموضوعات الجيدة خصوصا وأن كتب التراث تشير إلى صور من تاريخ الصيد وحيله وأدواته.	٨٣٢

الترتيب	عنوان الموضوع	ملاحظاته على الموضوع	الصفحة
٢٣٩	تاريخ الزراعة في المنطقة الممتدة من الباحة شمالا إلى النماص وتنومة جنوبا خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م).	موضوع مهم والباحث فيه سيجد كثيرا من الوثائق والأرشيف والصكوك الشرعية، كما يمكن جمع مادته من كبار السن.	٨٣٣
٢٤٠	النزاعات حول الأراضي الزراعية والعقارية في محافظة بلقرن خلال القرن(١٤هـ/٢٠م)	موضوع مهم جدا وهناك كثير من الوثائق غير المنشورة في هذا الموضوع.	٨٣٤
٢٤١	التاريخ المعاصر للحرف والصناعات في منطقة عسير.	موضوع يستحق أن يدرس في عدد من البحوث والرسائل العلمية.	٨٣٤
٢٤٢	طرق المواصلات في منطقة عسير خلال القرنين (١٣-١٤هـ/ ١٩-٢٠م).	موضوع يستحق أن يكون عنوانا لكتاب أو رسالة علمية.	٨٣٥
٢٤٣	الطرق والمواصلات الحديثة في محافظة بلقرن.	من الموضوعات الجديدة التي تستحق أن تكون عنوانا لكتاب علمي أو رسالة أكاديمية	٨٣٦
٢٤٤	الطريق القديم الرابط بين الحجاز واليمن: دراسة تاريخية في أهميته ومحطاته والأحداث التي جرت عليه منذ عصر ما قبل الإسلام إلى عصرنا الحالي.	موضوع يحتاج إلى أن يفرد له دراسة مستقلة في كتاب أو رسالة علمية.	٨٣٨
٢٤٥	الأوزان والمقاييس في منطقة عسير في العصر الحديث.	من العناوين الجديدة ويستحق أن يكون عنوانا لبحث علمي أو رسالة أكاديمية.	٨٣٨
٢٤٦	تاريخ الأسعار في منطقة عسير منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر.	موضوع مهم يجب دراسته، مع القيام بالمقارنة، ومعرفة أسباب ارتفاعها وانخفاضها.	٨٤٠
٢٤٧	تاريخ العلم والتعليم في بلاد السروات عبر عصور الإسلام حتى نهاية القرن(١٤هـ/٢٠م).	من الموضوعات التي تستحق أن يفرد لها عشرات البحوث والدراسات العلمية.	٨٤٠
٢٤٨	تاريخ العلم والثقافة في محافظة بلقرن في العصر الحديث والمعاصر: (دراسة توثيقية).	يجب تشجيع الطلبة والطالبات في جامعة بيشة لدراسة هذا الموضوع.	٨٤١
٢٤٩	رموز محافظة بلقرن في العصر الحديث والمعاصر: (دراسة في جهودهم ومناقبهم في مجال العلم)	موضوع يستحق أن يفرد له بعض الكتب أو الرسائل العلمية.	٨٤٢

الترتيب	عنوان الموضوع	ملاحظاته على الموضوع	الصفحة
٢٥٠	التاريخ السياسي لمنطقة عسير ما بين (١٣٣٨ -١٣٧٣هـ/١٩١٩-١٩٥٠م).	هذه الفترة ما زالت تحتاج إلى مزيد من الدراسات العلمية الموثقة.	٨٤٣
٢٥١	التاريخ السياسي والحضاري في سروات بلقرن وما جاورها خلال (القرن١٤هـ/٢٠م)	موضوع يستحق أن يكون عنوانا لرسالة علمية، وتوجد الكثير من الوثائق المحلية غير المنشورة لخدمة هذا الموضوع وتوثيقه.	٨٤٣
٢٥٢	عصر الصحوة في العقود الأولى من القرن (١٥هـ /٢٠).	من الموضوعات الجديدة والحساسة التي يجب تسليط البحوث والدراسات عليها.	٨٤٣
٢٥٣	الإسهامات الثقافية والحضارية لأعلام محافظة بلقرن في المملكة العربية السعودية.	يأمل أن يرى باحثا جادا يدرس هذا الموضوع.	٨٤٣
٢٥٤	إمارة خالد الفيصل لمنطقة عسير.	مرحلة دامت أكثر من ثلاثة عقود ونصف تستحق البحث والدراسة.	٨٤٤

تاسعا: في الدعوة إلى تجنب القطيعة بين الأجداد والأحفاد حتى لا يقع التنافر الثقافي بين الأجيال:

سبق للفيلسوف الفرنسي الشهير جاك ديريدا (١٩٣٠-٢٠٠٤م) أن نبه إلى ما سماه بـ(التنافر الثقافي)، وهو ذلك الإحساس بعدم لارتياح أو الارتباك أو الصراع الذي يعاني منه الأشخاص أثناء تغيير البيئة الثقافية الخاصة بهم، في ظل هذه العولمة الجارفة المؤيدة بالثورة التكنولوجية الحديثة بأجهزتها ووسائل تواصلها الاجتماعية، التي تجعل العالم بين يدي جيل منقطع عن التواصل مع جيل الآباء والأجداد، مما يسهل على اختراقه بما سمته بعض الدراسات السوسيولوجيا بالغزو الثقافي الذي يُسقط القيم ويُهدد الأمن الاجتماعي، هذا الوصف ينطبق على مجموعة من الملاحظات التي تحدث عنها المؤرخ الرحالة الدكتور غيثان بن جريس أثناء جولاته في جنوب المملكة العربية السعودية فقد سجل بعمق ملاحظات عالم الاجتماع تفاصيل دقيقة عن التغيرات في العادات والتقاليد في مختلف المجالات بما فيها اللغة واللهجات، نتيجة غزو العمالة الأجنبية وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي، ونسوق هنا نصا يدل على عمق الإدراك للقطيعة التي ستحدث بين الأجيال عند حديثه عن اللهجات في منطقة الباحة، حيث قال:

«المتأمل في لهجات المنطقة خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/ ٢٠م) والعقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) وبخاصة ما كان مستعملا في الأسواق المحلية الأسبوعية وفي مهن الرعي والصيد والجمع والالتقاط والزراعة والتجارة والحرف الصناعية التقليدية، وفي بعض النشاطات الاجتماعية مثل: الاحتفالات والأعياد، وصور التعاون والتكافل والتآزر، نجد الكثير من المفردات أو اللهجات المستخدمة في هذه الميادين

المختلفــة قــد تلاشت وكثير منها ضــاع واختفى، وهذا مما ســوف يسبب فجوة كبيرة بين الأجيال السابقة واللاحقة، بل إن أجيال المستقبل سوف تكون جاهلة تماما بالإرث اللغوي الــذي عاشه آباؤهم وأجدادهم» (الرحــلات والرحالة، ج.٢، ص. ٧٨٧). ويعلق على هذه الظاهــرة محذرا ومنبها بقوله: «وإذا اختفى المــوروث اللغوي الذي عرفه الآباء والأجداد فهذا سوف يؤثر على أدب وثقافة وقيم ومبادئ الأجيال القادمة». (نفسه، ٥. ٢).

وهــذا الأمر ينطبق أيضــا على الفنون الشعبية التي اختفــى بعضها، يقول الرحالة الدكتــور غيثان عند حديثه عن الفنــون الشعبية بمنطقة بلقــرن: «إن الحداثة والتقنية وتســارع نظــام الحياة جعــل الناس يتخلون عن كثــير من فلكلورهم وفنونهــم الأصلية، ويستبدلونهــا بألعاب ورياضات وفنون مستوردة من ثقافــات أخرى، وبعضها من بلدان عربيــة وأخــرى أجنبية، وهذا ممــا يؤثر على الهويــة الوطنية وعــدم التمسك بأعراف وآداب وفنون الآباء والأجداد الجميلة». (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص. ٨٢٨، ٥.٤)

عاشرا: على سبيل الختم في الإشارات والتنبيهات الغيثانية الجريسية :

نستسمح الشيخ الرئيس ابن سينا في اقتباس عنوان كتابه (الإشارات والتنبيهات) لنجعله ضمــن عنوان فرعــي على سبيل الختم لهذه الجولات الفكرية الثانيــة في الرحلات الغيثانية، وذلــك لكون كل رحلة من رحلات الأستاذ الدكتور غيثان بــن جريس تتضمن مجموعة وافرة مــن الإشــارات والتنبيهــات الداعية بكل إلحــاح إلى الحفاظ على التراث المــادي واللامادي في المملكــة العربية السعودية، الزاخــرة بنفائس الشواهد الأثرية وروائــع المعارف الإنسانية، المتوارثة جيلا بعد جيل، بل هناك كثير من العادات والتقاليد التي يؤكد على ضرورة الحفاظ عليها وإيصالها سالمة إلى الأجيال القادمة لأنها تشعر الناشئة بالانتماء للوطن.

وغني عن الذكر والبيان لمتتبع صفحات الكتاب أن الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس لا يــدع فرصــة دون تنبيه أو إشارة لفهم الآليات التي تمكننــا من جعل التراث التقليدي تراثــا معاصرا وحيا في الوقت نفسه، تقتنع به الأجيــال الحالية والمتعاقبة للحفاظ على الخصوصيــة وتعطي الإحساس بالهويــة والاستمرارية التي تمكن مــن مواجهة العولمة. ومــن جانب آخر أشار ونبه إلى خطــورة اختفاء مظاهر من الموروث الحضاري والثقافي في مناطــق ومحافظــات الجنوب السعــودي، وضمنه المــوروث اللغوي حيث قــال: «وإذا اختفــى المــوروث اللغوي الذي عرفه الآبــاء والأجداد فهذا سوف يؤثــر على أدب وثقافة وقيــم ومبادئ الأجيال القادمة، ونــادي من على صفحات هذا الكتاب ونحث الجامعات والمؤسسات العلمية والأكاديمية، والجهات والمؤسسات المختصة أن تجمع وترصد موروث الأوائل اللغوي والثقافي والحضاري وتحفظه وتدونه للأجيال القادمة، كما ننادي بإنشاء نواد ومتاحــف ومراكز حضارية تحافظ على تراث الأوائل في شتى الجوانب، ومن يفعل ذلــك فسوف يسدي لأهلــه وبلاده كنوز ثقافية وحضارية جيــدة، بل سوف يحفظها من

الخراب والاندثار». (الرحالات والرحالة، ج.٢، ص. ٧٨٧، ٥.٢).

ومن بين أهم إشاراته وتنبيهاته أذكر هنا ما سجله عند تجواله في منطقة الباحة في الفترة الممتدة من (١١/٢٩ إلى٩/١٢/١٤٣٣هـ)، قوله في الحث على المحافظة على التراث الأثري من الدمار والخراب: «تغص المنطقة بعشرات المواقع التراثية الأثرية مثل: القرى القديمة والأسواق الأسبوعية، والحصون والقصور الأثرية، والطرق، والمدرجات الزراعية، والأودية والجبال التاريخية، والرسومات والنقوش والآثار، والآبار، والمقابر، وغيرها، وجميع هذه المصادر التراثية لا زال الكثير منها ماثل للعيان، لكنها في طريق الخراب والدمار، والواجب على الإمارة والمحافظات، والجامعة، ومؤسسات التربية والتعليم، والهيئة العليا للسياحة والوجهاء والأغنياء من أهل المنطقة أن يقوموا بمسؤولياتهم نحو هذا التاريخ المشرق، فيحافظوا على هذا الموروث الحضاري، وإن فعلوا ذلك فهو من باب الواجب عليهم، ثم إنهم سيحفظون لأبنائهم وأحفادهم تاريخ آبائهم وأجدادهم خلال القرون والعهود الماضية». (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص. ٧٩٢).

وفي محافظة بلقرن التي زارها عام (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) يقول في تنبيه وإشارة إلى ضرورة جمع تراثها الحضاري: «في المنطقة بعض العقلاء والحكماء، والشعراء النبطيين، وفيها أيضا الكثير من الروايات والأخبار، والأهازيج والأقوال الجميلة التي توارثها الآباء عن الأجداد، وبعض كبار السن مازالوا يذكرون هذا الموروث الحضاري، ونرجو أن نرى بعض الباحثين الجادين من أبناء المحافظة يجمعون شيئًا من هذا التراث الحضاري، الذي يعكس صورا من حياة الأوائل، وما عاشوه عبر حقب التاريخ الحديث». (الرحلات والرحالة، ج.٢، ص. ٨٤٢).

وعبر صفحات الرحلة يشير المؤلف إلى بعض مظاهر المشاكل الاجتماعية وينبه على أهميتها، ومنها قوله: «هناك العديد من القضايا التي يجب على أهل الرأي والقرار والوعي السليم في المنطقة الانتباه إليها، مثل: تشجيع الهجرة العكسية لأبناء المنطقة من المدن الكبرى إلى مدنهم وحواضرهم في منطقة الباحة، مع الحرص عل توفير الخدمات الهامة والضرورية لهم ولغيرهم من سكان البلاد، حبذا أن يشجع فتح المجالس والمنتديات (الصوالين) الأدبية والثقافية في المنطقة، وهذا سوف يساعد على تنمية الوعي والثقافة والفكر عند الناس، كما يجب فتح مراكز رياضية ثقافية ينشر من خلالها الوعي الثقافي البناء مثل: الحفاظ على مقدرات البلاد وتراثها وموروثها الحضاري، ومحاربة السلوكيات الاجتماعية والأخلاقية الهدامة، ونشر الثقافة والأدب العفيف للفرد والأسرة والمجتمع». (الرحلات والرحالة، ج. ٢، ص. ٧٩٤).

إن تنوع المناهج التي وظفها الرحالة الدكتور غيثان بن جريس في طريقة تنبيهاته وإشاراته لتوضيح أهمية التراث ووجوب الحفاظ عليه وضمان استمراريته، ابتداء من

الوصـف والتحليل، واعتمـاد المصادر والوثائق والرواية الشفهيـة، والمشاهدة والمعاينة، مع المقارنات التاريخية الموثقة بين الماضي التليد والحاضر الراهن، تدعونا إلى التفكير في اتبـاع طـرق جديدة للتعامل مع الـتراث بجميع مكوناته، كما قـرر ذلك محمد عابد الجابـري بقولـه: «إن التفاهم حـول طريقة جديدة للتعامل مع الـتراث لا يمكن أن يتم بدون نقاش أو بدون مراجعات». (نحن والتراث، ص. ٥).

وفي الختـام أقـول إن الرحلات الغيثانيـة (الجريسية) رصيد وثائقـي وتراكم معرفي يضـم السرد والتحليل والوصف والنقـد، وكل ذلك قدمه الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس للباحثين والمهتمين بدراسة الحضارة التي كان يمتاز بها مجتمع الجنوب السعودي، فقد قدم لنا هـذا المؤرخ الجماعة، والمنقب الرحالة، بنظره الثاقـب مباحث في الحضارة السعودية، وما كانـت عليه البلاد الجنوبية في الحالة الاقتصادية والاجتماعية، وتشبث النـاس بالدين القـويم والمثل العليا مـع حفاظهم على العادات والتقاليد وفنونهـم الشعبية، مع جوانب من تاريخ الفولكلور والحكايات، والتقنيات المستعملة في إنتاج الطعام، واللغات واللهجات، ونظم القرابـة، والأسرة، والهجرة والعمالة، علاوة على ما كانت تزخر به المناطق التي زارها من المعـارف والمهارات الصناعية، معتمدا على العلوم الإنسانيـة بمستواها النظري والمنهجي، فأصبحت نظرته إلى الماضي تسهل على الباحث معرفة الحاضر وتوقع وقائع المستقبل.

ولا أريـد أن أدع القلـم دون تضـرع إلى الله بخشـوع وإنابـة، بدعـوة صادقة لعلها تحظى من لدن الكريم بالقبول والإجابة، لهذا المؤرخ الرحالة، المدرس النفاعة، والعالم المشـارك البحاثـة، الأستـاذ الدكتور غيثـان بن جريس، بمـا قدمه مـن مؤلفات تعتبر مصـدرا للمعرفة، ومقصدا لتفعيل ما قدمه من نصائـح في كل تنبيه وإشارة، وقد كان وما زال داعيا إليها على مر أيامه ولياليه، في حله وترحاله ومقامه، للحفاظ على تراث أمة ماجدة، خطت بمداد الفخر تراثها في صفحات تاريخ الأمم الخالدة.

فنسـأل الله العظيـم أن يطيـل بقـاءه، ويحفظ مهجتـه، وأن يحقق رجـاءه، في كل سُـؤْل وأمـل، وأن يعينه في كل قـول وعمل، حتى يقـدم لنا وللأجيال المقبلـة مزيدا من عـبر الدروس، ويمتعنا بما يخـط يراعه من نوابـغ الأفكار في بديـع الطروس. (أحمد محمـد إيشرخان، مدينة فاس بالمملكة المغربية، جامعة سيدي محمد بن عبدالله) (في تاريخ٣/٣/١٤٤٤هـ الموافق ٢٩/٩/٢٠٢٢م) [١].

(١) عملـت مع الأخ الزميـل الدكتور أحمد إيشرخان في قسم التاريخ بجامعة الملـك خالد في نهاية الثلاثينيات وبدايـة الأربعينيـات من هذا القرن (١٥هـ/٢١م)، فوجدته على قـدر كبير جداً من الأخـلاق الفاضلة، وشديـد الحرص على أداء أعماله التدريسية والتعليمية باجتهـاد وانضباط كبيرين، وفي الوقت نفسه فهو عالم جليل في مجال تخصصه التاريخ الحديث والمعاصر، وكان على صلات جيدة وكبيرة بزملائه في كلية العلـوم الإنسانية، بجامعة الملك خالد. وحالياً يتولى رئاسـة قسم التاريخ في جامعته بالمغرب، أسأل الله له التوفيق والسداد، وحسن القول والعمل في جميع أعماله العامة والخاصة. (ابن جريس).

ثالثاً: القلم والكتاب في حياة الناس. (١٣٨٠-١٤٤٤هـ/ ١٩٦٠- ٢٠٢٣م). (انطباعات ومشاهدات). بقلم. أ.د. غيثان بن علي بن جريس.

أولاً: تقديم:

أسجل في هذا المبحث معارف ومعلومات قرأت عنها، أو سمعتها، أو عاصرتها في حياتي خلال أكثر من ستة عقود (١٣٨٠- ١٤٤٤هـ/ ١٩٨٠-٢٠٢٣م) عن السعوديين السرويين والتهاميين وحياتهم مع الكتاب والقلم داخل بلادهم وخارجها[١]. وقد يقول قائل: إنني أتحدث عن مجالين كبيرين، ويصعب الإشارة إليهما في صفحات محدودة، وهذا قول صائب، لأن الكتاب والقلم مذكورين بشكل كبير في مصادر التاريخ الإسلامي. ومن يفحص القرآن الكريم، وكتب التفاسير، والسنن، وغيرها من الكتب التراثية في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة، والمصادر والمراجع الحديثة والمعاصرة فإنه يجد كميات هائلة من المعلومات المكتوبة، والكثير منها مطبوعاً ومنشوراً [٢].

---

(١) أقصد بمصطلح (بلادهم)، أي الديار الواقعة بين حواضر الحجاز واليمن الرئيسية، الممتدة من الطائف وجنوب مكة إلى منطقتي جازان ونجران. والذي جعلني أحصر حديثي على أرض وإنسان هذه البلاد لمعرفتي التامة بالكثير من تاريخها وتراثها منذ عصور ما قبل الإسلام إلى الآن (١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م). وسوف يمتد حديثي إلى توثيق لمحات من حياتهم خارج بلادهم في المملكة العربية السعودية وخارجها، وكيف أثروا وتأثروا بوسيلتي القلم والكتاب، وشيئاً مما حققوه من هذين المحورين.

(٢) قبل البدء في هذا البحث، قضيت عدة أسابيع اطّلع وأقرأ في المصادر والمراجع العربية والأجنبية القديمة والحديثة، ووجدت نفسي أمام خزائن علمية ومعرفية كثيرة جداً عن تاريخ القلم والكتاب، وصلاتهما بالكثير من مجالات الحياة الحضارية، ومن رغب في دراسة هذا الموضوع كما جاء في التراث العربي وغير العربي فإنه سيتعامل مع بحر واسع من الثقافة الكبيرة والمتنوعة في أطروحاتها العلمية.

في هـذا العمـل الذي نحن بصدده في هذه الورقات لـن يقوم على معلومات مستقاه مـن المصادر والمراجع المكتوبة، إنمـا سيوثق من خلال تجارب الحياة مع الكتابٍ والقلم منذ بداية العقدين الأخيرين في القرن (١٤هـ/٢٠م)، وقد أعود إلى الوراء قليلاً فاذكر شيئـاً من المـوارد المكتوبة عن الحياة العليمـة والثقافية في بلاد السـروات وتهامة، لأن القلـم والكتاب كانا من الأسس الرئيسية لبناءٍ وتأسيس النهضة الحديثة التي تعيشها المملكة العربية السعودية منذ مئة عام تقريباً[١].

ثانياً: القلم والكتاب والحياة القروية (١٣٥٥ـ ١٣٩٦هـ/١٩٣٦ـ ١٩٧٦م).

عندمـا أقول الحيـاة القرويـة، فالمقصود بذلك قـرى وأرياف السـروات وتهامة. ولدت في سراة محافظة النماص عام (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م)، وترعرعت في جنبات القرى والبوادي في بلاد بني عمرو وبني شهر، وشاهدت حياة الناس المشغولين بكسب أرزاقهم مـن مهن الرعـي، والصيد، والاحتطاب، والزراعـة، وقليل جداً من يعمـل في التجارة، والبعض يمارسون صناعات وحرف تقليدية بدائية[٢].

رأيـت خلال العقد الثامن من القرن (١٤هـ/٢٠م) جميع الناس بين ذاهب وآيب، والتعاون والتكامل والتقارب من الصفات الأساسية عند أفراد الأسرة أو القرية الواحدة، لكـن الجانب السياسي والأمني وحيـاة الاستقرار مازالت في بداياتها تحت حكم الدولة السعودية الحديثة. وإذا قارنا تلك الفترة بالعقود السابقة، فالحياة الفردية والجماعية، والتركيبة الإدارية والمالية، ونمط التنوير والتفكير أصبح أفضل من ذي قبل[٣].

مرت الحياة السياسية في السروات وتهامة بالعديد من المراحل العسكرية والإدارية منذ الأربعينيات إلى سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م). وهذا الموضوع تمت دراسته في عدد مـن الكتب والبحوث العلمية، ومازال هناك وثائق جديـدة، وجوانب تاريخية وحضارية

---

(١) نهضـة البـلاد السعودية الحديثة والمعاصـرة، صدر عنها بعض البحـوث العلمية، لكننـا مازلنا نتطلع إلى دراسات علمية موسوعية ترصد حياة البلاد والسكان منذ كانت حياة الناس غارقة في الصراعات الأهلية، والتشتت السياسي، إلى أن أصبحت دولة موحدة مترامية الأطراف، يسودها العدل والأمن والاستقرار.

(٢) كانت هذه الأعمال المهن الرئيسية لجميع سكان السروات وتهامة، وأحياناً يتفاوتون في نشاطاتهم الحضارية من مـكان لآخر، حسب الإمكانات والظروف الطبيعية. فالبلاد الغنيـة بتربتها الزراعية ومياهها الغزيرة تكون مهنة الزراعة العمل الرئيسي، بخلاف الأوطان الصحراوية، والأجزاء السروية والتهامية التي تمتاز بكـثرة المراعي، فالرعي يعـد من النشاط الأساسي لسـكان تلك البلاد، ومعظمهم مـن أهل البادية، وقد تجمع مهنة الرعي والزراعة في بعض المواطن.

(٣) كانـت البلاد مليئة بالصراعات القبلية، وضعف الأمن، وانتشار الخوف، وكثرة الرزايا المجتمعية. لكن بعد ظهـور الإمام عبدالعزيز بـن عبدالرحمن الفيصل، ثم العمل المستمر والجاد علـى توحيد البلاد، والسير بهـا على طريق البناء والتطوير، بدأت حياة الأرض والناس تتغير إيجابياً، وتحققت الوحدة بفضل الله ثم جهود الملك ورجال دولته، وتعاون جميع شرائح المجتمع مع هذا الكيان الجديد (المملكة العربية السعودية) وخلال سنين عمري الأولى، صارت أرجاء البلاد، في حالة مستقرة، وتتقدم نحو التطور والبناء.

خـلال تلك الفترة جديرة بالاهتمام البحثي التحليلي التوثيقي، ولن يكون مجال حديثي في هذا المبحث[١].

كانـت الدولة تحرص على بناء وتطوير شتى الجوانـب الحضارية التي تعود بالنفع العـام على الأرض والفرد والجماعـة في كل ناحية[٢]. ولو أطلقت العنان للكتابة عن كل مجـال تنموي، فسوف يستغرق مئات الصفحات وأن توقفت مع حياة كل فرد، أو أسرة، أو عشـيرة، أو قبيلـة، أو قرية، أو بلدة، أو مدينـة، أو حاضرة في عموم السروات وتهامة فسوف يحتاج هذا العمل التوثيقي إلى زمن طويل، وأعمال موسوعية كبيرة[٣].

من الأدوات الرئيسية في مجال التعليم والتعلم القلم والكتاب. ورأيت أثناء طفولتي عـدم وجود الكتاب في معظـم بيوت قريتنا، وإذا ذهبت إل مسجد القرية شاهدت عددا محـدودا جداً من المصاحف، وربما يكون في أفـراد القرية شخص أو شخصين يقرأون في المصحـف قبـل بدأ الخطبة يـوم الجمعة. ووقـت الخطبة يرتقي الإمـام (المطوع) المنـبر فيقرأ خطبتـه من كتاب قديم، وأحيانا يتوقف أثنـاء القراءة لعدم معرفته بعض الكلمات[٤]. وفي الثمانينيات ثم بداية التسعينيات كنت أشاهد بعض الآباء يسيرون من مـكان لآخـر بحثاً عمن يكتب له رسالـة لابنه، أو قريبه الذي سافـر إلى بعض المدن في المملكة العربية السعودية مثل حواضر الحجاز، أو المنطقتين الشرقية والوسطى[٥].

---

(١) مـازال هناك آلاف الوثائق التاريخية الحضارية الجديـدة والمفيدة في دراسة تهامة والسراة خلال العقود الوسيطـة من القـرن (١٤هـ/٢٠هـ)، واحث الجامعات الحكومية في جنـوب المملكة العربية السعودية على دعم الباحثين والمؤرخين الجادين لدراسة هذه الحقبة عسكرياً، وسياسياً، وإدارياً، واجتماعياً، واقتصادياً، ومعرفياً.

(٢) إن بدايات حكم الدولة السعودية الحديثة في بلدان السروات وتهامة تم ذكره في بعض الدراسات العلمية، وتاريخها التنمـوي خلال المئة سنة الماضية (١٣٤٣ـ ١٤٤٤هـ/١٩٢٤ـ٢٠٢٢م) أشارت إليه بعض الكتب والبحوث المنشورة وغـير المنشـورة. وكل المجـالات الحضارية الحديثـة والمعاصرة في أرجـاء المملكة بحاجة إلى دراسـات تفصيلية تحليلية عميقة، وهذه الأعمال من مسؤوليات الجامعات، والكليات، والأقسام العلمية في طول البلاد وعرضها.

(٣) إن رصدي هذه الخلاصات ليس من باب المبالغات، إنما هي الحقيقة، فقد عرفت ذلك من خلال السير في مناكـب هذه الأوطان التهامية والسروية، ثم جمعي بعضـ المصادر، وسماعي من بعض الأعلام المعمرين، ومشاهدتـي تاريـخ الأرض وحيـاة الناس من بدايـة العقد الثامن في القـرن الهجري الماضـي حتى وقتنا الحـالي، ودائمـا أنصح وأوصي معاشر المؤرخين والباحثين بدراسـة أوطانهم وما جرى لها خلال قرن من الزمان(١٣٤٣ـ ١٤٤٤هـ/١٩٢٤ـ ٢٠٢٢م)

(٤) كان الذين يكتبون ويقرأون في معظم قرى وأرياف السروات وتهامة قليلين جداً خلال العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وقـد تكون أعدادهم تزيد قليلاً في البلدان الرئيسية التي بـدأت فيها المدارس النظامية خلال الخمسينيـات والستينيـات من القرن نفسه، مثل مدن أبهـا، وخميس مشيط، والظفـير، والقنفذة، والطائف، والبرك، وبيش، وضمد، وصبيا، وجازان، وقرى أخرى في النواحي التهامية والسروية. وتاريخ التعليم النظامي في عمـوم السراة وتهامة من العقد الرابع إلى الثامـن في القرن الهجري الماضي من الموضوعات المهمة التي لم تخدم في أعمال علمية رصينة، أرجو أن نرى من يلتفت لهذا المجال دراسة وبحثاً وتوثيقاً.

(٥) حديثـي هنـا يختص بالقرى الريفية البعيدة عن الحواضر الرئيسية. فبلـدة النماص مثلاً كان يوجد فيها من

كوني درست وألفت بعض البحوث العلمية عن مسيرة التعليم خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، وقابلت واستكتبت عددا من المعلمين الأوائل في أبها، وخميس مشيط، وبيشة، والقنفذة، وجازان وغيرها، ورصدوا لي الكثير من المعلومات عن مسيرة التعليم الحديث في بلدان عديدة سروية وتهامية، وأشاروا إلى كثير من العقبات التي واجهوها منذ نشأة التعليم النظامي في الخمسينيات إلى الثمانينيات في القرن الهجري الماضي، وذكر بعضهم طرق جلب الأدوات المدرسية مثل الكتب، والأقلام، والأثاث، والسبورات وغيرها. ومنهم من فصل الحديث عن المعلمين، وأساليبهم وطرق تدريسهم، وتفانيهم في أداء رسالتهم التربوية، وكيف كان الطلاب يرغبون التعليم بهمة عالية واجتهاد، وبعد حصولهم على شهاداتهم، انخرطوا في الحياة العملية، ومنهم أعداد غير قليلة عملت في مجال التعليم [1].

خلال السنوات الخمسة الأولى من حياتي (١٣٧٩ـ ١٣٨٤هـ/١٩٥٩ـ ١٩٦٤م)، كنت ساكنا مع والدتي ثم والدي في سراة بني عمرو وبني شهر، وأحيانا في سن الرابعة أذهب مع والدتي لرعي بعض البهم (صغار الضأن)، لكنني أسمع بعض الطلاب من قريتنا يذهبون إلى المدرسة في قرية لشعب بني عمرو، أو بلدة النماص في سراة بني شهر، ورأيت بعضهم عند عودتهم من مدارسهم يحملون حقيبة من القماش فيها بعض الكتب والأقلام. لم أكن أدرك كثيرا الهدف من هذه الأدوات، إلا أنني أعرف أن لها علاقة بالمدرسة، ولا أفهم أي شيء عن هذا المصطلح، ومن باب فضولي كطفل، كنت أرغب وأتطلع إلى مزيد من المعلومات عن عالم الدراسة والمدرسة [2]. وفي عام (١٣٨٤ـ١٣٨٥هـ/١٩٦٤ـ١٩٦٥م) يرزقني الله، ويوافق والدي على تسجيلي في المدرسة السعودية بالنماص، أنا وأخي منصور الذي تجاوز عمره العشر سنوات، وفتح الله الرزق لي أن شاهدت المدرسة وعالمها العمراني والبشري [3].

الأربعينيات إلى الثمانينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م) بعض موظفي الحكومة مثل: الأمير، والقاضي، وبعض أئمة المساجد، ومعلمين، وعدد آخر يقرأون ويكتبون. والوضع نفسه في كل ناحية إدارية رئيسية مثل: القنفذة، وجازان، وبيشة، وخميس مشيط، والطائف، والظفير وغيرها. أما القرى المتفرقة في أرجاء البلاد، فحياة أهلها متواضعة، ونسبة التعليم محدودة جداً، وأغلب القرى والبوادي لا يوجد فيها مدارس ولا متعلمين.

(١) التقيت بالعشرات من المعلمين خلال العقدين الأوليين من هذا القرن(١٥هـ/٢٠م)، وجميعهم تعلموا ومارسوا مهنة التدريس من خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، إلى نهاية القرن نفسه ومنهم: عبدالمالك الطرابلسي، ومحمد أحمد أنور، وسليمان بن أحمد، ومحمد النعمي، وسعد المليص، وحسن إبراهيم الفقيه، وإبراهيم محمد فائع، ويحيى بن حسن بن مستور، ومحمد بن عبدالله بن حميد، وحسين الأشول، وأحمد مطاعن، ومحمد بن سعد الشهراني وغيرهم كثير. انظر دراساتي المطبوعة والمنشورة ورقيا ورقميا.

(٢) إنني أتحدث عن شيء من المشاهدة عن التعليم في سروات بلاد الحجر، لكن هذه البلاد وغيرها من السروات وتهامة عرفت الكثير من الكتاتيب، ثم المدارس النظامية من أربعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، أو قبل ذلك ولهذا فالقلم والكتاب عُرفا عند بعض الناس في هذه الديار، لكن انتشارهما، وانتشار التعليم معهما مازال محدوداً ومحصوراً في بعض المدن والقرى الكبيرة في أرجاء السروات وتهامة.

(٣) عندما قرر الوالد والوالدة إرسالي إلى المدرسة زوداني بدفترين من أبي (٤٠) ورقة، وقلم رصاص ومساحة، وشنطة مصنوعة من القماش، وذهبت مع أخي وأولاد قرية والدي (آل رزيق) مشياً على

استمرت رحلتي مع المدرسة النظامية في النماص وأنا أسكن في قرية والدي (آل رزيق) حوالي (١٢) سنة، أنجزت خلالها مراحل تعليمي العام الثلاث (الابتدائية، والمتوسطة، والثانوية)، ومنذ ولادتي عام (١٣٧٩-١٣٨٠هـ/١٩٥٩م) حتى حصولي على الشهادة الثانوية عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، وأنا أعيش في ربوع السروات، وأذهب أحيانا إلى بعض البلدان التهامية، كما سافرت لفترات قصيرة في مرحلتي المتوسطة والثانوية (١٣٩١-١٣٩٦هـ/١٩٧١-١٩٧٦م) إلى الحجاز، والرياض، والمنطقة الشرقية، وشاهدت ومازلت أتذكر بعض المعارف والمعلومات عن الكتاب والقلم، والتعليم بشكل عام. وفي الفقرات التالية أوثق شيئاً من تلك الذكريات، مع الإشارة إلى بعض الآثار الإيجابية في حياة الناس من خلال هذه الموضوعات، وهي على النحو الآتي:

١- دخلت سنة أولى ابتدائي، أحمل قلم ودفتر، لكنني لا أعرف استخدامهما، وبدأ بعض المدرسين السعوديين والمتعاقدين يتدرجون معي ومع زملائي الطلاب الأطفال ويعلموننا حروف الهجاء مشافهة، فبدأوا مع حرف الألف، وتعلمنا نطقه، ثم كتابته، وواصلوا رحلة التعليم معنا حتى إتقان كتابة جميع الحروف متفرقة، أو متشابكة في كلمات عربية فصيحة. والوضع نفسه جرى مع مادة الحساب، فتعلمنا الأرقام من (١-١٠)، ثم إلى (١٠٠)، وساروا بنا على مراحل فعلمونا عمليات الطرح، والجمع، ثم الضرب والقسمة خلال سنوات المرحلة الابتدائية المتأخرة، ولم نصل إلى السنة السادسة الابتدائي، إلا أصبحنا قادرين على القراءة والكتابة بصورة جيدة[1].

٢- تدرجنا في سنوات التعليم، وتعددت المواد الدراسية، وأصبح هناك مقررات كثيرة، مثل: المطالعة(القراءة)، والخط، والتعبير، والنحو (القواعد)، والحساب، ومواد دينية عديدة (القرآن، والتوحيد، والتجويد، والفقه، ثم التفسير)، ومواد علمية أخرى مثل التاريخ، والجغرافيا، والعلوم وغيرها. هذه المواد خلال المرحلة الابتدائية، وكل مادة أو منهج له كتاب، وفيه وعليه الكثير من الواجبات التي يجب دراستها وإتقانها داخل المدرسة، وفي الأعمال المنزلية. وأتذكر أنني وزملائي

الأقدام إلى مدرسة النماص السعودية، واستمرت رحلتي التعليمية من قرية الوالد إلى بلدة النماص خلال مراحل تعليمي الأولى (الابتدائية، والمتوسطة، والثانوية)، وحصلت على الشهادة الأخيرة عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م).

(١) إنني أرصد لمحة من تاريخ التعليم النظامي في السروات خلال الثمانينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م). والطريقة التي جرت معي في بدايات تعليمي، هي طريقة واحدة حصلت مع كل الطلاب من جيلي في أرجاء البلاد، وطبقت أيضا مع من سبقنا أو جاء بعدنا في مراحل التعليم الأولى. وإذا قارنت مستوى الطلاب وقدرتهم على القراءة في الكتاب، وجود خطوطهم في العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م)، مع الطالبات والطلاب في وقتنا الحاضر، فليس هناك وجه مقارنة، لجودة تعليم الأوائل، وإبداعاتهم في التعامل مع القلم، وقدرتهم على تدوين كتابة حسنة وجميلة، وقدرتهم على قراءة ما يكلفون به من واجبات أو يطلعون عليه في كتبهم المدرسية.

في السنــوات الست الأولى مــن تعليمنا أصبحنا على دراية جيــدة باستخدام القلم والكتــاب والحفــاظ عليهما، ولا أنسى الجهــود الكبيرة التي بذلتهــا المدرسة معنا، الإدارة والمدرســين، وكيف كان يزورنا بعض الموجهــين (المفتشين) من إدارة تعليم بيشــة، ويدخلون عندنــا في الفصول، ويسألوننا عن معلوماتنــا ومدى استيعابنا[١]، ومن المؤكد أنهم كانوا يوجهــون المعلمين بالإرشادات والنصائح التربوية والتعليمية التي تصب في خدمتنا تنويريا وتعليميا[٢].

٣- نجحــت من المرحلة الابتدائية، ودخلت المرحلة المتوسطة في بداية العقد التاسع من القــرن (١٤هـ/٢٠م)، بقيت فيها ثلاث سنوات، ثم سجلت في السنة الأولى الثانوي عــام (١٣٩٣هــ/١٩٧٣م)، وحصلــت على الثانويــة العامة من بلــدة النماص عام (١٣٩٦هــ/١٩٧٦م). وفي هذه السنوات الست (١٣٩٠-١٣٩٦هـ/١٩٧٠-١٩٧٦م)، شاهــدت القفزات الجيــدة في التعليم، حتى صارت كل أســرة لا تخلو من متعلمات ومتعلمــين، وأصبــح من أفراد بعضــ الأسر مدرسين وموظفــين في قطاعات مدنية وعسكريــة ويعملون في أمكنة عديــدة من المملكة. كل ذلك بفضــل التعليم الحديث الــذي من أسســه الرئيسية القلم والكتــاب. ونحن هنا لا نشــير إلى الكتاب والقلم كأحــد وسائــل التعليم المهمة، ولا نذكــر أشكالهما، وطرق صنعهمــا، أو جلبهما، أو طــرق استخدامهما أثناء مهنة التعليــم والتعليم، فكل هذه العناصر مهمة وجديرة بالدراســة والتوثيق، لكن أثرهما الإيجابي على حياة النــاس أفراداً وجماعات، هو الذي نسعى إلى معرفة بعض الشيء عنه[٣]، ونذكر شيئاً من ذلك في النقاط الآتية:

---

(١) الحديث عن أعلام التعليم في ذلك الزمان، من الموضوعات الجديدة والجيدة، آمل أن أكتب في قادم الأيام بعض الأخبار والسير لأولئك المعلمين والمربين في سروات بلاد الحجر (١٣٨٥-١٣٩٦هـ/١٩٦٥-١٩٧٦م).

(٢) هــذه خلاصــة تجربة طفل صغير عاش في سروات النماص خلال العقــد الثامن من القرن (١٤هـ/٢٠م). ولم أكــن وقتهــا أعلم أي شيء عن التعليم في أرجاء السروات وتهامــة، لكن بعد أن تقدمت في التعليم حتى أصبحــت متخصصــا في التاريــخ، عندئذ عرفت من خلال المصــادر والوثائق، ثم المقابــلات الشخصية، ومــواد علميــة مختلفة عن تاريخ وتراث جنوب البلاد السعودية بأن الذي جرى معي من تعليم وتدريب على الكتــاب والقلــم، قد حدث مــع جميع طالبات وطلاب المدارس الذين التحقوا بالتعليــم النظامي في جميع مناطق جنوب المملكة من منتصف القرن الهجري الماضي. ولم نصل إلى عصر دخولي المدرسة عام (٨٤-١٣٨٥هــ/١٩٦٥م)، إلا ثقافة الكتاب والقلم تنتشر ببطء بين الناس، حتى أن بعض أولياء الأمور اضطروا إلى بيــع مواشيهــم، وترك بعض المهن التــي يشتغلون فيها أبنائهم، وألحقوهــم بالمدارس الحكومية. وهذا الذي حصل معي، فوالدي باع أغنامه، وسجلني مع أخي منصور في المدرسة الابتدائية بالنماص.

(٣) تاريــخ القلم والكتاب (شــكلاً، واستخداماً)، أو كيفيــة دخولها إلى حياة الناس كسلعــة لأهداف تعليمية وثقافيــة، ومــن هم الأعلام أو التجار، أو المؤسسات الحكومية والأهلية التي كانت تقوم على جلبها ونشرها بين الناس؟ كل هذه النقاط جديدة في بابها، ومن يدرسها في بلاد السروات وتهامة خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) فإنه سيجد مادة علمية قيمة في هذا الميدان، وهي جديرة أن تُدرس وتُوثق في عدد من البحوث العلمية الرصينة.

أ - إن الحالة النفسية عند الطالب الصغير ثم الشاب تتطور إيجابياً، عندما يصبح قادراً على مسك القلم، ثم التدريب على الكتابة حتى يصبح قادراً على تدوين ما يُملى عليه، أو يكتب نصوصاً وتعبيراً ثقافياً من بنات أفكاره. ناهيك عن الكتاب فهو الآخر يضفي على نفس وفكر وعقل التلميذ نوعاً من الافتخار، وإذا تقدم في تعليمه وصار قادراً على القراءة في الكتب أو المدونات المختلفة فسوف تزداد الثقة والاعتزاز بالنفس[(١)]،

ب - شاهدت في السنوات العشر (١٣٨٥- ١٣٩٥هـ/١٩٦٥- ١٩٧٥م) العديد من الطلاب الذين عانوا كثيراً في بدايات تعليمهم، فكانوا ضعفاء في الإملاء والخط، وآخرين مستوياتهم متدنية في حفظ القرآن، أو الشعر أو النثر الذي يُكلفون بحفظه من قبل المدرسين[(٢)]، ومن أولئك من ضاعفوا جهودهم في التدريب على تحسين الخط، وكتابة القطع الإملائية القصيرة، والمتوسطة، والطويلة. وآخرون اجتهدوا في قراءة القرآن وكتب ثقافية وعلمية أخرى، بعضها من الكتب المقررة عليهم في المرحلتين المتوسطة والثانوية، وكتب أخرى جلبوها من مكتبة المدرسة، أو استعاروها من بعض المدرسين أو أحضرت لهم من مدن أخرى في المملكة عن طريق آبائهم أو بعض إخوانهم وأقاربهم، وتحسنت أحوال هذه الشريحة من الطلاب، فصار بعضهم قادراً على قرض الشعر، وكتابة النصوص الثقافية الأدبية المطولة، ومنهم من شارك في الأنشطة المدرسية، وأنجزوا بعض التمثيليات والمسرحيات، أو المجلات الحائطية، وأعرف بعض الطلاب الذين بذلوا قصارى جهودهم لاقتناء بعض المجلات الثقافية السعودية، والكويتية، والمصرية، وعند الالتقاء بهم في الفصول الدراسية يخبرون المدرس ببعض المقطوعات الثقافية التي عرفوها أو حفظوها من تلك الأوعية العلمية، وأحياناً يطلب منهم المعلم أن يقولوا ما عرفوه على أسماعنا، وكان معظمنا معجب بثقافة هذا النوع من الطلاب ، وبعض الطلاب اشتركوا في مسابقات ثقافية على مستوى المملكة العربية السعودية، ومن ضمن تلك المسابقات، قراءة بعض الكتب، أو قرض الشعر، أو مسابقة جمال الخطوط[(٣)] .

---

(١) حبذا أن نرى باحثين جدين يدرسون نفسية وعقلية وقدرات طلاب مراحل التعليم الأولى (الابتدائية، والمتوسطة، والثانوية) وآثارها الإيجابية على الطالب نفسه، وصلاته بمجتمعه، وما يتولد عن ذلك من مكاسب معنوية ومادية فردية وجماعية.

(٢) رأيت بعض هذه الأصناف في مدارس مدينة النماص النظامية، وكنت من ضمنهم، فبعض المقطوعات الأدبية، والسور القرآنية، والنصوص التعليمية لا نتقنها، وأحياناً نخفق في معرفتها ويتم تجاوزها.

(٣) إنها ست سنوات (١٣٩٠ـ ١٣٩٦هـ/١٩٧٠ـ١٩٧٦م) في بلدة النماص أثناء دراستي مرحلتي المتوسطة والثانوية، عاصرت خلالها نماذج كثيرة مما وثقته في المتن، وهناك مدن وقرى وحواضر في بلاد السروات

ج - إن جيلي، والجيل أو الجيلين اللذين سبقا عصري (١٣٧٠- ١٤٠٠هـ/ ١٩٥٠- ١٩٨٠م)، مـن أفضـل الأجيال السعودية في العصر الحديـث، لأنهم عاشوا شيئـاً من حياةٍ الشدة والقسوة المعيشية، ثم عاصروا عصر التنمية الحديثة ماديـا ومعنويا، وبالتالي فازوا بالكثير مـن المكاسب الإيجابية فتخرجوا من مدارس الآباء والأجداد التي شعارها المبادئ والقيم الجميلة، بالإضافة إلى صفـات ومحامد كثـيرة يصعب حصرها في هذه السطـور القليلة، ثم تطور الكثير مـن المجالات الحضريـة، وفي مقدمتها الأمن والاستقـرار، والتنمية التعليميـة والثقافيـة الحديثة، ومن ثم تخـرج الكثير من الكـوادر البشرية المتعلمة النشطة المحافظة على قيمهـا وأصالتها، الراعية لشيمها، الخادمة لدينها، وبلادها، وأهلها[1] .

د - لم يكـن في حاضرة النماص مكتبات عامة خلال العقدين الأخيرين من القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، لكن الكتاب والكتب أصبحت موجـودة عند بعض بيوتات العلم بشكل أكبر مما كانت عليه في العقود الأولى أو الوسطى من القرن نفسه، ونسب المتعلمـات والمتعلمين تزداد يوما بعد يوم، وأعضاء هيئة التدريس، وبخاصة من المتعاقدين يحضرون معهم بعض القصص والكتب الثقافية. وزادت أسفار أهل السراة وتهامة إلى حواضر عديدة في المملكة، للعمل، أو الدراسة، أو التجارة، أو الحج والعمرة، أو زيارة بعض الأقارب الموظفين في المناطق الغربية، والوسطى، والشرقيـة. وعند عـودة المسافرين أو الموظفـين إلى بلدانهم وقراهم في جنوب البـلاد السعوديـة يجلبون معهم ما عرفوه أو تعلموه مـن ثقافات. وكان بعضهم يحضر هدايا من الكتب والمجلات والثقافات المادية والمعنوية[2].

هـ - من آثار التعليم، والقلم والكتاب، التي عاصرتها في الثمانينيات والتسعينيات من القـرن (١٤هـ/ ٢٠م) زيادة أعـداد المتعلمـين الذين يستطيعـون كتابة

وتهامة، كان التعليم الحديث فيها أقدم، ومستوى العلم والثقافة أجود، ولابد أن هناك شرائح من الطالبات والطلاب أحسن، ناهيك عن الإمكانيات المادية (وفرة الكتب، ومصادر التعلم) لابد أن تكون أفضل وأكثر.

(١) لا أسـرد هـذه المعلومات تعصبـاً، أو تعاطفاً، أو تزلفاً لجيلي ومن سبقهم، لكننـي أوثق ما رأيته وشاهدته وعرفته من منجزات هذه الشرائح المجتمعية وقد قرأت عن أجيال العقود الوسطى من القرآن (١٤هـ/ ٢٠م)، وعاصـرت ومازلت أرى وأسمع أجيـال هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠-٢١م). ومن يدرس هذه الحقب الثلاث مع توخي الإنصاف والحيادية والنزاهة، فإنه سوف يجد أفضل الأجيال في شتى الجوانب ، الجيل الذي عاش طفولتـه ثـم شبابه خلال الثلاثين عاماً الأخيرة من القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ هذه الحقبة من شتى الجوانب الإيجابية والسلبية.

(٢) هـذا الذي شاهدته في قرى محافظة النماص من عام (١٣٨٥-١٣٩٦هـ/ ١٩٦٥-١٩٧٦م). كما سمعت بعض القصص والروايات في هذا الجانب من بعض أعلام النصف الثاني من القرن (١٤هـ/ ٢٠م). واطلعت على بعض الوثائق المكتوبة، والرسائل الإخوانية التي تحتوي على مادة علمية لها صلة بما أشرت إليه في المتن.

الرسائل، أو الاتفاقيات الاجتماعية والاقتصادية بين أفراد المجتمع. ومنهم من صار يؤم الناس ويصلى بهم في جمعهم وجماعاتهم[١]. كما شاهدت بعض التجار المحليين الذين يحضرون الأقلام المتنوعة، والدفاتر، وبعض السجلات المدرسية ، وكان لها زبائن من المدرسين والطلاب وأولياء الأمور. واذكر بعض الطلاب في ثانوية النماص(١٣٩٣ـ ١٣٩٦هـ/١٩٧٣ـ ١٩٧٦م) الذين كانوا يحثون على قراءة بعض الكتب العامة، كقراءات حرة، وكان هناك بعض المعلمين المصريين والسوريين والفلسطينيين وقليل من السعوديين الذين يجلبون بعض الكتب إلى طلاب راغبين في الاطلاع وزيادة معارفهم وأعداد هذا النوع من الطلاب، لم تكن كثيرة، لكنني رأيت وعرفت نماذج منهم، وجميعهم من السكان المحليين[٢] .

أثناء دراستي في مرحلتي المتوسطة والثانوية (١٣٩٠ـ ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٠ـ ١٩٧٦م) ذهبت مرات عديدة إلى الطائف، ومكة المكرمة، والرياض، والدمام، والظهران، والخبر، وراس تنورة لزيارة بعض الأقارب، وأحيانا العمل في الفترة الصيفية، وشاهدت بعض آثار التعليم الحديث على المجتمعات، وكيف أصبح القلم والكتاب حاضرا عند شريحة كبيرة من الناس، ومما عرفته وأتذكره في تلك الرحلات القديمة، أوثق صورا من ذلك في الفقرات الآتية :

١- رأيت العديد من شباب ورجال السروات وتهامة الذين حصلوا على بعض التعليم اليسير في حواضرهم ومدنهم وقراهم في جنوب المملكة العربية السعودية، ثم ذهبوا يبحثون عن وظائف حكومية وأهلية، فمنهم من التحق ببعض القطاعات والكليات والمعاهد العسكرية، وتخرجوا فيها برتب عسكرية جيدة، ثم عملوا في وزارات وإدارات عسكرية وأمنية، وبعض هذه الشريحة تم ابتعاثهم إلى دول غربية وشرقية لاستكمال دوراتهم التدريبية ودراساتهم العلمية العسكرية، ومنهم من التحق بأعمال الجندية العسكرية، ثم واصلوا دراساتهم في الفترات الليلية، وأعرف كثيرا من السرويين والتهاميين الذين حصلوا على شهادات الثانوية العامة، ثم التحقوا بالكليات العسكرية، أو بعض الكليات الجامعية وحققوا نجاحات كبيرة ودرجات عالية في سلم التعليم النظامي[٣].

(١) شاهدت العديد من المدرسين والشباب المتعلمين في أجزاء عديدة من بلاد السروات، الذين بدأ يظهر نجمهم في خدمة بلادهم وأهلهم من خلال ما تعلموه من علوم ومعارف دينية وثقافية وحضارية وغيرها.

(٢) إنني قرأت عن حياة التهاميين والسرويين خلال هذين العقدين الأخيرين من القرن الهجري الماضي(١٣٨٠ـ ١٤٠٠هـ/ ١٩٦٠ـ ١٩٨٠م) ، فوجدت أعداداً جيدة من شباب تلك الحقبة كانوا يسعون إلى توسيع معارفهم وثقافتهم باقتناء الكتب الثقافية المتنوعة ومعظمها تاريخية وإدارية وأحيانا دينية. وهذا الموضوع مجال رحب حبذا أن يدرس في هيئة رسالة جامعية، أو كتاب علمي ثقافي. ومن يقوم بذلك فسوف يطلعنا على تاريخ حديث غير مكتوب ولا موثق. (والله الهادي إلى سواء السبيل) .

(٣) لخصت لمحات من مشاهداتي وما عرفته أثناء ترددي على بعض المدن السعودية خلال العقد التاسع من

٢- لم يكن في الفترة التي أكتب عنها معاهد وكليات في السروات وتهامة، وهناك بعض الشباب الجنوبي السعودي الذين حصلوا على شهاداتهم الثانوية من مدن ومناطق جنوب المملكة، ثم التحقوا بالعديد من الكليات والأقسام الجامعية في المناطق الغربية، والوسطى، والشرقية[١]. وأثناء زيارتي لتلك البلدان في السنوات الأولى من العقد التاسع في القرن (١٤هـ/٢٠م)، شاهدت بعضهم يسكنون في بعض المساكن الجامعية وبخاصةٍ في الظهران والرياض، ومنهم من سكن في غرف وشقق بالإيجار، وتراهم دائماً يترددون على كلياتهم، ويراجعون واجباتهم ودروسهم في فصولهم الدراسية، ومقراتهم السكنية[٢].

٣- من خلال زياراتي للطائف، ومكة، والمنطقة الشرقية سمعت وعرفت بعض الأسر السعودية التي لها بعض الأبناء الذين التحقوا بشركة أرامكو في الظهران، والدمام، والجبيل، وراس تنورة، وترقوا في سلم المعرفة والوظيفة، ومنهم من تم ابتعاثهم إلى بعض البلدان الغربية لمواصلة دراساتهم الجامعية. كما رأيت وقرأت عن بعض السرويين والتهاميين الذين درسوا في مدارس دار التوحيد بالطائف، أو مدرسة تحضير البعثات في مكة المكرمة، وطلاب آخرين التحقوا ببعض المعاهد المدنية والعسكرية في بعض المدن الكبيرة بالمملكة[٣].

القرن (١٤هـ/٢٠م)، ولو اطلقت لنفسي العنان، وذكرت نماذج لبعض الأعلام الذين جعلوا القلم والكتاب، أو التعليم بشكل عام من أهدافهم الرئيسية في بداية حياتهم العملية وإن كنت آنذاك مازلت أعيش في بلدة النماص، لكنني أثناء سفري إلى مدن المملكة الأخرى رأيت عناصر بشرية جنوبية وسعودية كثيرة في تلك البلدان التي زرتها، وهم الذين قصدتهم في توثيقاتي التاريخية المدونة أعلاه. وهؤلاء الأعلام من عام (١٣٨٠- ١٤١٠هـ/١٩٦٠-١٩٨٩م) في مناطق المملكة المختلفة ميدان رحب لإنجاز العديد من البحوث التي ترصد سيرهم ومنجزاتهم الحضارية لأنفسهم ودينهم وبلادهم.

(١) بعض الجامعات الحكومية مثل جامعة الملك عبدالعزيز وفروعها في المنطقة الغربية، وجامعتي الرياض (الملك سعود) والإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، وجامعة البترول في الظهران. واذكر بعض الطلاب السرويين والتهاميين الذين يدرسون في هذه الجامعات في العقد التاسع من القرن (١٤هـ/٢٠م). حبذا أن نرى مؤرخاً من جنوب المملكة فيرصد تاريخ هؤلاء الأعلام خلال العقدين الأخيرين من القرن الهجري الماضي.

(٢) أذكر بعض الطلاب من بلاد الحجر، وسروات عسير، وغامد وزهران، ومن بلدة الطائف الذين كانوا يدرسون في بعض كليات جامعة البترول بالظهران، وجامعة الرياض (الملك سعود) بالرياض، وكلية الشريعة التابعة لجامعة الملك عبدالعزيز في مكة. حيث كنت أراهم وأقابلهم في بعض المناسبات الاجتماعية عند بعض الأقارب في مكة، والطائف، والرياض، والدمام. والناس ينظرون إليهم نظرة إعجاب واحترام، لأنهم طلاب علم، وأصحاب قلم وكتاب. وبعض ممن عرفت في ذلك الزمن البعيد صاروا أصحاب جاه ومناصب وظيفية عالية في الدولة، ومازال أغلبهم على قيد الحياة إلى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م). المصدر: مشاهدات الباحث ومعاصرته من بداية عام (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) حتى وقتنا الحاضر.

(٣) عرفت هذه المؤسسات التعليمية الكثير من طلاب جنوب المملكة العربية السعودية خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م). ولم أطلع على أي دراسة تشير إليهم، وإنجازاتهم العلمية، حبذا أن يُدرس هذا الموضوع في هيئة كتاب أو رسالة جامعية.

٤- إذا كنت أدون أهمية القلم والكتاب في حياة الناس (التهاميين، والسرويين)، فلا بد من الإشارة إلى الأعلام الذين تركوا بلادهم الرئيسية، وانتقلوا للعمل والاستيطان في مدن وحواضر سعودية أخرى. معظم هؤلاء ذهبوا يبحثون عن الوظيفة، وعندما توظفوا توسعت حياتهم الاجتماعية، فتزوجوا، وأنجبوا البنات والبنين، ثم حرصوا على تعليم أولادهم، ودعمهم ومساعدتهم وتشجيعهم على التعليم، وبذلوا أقصى جهودهم في تحقيق ذلك، وبالتالي ظهرت أجيال قضت سنوات طويلة مع القلم والكتاب، وحققوا نجاحات مادية ومعنوية من هذه الجهود والأعمال الشريفة الرفيعة. وصارت هذه الأسر السروية والتهامية خارج أوطانهم الرئيسية أكثر تعلماً وتنويراً وصلاتٍ قوية بالوسائل العلمية والثقافية، وفي مقدمتها الكتاب والقلم، ولم يكن الأمر مقصوراً على جنس الشباب، وإنما صار البنات والأولاد يسيرون على قدم وساق نحو العلم والتعليم، وتخرج فيهم الكثير من المبدعات والمبدعين، والمجتهدات والمجتهدين[1].

٥- يجب أن لا نتجاهل أو ننكر فضل مناطق المملكة العربية السعودية الأخرى على بلدان السروات وتهامة، وخدمة أهلها في مجال التعليم والثقافة والتنوير، وكيف جلبت أدوات التعليم النظامي المادية والمعنوية من الحجاز ونجد إلى جميع المناطق الجنوبية السعودية. وإذا عرفت بعض المصنفات، أو الكتاتيب في مدن وقرى تهامية وسروية عديدة، إلا أنها كانت بسيطة ومتواضعة في إمكاناتها المادية وتأثيراتها العلمية والمعنوية. وبعد تأسيس مديرية المعارف في مكة في أربعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، بدأ القلم والكتاب الحكوميين الرسميين يصلان إلى حواضر تهامة والسراة، وزاد الدعم والاهتمام الحكومي لهذا الميدان حتى تأسيس وزارة المعارف في سبعينيات القرن الهجري الماضي، والرئاسة العامة لتعليم البنات في الثمانينات من القرن نفسه، عندئذ صار الكتاب والقلم يصل إلى كل قرية وأسرة في معظم بلاد السراة وتهامة. وفي التسّعينيات من القرن الماضي توسع نطاقهما حتى عم أرجاء البلاد، وتحولت حياة الناس من الجهل والأمية إلى العلم والنور، وصار الكثير من السكان يستطيعون القراءة والكتابة، وزادت وتوسعت المكتبات الحكومية والأهلية، الخاصة والعامة[2].

---

(١) إنني أتحدث عن السنوات الأولى في العقد التاسع من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وتعليم البنات والبنين وفق التعليم النظامي الحديث، قد سبق هذا التاريخ بسنوات كثيرة، لكن العقد التاسع يعد بداية الانطلاقة الواسعة رأسياً وأفقياً، وما سبق ذلك فهو فترة البناء والتأسيس. وتاريخ القلم والكتاب، أو التعليم السعودي الحديث من خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى تسعينيات القرن نفسه، موضوع كبير يستحق أن تدرس كل منطقة بشكل مستقل، ومن يقوم على إنجاز هذا المشروع فسوف يطلعنا على الكثير من الأعلام الماجدين الذين بذلوا جهوداً كبيرة في خدمة هذا الميدان، آمل أن نرى من طالبات وطلاب الدراسات العليا في جامعاتنا المحلية من يتولى هذا الموضوع بالخدمة العلمية الرصينة الجادة.

(٢) لا يمكن كتابة تاريخ الكتاب والقلم في العصر الحديث دون معرفة الجهود الرسمية التي بذلته الدولة بعد توحيد المملكة العربية السعودية، وميدان التعليم والتعلم ونشر الثقافة من المجالات الرئيسية التي حظيت بالرعاية والدعم الرسمي، ولحاضرة مكة والمكيين الدور الريادي في البناء والتخطيط ثم التأسيس والدعم

٦- كان للأسر السروية والتهامية في مناطق البلاد السعودية غير جنوب المملكة دور إيجابي في نشر الوعي المعرفي وثقافة القلم والكتاب، فكانوا على تواصل بأهاليهم وأفراد قراهم وقبائلهم، يتبادلون معهم الأخبار والثقافات المتنوعة، وكذلك أقاربهم وسكان ديارهم يزورونهم في مدنهم، ويجدون منهم الخدمات الاجتماعية والإنسانية المختلفة. وظاهرة السفر من القرى إلى المدن، وتردد الموظفين في أنحاء المملكة على بلادهم وقراهم في الإجازات، وأوقات الصيف يتولد عنها تبادل معارف لها صلة بالثقافة، وقد تكون كالأخبار والروايات الشفهية، أو مواد عينية كالجريدة، أو المحلية، أو الكتاب وغيرها[1].

ثالثاً: حياة التهاميين والسرويين مع الكتاب والقلم (١٣٩٧-١٤١٩هـ/ ١٩٧٧-١٩٩٨م).

انتهيت من المرحلة الثانوية في بلدة النماص عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، وذهبت إلى الرياض، أبحث عن وظيفة، أو مؤسسة تعليمية لمواصلة دراستي - وصار عندي معرفة لابأس بها عن عالم الكتب، وكل ماله صلة بالعلم والتعلم، لكنني أجهل المكان المناسب الذي ألتحق به. وكان قبلي بعض الزملاء الطلاب من ثانوية النماص قد سجلوا في كليات عسكرية، وآخرين في كليات نظرية، وصنف ثالث تم ابتعاثهم إلى أمريكا لمواصلة درجة البكالوريوس في تخصصات مدنية أو عسكرية. وعند وصولي الرياض وجدت فرصة للابتعاث في تخصص الإدارة، بوزارة البرق والبريد والهاتف، وتم قبولي قبل شهر رمضان عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، على أن يكون سفري بعد عيد الأضحى من العام نفسه، لكن صرفت النظر عن هذه البعثة، وبحثت عن فرص أخرى في بعض الكليات العسكرية، فلم أجد شيئاً من ذلك، وسمعت بافتتاح كليات جامعية في أبها، عندئذ قررت الرجوع إلى عسير وسجلت في كلية الشريعة واللغة العربية بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالجنوب، وبقيت فيها فصل دراسي، ثم خرجت منها، والتحقت بكلية التربية، فرع جامعة الملك سعود بأبها، ودرست فيها الفصل الثاني من عام (١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) وتخرجت في قسم التاريخ عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ثم تعينت معيداً في نفس القسم، وسافرت إلى أمريكا لدراسة الماجستير عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، وحصلت على الدرجة من قسم الدراسات الشرقية. في جامعة انديانا (بولاية انديانا) عام

المادي والمعنوي حتى انتشرت المدارس الحديثة في أرجاء البلاد. وكان أغلب رواد نشر القلم والكتاب في العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م) من الحجاز، ولا ننسى المعلمين الوافدين المتعاقدين الذين كان لهم جهود كبيرة تذكر فتشكر في خدمة العلم والكتاب في كل ناحية من المملكة العربية السعودية، وقد عاصرت الكثير منهم في بلاد السروات وتهامة من بداية الثمانينات في القرن (١٤هـ/٢٠م)، إلى العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). آمل أن يمد الله في العمر حتى أكتب بعض ملاحظاتي ومشاهداتي عن جهودهم في تلك العقود الأربعة (١٣٨٠-١٤١٩هـ/ ١٩٦٠-١٩٩٨م).

(١) هذا الذي عاصرته ورأيته عندما كنت أزور بعض الأقارب في الرياض والمنطقة الشرقية في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، أو عندما يعود بعضهم إلى قراهم أثناء إجازات الأعياد، والفصول الصيفية.

(١٤٠٥هـ/١٩٨٤م)، وعدت إلى كلية التربية بأبها فعملت في القسم لمدة عام ونصف، ثم سافرت إلى بريطانيا عام (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، وحصلت على درجة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية عام (١٤٠٩ـ١٤١٠هـ/١٩٨٩م)، ورجعت للعمل في الكلية، وحصلت على درجتي أستاذ مشارك، ثم أستاذ، واستمر عملي في تلك الكلية حتى تأسيس جامعة الملك خالد عام (١٤١٩هـ/١٩٨٩م) [(١)].

بعد أن وصلت أبها، واستقريت فيها، وقد شاهدتها مدينة صغيرة، وإن قلت بلدة كبيرة فربما ذلك أصوب. نعم أنها أفضل من قرية النماص، والقرى في منطقة عسير (سراة وتهامة) ولابد أن تكون كذلك فهي مركز إمارة منطقة عسير، بل هي حاضرة سياسية وإدارية قديمة، ولها تاريخ وتراث حضاري مروي ومدون في بعض البحوث والدراسات العلمية الحديثة[(٢)]. وفيها مؤسسات الدولة السعودية الحديثة التي تمتد صلاحيات ونفوذ معظمها إلى مناطق جازان، ونجران، والباحة [(٣)]. ومستوى التمدن والحضارة الحديثة فيها أقدم من غيرها في بلدان السروات وتهامة[(٤)].

شاهدت مدارس النماص بطلابها، وكوادرها التعليمية، وكذلك شرائح المجتمع في سروات بلاد بني شهر وبني عمرو كيف كانوا على علم بالقراءة والكتاب، وتوظيفي الكتاب والقلم في المهنة التعليمية، حتى تخرج الكثير من الطالبات والطلاب الذين سافروا من بلادهم بحثاً عن الترقي في سلم الحضارة والتعلم الحديث وكانت مدينة أبها وما جاورها من القرى ليست بعيدة في مسيرتها الثقافية والتعليمية عما عرفته وشاهدته في النماص.

---

(١) كان لابد من ذكر هذه الخلاصة المؤجرة عن مسيرتي العلمية، مع أنها مدونة في أكثر من كتاب ودراسة علمية، لكنني أوردت هذه المحة حتى يبقى القارئ الكريم متصلاً، بالمراحل والرحلة الزمنية والمكانية التي مررت بها أثناء حديثي عن التعلم، أو القلم والكتاب ودورهما الإيجابي في حياة الناس.

(٢) صدر عن هذه المدينة العديد من الدراسات الكلية والجزئية، ومازالت بحاجة إلى دراسة تفصيلية موسوعية، آمل أن تدعم جامعة الملك خالد مراكز بحوثها العلمية لإنجاز هذا المشروع العلمي التوثيقي.

(٣) انظر كتاب: أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية)، وفيه تفصيلات كثيرة عن تاريخ المؤسسات الإدارية الحكومية في هذه المدينة خلال العهد السعودي الحديث، وكيف كانت بعض الإدارات تمتد أعماله وصلاحيتها إلى مناطق جنوب المملكة الأخرى (جازان، ونجران، والباحة).

(٤) اطلعت على مئات الوثائق غير المنشورة التي تؤرخ لحاضرة أبها، أو منطقة عسير، أو مناطق أخرى عديدة في السروات وتهامة. والكثير منها رصدت تفصيلات عن تاريخ مدينة أبها السياسي والحضاري خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م)، وهناك الكثير من المصادر الأولية التي وضحت دور هذه الحاضرة الإدارية في إدارة بلدان كثيرة في جنوب المملكة العربية السعودية من ثلاثينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر. ومازال هذا الموضوع يستحق أن يبسط في كتاب كبير وتفصيلي، أو في عدد من الرسائل الجامعية والبحوث العلمية، آمل أن يكلف قسم التاريخ في جامعاتنا المحلية بعض طالبات أو طلاب الدراسات العليا بإنجاز هذا المشروع البحثي الجيد.

لكـن كونها عاصمة منطقة عسـير، وإن قلت الجنوب السعودي آنـذاك جاز التعبير، وقد أدركت الدولة السعودية الحديثة المباركة بأهمية هذه المدينة، فأنشأت فيها كليات جامعية حديثة، حتى تكون نواة لجامعات سعودية حديثة في أرجاء السروات وتهامة [(١)].

لحسن حظي أنني درست في كليات فرعي جامعتي الإمام والملك سعود في أبها، وعرفت الشيء الكثير من مسيرتها العلمية والتعليمية، وسرت في مناكب منطقة عسير ثم السروات وتهامة أثناء دراستي طالبا ومعيداً في كلية التربية بأبها، وخرجت ببعض الرؤى التي لها علاقة بالتعليم، والقلم والكتاب وتأثيرهما على الأرض والناس، وأذكر شيئا مما عرفته في النقاط التالية:

١- أنشئت الكليات على أسس إدارية وأكاديمية عديدة، ومن أهمها تعدد الأقسام العلمية (الأدبية والعلمية)، والتحق بها الكثير من الطلاب الذين يدرسون على ضوء خطط مرسومة تقوم على توفر أعضاء هيئة التدريس، والكتب والمذكرات والمختبرات العلمية واللغوية، وهذا الذي شاهدته في كلية الشريعة واللغة العربية، ثم كلية التربية ، وأخيراً كلية الطب [(٢)] التي أنشئت عام (١٤٠١ـ ١٤٠٢هـ/١٩٨١ـ ١٩٨٢م) [(٣)]. وكان ضمن هياكل هذه الكليات تأسيس مكتبات جامعية تحتوي على آلاف الكتب العربية والأجنبية، والعديد من المعاجم، والموسوعات، والدوريات، والمخطوطات، والصحف اليومية. وكوني من طلاب العلم المثابرين على زيارة هذه المكتبات، فقد شاهدتها مفتوحة طوال اليوم، وأيام الامتحانات تفتح حتى الساعات الأولى من الليل، وفي أيام عطلة نهاية الأسبوع. ووجود مكتبات ضمن مؤسسات تعليمية أكاديمية في حاضرة أبها يعد فتحا كبيرا لسكان البلاد الجنوبية السعودية وبخاصة منطقة عسير. وإذا كانت مقرات هذه المكتبات في أبها، فروادها طلاب الكليات الذين جاءوا من جميع مناطق السروات وتهامة، وبعضهم قدموا من مناطق أخرى عديدة في المملكة للدراسة في هذه المؤسسات الجامعية. وهناك

---

(١) من خلال دراساتي المتعددة عن التعليم العام والعالي في منطقة عسير، واطلاعي على آلاف الوثائق والسجلات في هذا المجال، وجدت أن الدولة أدركت أهمية بلاد السروات وتهامة، وكثافتها السكانية، فبدأت بإنشاء كليات جديدة في أبها حتى تكون قواعد رئيسية ينتشر من خلالها التعليم العالي في أرجاء المناطق الجنوبية السعودية، وهذا فعلاً الذي تحقق خلال الخمسين عاماً الماضية (١٣٩٦هـ/١٤٤٥هـ/١٩٧٦ـ٢٠٢٣م).

(٢) عرفت خلال السنوات الأربع في هاتين الكليتين (١٣٩٧ـ١٤٠١هـ/١٩٧٧ــ١٩٨١م) عشرات أعضاء هيئة التدريس المميزين في علومهم وخبراتهم وتجاربهم، والمتنوعين في تخصصاتهم وجنسياتها، كذلك تعدد مواطن الطلاب الذين جاءوا من بلدان عديدة سروية وتهامية، ناهيك عن إمكانات كلية التربية بخصوص المختبرات العلمية الجيدة والمتعددة.

(٣) لمزيد من التفصيلات عن كلية الطب، وكذلك كليتي الشريعة والتربية، انظر عدداً من الدراسات المطبوعة والمنشورة في بعض مؤلفاتي التي صدرت خلال الثلاثين سنة الماضية، انظرها ورقيا، وأيضاً رقمياً على الرابط (Prof-ghithan.com)، وعلى قناتي على التلغرام (مكتبة التاريخ العامة).

طلاب عرب آخرين من مصر، وبلاد الشام، والسودان، واليمن يدرسون في هذه الكليات، ويستطيعون الاطلاع على محتويات هذه المكتبات، والاستعارة إذا رغبوا في حمل بعض الكتب إلى مساكنهم. إن هذا التطور المعرفي الحديث على بلدان تهامة والسراة، ووجود الكليات الجامعية للبنين ثم البنات من نهاية القرن الهجري الماضي وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، جعل ثقافة الكتاب تنتشر في أرجاء البلاد. وبالتالي أنشئت العديد من المكتبات الثقافية العامة، مثل: مكتبة النادي الأدبي، والمكتبة العامة في أبها، وخميس مشيط، ومكتبة كلية إعداد المعلمين في أبها، وكلية التربية للبنات بأبها وغيرها [(١)].

٢- أشتغل في كليات أبها لفيف من أعضاء هيئة التدريس الذين تخرجوا في جامعات عربية وإسلامية وأجنبية كبيرة. وقد درست على بعضهم في كلية الشريعة واللغة العربية، وكلية التربية، وحضرت بعض محاضراتهم وندواتهم العامة، ورأيت بعضهم أثناء عملي معيداً في الكلية عام (١٤٠٠-١٤٠١هـ/١٩٨٠-١٩٨١م) ورأيت عندهم مكتبات خاصة تتفاوت من شخص لآخر، لكن الجميل أنها متنوعة في محتوياتها، فالأساتذة المتخصصون في العلوم النظرية (الشرعية، واللغوية، والتاريخية، والأدبية) جل محتويات مكتبتهم مصادر ومراجع عربية. بعكس أعضاء هيئة التدريس في التخصصات الطبية، أو العلمية (الرياضيات، والكيمياء، والفيزياء، والأحياء) فكل هذه المكتبات تخصصية في مجالات علمية بحتة، والكثير منها بلغات أجنبية. وأذكر بعض الندوات العامة التي عقدتها تلك الكليات في السنوات الخمس الأولى (١٣٩٧-١٤٠٢هـ/ ١٩٧٧-١٩٨٢م)، وكان أحياناً أمير المنطقة، خالد الفيصل، يحضرها. والذي لفت نظري آنذاك براعة وإبداعات وتميز بعض أعضاء هيئة التدريس الذين كانوا يعملون في تلك المؤسسات. ومازلت أقتني في مكتبتي الخاصة حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) قائمة توثق أسماء بعض الكتب والدراسات العلمية التي أنجزها بعض أعضاء هيئة التدريس في تلك الكليات المبكرة[(٢)]

---

(١) أشرت في المحور المدون أعلاه إلى الكثير من النقاط التي تستحق أن تدرس في عدد من البحوث العلمية. أما تاريخ الكتاب والمكتبات التي ذكرت في كليات فرعي جامعتي الإمام والملك سعود، أو المكتبات الأخرى في مدينة أبها، فهي موضوعات مهمة تستحق أن تدرس في هيئة رسائل جامعية، أو بحوث علمية محكمة، وإذا بحثنا عن تاريخ المكتبات الحكومية أو العامة في أرجاء السروات وتهامة، فإننا نجد العديد منها أنشئت خلال العقدين الأولين من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م).

(٢) الكليات الجامعية في حاضرة أبها خلال العشر سنوات الأولى من تاريخها (١٣٩٦-١٤٠٥هـ/١٩٧٦-١٩٨٥م) تستحق أن توثق مسيرتها، وآثارها الإيجابية على البلاد والعباد. آمل أن نرى باحثين جادين يقومون بإنجاز هذا المشروع في عدد من الكتب والبحوث العلمية الجادة.

٣- عشت مراحل تعليمي الأولى في بلدة النماص، وعملنا جهدنا في المسيرة العلمية والتعليمية، وشاركنا في الأنشطة اللاصفية المتنوعة، وتعلمنا معارف كثيرة، لكنها مازالت محدودة مقارنة بالسنوات الجامعية في حاضرة أبها. فالأساتذة كانوا يطالبوننا بأعمال وواجبات عديدة، ومنها الرجوع إلى المكتبة، والاطلاع على المصادر والمراجع المختلفة، ثم تقديم العديد من البحوث، على شرط أن تكون بخط اليد، وهذه المطالب التعليمية دفعتنا إلى توسيع مداركنا الثقافية من خلال اطلاعنا على المصادر الأولية في تخصصاتنا، وتدريب أنفسنا على كتابة بحوث مطولة، وهذا مما جعلنا نجتهد في الكتابة بخط واضح وجميل، ونبذل ما في وسعنا على أن تكون أعمالنا خالية من الأخطاء الإملائية، والنحوية حسب قدراتنا الثقافية واللغوية. وأذكر أن بعض أساتذتنا (غفر الله لهم) كانوا يذهبون معنا إلى المكتبة، ويساعدوننا في العثور على المصادر أو المراجع المطلوبة. وقد ساعدوني كثيراً، وعرفت الكثير من الكتب التاريخية والحضارية الإسلامية. بل منهم من أوصاني بالاطلاع على بعض المجلات العلمية والثقافية، مثل: المنهل، والعربي، والعرب وغيرها. وعودونا أيضاً على الاطلاع على الجرائد اليومية[١] . وأستطيع القول أنني تعلمت أنا وزملائي في المرحلة الجامعية الكثير من العلوم والمعارف التي تدور في فلك الكتاب والتعلم، أو القراءة الحرة والواسعة[٢] .

٤- كان ضمن أنشطة الكليات ندوات، ومسامرات، ومسابقات، ورحلات، ولقاءات ثقافية متنوعة ليس داخل الكلية، وإنما بعض هذه الأنشطة على مستوى منطقة عسير، أو السروات أو تهامة، وأحياناً تكون خارج الجنوب، في المناطق الشرقية، والغربية، والوسطى. وفي كل لقاء أو نشاط نتعلم معارف متنوعه، ومعظمها لها علاقة بالثقافة والتجارب والخبرات العامة. وغالباً يشرف على كل هذه المناشط أساتذة على قدر كبير من الوعي وطيب المعشر والأخلاق. وقد تعلمنا منهم الشيء الكثير في حياتنا العامة. وأذكر في عام (٩٨ـ ١٣٩٩هـ/١٩٧٨ـ١٩٧٩م) إن ذهبنا

---

(١) كان بعض الأساتذة العاملين في المكتبات الجامعية على قدر كبير من الأخلاق وحسن التعامل، فلا يتورعون أو يتقاعسون في هدايتنا إلى المصادر والمراجع النافعة. وقد كانوا (رحمهم الله) عون لنا في إنجاز الكثير من بحوثنا وواجباتنا الجامعية.

(٢) إنني أكتب لمحات من التاريخ التعليمي قبل حوالي خمسين عاماً، ورأيت الطلاب آنذاك كيف كانوا مجتهدين وجادين، ويرغبون أن يتعلموا علوم ومعارف جديدة، ولم يكن لديهم صوارف أو مشاغل كثيرة تصرفهم عن الاستزادة من المعرفة والثقافة النافعة. ثم عملت مع طلاب الجامعة خلال العقود الأربعة الماضية، ورأيت تراجع الاهتمام والرغبة التعليمية عند الطالبات والطلاب، وظهور فتن وأمور مجتمعية كثيرة جعلت طلب العلم الجاد ينقص كثيراً عند الطلاب. ومثل هذا التباين والتفاوت بين الماضي والحاضر جدير أن يُدرس في بحوث علمية مقارنة، مع توضيح السلبيات والإيجابيات قديماً وحديثاً.

مجموعة طلاب من قسم التاريخ إلى المدينة المنورة، وكان معنا كوكبة كبيرة من أعضاء هيئة التدريس في كلية التربية، منهم عميد كلية التربية آنذاك، الدكتور مزيد إبراهيم المزيد، وأعضاء قسم التاريخ، ورؤساء الأقسام العلمية والأدبية، واستغرقت تلك الرحلة أكثر من أسبوع زرنا خلالها المسجد النبوي، والمعالم التاريخية في المدينة، ومدائن صالح، وبعض المكتبات والمؤسسات التعليمية بالمدينة المنورة. وطلب مني آنذاك أن أدون شيئاً من تلك الرحلة، وقد فعلت، لكنني فقدت تلك المدونة ولم تر النور، لكننا تعلمنا معارف وثقافات كثيرة يصعب أن نحصل عليها من مصادر ومراجع أخرى كثيرة[١] .

٥- نشأة التعليم الجامعي في السروات وتهامة، بداية من مدينة أبها، جعل ثقافة المكتبات الخاصة تتوسع، فأصبح عضو هيئة التدريس يحرص أن يكون عنده مكتبة خاصة يعود إليها، متى أراد الدراسة والبحث العلمي، أو الاستزادة من الثقافة والمعرفة. وأصبح بعض الطلاب يتطلع إلى أن يكون عنده مكتبة، ومنهم من زادت عنده هذه الرغبة بعد تخرجه، والانتظام في الحياة العملية، فسعى إلى تكوين مكتبة في منزله، وشاهدت بعضهم يرتب مكتبة له في مجلسه، أو أحد الغرف الرئيسية التي يستقبل فيها رفاقه وضيوفه، ومثل هذا النوع من الناس يرى أنها نوع من الزينة وتجميل المكان، وهناك أفراد آخرون يعد له مكتبة خاصة في إحدى غرف منزله للاطلاع والاستفادة، لكن مثل هذه الظاهرة لم تكن موجودة قبل بدأ التعليم الجامعي في أبها، ثم توسعت وانتشرت خلال العقود الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). وأعرف عدداً من الأساتذة الجادين المتعاقدين ثم السعوديين الذين يمتلكون مكتبات كبيرة ومتنوعة وغنية بمحتوياتها. وهناك بعض بيوتات العلم الذين ورثوا مكتبات لبعض العلماء من الآباء والأجداد، وعند موت الأوائل، وآلت مكتباتهم إلى الأبناء والأحفاد أصابها الإهمال، ومعظمها اندثرت وتلفت وأصبحت غير صالحة للاستفادة[٢] .

٦- أنا وأقراني ومن عاصرني من الطالبات والطلاب الذين بدأنا تعليمنا العام خلال العقدين الأخيرين من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وجدنا الفرصة أمامنا سانحة إلى

---

(١) هذه الرحلة نموذج محدود من المعارف والتجارب والثقافات التي تعلمناها في تلك السنوات الجامعية الأولى، فما أجملها من ذكريات، وأما أطيب أثرها على النفوس، وفي مسيرة حياتنا التعلمية.

(٢) هذه مشكلة عانى ومازال يعاني منها أصحاب المكتبات الخاصة، واليوم أصبح الأمر أصعب وأدهى وأمر. وكم سمعت وقرأت عن مكتبات خاصة في أرجاء السروات وتهامة خلال المئة سنة الماضية، وربما أكثر، فقد كانت عامرة بصاحبها الذي قام على تأسيسها، وبعد موته أهملت من ورثته، ثم اندثرت وضاعت وبعض المكتبات القليلة أهديت إلى بعض المراكز أو المكتبات العامة، لكنها تعد في عداد المهملة المنسية. المصدر: معاصرة الباحث وسيرة في مناكب السروات وتهامة خلال الستين عاماً الماضية (١٣٨٥-١٤٤٥هـ/١٩٦٥-٢٠٢٣م).

أن نطلـب العلم بجد واجتهاد من أجـل الحصول على الوظائف الجيدة والشهادات العاليـة. وعند الانتقال من قرانا وأريافنـا إلى مدن وبلدان أكبر وأفضل في تنميتها وحضارتهـا، ثـم معرفتنا ومشاهدتنـا أساتذتنـا في كلياتنا الذيـن حققوا درجات عالية في علومهم ومعارفهم، وعندهم مخزون علمي وثقافي واسع حصلوا عليه بالجد والاجتهـاد ورحلاتهم في طلـب العلم، وهذا مما جعلنا نتأثر بهـم ونحاول السير على خطاهم، ولم نكن نعرف أن الطالب الجامعي يستطيع مواصلة دراسته، والحصول على درجـات علمية أعلى، إلا بعد الاحتكاك بالأساتذة الجامعيين، السعوديين والمتعاقدين، والسماع منهم الكثير من الأخبار والمعلومات في هذا الشأن، لكن من يتطلع إلى ذلك، لابـد أن يجتهـد، ويبذل أقصى ما لديـه حتى يحقق درجات عاليـة تمكنه من الترقي في سلـم العلـم والمعرفة، وهذا الـذي سلكه العديد من الطالبـات والطلاب السرويين والتهاميـين، وكثـير منهم بـدأوا تعليمهم العـالي في مدينة أبها، وعنـد تخرجهم من كلياتهم، تم اختيارهم موظفين معيدين يحق لهم دراسة درجتي الماجستير والدكتوراه.

وأذكـر أن كليات البنـين والبنات في تسعينيات القرن الهجـري الماضي، والسنوات الأولى مـن هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) رشحت بعض الأعلام مـن الطالبات والطلاب الذيـن ذهبـوا لدراسات عليـا في تخصصات عديدة داخـل المملكة العربيـة السعودية وخارجهـا، وعند الانتهـاء من مهماتهم العلمية عـادوا إلى كلياتهـم وأقسامهم، وتولوا إدارتهـا والإشراف عليها تربويـا وبحثيا وتعليميا. ولا أسهب الحديث عن هذه الشريحة مـن الطلاب، لكن اتساع نطاق التعليم العام والعالي في جنوب البلاد السعودية، وتأثير القلم والكتاب ومسيرة التنمية الحضارية الحديثة أوجدت حراكا معرفيا وثقافيا عادت آثاره الإيجابية على الأفراد والمجتمعات في أرجاء البلاد [1].

تحولت حياة السرويين والتهاميين مع مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) إلى عالم أرحب وأوسـع معنويا وماديا، وانتشرت الحياة الثقافيـة والمعرفية إلى كل مدينة، وقرية، وريف، وبادية. وأصبحت ثقافة القلم والكتاب مألوفة عند معظم شرائح المجتمع، وبخاصة أجيال الأطفـال والشبـاب من الذكور والإنـاث. وللمدارس النظامية، والكليـات الجامعية فضل كبـير في ذلك. هذا الذي عاصرته وشاهدته خلال دراستـي الجامعية ثم بداية عملي في

(١) إن تجربـة المملكة في تطوير أرضها وإنسانها من التجارب الفريدة الناجحة. وإدراك حكام هذه البلاد أن التنويـر العلمي والثقافي والمعرفي هـو الأساس في نهضة أي مجتمع وأمة. وهـذا الذي حدث عندما أنشئت مؤسسـات التعليـم العـام والعالي، ثـم انتشرت في كل مـكان، ومن ثم تطـور الفرد بالعلـم والتعلم. وهذه المنجـزات الإنسانيـة الحضارية لم تخـدم في هيئة بحوث علمية تحليلية جادة، آمـل من جامعاتنا المحلية، وأقسامهـا، ومراكـز بحوثها العلمية أن تدعم وتشجع هذه المشاريع، لعلـه يخرج لنا أعمالا علمية نوعية في هذا الميدان المهم.

كلية التربية، فرع جامعة الملك سعود بأبها (١٣٩٦ـ ١٤٠١هـ/١٩٧٦ـ ١٩٨١م).

بعد هذا التاريخ ذهبت إلى أمريكا لمزيد من العلم والمعرفة، ومكثت هناك أربع سنوات، من نهاية عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م) إلى عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٤م)، وكنت كل عام أعود في إجازة قصيرة إلى بلادي(المملكة العربية السعودية)، وأقضي بعض الوقت في بلاد السروات وتهامة، ومدن أخرى من أرض المملكة، وفي الصفحات التالية أشير إلى شيء مما عرفته في عالم القلم والكتاب، أو الثقافة والتعليم بشكل عام، وصلات السرويين والتهاميين بذلك الميدان:

أـ خرج من جنوب المملكة قبل وأثناء وبعد رحلتي العلمية إلى الولايات المتحدة الأمريكية الكثير من الشباب المبتعثين في مجالات عسكرية ومدنية، رسمية، وأهلية. وجميعهم تعلموا في مدارس السعودية النظامية المنتشرة في أرجاء البلدان التهامية والسروية. ومن يراجع مسيرة التعليم وانتشار مقوماته في هذه البلاد يجد أنها فترة قصيرة، لم تتجاوز خمسة عقود[١]، وهذا التاريخ قصير جداً في تاريخ الحضارات، لكن الدولة بذلت الغالي والنفيس لخدمة البلاد والإنسان حتى صار بعض الطلاب يسافرون خارج البلاد، لمزيد من التعلم والقراءة والتخصص في علوم ومعارف متعددة المجالات، وفي أرقى الكليات والجامعات العربية والإسلامية والأجنبية[٢].

عند دخولي أمريكا في مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، كان قدري أن أحط رحالي في مدينة نيويورك، ثم انتقلت إلى مدينة هيوستن ثم أوستن في ولاية تكساس، وخلال أربع سنوات (١٤٠١ـ١٤٠٥هـ/١٩٨١ـ١٩٨٤م)، بدأت دراستي لدرجة الماجستير في جامعة تكساس بمدينة أوستن (University of Texas at Austin) وأكملت هذه المرحلة في جامعة انديانا بمدينة بلومنجتون (Indiana University – Bloomington) فكانت

---

(١) ذلك يعود إلى منتصف الخمسينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وهناك بعض الدراسات التي وثقت شيئاً من هذه البدايات التعليمية الحديثة. ومازال هناك موضوعات في نفس الفترة والمجال جديرة بالدراسة والاهتمام البحثي الجاد.

(٢) إذا كنت أشرت سابقاً غلى مدرسة البعثات التي أنشئت في مكة في العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكانت تبعث طلابها آنذاك إلى مصر، لكن ميدان الابتعاث تطور وتوسع حتى صارت الدولة في العقود الأخيرة من القرن الهجري الماضي ترسل الكثير من طلابها إلى بلدان عربية وإسلامية وأجنبية، وبعضها شرقية وغربية. والبلدان الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية فازت بالنصيب الأكبر من الطلاب السعوديين المبتعثين منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، واستمرت مسيرة البعثات خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠ـ٢١م)، حتى صار الطلاب السعوديين (ذكوراً وإناثاً) يدرسون في معظم جامعات الدول الأجنبية شرق الكرة الأرضية وغربها. وتاريخ الابتعاث في المملكة العربية السعودية من الموضوعات الواسعة، الجديرة بالدراسات التاريخية التوثيقية الرصينة. وجميع الوزارات ومؤسسات الدولة الكبيرة الرسمية والأهلية شاركت في ابتعاث الأنسان للتطوير البشرى ومزيد من العلوم والثقافات والتدريبات النظرية والعلمية.

الجامعة الأولى في جنوب الولايات المتحدة الأمريكية، والثانية في شمالها، وخلال هذه السنوات الأربع زرت حوالي (٣٦) ولاية، في أرجاء الولايات المتحدة، وذهبت إلى بلاد كندا في الناحية الشمالية، وبعض أجزاء بلاد المكسيك جنوب أمريكا الشمالية[١] .

ب - في هذه الرحلة العلمية الخارجية، تعلمت، وعرفت، الكثير من المعارف، والعلوم، والانطباعات العامة والخاصة، الاجتماعية، والثقافية، والحضارية. وتلك مشاهدات وذكريات متنوعة سوف أوثق شيئاً منها في بعض الدراسات العلمية القادمة، بحول الله وقوته. لكن الذي يهمني في هذه الصفحات، كل ماله علاقة بالتعليم والتعلم، والاستزادة من كل معرفة وعلم له علاقة بالكتاب والقلم، وسوف أذكر شيئاً من ذلك في البنود الآتية :

١- عند وصولي إلى مدينة هيوستن، ذهبت إلى الملحقية التعليمية هناك، والتقيت بعدد من الموظفات والموظفين عرب وأجانب، سعوديين وغير سعوديين. والذي لفت نظري وجود عدد من الموظفين السعوديين، من مواليد وسكان السروات وتهامة، ومدير الملحقية آنذاك من سروات محافظة الطائف، ومن قبيلة بلحارث تحديداً. وقابلت أفراداً آخرين من سروات غامد وزهران، ومنطقة عسير، وقد عرفت وسمعت عن أسرهم في جنوب المملكة العربية السعودية قبل سفري لدراسة الماجستير. بعضهم حصلوا على تعليمهم المبكر في قراهم وبلادهم الرئيسية في السروات، ثم ارتحلوا إلى مدن الحجاز، والرياض، والمنطقة الشرقية، وأخيراً توظفوا في بعض القطاعات الحكومية، ثم ذهبوا للعمل في الملحقية التعليمية في أمريكا. وذُكر لي آخرون يعملون في السفارة السعودية في واشنطن، وبعض القطاعات الأخرى في مدن هيوستن، وسان أنطونيو في ولاية تكساس وغيرها[٢] .

قضيت يوماً كاملاً في مكتب الملحقية التعليمية بهيوستن، ورأيت ضمن محتويات العمارة التي يوجد فيها المكتب مكتبة مليئة بالكتب العربية الدينية، واللغوية،

---

(١) لست في هذا العمل معنياً بالحديث عن مشاهداتي ورحلاتي في هذه الفترة العمرية، فذلك مجال سوف أدرسه وأوثقه في عمل علمي آخر (بإذن الله تعالى). وإشارتي إلى هذه التوثيقات في المتن حتى أطلع القارئ الكريم على بعض الأسس عن تأثير القلم والكتاب أو التعليم بشكل عام على حياة الناس في المملكة العربية السعودية وبخاصة بلاد السروات وتهامة، ليس داخل بلادهم، لكن في بلدان أجنبية بعيدة عن مواطنهم الرئيسية، مثل أمريكا الشمالية وما جاورها من البلدان الغربية.

(٢) سمعت ممن التقيت به في الملحقية بمدينة هيوستن أن في أمريكا آنذاك أكثر من عشرة آلاف طالب وطالبة وموظف. والطلاب يدرسون المرحلة الجامعية، ومنهم أعداد جيدة تدرس درجتي الماجستير والدكتوراه في تخصصات نظرية وعلمية عديدة. وأخبروني أيضاً أن هناك العديد من الموظفين في السفارة السعودية، والملحقية العسكرية، وموظفون وطلاب آخرون يعملون أو يدرسون في بعض القواعد أو المراكز العسكرية، وفي بعض الشركات الاقتصادية التي لها صلات وتعاون مع شركة أرامكو وغيرها.

والجغرافيـة، والتاريخية. وضمن تلك الكتب بعض الكتب التي لها صلة بتاريخ وجغرافيـة وتـراث المملكـة العربيـة السعودية، ومنهـا كتب تاريخيـة عن مكة المكرمـة، وبعض المعاجم الجغرافيـة للأساتذة حمد الجاسـر، ومحمد أحمد العقيلـي وغيرهمـا. واتضح لي أن الكتاب السعودي وصـل إلى أقصى الأرض، وهذا الذي عرفته واطلعت عليه في مكتبات جامعية أمريكية عديدة [١].

خرجـت مـن الملحقية إلى أحد معاهـد اللغة الإنجليزيـة في المدينة، بقيت فيه حـوالي الشهر، لكن مستواه كان رديئاً، وزبائنه من الأسر الخليجية، وبرامجه ضعيفـة، عندئـذ قررت الذهـاب إلى معهد اللغـة بجامعة تكساس في مدينة أوسـتن، وتحقق ذلك، ومكثت في المعهد ثـم الجامعة حوالي عامين. وكان فيها بعض الطالبـات والطـلاب السعوديين الذيـن درسوا معي اللغة، ثـم التحقوا بأقسـام عديـدة في الجامعة. والـذي لفت نظـري في هذه المؤسسـة التعليمية (جامعـة تكساس، بكلياتها، ومراكزها اللغوية والعلمية)، إنها جامعة مدعومة من قبـل الدولة، ومن القطاعات الخاصة كالشركات، والمؤسسات الاقتصادية الأخـرى. وكان البحث العلمـي من المجالات الأساسية في هـذه الجامعة، ومن خلال مراكز البحوث العلمية تجني الجامعة أرباحاً وأموالاً كثيرة [٢].

٢- قضيـت آخر عامين في مرحلة الماجستير بجامعة إنديانا في مدينة بلومنجتون. ووجـدت أعداد السعوديـات والسعوديين فيها بالعشرات بعكـس مدينة أوستن وجامعـة تكساس، التي كان أعدادهم فيها قليلة، لكن في الجامعتين (تكساس، وإنديانـا) جاليـات عربيـة كثـيرة. ومـن بـين السعوديـين في جامعـة إنديانا ببلومنجتـون أعداد كثيرة من الطلاب السرويـين والتهاميين، وبعضهم درسوا في كليات أبهـا، وآخرون حصلوا على درجـة البكالوريوس من جامعة الرياض (الملـك سعـود)، أو الإمـام محمـد ابن سعـود الإسلاميـة، أو جامعـة الملك عبدالعزيـز. وكانـوا أصحـاب نشاطات اجتماعيـة، ودعويـة، وثقافية وعلمية كثيرة بين زملائهـم السعوديين، وفي المركز الإسلامي، ومع المجتمعات العربية والإسلامية والأمريكية الأخرى [٣].

---

(١) إن تاريـخ المملكـة العربيـة السعودية مع الكتاب والتأليـف قصيرة جداً، فصدور أوائـل الكتب حتى مطلع هـذا القرن (١٥هـ/٢٠م) لا يزيد تاريخها عن خمسين عاماً تقريباً، لكـن رحلة الكتاب والقلم في العصر السعودي الحديث سارت بخطوات سريعة، وحققت نجاحات جيدة في فترات وجيزة.

(٢) اتضح لي الوضع نفسه في جامعات أمريكية أخرى عديدة، وبخاصة الجامعات الكبيرة والقوية علمياً. فالأعمال البحثية والبراءات والاختراعات من المصادر الرئيسية التي تجني الجامعات من خلالها مواردها المالية.

(٣) مـن الصعـب حصر أنشطتهم الإيجابية على مستـوى الجامعة، أو المدينة، أو تحت مظلـة الأندية السعودية،

٣- أنا وغيري من الطلاب السعوديين حصلنا على قسط طيب من القراءات والعلم والتعلم في بلادنا (المملكة العربية السعودية)، وعند سفرنا إلى عالم مختلف تماماً في التراث، واللغة، وجميع المظاهر الحضارية. كان علينا أن نواجه هذه الصعوبات، ونبذل قصارى جهودنا لتحقيق أهدافنا التي ارتحلنا من أجلها. ومعظم الطلاب استطاعوا تعلم اللغة، ثم التكيف والتأقلم مع حياة الناس في هذه البلاد الجديدة الغربية، والسواد الأعظم منهم، والحمد لله، حافظوا على دينهم، وأصالتهم، ومبادئهم، وأعرافهم العربية والإسلامية. أما في الجامعات وأقسامها الأكاديمية فقد تعلمنا الكثير من العلوم والمهارات العلمية والبحثية التي لم نتعلمها في المرحلة الجامعية[1]. أما الكوادر البشرية من الموظفين، والفنيين، والأساتذة الأكاديميين الغربيين، فقد تعلمنا الشيء الكثير منهم، مثل الانضباط والدقة في المواعيد وإنجاز الأعمال، وكذلك المناهج العلمية والبحثية التي شاهدناها وتدربنا عليها عند بعض الأساتذة المشرفين. وكوني أعمل في المجالات النظرية الإنسانية، وفي الدراسات التاريخية والحضارية، فقد زرت أكثر من عشرين جامعة في الولايات المتحدة الأمريكية، وقابلت بعض الأساتذة الكبار المستشرقين المتخصصين في العلوم واللغات والتراث العربي والإسلامي، وكان أكثرهم يجيدون قراءة وكتابة اللغة العربية، وبعضهم يعرفون أكثر من لغة شرقية آسيوية، ولهم كتب وبحوث كثيرة مطبوعة ومنشورة عن موضوعات تاريخية ولغوية وحضارية إسلامية عديدة. وعند قراءة بحوثهم، ثم مقابلة بعضهم، والسماع لنقاشاتهم وأطروحاتهم اتضح لي أمور عديدة، منها :

أ- بعضهم تأثروا بأساتذة ومستشرقين غربيين سبقوهم خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩- ٢٠م)، ثم ساروا على خطاهم من حيث التعصب

أو صلاتهم بالمؤسسات السعودية الأخرى في أمريكا، أو بلادهم (المملكة العربية السعودية). فأذكر أنه كان بعض الطلاب الذين جذورهم من جنوب المملكة العربية السعودية شعلة من النشاط، ولا يتأخرون في خدمة إخوانهم وزملائهم، وكان لبعضهم جهود إعلامية، ودعوية، وثقافية تصب في خدمة نشر المعرفة الإسلامية، وحققوا مع زملاء سعوديين آخرين نجاحات كبيرة في تبليغ رسالة الإسلام إلى أفراد وأسر نصرانية واعتنق بعضهم الديانة الإسلامية، وحسن إسلامهم. وجلبوا لهم الكتب الدينية التي تفقههم في أمور دينهم. وكان لهذه الشريحة من الطلاب جهود في تنظيم بعض اللقاءات والمؤتمرات الإسلامية العلمية. وفي تلك الفترة، خلال العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، كان الطلاب السعوديون يعيشون أفضل عصورهم في أمريكا، لطيب العلاقات وعمقها بين السعودية وأمريكا، لكن ذلك تغير بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

(١) ما من شك أن مستوى البحث في التخصصات النظرية والعلمية أقوى في الجامعات الغربية. كذلك الخدمات والتسهيلات المادية والمعنوية والوصول إلى المصادر والمعلومات أفضل، وأسرع، وأسهل. المصدر: هذا الذي عرفته وعاصرته في بلدان عربية وإسلامية وأجنبية خلال العقود الأربعة الماضية (١٤٠٣-١٤٤٤هـ/١٩٨٣- ٢٠٢٢م).

لأقوالهم وآرائهم، ومنهم من كان له أهداف سياسية ودينية ضد الإسلام والمسلمين، فلا يتورعون أن يصرحوا بذلك في بحوثهم ودراساتهم العلمية.

ب - منهم من عمل في مكاتب ومراكز بحوث استخباراتية، ودورهم أن يقدموا دراسات في موضوعات وقضايا عربية وإسلامية محددة، حتى يستفيد منها رجال السياسة في اتخاذ قراراتهم العسكرية، والأمنية، والحضارية التي تعود عليهم وعلى بلادهم بالنفع والفوائد الإيجابية.

ج - وجدت بعض من تحدثت معهم، والتقيت بهم في عدد من مراكز، أو أقسام الدراسات الشرق أوسطية، أو الآسيوية، أو الإفريقية اعتدالهم في أقوالهم ونظرياتهم العلمية، حتى أن بعضهم معروف عنه كراهيتهم للإسلام والمسلمين، لكنهم لا يصرحون بذلك في أقوالهم وكتاباتهم، وقد سألت أحد المشهورين من هذه الشريحة، فقال: يجب أن أكون منصفاً وعادلاً فيما أقول وأكتب، مع أنني لا أحب العرب، ولا أحب دينهم (الإسلام) [(١)].

د - لا ننكر أن الكثير من الأساتذة والعلماء الغربيين والشرقيين في العلوم النظرية الإنسانية، والعلمية البحتة لهم أفضال كبيرة على البشرية من خلال دراساتهم، وإبداعاتهم، واختراعاتهم. أما قضية الكراهية والعداء بين الشرق والغرب، أو بين المسلمين وغير المسلمين من اليهود، والنصارى، والبوذيين، والملحدين وغيرهم، فتلك ظاهرة قديمة جداً، وموجودة عبر أطوار التاريخ. وإذا كان أبناء العرب والمسلمين (ذكوراً وإناثاً) قد سافروا إلى الشرق أو الغرب للتعليم والتعلم، فتلك سياسة وطريقة محمودة، حتى يتعلموا من كل جديد، ثم يعودوا إلى أوطانهم لخدمة أرضهم وناسهم. وهذا ولله الحمد، الذي جرى مع الطالبات والطلاب السعوديين خلال العقود الماضية (١٣٩٤- ١٤٤٤هـ/١٩٧٤- ٢٠٢٣م) [(٢)].

---

(١) من يقرأ كتب المستشرقين من القرن (١٢هـ/١٨م) إلى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م)، يجد أنهم يتفاوتون في كتاباتهم ومدوناتهم، لكن الكثير منهم لا تخلو أعمالهم العلمية من الكراهية والتعصب ضد الآخرين، والعرب والمسلمين في المقدمة عند هذه الفئة من العلماء والباحثين الأجانب.

(٢) إنها الحقيقة ففي الثمانينيات والتسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) كانت حياتنا العلمية والثقافية محدودة، ومازالت مسيرة التعليم الحديث في مراحلها الأولى، وفي حوالي خمسة عقود جرى على البلاد والعبادة طفرة تنموية كبيرة، شملت كل القطاعات الحضارية، وفي مقدمتها القطاعات التعليمية، وكانت ثقافة تنوير العقول البشرية معرفياً وثقافياً من منجزات الدولة الرئيسية، ولم تبخل على إنسان هذه البلاد بأي جهد أو عمل أو تطوير يرفع من مكانته الإنسانية المادية والمعنوية. أكرر توصيتي بأهمية دراسة تاريخ التنمية الحضارية السعودية من عام (١٣٧٠- ١٤٤٤هـ/ ١٩٧٠-٢٠٢٣م)، آمل أن تباشر جامعاتنا المحلية خدمة هذا الموضوع في أطروحات وأعمال توثيقية تحليلية.

هـ - ذهبت إلى مكتبات جامعية عديدة. وأذهلني تنوع محتوياتها المعرفية، ولا يعنيني المصادر والمراجع للعلوم العلمية البحتة؛ لأن الجامعات الغربية وبعض الشرقية تتقدم على غيرها من المؤسسات التعليمية، لكن المصادر والمراجع التاريخية العربية الإسلامية، أو كل ما له علاقة بالتراث الإسلامي هو مجال اهتمامي. ورأيت بعض الجامعات الأمريكية وضمن مقراتها بعض الأقسام والمكتبات المليئة بالمخطوطات والمصادر الإسلامية (الشرعية، واللغوية والأدبية، والتاريخية والحضارية، والجغرافية والرحلات العربية والإسلامية، والتراجم والطبقات، والموسوعات التراثية، والأنساب، وعلوم ومعارف أخرى عديدة) ، وقد زرت الكثير من هذا الصنف من المكتبات، فوجدتها مفهرسة مخدومة في أماكنها، وسهل الوصول إليها، والاستفادة منها، ويشرف عليها موظفات وموظفون لا يتأخرون عن خدمة من يرتادها من الطالبات والطلاب الأمريكيين، أو الأجانب. وكنت أنا ومن هو على شاكلتي من الطلاب العرب المسلمين نجد بغيتنا، وكل الذي نبحث عنه من المعلومات والمعارف، ومن أراد استعارة بعض المصادر والمراجع فهناك طرق سهلة وميسرة للحصول عليها. والمخطوطات والوثائق لا نجد صعوبة كبيرة للاطلاع عليها والاستفادة منها[١]. وفي بعض الأقسام العلمية الإنسانية وبخاصة الإسلامية والعربية بعض الأساتذة المتخصصين من أصول عربية، ومنهم من يشغل مناصب إدارية وأكاديمية رفيعة في بعض الجامعات، ويشرفون على طالبات وطلاب كثيرين من بلدان عديدة، وبعضهم من دول الشرق الأوسط، أو بلدان أخرى إسلامية إفريقية وآسيوية[٢].

كنت كل إجازة صيفية في مرحلة الماجستير أعود إلى بلادي السعودية، أتنقل في مدنها وقراها وأريافها، وبخاصة في الأوطان السروية والتهامية، وأشاهد عجلة التنمية

---

(١) من يقارن تعاون المكتبات الغربية مع الباحثين وما يوجه الباحث في دور الكتب والمخطوطات العربية والإسلامية. فليس هناك وجه مقارنة، لصعوبة الإجراءات في البلدان والمكتبات الإسلامية والعربية. وسهولة الإجراءات ويسرها في مراكز البحوث والمكتبات الغربية.

(٢) هذا الذي رأيته ووجدته في جامعات أمريكية عديدة في جنوب، وشمال، وشرق، وغرب البلاد أثناء دراستي لدرجة الماجستير (١٤٠١-١٤٠٥هـ/ ١٩٨١ - ١٩٨٤م) ، وسمعت وقرأت عن آخرين لم أقابلهم. ومن الأجناس العربية، وبعضهم من المملكة العربية السعودية يدرسون ويعملون في أقسام أخرى عديدة في مجالات طبية، وهندسية، وإدارية، وعلوم علمية بحتة وغيرها. المصدر: مشاهدات الباحث وتجاربه أثناء بعثته العلمية إلى أمريكا خلال السنوات الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م).

تسير في كل مكان، وطبقات المتعلمين من طلاب التعليم العام والعالي تزيد أعدادهم، وتتنوع مشاربهم العربية والثقافية، والمعرفية، ورأيت من بنات وأبناء هذه البلاد من يشغل أعمالا تعليمية وتدريبية وتثقيفية في المدارس النظامية، والكليات الجامعية، والإدارات الحكومية والأهلية [١].

رجعت إلى أبها عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٤م)، بعد حصولي على درجة الماجستير، وعملت محاضرا في كلية التربية لمدة عام ونصف (١٤٠٥-١٤٠٧هـ/١٩٨٥-١٩٨٧م)، ثم ذهبت إلى بريطانيا، وأكملت درجة الدكتوراه في قسم الدراسات الشرقية بجامعة مانشستر (University of Manchester)، وحصلت على هذه الشهادة في رسالتي عن بلاد الحجاز، والموسوعة بـ:

The Social, Industrial, and Commercial History of the Hejaz Under the Early Abbasids (132- 232H / 749 - 847A.D)

عدت إلى منطقة عسير، للعمل في كلية التربية، قسم التاريخ في منتصف عام (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، وبدأت رحلتي الوظيفية الجادة مع مطلع عام (١٤١٠هـ/١٩٨٩م).

في الصفحات التالية، أوثق شذرات مما عرفته عن الكتاب والقلم، أو التعليم وآثاره الإيجابية على أوطان السروات وتهامة، ومما عاصرته وتعلمته أنا وغيري من الطلاب السعوديين أثناء دراساتنا في المملكة المتحدة (بريطانيا)، وهي على النحو التالي:

١- لاحظت طلاب التعليم العام، وطالبات وطلاب الكليات الجامعية في كل مدينة وحاضرة كبيرة من مناطق جنوب المملكة العربية السعودية. فأعدادهم في المدارس (طالبات وطلاب) تقدر بعشرات الآلاف، وزادت أعداد إدارات التعليم التي تشرف عليهم، وأصبح في كل منطقة من مناطق السروات وتهامة أكثر من إدارة للبنات، والبنين، تتولى رعاية المسيرة التعليمية الرسمية في أرجاء البلاد. وقرأت وشاهدت عندهم الكثير من البرامج، والمناشط التعليمية والتربوية التي تدعم وتشجع وتصقل مواهب الطالبات والطلاب في شتى المجالات. ومهنة القراءة والكتابة، والقلم والكتاب تتصدر كل الأنشطة، وتدور حولها وعنها كل الخطط والمنجزات

(١) شاهدت هذا الحراك الحضاري من مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، مع أول دفعة تخرجت في كليات أبها الجامعية. لكن أعداد الطلاب آنذاك كانت قليلة، فلا يزيدون عن بضع مئات في جميع الكليات بالمنطقة الجنوبية السعودية. ولم يأت عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٤م) إلا صارت أعدادهم في خانة الآلاف، وتخرج منهم أعداد كثيرة، ثم دخلوا الحياة العملية في أرجاء المملكة العربية السعودية، وصاروا أعضاء فاعلين في تطوير بلدانهم في شتى المجالات. حبذا أن نرى باحثين جادين يدرسون المخرجات البشرية الجامعية في منطقة عسير خلال السنوات العشر الأولى من تأسيس كليات أبها (١٣٩٦-١٤٠٥هـ/١٩٧٦-١٩٨٥م)، وما قدموه من منجزات حضارية في خدمة قراهم وبلدان في جنوب المملكة العربية السعودية.

العلمية التربوية الفردية والجماعية، الحكومية والأهلية [١].

إذا حصرت توثيقاتي على الكليات العالية في جنوب المملكة، فتلك الكليات الرائدة في حاضـرة أبها وغيرها : الشريعة وأصول الدين، واللغـة العربية والعلوم الاجتماعية، والتربيـة، والطب، وكليات إعداد المعلمين في أبها، وبيشـة، والطائف، وجازان وغيرها. وكليات التربية للبنات بأبها لقسميها العلمي والأدبي وغيرها فقد صارت على قدر جيد من النضج في خدمة النهضة التعليمية الجامعية، ولم تكن جهودها محصورة في مقراتها الرئيسيـة، إنما كان لها رسالة كبيرة وواسعة تشمل جميع قرى ومدن ونواحي السروات وتهامـة، وكان ضمن طالباتها وطلابها عناصر بشرية أخـرى سعودية وعربية[٢]. وإذا بحثنـا أكثر عن تاريـخ تلك المؤسسـات الجامعية الإداريـة والأكاديميـة، وجدنا كليات جامعتي الإمام والملك سعود في أبها، صارت فرعين رئيسيين تشرفان على جميع الأعمال الإداريـة والماليـة والأكاديمية، وتوسعت خدماتها الطلابية مـن المساكن الجامعية، إلى دعـم وتطوير المناشط الثقافية والاجتماعية، والمختـبرات والمكتبات وغيرها، بل إن كل كلية، وبعض الأقسام أصبح لها مكتبات خاصة تخدم الاساتذة والطلاب، وأذكر أن كل كليـة لها مركز بحـوث مدعوم ببعض الميزانيات التي تدعـم الدراسات العلمية في شتى التخصصات[٣]. نعـم إن تلك الكليات الفرعية، تتبع لإدارات ووزارات، وجامعات كبيرة

---

(١) أوجزت الحديث عن أعمال ومنجزات المدارس الحكومية وبعض الأهلية في جنوب المملكة العربية السعودية، خـلال العقد الأول مـن القرن (١٥هـ/٢٠م)، وأثناء عملي محاضـراً في قسم التاريخ بكليـة التربية، ثم دراستي الدكتوراه في جامعة مانشستر كنت أقرأ وأشاهد العمل الدؤوب للمدارس الرسمية في أرجاء البلاد. وكان في عمـوم السروات بضع إدارات تعليـم، في أبها، وبيشة، ومحايل عسير، والنماص، وجازان، وصبيا، ونجـران، والطائف، والباحة، والقنفـذة، وجميعها تقود مسيرة التعليم العام للذكور والإناث بجد واجتهاد كبيريـن. وبدأت مدارس البنات والبنين تستقبل عشـرات المعلمات والمعلمين الجامعيين السعوديين، ويعمل إلى جانبهم العديد من المدرسات والمدرسين المتعاقدين. وأقول إن العقد الأخير من القرن (١٤هـ/٢٠م)، والعقـد الأول مـن هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) من فـترات التطوير العلمي والتعليمي الجيـدة، ولا أجد عنها بحـوث ودراسـات توثيقية جادة. آمل من جامعات الجنـوب السعودي أن تدعـم أساتذتها ومراكز بحوثها العلمية لدراسة تاريخ مثل هذه المشاريع العلمية، مع توضيح آثارها الإيجابية على البلاد والعباد ٠

(٢) هذا الذي عرفته وأدركته أثناء عملي محاضراً في كلية التربية (١٤٠٥ـ١٤٠٧هـ/١٩٨٥ـ١٩٨٧م)، ووجدت ذلك أيضاً موثقاً في بعض وثائق وسجلات كليات التعليم العالي في منطقة عسير. وهذه المؤسسات الجامعية قدمـت جهوداً كثيرة وكبيرة خـلال العقد والنصف من تاريخها (١٣٩٦ـــ ١٤١٠هـ/١٩٧٦ـ١٩٩٠م)، وقد صـدر عنهـا بعض الدراسات القليلة والناقصـة، أرجو أن نرى باحثين جادين يوثقـون تاريخها الحضاري والتنموي خلال تلك الفترة المبكرة من عصرها.

(٣) بالأمـس كنت طالبـاً جامعياً في تلك الكليات، ثـم ذهبت إلى أمريكا وتعلمت في جامعـات وكليات وأقسام كبيرة، بعدها عدت إلى كليتي بأبها فوجدتها وغيرها من كليات عسير قد تطورت في أعدادها، وإمكاناتها الماديـة والعلمية والبشريـة، لكنها لا تقارن مع تلـك المؤسسات العلمية الأمريكية التـي لها تاريخ طويل في مجـال التعليـم العـالي، أما كلياتنـا السروية والتهاميـة، فلم يتجـاوز تاريخها (١٥) سنـة، لكنها حققت نجاحـات جيدة في هذه الفترة الوجيزة. لا أقول هذا الـكلام تعاطفاً، أو مبالغة، لكنني أقارن وضع بلادنا

في الرياض، وليس الفرع كالأساس في المنجزات والإمكانات، لكنني أرصد هذا التاريخ، وللأمانة العلمية كشاهد عيان، إنها كانت كليات صغيرة في هيئة جامعات، لما قدمت من خدمة ورعاية علمية لطالبات وطلاب مناطق جنوب المملكة خلال العقد الأخير من القرن الهجري الماضي، والسنوات العشر الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) [١]. وأذكر أنها كانت تشتمل على الكثير من أعضاء هيئة التدريس الكبار الذين تعلموا في جامعات عالمية شرقية وغربية، وعندما عدت للعمل معهم في مرحلة الماجستير، خالطتهم، وقرأت بعض سيرهم، واطلعت على الكثير من كتبهم وبحوثهم واختراعاتهم وإبداعاتهم المطبوعة والمنشورة في أوعية علمية قوية ومتخصصة. كما حضرت لبعضهم محاضرات وندوات داخل كلياتهم وخارجها، فسمعت عنهم الكثير من الإشادات والتقريظات الجيدة في تخصصاتهم، من أساتذة آخرين جادين ومميزين في نفس علومهم ومجالاتهم العلمية. أما الطالبات والطلاب فكان الكثير منهم على قدر كبير من الاجتهاد والتميز في دروسهم وتحصيلهم العلمي، وفي المناشط والمسابقات الثقافية والجامعية. ورأيت عام (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) العديد من الطلاب في كليات الطب، والتربية، والشريعة وأصول الدين، واللغة العربية والعلوم الاجتماعية الذين حققوا جوائز عديدة، ومراكز متقدمة في بعض المسابقات التي عقدت في كليات الجامعات الأم في الرياض[٢]. وكانت كليات التربية للبنات وإعداد المعلمين في منطقة عسير تشارك في الكثير من الأنشطة المحلية وأحياناً يسافر بعض طلابهم إلى الرياض أو المنطقة الغربية للاشتراك والمنافسات الثقافية والعلمية مع كليات وأقسام أخرى[٣].

الثقافي والمعرفي في العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم بداية وتطور التعليم العام والعالي في أرجاء البلاد وفي زمن قصير جداً.

(١) إن كليات السروات وتهامة للبنات والبنين من عام (١٣٩٦-١٤١٩هـ/١٩٧٦-١٩٨٩م) لها جهود كبيرة وتاريخ طويل في تطوير وخدمة الناس في جنوب المملكة، ولا نجد عنها دراسات جادة ورصينة، وقد بحثت كثيراً عن السجلات والوثائق الرئيسية لتلك المؤسسات التعليمية في الفترة المبكرة، فلم أجد شيئاً من ذلك، وأخبرني بعض المعاصرين أنها ضاعت وتلاشت أثناء تأسيس جامعة الملك خالد في نهاية العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م).

(٢) عاصرت وشاهدت بعض تلك المسابقات، لأنني ذهبت مع بعض أعضاء هيئة التدريس المشرفين على تلك الأنشطة. وكان طلابنا في فروع الجامعة في أبها على قدر كبير من المسؤولية والتميز في تلك المناشط المعرفية، وحظوا بالدعم والتشجيع من عمداء الكليات بعد عودتهم إلى أبها.

(٣) لم تكن الأنشطة والتميز العلمي في كليات البنات وإعداد المعلمين تقل في الجودة والإبداع، عن كليات فرعي جامعتي الإمام والملك سعود في أبها. إلا أن تلك المؤسسات تتبع لوزارات وهيئات إدارية أخرى، ولم يكن لها علاقة إدارية أو مالية بوزارة التعليم العالي التي تشرف على الجامعات والكليات الجامعية. وأكرر توصية وجوب دراسة تاريخ التعليم العالي للبنات والبنين في بلاد السروات وتهامة من تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى عام (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، وهي السنة التي ضمت فيها كليات البنات والمعلمين إلى وزارة التعليم العالي والجامعات.

٢- رأيـت في مطلـع هذا القـرن (١٥هـ/٢٠م) رغبة كليتـي الشريعة واللغـة العربي، والتربيـة في تعيـين بعض طلابهـا على درجـة معيد، حتـى يؤسسوا كـوادر بشرية أكاديمية تستطيع قيادة المسيرة التعليمية الجامعية في بلاد السروات وتهامة. وكنت مع أربعة طلاب من الزملاء أول دفعة من المعيدين في كلية التربية، وبعض الطلاب الآخرين في أقسام الشريعة واللغة العربية. وفي كليات وجامعات المملكة في الرياض، وجدة، ومكـة، والظهران وغيرها بعض المعيدين التهاميـين والسرويين الذين سبق ترشيحهـم واختيارهم مـن أقسامهم وكلياتهـم، وبعضهم بـدأوا دراساتهم العليا داخلياً وخارجياً من تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) [١].

عند رجوعي إلى كلية التربية في منتصف العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، رأيـت الأقسـام العلمية في كليات عسير المحليـة مليئة بالمعيـدات والمعيدين السعوديات والسعوديـين، وبعضهم حصلوا على وظائف الإعادة في السنوات الأولى من هذا القرن، ثـم ذهبوا إلى جامعـات داخلية أو خارجيـة وحصلوا على درجة الماجستـير، ثم عادوا إلى كلياتهـم لبعض الوقـت، ثم سافـروا مرة أخـرى للحصول على درجـة الدكتوراه، وكنـت واحداً من هذه الفئة. ومـن يطالع إحصائيات أعضاء هيئة التدريس في كل قسم يجـد غالبيتهم من الأساتـذة المتعاقدين، وأعداد المعيديـن والمحاضرين السعوديين في الأقسام النظرية والإنسانية والتربوية أكثر من التخصصات العلمية البحتة. لكن أعداد الفريقـين مازالـت محدودة في الفترة مـن (١٤٠٠ـ ١٤١٠هـ/١٩٨٠ـــ ١٩٩٠م)، لكنها تسير نحو الزيادة والارتفاع [٢].

٣- ذهبت لدراسة الدكتوراه في بريطانيا عام (١٤٠٧هـ//١٩٨٧م)، وقضيت عامين وبضعة شهور بين السعودية والمملكة المتحـدة أجمع مادتي العلمية، وأكتب أطروحتي الجامعية،

---

(١) ذلك من فضل الله ثم آثار التعليم الحديث الإيجابي، فلم يكن هدف الدولة (وفقها الله) محاربة الأمية، وتعليـم الناس القراءة والكتابة فقط، لكنها كانت تعمـل وتجتهد على بناء الإنسان السعودي علمياً وثقافياً ومعرفيـاً، وقـد نجحت بدرجة كبـيرة في هذه السياسـة التعليميـة. فالأمس القريب كانـت تفتح المدارس الأميريـة السعوديـة الابتدائيـة في حواضر ومدن كثـيرة، تلا ذلك مراحـل التعليم الأخـرى (المتوسطة، والثانوية)، ثم جاء دور الكليات والأقسام الجامعية، والآن في العقد الأول من القرن (١٥هـ/٢٠م) نشاهد الشبـاب التهامـي والسروي (ذكـوراً وإناثاً) يدخلون ميـدان التعليم العالي، حتى يكونـوا أساتذة وعلماء متخصصـين في مجالات عديدة، ولم تقتصر جهودهم على مواصلة دراساتهم العليا محلياً أو عربياً، إنما ذهبوا إلى أكبر الجامعات في الغرب والشرق وحققوا مستويات علمية كبيرة ومتقدمة.

(٢) رأيـت معظم المعيدين في كليات فرع جامعة الإمام يُرسلون إلى الجامعة الأم في الرياض لمواصلة دراساتهم العليا، وقليلاً جداً من يذهب إلى جامعات أجنبية. أما الطلاب المعيدون في كليتي الطب والتربية فجميعهم يبعثـون إلى دول غربيـة عديـدة وبخاصـة بريطانيا وأمريـكا. والمعيـدات في كلية التربيـة يدرسن درجة الماجستـير في كلياتهـن بأبهـا. كذلك كليات إعداد المعلمـين يرسلون بعض طلابهـم إلى جامعات داخلية، وآخرين إلى جامعات أمريكية أو أوربية.

وخرجت بخلاصات علمية لها علاقة بالكتاب والقلم والمسيرة التعليمية التي عادت بعض فوائدها الإيجابية على المجتمعات السعودية بشكل عام، وعلى بلاد السروات وتهامة على وجه الخصوص، وأشير إلى بعض هذه الرؤى والاستنتاجات في الفقرات التالية :

أ - إن سياسة ابتعاث الدولة لطالباتها وطلابها إلى بلدان خارجية عربية وأجنبية من الخطوات الناجحة جدا، فقد حققت من وراء ذلك نهضة حضارية مادية ومعنوية جيدة قام على دراستها والتخطيط لها تلك الكوادر البشرية السعودية التي تعلمت في مدارس وكليات وجامعات محلية وإقليمية وعالمية، وبالتالي توفرت الخبرات والمعارف والتجارب المتنوعة في مصادرها، وأماكن العثور عليها، والاستفادة من مخرجاتها في خدمة وتطوير الأرض والمجتمعات السعودية، في كل القطاعات، وعلى جميع المستويات [١].

ب - قضيت بضع سنوات للدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية، ورأيت وغيري من الطالبات والطلاب السعوديين الكثير من السلبيات والإيجابيات، والغالبية، والحمد لله، حصلوا على الكثير من المعارف والفوائد والمنافع الحضارية التي ساعدتهم في حياتهم العملية، وجلبوها ثم طبقوها في جامعاتهم وكلياتهم واقسامهم الأكاديمية السعودية. والوضع نفسه حدث معنا نحن معاشر الطلاب الذين درسنا في بعض البلدان الأوربية، فقد تعلمنا واستفدنا مكاسب علمية وتعليمية في مدارس وجامعات وكليات مختلفة في سياساتها، وخططها، وبرامجها، والكثير من آلياتها عما عرفناه وعاصرناه في البلاد والجامعات الأمريكية[٢].

ج - ذهبت إلى جامعتي الأوربية (جامعة مانشستر)، ووجدت فيها أعداداً كثيرة من الطلاب السعوديين، ومن جميع مناطق المملكة، ومعظمهم يدرسون درجتي الماجستير والدكتوراه في تخصصات متنوعة وكثيرة. ثم عملت مع الأندية

---

(١) هناك بعض البحوث المحدودة التي أشارت إلى جهود الكوادر السعودية المتعلمة تعليماً عالياً، وما قدموا لدينهم، وبلادهم، وأهلهم من منجزات حضارية. لكن هذا الموضوع مازال بحاجة إلى عناية بحثية كبيرة، ولا تكفي مئات الدراسة لهذا الموضوع. آمل من مراكز بحوثنا العلمية، وجامعاتنا الحكومية والأهلية أن تلتفت لهذا المشروع العلمي الوطني فتدعم وتشجع أساتذة متخصصين يعكفون على إنجاز بحوث علمية توثيقية تحليلية جادة، ثم الخروج ببعض النتائج والتوصيات التي يعم نفعها على البلاد والعباد .

(٢) لقد دونت الكثير من تلك التشابهات والاختلافات في شهر رمضان عام (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، بعد مناقشة درجة الدكتوراه، ووضعت لهذا العمل عنواناً سميته : مذكرات طالب مبتعث في أمريكا وبريطانيا (١٤٠١-١٤٠٩هـ/١٩٨١- ١٩٨٩م)، ووثقت فيه الكثير من التفصيلات التي تعلمها وعرفها الطالب السعودي في تلك المجتمعات والجامعات الغربية، وتشتمل هذه المدونة على سلبيات وإيجابيات حضارية كثيرة. ومازال هذا العمل حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) مسودة في نسخته الأولى، آمل أن يمد الله في العمر فانظر إليه وأراجعه ثم أطبعه وأنشره.

السعوديــة في بريطانيــا وأيرلنــدا، واشتركت في اللجنة الصحفيــة التي تشرف وتحــرر مادة مجلة الطالب، فكانت فرصتي أكـبر أن التقي بالكثير من الطلاب السعوديين في طول البلاد وعرضها. ووجدت الكثير منهم درسوا درجة الماجستير في أمريـكا، والدكتــوراه في بريطانيــا، وبالتــالي تنوعـت مدارسهــم وتجاربهم وخبراتهم العلمية، والثقافية، والاجتماعية، والإنسانية والحضارية [١].

د - كــون دراستــي في هذا المبحث عــن القلم والكتــاب، أو عن التعليــم، فنظام الدراســة في برامج الدراسات العليا بالجامعــات الأمريكية متشعب. يدرس الطالــب العديد مــن المــواد الرئيسيــة والثانويــة، ومعظمها تــدور في علوم ومعــارف كثــيرة في إطار التخصص العــام، وقد تُدرس أحيانــاً بعض المواد البعيــدة عن تخصص الطالب والطالبــة. وفي الوقت نفسه يقــدم الدارس الكثــير من التقاريــر والواجبات المكتوبة في كل مادة، وغالبــاً تكون أسبوعياً خــلال دراســة كل مقرر. وهــذه الطريقة تكسـب الباحث تدريبــات عديدة تساعــده على أن يكون باحثاً، ويطلب منه تقديم خلاصة عن كل تقرير أمام زملائــه في الفصل، وهــذه الأعمال تساعد أيضاً في تعلــم اللغة الإنجليزية، التــي هي لغة البحــث والدراسة الأساسية [٢]. أمــا التعليم في أوربا وبخاصة بريطانيــا وأيرلنــدا، فالأعمال والواجبات المطلوبــة في الجامعات الأمريكية غــير موجودة، والأهم في ذلك كيفية القراءات والبحث المتواصل الجيد على عنــوان محدد لدرجة الدكتوراه. هذا في التخصصات النظرية، أما الأقسام العلميــة، فالطالب يقضي معظم أوقاته في المختــبرات الخاصة بتخصصه، وأحيانــاً يشــترك أكثر من طالــب في دراســة أو إنجاز عدد مــن الدراسات والتجارب العلمية البحثية [٣]. وأستطيع القول أن الطالب في بريطانيا يتعلم

---

(١) ربمــا يسأل سائل لمــاذا الكثير من الطلاب السعوديين درسوا مرحلة الماجستــير في أمريكا، والدكتوراه في بريطانيــا. وقد يجــاوب البعض بأن تنويع التجارب والخبرات هو السبب الرئيســي، وأقول إن هذه الإجابة غير صحيح ولا دقيقة، إنما الجامعات والكليات والأقسام العلمية الأمريكية تطلب من الطالب في الدكتوراه دراســة العديــد من المواد العامة التي تكــون أحياناً بعيدة عن مجال تخصصه، ثم يقــدم الباحث امتحاناً شامــلاً، والبعض من الطــلاب لا يتجاوزون هذا الاختيار إلا بعد مرة أو مرتــين وربما أكثر. أما الجامعات البريطانية، فالطالب يبحث عن موضوع بحث، ثم يبدأ العمل، ويقضي بعض الوقت في إنجازه تحت إشراف أستــاذه، وإذا استكملــه تُشكل لجنة علميــة للمناقشة، وغالباً يتم الاجتياز، بعدهــا يُمنح درجة الدكتوراه. المصدر: معاصرة الباحث ومعرفته للنظامين.

(٢) هذا الذي عاصرناه وتعلمناه نحن السعوديين وغيرنا أثناء دراستنا في مرحلة الماجستير في الولايات المتحدة الأمريكية. وطلاب الدبلوم والبكالوريوس يسيرون على نفس المنهج لكن بمستويات وجرعات تعليمية بسيطة في محتوياتها العلمية وطرق تطبيقها.

(٣) الطريقــة نفسهــا التــي سرنا مــن خلالها نحن طــلاب الدراســات العليــا في الأقسام النظريــة والعلمية

ليكون باحثاً بالدرجة الأولى، بعكس الطالب في أمريكا الذي يُدرب على أن يكون أستاذاً ومحاضراً جيداً في الجامعة. وعرفت بعض الطلاب في البلدين الذين جمعوا بين الحسنيين، فكانوا باحثين ومحاضرين جيدين في وقت واحد[١].

هـ - أشرت سابقاً إلى توفر المصادر والمراجع المتنوعة في المكتبات الغربية، وسهولة الطرق المتنوعة في الوصول إليها، والاطلاع على المرغوب منها، لكن الذي كسبناه كطلاب عرب، أو سعوديين، تكليفنا بالقراءات الكثيرة والواسعة وأحياناً المتنوعة، ثم حثنا وإجبارنا على القراءة السريعة وكون معظم المراجع باللغة الإنجليزية، فكنا نعاني بعض الشيء مع صعوبة اللغة، لكن مع مرور الوقت استطعنا تجاوز هذه العقبة. وكوني ومنه في مجالي العلمي ندرس التاريخ العربي الإسلامي، وفي مكتباتهم أمهات المصادر العربية الإسلامية، والكثير من المراجع الثانوية، وقد استفدنا كثيراً في تعويد أنفسنا على سرعة القراءة، وتعلمنا العديد من الوسائل والطرق التي نستطيع من خلالها الوصول إلى المعلومة بأسرع وقت وأقصره[٢].

و - كل الطالبات والطلاب الذين أكملوا دراساتهم العليا في دول الغرب تعلموا طرق الحوارات والنقاشات والأدلاء بالآراء التوضيحية والنقدية، ومن يحضر أو يشارك في هذه اللقاءات عليه أن يتعلم ويتكيف مع هذا المنهج الذي يساعد الطالب على الاعتداد بالنفس، وبناء الشخصية العلمية التي تفكر، وتقترح، وتساهم بمعلومات ومشاركات جيدة حتى لو كانت لا تتفق مع وجهات نظر الآخرين. هذا الذي شاهدته وعاصرته أنا وطلاب آخرون عرب وأجانب في الكثير من الندوات و(السنمارات)، والمناقشات، وورش العمل العلمية التي تعقد في أروقة الكليات والأقسام العلمية الجامعية الأمريكية والبريطانية[٣].

بالجامعات الأوربية وبخاصة في بريطانيا التي عشت فيها بعض الوقت أثناء إنجاز بحثي لدرجة الدكتوراه (١٤٠٧- ١٤٠٩هـ/١٩٨٧- ١٩٨٩م) .

(١) شاهدت وتعرفت وسمعت عن الكثير من الطلاب العرب والسعوديين الجيدين في مهنتي المحاضر، وإنجاز بحوث علمية جيدة ورصينة، وقد كسبوا هذه الصفات من رحلتهم التعليمية في عدد من الدول الأجنبية الغربية والشرقية .

(٢) هذه التدريبات لم تكن سهلة في البداية، ولم يكن وقتها حاسب آلي، وشبكة انترنت واسعة نستطيع من خلالها الوصول إلى أهدافنا بسهولة، إنما كانت طريقة دراستنا وبحثنا في المصادر والمراجع تقليدية، لكننا عرفنا وتعلمنا معارف وعلوم كثيرة خدمتنا في هذا الميدان .

(٣) يوجد في مكتبتي العلمية الكثير من المدونات والخلاصات التي شاركت فيها وحضرتها في بريطانيا وأمريكا أثناء دراسة الماجستير والدكتوراه (١٤٠١- ١٤٠٩هـ/١٩٨١- ١٩٨٩م). آمل أن أعود إليها، وأغربلها ثم أصدرها في دراسة علمية أطبعها وأنشرها في أحد أعمالي العلمية القادمة (بإذن الله تعالى) .

ز- إن بلاد أوربا وبخاصة بريطانيا وغيرها تحتوي مكتباتها على عشرات الآلاف من المصادر العربية والإسلامية المحققة والمطبوعة والمنشورة وفي حوزتها الكثير جداً من المخطوطات الإسلامية في شتى المعارف، تم جمعها من بلدان العرب والمسلمين، ثم نقلت إلى دور المخطوطات والمكتبات الغربية التي اعتنت بترميمها وتصنيفها وحفظها في أماكن جيدة ومناسبة، ولم تتوقف مجهوداتهم عند هذا الحد، بل نسخوها من المادة الورقية إلى مادة رقمية حتى يسهل استخدامها، وتسلم الأصول من التلف، ونشاهد الدارسون والباحثون العرب والمسلمون يذهبون إلى هذه الأوطان الغربية لمواصلة دراساتهم العالية في كثير من التخصصات الإسلامية التراثية [١].

دخلت معترك الحياة العملية الأكاديمية بشكل واسع بعد حصولي على درجة الدكتوراه، وبداية تدريس جميع طلاب قسم التاريخ وغيرهم في مستويات ومراحل مختلفة [٢]. ثم أصبحت رئيسا لقسم التاريخ خلال عملي في كلية التربية فرع جامعة الملك سعود (١٤١١-١٤١٩هـ/١٩٩٠-١٩٩٨م)، وكانت الفرصة أمامي كبيرة للمشاركة في نشاطات وأعمال علمية وتعليمية، وإدارية، وأكاديمية، واجتماعية وثقافية ومعرفية كثيرة داخل كلياتٍ فرعي جامعتي الإمام والملك سعود بأبها، وفي المجتمع السروي والتهامي، وأحياناً أسافر خارج منطقة عسير داخل المملكة العربية السعودية وخارجها للمشاركة في أعمال ومناشط علمية وتعليمية متنوعة في أهدافها، واستراتيجيتها.

إنها عشر سنوات (١٤١٠- ١٤١٩هـ/١٩٨٩- ١٩٩٨م)، قضيتها أستاذاً مساعداً، ثم مشاركا، ثم أستاذاً في قسم التاريخ بكلية التربية للبنين في مدينة أبها. وكون حديثي عن الكتاب، والقلم، والتعليم، فسوف أذكر في الصفحات التالية بعضاً مما عرفته وعاصرته أو سمعت عنه خلال العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وهي على النحو الآتي:

١- من آثار التعليم الحديث، والقلم والكتاب في منطقة عسير، أو مناطق تهامة والسراة، إن التعليم الثانوي، أو الجامعي لم يعد هو السقف الأعلى لبنات وأبناء

(١) هذا الذي جرى معي وأمثالي كثير من أبناء العرب والمسلمين. وقد زرت عدد من المكتبات في أوربا، ووجدت في كل دار أو مكتبة آلاف المخطوطات العربية والإيرانية الإسلامية، ورأيت الكثير من الباحثين الذين جاءوا من دول إسلامية وعربية عديدة إلى الجامعات الغربية، فدرسوا فيها دراساتهم العالية، وحصلوا على درجاتهم العلمية في تخصصات شرعية، وتاريخية، وأدبية، ولغوية، وتربوية، وإنسانية وغيرها.

(٢) تخصصي الرئيسي التاريخ الإسلامي، لكنني كنت أدرس مواد أخرى في التاريخ القديم والحديث لطلاب التاريخ، وكان ضمن خطط الكلية سبع ساعات حرة يحق للطالب في أي تخصص أن يدرسها في أي مجال، فكان الكثير من طلاب كلية الطب، والأقسام العلمية في كلية التربية يدرسون مادتي السيرة النبوية، والحضارة الإسلامية، وكنت أقوم بتدريسهما، وكان أمامي فرصة كبيرة للتعرف على مستويات الطلاب في تخصصات علمية متعددة.

هـذه الأوطـان الجنوبيـة السعوديـة. بل أصبحـت كليـات البنين والبنـات في هذه الديـار تشتمل على شابات وشبـاب سعوديات وسعوديين يحملون درجات الماجستير والدكتـوراه في علوم وتخصصـات علمية مختلفة. بعضهم حصلـوا على عليها من جامعـات سعودية محليـة، وآخريـن نالوها من كليـات وأقسام وجامعـاتٍ إقليمية وعالمية. كنت بالأمس القريـب (١٤٠٥ـ١٤٠٧هـ/١٩٨٥ـ ١٩٨٧م) محاضراً في كلية التربيـة، وكانٍ في كليات عسير بعض الأعداد المحـدودة من المعيدين والمحاضرين، وعدد قليل جداً من حملة الدكتوراه، ثم ذهبت لمدة عامين وبضعة شهور لنيل درجة الدكتـوراه، وعـدت إلى الكية في مطلـع العقد الثاني من هذا القـرن (١٥هـ/٢٠م) فوجـدت نسبة حملة الدكتوراه من السعوديين قد ارتفعت بشكل جيد، وأصبح في كل قسم من كليات: الطـب، والتربية، والشريعة وأصول الدين، واللغة العربية والعلوم الاجتماعيـة، وإعداد المعلمين في أبها وبيشة، وكليـة التربية بأبها (الأقسام العلمية والأدبية) العديد من أعضاء هيئة التدريس السعوديين، بعضهم تخرجوا في كليات السـروات وتهامة، ثم واصلوا دراساتهـم العليا داخل البلاد وخارجها، وصار منهم رؤسـاء لبعض الأقسام الأكاديميـة، أو عمداء أو وكلاء لبعض الإدارات أو العمادات المساندة، وآخرون حصلوا على درجات البكالوريوس من جامعات سعودية أخرى في المناطق الوسطى، والغربية، والشرقية، ونالوا درجاتهم العليا من جامعات عربية أو أجنبيـة، ثم جـاءوا للعمل في كليات منطقة عسير وغيرها، وجذور بعضهم من بلاد السـروات وتهامة، وآخرون ولـدوا وتعلموا تعليمهم المبكر في مناطق أخرى من مدن وحواضر المملكة العربية السعودية [١].

٢- اتضـح لي خـلال العقد الثـاني من القـرن (١٥هـ/٢٠م)، اتساع قاعـدة التعليم الجامعـي في أرجـاء السـروات وتهامة، فبقيت حاضـرة أبها هي المركـز الرئيسي الـذي انتشر منها اشعاع التعليم الجامعي إلى كل مكان، لأن طالبات وطلاب كليات أبهـا للبنات والبنـين من جميع قرى وحواضر ومناطق جنـوب المملكة خلال الفترة (١٣٩٦ـ١٤١٩هـ/١٩٧٦ـ١٩٩٨م)، وبعد تخرجهم في أقسامهم وكلياتهم عادوا إلى

---

(١) لخصـت بإيجـاز وضع أعضاء هيئـة التدريس السعوديين في كليات جنوب المملكـة وبخاصة منطقة عسير خـلال العقدين الأولين من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، لأنني درست مـع بعضهم مرحلة البكالوريوس، ثم زاملتهـم في العمـل الوظيفـي. ومنهم الأكبر مني سنـاً، ودرسوا المرحلة الجامعية في جامعـات الرياض أو المنطقـة الغربية، ثم تعينـوا معيدين في كليات عسـير، وواصلوا دراساتهم العليا داخـل المملكة وخارجها، وعشنـا في ميدان الوظيفيـة خلال العقد الثاني من هـذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وكانـوا جميعهم على قدر كبير مـن الانضباط، والاجتهاد، وخدمة المسـيرة العلمية التعليمية الجامعية في جنـوب البلاد السعودية. ناهيـك عن الأساتذة المتعاقدين من بلدان عربية وأجنبية فكانوا الآخرين العمود الفقري الرئيسي للتعليم الجامعـيٍ في بـلاد السراة وتهامة، وكان بعضهم من كبار العلماء في علومهم وتخصصاتهم. حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس جهود أولئك الكوادر البشرية الجامعية، فقد قدموا الكثير من الجهود الإيجابية لخدمة الكتاب والقلم في هذه الديار الجنوبية السعودية.

بلدانهـم ومواطنهم الرئيسية يقودون عجلة التعليم في المدارس، ومكاتب الإشراف، وإدارات التعليم، وفي كل المجالات[١].

٣- مـن عملـي في التعليم الجامعي طالباً، ثـم معيداً، فمحاضراً، ثم أستـاذاً فقد شاهدت وعرفـت الكثير من طالبات وطلاب السروات وتهامة الذين درسوا المرحلة الجامعية في أبها خلل العقدين الأولين من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ثم التحقوا بالكثير من الوزارات المدنيـة والعسكرية، وتدرجـوا في السلم الوظيفي حتـى وصلوا أعلى المراتـب الرئيسية والقيادية في الكثير من المؤسسات الحكومية والأهلية. ومن بينهم أعداد غير قليلة عملوا في خدمـة القلم والكتـاب، أو التعليم بشكل عـام، وصار منهـم وزراء، ووكلاء وزارات، ومديـري ووكلاء جامعـات، أما عمداء الكليات ووكلائها، ورؤسـاء الأقسام الأكاديمية، والأساتذة المعلمين في قطاعات التعليم العام والعالي فأعدادهم بالألاف[٢]).

٤- باشـرت وظيفتـي العلميـة بعـد مرحلة الدكتـوراه، وتعاونـت مع زملائـي في قسم التاريـخ علـى تعليم الطـلاب وتكليفهم بأعمـال لها صلـة بالقـراءة، والبحث من خـلال المكتبات الجامعية والعامة في حاضرتي أبهـا وخميس مشيط، وكانت نوعية الطـلاب آنـذاك (١٤١٠- ١٤١٩هـ/١٩٩٠-١٩٩٨م) على قدر جيـد من الاهتمام وتحمـل المسؤوليـة. وأثناء سـيري في أرجاء السـروات وتهامة سائحـاً ودارساً من عـام (١٣٩٦ـ١٤١١هـ/١٩٧٦ــ ١٩٩٠م)، رأيت أن هذه البـلاد غنية جداً بآثارها، وتراثها، وتاريخها، وحضارة إنسانها، عندئذ قررنا أن تكون مادة البحث التاريخي في السنة الرابعة من الجامعة فرصة جيدة لتكليف الطلاب في هيئة مجموعات على إنجـاز دراسات علمية ميدانية عـن قراهم ومواطنهم الرئيسيـة، والجميل آنذاك أن طـلاب قسم التاريخ بكلية التربية فرع جامعـة الملك سعود بأبها تقدر أعدادهم بالمئـات. وبدأت تلك الرحلة العلمية البحثيـة، وخلال عشر سنوات تقريباً (١٤١١ـ ١٤٢٠هـ/١٩٩٠ــ ١٩٩٩م)، أنجـز طلابنا عشرات البحـوث الميدانية الجيدة، ولا يخلو أي بحث من مادة علمية جديدة عن الناحية المدروسة، بالإضافة إلى احتوائها على الصور الفوتوغرافية، والوثائق التاريخية التي لم يسبق نشرها من قبل، وبعض

---

(١) خـلال العقديـن الأولين من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) بدأ التعليم العـالي في أبها، ثم توسع التعليم الجامعي (للبنات والبنين) إلى بقية مناطق جنوب المملكة العربية السعودية، وبقيت حاضرة أبها هي القاعدة الرئيسية للتجـارب والخـبرات العملية والعلمية الجامعية. حبذا أن نرى باحثـين جادين يدرسون مسيرة التعليم العالي في أبهـا، ثـم تمدد هذا القطاع إلى مناطق الباحة، وجازان، ونجـران وغيرها خلال العشرين سنة الأولى من القرن (١٥هـ/٢٠م)، وهذا الموضوع جدير بالاهتمام والتوثيق في عدد من الكتب والبحوث العلمية.

(٢) ليس حديثي عن هذه الشريحة في محيط السروات وتهامة، لكن في أرجاء الوطن، ومن يدرس هذا الموضوع ويحصـر الأسمـاء في القطاعات المذكورة في المتن فسـوف يجد أعداداً كثيرة من هـؤلاء الأعلام، والكثير منهم لهم إسهامات وإبداعات كبيرة ومتنوعة على مستوى البلاد (المملكة العربية السعودية).

الدراسات اشتملت على مقابلات جديدة مع أعلام عاشوا وعاصروا الكثير من الأحداث والتواريخ في بلادهم خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)[١]. ولحسن الحظ أنني احتفظت بنسخة من جميع تلك البحوث التي رعيتها وأشرفت عليها في عصر فرع جامعة الملك سعود بأبها، وفي سنوات أخرى متأخرة خلال العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن(١٥هـ/٢١م)[٢].

زرت وشاهدت العديد من أقسام كليات الطب، والتربية، والشريعة وأصول الدين، واللغة العربية والعلوم الاجتماعية من عام (١٤١١- ١٤٢٠هـ/١٩٩٠- ١٩٩٩م)، ورأيت الكثير من المنجزات العلمية المكتوبة، بعضها من إعداد وجهود الطلاب، وأخرى قام بها بعض أعضاء هيئة التدريس في تلك الكليات. وللأسف بحثت عن بعضها بعد قيام جامعة الملك خالد (١٤١٩ـ ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، فلم أجد منها أي شيء، لا في مكتبات الكليات والأقسام، ولا في المكتبة المركزية، التي قيل لي أنها نقلت إلى قاعات ومستودعات هذه المكتبة الرئيسية الأخيرة[٣].

---

(١) أرى أن هذا العمل له صلة مباشرة بالتطور الذي جرى على التعليم، أو القلم والكتاب في بلدان السروات وتهامة. وهذا مثال صغير ومحدود، ولو توقفنا مع كل مدرسة، أو كلية، أو إدارة تعليم في المنطقة فإننا حتماً سوف نجد أساليب وطرق أخرى لها علاقة بالقلم والكتاب واستخدامهما وتسخيرهما في الارتقاء بفكر وثقافة ومستوى الناس التعليمي في أرجاء البلاد. وقد لا يتفق معي بعض القراء أو الباحثين فيما تم رصده وتوثيقه، لكن لا أحد يستطيع أن ينكر أو يتغافل عن الآثار الإيجابية الكثيرة التي حققها التعليم العام والجامعي من خلال القراءة والكتابة التي عمادهما الكتاب والقلم. وما تم طرحه في هذا المبحث، آمل أن يظهر من الباحثات والباحثين الجادين من يدرس هذا الموضوع في أعمال علمية عميقة وجادة، ويحققوا ما لم نستطع إنجازه وتحقيقه في هذا العمل العلمي المتواضع.

(٢) تجاوزت هذه البحوث أكثر من (٤٢٠) بحثاً، ويوجد منها حالياً نسخة في مكتبتي الخاصة، آمل أن أجد الوقت والصحة حتى أفحصها مرة ثانية، ثم أنشرها رقمياً، حتى تكون في متناول الباحثات والباحثين. ومن يقرأ عناوينها، ويدرس مادتها يجدها تناقش الكثير من الموضوعات التاريخية، والاجتماعية، والاقتصادية، والأدبية واللغوية، والسياحية، والجغرافية، والصحية، واللهجات والفنون الرياضية والطربية في معظم مدن وقرى ومناطق السروات وتهامة. وارى أن هذه الأعمال، وإن كانت بجهود طلابية جامعية، إلا أنها تحتوي على ثقافات ومعارف وتوثيقات تاريخية حضارية خلال القرنين (١٣ــ ١٤هـ/١٩ـ٢٠م)، يصعب أن نجدها في أي كتاب أو مصدر أو مرجع مطبوع ومنشور. وأشكر الأخ العزيز الباحث الأستاذ محمد ابن أحمد مُعَبر الذي اطلع عليها، ثم أصدر عنها دراسة علمية. موسعة بعنوان: دليل البحوث الجامعية في مكتبة الدكتور غيثان بن جريس العلمية: ببليوجرافيا مشروحة (١٤٠١ــ ١٤٣٥هـ/١٩٨١ـ ٢٠١٤م) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) (٥٥٠صفحة).

(٣) لا أدون هذه المعلومات من الخيال، إنما هي حياة عشتها وعاصرتها مع المصادر والمراجع الورقية خلال العشرين عاماً الأولى من هذا القرن(١٥هـ/٢٠م). وأقول أن كليات تهامة والسراة خلال العقدين الأوليين من هذا القرن، كانت مثمرة، ومليئة بمخزونها الثقافي والعلمي، فقد أسست وأنجرت معارف وحضارة متنوعة الرؤى والآثار، واستطاعت أن تخرج أجيال علمية وتعليمية سروية وتهامية جيدة، وما نراه اليوم من تطورات وإبداعات معرفية، يعود فضلها بنسبة كبيرة إلى تلك الكليات الجامعية الأولى في حاضرة أبها وغيرها من عام (١٣٩٦ـ ١٤٢٠هـ/١٩٧٦ـ ١٩٩٩م).

٥- يعد العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) مفصلاً رئيسياً في تاريخ التعليم، أو القلم والكتاب في مناكب السروات وتهامة. فتلك الجهود الكثيرة والكبيرة التي بذلها وحققها المعلمون والمتعلمون الأوائل خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) قد أتت مخرجاتها وثمارها الحسنة في هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، عندما تلاقت الآثار الإيجابية، والعوامل التعليمية المشتركة بين قطاعي التعليم العام والعالي، وصارت الكليات ترد الجميل لمراحل التعليم العامة، فتخرج لهم الكوادر البشرية التعليمية المتعلمة المتخصصة في فنون وعلوم عديدة. ولم تكتف هذه المؤسسات بخدمة أكبر شريحة من المجتمعات عن طريق تخريج المتخصصات والمتخصصين في قطاعات التربية والتعليم، أو الخدمات الصحية، أو المجالات الإدارية، أو القضائية، أو الدينية والدعوية، أو المجالات السياحية، والاجتماعية، والاقتصادية، والأمنية، والعسكرية وغيرها من الميادين الخدماتية التي لها صلة مباشرة أو غير مباشرة ببناء الأرض أو العقل البشري، وخدمة التطوير أو التنمية التي تصب في مصلحة الإنسان التهامي والسروي سواءً كان في مقر استيطانه الرئيسي، أو في أي ناحية من بلدان المملكة العربية السعودية[١]. وإنما أيضاً اجتهدت في تعليم وتوجيه ودعم عناصر بشرية منتجة مبدعة في مجال البحوث العلمية، والمساهمة في خدمة بلادها من خلال تخصصاتها والعلوم التي ارتحلت في طلبها ونالت عليها أعلى الشهادات والدرجات العلمية. لقد رأيت بداية هذه الثمار الإيجابية بعد عودتي بدرجة الدكتوراه، حيث أصبحت الأقسام العلمية في الكليات الأبهاوية خلال العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) تتزين ببعض الأساتذة السعوديين العاملين المنتجين في العديد من العلوم الطبية، والشرعية، واللغوية، والأدبية، والتاريخية، والجغرافية، والاجتماعية، والإدارية والاقتصادية، والتربوية وغيرها[٢].

٦- إن أساتذة كليات أبها المتعاقدين والسعوديين (١٤١٠-١٤١٩هـ/١٩٨٩-١٩٩٨م)، كانوا على صلات اجتماعية وعلمية جيدة، فتراهم يتقابلون في مناسباتهم

---

(١) وثقت بعض الأقوال والآراء العامة التي انعكست آثارها الإيجابية على العباد والبلاد. وكل مجال أشرت إليه مهم لما صدر عنه من تطورات تنموية. وأعتقد أن أهم ميدان كان له السبق والأثر الكبير، هو قطاع التعليم الذي أعتنى بالعقول، وحولها من الحياة الأمية المتواضعة في أفكارها وثقافتها إلى مجتمعات تقرأ وتكتب، ثم ترقت في سلم العلوم والمعارف حتى صارت البلاد مليئة بالأساتذة الجامعيين المتخصصين في الكثير من العلوم الدينية والدنيوية. وقد عشت وعاصرت هذه الفترة الذهبية التي جرى خلالها الكثير من التحولات التاريخية الحضارية لعموم أرض وسكان المملكة العربية السعودية، وبلاد السراة وتهامة جزء من هذه المنظومة الحضارية الكبيرة.

(٢) أوجزت الكتابة فيما عرفته من إسهامات ونشاطات أساتذة كليات أبها الجامعية (١٤١٠- ١٤١٩هـ/١٩٨٩- ١٩٩٨م). ففي تلك الفترة شاهدت وعاصرت الكثير من الأساتذة المتعاقدين والسعوديين الذين كان لهم نتاج علمي مطبوع ومنشور. وذلك العقد جدير أن يوثق في منطقة عسير وبخاصة في ميدان التنمية والتطور العلمي والثقافي والمعرفي، آمل أن يُتخذ هذا الموضوع عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه.

الاجتماعية، ونشاطاتهم ولقاءاتهم العلمية، وكان للأمير خالد الفيصل، أمير منطقة عسير آنذاك، دور كبير في دعم الأنشطة الثقافية والعلمية والمعرفية، ومنها جائزة أبها الثقافية التي يدعمها ماديا ومعنويا، وتشمل كل الشرائح التعليمية في منطقة عسير(الطالبات والطلاب، والكتاب والمؤلفين في مجالات عديدة، والإبداعات والاختراعات العلمية) ويقام لها حفل سنوي توزع الجوائز على الفائزين تحت رعاية سمو الأمير. كما أن نادي أبها الأدبي، الذي كان يتولى إدارية والإشراف عليه الأستاذ الأديب القدير محمد بن عبدالله بن حمّيد، كان له دور إبداعي وريادي. لقد كانت هذه المؤسسة الثقافية جامعة مصغرة، وتجد الدعم والرعاية الجيدة من أمير المنطقة، وصدر عنها الكثير من المناشط المنبرية، والأعمال العلمية الجيدة المطبوعة والمنشورة، بالإضافة إلى الأنشطة التي يدعمها ويعقدها النادي في الاحتفالات أو المناسبات الوطنية داخل مدينة أبها، أو في المدن والمحافظات العسيرية السروية والتهامية[1].

٧- عرفت وزاملت شباباً في مرحلة الطلب الجامعي في كليات فرعي جامعتي الإمام والملك سعود في السنوات الأخيرة من القرن الهجري الماضي، وعند عودتي من بريطانيا وعملي أستاذاً مساعداً في قسم التاريخ بأبها، وفي بضع سنوات من العقد الثاني في هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، إلا والبعض من أولئك الطلاب السرويين والتهاميين الذين تخرجوا في كلياتهم في مطلع هذا القرن، وإذا بهم في العقد الثاني من القرن نفسه صاروا أساتذة مساعدين ثم مشاركين، وبعضهم حصلوا على درجة الأستاذية في تخصصات علمية ونظرية عديدة[2]. وجميع هؤلاء الأساتذة لم يتقاعسوا في خدمة أنفسهم وبلادهم علمياً، كونهم يعملون في أقسام وكليات فرعية، وينقصهم بعض الإمكانات المادية والمعنوية التي تساعدهم في إنجاز دراساتهم العلمية، وأكثرهم تغلبوا على كل العقبات وحصلوا على درجات الأستاذ مشارك، ثم الأستاذ في فترات قياسية، وهذا يعكس الهمم العالية عند هذه الشريحة من

---

(١) إنها مجالات مهمة خدمت الكتاب والعلم والتعلم في منطقة عسيرٍ وغيرها. فالأمير خالد الفيصل كان لا يتوانى في خدمة القلم والكتاب بشتى الطرق والوسائل، ودائما يتابع ويوجه ويشرف على كل منشط أو عمل له علاقة بالثقافة والمعرفة. وإذا كان أصدر كتابه: مسافة التنمية في منطقة عسير، وأشار إلى بعض المنجزات التي تمت في عصره، إلا أن الفترة التي قضاها في منطقة عسير، وتزيد عن ثلاثة عقود تستحق أن يُكتب عنها العديد من الكتب والرسائل الجامعية. أما نادي أبها الأدبي، ورئيسة الأستاذ محمد الحميّد خلال الـ (٢٥) سنة الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م)، فذلك ميدان آخر كبير لخدمة الكتاب والقلم، وجدير أن يكتب تاريخه في بضعة كتاب وبحوث علمية .

(٢) هذا الذي وقفت عليه وعرفته في أقسام عديدة بكليات الطب، والشريعة وأصول الدين، واللغة العربية والعلوم الاجتماعية والتربية. وبعض أولئك الأساتذة بدأوا مع كليات أبها في عقدها الأول، ثم ذهبوا إلى جامعات عربية أو أجنبية وحصلوا على شهادة الدكتوراه، وعند رجوعهم إلى كلياتهم واصلوا مشوارهم العلمي حتى نالوا أعلى الدرجات.

الناس، وكذلك المستوى الجيد الذي وصل إليه بنات وأبناء السروات وتهامة [١].

٨- عكفت خلال العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) على بعض البحوث العلمية، وكان منها كتاب: تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤-١٣٨٦هـ/ ١٩٣٤-١٩٦٦م) (الجزء الأول). وكتاب: أبها حاضر عسير (دراسة وثائقية)، واتضح لي أثناء دراسة وتوثيق مادة هذين الكتابين، بعض الخلاصات التي لها علاقة بالعلم والتعلم وفي مقدمتها القلم والكتب، وأشير إلى بعضها في المحاور الآتية:

أ- الجهود الكبيرة والرائدة التي بذلها رواد التعليم النظامي الأوائل، وصبرهم وجلدهم على مواجهة كل الصعوبات في فتح المدارس الحديثة ونشر العلم والمعرفة بين الشباب السرويين والتهاميين خلال الخمسينيات، والستينيات، والسبعينيات من القرن الهجري الماضي، يوم كانت حياة الناس بدائية ومتواضعة في شتى مناحي الحياة.

ب- صعوبة الطرق والمواصلات بين مكة، مقر مديرية المعارف، وبين قرى وسهول ومرتفعات جنوب المملكة العربية السعودية. والمعاناة الكبيرة في ذهاب المعلمين ورجوعهم بين الحجاز والسروات، ونقل المواد الدراسية، الكتب والأقلام وغيرها، من مدينة مكة إلى مناطق الطائف، والقنفذة، والباحة، وبيشة، وأبها، ونجران، وجازان وغيرها. وهذا التاريخ المليء بالتحديات والعراقيل أنتج أجيالاً ماجدة مبدعة في أخلاقياتها، وسلوكياتها، ونجاحاتها الباهرة في أداء أعمالها ورسالتها العلمية والتعليمية والتربوية[٢]. ومن ثم ساد التعليم الحديث وانتشر إلى كل ناحية في البلاد، وتطور أكثر فأكثر حتى تأسيس الأقسام والكليات الجامعية، وأصبح فيها علماء، وأطباء، وأدباء، وأساتذة كبار يقودون مسيرة العلم والبناء في أرجاء البلاد.

ج- وجدت أثناء توثيق تاريخ المؤسسات الإدارية الحكومية والأهلية في حاضرة أبها الجهود الجبارة التي بذلها الأساتذة المكيين في نشأة وتأسيس معظم الإدارات في أرجاء السروات وتهامة خلال الخمسينيات والسبعينيات من القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، ثم ظهور أجيال جادة تخرجت في مدرسة أولئك

---

(١) إن ترقي طالبات وطلاب تهامة والسراة في سلم العلم، والاجتهاد في تطوير أنفسهم ثقافياً ومعرفياً داخل المملكة العربية السعودية وخارجها من تسعينيات القرن (١٤هـ/ ٢٠م) إلى الآن (١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م) موضوع، حسب علمي، لم يدرس تاريخياً وتوثيقياً، آمل أن نرى باحثين جادين يعكفون على دراسته في أعمال علمية رصينة.

(٢) هذا الذي رواه الرواد الأوائل في ميادين التعليم وغيره، كذلك وثقته بعض الوثائق والسجلات الصادرة عن مؤسسات الدولة السعودية الحديثة، مثل: مديرية المعارف في مكة ومعتمدياتها في عسير وجازان وبيشة والباحة، وأشارت إلى ذلك بعض الكتب والبحوث العلمية التي صدرت في هذا الباب.

الرواد الأوائل، وواصلوا خدمة الأرض والإنسان، والكثير من هذه الشريحة الأخيرة درسوا وتخرجوا في المدارس النظامية الحديثة خلال السبعينيات والثمانينيات من القرن الهجري الماضي، ثم جاءت الكليات الجامعية في التسعينيات، والعقدين الأولين من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) فعلمت وخططت وطورت الكثير من العناصر البشرية (الذكور، والإناث) الذين واصلوا مسيرة من سبقهم في خدمة دينهم، وبلادهم، وأهلهم، ومازال بعضهم حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) يشتغلون في مناصب وظيفية وتعليمية وتنموية كثيرة في أرجاء البلاد العربية السعودية[١].

رابعاً: آثر القلم والكتاب على حياة الناس في جنوب المملكة العربية السعودية (١٤٢٠-١٤٤٤هـ/١٩٩٩-٢٠٢٣م):

أكثر من (٩٠) عاماً منذ بدايات التعليم النظامي الحديث في بلاد تهامة والسراة، ورحلة القلم والكتاب تجوب أرجاء هذه الديار، فهناك مدارس تُفتح، ومعلمون سعوديون وغير سعوديين يفدون إلى هذه الأوطان لتنوير وتدريس الناس ذكوراً وإناثاً، وبدأت ثمار جهودهم تأتي أكلها، ويتخرجون الطلاب والطالبات في هذه المؤسسات التعليمية، ثم يواصل الكثير منهم مراحل تعليمهم، ويحققون شهادات أعلى في تخصصات عديدة، ثم يعودون لخدمة مسيرة القراءة والكتابة في مدنهم، وقراهم، ومناطقهم، ويصبح منهم المعلم والطبيب، والمهندس، والإداري، والموظف، والعسكري الناجح في سلم العسكرية[٢].

تلك الجهود الحضارية في جنوب البلاد السعودية، أو غيرها من مناطق ومدن وحواضر وأرياف المملكة العربية السعودية، تحققت بفضل الله -عز وجل- ثم رعاية وخدمة الدولة السعودية الحديثة التي جعلت خدمة الإنسان هدفها الأساسي، فعلمته وطورته وصقلته في شتى الميادين الأهلية والرسمية، المدنية والعسكرية. وبذلت أقصى ما لديها من جهود مادية ومعنوية في تربيته وخدمته في شتى صنوف المعرفة. ولم تقف بلاد السروات وتهامة عند تلك المدارس الحكومية ثم الأهلية العامة التي بدأت قليلة ومحدودة في خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، لكنها وصلت في أعدادها في نهاية القرن نفسه إلى المئات، والطالبات والطلاب الدارسين فيها إلى عشرات الآلاف، ناهيك عن

(١) كل الذي أشرت إليه حقائق تاريخية قرأتها في الكثير من المصادر الأصلية، وعاصرتها وسمعت بعضها من بعض الرواة والأعلام الرواد الأوائل من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). والموضوعات المطروحة في الصفحات السابقة مازالت عناوين مهمة وجديدة جديرة بالدراسات التوثيقية الجادة.

(٢) هذا الذي قرأت عنه، وسمعته وشاهدته خلال الستين سنة الماضية (١٣٨٤-١٤٤٤هـ/١٩٦٤-٢٠٢٣م). وهذا التاريخ التنموي في جنوب البلاد السعودية يستحق أن يُدرس ويوثق في كتب وبحوث عديدة.

الموظفات والموظفين والمعلمات والمعلمين فأصبحت أعدادهم بالآلاف. ثم أنشئت الكليات الجامعيــة مع مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وانتشرت محامدها وآثارها الطيبة إلى كل ناحيــة في البلاد. ومن ثم أصبحت الديار بحاجة إلى جامعة، أو جامعات مستقلة تخدم الأرض والناس علميا، ومعرفيا، وإبداعيا، وثقافيا وتنمويا[1].

في نهايــة العقد الثاني من هــذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وبدايــة العشرينيات من القرن نفســه، كان للكتاب والقلم في بلدان تهامة والسراة تقدما ونجاحا أعمق وأوسع، بعد صدور القرار السامي الكريم بتوحيد فرعي جامعتي الإمام والملك سعود في أبها في جامعة مستقلة، أطلق عليها (جامعة الملك خالد)، ولست في هذا المقام معنيا بكتابة تاريخ تفصيلي لنشأة هذه الجامعة، ثم تطورها من عام (١٤١٩-١٤٤٤هـ/١٩٩٨-٢٠٢٣م)، فذلك موضوع كبير جدا يستحق أن يُوثق ويُدرس في عشرات الكتب والبحوث العلمية، وكان لي محاولة محدودة، فأنجـزت بعض الدراسات القليلة المتواضعة عن هذه الجامعــة الرائدة، وشاركني في ذلك بعض أعلامها ورموزها الذين خدموا التعليم العام والعالي في منطقة عسير وما حولها[2].

في الصفحـات التاليـة أدون بعضـاً مما عرفته وعاصرتـه عن آثار الكتـاب والقلم، أو التعليم على جنوب المملكة العربية السعودية من خلال هذه الجامعة الأولى في بلاد تهامة والسـراة (جامعـة الملك خالد)، ولا أدعي أننـي سوف أوثق كل شيء في هذا الباب، لكنني حاولت أن أشير إلى قضايا وموضوعات عديدة تستحق أن تكون ميدانا بكرا لإجراء عدد من المشاريع والدراسات البحثية الجديدة الجديرة بالاهتمام، وهي على النحو الآتي:

١- كانـت بداية إنشاء جامعة مستقلة في جنوب البلاد السعودية، من المشاريع التنموية الحديثـة التـي تحتمها الظـروف. فالقاعـدة العريضة في مجـال التعليـم والتعلم أصبحـت كبيرة جـدا كما وكيفـا، وتستوجـب مؤسسة (جامعة) كبـيرة تستوعب هــذه التطورات الحضارية الحديثة والمعاصـرة، وإذا كانت أنشئت هذه المؤسسة في أبهـا، فذلك المكان المناسب لتجربة كليات التعليم العالي الطويلة في هذه الحاضرة

---

(١) مـن يدرس كل قطاع تنموي في بلاد السـروات وتهامة خلال المئة سنة الماضيــة (١٣٤٣-١٤٤٤هـ/١٩٢٤-٢٠٢٣م)، يجده بدأ صغيرا متواضعا، ثم كبر وتطور رأسيا وأفقيا حتى شملت خدماته أرجاء البلاد. وهذا الـذي جـرى مع ميدان التربيـة والثقافية والتعليم، الذي يعـد من أهم المجالات، فقد بـدأ بسيطا، ثم زاد وتوسـع حتى شمل التعليم العام والعالي، والتقنـي، والعلمي، والنظري، والصحي وغيره. والكتاب، والقلم، والمدرسـة، والكلية، والمدرس، والأستاذ الجامعي جميعهم كانـوا المصنع الأساسي لرعاية ومسيرة مراحل التعليـم من الروضة والابتدائية إلى الجامعة وما تشتمل عليـه من كوادر بشرية، وخدمات علمية ومعرفية وإبداعية.

(٢) للمزيـد انظر غيثان بـن علي بن جريس. جامعة الملك خالد (١٤١٩-١٤٤٢هـ/١٩٩٨-٢٠٢١م) (الرياض: مطابـع الحميضي، ١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م). الجزء الأول، الدراســات (٥٦٠ صفحة. الجزء الثاني، الشهادات، (٥٥٤صفحة). المؤلف نفسه. شهادات على مسيرة التعليم العالي في منطقة عسير (١٣٩٦-١٤٤٢هـ/١٩٧٦-٢٠٢١م) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م) (٦٠٠صفحة). (الجزء الأول).

السروية، وليس الهدف من تأسيس هذه الجامعة الجديدة خدمة بلاد عسير فقط، لكن الدولة ووزارة التعليم العالي أرادت أن تؤسس منطلقات وركائز رئيسية للتعليم الجامعي في مدينة أبها، ثم تنتشر مسيرة التعليم العالي المؤسسي إلى بقية مناطق جنوب المملكة العربية السعودية. وهذا فعلاً الذي حدث، ففي الأمس القريب كانت كليات فرعي جامعتي الإمام والملك سعود، وكلية التربية للبنات بأبها تستقبل الطالبات والطلاب من جميع قرى ومناطق السروات وتهامة، وبعد تأهيلهم علمياً ومعرفياً ينتشرون في أرجاء الوطن لخدمة الأرض والناس، وحازت بلاد تهامة والسروات على النسبة الكبرى من خريجي تلك الكليات (١٣٩٦ـ ١٤١٩هـ/١٩٧٦ـ ١٩٩٨م). وعلى هذه الجامعة الجديدة (جامعة الملك خالد) أن تبدأ من أبها، ثم تنقل نشاطاتها وآثارها الإيجابية إلى بقية المدن والحواضر والبلدان في مناطق عسير، وجازان، ونجران وغيرها[1].

٢- عاصرت الكثير من جهود التعليم العام، ثم الجامعي في فرعي وكليات الجنوب، كما عملت واشتركت في بناء وتأسيس جامعة الملك خالد، فكان السواد الأعظم الذين قامت على أكتافهم مراحل النشأة والبناء لهذه الجامعة الوليدة هم أولئك الطلاب ثم الموظفون والفنيون والأساتذة وغيرهم الذين تعلموا القراءة والكتابة، ثم الترقي والتطور في مدارس ومعاهد وكليات السروات وتهامة. نعم إن هناك بعض الأعلام والرواد الذين جاءوا من خارج مناطق الجنوب السعودي خلال النهضة التعليمية الحديثة (١٣٥٤ـ١٤٤٠هـ/١٩٣٥ـ٢٠١٩م)، من مديرين، وأكاديميين، وموظفين، وتقنيين، ومخططين وغيرهم وعملوا مع أولئك التهاميين والسرويين لتأسيس وتطوير جامعة الملك خالد، وما خرج من تحت مظلتها من جامعات حديثة في عسير، وجازان، ونجران وغرها[2].

٣- قرأت عن بعض الرواد الأوائل ثم عاصرت الكثير من البناة والمؤسسين الذين قاموا على رحلة الكتاب والقلم، وتأسيس مؤسسات التعليم العام والعالي في البلاد

(١) انني فقط أشرت إلى نقاط عامة عن الكليات الفرعية القديمة في أبها، ثم مجيئ جامعة الملك خالد لتحل محل تلك الكليات، وتقوم بأعمال شاملة لتأسيس وخدمة إدارات، وعمادات، وكليات، وأقسام علمية كبيرة ليس في حاضرة أبها، وإنما تبدأ من هذه المدينة العسيرية، ثم تتحمل المسؤولية العظيمة في تأسيس وتطوير التعليم الجامعي في أرجاء البلدان الجنوبية السعودية.

(٢) أخي القارئ الكريم، إنني أنقل لك بعضاً مما عشته وعاصرته مع مسيرة التعليم الجامعي في بلاد السروات وتهامة من عام (١٣٩٦ـ١٤٤٤هـ/ ١٩٧٦ـ ٢٠٢٣م)، واعلم ـ بارك الله فيك ـ أن هذه النقاط العامة المذكورة في المتن تستحق أن تدرس وتوثق في عشرات الكتب والرسائل الجامعية، انطلاقاً من كليات البنات والبنين في أرجاء البلاد من التسعينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ثم تاريخ الجامعات في مناطق الطائف، والباحة، والقنفدة، وبيشة، وسراة وتهامة عسير، وجازان ونجران من عام (١٤٢٠ـ ١٤٤٤هـ/١٩٩٩ـ ٢٠٢٣م).

السعوديـــة الممتدة من مكة والطائف إلى جــازان ونجران (١٣٥٤- ١٤٤٤هـ/١٩٣٥ - ٢٠٢٣م)[١]. وكانــوا في السابــق مــن خــارج هــذه البــلاد السرورية والتهامية، فمنهــم من جاء مــن داخل المملكة، ومن نجد والحجاز علــى وجه التحديد، ومنهم أساتذة كثيرون متعاقدون قدموا من بلدان عربية عديدة للعمل في المدارس العامة، والمعاهــد والكليات النظرية والعلمية، وكان أغلبهــم من الذكور، وهناك أعداد غير قليلــة مــن النساء. ثــم بدأت أعــداد المتعاقــدات والمتعاقدين تتراجــع حتى اختفوا مــن المدارس الحكومية العامة، ومــازال منهم بعض الأعــداد في الكليات والأقسام الجامعيــة. وتتفــاوت نسبهم من جامعــة أو مكان لآخــر. ففي الجامعــات الناشئة الحديثــة مثل: الطائف، وبيشة، والباحــة، ونجران وغيرها، مازالت أعدادهم أكثر مقارنــة بجامعة الملك خالــد. كذلك وجودهم في كليات المحافظــات والأرياف أكثر مــن الكليــات الرئيسية في الجامعــات الأم بمدن أبها، وبيشــة، والطائف، والباحة، وجــازان، ونجــران[٢]. وعند تأسيس جامعــة الملك خالد، ثم الجامعــات التي تلتها في بلــدان تهامة والسراة، كان أبناء وبنات هــذه البلاد هم من تحمل أكثر الأعمال والمسؤوليــات أثناء النشــأة والبناء. وهذا الجانب الإيجابــي نتيجة للجهود الكبيرة التــي قضوها في تطوير أنفسهم حضاريا وتعليميــا، حتى أصبحوا من صناع القرار في أوطانهم الرئيسيــة وفي مجتمعاتهم، وجامعاتهم، وكلياتهم، وأقسامهم العلمية، وعماداتهــم المساندة، وإداراتهم، وندواتهــم ومؤتمراتهم، ولجانهم المالية والفنية، والتقنية، والأكاديمية، والاجتماعية وغيرها[٣].

٤- إنها حوالي (٢٥) عامــاً (١٤١٩ــ١٤٤٤هـ/١٩٩٨ـــ٢٠٢٢م) عشت وعملت خلالها أستــاذا في جامعــة الملك خالد، وكانت مهنتــي الرئيسية التدريــس والإشراف على

---

(١) معظــم هذه الفترة عشتها، وعملت طالباً ثم أستاذاً جامعياً (١٣٨٤ - ١٤٤٤هـ/١٩٦٤ـ ٢٠٢٣م)، ومازال عنــدي الكثير من السجــلات والوثائق الخاصــة بالحياة العلميــة والتعليمية والثقافية التــي تعود إلى تلك العقــود التاريخية. ولديَّ أيضاً الكثير من الذكريات والأخبار والمشاهدات والتجارب في الفترة نفسها، آمل أن يمد الله في العمر وأخرجها في عدد من المجلدات العلمية التوثيقية .

(٢) قمت برحلات عديدة إلى هذه المناطق والجامعات في أرجاء السروات وتهامة خلال العشرين سنة الماضية (١٤٢٢ــ ١٤٤٣هـ/٢٠٠١ــ٢٠٢٢م). كمــا شاهــدت أحــوال المدارس وإدارات التعليم في عمــوم المنطقة الجنوبيــة (١٣٩٠ـ ١٤٢٠هـ/١٩٧٠ـ ١٩٩٩م). وللأســف أن هذا القطاع التنموي المهم يفتقد إلى دراسات علمية توثيقية رصينة، آمل من كليات وأقسام وأساتذة هذه الجامعات الجنوبية السعودية أن تدعم مراكز بحوثها لدراسة مثل هذه الموضوعات الحضارية المهمة، وهذا العمل من واجباتها الرئيسية.

(٣) هــذا الــذي قرأت عنــه في الكثير من الوثائــق والسجــلات الرسمية عن جامعــات جنوب المملكــة العربية السعوديــة. كما شاهدت وعرفت عشرات الأعــلام والأساتذة والمديرين وغيرهم الذين عملوا وأخلصوا في خدمــة جامعات وكليات السروات وتهامــة منذ عام (١٣٩٦ــ ١٤٤٤هـ/١٩٧٦ـــ ٢٠٢٣م). وأقول أن هناك الكثير من النساء والرجال في هذا المجال، يستحقون أن توثق سيرهم، وما قدموا لدينهم وبلادهم وأهلهم، آمــل أن نــرى بعضــ طالبات أو طلاب الدراســات العليا في هــذه الجامعات التهاميــة والسروية فيدرسون منجزات أولئك الأعلام خلال العقود الخمسة الماضية .

رسائل وبرامج الدراسات العليا بقسم التاريخ في كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية، ثم كلية العلوم الإنسانية، ورأست القسم لمدة عامين ونصف (١٤٢٠ـ ١٤٢٣هـ/١٩٩٩ـ ٢٠٠٢م)، وشاركت، أواشتركت في مجالس ولجان علمية وإدارية عديدة، واتصلت ببعض الكليات، والأقسام، والجامعات داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، وقدمت العديد من الأوراق العلمية في لقاءات، وندوات، ومؤتمرات محلية، وإقليمية، وعالمية. واتصلت بالمجتمع السروي والتهامي وألقيت العديد من المحاضرات العامة في قطاعات مدنية وعسكرية عديدة، وكتبت عشرات الكتب والبحوث العلمية في هيئة، مؤلفات أو دراسات في مجلات علمية وثقافية داخلية وخارجية، كما ذهبت داخل المملكة وخارجها لمدة ثلاث سنوات متفرقة في ميدان التفرغ العلمي، وغيرها من الحياة العلمية التي يصعب حصرها في سطور قليلة، ومن هذه الرحلات والتجاري رأيت أثر الكتاب والقلم على حياة أهلي وقومي في بلدان السروات وتهامة، وأشير إلى شيء من ذلك في البنود التالية:

أ- زادت الهمم وتطورت عند بنات وأبناء مناطق جنوب المملكة العربية السعودية فكنت أثناء تدريس طالبات وطلاب البكالوريوس أجد الكثير منهم يسأل عن كيفية مواصلة الدراسات العليا، ومنهم من يستفسر أيهما أفضل الدراسة داخل المملكة أو خارجها، وحوارات وتساؤلات كثيرة لها صلة بالعلم والتعلم، ورحلة الطلب. والأمور نفسها تجري مع زملائي الأساتذة في الأقسام الأخرى. وهذه الثقافات والسلوكيات تعكس مستوى الوعي المعرفي الذي صار عند الطالبات والطلاب. كذلك وزارة التعليم العالي، والجامعات في الجنوب السعودي، وفي مقدمتها جامعة الملك خالد استشعرت هذا المستوى التعليمي والثقافي الجيدين، فهيأت الظروف للطالبات والطلاب المتفوقين، ومنحتهم الفرص لمواصلة دراساتهم العليا ولم يمر عقد واحد من تأسيس جامعة الملك خالد، إلا صار في كليات الجامعة ثم كليات جامعتي جازان ونجران عشرات المعيدات، والمعيدين، والمحاضرات، والمحاضرين، والبعض منهم نالوا درجة الدكتوراه، وعادوا إلى العمل والبناء في أقسامهم وكلياتهم العلمية. وافتتحت برامج الدراسات العليا في بعض الأقسام بجامعة الملك خالد من بداية العشرينيات في هذا القرن (١٥هـ/٢١م)، ثم زادت وتطورت في الجامعة نفسها، وجامعات السروات وتهامة الأخرى استحدثت برامج التعليم الموازي في الثلاثينيات من القرن نفسه، وتخرج فيها مئات الطالبات والطلاب في عدد من التخصصات، وحصلوا على درجة الماجستير ثم قفل الموازين وزادت أعداد المقبولين في البرامج الرئيسية، وبعض الطالبات والطلاب السرويين والتهاميين ذهبوا إلى جامعات سعودية وعربية وإسلامية

وأجنبيــة، وحصلوا على شهاداتهــم العليا على نفقاتهــم الخاصة. كما فُتح مجــال أوسع وأكبر للابتعــاث الداخلي والخارجي على نفقــة الدولة، عُرف باســم (برنامجٍ خادمِ الحرمين الشريفين للابتعــاث)، وتم ابتعاث عشرات الآلاف ذكــوراً وإناثاً لجميــع المراحل، من درجة الدبلــوم والبكالوريوس إلى درجــة الدكتوراه، والتحق بهذا البرنامج آلاف الطالبات والطلاب التهاميين والسرويين، وعاد أغلبهــم بشهاداتهم الجامعية والعليا، وعملوا في قطاعات كثيرة حكومية وأهلية[١].

ب- مــن يدرس تاريخ كل قســم، أو كلية في جامعــة الملك خالــد، أو الجامعات الأخــرى في السروات وتهامة، فسوف يجــد آلاف الطالبات والطلاب الذين حصلوا علــى شهاداتهم الجامعية، ثم انخرطــوا في رعاية وبناء حضارتهم المحليــة، في كل القطاعــات الاهلية والرسميــة على مستــوى المملكة العربية السعوديــة. والأهــم من ذلــك سيجد بعض أولئك الطــلاب لم يتوقفوا عن مواصلــة دراساتهم العليــا أو إسهاماتهــم في الحياة العلميــة والثقافية من خــلال إبداعاتهــم وأعمالهــم الوظيفية، فأحيانــاً ترى من يكتــب الشعر، أو الرواية والقصة، أو يكتب كتاباً أو يبتكر مبادرة معرفية أو ثقافية أو علمية أو مجتمعيــة [٢]. أما أعضاء هيئة التدريــس في كل تخصص علمي، فلو توقفت مع كل أستاذ سعودي أو غير سعودي في كليات الجامعات الجنوبية السعودية، فســوف أجــد آلاف البحــوث العلميــة المختلفة، التــي تتفــاوت في عناوينها، ونتائجها، وبعض الأعلام المتخصصين في كثير من الأقسام حققوا نجاحات وبراءات واختراعات ومنجزات محلية، أو إقليمية، أو عالمية جيدة[٣].

---

(١) نجــد كمــا يقول (القائل) (شــب عمرو عن الطوق)، حيث صــار هذا المثل جائــزاً أن نطلقة على مسيرة التعليــم العــام والعالي في جنوب المملكــة، ففي عقود معدودة تطور التعليم، وتطــورت مكانة القلم والكتاب بــين النــاس، حتى أصبــح معظم الناس يقــرأون ويكتبون، بــل ترقوا في سلــم المعرفة حتى صــارت أعداد الجامعــات والجامعيــين، وحملة الماجستير والدكتوراه بالآلاف، وهذا فضل كبير من الله عز وجل على هذه الديــار التهاميــة والسروية، ثم الجهود العظيمة التي بذلتها الدولة في تنمية الإنسان معنوياً ومادياً، ثقافياً وحضارياً.

(٢) أشاهد هذا النوع من الطلاب الجادين المبدعين منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وكوني أدرس وأعمل في الجامعة من تسعينيــات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى عام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)، فقد عرفت وسمعت مئات الأساتــذة من خريجي جامعــات وكليات السروات وتهامة الذين لهم نتاج علمــي ومعرفي، وبعضهم صاروا أعلاماً معروفين على مستوى البلاد السعودية.

(٣) اطلعت على مئات البحوث العلمية في مجالات متنوعة، من خلال زياراتي لعشرات الأقسام الأكاديمية في جامعات الطائف، والباحة، وبيشة، والملك خالد، وجازان، ونجران من عام (١٤٢٠ـ ١٤٤٤هـ/١٩٩٩ـ ٢٠٢٣م). وحصلت أيضــاً على عشرات السجلات والوثائــق، والتقارير السنوية عن هذه المؤسسات التعليميــة العالية. وهذا التطور والازدهــار البحثــي والمعرفي لم يبدأ بشكل عملي وجاد إلا منذ نشأة جامعــة الملك خالد (١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ثم تطورت وزادت الأعداد خلال العشرين عاماً الماضية (١٤٢٥ـ ١٤٤٤هـ/٢٠٠٤ـ ٢٠٢٣م).

ج ـ بحثت في سجلات وتقارير جامعات الملك خالد، وجازان، والباحة، والطائف، وعاصرت وشاهدت بعض الأنشطة البحثية والعلمية المختلفة خلال العشرين سنة الماضية (١٤٢٥- ١٤٤٤هـ/ ٢٠٠٤ - ٢٠٢٢م) وخرجت بالعديد من الخلاصات التي أذكر بعضها في الفقرات الآتية:

١- أسماء مئات البحوث العلمية التي أنجزها الكثير من الأساتذة التهاميين والسرويين، وحصلوا من خلالها على جوائز إقليمية وعالمية، أو ترقوا إلى درجتي الأستاذ مشارك والأستاذية في تخصصاتهم الدقيقة. وبعضهم طبعت ونشرت أطروحاتهم العلمية لدرجتي الماجستير والدكتوراه[١].

٢- الكثير من أعضاء هيئة التدريس حصلوا على سنوات التفرغ العلمي، ثم ذهبوا إلى جامعات عربية، أو إسلامية، أو أجنبية وقضوا فيها بعض الوقت لإنجاز مشاريعهم البحثية، وبعضهم اشتغلوا في كليات وأقسام الجامعات التي ذهبوا إليها، وحققوا نجاحات معرفية، وتجارب وخبرات متنوعة، وعند عودتهم إلى كلياتهم الأساسية، نقلوا شيئاً مما تعلموه إلى طالباتهم وطلابهم، وزملائهم في أقسامهم الأكاديمية[٢].

٣- بعد أن صار في بلاد تهامة والسراة العديد من الجامعات الحكومية، وجدت الكثير من المصادر والوثائق التي رصدت العديد من الشركات، والاتفاقيات، والتبادلات المعرفية مع جامعات، وإدارات، أو وزارات، أو مؤسسات وشركات محلية، وإقليمية، وعالمية. واطلعت على العديد من تلك الاتفاقيات المتنوعة في أهدافها، ومخرجاته، لكنها غالبا تحتوي على قدر كبير له صلة بالأوضاع الثقافية، والعلمية والتعليمية، والبحثية. وإذا عرجنا على ميدان اللقاءات، والندوات، والمؤتمرات العلمية الحضارية، فذلك مجال كبير حققت فيه جامعات الجنوب السعودي نجاحات كبيرة وكثيرة، أكثرها عقدت في مقرات الجامعات الرئيسية، وأحياناً في بعض أقسامها، أو كلياتها الفرعية[٣].

---

(١) مازالت جامعاتنا السعودية مقصرة جداً في طباعة الرسائل العلمية الجيدة العربية والأجنبية. وهذا المشروع يستحق الدعم المادي والمعنوي من إدارات الجامعات الرئيسية، ومن مراكز بحوثها العلمية .

(٢) لا يتسع المجال لذكر أسماء مشاريع الأساتذة السرويين والتهاميين الذين عرفتهم وعاصرتهم، واطلعت على منجزاتهم وجهودهم في سنوات تفرغهم العلمي من خلال مجالس الجامعات المحلية، وتقاريرها السنوية ووثائقها الرسمية. وهذا الموضوع، وموضوعات عديدة أشرت إليها في متون وحواشي صفحات سابقة أخرى تُعد مجالات بحثية جيدة، حبذا أن نرى بعض أساتذة أقسام التاريخ والتربية فيدرسونها في هيئة كتب أو بحوث علمية محكمة.

(٣) أكثر من عشرين سنة (١٤٢١-١٤٤٣هـ/ ٢٠٠٠-٢٠٢١م)، وأنا أشاهد وأقرأ وأحضرت العديد من الاتفاقيات، أو الندوات والمؤتمرات التي عقدتها جامعات عسير، وجازان، ونجران. وصدر عنها الكثير من المذكرات أو المجهودات العلمية التي قدمت في بعض اللقاءات والندوات المحلية، أو العالمية. وموضوعات الشركات

٤- أمـا الجهود التقنيـة وتوظيفها في خدمـة المسيرة التعليميـة، وتحقيق بعض التصنيفـات العلميـة العالميـة، وأعمـال الجـودة والتدريبـات والاعتمادات الإداريـة والماليـة والأكاديمية فقـد بدأت وبخطوات محـدودة وبطيئة خلال السنـوات الأولى مـن تأسيـس جامعة الملك خالـد، ثم بذلـت وزارة التعليم العـالي جهودا كبيرة في دعم وتطوير هذا الميـدان المهم، ولم تصل جامعات السـروات وتهامـة إلى بدايـة الثلاثينيات من هذا القـرن (١٥هـ/٢١م) إلا تطـورت الآليـات الماديـة، والكـوادر البشريـة، وأسست ودعمـت الإدارات، والمراكز، والعمادات المسانـدة المتخصصة في الأعمال الرقمية. وعند حلول جائحـة كورونا في بداية الأربعينيات كانت الفرصة جيدة لاستمرار الدراسة والأعمال الجامعية عن بعد، وعند انقشاع هذه الغمة واصلت جميع مؤسسات الدولة تقودها الجامعات في تطوير كل الجوانب والطرق التي تصب في الرفع من قدرات ومستوى التعليم والتدريب التقني الإلكتروني[1].

٥- معظـم توثيقاتي في الورقات السابقـة عن الطالب والأستـاذ، ومؤسسات التعليـم، وهذه البيئـات الرئيسية لمنجزات القلم والكتـاب. لكن التدريب والتعليـم للأفراد والجماعات، أو الإدارات الحكومية والأهلية البعيدة عن وزارات وقطاعات التعليم، حظيت هي الأخرى بالاهتمام العلمي والمعرفي. وعرفـت وشاهدت وسمعت عـن آلاف الأفراد في أرجـاء السروات وتهامة الذيـن نالـوا تعليمهـم في المعاهـد والكليـات الداخلية والخارجيـة، وبعد التحاقهـم بالأعمـال والوظائف الرسميـة والخاصة، حصلـوا أيضاً على دورات تعليمة وتثقيفية وتدريبية في مجالاتهم الوظيفية. بعضها في مقرات الجامعات والمعاهد المحليـة، وأخرى بمؤسسات أكاديمية وعلمية في بلدان عربية وإسلامية وأجنبية[2].

والتبـادلات والمؤتمرات في بلدان السـروات وتهامة خلال الأربعين سنة الماضيـة (١٤٠٢ـ ١٤٤٣هـ/١٩٨٢ـ ٢٠٢١م) جديرة بالاهتمام والتوثيق التاريخي من قبل أساتذة باحثين متخصصين.

(١) أجملـت الحديث عـن تاريخ التعليم الرقمـي الإلكتروني في بلاد السـراة وتهامة. حبـذا أن نرى باحثين جادين يدرسون بدايات التعليم التقليدي في جنوب البلاد السعودي، ثم تطوره حتى صار التعليم والتدريب الإلكتروني من الضروريات في جميع المدارس، والكليات، والجامعات، والإدارات الرسمية والأهلية. وكذلك الجهود التي حققتها الجامعات المحلية في ميدان التصنيفات والاعتمادات الأكاديمية.

(٢) هـذا الذي عاصرتـه وعرفته في إدارات حكومية وأهلية في طول وعرض البـلاد السروية والتهامية. وكانت كليـات فرعـي جامعتـي الإمام والملك سعـود في أبها، ثم جامعة الملـك خالد تقدم طوال العـام الكثير من البرامـج والدورات المتنوعة لمنسوبـي الإدارات الحكومية في مناطق عسير، وجازان، ونجران خلال الفترة من (١٤٠٠ـ ١٤٣٥هـ/١٩٨٠ـ ٢٠١٤م).

لي تجارب شخصية مع دور الكتاب والقلم، وتطوير المستوى العلمي والثقافي والأدبي والفكري والحضاري عند الإنسان التهامي والسروي. كان ذلك من خلال طلابي في مرحلة البكالوريوس عندما كنت أكلفهم بإنجاز بحوث تخرج لها صلة ببلدانهم (أرضاً وسكاناً)، وقد أشرت إلى شيء من ذلك في صفحات سابقة من هذا المبحث. ثم تطور الوضع في برامج الدراسات العليا، ورشحت العديد من العناوين المحلية لطالباتي وطلابي في درجتي الماجستير والدكتوراه، وأنجز بعضهم بحوث علمية قيمة عن موضوعات تاريخية وحضارية عديدة في جنوب البلاد السعودية خلال العصور التاريخية المختلفة[١]. كما اكتشفت الآثار الإيجابية للتعليم والقلم والكتاب على الناس من خلال جمع مواد علمية كثيرة، ثم طباعتها ونشرها في عدد من مؤلفاتي. ولا يتسع المقام هنا إلى سردها أو الإشارة إليها، لكنني أذكر نموذجين فقط من خلال عملين علميين رئيسيين، هما:

أ- موسوعة وثائق غيثان بن جريس الخاصة (١١ مجلداً)، التي قام بفرزها، وترقيمها، وكتابة مقدمتها الأستاذ محمد بن أحمد مُعَبِّر. ومن يطلع على محتوياتها، وفروعها يتأكد له صور كثيرة من جهود وإسهامات العديد من الرموز والأعلام التهامية والسروية، التي أصبحت مستوياتهم التعليمية والمعرفية على قدر كبير من النضج والمسؤولية الثقافية التنويرية[٢].

ب- موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب، التي استغرق إنجازها أكثر من عشرين عاماً، وبلغت حتى الآن (٢٩) مجلداً، وعدد صفحاته حوالي (١٨٠٠٠) صفحة، وهذا المشروع العلمي كشف لي أموراً كثيرة منها:

١- الكنوز العلمية التاريخية والحضارية التي اشتملت عليها بلادنا الواقعة بين حواضر الحجاز واليمن الرئيسية (تهامة وسراة)، ومادة هذه الموسوعة تشمل عصور التاريخ القديم، والإسلامي المبكر، والوسيط، والحديث، والمعاصر. وهناك من قال إن هذه البلاد ليس لها تاريخ، لكن ما تم جمعه

---

(١) لم تكن هذه الشريحة من الطالبات والطلاب محصورة على طالبات وطلاب الدراسات العليا في جامعات السروات وتهامة إنما هناك طلاب آخرون في جامعات سعودية وعربية وأجنبية أنجزوا دراسات علمية عالية، وقد رشحت لكثير منهم عناوين جديرة بالدراسة والبحث العلمي، ونالت القبول في كلياتهم وأقسامهم الأكاديمية. وسوف أسرد أسماء هؤلاء الطلاب وعناوين رسائلهم الجامعية في عمل علمي مستقل في قادم الأيام (بإذن الله تعالى).

(٢) لمزيد من الإيضاح انظر هذه الموسوعة (١١) مجلداً في أكثر من (٦٥٠٠) صفحة، مطبوعة ورقياً ورقمياً على عدد من القنوات والروابط المحلية والإقليمية والعالمية. وانظر أيضاً دراسة عن هذه الموسوعة للأستاذ عبدالكريم عوفي. «قراءة في موسوعة غيثان بن جريس الخاصة (المراسلات والوثائق)». منشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) (الجزء الثامن والعشرون)، ص ٤٠-٩١.

وطباعتـه ونشـره أثبـت العكـس، فالأوطـان السرويـة والتهامية لهـا حضارة ماجـدة، لكـن تاريخها ضاع واندثر مع مرورِ الأزمـان، أرجو أن يظهر في قادم الأيام من يستكمل المشوار الذي بدأت جزءاً منه في هذا العمل الموسوعي، ومن يقوم بذلك، وأتمنى أن تكون مؤسسة أو مؤسسات عليمة بحثية، فقد نطلع على كميات كبيرة من موروث وتراث وحضارة هذه الديار العربية الأصيلة.

٢- لست وحـدي الذي أنجز هذا العمـل العلمي التوثيقي، إنمـا شاركني عشرات الأعـلام التهاميـين والسرويين، من الذكـور والإناث، أيضاً تكـرم علينا بعض الأساتذة السعوديين وغير السعوديين الذين صوبوا بعض أخطائنا، أو استكملوا نواقصنـا العلمية، أو بحثوا في موضوعات وعناويـن جديدة، ومن ثم خرج لنا الكثـير من الأعمال العلميـة المتباينة وأحياناً المختلفة في الـرؤى والأطروحات الثقافية والمعرفية[1].

٣- النـاظر في عناوين ومحتويات هذه الموسوعة، يجد الكثير من الباحثات والباحثين السرويـين والتهاميـين، المتفاوتـين في سنـين أعمارهـم، قـد أدلـوا بدلائهم، وشاركوا بالعديد من الموضوعات التاريخية، والأثرية، والإدارية، والاجتماعية، والاقتصاديـة، والثقافية والعلميـة والتعليمية والفكريـة، والجغرافية، والسير والتراجـم وغيرهـا. وهذا وأيم الله مـن بركات الله - عز وجل - ثـم آثار القلم والكتـاب والتعليم الذي حظيت به بلدان جنوب المملكـة العربية السعودية منذ منتصـف القـرن الهجري الماضـي إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ / ٢٠٢٣م). وعندما وجدت هذه الشريحة من الباحثين والمثقفين وعاءً ثقافياً علمياً معرفياً يحتـوي شيئاً مـن معارفهم وعلومهـم وإبداعاتهم، فلم يتأخـروا من المشاركة والمساهمـات العملية الفعلية. والذي نحتاجـه لخدمة بلادنا وأهلنا، هي النية، ثـم العزيمة والجد والاجتهـاد، ولا يجب أن نبحث عن الكمـال، أو الخوف من الوقـوع في الزلـل والأخطـاء، فذلك وارد، لأن عمـل بني آدم يشوبـه النقص، والكمال لله الواحد القهار[2].

---

(١) لمزيـد مـن التوضيحات عن مباحث هذه الموسوعة، انظر محمد بن أحمـد معبر. فهرس القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الأجزاء: ١-٢٥) (الرياض: مطابع الحميضي،١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م)، (١٢٧صفحة) .

(٢) إن هـذا الجهـد الذي أخذ منـي سنين طويلة، لا ندعي فيـه الكمال والتمام، إنما هـي محاولة فردية، فإن أصبت فهذا فضل من الله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان. وأسأل الله أن يكون من الأعمال الصالحة النافعة التي تكون حجة لي لا حجة عليَّ يوم العرض الأكبر. وصلى الله وسلم على سيدنا وحبيبنا محمد بن عبدالله خاتم الأنبياء وسيد المرسلين .

خامساً: مقتطفات مما عرفته وسمعت عنه، وعاصرته عن أثر الكتاب والقلم على السرويين والتهاميين داخل المملكة العربية السعودية وخارجها:

كان للتعليم في جنوب المملكة العربية السعودية أثر كبير على الفرد والمجتمع، فالاهتمام بالذكور سبق الإناث. وافتتحت مدارس الأولاد النظامية في منتصف القرن الهجري الماضي، تبع ذلك افتتاح المعاهد العلمية والصناعية والكليات الجامعية. ومن بداية الثمانينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م) افتتحت مدارس البنات، تلا ذلك تأسيس مؤسسات تعليمية نسائية أخرى في أرجاء السروات وتهامة. وأصبح الجميع، الطالبات والطلاب، ينهلون العلم من مصادر كثيرة، وتدرج معظمهم إلى المرحلة الجامعي، وما بعدها من شهادات عالية. والكتابة عن تاريخ الكتاب والقلم أو التعليم في مناطق جنوب المملكة خلال المئة عام الماضية (١٣٤٥ـ ١٤٤٤هـ/١٩٢٦ـ ٢٠٢٣م) يستحق أن يُدون في عشرات الكتب والرسائل الجامعية، ومن خلال مسيرتي العلمية داخل المملكة العربية وخارجها (١٣٨٤ـ ١٤٤٤هـ/١٩٦٤ـ ٢٠٢٣م)، هناك بعض الإشارات المختصرة الناتجة عن أثر وتأثير القراءة والكتابة، أو التعليم على شرائح تهامية وسروية عديدة داخل البلاد وخارجها، ومنها:

١- لم تغفل الدولة والمؤسسات التعليمية والحضارية من عنصر المرأة وأهميتها في المجتمع، لذا فتحت لها المجال في ميدان التعليم، وأخذ ذلك عقوداً عديدة حتى أصبحنا نرى المرأة السعودية المتعلمة، والمتخصصة في مجالات علمية كثيرة، وصارت تساهم في بناء بلدها داخلياً وخارجياً. وفي العشرين سنة الأخيرة (١٤٢٤ـ ١٤٤٤هـ/٢٠٠٣ـ ٢٠٢٣م) سمعت وقرأت وشاهدت مئات الأعلام من النساء اللاتي تقلدنا الكثير من الأعمال والمناصب الرفيعة أو القيادية التعليمية، والإدارية، والاجتماعية، والصحية وغيرها، وأثبتن جدارتهن وتميزهن في أداء أعمالهن بصور جيدة ومشرقة[1]. ربما يقول قائل: إن المرأة يجب أن لا تختلط بالرجال في ميدان العمل، أو أن هناك بعض الأعمال والوظائف التي هي من اختصاص الرجال. وأقول أن هذا الكلام حقيقة، لكن المرأة السعودية الناجحة، والمسلمة الصادقة تستطيع أن تشارك وتتميز في مجالات علمية وتعليمية كثيرة مع الحفاظ على حجابها الإسلامي، وقربها من ربها في أعمالها الباطنية والظاهرية، وإذا فعلت ذلك فإنها سوف تفوز بكسب رزقها الحلال في الدنيا، وخدمة دينها وبلادها،

(١) عندما درست الماجستير والدكتوراه في أمريكا وبريطانيا في العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) شاهدت العديد من الفتيات السعوديات اللاتي كن يواصلن دراساتهن في جامعات غربية عالية المستوى. وبعد رجوعي وعملي في ميدان التعليم الجامعي أكثر من ثلاثين عاماً (١٤١٠ـ ١٤٤٤هـ/١٩٨٩ـ ٢٠٢٣م) عرفت ورأيت الكثير من النساء والمبدعات في تخصصاتهن النظرية والعلمية.

كمـا أنها استشعـرت وجودها في هذه الحيـاة، فأصبحت عضواً فاعـلاً في وطنها، محافظة على قيمها ومبادئها الإسلامية الصحيحة[١].

٢- إن الأطفـال شريحة رئيسيـة في المجتمع، فقد أنشئت رياض للأطفال، وحلق لتعليم القرآن من ثمانينيـات وتسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م). شاهدت ذلك في كثير من مدن وحواضر السروات وتهامة، وتخرج في تلك المحاضن المعرفية والتعليمية شباب كثـيرون (ذكوراً وإناثاً)، وصاروا خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) أعضاء ناجحون فاعلون خادمون لدينهم، ووطنهم، وأهلهم[٢].

٣- لم تكـن آثار الكتاب والقلـم الإيجابية محصورة على الطالبـات والطلاب الصغار والكبـار الأصحـاء جسديـا، وعقليـا، واجتماعياً. فقـد كانوا ومازالـوا هم الميدان الرحـب، والقاعـدة العريضة المخدومـة والمعتنى بهـا حكومياً وأهليـا. لكن هناك شرائـح بشريـة صغـيرة حظيت هـي الأخـرى بالاهتمام الكبـير تعليميـا وصحيا واجتماعيا. أنهم الشابات والشباب أصحاب الاحتياجات أو الظروف الخاصة. وقد زرت وشاهدت الكثير من مدارسهم، والخدمات المقدمة لهم ماديا ومعنويا، معرفيا وتعليميـا، اجتماعيـا ونفسيا في مدن وحواضر عديدة في جنـوب المملكة منذ العقد الأخـير في القرن(١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنـا الحاضر(١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م)[٣]. وقد رأيـت العديد منهم أبدعوا وتفوقوا في مستوياتهم التعليمية، وحصلوا على شهادات جامعية داخل المملكة العربيـة السعودية وخارجها، ومنهم من تولى مناصب إدارية وتربوية وتعليمية متقدمة في أرجاء الوطن[٤].

---

(١) لم تقصـر حكومتنا الرشيـدة في رعاية المرأة وخدمتها في شتى الميادين، وعلى المرأة السعودية أن تستشعر هذا الاهتمام الرسمي، والاجتماعي الأهلي من الآباء والإخوان والأسرة والمجتمع، وتبذل قصارى جهودها في الحفاظ على دينها وقيمها وشرفها وقيمتها كإنسانة مسلمة تنتمي وتنتسب إلى بلاد الحرمين، ثم تسير علـى بركة الله في خدمـة بلادها ومجتمعها من خلال التخصصات والمجـالات التعليمية والحضارية التي حققتها في رحلتها العلمية .

(٢) عاصرت وسمعـت ورأيت آلاف الطالبات والطلاب المميزين، الذين بدأوا تعليمهم الأول في هذه المؤسسات التعليميـة النظاميـة. وحسب علمي لا يوجد هناك بحوث تاريخية جادة عـن تاريخهم وما قدموا لبلادهم في بلـدان السـروات وتهامـة، أو في أرجاء المملكة العربيـة السعودية خلال العقود الستـة الماضية (١٣٨٥-١٤٤٤هـ/١٩٦٥-٢٠٢٣م)، آمل أن نرى مؤرخين منصفين يدرسون هذا المجال الحضاري المهم.

(٣) يقـوم على رعاية هـذه الفئة وزارة الشـؤون الاجتماعية بجميع إداراتها وفروعهـا، وتتعاون في تعليمهم مع وزارة المعـارف والرئاسـة العامة لتعليم البنـات سابقا، وحاليا مع وزارة التعليم. وهـذه الشريحة البشرية جديرة بالكثير من الدراسات العلمية التوثيقية .

(٤) أرصـد هـذه المعلومات من خـلال المعاصرة والمشاهـدة والمعرفة لنمـاذج كثيرة من هـذه الشريحة. بل إن بعضهم عرفتهم عن قرب بحكم إقامتي في مدنهم وقراهم الجنوبية السعودية. وجمعت مادة علمية عنهم

٤- ذهب طلابنا إلى خارج بلادنا لمواصلة دراساتهم العليا، وأكثرهم معهم أسرهم، وكان على بناتهم وأبنائهم أن يلتحقوا بالمدارس العربية أو الأجنبية في البلدان التي رحلوا إليها. ومما شاهدته وعرفته في أمريكا وبريطانيا إن الطلاب المبتعثين اتصلوا وتعاونوا مع السفارة والملحقية السعودية وأنشأوا بجهود ذاتية مدارس عربية في المدن التي يعيشون ويدرسون فيها حتى يتعلموا أبنائهم المقررات الإسلامية واللغة العربية، فكانوا يدرسون الأبناء الصباح في المدارس النظامية الأجنبية وفي آخر النهار، أو بعض أيام الأسبوع بما فيها أيام العطلة الأسبوعية يذهبون إلى تلك المدارس الأهلية العربية التي مناهجها هي نفس مناهج المدارس السعودية الداخلية. وكان هناك مدرسة سعودية معتمدة تحت مظلة السفارة السعودية، يدرس فيها بنات وأبناء الموظفين في السفارة والملحقين العسكري والتعليمي، وبعض أولاد المبتعثات والمبتعثين القريبين من مقر تلك المدرسة السعودية[١].

٥- إن التعليم المهني والفني والتقني أحد اهتمامات الدولة، فلم تكن بلاد السروات وتهامة تخلو من هذا النوع من التعليم الذي بدأ في بعض مدن مناطق الجنوب السعودي من العقود الأخيرة في القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكانت بداية هذا القطاع بالمعاهد المهنية، يلتحق بها من ينتهي من المرحلة الابتدائية، ويتخصص الطالبٍ أو الطالبة في حرفة صناعية ومهنية، ويمنح كل طالب مكافأة شهرية، وأحياناً سكن، ويُدعم الخريج بقرض مالي إذا رغب فتح محل صناعي مهني مستفيداً من دراسته وتخصصه، وبعض الطلاب يواصلون دراساتهم الثانوية، وبعد فتح الكليات التقنية للبنات والبنين في أنحاء البلاد (سراة وتهامة)، صار الكثير من الطالبات والطلاب يلتحقون بها، ومن يتخرج فيها بدرجات عالية يستطيع مواصلة دراساته العليا في كليات وجامعات عربية وأجنبية[٢].

في منطقتي عسير وجازان خلال العقود الأولى من هذا القرن (١٤٠٠- ١٤٣٠هـ/١٩٨٠- ٢٠٠٩م)، آمل أن أتمكن في قادم الأيام الرجوع إلى هذه المادة التوثيقية وإصدارها في كتاب أو بحث علمي.

(١) هذا الذي شاهدته في كثير من الولايات المتحدة الأمريكية والمدن البريطانية. أما المدرسة السعودية التابعة للسفارة السعودية فمقرها في واشنطن، ولندن، العاصمتان الرئيسيتان لذينك البلدين الغربيين. كما قرأت عن الوضع نفسه في بقية دول العالم التي لغتها ومناهجها بلغات أجنبية. ويتضح من ذلك أن خدمة الكتاب والتعليم لم تكن محصورة على طالبات وطلاب المملكة في الداخل، وإنما طلاب موظفي الدولة وأبنائها خارج البلاد هم محل الاهتمام والرعية في شتى الجوانب، والخدمات التعليمية الخاصة بلغتنا وتراثنا وتعليم الدين الإسلامي من اهتمامات الدولة الرئيسية.

(٢) عاصرت المعاهد والثانويات الصناعية في مناطق عسير، وجازان، ونجران من تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وتخرج من هذه المؤسسات الفنية والتقنية آلاف الطالبات والطلاب. ثم أنشئت الكليات التقنية خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وقد قمت بجولة على معظم بلاد السراة وتهامة عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) فوجدت الكليات التقنية (للبنين والبنات) منتشرة في كل مكان، وفيها آلاف المسجلين

٦- بـدأت بعض المدارس العسكرية في منطقة عسـير وما حولها مـن النصف الثاني مـن القرن الهجري الماضي، وبعـد تأسيس مدينة الملك فيصل العسكرية في خميس مشيط في بدايـة التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، أنشئت العديد من المدارس ومراكـز التدريب العسكرية، ويوجد اليوم الكثير من المؤسسات التعليمية العسكرية (الحربيـة، والأمنيـة، والحرس الوطني) في مناطـق نجران، وجـازان، وعسير، والباحـة، والطائف. وكل هذه القطاعات لهـا تاريخ يمتد لعقود، وخدماتها تدور في فلك التعليم العسكري، ولا تخلو من مقررات علمية ونظرية متنوعة [١].

٧- عرفـت بلاد تهامـة والسـراة التعلٍيم الأهلي منذ وقـت مبكر، فالكتاتيـب والتعليم في المساجـد كان موجـوداً ومعروفاً في بعض قرى المناطق الجنوبيـة السعودية من قبـل بداية التعليم النظامـي. وكان معظم القائمين على ذلـك التعليم من الفقهاء والمطاوعـة المحتسبين الذين عندهم شيء من القراءة والكتابة. وعند نشأة التعليم النظامي الحديـث تراجعت أهمية الكتاتيب، وبعضها كانـت النواة الأولى لتأسيس العديـد من المدارس النظامية ، وبقي التعليم الرسمي هو السائد في أرجاء البلاد، ومع مطلع هـذا القرن(١٥هـ/٢٠م) بدأت المدارس الأهلية الربحية تظهر في بعض المـدن السروية الرئيسية مثل الطائـف، وأبها وغيرهما، ثم زادت هـذه المؤسسات التعليميـة حتـى صارت منتشـرة في أنحاء البـلاد، وأصبح هناك مدارس أجنبية يدرس فيها بنـات وأبناء بعض الجاليات العربية، والإسلامية، والأجنبية. ثم تطور هذا النـوع من التعليم، وأنشئت كليات أهلية متخصصـة في بعض المعارف والعلوم المختلفة مثل المجالات السياحية، والإدارية، والصحية وغيرها [٢].

مـن الطلاب والطالبات، ومعظم الذيـن يشرفون على تدريسهم وتدريبهـم سعوديات وسعوديين، وتتراوح درجاتهـم العلميـة من البكالوريوس إلى الدكتوراه، بل في بعض الكليات من يحمل درجـة الأستاذية من السعوديين وغير السعوديين .

(١) حبذا ان نرى باحثين جادين يدرسون نشأة وتطور التعليم العسكري في عموم السروات وتهامة من ستينيات القـرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضـر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م)، وحسب علمي واطلاعـي فهذا الموضوع لم يوثق في أي عمل بحثي جاد ورصين.

(٢) هـذا الذي قرأته في بعض الوثائـق التاريخية والسجلات الرسمية، وسمعت الكثـير من الأخبار والروايات التي أشارت إلى بعض الكتاتيب في تهامة والسراة خلال النصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م). أما معظم المدارس والكليـات الأهلية الربحية فقد شاهدت الكثير منها، وزرت بعضهـا خلال العشرين سنة الماضية (١٤٢٤-١٤٤٤هـ/٢٠٠٣-٢٠٢٣م). وكتبت شذرات عنها وبخاصة الموجودة في منطقة عسير. وهذا القطاع الخاص، حسـب علمي، لم يُدرس في أي عمل علمي تاريخـي توثيقي، آمل أن نرى بعض طالبات وطلاب الدراسات العليا في جامعات السروات وتهامة يدرسون هذا الموضوع في عدد من البحوث التوثيقية.

سادساً: مدونة عن القلم والكتاب لأحد الباحثين السرويين. بقلم أ. محمد بن أحمد بن مُعَبّر القحطاني[١].

رأيت أن استعين ببعض الباحثين وأساتذة الجامعات في جنوب المملكة العربية السعودية للمساهمة معي بشيء مما عرفوه عن مسيرة القلم والكتاب في بلاد السروات وتهامة خلال مئة عام (١٣٤٣-١٤٤٤هـ/١٩٢٤-٢٠٢٢م)، عندئذ اتصلت بحوالي (٢٥) شخصية في مناطق عسير، وجازان، والباحة، ومعظمهم زملاء دراسة وعمل، ورجوتهم التعاون معي، لكنهم جميعاً أبدوا أعذاراً مختلفة، ولم يشاركني أحداً منهم[٢]. وفي إحدى المرات التقيت بالأستاذ والباحث الكريم الأستاذ محمد بن أحمد بن مُعَبّر القحطاني، وذكرت له مشافهة الرغبة في التعاون معي في هذا المشروع، فاستحسن الفكرة، ولكن كعادته لم يوافق معي مباشرة، وفي لقاءين آخرين كررت طلبي، فقال: سوف أنظر في ذلك[٣]، وعندما سمعت منه هذه الإجابة رجعت إلى البيت، وكتبت له خطاب في سبع صفحات بخط اليد[٤]، بدأته بالآتي: (أخي المفضال الأستاذ القدير محمد بن أحمد مُعَبّر، الموقر. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: أثناء الحديث مع سعادتكم يوم الإثنين (٢٧/٤/١٤٤٤هـ) بخصوص مشروع بحثي الموسوم بـ: **القلم والكتاب في حياة الناس (١٣٨٠- ١٤٤٤هـ/١٩٦٠- ٢٠٢٣م)**، والذي سبق أن سجلت لي بعض النقاط الرئيسية في هذا المبحث، ومازلت أرجو من جنابكم الكريم، إن تساهم وتكتب لي الذي تستطيع في هذا الجانب، وحبذا أن تكون مشاركتك في عدد جيد من الصفحات حتى أضعها في محور مستقل، أو ملحق في نهاية هذه الدراسة. وفي النقاط التالية، أذكر لك بعض المحاور التي قد تساعد في الاستذكار، وتوارد الأفكار، وهي على النحو الآتي:[٥]). ثم دونت سبع فقرات في سبع صفحات، وكل فقرة تحتوي على بنود

---

(١) الأستاذ محمد مُعَبّر أرسل هذه المشاركة بدون عنوان، فوضعت لها العنوان الموثق أعلاه.

(٢) رحلتي مع جمع مواد علمية من الرواد، والأعلام في شتى المجالات تزيد عن أربعين عاماً (١٤٠٣-١٤٤٤هـ/١٩٨٣-٢٠٢٣م)، ونجحت أحياناً وأخفقت مرات عديدة في تحقيق مطلبي. وكنت دائماً لا أتصل إلا بكل من أعلم أن عنده تجارب وخبرات ومعارف في موضوعات أو مجالات محددة. وغالباً أجس النبض عند من أرغب مساعدته، والبعض منهم يرفض التعاون من أول محاولة، وآخرون يحتاجون إلى تردد في الطلب، وفئة ثالثة يتجاوبون من أول محاولة. وفي مكتبتي العلمية آلاف الخطابات والمدونات التي تدور في فلك هذا المنهج وهذه الطريقة، آمل أن يمد الله في العمل حتى أغربلها ثم أنشرها في بضعة مجلدات. (والله من وراء القصد).

(٣) جميع تلك اللقاءات كانت في الشهور الأولى من عام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م).

(٤) هناك العديد من الخطابات والرسائل المتبادلة بيني وبين الأستاذ محمد بن مُعَبّر، آمل أن أدرسها وأصدرها في عمل علمي مستقل في قادم الأيام (بإذن الله تعالى).

(٥) رأيت النجاح في تحقيق طلباتي العلمية من بعض المعاصرين، ومن خلال التجارب، وما تستوعبه الذاكرة من معارف أو خبرات، أن أتواصل معهم من خلال المدونات والرسائل المطبوعة، أو المكتوبة بخط اليد،

ونقاط عديدة لها صلة مباشرة أو غير مباشرة بالكتاب والقلم[١].

وقـد تجاوب معي الأستـاذ ابن مُعَبّر مشكوراً[٢]، فأرسـل لي مذكرة بخط يده تتكون مـن (١١) صفحة، وأربعة ملاحق[٣]، فأخـذت ملحقين لصلتها الجيدة بالكتاب والقلم، ومـن علمين تربويـين قديرين، هما : (١) الأستاذ محمد أحمـد أنور. (٢) الأستاذ علي بـن حسـن الأسمري[٤]. وهذه المشاركـة أنشرهما كما وصلتنـي في الصفحات التالية : « بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلـين، وبعـد: فقـد قدحت في ذهـن الدكتور غيثان بـن علي جُريس فكـرة لموضوع بعنـوان: القلم والكتاب في حياة النـاس (١٣٨٠ـ ١٤٤٥هـ)، واستكتبني عن الذكريات فيمـا يتعلـق بذلك، ولأن دأبه الاستحثاث والاستعجال فلـم يترك لي المجال في الانطلاق بالكتابة، فكانت هذه الصفحات التي لم أشف فيها غليلي. وأبدأ بقول أبي الفتح البستي :

إذا أقسـم الأبطـال يومـاً بسيفهم ... وعـدوه مما يُكْسـبُ المجد والكـرمْ
كفى قَلَـم الكتّاب مَجْـداً ورفعـةً ... مـدى الدهـر أن َالله أقْسَـم بالقَلَمْ

كانـت بداية الشَّغف بالقلم والدفاتر حين اصطحبني عمي (عون بن محمد معبّر) معـه عام (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م)[٥]. إلى (المدرسة المحمدية) بمدينـة أبها، إذ كان من المعلمين فيها، وعمري إذ ذاك أربع سنوات، وأعطاني نصف قلم رصاص مع دفتر وكتب دراسيـة للمرحلـة الأولى الابتدائية، وحين عدت إلى المنزل بهذا الصيد الرائع بدأت في (الشخبطـة) التـي انتهت بتعلم الحـروف ثم الكتابة والقـراءة، ولم أدخل إلى الصف الأول الابتدائي إلا وأنا اقرأ وأكتب[٦].

ولي تجربـة طويلـة في هذا الباب تزيد عن أربعة عقود، آمـل أن أجمع كل هذه المراسلات وأنشرها في عمل مستقـل، وقـد أذكر بعضهـا في كتابي الذي أعمل عليه منذ زمن، والموسوم بـ : معاناة ابن جريس في جمع شيء من تراث جنوب شبه الجزيرة العربية.

(١) توجـد هـذه المدونة ضمن مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائـق العامة (ق١٥هـ/ج٢٠٢)، ص ١٢١ـ ١٢٧. وضمن الوثائق الخاصة، ج٣١، عام (١٤٤٤هـ)، ص ١٧ـ ٢٣ .

(٢) الأستـاذ محمـد بن مُعَبّر باحث قديـر وكبير، وقد نشرت له عشرات البحـوث العلمية في موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب)، كما طبع ونشر عشرات المؤلفات في مجالات علمية عديدة. (ابن جريس).

(٣) هذه المذكرات محفوظة في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/ج٢٠٢)، ص ١٢٨ـ ١٤٢ . وضمن الوثائق الخاصة، ج٣١، عام (١٤٤٤هـ)، ص ٢٤ـ ٣٨ .

(٤) هـذان الأستاذان عملا بضعة عقود في التربية والتعليم، ومعظمها كانت في بلاد السروات من الطائف إلى نجـران خلال القرنين (١٤ـ ١٥هـ/٢٠م) وصدر عنهما العديد من البحـوث والدراسات العلمية. ومازال في بلادنـا (سـراة وتهامة) مئات الأعلام الذيـن خدموا بلادهم في شتى الجوانـب، ويستحقون أن تكتب سيرهم وما قدموا من منجزات حضارية لدينهم ووطنهم وأهلهم

(٥) تاريخ ميلادي (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) .

(٦) غفـر الله لعمك الأستـاذ عون يا أخي محمد. وقد سمعت وقرأت وعرفـت الكثير من الأعلام الذين بذلوا

وبما أن الحديث عن أثر القلم والكتاب في المدة الواقعة بين عامي (١٣٨٠-١٤٤٤هـ) فإن ذلك يحصر الكلام عن الأقلام المعتادة المعروفة كقلم الرصاص، وقلم الحبر، والقلم الناشف، فقد انتهى استعمال الوسائل القديمة للكتابة[١]. والمحاكم من أكثر الجهات الرسمية التي تتم فيها الكتابة بالقلم الحبر، فسجلات الضبط، والصكوك وغيرها لا تكتب إلا بقلم الحبر السائل[٢]، وكان القلم من ماركة (باركر-٥١) هو الأكثر حضوراً، يليه (باركر-٢١)، ثم غيرهما من الأقلام، وكم كان الكاتب يتعب في التصحيح للخطأ؛ فليس أمامه إلا استخدام (رأس دبوس) أو (الموسى) لكشط الخطأ، وقد يؤدي الكشط إلى تلف ألياف الورق، لأن الحبر السائل يتغلغل في تلك الألياف. ولذلك لا تخلو ثنية (الكوت) من وجود بعض الدبابيس لاستعمالها في الكشط. وبلغ من اعتداد البعض بالقلم كدلالة على العلم بالقراءة والكتابة أن يضع قلماً -أو أكثر- في جيبه وإن لم يعرف القراءة والكتابة أصلاً[٣].

تعد المرحلة الزمنية (١٣٨٠-١٣٩٠هـ/١٩٦٠-١٩٧٠م) غارقة في الأمية، ولاسيما لمن كانت أعمارهم حينذاك فوق الخمسين، لكنها شهدت أيضاً الإقبال ممن أصبحوا من القُرّاء بل الكُتّاب في بعض الصحف والمجلات، ومنهم على سبيل المثالث لا الحصر: (١) عبدالله بن علي بن حميّد. (٢) حسين بن ظافر الأشول. (٣) علي بن حسن الأسمري. (٤) يحيى بن إبراهيم الألمعي[٤].

جهوداً كثيرة في تعليم أبناء بلدانهم وقراهم في أرجاء السروات وتهامة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، حبذا أن نرى باحثات وباحثين يدرسون تاريخ أولئك الرجال الأفذاذ، وماقدموا لديارهم وأهلها من أعمال علمية وتعليمية وتنويرية. (ابن جريس).

(١) من هذه الوسائل: طحن الفحم ثم خلطه بالماء والصمغ ليكون كالحبر. أو استخدام (الهُبَاب) وهو المادة الناعمة التي تلصق في سقوف المطابخ التي يستعمل فيها الحطب كوقود، فيتصاعد الدخان ليكون (الهُبَاب) (ابن معبر).

(٢) تاريخ المحاكم الشرعية وكتابات العدل في جنوب المملكة العربية السعودية، من الإدارات المهمة التي تحتوي أوراقها وسجلاتها ووثائقها مواد علمية تاريخية جديدة تعكس جزئيات كثيرة من حياة الناس في السروات وتهامة. آمل أن نرى مؤرخين جادين يدرسون دور هذه المؤسسات في حفظ شيء من تاريخنا وحضارتنا في العصر الحديث والمعاصر (١٣٤٣-١٤٤٤هـ/١٩٢٤-٢٠٢٣م). (ابن جريس).

(٣) أشكرك يا أستاذ محمد على إشارتك إلى بعض أنواع الأقلام الموجودة عند الأوائل. وتاريخ الخبر والأقلام في السروات وتهامة مواضيع مهمة في بابها خلال القرون الإسلامية المبكرة، والوسيطة، والحديثة، والمعاصرة. أرجو من كلياتنا وجامعاتنا وأقسامها العلمية أن تدعم وتشجع مثل هذه العناوين الجديدة في موضوعاتها. (ابن جريس).

(٤) هؤلاء نموذج من الكُتّاب والمتعلمين في منطقة عسير خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ومازال هناك العشرات أمثالهم في عموم بلاد السروات وتهامة، من مكة والطائف إلى جازان ونجران، وهم جديرون أن تكتب سيرهم ومنجزاتهم في كتب وبحوث ورسائل جامعية عديدة. (ابن جريس).

ارتبط القلم بحياة الناس في عدة اتجاهات، هي: (أ) **التعليم :** فمن هنا تبدأ علاقة الطالب بالقلم، فهو يكتب داخل المدرسة، وفي المنزل، وهكذا حتى حصوله على الشهادة. (ب) **العمل الوظيفي:** ويتطلب القدرة على الكتابة والقراءة. (ج) **العمل التجاري:** لاسيما بعد تعدد السلع وكثرتها، فما يحتاج ضبط عمليات دخولها وخروجها إلى القلم[١].

كان لصاحب القلم المكانة المهمة بين أهله وقبيلته وجيرانه، فهو الذي يكتب الرسائل الصادرة، ويقرأ الواردة، ويدون الوثائق المتعلقة بالحياة الاقتصادية والاجتماعية. وقد يأخذ أجراً على ذلك. بل بلغ الأمر ببعض هؤلاء الكتاب المطالبة بمبالغ كبيرة، ولاسيما في العرائض التي تُرفع لولي الأمر أو للوزراء، وفيها يستعرض هذا الكاتب مواهبة وقدراته في استحضار الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة والأشعار، والعبارات الطنانة[٢].

في بداية التسعينيات من القرن الرابع عشر الهجري كانت بعض الوثائق الصادرة من (إدارة الجوازات والجنسية بأبها)[٣]. بخط اليد، وعلى الورق الذي يسمى (الورق الحجازي) أو (الفرخ) وكل معلومات الوثائق واضحة ولا غموض فيها. ولعل خط (الرّقعة) أوسع انتشارا، ويليه خط (النسخ) فإن لم يكن الخط قريباً من هذين الخطّين فيكون في أدنى حالاته خطاً مقروءاً، وفي هذا الكفاف[٤].

من أبرز من التزم بخط الرقعة (محمد أحمد أنور) و(علي بن حسن الأسمري)، (مرفق نماذج من خطهما). وقلما يخلو جيب من يكتب من قلم حبر أو قلم الحبر الناشف، ولا أذكر أنني تركت حمل القلم يوماً واحداً منذ عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)،

---

(١) غفر الله لك يا أستاذ محمد فقد أشرت إلى ثلاثة مجالات حضارية مهمة، كانت ومازالت من القطاعات التي أثرت في بناء الأرض والناس في مناطق جنوب المملكة العربية السعودية من أربعينيات القرن الهجري الماضي حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م)، وهي غير مخدومة في ميدان البحث التاريخي والتوثيقي، أرجو أن نرى من طالباتنا وطلابنا، والمتخصصين في جامعاتنا المحلية من يعكف على بحثها ودراستها في عدد من البحوث العلمية الجيدة. (ابن جريس).

(٢) الذي أشرت إليه في المتن موضوع مهم وجديد في بابه، آمل أن يدرس في هيئة كتاب، أو رسالة علمية من أحد طلاب أقسام التاريخ في جنوب المملكة (ابن جريس).

(٣) كان هذا هو الاسم لإدارة الأحوال المدنية ٠

(٤) يا أخي العزيز إنها أكثر من ثلاثة عقود، اتنقل في أرجاء السروات وتهامة، وذهبت إلى مكتبات جامعية وعامة في أرجاء البلاد السعودية، والتقيت بالعشرات من الباحثين، ومن لهم صلة بالعلم والتعلم. وزرت عشرات المؤسسات الإدارية، واطلعت على بعض أراشيفها خلال المئة سنة الماضية (١٣٤٣ـ ١٤٤٤هـ/١٩٢٤ـ ٢٠٢٢م)، ورأيت آلاف الأوراق والسجلات والمدونات المكتوبة بخط اليد، ثم بدأت الطابعة تُستخدم في بعض الإدارات من ستينيات وسبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وزاد استخدامها من نهاية القرن الهجري الماضي، ثم دخلت الحاسبات الآلية. وكل هذا النوع من التاريخ والتراث جدير بالاهتمام في أرجاء المملكة العربية السعودية، حفظاً، ودراسة، وتوثيقاً. (ابن جريس) ٠

عـدا أيـام حج أو عمرة. ودخـل القلم في عالم (الأناقـة) أو (الموضة) منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، فيحرص أحدهم على شراء (طقم) يتكون من قلم الحبر. وقلم الحـبر الناشف، ليضعهما في جيبه، وإن لم يستعملهما، وربما اكتفى بقلم واحد. وأختم الحديث عن القلم بهذه الأبيات :

إن يخدم القَلَمُ السَّيْفَ الذي خضعت	**له الرقـاب ودانت خوفه الأمـم**
فالمـوت، والمـوتُ لا شيء يغالبه	**مـازال يتبـع مـا يجـري به القلم**
كـذا قضـى الله للأقـلام مـذ بُريت	**أن السيوف لها، مُذْ أرهِفت، خدمُ[1].**

ندلف إلى الواحة الغيناء، واحة (الكتَاب) والكتابة التي تُعَدُّ من أعظم الاكتشافات والمخترعات، التي حفظت لنا العلوم والتاَريخ، وقد أحسن الشاعر في قوله :

مـامـات قـومٌ إذا أبـقـوا لـنـا أدبـاً	**وعِـلْـمَ دِيـنٍ ولا بـانُـوا ولا ذهـبـوا**

والكلام عن الكتاب وما يتعلق به يدور فيما بين عامي (١٣٨٠-١٤٤٤هـ/١٩٦٠-٢٠٢٣م) أمـا المكان ففـي مدينتي أبها وخميس مشيـط وأحوازهما. كانت لوالـدي (حفظه الله تعـالى) مكتبـة متواضعة في عدد كتبهـا، عظيمة في نظري منذ تعرفـت عليها، وقلبت صفحات كتبها، في نحو عام (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، وقد قيد على بعضهما تاريخ الاقتناء، منها في عام (١٣٧٤هـ/١٩٤٤م)، (١٣٧٧هــ/١٩٥٧م)، (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م)، ولازالت تلك المكتبة الصغيرة ضمن مكتبتي الخاصة، بل هي النواة الأولى لمكتبتي. وبعد الانتقال مـن مدينـة أبها إلى مدينـة خميس مشيط في عـام (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) بـدأت الحياة المفعمـة بعبق الكتب والمجلات، سواءً في المكتبـات الخاصة أم في المكتبات التجارية، أما المكتبـات الخاصـة فمنهـا : (١) مكتبة عمي عبدالله بن محمد معـبر، (كاتب العدل بخميس مشيط). (٢) مكتبة الشيخ سعيد بن عيّاش (رئيس المحكمة الشرعية بخميس مشيط). (٣) مكتبة الشيخ أحمد الأسمري (القاضي بمحكمة خميس مشيط)[2].

---

(١) أشكرك يا أستاذ محمد على الذي ذكرت عن القلم وأهميته، وكنت أتمنى أنك أسهبت الحديث عنه من خلال الحياة والمعاصرة لرحلة الطلب. وموضوع القلم يستحق أن يُدرس في عشرات البحوث العلمية، لكن الذي أشرنا إليه في هذا المبحث، لعله يحرك العقول والشجون عند بعض المؤرخين والباحثين الجادين فيدسون رحلة القلم وآثاره الإيجابية في حياة السرويين والتهاميين منذ قرون إسلامية بعيدة إلى وقتنا الحاضر. (ابن جريس) ٠

(٢) اشكـرك إن ذكـرت نمـاذج مـن المكتبـات الخاصـة في نهايـة القـرن الهجـري الماضـي، وهـذا القـرن (١٥هـ/٢٠ــ٢١م). ومـن يدرس تاريـخ المكتبات الأهليـة أو الخاصة في بلاد السـروات وتهامة من جازان ونجـران إلى حواضـر الحجـاز الكـبرى خـلال العصـور الإسلاميـة المختلفة فإنـه سيجد الكثـير منها، ومحتوياتهـا وأصحابها. وبعض النواحي في هــذه الديار كان فيها مكتبات ثم ضاعت، ولم يكتب عنها، آمل مـن طـلاب البحث العلمي في مناطق الطائف، والباحة، وعسير، وجـازان، ونجران أن يعكفوا على إصدار بحوث علمية عن المكتبات الخاصة خلال القرون الثلاثة الماضية (١٢-١٤هـ/ق١٨- ٢٠م). (ابن جريس).

ومن المكتبات التجارية في مدينة خميس مشيط ما يلي: (١) مكتبة الكواكب، وكانت تهتم بالمجلات. (٢) مكتبة حسنون. (٣) مكتبة باوزير. (٤) مكتبة الأندلس، لصاحبها الصحفي بصحيفة (الجزيرة) ثم رجل الأعمال (ظافر بن نملان) حيث افتتحها عام (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) تقريبا. (٥) مكتبة الوعي الإسلامي. (٦) مكتبة الأزهر، وكانت من أهم واوسع المكتبات التي تهتم بالكتب. (٧) مكتبة العفيف. والغالب في القراءة حينذاك كتب العلوم الشرعية، يليها كتب الأدب من شعر وقصص، ثم التاريخ [١].

في عام (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) بدأت علاقتي بمدينة أبها مرة أخرى حيث التحقت بالمعهد العلمي، وفي تلك المدينة تنشط حركة (الكتَاب) فهناك العلماء والأدباء، وبمعنى أوسع تزدهر الحيا ة العلمية في جميع الفنونَ، ويعتلي (الكتَاب) المنصّة، فهو المصدر الأساسي للعلم والثقافة، وتشاركه في ذلك الصحافة من مَجلات وصحف، مع الندوات واللقاءات العلمية والثقافية، ومن هنا وُجدت المكتبات الخاصة، ولكونها في داخل المنازل فقد اقتصرت فائدتها على أصحابها، ومن يتصل بهم في أضيق نطاق، إلا أن تلك المكتبات أخرجت الكثير من العلماء والأدباء والمثقفين الذين شاركوا في المسيرة العلمية والثقافية بإنتاجهم من الكتب والمقالات، ومنهم على سبيل المثال : (١) زاهر بن عواض الألمعي. (٢) عبدالله بن محمد أبوداهش.(٣) أحمد بن عبدالله التيهاني. (٤) غيثان بن علي بن جريس. (٥) عائض بن عبدالله القرني.(٦)محمد بن عبدالله آل زلفة. (٧) محمد بن عبدالله بن حميّد. (٨) صالح بن علي أبوعرّاد. (٩) علي آل عمر. (١٠) محمد بن عبدالرحمن الحفظي [٢].

وأخذت دائرة (الكتاب) تتسع بظهور المكتباتٍ العامة والمكتبات الجامعية ، ومكتبات المدارس ، فمن عام (١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) تقريباً بدأت وزارة المعارف في انشاء المكتبات داخل المدارس واستمرت في تزويدها بالكتب والدوريات ، وبلغ عدد الكتب في بعض مكتبات المدارس أكثر من (٥٠٠٠) الآف من الكتب وفي عام (١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) أنشئت المكتبة العامة بأبها ، تلتها المكتبة العامة في خميس مشيط عام (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ، ثم

---

(١) المكتبات التجارية حديثة عهد، وإن وجد خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة من عمل في تجارة الكتب في السراة وتهامة، فهم قليلون جداً. (ابن جريس).

(٢) مازال في أرجاء السروات وتهامة عشرات المكتبات الخاصة التي عُرفت من سبعينيات وثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى نهاية العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وعند انتشار التعليم العالي في البلاد، ثم تأسيس الجامعات في عسير، وجازان، ونجران، والباحة، والطائف، عندئذ أصبحت المكتبات عند الناس (ذكوراً وإناثاً)، تقدر بالمئات. وفي العشرينيات وما بعدها من هذا القرن (١٥هـ/٢١م) بدأ الكتاب والمكتبات الرقمية تغزو العالم، وأصبح الوصول إلى الكتب سهلاً، وبدأت الكتب الورقية تتراجع. وأقول إن تاريخ الكتاب في المملكة بشكل عام، وفي بلاد السروات وتهامة بشكل خاص من بداية القرن (١٤هـ/١٩م) إلى الآن من الموضوعات الكبيرة جداً التي يجب الالتفات لها ودراستها في أقسام التاريخ ومراكز البحوث العلمية في وزارتنا وجامعاتنا المحلية. (ابن جريس) ٠

توالى انشاء المكتبات العامة في بيشة ، وسراة عبيدة ، ومحايل ، ورجال ألمع وغيرها ، أما أكبر مكتبة شهدتها المنطقة فهي المكتبة المركزية لفرع جامعة الإمام محمد بن سعود في أبها ، كانت تحتوي على أكثر من (٤٠,٠٠٠) ألفا من العناوين ، كما تضم بعض المكتبات الخاصة ، ومنها: (١) مكتبة محمد علي مَحّلي .(٢) مكتبة أحمد عبيد.

أصبحت المكتبة المركزية الآنف ذكرها ضمن المكتبة المركزية لجامعة الملك خالد في أبها منذ عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م). ولا ننسى مكتبات المعاهد العلمية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية التي كانت عامرة بالكتب التي صقلت عقول الكثير من خريجي هذه المعاهد، الذين أصبحوا في عِداد العلماء والأدباء[١].

أما المكتبات التجارية فلها الدور الهام في سيرورة الكتاب، إذ تتيح لعشاق الكتاب الاقتناء، بل نجد بعض أصحابها يتلمسون حاجة القارئ وميوله العلمية والأدبية؛ فيحرصون على استيراد ما يرغب فيه هذا القارئ أو ذاك، ومن هذه المكتبات: (١) مكتبة دار العلوم، لابن ميمش.(٢) مكتبة الفاروق، للنعمي. (٣) مكتبة تهامة. (٤) مكتبة المؤيد.(٥) مكتبة العبيكان. (٦) مكتبة جرير[٢].

لا ننسى الدور الرائد لنادي أبها الأدبي في إثراء الساحة بالكتب، وإثارة الحراك العلمي والثقافي منذ عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، مع تلك المكتبة التي أفرد لها النادي ذلك المبنى الرائع وأصبحت تحمل اسم (مكتبة الملك عبدالله بن عبدالعزيز). وكنت آمل أن أدون أكثر من هذه الصفحات، وأستمطر الذاكرة، فحال دون ذلك استحثاث الدكتور غيثان، وأسأل الله التوفيق والسداد، (محمد بن أحمد مُعَبّر)، (١٤٤٤/٥/١٠هـ الموافق ٢٠٢٢/١٢/٤م) [٣].

---

(١) أشكرك يا أستاذ محمد أن أشرت إلى مكتبات المعاهد العلمية، ولا أعلم ما الذي حصل لها بعد ضم هذه المعاهد إلى مدارس التعليم العام في الوزارة. كذلك بقية المكتبات الورقية الرسمية والأهلية في أرجاء السروات وتهامة، لأنني زرت بعضها في مناطق الباحة، وعسير، والقنفذة، وجازان، وبيشة، ونجران خلال التسع سنوات الماضية(١٤٣٥ـ ١٤٤٤هـ/٢٠١٤ـ ٢٠٢٢م)، فوجدت أكثرها في وضع غير جيد من حيث التصنيف، والترتيب وخدمة الدارسين والباحثين، والأدهى والأمر أن بعض الوزارات والجامعات أصدرت العديد من القرارات التي تنص على إلغاء عدد من المكتبات المركزية والعامة، وتجميع محتوياتها، أو توزيعها على مؤسسات وأمكنة أخرى.(ابن جريس) ٠

(٢) جميع هذه المكتبات يا أستاذ محمد وغيرها عرفناها وعاصرناها في مناطق جنوب المملكة خلال العقود الأولى من هذا القرن (١٤هـ/٢٠ـ٢١م). ولكل مكتبة تجارية كبيرة في طول البلاد وعرضها خدمات وآثار إيجابية على الناس، وتستحق أن يفرد لها دراسات علمية توثيقية عديدة. أرجو يا أستاذ محمد أن تؤرخ في إحدى دراساتك القادمة للمكتبات التجارية، ومعارض الكتب في حاضرتي أبها وخميس مشيط من عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)إلى وقتنا الحاضر، فهي جديرة بالخدمة البحثية العلمية.(ابن جريس) ٠

(٣) أشكرك يا أخي العزيز الأستاذ محمد بن مُعَبّر عندما تجاوبت معي، وشاركتني هذا العمل المختصر. مع أنني بذلت قصارى جهودي مع أساتذة متخصصين في الجامعات، وبعض الباحثين على أن يتعاونوا معي في هذا المشروع، وجميعهم اعتذروا، ونسأل الله أن يصلح لنا القول والعمل، والظاهر والباطن، وصلى الله وسلم على رسول الله . (ابن جريس).

ولقد أطلت المناظرة بين اسم الأستاذ الحبيشي وبين الموضوع الذي أريده ولو جئت في ذكرى الكتب
بسيط جدا . فما بك شيبة في الحسان قروب . يشيب الشباب فهو صار مشيب .
كان الأستاذ الحبيشي قريبا لشخص [illegible] ولكنه كان المعنى الجليل في اللفظ القليل . وكان
لاختصاره ما يسمى [illegible] التلاقي بينه وبين كبار الطلبة لدينا قبلنا هم كبار لم يبق لهم التعليم
لعدم وجودهم فطلب أن يكون في السنة الأولى من الطلبة فكان ذلك بنا و على رغبته
كان يحفظ كتاب الله وله إلمام بقواعد النحو والصرف وأصول الفقه وهو خريج المعهد العلمي
بمكة ويحب العزلة وفيه انقباض عن الناس ومخلص في عمله . ثم انضم إلينا بعده السيد
أحمد ياجي كمال من أهالي أبها وتبعه محمد أحمد بن صالح من أسعد ثم رغبه الأستاذ علي
المغربي وكان موظفا برسم بالأسواق رغب الالتحاق بالتدريس وكان له خط جميل والإملاء كذلك
فرفعت عنه لمعتمد المعارف بأبها الأستاذ عبد الله [illegible] فرفع الأوراق لمديرية المعارف وجاءت
الموافقة وباشر أعماله معنا مدة ليست بالطويلة . وكان له أخ [illegible] ولد معنا هجرة
في بني شهر حيث تزوج شقيقة المراسل محمد بن صالح وقد تركت المدرسة وهي أربع سنوات والخط
تخرج منه أذكياء ومؤدبون غاية : عبد العزيز بن محمد بن زاهر . إبراهيم علي بن [illegible] عبد الرحمن بن
أبو زوم فايز بن محمد البكري . عبد الرحمن بن خودان . عبد الرحمن جنيدل . محمد بن [illegible] سعد الجبرت
وغيرهم كثير ولا زلت أذكر بالخير تلك الأيام وأصحابها . لما فيهم من شهامة وكرم وحسن خلق
وأنشد مع جرير بن عطية الخطفي بفتح الفاء . ذُمَّ المنازل بعد منزلة اللوى . والعيش بعد أولئك الأيام
كم لا أنسى صداقة الأخ العزيز السيد الشيخ عبد الرحمن بن مشيبان أيام كان يزورني بالمدرسة
وهو كاتب لأمير بارق ابن عبده [illegible] وكان يطلع لزيارة والدة بالنماص وكنت أنا وهو
متقاربين في السن وفي السلوك وفي الاهتمامات ما التطلعات الحياتية ثم انتقل بعد ذلك إلى القضاء
وعين قاضيا بالنماص ثم رئيسا للمحاكم النماص التابعة له . ويشهد الناس أعجب بخلقه ونزاهته
واستقامة لا زال كما هو بعد ذلك العهد الطويل ٥٤ عاما . وكذلك الشيخ إبراهيم الحديثي فقد قضينا
مدة بالنماص أيام كان قاضيا وكنت مدرسا للمدرسة وكنت وهو على دوام الاتصال وهو قاضي بالمحكمة
ثم نقلت إلى الجنوب ونقل بعدي إلى المنطقة وهكذا كما قال الله تعالى إن لك في النهار سبحا طويلا
ونسي هو ولم أنس أنا فقدته بالمحكمة أكراما له وذكرى للأيام الخوالي بالنماص وليس لي دعوى فيما عدا
أوراق طول المدة جعلته بينه [illegible] فما عرضت عنه وعليه تقيا ورعا ويذكر الله على الدوام ومعتزما بالصدق

نموذج من خط
محمود أحمد أنور



ص٢

الرئيسية » التي انطلق منها فكرنا المعاصر .. حيث احتل ولفترة لا يستهان بها لدى قطاع واسع كبير من المثقفين لا تخطئه العين . أو تسقطه الذاكرة مركزاً بارزاً . إن لم يكن مركز الصدارة الوحيد بين هذه النقاط والمحطات الحديثة . ونعني بهذه الفترة تقريباً من بداية القرن الميلادي الحالي إلى عهد قريب . ولسنا بصدد حصر هذه « المراكيز » وتعيين « أقدمها » وتاريخ « ميلاده » ولا « رواده » لافتقارنا لعناصر . الإحاطة . والشمول والعمق . في هذا الموضوع . غير أننا سنحصر الحديث عن الخلفيات . والحوافز . والمغريات . التي اجتمعت فكانت أقطاب جذب . لهؤلاء المثقفين . استطاعت أن تفرض « المركاز » ليصبح من خلال هذه الفرضية . أحد القواعد التي انطلق منها فكرنا . وأدبنا العربي المعاصر . ليس مجرد وعاء . وقاعدة إنطلاق فحسب بل وعدت لدى البعض . وبسطت له من الظلال . في حناياه وأبعاد . ومضامين هذا الأدب . لدى كثير من أدبائنا . ومفكرينا في العصر الحديث . ما يضاهي . إن لم يفق « مكانة . الناقة . والدمن . والأطلال . لدى رواد أدبنا العربي الجاهلي القديم . وبتجديد أكثر دقة . ومباشرة . نتساءل .. لماذا كان « المركاز » أحد هذه المحطات . التي انطلق منها . الفكر . والأدب . والفن . في عصرنا الراهن . ؟ وأحد العوامل الرئيسية في تغيير إطار حياة الناس العامة .. حتى أصبح أحد منابر الرأي في العصر الحاضر بمختلف . قوالبه . وأشكاله . وتوجهاته وتقودنا نزعة الشمول . ولو من باب تسليط الضوء الخافت . عبر لغة مقتضبة خاطفة إلى تقرير حقيقة بروز « المركاز » كظاهرة عامة في حياة الناس « اليومية » في جميع أنحاء وطننا العربي الكبير . وبخاصة في المدن . بصرف النظر عن إختلاف وظائفه وتباينها بين مجتمع وآخر نتيجة لتغيرات . وافرازات المناخ العام . بكل وجوهه السياسية . والاجتماعية . والثقافية . التي يتبلور من خلالها القالب المعيشي لحياة هذا المجتمع .. أو ذاك .. غير أن حرصنا الشديد على طاقة القارئ .. الذهنية . والزمنية . يفرض علينا تجنب متاهة التفريعات . والتشعب . في هذا الموضوع وإذاً فسنقصر حديثنا عن « المركاز المصري » إذ يقودنا « الإيجاز » فحسب للتسليم بجهد المقل في الإجابة على هذا السؤال .. ! ؟ ؟

نموذج من خط
علي بن حسن الأسمري

رابعاً: لمحة من تاريخ المواصلات، والاتصالات، ووسائل التواصل في تهامة والسراة. (قراءات، وذكريات، وانطباعات). بقلم. أ. د.غيثان ابن علي بن جريس.

إن كل المحاور الثلاثة المشار إليها في الفهرست أعلاه، موضوعات كبيرة جداً، وعنها دراسات محلية وإقليمية وعالمية، لكن الذي سوف أوثقه بعضاً مما قرأته أو سمعتها و شاهدته في بلاد السروات وتهامة خلال المئة سنة الماضية (١٣٤٣-١٤٤٤هـ/ ١٩٢٤-٢٠٢٢م)، ولن آت على كل شيء حصل في هذه البلاد عن هذه الموضوعات، لكنني سوف أرصد بعض الشذرات التي قد تساعد مؤرخين وباحثين مستقبلين يدرسون هذه المجالات في أعمال تفصيلية وشاملة [١].

أولاً: ورقات من تاريخ المواصلات:

تجولت في ربوع السروات وتهامة، ووقفت على كثير من جبالها، ووهادها، وأوديتها، ومدنها، وقراها، وبواديها، وسهولها، وسواحلها، ومرتفعاتها. كما قرأت عنها في الكثير من المصادر والمراجع، وعرفت مقتطفات من حضارتها الاجتماعية والاقتصادية، وبعضٍ أسواقها الأسبوعية، وطرقها ومسالكها الصغيرة والكبيرة. وكانت جميع دروبها قديماً صغيرة ومحدودة في مساحاتها، وأطوالها، وأهدافها. فهناك طرق طويلة تربط بين أجزائها الكبيرة، وتصلها بالبلدان التي حولها، وهذا الصنف من الطرق ذُكرت بعضها عند الرحالة والجغرافيين المتقدمين والمتأخرين [٢]. أما الطرق الثانوية أو الفرعية التي تربط بين منازل القرية الواحدة، أو القرى أو المناطق المجاورة. أو العقبات (الطرق) التي تصل بين أعالي السروات وسهول وسواحل تهامة فهي كثيرة جداً، وأهل البلاد هم

---

(١) إن الميادين المذكورة في هذا المحور موضوعات حديثة، تؤرخ لبلاد عاشت قرون عديدة غير مخدومة من حيث حفظ تاريخها وتراثها وموروثها الحضاري. وإذا كانت قد حظيت بالرعاية التنموية الحديثة، إلا أنها عانت في البداية لصعوبة تضاريسها، وتنوع تركيبتها البشرية، وتباينِ مواردها الطبيعية.

(٢) من يطلع على كتب الجغرافيا، والرحلات، والتاريخ قديماً وحديثاً فإنه يجد فيها ذكراً لبعض الطرق الرئيسية التي تخرج من اليمن والحجاز، وجميعها تجتاز بلاد السراة وتهامة. كما يسمع عن طرق تصل شرق ووسط شبه الجزيرة العربية مع سواحل البحر الأحمر الشرقية، وغيرها من الدروب التي تربط المدن الكبيرة بما حولها.

من سلكها، وقام على ترسيمها وصيانتها[١].

منذ العقد الأخير في القرن الهجري الماضي، والعقود الأولى من هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠ـ٢١م)، قرأت مئات الوثائق المحلية التي أرخت لقبائل، وقرى، ومدن عديدة في تهامة والسراة، وسرت في مناكب جبال السروات وسفوحها الشرقية والغربية، وتنقلت في بلدان عديدة في سهول وسواحل تهامة، وخرجت بالعديد من المشاهدات والانطباعات التي لها صلة بالطرق ووسائل النقل في هذه الأوطان، أذكر بعضها في الصفحات الآتية :

١- كانت جميع الطرق قديماً محدودة في كل إمكاناتها، يسلكها الناس مشياً على الأقدام، ووسائل نقلهم الرئيسية الحمير، والبغال، والجمال، وقليلاً جداً من يمتلك الخيول،ولا توجد غالبا إلا عند الأمراء، والأغنياء، والوجهاء، وبعض شيوخ القبائل وأعيانها. وحياة الناس في الحواضر الكبيرة أفضل من القرى والأرياف والبوادي. والجمال التي هي عماد نقل الأحمال بجميع أنواعها توجد في كل مكان، لكنها تكثر في الأجزاء الشرقية لبلاد السروات، الممتدة من نجران وقحطان إلى بيشة وتربة والطائف[٢].

٢- قرأت في الكثير من وثائق القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، ورأيت التجار وأبناء البوادي والقرى والقبائل الذين كانوا يذهبون في طرقهم البرية المتواضعة إلى مزارعهم، أو أسواقهم الشعبية، أو ينتقلون من مكان لآخر لممارسة بعض الحرف المحلية مثل: الرعي، أو الزراعة، أو الصيد، أو الجمع والالتقاط. وكان هناك تجار يجلبون

---

(١) من يجتهد في جمع بعض التواريخ والتفصيلات عن أرض وسكان السروات وتهامة منذ عصور ما قبل الإسلام إلى منتصف القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، يجد أن كل البلاد كانت تحت هيمنة قبائلها وعلى رأسها الشيوخ والأعيان في كل قبيلة أو عشيرة، فهم أصحاب الحل والعقد في قراهم وأريافهم وبواديهم. وإن كانت ظهرت حكومات وإمارات في بعض النواحي، فالقبيلة هي الأساس في حماية واستمرارية تلك القوى السياسية والإدارية. ونقرأ في كتب التراث والمخطوطات والوثائق والمراجع بعض الحروب والصراعات التي جرت في هذه الديار، وكيف كانت طرقهم وعرة وبدائية وغير آمنة، لما يقع عليها من اعتداءات لعدم وجود سلطة عامة تفرض حياة الأمن والاستقرار في أرجاء البلاد. وتاريخ الفوضى وصراعات القبائل والاعتداءات المستمرة خلال القرون الإسلامية المبكرة، والوسيطة، والحديثة حتى بداية النصف الثاني من القرن (١٤هـ/ ٢٠م) من الموضوعات المهمة والكبيرة والجديرة بالدراسة في عشرات البحوث العلمية.

(٢) هذا الذي أشارت إليه بعض المصادر التاريخية، وذكرته بعض الأقوال والروايات الشفهية المحلية.كما شاهدت ذلك خلال العقدين الأخيرين من القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، فكان أهل البوادي الشرقية للسروات يملكون آلاف الجمال، مع عشرات الآلاف من الضأن، وأحياناً تقل الأمطار في بلادهم فيرحلون إلى أعالي السروات بحثاً عن الكلأ والماء، وغالباً يحدث الكثير من الصراعات والخصومات بين أولئك البدو وأهل السراة المستوطنين في مزارعهم وقراهم بالمناطق الممتدة من أبها وخميس مشيط إلى تنومة، فالنماص، ثم الباحة حتى الطائف. ومن يقوم على دراسة تلك الرحلات البدوية وصداماتهم مع السرويين أصحاب الحرث والعقار خلال القرنين (١٣-١٤هـ/ ١٩-٢٠م) فإنه سوف يخرج لنا دراسة علمية جديدة في أبوابها ومعلوماتها.

بعض التجارات من قراهم وبواديهم إلى الأسواق الأسبوعية المنتشرة في كل مكان، وبعض التجار الآخرين يذهبون إلى مدن الحجاز الكبيرة، أو سواحل البحر الأحمر الممتدة من جدة والقنفذة إلى عدن لجلب بعض السلع المطلوبة في أسواق السرويين والتهاميين. وكانت جميع الطرق صعبة المسالك لوعورة تضاريسها، ودوابهم ووسائل نقلهم ليست أحسن حالاً من دروبهم البدائية[١].

٣- لو درسنا تاريخ بعض الحواضر الرئيسية في السراة وتهامة، مثل: بلدان نجران، وخميس مشيط، وبيشة، والطائف، وسروات زهران وغامد وتهائمها، والقنفذة، ومحايل عسير، ورجال ألمع، وأبها، وصبيا، وجازان، وأبوعريش وغيرها نجد ضمن جغرافيتها أسواق شعبية أسبوعية كبيرة، وبين هذه المدن وما حولها من قرى وأرياف تبادلات تجارية وصلات حضارية، وطرق المواصلات القديمة هي القاعدة الأساسية التي يجوبها الناس في ذهابهم وإيابهم من وإلى تلك المدن والقرى والمستوطنات البشرية[٢].

٤- قضيت معظم حياتي في بلاد السراة، وعرفت شيئاً من الصلات بين السرويين والأجزاء البدوية الشرقية، والنواحي السهلية الساحلية التهامية. وكانت الطرق بين هذه المناطق الثلاث صعبة جداً، وهي إلى المناطق التهامية أشد وعورة، وكل من يذهب من السراة إلى تلك المناطق، أو من يفد إلى السروات، ومن كل الجهات يسير مشياً على الأقدام، وتستخدم الدواب في الركوب وحمل الأثقال. وقد مشيت مع بعض الطرق القديمة إلى الشرق أو الغرب في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، فكانت الطرق بين تهامة والسراة شديدة الانحدار ومن يسير على قدميه فعليه أن يمشي ببطء ويكون حذراً من السقوط، أو يتعرض لبعض الأذى الجسدي لصعوبة المسالك ووعورتها[٣]. أما الطرق بين السراة والنواحي الشرقية، فهي لا تخلو من

---

(١) هناك بعض طالباتي وطلابي في دراسة الماجستير والدكتوراه أنجزوا أطروحاتهم العلمية في تاريخ التجارة في اليمن، أو الحجاز، أو السروات وتهامة، أو موانئ البحر الأحمر الشرقية والغربية وذكروا بعض الطرق الرئيسية التي تربط بين هذه البلدان، ووسائل النقل القديمة التي كانت سائدة في قرون ماضية. وبعض هذه الرسائل جديرة بالطباعة والنشر.

(٢) عملت في وظيفة أستاذ جامعي (٤٤) عاماً، ودرست وأشرفت على عشرات البحوث والرسائل العلمية، وأجد أن هذه المستوطنات البشرية المتناثرة في بلدان السروات وتهامة لها تاريخ قديم ووسيط وحديث، لكنها لم تخدم بشكل جيد حتى الآن (١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م) في ميدان الدراسات التاريخية الحضارية الجيدة، آمل من المؤرخين والباحثين السرويين والتهاميين أن يخدموا أوطانهم من خلال أعمالهم البحثية الجادة.

(٣) أتحدث عن تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكانت السيارات وطرقها قد وصلت إلى أماكن كثيرة في السروات وتهامة. أما المنحدرات الغربية للسروات فمازالت معظم البلدان بين السراة وتهامة مسلوكة

الصعوبة، وبدأت السيارات تصل من الطائف وبيشة إلى حواضر السروات ومدنها، مثل: الباحة، والعلاية، والنماص، وأبها، وخميس مشيط وغيرها(١).

الكتابة التاريخية التوثيقية عن طرق المواصلات ووسائل النقل القديمة في بلدان السروات وتهامة موضوع كبير وطويل، وحسب علمي لا يوجد عنه بحوث علمية مطبوعة ومنشورة، لا قبل الإسلام، أو خلال القرون الإسلامية المبكرة، والوسيطة، والحديثة حتى بدايات القرن (١٥هـ/٢٠م). وإذا كانت بعض الكتب والرسائل الجامعية أشارت إلى سطور أو فقرات محدودة في الزمان والمكان، فتلك جهود طيبة مباركة، لكننا نتطلع إلى دراسات موسوعية تفصيلية في هذا الميدان، ومن يقوم بذلك فسوف يجد مواد علمية حضارية متنوعة عن حياة الناس في هذه البلاد القديمة الغنية بتاريخها وحضارتها الطبيعية والبشرية(٢).

أما المواصلات الحديثة (طرقاً، ووسائل نقل)، فتذكر بعض الوثائق والسجلات العربية والعثمانية إلى أن الإمبراطورية العثمانية مدت نفوذها إلى شبه الجزيرة العربية منذ القرن (١٠هـ/١٦م)، وغالباً كانت إلى الحجاز، وبعض بلدان اليمن الرئيسية، والكثير من وسائل نقلها آنذاك (١١-١٤هـ/ق١٧- ٢٠م) السواعي والسفن البحرية المتنوعة في أحجامها، ومواد صنعها، وأهدافها(٣). وعُرفت العديد من موانئ البحر الأحمر الشرقية القديمة، الممتدة من أقصى الشمال إلى الجنوب، ومنها جدة، والشعيبة، والليث، والقنفذة، والبرك، والقحمة، والشقيق، والدرب، وبيش، وجازان وغيرها(٤).

بطرق بدائية، يسير الناس فيها مشياً على الأقدام، ما عدا عقبة ضلع في أبها، وعقبة شعار، وعقبة المخواة كانت تحت التخطيط والعمران.

(١) تاريخ طرق المواصلات في هذه البلدان وصلاتها ببلاد بيشة وحواضر الحجاز الكبرى (الطائف، ومكة المكرمة، وجدة) خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوعات جديدة في عناوينها، وتستحق أن تدرس في عدد من الكتب والرسائل الجامعية.

(٢) حديثي في هذه الورقات عن وسال النقل التقليدية، وطرق المواصلات القديمة في أجزاء من جنوب شبه الجزيرة العربية، ألا وهي بلاد السروات وتهامة الواقعة بين حواضر اليمن والحجاز الرئيسية. ومعظم هذه الديار من البلدان المنسية أو الشحيحة في موادها التاريخية الحضارية المكتوبة منذ عصور ما قبل الإسلام إلى القرن (١٢هـ/١٨م) وبعد ذلك التاريخ. نجد بعض العلم والتراث المدون، ومازال هناك في مجالات كثيرة تستحق الاهتمام العلمي البحثي.

(٣) هناك عشرات الكتب والبحوث العربية والأجنبية التي أرخت للطرق البحرية، والسفن الحربية، والتجارية، والسياحية منذ عصور ما قبل الإسلام إلى وقتنا الحاضر. والبحر الأحمر من الممرات المائية العالمية التي تربط بين الشرق والغرب، وله تاريخ طويل ومتنوع وبخاصة في الأنشطة التجارية، وأنواع البواخر العربية والإسلامية والأجنبة التي تسير من خلاله، وترسو على بعض موانئ تهامة مثل: جدة، والشعيبة، والليث، والقنفذة، والبرك، والشقيق، وبيش، وجازان وغيرها.

(٤) صدرت بعض البحوث، والكتب، والرسائل الجامعية التي أشارت إلى شيء من تاريخ هذه الموانئ وحضارتها قبل الإسلام وبعده. وكانت الكثير من السفن الشرقية والغربية ترسوا في هذه الموانئ، ومنها البواخر التجارية الاقتصادية، وأخرى حربية وعسكرية. وقد قضيت بضعة شهور أبحث وأجمع كل الدراسات

الحديـث عـن موانـئ تهامة من جـدة إلى جـازان ليس مجـال اهتمامنـا في هذه الصفحـات، إلا أنهـا معروفة ومستخدمة مـن قبل التجار والسفـن المتنوعة التي ترسو علـى شواطئهـا منذ عصور قديمـة. وتذكر بعض المصـادر والمراجـع إلى أن الوافدين إليهـا في العصر القديم والإسلامي كانوا يتصلون أحياناً بالسكان التهاميين الساحليين المحليين، ويتبادلون معهم بعض المناشط الاجتماعية والاقتصادية، وأحياناً كانت تصل إلى هذه السواحل قوى سياسية وعسكرية عربية، أو إسلامية، أو أجنبية، وتحدث بعض الصدامـات أو الصلات السلبية أو الإيجابية. وهنـاك لفيف من الأخبار والروايات التي أشـارت إلى وصـول كثير من القـوى أو الجيوش الخارجية التي نزلـت في عدد من تلك الموانئ، ثم سلكت بعض الطرق البرية، وواصلت حروبها واعتداءاتها على أرض وسكان مناطق داخلية عديدة في البلدان السروية والتهامية[١].

البـاحـث في مصادر ومراجع التاريخ العربـي الإسلامي المبكر، والوسيط، والحديث. يجـد أن كل القوى السياسية الخارجية التي وصلـت إلى شواطئ البحر الأحمر الشرقية، مـن الشعيبة إلى جـازان، كانت لا تتغلغل كثيراً في بلاد تهامة والسراة، فالمصادر لا تشير إلى شـيء من ذلك منـذ عصر الدولة الأمويـة إلى فترة العهد المملوكـي، وإن كانت تلك الحكومات دول إسلامية كبيرة ترى من حقها أن تدخل الحجاز، والسروات وتهامة، واليمن تحت سيطرتهـا، والذي يهمها بالدرجـة الأولى المدن المقدسة (مكـة والمدينة)، والموانئ البحريـة لما تجنيه من هذه النواحي من فوائد ماديـة ومعنوية، وتركت الداخل (السروي والتهامية) لأهله من العشائر والقبائل الكثيرة التي هي الحاكم الفعلي لبلادها[٢].

في عصـر الدولة العثمانيـة، وبخاصة في القرنـين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، اختلف الأمـر بالنسبة للسروات وتهامـة، وبعد قيام الدولة السعوديـة الأولى في نجد (١١٥٧-

---

العربيـة وغير العربية التي وثقت شيئاً من تاريخ وحضارة هذه البلدان، وغيرها على شاطئ البحر الأحمر الشرقـي، ووجدت بعضاً من هـذه الأعمال العلمية على مستوى جيد توثيقيـاً وتحليلياً، لكن الموانئ الممتدة من الشعيبة إلى جازان والطوال (الموسم) مازالت بحاجة كبيرة إلى دراسات علمية عميقة ورصينة خلال العصر القديم، والقرون الإسلامية المختلفة. ومعظم البحوث التي صدرت حتى الآن عن هذه النواحي تدور في فلك التاريخ الحديث وبخاصة في القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) .

(١) أخـي البـاحـث أو القارئ أنني فقط أشرت إلى نقاط مهمة ورئيسيـة عن موانئ البحر الأحمر الشرقية من جـدة والشعيبـة إلى جـازان والموسم. لكن الذي نتطلع إليـه هو صدور دراسات تاريخيـة جادة وجيدة عن الأثر والصلات السلبية والإيجابية بين هذه الموانئ وبلدان السروات وتهامة الداخلية، وليس هناك، حسب علمي، أعمال توثيقية رصينة في هذا الباب خلال القرون الإسلامية المختلفة (ق١- ق١٤هـ/ق٧- ق٢٠م).

(٢) هـذه خلاصـة تاريـخ وحيـاة النـاس السياسيـة في البلاد السرويـة والتهامية مـن القرن الهجـري الأول إلى القـرن الثـاني عشر. ومن المؤكد أن الحياة التاريخية والحضارية لسكان هـذه البلاد الداخلية مليئة بالأخبار والأحـداث (الاجتماعيـة، والاقتصاديـة، والمعرفية، والصراعـات والحروب الأهليـة)، إلا أن مدوني التراث العربي والإسلامي الأوائل، لم يصلوا إلى هذه الأوطان، ولم يوثقوا شيئاً من تراثها، وتاريخها، وحضارتها.

١٢٣٣هـ/١٧٤٤ـ ١٨١٨م)، وإمارة المتاحمة في عسير(١٢١٥ـ ١٢٣٣هـ/١٨٠٠ـ ١٨١٨م)، عندئذ قررت الامبراطورية العثمانية أن تمد نفوذها على الأجزاء الداخلية التهامية والسروية، وبقيت في حروب وصراعات طويلة من بداية القرن (١٣هـ/١٩م) إلى ثلاثينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وصدرت بعض الأعمال العلمية المحدودة عن تلك الفترة وأحداثها التاريخية، ومازال هناك الكثير من المخطوطات والوثائق العثمانية والأجنبية الجديدة التي تشتمل على مواد تاريخية وحضارية متنوعة لها صلة بتلك الحقبة، وما جرى على البلاد السروية والتهامية من تحولات سياسية وحضارية [١].

في النقاط التالية أذكر بعض المدونات والحقائق التي لها علاقة بموضوع المواصلات البرية خلال القرن (١٣هـ/١٩م) والنصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وهي على النحو الآتي:

أ ـ مازالت الطرق الداخلية في أرجاء تهامة والسراة بدائية تقليدية في حزونها، ومحطاتها، ومسالكها، إلا أن الجيوش العثمانية جلبت معها الكثير من المدافع، والآلات المختلفة التي استخدمتها في حربها ضد السرويين والتهاميين. وكان القادة والجيش العثماني يعاني كثيراً في نقلها أو سحبها ببعض الدواب وبخاصة الجمال [٢].

ب ـ أثناء رحلاتي في السروات وتهامة خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠ـ٢١م) شاهدت ووقفت على دروب وطرق في تهامة، أو السراة، أو عقبات (طرق) تصل بين المرتفعات السروية، والبلدان السهلية والساحلية التهامية، ومعظمها من أعمال العثمانيين، أثناء حروبهم وسيطرتهم على حواضر وبلدان عديدة في تهامة والسراة، وبعض تلك الطرق، أو العقبات (الطرق) مازالت تعرف باسم بعض الأعلام أو القادة العثمانيين الذين بذلوا جهوداً كبيرة في إصلاحها وصيانتها [٣].

ج ـ سمعت الكثير من الروايات، وقرأت في بعض الكتب أو الوثائق المنشورة وغير المنشورة، أن العثمانيين كانوا يستعينون ببعض السرويين والتهاميين الذين يساعدونهم ويدلونهم على الأماكن والمسالك السهلة التي تستطيع من خلالها أن

---

(١) آمل أن تجمع وثائق تلك الفترة من الأرشيف العثماني، ومن دور الوثائق العربية، والإسلامية، والأجنبية التي كان لها صلات مع بلدان تهامة والسراة خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م)، ثم تترجم وتدرس وتطبع وتنشر.

(٢) هناك العديد من الدراسات والكتب التي صدرت عن تاريخ الحياة العسكرية والجيوش العثمانية في العالم الإسلامي وغيره من البلدان الأخرى الأجنبية. وحسب علمي أن التاريخ العسكري للعثمانيين في تهامة والسراة، وأنواع معداتهم، وآلاتهم وأسلحتهم غير مدروسة، وتستحق أن توثق في عدد من الكتب والرسائل الجامعية .

(٣) هذا الذي شاهدته وعرفته أثناء جولاتي في مناطق الطائف، والباحة، وعسير، وجازان. وبعض هذه العقبات أو الطرق التي أسسها العثمانيين في القرن (١٣هـ/١٩م) وبدايات هذا القرن (١٤هـ/١٩ـ٢٠م) تستحق أن تدرس في عدد من البحوث العلمية .

تسـير جيوشهم، ودوابهـم، ومعداتهم العسكرية وغيرها. وكانـوا يشترون أو يؤجرون الكثير من الحمير والجمال المحلية التي يستخدمونها في نقل بضائعهم، أو أغراضهم وأدواتهم المدنية والعسكرية، وكانوا يبذلون قصارى جهودهم في تأمين حماية الطرق التـي يسلكونها من سواحـل البحر الأحمر إلى أعالي السـروات، أو الممرات والدروب الجبليـة الممتـدة من اليمن والحجـاز إلى مقراتهم الإداريـة والعسكرية في مرتفعات الطائف، والباحة، وعسير وغيرها[١].

نجد مكة المكرمة من أكثر البلدان التي وصلتها معارف وثقافات وحضارات مختلفة أثنـاء سيطرة الدولة العثمانية على الحجاز خلال القرن (١٣هـ/١٩م)، والعقود الأولى مـن القـرن (١٤هـ/١٩ـ٢٠م). والأشراف الحـكام المحليين للحجاز، يتبعـون سياسياً وإدارياً للسلطـات العثمـاني، لكن عنـد تراجـع الإمبراطورية العثمانيـة، ثم هزيمتها مـع ألمانيا وغيرها في الحـرب العالميـة الأولى (١٣٣٣ـ١٣٣٧هـ/١٩١٤ـ١٩١٨م)، تغير الحـال في الحجـاز وعموم الجزيرة العربيـة، وكان الشريف الأمـير حسين بن علي هو الحاكـم لبلاد الحجـاز، وفي الوقت نفسه هناك عدد من الحـكام في أجزاء عديدة من شبـه الجزيرة العربية، أحدهم الإمـام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل الذي ظهر في نجدٍ ومد نفـوذه على مناطـق أخرى في وسط، وشـرق، وجنوب الجزيـرة العربية، وأخـيراً استـولى على الحجاز وأعلن اسم دولته (المملكـة العربية السعودية) في بداية الخمسينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)[٢].

كـون مكـة المكرمة قلـب الحجاز، قبل وبعـد توحيد المملكـة العربيـة السعودية منطلق التمـدن والنهضـة الحديثة وبخاصة في عصر الدولة السعوديـة الثالثة، وهذا مما أثر على تطور طرق المواصلات ووسائل النقل،وسوف أشرح ذلك في عدد من الفقرات الآتية :

١- ظهرت السيارات في الحجاز في العقود الأولى من القرن(١٤هـ/١٩ـ٢٠م)، وعندما دخلـت الحجاز تحت نفوذ الإمام عبد العزيز بـن سعود في بدايات الأربعينيات من القـرن الهجـري الماضـي، أدرك ذلك الإمـام تقدم مظاهر الحضـارة الحديثة في الحجاز مقارنـة بالبلدان والمناطق الأخرى التي صارت تحت نفوذه، عندئذ قرر أن تكون مدينة مكة المكرمة العاصمة الإدارية الرئيسية التي تنطلق منها عجلةً التنوير

(١) تلـك الطـرق الجبلية مـن الطائف إلى نجـران، ومقـرات ومراكز العثمانيـين فيها خـلال القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م) من المجالات المهمة الجديدة في بابها، وتستحق أن يفرد لها بضعة كتب أو دراسات علمية جامعية، آمل من مؤرخي هذه الديار أن يخدموا هذا العنوان التاريخي الحضاري.

(٢) كل هـذه الإشارات المدونـة في المتن موثقة ومشروحة في عدد من البحوث والكتب المطبوعة والمنشورة باللغة العربية ولغات أخرى عديدة.

والتطوير الحضاري في أنحاء دولته. ووجد في هذه المدينة المقدسة الكثير من الأعلام المتعلمين، والمثقفين، والمخططين، والمبدعين الذين رسموا الخطط الأولى لبناء الدولة السعودية المعاصرة وتطويرها. وبقيت هذه الحاضرة أكثر من ربع قرن وهي المبطخ الرئيسي للبناء والرعاية والإشراف على تنمية الديار السعودية في شتى المجالات العسكرية والمدنية، الحكومية والأهلية [1].

٢- نجد بعض الدراسات الحديثة، وكذلك الروايات الشفهية تختلف في تحديد دخول السيارة إلى نجد والحجاز، فهناك رواية تشير إلى دخولها مع عصر اكتشاف النفط في الخمسينيات الهجرية من القرن (١٤هـ/٢٠م)، لكن هذه الرواية ضعيفة، لأن هناك مصادر أخرى تذكر وجودها في الحجاز من الثلاثينيات الهجرية، ثم بدأت تزيد وتتنوع في أشكالها ومصادر صنعها في الأربعينيات. وعندما أصبحت الحجاز تحت نفوذ الإمام عبدالعزيز آل سعود صارت هناك بضع سيارات في نجد والحجاز، ويذكر أن بعض الزعماء الغربيين أهدوا الملك عبدالعزيز سيارات عديدة. وفي الأربعينيات ثم الخمسينيات صار هناك عدد من الطرق التي تصل بين جدة ومكة، ومكة والمدينة، وكانت الدواب إلى ذلك الوقت وحتى الستينيات والسبعينيات هي الوسائل الرئيسية لنقل الناس وأمتعتهم في معظم مناطق المملكة العربية السعودية، لكن الطرق زادت والسيارات تكاثرت حتى منعت جمال الحجاج ووسائل نقلهم من دخول مكة والمشاعر المقدسة في نهاية الستينيات وبداية السبعينيات، وحلت السيارات محل الدواب [2]. ونستطيع القول أن الفترة الممتدة من عام (١٣٣٥ـ١٣٨٠هـ/١٩١٦ـ١٩٦٠م) هي الحقبة الرئيسية الأولى التي ظهرت فيها الكثير من أنواع السيارات، وشقت الطرق في كثير من المدن الرئيسية في البلاد [3].

٣- الذي يهمنا في هذه الدراسة بلدان السراة وتهامة من جنوب مكة والطائف إلى جازان ونجران، فشق طرق السيارات تأخر في معظمها مقارنة ببلاد الحجاز ونجد،

---

(١) ما تم رصده في المتن مفصل بشكل عام في العديد من الكتب والدراسات العلمية. وإذا توقفنا مع كل ناحية أو منطقة في أرجاء البلاد السعودية، وجدنا أنها تأثرت إيجابياً وتنموياً مما بذلته تلك الإدارة المكية السعودية التطويرية من الأربعينيات إلى سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م). وهذا التاريخ الحضاري الإيجابي مازال يستحق أن يدرس ويوثق في عشرات البحوث العلمية، آمل أن نرى المؤرخين المحليين في كل ناحية أو جهة من جهات المملكة يتولون دراسة هذا الميدان في عدد من البحوث التوثيقية .

(٢) ربما هذا المنع اقتصر على المشاعر، والمسجد الحرام وما حوله. لكن حتى هذا التاريخ كانت الجمال والحمير هي وسائل النقل الرئيسية في أنحاء البلاد السعودية. حبذا أن نرى مؤرخين جادين يدرسون وسائل النقل التقليدية في الحجاز والسروات وتهامة خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م)، وهذا العنوان مازال جديداً في بابه .

(٣) هناك إشارات وبحوث قليلة ومحدودة وثقت تاريخ المواصلات والسيارات في البلاد السعودية خلال العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وهذا الموضوع مازال بحاجة إلى دراسات علمية توثيقية جادة.

لصعوبـة تضاريسها ومسالكها، لكن الأجزاء الشماليـة منها مثل الليث والقنفذة في تهامـة، والطائـف حتى بيشة في السـروات وصلت إليها السيـارات بشكل ضئيل جداً في الخمسينيـات والستينيـات من القـرن الهجري الماضي. ثـم تسهلت الطرق بعض الشـيء، وزادت السيـارات في السبعينيـات حتى وصلت الكثير مـن المدن والحواضر والقرى الكبيرة في الأجزاء التهامية، والبلدان السروية وبخاصة نواحيها الشرقية[١].

٤- كانت الفـترة الممتدة من (١٣٧٥ـ ١٤٤٤هـ/١٩٥٥ـ ٢٠٢٣م)، هي الحقبة النشطة التـي امتـدت فيها عجلـة التنميـة إلى كل مكان في السـروات وتهامـة. ومن أهمها الطرق البرية التهامية والسروية الترابية ثم المسفلتة، ومنها :

أ- الطـرق الساحلية والسهلية التي تربط بـين حواضر اليمن والحجاز، وتسير علـى الكثـير من الحواضـر، والمدن، والقـرى المتناثرة في أرجـاء تهامة من مدينتـي جـدة ومكة المكرمة إلى مـدن منطقة جازان الرئيسيـة، ثم يستمر الطريـق الرئيسي حتـى بلاد اليمن[٢]. وقد عاصرت فتـح الطرق الترابية، ثـم تلتهـا الطـرق المعبدة التـي تربط بـين مدن تهامـة وقراهـا، وكانت في البدايـة صغيرة ومحـدودة في مساحاتها وخدماتها. ومنـذ العقد الثاني في القرن (١٥هـ/٢٠م) حتـى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) تطـورت شبكـة الطرق المسفلتـة المتفاوتة في أطوالها، وأهميتهـا، والخدمات الموجودة على جوانبها حتـى وصلت كل ناحية صغيرة أو كبيرة في جميع البلدان الساحلية والسهلية التهامية[٣].

---

(١) وجـدت بعض الروايات والمدونـات تشير إلى وصـول سيارات محـدودة لاتزيد عن سيارتـين أو ثلاث إلى أبهـا، وخميـس مشيط، وصبيـا وجازان خـلال الخمسينيات والستينيـات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، أما في السبعينيـات فالكثـير من الأفراد والجماعات القبليـة في عموم السروات وتهامـة تعاونوا في فتح بعض الطرق الترابية في سروات الباحة، وعسير، وبعض النواحي التهامية، وصارت العديد من السيارات القوية والكبيرة تصل إلى تلك الأوطان.

(٢) إن الحيـاة البشريـة في بـلاد تهامة عانت خلال القـرون الإسلامية المختلفة من صعوبـة الأحوال الجوية، والتضاريـس الجغرافيـة، ونتج عـن ذلك انتشار الأمية، والفقـر، والأمراض. وبعد قيـام الدولة السعودية الحديثـة بدأت الأحـوال تتحسن، ولم يـأت نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م)، إلا الكثير من تلـك العقبات قلت واختفـى بعضهـا. وكان لطرق المواصلات الحديثة، والسيارات دور إيجابي كبير في تطور البلاد والناس في كثير من المجالات.

(٣) أدون مشاهداتـي وانطباعاتي باختصار شديد على طرق المواصلات من ثمانينيات القرن الهجري الماضي إلى الآن. وكانـت الطرق حتى التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) قليلة ومحدودة، ومن بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) في عصـور الملـوك السعوديين (خالد، وفهـد، وعبدالله، وسلمان) حصـل طفرات تنموية كبيرة، امتدت إلى كل قطاع حضاري. والطرق البرية من المشروعات التي اعتنت بها الدولة حتى أصبحت كل قريـة، أو بلدة، أو مدينـة، أو ناحية، أو منطقة متصلة ببعضها من خلال شبكة طرق معبدة، ومخدومة

ب- أما طرق السروات، ففي الأجزاء الشرقية من الطائف إلى بيشة، فقد افتتحت واستخدمت ببعض السيارات من خمسينيات وستينيات القرن الهجري الماضي، ثم بدأت تمتد في المرتفعات من الطائف إلى سروات الباحة وعسير في السبعينيات وكانت هذه الطريق وعرة جداً، وبقيت معظمها ترابية إلى بداية التسعينيات، ثم امتدت واكتملت طريق الطائف، الباحة، النماص، أبها المسفلتة في نهاية ذلك العقد، وكانت طرق الأسفلت في مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) غير مزدوجة، وجميعها الرئيسية والفرعية مسار واحد[١].

وإذا قارنا طرق السروات مع تهامة، وجدنا أرض تهامة السهلية والساحلية سهلة، وشق الطرق فيها أحسن وأيسر من المرتفعات الجبلية الوعرة جداً في تضاريسها ومعالمها الجغرافية، فالطريق السروي من الطائف إلى أبها وما جاورها من الناحية الجنوبية أخذ زمناً طويلاً في شقه واكتماله، وبقي غير مزدوج حتى عشرينيات هذا القرن(١٥هـ/٢١م)، ثم بدأت العديد من الشركات المحلية والعالمية على توسعته إلى طريقين من عدة مسارات، وأصبح الآن شبه كامل، إلا أنه مازال هناك مواضع قليلة ومحدودة جداً في محافظة النماص غير مكتملة، والعمل حاليا (١٤٤٣- ١٤٤٤هـ) مستمراً في الانتهاء منها هذا العام، أو العام القادم(١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م)[٢]. كذلك الطريق الشرقي للسروات من الطائف إلى تربه، ورنية، وبيشة، ثم خميس مشيط وأبها، أو نجران وتثليث. كانت مسلوكة إلى بيشة خلال العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وما بعد بيشة إلى أبها وسروات قحطان إلى نجران، كانت أيضاً مستخدمة ببعض السيارات في التاريخ نفسه، لكنها طريق وعرة، وعانت فيها السيارات والمسافرون كثيراً، بعكس الطريق التي تخرج من رنية وبيشة إلى تثليث ووادي الدواسر حتى الرياض فكانت أيسر وأسهل[٣]. والطرق الفرعية أو الثانوية في المرتفعات

من شتى الجوانب. وتاريخ الطرق البرية في تهامة من مكة إلى جازان خلال السبعين سنة الماضية (١٣٧٥-١٤٤٤هـ/١٩٥٥-٢٠٢٣م) تستحق الدراسة التاريخية في عدد من البحوث العلمية الجادة .

(١) هذا الذي عرفته وشاهدته وسرت في مناكب السروات من أبها إلى الطائف خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م). وهناك عشرات القصص والروايات المحلية التي ذكرت الصعوبات والمشاكل التي كانت تقابل الحجاج والمسافرين على تلك الطرق السروية من منتصف القرن الهجري الماضي إلى تسعينيات القرن نفسه. آمل أن يتخذ هذا الموضوع عنواناً لكتاب أو رسالة جامعية.

(٢) تاريخ طريق أو طرق السروات عبر عصور التاريخ جديرة بالدراسة لأنه لا يوجد عنها أي بحث علمي حتى وقتنا الحاضر. وتاريخ طرق السيارات الترابية والمسفلتة خلال العصر الحديث والمعاصر (١٣٥٠-١٤٤٤هـ/١٩٣١-٢٠٢٣م) من العناوين الجديدة في بابها، وتستحق أن تدرس في عدد من الكتب، والبحوث، والرسائل الجامعية .

(٣) هذه الطرق من بيشة إلى حاضرة أبها وسراة قحطان ثم نجران، أو من بيشة إلى رنية والطائف، أو من بيشة تجاه الشرق إلى وادي الدواسر والرياض موضوعات تاريخية حضارية لم تدرس في عهد الدولة

السرويــة، أو أجزائها الشرقية بقيــت مثل طرق تهامة الداخلية قليلة وصغيرة، وفي هذا القرن (١٥هـ/٢٠ـ٢١م) شملتهــا حركة التطوير التنموي، وشقت الدروب في كل مكان، وأصبحــت الحواضر والمدن في هذه البلاد مرتبطــة بشبكة طرق مستقلة جيدة، بعضها مزدوجة، وأخرى ذات مسار واحد [١].

ج- الطــرق العرضيــة التــي تربــط بــين أعــالي الســروات ومناطــق تهامــة في الناحيــة الغربيــة، أو البــوادي والأريــاف والمــدن في الأجــزاء الشرقيــة. فتاريــخ الــدروب البريــة فيها تختلف مــن ناحيــة إلى أخــرى. فالطرق بين البلــدان الشرقيــة والمرتفعات كانــت مسلوكة بالدواب والمشــي على الأقدام خــلال العقــود الوسطى من القرن (١٤هــ/٢٠م)، وبدأت بعضــ السيارات تصــل إلى القــرى والمــدن في أعالي الجبال منــذ السبعينيــات، لكنها كانت تســير بصعوبة كبــيرة، لوعورة البــلاد، وغالباً تصل السيــارة إلى بيشة ثم تُنقــل السلع والمسافرين على الجمال والحمير، وكان هناك بعض الجهود الفرديــة التي تعاونت مع القبائل في السراة حتــى وصلت بضع المركبات إلى النماصــ، وتنومة، وأبها وغيرها. وفي الثمانينيــات تحسنت الطرق الترابية نوعــاً مــا، وزادت أعــداد السيارات التي تصــل إلى قمم الســروات ولم يأت بدايــة العقــد التاسع من القــرن الهجري الماضــي إلا صار هنــاك أكثر من طريــق ترابي يربــط بين القرى والمــدن والبــوادي الشرقية مــع مدن وقرى المرتفعــات مــن الطائــف حتى أبهــا وخميس مشيــط وما والاهــا جنوباً. ثم تطــورت وزادت الطرق خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠ــ٢١م)، حتى أصبحت اليــوم مرتبطة بعشرات الطــرق المسفلتة الصغيرة والكبــيرة، ومعظمها غير مزدوجة، وشاهدت خلال السنوات الثلاث الأخيرة(١٤٤١ - ١٤٤٤هـ/٢٠١٩ - ٢٠٢٢م) عــدد مــن الطرق القديمــة التي يجري إصلاحهــا وتوسعتها حتى تصبــح مزدوجــة، وأعتقد في غضــون ثلاث أو أربع ســنــوات سنرى الكثير من

السعوديــة الحديثــة (١٣٣٨ــ ١٤٤٤هـ/١٩١٩ـ ٢٠٢٣م). آمــل أن نرى بعض طالباتنــا وطلابنا في أقسام التاريــخ بجامعــات الملك خالد، وبيشة، والباحــة وغيرها فيدرسون هذه الدروب ووســائــل التنقل فيها منذ دخول السروات تحت الحكم السعودي المعاصر إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م).

(١) كانت جميع الطرق البرية في أرجاء المملكة حتى العشرينيات من القرن الحالي جيدة وتصل إلى كل مكان، وفي عصــر الملــك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود (١٤٢٦ــ ١٤٣٦هـ/٢٠٠٥ـ ٢٠١٥م) حدث طفرة تنموية عمت البلاد، وكانت الطرق من القطاعات التي استفادت كثيراً، فشقت آلاف الشوارع الرئيسية والفرعي. وحظيت قرى، وبلدان،ومدن، ومناطق جنوب المملكة بمشاريع كثيرة في هذا الميدان، فوسعت وطورت معظم الطــرق الكبيرة والرئيسية، وشقت شوارع كثيرة في كل منطقة، ومدينة، ومجمعات سكنية. وهذه السنوات العشر التي حكمها الملك عبدالله جديرة أن يكتب عنها مئات الدراسات العلمية التوثيقية الجادة.

الطـرق الكبيرة ذات المساراتٍ المتعددة تصل ما بين حواضر ومدنٍ السروات، الشرقية من تربة ورنية شمالاً إلى بيشة، وطريب وغيرها جنوباً [١].

د - أمـا الطـرق بين أعـالي السـروات والنواحي الغربيـة التهاميـة، فقد كانت مسالـك بدائيـة صغـيرة تسير مـن خلالها الـدواب وبعض الأفـراد الذين ينزلـون إلى مناطق الأصـدار، أو الديار التهامية السهليـة والساحلية. كان السفر في هذه الدروب قليل جداً لصعوبة التضاريس، وخطورتها من السباع والزواحـف وغيرهـا. وكان لبعض القبائـل السروية مستوطنـات محدودة وقليلـة في منحدرات السـروات الغربية، ينزلون إليهـا في أوقات من السنة، ومعهـم مواشيهم بحثاً عن المرعى[٢]. ومنذ نهايـة القرن الهجري الماضي، وبدايـة هذا القـرن (١٥هـ/٢٠م) بدأت القبائـل السرويـة تجتهد في فتح طـرق(عقبات) تصل أعالي السروات بأسافل المنحدرات الغربية، ونجحت بعض القبائـل في تحقيـق ذلك. كمـا قامت الدولـة بشق طـرق تنحدر من السـراة إلى تهامة، ومن أوائل تلك الطرق: (١) عقبة المخواة التي تنزل من سـراة الباحة إلى بلـدة المخواة. (٢) عقبة سنان النازلـة من بلدة النماص إلى خـاط والمجـاردة. (٣) عقبـة شعار من سـروات بني مالـك عسير إلى مدينـة محايل. (٤) عقبـة ضلع من مدينة أبها إلى بلـدة الدرب في منطقة جـازان [٣]. وفي الثلاثين سنـة الأخيرة (١٤١٥ـ ١٤٤٤هـ/١٩٩٥ـ ٢٠٢٣م) أصبـح هنـاك عشرات الطـرق (العقبات) مـن قمم السـروات إلى سهولة

---

(١) منـذ بدايـة هذا القـرن (١٥هـ/٢٠م)، وأنـا أسافر وأشاهد التنميـة الحديثة في القرى والمـدن السروية، وصلاتهـا بالديار الشرقيـة من نجران إلى بيشة ورنيـة وتربة وبوادي محافظة الطائـف. وقرأت وسمعت ورأيـت اهتمامـات الدولـة الكبيرة في ربط هذه الأوطان بطـرق برية ترابية ثم مسفلتـة، وكيف أثرت هذه المشاريـع الميدانية على تطوير الأرض والناس في شتى المجالات. وتاريخ أثر الطرق البرية على هذه البلادٍ خـلال هـذا القرن (١٤٠٠ـ ١٤٤٤هـ/١٩٨٠ـ ٢٠٢٣م) موضـوع جديد في بابه، ويستحـق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة جامعية.

(٢) هـذه المستوطنـات يطلق عليهـا (حِلَالٌ، ومفردها حلـة)، وتوجد في مناطق الأصدار مـن تهامة الطائف إلى تهامـة قحطان. وهناك مستوطَنات أخرى عند سفوح السـروات الشرقية من بلاد تربة والطائف إلى سـروات شهران وقحطان، وأصحاب تلك المقرات السكنيـة الغربية والشرقية من أهل السراة، يأتون إليها ويمكثون فيها أثناء رعي مواشيهم. وكل هذه المستوطنات صارت اليوم مهجورة وأغلبها أندثرت في الغرب، أما التي في الشرق فبعضها تحولت إلى مستوطنات جديدة، وفيها الكثير من الخدمات الحضارية الحديثة.

(٣) جميـع هذه العقبـات (الطرق) كانت طريق مشاة في القرون السابقة، وفي عهد الدولة السعودية الحديثة، حظيـت باهتمامـات عديدة من قبل الحكومة وأهـل المنطقة، وهي اليوم من الطرق المهمـة الرئيسية التي تربط بين السراةٍ وتهامة، وتنزل مع عقبتي شعار والمخواة جميع السيارات، أما عقبة سنان في النماص فقد استبدلـتٍ مؤخراً بعقبة التوحيـد، وعقبة ضلع غير مزدوجة ونزول السيـارات الكبيرة (التريلات) معها خطير جداً .

تهامة، في الديار الممتـدة من شعف الطائف إلى سروات ظهران الجنوب في منطقـة عسير. وقد وقفت على الكثير منها خلال العقدين الماضيين (١٤٢٥ - ١٤٤٣هـ/ ٢٠٠٤ - ٢٠٢٢م)، ومشيت في بعضهـا، وأغلبها مسفلتة، لكنها تتفاوت في السهولة والصعوبة، وفي الطول والعرض، وفي الأهمية الاجتماعية والاقتصادية والسياحية التي يحتاجها الناس.ومعظم السيارات التي تسلكها صغيرة الحجم، وبعضها تنزل وتصعد معها كل السيارات الصغيرة، وأخرى لا يستخدمهـا إلا السيارات القوية ذات الدفـع الرباعي، والسيارات الكبيرة (التريلات) لا تسلكها لصعوبة مسالكها ومعالمها الطبيعية[1].

هـ - لاحظـت وسائـل النقـل الأولى مـن الحيوانـات بـدأت تتراجـع في البوادي والأريـاف والقرى مـن نهاية التسعينيـات القرن(١٤هـ/ ٢٠م)، ولم نصل إلى نهايـة العقـد الثاني في هـذا القرنٍ (١٥هـ/٢٠م) إلا اختفت معظمها، وأصبحنـا لا نـرى إلا نماذج قليلـة جداً من الإبل والحمير، ثـم غابت تماماً في العشرينيـات[2]. أما وسائل النقل من السيارات، والمعدات، والآلات، فقد كانـت بسيطة ومحدودة في إعدادها، وصناعتها، لكنه يشترط أن تكون قوية في عزمهـا عندما كانت تسـير في بلاد وعرة في جبالهـا، وأوديتها، ووهاده. ثـم إن الورش الخاصـة بخدمتها وصيانتها كانت أيضاً قليلـة وأحياناً نادرة مـن الأربعينيات إلى ثمانينيـات القرن الهجري الماضي، ثـم بدأت تزيد في أعدادها، وأنواعهـا، وموديلاتها، وأحجامها، والأهـداف من استخداماتها من التسعينيات، ومنذ مطلع هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) تكاثرت بشكل كبير، وتعددت معارضها، وورشها ومحِلات إصلاحها وصيانتها، ومصادر صنعها واستيرادهـا. وفي الأربعين عاماً الماضية(١٤٠٤ـ ١٤٤٤هـ/ ١٩٨٤ـ٢٠٢٢م)، تعـددت موديلاتهـا، وأحجامها، وأشكالهـا، وألوانها. وأدخـل عليها الكثير من التطويـرات الصناعية والتقنية، في أجزائهـا الداخلية والخارجية، وفي نوعية هياكلها ومواد صنعها الأخرى من حديد، وكهرباء، وزجاج، وإطارات، ومقاعـد، وكماليـات: كالراديـو، والتلفزيـون، والهاتف العادي ثـم النقال،

---

(١) أثنـاء زيارتي للكثير من هـذه الطرق، رأيت في بعض المحافظات السرويـة مجموعة عقبات تربط السراة بتهامـة، والكثير منها قامت بجهود ذاتية من افـراد وبطون بعض العشائر التهامية والسروية. وكل الطرق (العقبات) من الطائف إلى سروات وادعة وقحطان جديرة.أن تدرس في بحوث علمية عديدة، مع الإشارة إلى الآثـار السلبيـة والإيجابيـة التي نجمت من شـق هذه الدروب الحديثـة. كما رأيت بعض الاتفاقيات والوثائق الخاصة ببعض العقبات منذ كانت مسلوكة بالقدم، حتى أصبحت طرق مسفلتة للسيارات.

(٢) تاريـخ وسائـل النقـل في القرون الماضية، ثـم تراجعها وانقراضهـا في هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠ - ٢١م) موضوع جديد لم يدرس ويستحق أن يكون عنواناً لدراسة علمية تفصيلية.

وأجهـزة حساسـة تقنيـة وكهربائية أخرى. كمـا صارت معارض ومصانع السيـارات تراعـي أذواق النـاس مـن الكبار والصغـار، النسـاء والرجال، الأغنيـاء والفقـراء وغيرها مـن المستويات الماديـة والاجتماعيـة والثقافية والإعلامية والاقتصادية[١].

نجد في بعض الوثائق والمدونات إن إدارات الطرق البرية في جنوب البلاد السعودية كانـت تتبـع في البداية إداريا وماليـا إلى إدارة الطرق الرئيسية في مكـة[٢]، وأول إدارة أنشئـت في السـروات وتهامـة بمدينة أبهـا عام (٨٢ـ ١٣٨٣هـ/٩٦٢ـ ١٩٦٣م)، وأول مـن تـولى إدارتها الأستـاذ سالم باعشن، ثم تبعـه عدد من المديريـن[٣]. وتشير بعض الإحصائيات والدراسات الوثائقية إلى أن إدارة الطرق في أبها بقيت المشرفة على الطرق البريـة في مناطـق عسير، وجـازان، ونجـران، وأحيانا منطقـة الباحة حتـى عشرينيات القـرن الحالي (١٥/٢٠م). ويذكر أن ميزانية تلـك الإدارة عام (١٥ـ١٤١٦هـ/١٩٩٦م) بلغـت(٧٥،٩٩٦،٦٠٠) خمسة وسبعين مليونا وتسعمائة وستـة وتسعين ألفا وستمائة ريال، وكان عـدد موظفـي تلك الإدارة في سنة التأسيس عام (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) ستين موظفا، وأصبحوا في عام (١٤١٥هـ/١٩٩٥م) (٤٢٠) موظفا، وتم إنجاز ما يقارب (٧٠٠٠كم) من الطرق الترابية خلال الخطط الخمسية الأربع الأولى (١٣٩٠ـ ١٤١٠هـ/١٩٧٠ـ ١٩٩٠م)، وسُفلت حوالي (٤٢٣٠كم) بتكلفة إجمالية وقدرها (٦،٠٠٠،٠٠٠) ستة مليارات ريال[٤].

ونـرى من الإحصائيـات المحدودة الآنف ذكرهـا، كيف أولت الدولـة اهتماماً كبيراً

---

(١) تاريخ تطور أنواع السيارات وطرق استخدامها في بلاد السروات وتهامة من خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) من الموضوعات الجديدة في ميادين والدراسات التاريخية الحضارية، آمل أن نرى باحثين يدرسون هذا المجال في عدد من البحوث العلمية التوثيقية ٠

(٢) جميـع الإدارات الحكوميـة في أرجاء السروات وتهامة بـدأت بسيطة ومتواضعة، وتتبـع في سنواتها الأولى إلى المديريـات، ثـم الإدارات العامة في مكـة المكرمة، وبعد تأسيـس أغلب الـوزارات في سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم انتقالها إلى الرياض، بقيت الكثير من المؤسسات الإدارية في مناطق الطائف، والباحة، والليـث والقنفـذة، وعسير، وجـازان، ونجران،لبعض الوقت تابعة ماليـا وإداريـا إلى الإدارات العامة في المناطـق الغربية (مكة، وجدة). وهذا التاريـخ الإداري في الجنوب السعودي وصلاته بالمنطقة الغربية، أو الرياض جدير بالعديد من الدراسات العلمية ٠

(٣) منهـم : محمد علـي الحجيلي، وعبدالحميد طاشكندي، وأحمد الدبيان، وعبدالرحمن أبو ملحة، وعلي بن سعيـد بن مسفر وغيرهم. المصدر: مذكـرة من المهندس علي بن مسفر عـام (١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، وتوجد ضمـن مكتبتي العلميـة. للمزيد انظر غيثان بن جريس. أبها حاضرة أبها (دراسـة وثائقية). (الرياض: مطابـع الفرزدق، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ص ٤٢٠ـ ٤٢١، ٤٧٢، ٤٧٣. وتاريخ الطرق وإدارتها في جنوب المملكة موضوع جديد حبذا أن يدرس في عدد من الرسائل الجامعية من عام (١٣٨٠ـ ١٤٤٤هـ/١٩٦٠ـ ٢٠٢٣م) ٠

(٤) وجـدت هـذه الإحصائيات ضمن وثائـق ومدونات متنوعـة في إدارة طرق أبها، ويوجـد منها نسخة ضمن مكتبتـي العلميـة، وأشـرت إلى شيء من ذلك في محـور (المواصلات بأنواعها)، المنشـور في كتاب (أبها حاضرة عسير/ الطبعة الأولى/ ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) ص ٤١٩ وما بعدها.

لطـرق المواصـلات البرية في بلـدان السـروات وتهامة حتـى نهاية العقـد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ومـن يدرس المنجـزات الحديثة والمعاصرة في هـذا الميدان خلال العقـود الثلاثة الماضية (١٤١٣ـ ١٤٤٤هـ/١٩٩٣ــ٢٠٢٢م) فإنه سيجد مشاريع كبيرة تم سفلتهـا وتشييدها في جميـع مناطق، وحواضر، ومدن، وقرى، وأريـاف الأوطان التهامية والسروية. وهناك مئات المليارات من الريالات التي صرفت على هذه المشروعات المعمارية الجبارة، وعاد خيرها الكبير على مسيرة التنمية العامة والخاصة، الصغيرة والكبيرة[١].

حاولت الحصول على وثائق ومصادر أولية وسجلات توثيقية ترصد شيئاً من تاريخ موانئ تهامة من بلاد الشعيبة إلى جازان في العصر الحديث والمعاصر، لكنني لم أحصل علـى تطلعاتـي وامنياتي البحثية حول هذه البلدان، وقد أشـرت في صفحات سابقة إلى لمحة مختصرة عن ساحل البحر الأحمر الشرقي، وأهميته عبر عصور التاريخ القديمة والإسلاميـة. وهذا الشريط الساحلي يستحق أن يدرسـس أثرياً وتاريخياً وحضارياً. آمل مـن جامعات الملك عبدالعزيـز، وأم القرى، وجازان أن تدعـم وتشجيع مراكز بحوثها العلمية لإصدار أعمال علمية جادة وعميقة عنه[٢].

نجـد في العصـر الحديـث والمعاصـر أن ميناء جازان مـن الموانـئ القديمة جداً، لكـن تشييـده ثم افتتاحه في العهد السعودي الحاضـر كان في منتصف السبعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وشهد تطويره ثلاث مراحل عمرانية، شملت العديد من التأسيسات ثـم التطويرات لأرصفة، وحواجز الأمواج البحرية حوله، وأبنية أخرى من برج مراقبة، ومستودعـات، ومحطـات كهرباء ووقود، وتحلية مياه،ومقـرات إدارية وسكينة وغيرها. ولهـذا الميناء آثار وخدمات كثير على سكان المناطق السعودية الجنوبية، وقد زرت مقره في حاضـرة جازان أكثر من مـرة من بداية الثلاثينيات في هـذا القرن (١٥هـ/٢١م)، ووجدتـه مؤسسـة حكومية عملاقـة، آمل من كليـات ومراكز بحوث جامعـة جازان أن تشكل فريق علم علمي متخصص يقوم بدراسته جغرافيا، وأثريا، وتاريخيا، وحضاريا، وتنمويـا منذ بداية عصر الإسلام إلى وقتنـا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م)، مع الإشارة إلى آثاره الحضارية على البلدان الداخلية التهامية والسروية.

---

(١) آمـل أن نرى مؤرخين جادين يؤرخون لطرق المواصلات البريـة في مناطق جنوب المملكة العربية السعودية (سـراة وتهامة)، ومن يعكف علـى دراسة هذا الموضوع في مناطق (الباحـة، وعسير، وجازان، ونجران، ومحافظـات الطائف، والليث، والقنفـذة) فإنه سوف يجد الكثير من المصـادر والوثائق غير المنشورة في هـذا الميدان، كما هنـاك معاصرين كثيرون عاشوا خلال العقود الستة الماضيـة (١٣٨٢ـ ١٤٤٤هـ/١٩٦٢ـ ٢٠٢٢م)، وعندهم الكثير من الأخبار والروايات والمشاهدات في هذا المجال.

(٢) هذا النداء ذكرته سابقا، والآن، وأقول إن هذه البلاد الساحلية التهامية لها تاريخ وحضارة قديمة وطويلة، لكنها لم تخدم بحثياً وبخاصة في العصور السابقة للإسلام، وخلال القرون الإسلامية المبكرة، والوسيطة، والحديثـة. وإذا صـدرت بعض البحث في هذا الشأن فهي تدرس تاريـخ البحر، لكنها لا تذكر تاريخاً جيداً ورصيناً عن ساحله الشرقي (سكاناً وأرضاً).

بدأت المواصلات الجوية في جنوب البلاد السعودية من بداية السبعينيات، وكانت بيشة والطائف وأبها من أوائل المناطق التي وصلت إليها بعض الطائرات. فتذكر بعض الروايات زيارة الملك سعود بن عبدالعزيز لبعض المناطق الجنوبية عام (١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م)، وقد بذلت وزارة الدفاع آنذاك جهوداً جيدة في إصلاح مهبط لطائرته في منطقة عسير، فأرسل بعض الخبراء لتحديد مكان محدد لذلك، ومسحوا بضعة مواقع في ناحيتي أبها وخميس مشيط، وتحديداً في شعار، وحجلا، والمحالة، وشرف بلاد شهران، وتم اختيار الأخير ليكون أول مطار، وهو مقر مطار خميس مشيط العسكري حالياً [1].

إن فكرة المواصلات الجوية في السراة وتهامة بدأت في ستينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، لكن أول مطارات ترابية أنشئت في أبها، وبيشة، والطائف، وجازان في الفترة من (١٣٧٣ــ ١٣٧٨هـ/١٩٥٣ــ ١٩٥٨م)، ولكل مطار تاريخ وقصة[2]. وفي الفقرات التالية أدون بعض التفصيلات عن مطارات أبها وخميس مشيط العسكرية والمدنية، كونها من أكبر ومن أكثر مطارات المملكة حركة خلال العقود السبعة الماضية (١٣٧٣ـ ١٤٤٤هـ/١٩٥٣ـ ٢٠٢٢م).

نزلت طائرة الملك سعود في مهبطٍ مؤقت في القرعاء عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) [3]. أما الأرض التي تم اختيارها مطاراً في منطقة عسير، فكانت في شرف شهران شرق بلدة خميس مشيط، ونزلت أول طائرة (البرستول) في المهبط الترابي هناك عام (١٣٧٧هـ/١٩٥٧م). وفي عام (١٣٧٨هـ/١٩٥٩م) بدأت مؤسسة بن لادن بتشييد مقرات عمرانية للمطار، وفي العام نفسه هبطت فيه طائرة الكونفير، ثم طائرة الداكوتا. وفي عام (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م) صار في المطار مدرج ترابي لنزول الطائرات، بالإضافة إلى بعض الأبنية المتواضعة لسفر الركاب وخدمتهم[4].

---

(١) أجريت مقابلات مع عدد من الأعلام في العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وأخبروني بهذه الأخبار، وذكرت ذلك في بعض كتبي المطبوعة والمنشورة. ومازال عندي العديد من المدونات عن موضوعات متنوعة في سروات وتهامة عسير، آمل أن أتمكن في قادم الأيام من دراستها وشرح غامضها ثم طباعتها ونشرها .

(٢) جميع مطارات السروات وتهامة، من الطائف إلى جازان ونجران تستحق أن يفرد لكل مطار دراسات توثيقية جادة. آمل من جامعات الجنوب السعودي أن تدعم وتشجع إنجاز مثل هذه الأعمال العلمية التوثيقية .

(٣) زيارات الملك سعود لمناطق عديدة في السراة وتهامة عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م)، وآثارها الإيجابية على الأرض والناس من الموضوعات التاريخية الحديثة التي تستحق أن يصدر عنها عدد من الرسائل الجامعية والكتب العلمية .

(٤) حصلت على مدونة مكتوبة عام (١٤١٦هـ/١٩٩٦م) من مدير الخطوط الجوية السعودية في أبها، ذكر فيها شيئاً مما وثقته في المتن، وأشار إلى أن خدمة المطار الذي تأسس في خميس مشيط عام (١٣٧٧هـ/١٩٥٧م) لخدمة المسافرين والبريد الجوي أوكلت إدارته إلى قيادة المدرسة الحربية في أبها، لكن هذه المؤسسة العسكرية نُقلت في نفس العام إلى مدينة الطائف، فتولى مسؤولية نقل وخدمة الركاب المسافرين في عسير وما جاورها أحد أعلام مدينة أبها،وعند وفاته عام (١٣٨١هـ/١٩٦١م تولى ابنه العمل بعده، ثم جاء بعده

في بدايـة الثمانينيات من القــرن الهجري الماضي كانٍ لزاماً علــى الدولة أن تطور مطارهــا في خميس مشيــط إلى مطار عسكري، خصوصاً بعد حــرب مصر على اليمن عــام (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م)، ثـم اعتـداء بعض الطائـرات المصريـة على مدينتـي أبها وخميس مشيط وما حولهما[١]. وفي ذلك العام بـدأ العمل الجاد لبناء مطارِ الخميس، وافتتـح في الشهـور الأخيرة مـن عـام (١٣٨٣هـ /١٩٦٣م)، وصار جاهـزاً لاستقبال العديد مـن الطائرات الصغيرة والكبيرة، وعقدت الحكومة السعودية بعض الاتفاقيات مـع شـركات أمريكية وبريطانية استـوردت منها أنواع عديدة مـن الطائرات. وفي عام (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) تم اعتماد قاعدة الملك خالد الجوية كقاعدة حربية بخميس مشيط، وإشرافهـا يمتد على مناطق عسير، وجازان، ونجران. وكانت أول مساهمة حربية لتلك القاعدة في حرب الوديعة مع اليمن عام (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)[٢].

كان مطـار خميس مشيط العسكـري، هو الوحيد في سروات عسـير، ومهمته الرئيسية تتصـل بالحياة العسكريـة، إلا أنه كان يستخـدم لنقل المسافرين، والبريـد الجوي، وبعض البضائع. وفي عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، صار ينزل في هذا المطار طائرة حمل ركاب نفافثة، من نوع دي سي-٩ (DC-9)، حمولتها حوالي (١٠٠) راكب، وأصبحت تنقل الركاب والمسافرين إلى مدن عديدة في المملكة. وتذكر بعض الإحصائيات في عام (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) أنه تم نقل (٥٠٠٠) مسافر، ورواية أخرى ذكرت أكثر من ذلك بستة أضعاف[٣].

اطلعت على بعضـ التقارير التي أشارت إلى بعض المنشآت العمرانية والمصروفات الماليـة التـي أنفقت على مطار خميس مشيط العسكري خـلال النصف الأول من العقد التاسع في القرن الهجري الماضي[٤]. ولم يعد هذا المطار كافي لنقل البضائع والمسافرين، عندئـذٍ بـدأت الدولـة بإنشاء مطار أبها المـدني بين مدينتي أبها وخميـس مشيط عام

وكيـل آخر عام (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م)، وكانت أعداد الركاب في البداية للرحلـة الواحدة لا يتجاوزون (١٥) شخصاً. للمزيد انظر، غيثان بن جريس. أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية)، ص٤٢٢ وما بعدها.

(١) تاريخ اعتداءات مصر على جنوب البلاد السعودية لم يدرس في عمل علمي وثائقي، آمل أن نرى باحثاً جاداً يتخذه عنواناً لأطروحة ماجستير أو دكتوراه.

(٢) القطاعـات العسكرية في محافظـة خميس مشيط المطار، والقاعدة الجوية، والمدينة العسكرية وما تشتمل عليـه من إدارات، ومدارس، وألوية عسكرية جديرة بالعديـد من الدراسات التاريخية من ستينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م)، وهناك الكثير من السجلات، والوثائق، والتقارير المليئة بالمعلومات الجيدة والجديدة، وجميعها لها صلة بهذه المؤسسات العسكرية الحديثة والمعاصرة .

(٣) هـذا الذي أشارت إليه بعض الإحصائيـات والتقارير الصادرة من وحدة البحوث بوزارة الدفاع والطيران والمفتشية العامة .

(٤) تاريـخ مطـار خميس مشيط المدني العسكري جدير أن يكتب تاريخه خـلال السبعين سنة الماضية في عمل علمي كبير وموسوعي .

(١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، وافتتح عام (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، وأدخلت طائرة البوينج (٧٣٧)، وكان عدد المسافرين في عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) (١٦٠) ألف راكب سنويا، ثم ارتفع عددهم عام (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) إلى (٢٥٠) ألف مسافراً سنوياً[١].

كانت مؤسسة الخطوط الجوية السعودية التي تتولى الإشراف على المطارات المدنية في أرجاء البلاد السعودية[٢]. بدأ توسعها في تسعينيات القرن الهجري الماضي، فافتتح العديد من مكاتب الحجز والمبيعات في أبها وخميس مشيط، ثم توسعت أكثر في مناطق جنوب المملكة خلال العقدين الأولين من هذا القرن(١٥هـ/٢٠م). وفي عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

أدخلت طائرات (الترايستار) العملاقة، ثم اتبعت بطائرات (الإيرباص) عام (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، وبلغ عدد المسافرين من مطار أبها في ذلك العام أكثر من (٣٩٠) ألف مسافر. وخلال العقد الأول من هذا القرن(١٥هـ/٢٠م) أدخلت خدمة الكمبيوتر في مكاتب الحجز والمبيعات. وتشير بعض الإحصائيات إلى أنه تم نقل حوالي أربعة ملايين راكب في الفترة من (١٤٠٤ـ١٤٠٩هـ/١٩٨٤ـ١٩٨٩م)، ونقل من الأغراض والبضائع أكثر من (١٦،٨٢٠،٠٠٠كجم). وبين عامي (١٤١٠ـ ١٤١٥هـ/١٩٩٠ـ ١٩٩٥م) تم نقل أكثر من مليونين ونصف مسافر. ويذكر أن عدد الرحلات من وإلى أبها عام (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) (١٧٦) رحلة أسبوعياً، مع أن عددها عام (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) لم تزد عن (٥٠) رحلة[٣].

في الثلاثين عاماً الماضية (١٤١٣ـ ١٤٤٤هـ/١٩٩٣ـ ٢٠٢٢م) نلحظ تطور مطارات السروات وتهامة، ومن أنشطها وأكثرها حركة مطار أبها، تليه مطارات الطائف، وجازان ونجران، ثم الباحة وبيشة. ومن يسير في مناكب هذه البلاد ويطلع على الإحصائيات والتقارير السنوية لهذه المنشآت الحضارية، وعدد الرحلات والمسافرين منها أسبوعياً، أو شهرياً، أو سنوياً فإنه سيجد القفزات الهائلة في هذا القطاع الحيوي، وهذا التطوير

---

(١) كنت أثناء تأسيس ثم افتتاح مطار أبها طالباً في الجامعة بكلية التربية بأبها، وكان عندي آنذاك سيارة تاكسي، وأتردد على المطار لنقل بعض العمال إلى أبها أو خميس مشيط، وأغلبهم آسيويون، وتحديداً من كوريا والصين. وعند افتتاح المطار بقيت أعمل في نفس المهنة من عام (١٣٩٨ـ ١٤٠١هـ/١٩٧٨ـ ١٩٨٢م)، وأشاهد مئات المسافرين الذين يأتون أو يسافرون من هذا المطار المدني. وكان لي صديق يعمل في المطار، وفي برج المراقبة تحديداً، فكنت أزوره في عمله من وقت لآخر، وأرى الحركة النشطة للمطار وبخاصة في فصل الصيف، أو أثناء بداية الدراسة، أو نهاية العام الدراسي .

(٢) كان تأسيس الخطوط الجوية السعودية في ستينيات القرن (٤هـ/ ٢٠م)، وتوسعت في العقود التالية حتى صارت من أكبر الأساطيل الجوية في العالم، آمل إن نرى عنها دراسات علمية جادة وتفصيلية .

(٣) كل هذه المعلومات وصلتني من مدير الخطوط السعودية في أبها عام (١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، انظر أكثر غيثان بن جريس، أبها حاضرة عسير، ط١، ص ٤٢٥ـ ٤٢٧ .

والرعاية التنموية عادت بالخير الكبير والفوائد المتنوعة على حياة الناس واستقرارهم مادياً ومعنوياً[(١)].

ثانياً: وقفات مع الاتصالات السلكية واللاسلكية:

مرت الاتصالات الحديثة بمراحل تاريخية عديدة من مقرات اختراعها ثم تطويرها، وأخيراً انتشارها في أصقاع الكرة الأرضية. وهذا التسلسل التاريخي العام لا يهمني في هذه الورقات، لأن هناك عشرات الدراسات المكتوبة بلغات عديدة ساهمت في توثيق بحوث لأعمال علمية كثيرة في هذا الميدان[(٢)]. وتعد الاتصالات ميدان حضاري كبير، حققت الترابط والتقارب الاجتماعي، والاقتصادي، والثقافي، والعلمي، والإعلامي، والمعرفي وغيرها[(٣)].

كون اهتمامات محصورة في بلدان السراة وتهامة، فلا أدعي أنني سوف أكتب بحثاً مكتملاً في هذا الميدان الكبير والأماكن الصحيحة لتوثيق تاريخ تفصيلي عن هذا الباب، هي الأقسام العلمية، والمركز البحثية في جامعاتنا ومؤسساتنا التعليمية العالية. لكنني سأذكر بعض الوقفات عن بدايات ثم تطور الاتصالات في مناطق عسير، وجازان، ونجران وغيرها من الأوطان التهامية والسروية. ومادتي العلمية في هذا البحث الموجز مستقاة من بعض الوثائق والسجلات والمدونة الرسمية، ومما سمعته أو شاهدته وأنا أسير في أنحاء هذه الديار الجنوبية السعودية منذ العقود الأخيرة في القرن الهجري الماضي إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ /٢٠٢٣م)[(٤)].

---

(١) الحديث عن النقل الجوي في بلدان جنوب المملكة متعدد الجوانب، وكل الذي أشرت إليه في الصفحات السابقة مقتطفات قليلة. وهذا الميدان يحتاج إلى دراسات عميقة وتفصيلية. والواجب على جامعاتنا وكلياتها وأقسامها ومراكز بحوثها فتدرس وتوثق تطور هذا الميدان المهم، وغيره من المجالات الحضارية التي تعيشها هذه الأوطان السروية من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م). (والله من وراء القصد).

(٢) من يطلع على فهارس المكتبات الورقية والرقمية المحلية، والإقليمية، والعالمية يجد بغيته من الدراسات المتنوعة والمتفاوتة في أحجامها عن عالم الاتصالات السلكية واللاسلكية، والأعمال البريدية وغيرها من المجالات الاتصالية.

(٣) لو عكفنا على دراسة تاريخ وآثار الاتصالات الإيجابية والسلبية على أي دولة، أو حاضرة، أو منطقة، أو مدينة في أي ناحية من نواحي العالم العربي، أو الإسلامي، أو الأجنبي فإن ذلك يحتاج إلى آلاف الدراسات، لاتساع هذا المجال، وماله من آثار على الأرض والناس في أي مكان.

(٤) عشت أكثر من ستين عاماً في هذه الديار، ومعظمها اشتغل في مهنتي البحث والتدريس الجامعي وجمعت الكثير من المواد العلمية المتنوعة عن تاريخ وحضارة وتنمية هذه البلاد، وطبعت ونشرت بعضها، ومازال في مكتبي الكثير جداً من المصادر الأولية والرئيسية التي لها صلة مباشرة وغير مباشرة بالأرض والناس من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى الوقت الحالي، آمل أن يمد الله في العمر حتى أفرزها، وأدرسها وأشرح مظانها ثم أطبعها وأنشرها.

لا تخلو شبه الجزيرة العربية من بعض الاتصالات البدائية الأرضية والفضائية قبل قيام الدولة السعودية الحالية[١]. وبعد توحيد المملكة العربية السعودية، واتساع رقعتها، وتعدد حواضرها ومناطقها، كانت الحاجة ماسة لإنشاء وسائل اتصال تناسب قيام الدولة الحديثة، وتساهم في خدمتها أمنياً وحضارياً. وتشير بعض الوثائق إلى بداية الاتصالات في بعض مناطق المملكة من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م)، ومنذ عام (١٣٥٥-١٣٦١هـ/١٩٣٥-١٩٤١م) نجد بعض الميزانيات الخاصة بمدن ومناطق السراة وتهامة، وضمنها إدارات البرق والبريد، واللاسلكي في بيشة، وأبها، والقنفذة، والطائف وغيرها[٢].

وهناك الكثير من الوثائق التاريخية الحضارية التي صدرت من مالية أبها، أو الجنوب خلال الخمسينيات والستينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) وفيها تفصيلات عن أسماء العديد من الموظفين في إدارات البريد، والبرق، واللاسلكي وغيرها، ومقدار رواتبهم الشهرية والسنوية. وهذا النوع من المصادر الرئيسية جديرة بالجمع ثم الدراسة والتحليل [٣].

في مذكرتين وصلتني من مديري الاتصالات لكل من عسير، والمنطقة الجنوبية في منتصف العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) [٤]. وذكر كل منهما الكثير من

---

(١) هناك بعض الإشارات المختصرة عن الاتصالات في الحجاز ومناطق أخرى في الجزيرة العربية في العقود الأولى من القرن (١٤هـ/١٩-٢٠م)، وهذا الموضوع جدير بالبحث العلمي الجاد في عدد من الكتب والدراسات التاريخية الحضارية الرصينة .

(٢) كان من ضمن تلك الميزانيات مراقبين لاسلكي في أبها وبيشة ، وكان الراتب الشهري للواحد منهم (١١٠٠) قرش شهرياً، و (١٣٢٠٠) سنوياً. ومهندس لاسلكي(٩٩٠) قرشاً شهرياً و (١١٨٨٠) سنوياً. ومعاون للمهندس (٤٤٠) قرشاً شهرياً. وموزع لاسلكي (٣٣٠) قرشاً شهرياً. ومتعهد البريد من بيشة إلى الظفير في بلاد غامد (٢٦٤) قرشاً. ومتعهد البريد من بيشة إلى الظفير في بلاد غامد (٢٦٤) قرشاً. وفي وثيقة أخرى عن ميزانية المؤسسات الإدارية في القنفذة عام (١٣٦١هـ/١٩٤١م) تذكر إدارة البرق والبريد. فالمدير راتبه الشهري (٨١٠) قروش شهرياً و (٩٧٢٠) قرشاً سنوياً. ومأمور للمخابرات (٥١٠) قروش و(٦١٢٠) قرشاً سنوياً. ومدير آخر للمركز (٧٥٠) قرشاً شهرياً. وموزع وفراش (١٨٧) قرشاً شهرياً. ومتعهد بريد محايل (٣٣٠) قرشاً شهرياً. ومتعهد بريد القحمة (٣٠٠) قرشاً. والمجموع الشهري لجميع موظفي تلك الإدارة بما فيها الأدوات القرطاسية والمتفرقات (٣٠٣٧) قرشاً شهرياً و(٣٦٤٤٤) قرشاً سنوياً. المصدر: مجموعة وثائق من مالية أبها، وصورها ضمن مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (غير مرقمة) .

(٣) رأيت آلاف السجلات والوثائق التاريخية غير المنشورة في عدد من الإدارات الحكومية في مناطق الباحة، وعسير، وجازان، ونجران. وأكثرها خلال العقود الوسطى من القرن الهجري الماضي (١٣٤٠-١٣٧٠هـ/١٩٢١-١٩٥٠م). آمل أن تجمع من قبل كليات وأقسام الجامعات المحلية، ثم يُخصص لها فريق عمل بحثي يقوم بدراستها، وتحقيقها، ثم طباعتها ونشرها .

(٤) المديران هما: (١) الأستاذ جمال مصطفى السحلي مدير الاتصالات بمنطقة عسير، ووصلتني مدونته في شهر رجب عام (١٤١٥هت/١٩٩٥م) بناءً على خطاب أرسلته له بهذا الخصوص بتاريخ (١٤١٥/٧/١٧هـ).

التفصيــلات الموثقة مــن إرشيف تلك الإدارتين الموجودتين في مدينــة أبها والمسؤوليتين عن قطاع الاتصالات في جنوب المملكة العربية السعودية، وسبق أن نشرت تلك المدونتين في كتــاب: **أبهـا حاضـرة عسير (دراسـة وثائقية)**[١]. لكنني في هــذا المحور أشير إلى النقاط الرئيسية في تلك المذكرتين، وهي على النحو الآتي :

بــدأت الخدمات البرقية عام (١٣٥٢هـــ/١٩٣٢م) بإنشاء محطتين لاسلكيتين في مكة المكرمة، والرياض. وفي عام (١٣٧٦هـ/١٩٥٦م) أنشئت أربع محطات أخرى حديثة في جدة، والمدينة المنورة، والرياض، والدمام، بالإضافة لأنظمة الخطوط الحاملة (Carriers) لتعمل بــين جدة، والطائف، ومكة المكرمة. وجرى استعمــال المبرقات بين بعض أجزاء المملكة[٢]. وفي الستينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) بدأ استخدام الهاتف اليدوي نظام (الماجنيتو) في المدن الكبيرة، مثل جدة، والرياض، ومكة المكرمة. ولم أجد أي مصدر يذكر وصول الهاتف اليدوي أو الآلي إلى أي ناحية في السروات وتهامة قبل سبعينيات القرن الهجري الماضي[٣].

أنشئت وزارة المواصلات في سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وأسند إليها الإشراف علــى خدمات الاتصالات ممثلة في إدارة البرقيــات، أو اللاسلكي. وتشير بعض الوثائق إلى بدايــة الخدمة اللاسلكية في مدينة أبها عام (١٣٥٠هـــ/١٩٧٠م)، وكانت مترابطة بمركــز لاسلكي مكة المكرمة[٤]. وفي عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) بدأت الخدمة الهاتفية في أبها بمقسم يدوي سعة (٥٠) خطا، وأصبحت (٣٠٠) خط في عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، وجميعهــا تعمــل على شبكــة هوائية كثيرة الأعطــال، وصعبة الصيانــة. وفي نفس العام استبدلت المقسمات اليدوية بوحدتين آليتين من نوع (هيتاشي) سعة كل واحدة (٨٠٠) خط، أحدهما في أبها، والأخرى في خميس مشيط[٥].

---

(٢) المهندس عبدالرحمن اليامي مدير عام الاتصالات بالمنطقة الجنوبيــة (عسير، وجازان، ونجران). ولم تستمــر هــذه الإدارة طويلا، وأنشئ في كل منطقة إدارة مستقلــة تراجع الوزارة. المصدر: عاصرت هذه التطورات والتحولات الإدارية في منطقة عسير وغيرها، ومازال عندي الكثير من الذكريات والمشاهدات عن التنمية الحضارية في بلاد السراة وتهامة، أمل أن أصدرها في عمل علمي مطبوع ومنشور.

(١) صــدر من هذا الكتاب طبعتين، انظر الطبعة الأولى (الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ص ٤٢٩ـ ٤٤٠، ٤٧٣ـ ٤٧٤ .

(٢) يوجــد في مكتبتــي العلمية مئــات الوثائق في هيئة برقيات كانــت ترسل من الملــك عبدالعزيز وبعض رجال الدولــة إلى عدد من الأمــراء والأعيان والشيوخ في بلــدان جازان، ونجران، وعســير، والقنفذة، والطائف وغيرها في الخمسينيات والستينيات من القرن الهجري الماضي.

(٣) انظر مذكرة الأستاذ جمال السحلي المنشورة في كتاب: أبها حاضرة عسير، ص ٤٣٠ .

(٤) يذكر أن تلك الخدمة اللاسلكية كانت بواسطة جهاز مورس من نوع (هيلكرفترز)، وكان بسيطاً ومتواضعاً من الناحية العملية .

(٥) كنت في الفترة من (١٣٩٤ –١٣٩٧هـ/١٩٧٤ـ ١٩٧٧م). أعيش في سروات منطقة عسير، وبخاصة في البلاد الممتــدة من أبها وخميس مشيط إلى تنومــة والنماص. وشاهدت عند بعض الأعيان في بلدة النماص بعض

تأسست وزارة البرق والبريد والهاتف في منتصف التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وبدأت بشكل جاد في تطوير الاتصالات من برق، وهاتف، وتلكس، وبريد، وبخاصة بعد نشأة هذه الإدارة الحديثة، وانفصال مؤسساتها عن وزارة المواصلات[١]. وفي عام (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) بدأ عصر العمل الإلكتروني الحديث بتشغيل مقسم من طراز (بي. آر. أكس) سعته (٣٥٠٠) خط في مدينة خميس مشيط. وتشغيل وحدتين في مدينة أبها من مقاس (الهيتاشي) سعته (١٠٠٠) خط. ونُقلت الوحدة الأولى من أبها إلى بيشة بدلاً من مقسمها اليدوي، وفي نفس العام استبدلت محطة الأقمار الصناعية بأخرى أكثر تطوراً من طراز (هاريس)، تعمل بها (٣٢) دائرة للإرسال،ومثلها للاستقبال، إضافة إلى عدة دوائر لبرامج التلفزيون وخطوط التلكس[٢].

في عام (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) تم تشغيل مقسم (بي. ار. اكس) سعةٍ (٨٠٠) خط في أبها، وألغيت محطة الأقمار الصناعية لتشغيل محطات الميكروويف بدلاً منها. وجرى تشغيل مقسم (ايه. أكس) بسعة (٢٠٠٠) خط لربط جميع أجزاء المنطقة الجنوبية مع مناطق المملكة ومعظم دول ومدن العالم بشكل مباشر. ويعد عام (١٣٩٩ـ ١٤٠٠هـ/٧٩ـ ١٩٨٠م)، من التواريخ المهمة في ميدان التطوير والتقدم الذي شهده قطاع الاتصالات في المملكة من حيث جودة الخدمات وتوسعها ونوعية الأجهزة الحديثة، وزيادة أعداد المشتركين[٣].

تحتوي مدونة الأستاذ جمال السحلي على تفصيلات كثيرة وجيدة عن التطورات التي شهدتها إدارة الاتصالات في عسير وما جاورها من عام (١٤٠٠-١٤١٥هـ/١٩٨٠-١٩٩٥م)[٤]. ويأتي الأستاذ اليامي، مدير عام الاتصالات بالمنطقة الجنوبية فيذكر المقر

الهواتف اليدوية. كما رأيت في عدد من الإدارات الحكومية في النماص، وأبها، وخميس مشيط عدداً من الهواتف الآلية. لكنها مازالت قليلة، وبدأت الهواتف اليدوية تختفي وتحل محلها الهواتف الآلية الحديثة. المصدر: مشاهدات الباحث في السنوات الوسطى من العقد التاسع في القرن الهجري الماضي.

(١) الكتابة عن منجزات وزارة المواصلات، ووزارة البرق والبريد والهاتف في عموم السروات وتهامة من عام (١٣٧٣ـ ١٤٤٤هـ/١٩٥٣ـ ٢٠٢٣م)، موضوعات جديدة في الدراسات التاريخية الحضارية التنموية. وكل قطاع أو وزارة تستحق أن يفرد لها عدد من الكتب أو الرسائل الجامعية. آمل من الباحثين والمؤرخين في الجنوب السعودي أن يخدموا هذه المجالات بحثياً وتوثيقياً.

(٢) انظر مذكرة جمال السحلي المنشورة في كتاب: أبها حاضرة عسير، ص ٤٣١. وقد شاهدت وعرفت بعضاً مما ذكر الأستاذ السحلي، وأنا أعمل طالباً في كلية التربية بفرع جامعة الملك سعود في أبها (١٣٩٧ـ ١٤٠٠هـ/١٩٧٧ـ١٩٨٠م).

(٣) كان الأستاذ جمال السحلي زميل دراسة في الكلية (١٣٩٧ـ ١٤٠١هـ/١٩٧٧ـ ١٩٨١م)، ويعمل وقتها موظفاً في إدارة الاتصالات بأبها، وأخوه عباس السحلي مدير إدارة الاتصالات في منطقة عسير وماجاورها. وكنت أتردد على الأستاذ جمال في الكبائن التليفونية التي يعمل فيها بوسط مدينة أبها، وأشاهد تطور الاتصالات بشكل جيد وملحوظ.

(٤) انظر تفصيلات هذه المذكرة منشورة في كتاب: أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية)، ص ٤٣٢ـ ٣٧.

الأول لإدارة المنطقــة الجنوبية بأبها عام (١٣٩١هـ/١٩٧١م)، وكان عدد الموظفين عند افتتــاح الإدارة لايزيدون عــن عشرين موظفا، معظمهم منتدبــين أو منقولين من الوزارة، ومنهــم من تم الاستعانة بهم من مركز لاسلكي وبريد أبها وجازان[١]. وكانت جميع مراكز الاتصالات في مناطق عسير، ونجران، وجازان تتبع ماليا وإداريا لمكة المكرمة للمواصلات السلكية واللاسلكية والبريدية. وفي عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) تغير الاسم إلى منطقة الجنوب للمواصــلات السلكيــة واللاسلكية. وفي عام (١٣٩٧هــ/ ١٩٧٧م) أسست منطقة الجنوب للهاتــف الآلي، وفصــل قطاع البرق عــن الهاتف، وفيما بعد تشكل قطــاع الهاتف بالمنطقة الجنوبيــة للهاتف السعودي، وأصبحت المنطقة في عــام (١٤٠١هـ/١٩٨١م) تتبع للمنطقة الغربيــة للاتصــالات[٢]. وفي عــام (١٤٠٣هــ/١٩٨٣م) تم جمع قطاع الــبرق مع منطقة الجنــوب للهاتــف السعودي ليشكلا معاً منطقــة الجنوب للاتصالات، وتتبــع إداريا وماليا وفنيــا للمنطقة الغربية للاتصالات.واستمرت تلك التبعية حتى عام (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ثــم صدر قرار وزير البرق والبريد والهاتف بفصل منطقة الجنوب للاتصالات، وتسميتها المنطقة الجنوبية للاتصالات، وتحولت التبعية الإدارية إلى الوزارة في الرياض[٣].

الجميــل في مذكــرة المهندس عبدالرحمــن اليامي، مديــر عام المنطقــة الجنوبية للاتصــالات التي وصلتني بتاريخ (١٤١٦/١/١هـ) أن ذكــر أسماء المديرين الذين تولوا إدارة قطاع الاتصالات في الجنوب، وكان مقرهم في مدينة أبها، وأولهم عباس مصطفى السحلي[٤]. وذكر أن الميزانيات التي صُرفت على هذا الميدان من (١٣٩٥ـ١٤١٤هـ/١٩٧٥ــ ١٩٩٤م) تقــدر بـ (٢،٦٦٥،٠٠٠،٠٠٠) ريالا، وهــذه المبالغ شملت التكاليف الرأسمالية، والشبــكات المشتركــة، والمصاريــف التشغيليــة[٥]. وفي الجــدول التالي توثيــق معلومات إحصائية جيدة عن إدارة الاتصالات عام (١٤١٤ـ ١٤١٥هـ/١٩٩٤ـ ١٩٩٥م)[٦].

---

(١) المرجع نفسه، ص ٤٣٨ .

(٢) عاصرت هذه التطورات والتحولات الإدارية في مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، عندما كنت أعمل معيداً في قسم التاريخ بفرع جامعة الملك سعود بأبها.

(٣) إن تاريخ ارتبــاط المناطــق الجنوبية إداريــا ومالياً بالمنطقة الغربيــة، أو الرياض في المنطقــة الوسطى خلال المئــة عام الماضيــة (١٣٤٣ـ ١٤٤٤هـ/١٩٢٤ـ ٢٠٢٢م) موضوع تاريخي حضاري كبير جداً، يستحق أن يوثق في عشرات البحوث العلمية، آمل من جامعات الطائف، والباحة، وبيشة، والملك خالد، وجازان، ونجران أن تدعم مراكز بحوثها العلمية، وأقسامها الأكاديمية على دعم ودراسة هذا المجال الحضاري الحديث والمعاصر المهم.

(٤) للمزيد انظر مذكرة المهندس اليامي منشورة في كتاب: أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية)، ص ٤٣٩ـت ٤٤٠ .

(٥) المصــدر نفسه. وقد حصلت على العديد من الوثائــق والسجلات الخاصة بميادين البرق والبريد والهاتف مــن تسعينيات القــرن (١٤هــ/٢٠م) إلى عشرينيات القرن الحــالي (١٥هـ/٢٠م). آمــل أن أجد الوقت لدراساتها ثم طباعتها ونشرها.

(٦) غثيــان بــن جريس، أبها حاضــرة عسير، ص ٤٤٠ . آمــل أن تكون هذه المذكرة التي دونهــا اليامي، وقبله السحلــي مفاتيح لموضوعــات علمية كبيرة توثيقية وتحليلية عن قطاع الاتصــالات في المنطقة الجنوبية من سبعينيات القرن الرابع عشر الهجري إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) .

جدول رقم (١): إجمالي عدد الموظفين والميزانية في منطقة عسير، والمناطق الجنوبية عام(١٤١٤ـ ١٤١٥هـ)

م	الموضوعات	عدد الموظفين والميزانية
١-	إجمالي اليد العامة بمنطقة عسير	(٥٩٣) موظفاً
٢-	إجمالي اليد العاملة بالمنطقة الجنوبية(عسير، وجازان، ونجران).	(١٣٢٣) موظفاً
٣-	ميزانية المنطقة الجنوبية (عسير، وجازان، ونجران).	(٥٣،٠٦٥،٠٠٠) ريال
٤-	ميزانية منطقة عسير	(١٩،٧٥٨،٠٠٠) ريال

رأيت التطورات الكبيرة التي عاصرتها الاتصالات من العقد الثاني في هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م)، واذكر في الصفحات التالية بعضاً مما عرفته أو سمعت عنه في هذا الميدان الحيوي المهم، وهي على النحو الآتي :

١- عشت في القرى والأرياف حتى السنوات الأخيرة من القرن الهجري الماضي، وأسمع عن بعض وسائل الاتصال في بلدة النماص، وعندما انتقلت للدراسة في كلية التربية بأبها بدأت اشاهد الهواتف اليدوية والآلية ، واسمع عن التلكس والبرقية لكنني لم أرها. وغالبية الناس لا توجد عندهم وسائل اتصالٍ حديثة، إنما هي في حوزة المسؤولين، وبعض الأعيان، والوجهاء، والمقتدرين مادياً عندهم هواتف في منازلهم، ومكاتبهم، ورأيت بعض الطلاب من أبناء التجار في مدينتي أبها وخميس مشيط لديهم سيارات فارهة، يوجد في بعضها هواتف. وأذكر أنني سألت أحدهم، وهو من طلابي عام (١٤٠٥ـ ١٤٠٦هـ/٨٥ـ ١٩٨٦م) ، عن سعر هاتف السيارة فأخبرني أنه يكلف (٥٠،٠٠٠) ريالاً، وقال : (إن بعض الهواتف تكلف أكثر من هذا المبلغ، وربما وصلت أسعارها إلى الثمانين ومئة ألف ريال) . وكانت هواتف السيارات آنذاك قليلة ومحدودة جداً[١] .

٢- لا أحد ينكر أهمية للاتصالات في حياة الناس، وما يعود عليهم من خيرها وفوائدها. وكنت أرى الكثير من الأسر والأشخاص في مدن السروات وتهامة خلال العقدين الأوليين من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) يبذلون جهوداً كبيرة لإيصال الهواتف إلى

(١) يوجد في مكتبتي العلمية الكثير من القصاصات والمدونات عن موضوعات كثيرة في أرجاء السروات وتهامة. بدأت أجمعها من بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ومازالت في مادتها الأولية، ومختلطة ببعضها. آمل أن أجد الوقت والصحة والعزيمة الكافية حتى أعود إليها، واستخلص منها بعض التوثيقات الجديدة التي دونتها من الميدان أثناء رحلاتي، ولقاءاتي بالكثير من الأفراد والجماعات.

منازلهم، والبعض منهم في الحواضر الكبيرة يتحقق لهم مطلبهم، لكنه ليس بالأمر اليسـير لمحدودية الخطـوط والإمكانـات [١]. أمـا القاطنون في المـدن الصغيرة، أو القرى والأريـاف فلا يقدرون على ذلك، لعدم وجود البنيـة التحتية الكافية لإيصال التليفونات إلى كل مكان[٢].

٣- كنت أثناء دراستـي في أمريكا وبريطانيـا (١٤٠١-١٤٠٩هـ/١٩٨١-١٩٨٩م)، أعود كل إجـازة صيفيـة إلى الجنـوب السعـودي، وأشاهـد الكثـير من كبائـن المكالمات المحلية والدولية منتشرة في كل حاضرة ومدينة في السراة وتهامة. كما رأيت خلال ذلـك العقـد، والعقد الثاني مـن هذا القرن(١٥هـ/٢٠م) وجود ثـم تزايد كبائن العملة النقدية في الشارع، وفي بعض الكبائن الموجودة داخل مقرات الاتصالات، ثم بعض الكبائن التي يؤسسها ويشرف عليها بعض التجار بعد إجراء بعض الاتفاقيات والعقود مع إدارة الاتصالات. أما مقرات الاتصالات في طول البلاد وعرضها، ففي المدن الكبيرة وبعض المتوسطة يوجد أبنية خاصة بالاتصالات، وهناك أمكنة أخرى مستأجـرة، إلا أن وزارة الـبرق والبريـد والهاتف ثم الاتصالات فيمـا بعد توسعت في تشييـد مقرات خاصة لمعظم قطاعاتها، وأصبحت مقرات الاتصالات المستأجرة قليلـة جداً مـن عشرينيات هذا القـرن (١٥هـ/٢١م)[٣]. والـذي لفت نظري كثرة الموظفين السعوديين في قطاع الاتصالات، وأغلبهم من الشباب. وفي العقد والنصف الأخير(١٤٣٠ـ ١٤٤٤هـ/٢٠١٠ـ ٢٠٢٣م) أصبح يعمل في ميدان الاتصالات الكثير من النساء والرجال السعوديين، وهو من الميادين الوظيفية الجيدة معرفياً، وماليا، واجتماعياً، واقتصادياً[٤].

---

(١) أذكـر أنني عـدت من بريطانيا بعـد مرحلة الدكتوراه في نهايـة العقد الأول من هذا القـرن (١٥هـ/٢٠م) وسكنت وسط مدينة أبها، وحصلت على هاتف منزلي بسهولة. وعندما انتقلت إلى حي المنسك شرق المدينة عـام (١٤١٣ـ ١٤١٤هـ/٩٣ـ ١٩٩٤م)، عانيت كثيراً حتى حصلت على رقم هاتف في منزلي الخاص، ومثلي كثير في المدن الكبيرة والمتوسطة في بلاد تهامة والسراة.

(٢) أخـي العزيـز القـارئ والباحـث قـرأت في مذكرتـي الأستاذيـن السحلي واليامـي تفصيـلات قيمة عن بدايـات وتطـورات قطاع الاتصـالات في جنوب المملكة مـن السبعينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى عام (١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ورأيت بعض المبالغ الكبيرة التي صُرفت على هذا المجال المهم. وفي تلك الفترة حتى نهاية العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) كنت أتجول في أنحاء البلاد من الطائف ومكة إلى جازان ونجـران، وأشاهد عجلـة التنمية تسير في كل مكان، وعلى كل القطاعات. وميدان الاتصالات من المجالات المرعيـة بشكل كبـير، إدراكاً من هذه الدولـة المباركة(المملكـة العربية السعودية) بأهميتـه على المستوى المحلـي، والإقليمي، والعالمي. ومنذ العشرينيات بدأت آثار هذا القطاع تدخل وتصل إلى كل مدينة، وقرية، وفرد، وأسرة في أنحاء البلاد.

(٣) هذا الذي عاصرته وشاهدته خلال العشرين سنة الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م).

(٤) إن الآثـار الإيجابيـة لقطاع الاتصـالات في المملكة العربية السعودية لا يمكن توثيقهـا في سطور أو صفحات محدودة. لأن هذا الميدان الحيوي الحديث أثر على جميع القطاعات العامة والخاصة، الحكومية والأهلية،

٤- يصعب حصر الأجهزة والأدوات والوسائل التي دخلت عالم الاتصالات، لكنني قرأت عن بعضها أوشاهدتها في بلدان السروات وتهامة خلال العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، مثل جهاز البيجر الذي تهافت الناس على شرائه، وليس وسيلة اتصال، لكن له رقم يتم الاتصال عليه من رقم هاتف ثابت، وعندما يظهر رقم الهاتف في أداة البيجر يقوم حامله بالاتصال على رقم الهاتف الذي وصله. ولم يستمر استخدامه طويلا، فربما لم يتجاوز العام أو العامين [١]. ثم بدأ استخدام الهاتف النقال(الجوال)، وبدأ تأسيسه ثم انتشاره في المملكة على مراحل عديدة، وبداية أول مرحلة كانت في العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). وكان غالي السعر، ففي البداية كان على من يرغب الحصول عليه، دفع رسوم تأسيس مبلغ عشرة آلاف ريال لوزارة البرق والبريد والهاتف، غير سعر جهاز الجوال الذي كان أيضاً غالياً. وخدمة هذه الوسيلة جيدة، لأنها تعتمد على التقنية الرقمية بالكامل، والنظام المعتمد استخدامه في المملكة، هو نظام (GSA)، أي (النظام العالمي للهواتف المتنقلة)، وله الكثير من المميزات منذ نزوله الأسواق. وبادر الكثير من الناس بدفع رسوم التأسيس، واشتروا جهاز الجوال، وكانت كمياتها في البداية قليلة، لكن مع تطور الاتصالات واستخدام الفضاء عالميا، صار الجوال ومازال من وسائل الاتصالات الرئيسية عند جميع طبقات المجتمع، ليس في السروات وتهامة، لكن في أنحاء العالم، حتى البلدان، والمدن، والقرى، والأفراد، والجماعات الفقيرة صاروا يمتلكون الجوالات المتنوعة في مصادر صنعها، وأنواعها، وموديلاتها، وأصبحت من أعظم التجارات العالمية، وهناك العديد من الشركات العملاقة التي تعمل في مجال الاتصالات، وأجهزة الجوالات وماشابهها من أكثر السلع الرائجة وذات أرباح عالية عالمياً، وإقليمياً، ومحلياً [٢].

المدنية والعسكرية، الفردية والجماعية، والطاقة البشرية العاملة في مجال الاتصالات، سعوديين وغير سعوديين، ذكوراً وإناثاً، ومستوياتهم الدراسية والوظيفية، وصلاتهم بأعمالهم وبالمجتمع كلها موضوعات حضارية جديرة بالدراسات العلمية التاريخية التوثيقية .

(١) كان البيجر أداة صغيرة، وسعرها رخيص، فلا يتجاوز عشرات الريالات، لكنه لم يكن عملي، لهذا لم يستمر استخدامه. وأذكر فرحة الناس في تهامة والسراة عند نزوله الأسواق، وصار الكثير يشترونه، لكن استخدامه مرتبط برقم هاتف حقيقي. حبذا أن يدرس تاريخ هذه الوسيلة في جنوب المملكة، مع توضيح أثره على حياة الناس .

(٢) فقط أشرت إلى دخول الجوال إلى بلاد السرويين والتهاميين. وهناك جهود كثيرة وكبيرة بذلتها إدارات الاتصالات في هذه البلاد حتى صارت هذه الوسيلة متوفرة عند كل الناس، واصبح لها مئات المحلات التجارية التي تقوم على جلبها وبيعها وصيانتها. والكتابة عن تاريخ الهواتف النقالة (الجوالات) في جنوب البلاد السعودية من العقد الثاني في هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) إلى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) موضوع كبير جداً يستحق أن يدرس دراسة علمية جادة من حيث نوعها ومميزاتها، ثم وصولها وانتشارها في أرجاء البلاد، وآثارها السلبية والإيجابية على حياة الناس في أنحاء البلاد .

٥- رأيـت وعرفت العشـرات من طلابي الجامعيـين الذين كانوا يدرسـون ويعملون في قطاع الاتصالات في منطقة عسير وغيرها. ومنهم من استمر عملهم في هذا المجال بعـد تخرجهم، وفئـة أخرى تركـوا الدراسة، وواصلـوا عملهـم في إدارات ومراكز وشعـب الاتصـالات في بلدان عسير، وجازان، ونجـران، والباحة، ومنهم من ترقوا في أعمالهـم حتى صـاروا في مراكز متقدمة وقيادية. وقـد اتصلت ببعضهم لعلهم يكتبـون لي شيئاً من مشاهداتهم، وذكرياتهم، وانطباعاتهم في ميدان الاتصالات، لكننـي لم أحصـل على مادة جديرة بالنشـر، مع أن بعضهـم زودوني ببعض المادة القليلة والناقصة[١].

٦- إن المتأمل في عالم الاتصالات اليوم (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) في بلاد تهامة والسراة، أو في أي ناحيـة من المملكة العربية السعودية، أو أي بلد عربي وإسلامي، وأجنبي فإنه يلحـظ الانفجار الكبير للاتصالات الفضائية، في مجالات البرق، والبريد التقليدي والإلكـتروني، أو التليفون ووسائل الاتصـالات، المختلفة. وهذا التطور الهائل حدث خـلال العقود الثلاثة الماضية المتأخرة، وأصبح الباحث أو الإنسان العادي في حيرة مـن أمره على كميـة الأخبـار والمعلومات الكثيرة عن هـذا المجال وأثـره الإيجابي والسلبـي علـى كل القطاعـات الحضارية الداخليـة والخارجية، الماديـة والمعنوية، الفرديـة والجماعيـة. ومـن يقوم على دراسة هـذه الآثار في أي أسـرة، أو قرية، أو مجتمـع، أو مدينـة، أو منطقة في جنـوب البلاد السعودية، فسـوف يجد الكثير من المعـارف والأحـداث والروايات التي لهـا صلة مباشرة وغير مباشـرة بالاتصالات الفضائية على جميع المستويات، وفي كل الاتجاهات داخلياً وخارجياً[٢].

ثالثاً: لمحة عن وسائل التواصل الحديثة والمعاصرة:

نـرى في الصفحات السابقـة العديد من الأدوات ووسائـل التواصل البشري ابتداءً بالقلـم والكتـاب، ثـم المواصـلات البرية والبحريـة والجويـة ووسائلها، وأخـيراً عالم الاتصـالات الذي تنـدرج تحت مظلتـه وسائل التواصـل الحديثة والمعاصـرة. وقبل أن أتحـدث عن هذا المجال في بلاد السـروات وتهامة وأثره على الأرض والنـاس، أورد نبذة مختصرة عن وسائل وطرق التواصل بين الناس منذ عصور قديمة.

---

(١) آمـل أن نـرى بعض الأعلام الذين عملـوا في إدارات وأقسـام الاتصالات في السراة وتهامـة، ويستطيعون تزويدي بمادة علمية جيدة مكتوبة مما عرفوه وعاصروه مع مراعاة الدقة والشفافية فيما يوثق.

(٢) دراسة مثل هذا الميدان الواسع من مسؤوليات الجامعات والكليات والأقسام العلمية المحلية. كما أن الباحث والمؤرخـين يتحملون نسبة كبيرة من هذه المسؤولية. آمـل أن تقوم المؤسسات التعليمية العامة والعالية بدعم وتشجيـع الأفـراد والفرق العلميـة على إنجاز بحوث لها صلـة مباشرة بهذا المجال. مـع التركيز على آثاره السلبية والإيجابية على جميع شرائح المجتمع، والخروج بآراء وتوصيات علمية عملية تخدم البلاد والعباد.

ففي عصر ما قبل الميلاد، كانت النقوش والرسومات الصخرية من أوائل وسائل التواصل، ثم اخترعت الكتابة عند السومريين ومن عاصرهم أو جاء بعدهم في مشارق الأرض ومغاربها، وفي ذلك الزمن عُرف البريد، وكان الحمام الزاجل إحدى الوسائل القديمة التي استخدمت في نقل الرسائل والبريد المكتوب، ثم ظهر ورق البردي الذي استخدم في الكتابة ومجالات معرفية وحضارية أخرى عديدة[١].

استمرت عملية الابتكارات والمخترعات، ففي القرون الميلادية السابقة للعصر الميلادي نجد أن الرومان عام (٣٧م) استخدموا المرايا في جهاز صمم لإرسال الرسائل، ثم بدأ عصر الورق. وفي عام (١٠٥م) اخترع الصينيون الورق الذي نعرفه حاليا، وأول مطبعة خشبية كانت في الصين عام (٣٠٥م)، وفي القرن (٩هـ/١٥م) ظهرت الصحف الورقية في أوربا للمرة الأولى، وفي القرون الإسلامية (٩-١٣هـ/١٥-١٩م) نجد العديد من الاختراعات الغربية التي لها علاقة بالاتصالات والتواصل، ومنها:

١- اخترع جوناس جوتنبرج الألماني في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي أول طابعة معدنية قابلة لتغير الأحرف. وفي الستينيات من القرن (١٦م) ظهرت أول كاميرا تعمل بتقنية الغرفة المظلمة التي أسماها ابن الهيثم (القمرة). وفي عام (١٠٦٠هـ/ ١٦٥٠م) بدأت الصحف تصدر في بعض بلدان أوربا يومياً وخلال العقد الثاني من القرن (١٨م) اخترع هنري مل الإنجليزي أول آلة كاتبة. وفي بداية القرن (١٩م) نجح جوزيف نيبسي الفرنسي التقاط أول صورة ضوئية. وفي عام (١٢٣٧هـ/١٨٢١م)، نجح كارلوس ويتستون الإنجليزي اخترع ميكرفون أولي[٢].

٢- ظهر بعض العلماءِ الغربيين الأوائل خلال العقود الوسطى من القرن (١٩م). الذين أنجزوا عدداً من الاختراعات الخاصة بالتلغراف العادي ثم الكهربائي. وكان من أشهرهم صامويل مورس، وتوماس أديسون الأمريكيين. وحاز ألكسندر جراهام بيل الاسكتلندي على براءة اختراع الهاتف[٣]. وتذكر المصادر أن العالم الإيطالي جاليلمو ماركوني طور التلغراف ليعمل أول مرة لاسلكياً. وأرسل أول موجات راديو عبر المحيط الأطلسي خلال العقد الأخير من القرن (١٩م)،

---

(١) هناك عشرات الكتب والبحوث العلمية العربية والأجنبية التي أرخت للكثير من وسائل الاتصالات والتواصل في عصور ما قبل الميلاد، والذي أشرت إليه أعلاه فقط لمحات قليلة، لنعلم أن هناك بعض وسائل التواصل الإنساني منذ زمن بعيد.

(٢) جميع هذ المعلومات موثقة في الكثير من الكتب والبحوث العلمية العربية والأجنبية، الورقية والرقمية.

(٣) من يدرس كل اختراع بشكل منفصل نجده مر ببعض المراحل، وهناك العديد من العلماء المخترعين الذين لهم أفضال كثيرة على البشرية لجهودهم وريادتهم، لكنهم لم يشتهروا مثل غيرهم من العلماء المبتكرين.

والعقد الأول من القرن (٢٠م). وفي العقدين الأوليين من القرن العشرين الميلادي تمكن توماس أديسون من إرفاق الصوت مع الصورة المتحركة، وأجرى أول اتصال هاتفي عبر القارات، واستخدام الراديو متغير الموجات [١].

٣. بدأ عصر الرائي (التلفاز) في عشرينيات القرن العشرين، وكان أول بث تلفزيوني في أوربا عام (١٣٤٦هـ/١٩٢٧م). ومنذ منتصف القرن الرابع عشر الهجري، الثلاثينيات الميلادي انتشر الراديو في العالم. وكانت بداية عصر تكنولوجيا المعلومات باستخدام أول جهاز كمبيوتر في الولايات المتحدة الأمريكية في أربعينيات القرن الميلادي الماضي، ثم بدأ بيع أجهزة الكمبيوتر في مطلع الخمسينيات من القرن نفسه، وتتالت الاختراعات الخاصة بتطوير الحاسب الآلي، وإطلاق العنان لشبكة الإنترنت العالمية، ولم نصل إلى العقد الأخير من القرن العشرين الميلادي، إلا مستخدمي الإنترنت يقدرون بالملايين. أما شبكة الهاتف النقال (الجوال) فقد بدأت في اليابان في نهاية القرن الهجري الماضي (السبعينيات الميلادي) [٢].

نجد القرنين العشرين والحادي والعشرين عصر تطور الاتصالات، وتسخير الفضاء لاختراع الكثير من المخترعات الحديثة والمعاصرة، ابتدأ بالراديو ثم التلفاز، وأخيراً الحاسب الآلي (الكمبيوتر) وشبكة الإنترنت التي سيطرت على عالم الاتصالات، حتى صار التواصل بين الأفراد شبه مجاني في كثير من الأحيان، ولا يتطلب ذلك أي جهد، وجميع أجزاء العالم أصبحت كأنها قرية صغيرة يعيش فيها سكان الكرة الأرضية.

كانت طرق المواصلات، ووسائل الاتصالات الأرضية والفضائية قديماً محدودة جداً. وإذا كان هناك بعض المنجزات والاختراعات في أي ناحية من نواحي الكرة الأرضية، فكانت أيضاً بدائية أو بسيطة . ومن القرن (١٣هـ/١٩م) بدأت الابتكارات العلمية لتي تصب في خدمة الإنسانية تظهر في بلدان عديدة، شرق العالم وغربه. وفي القرنين الأخيرين (١٤-١٥هـ/٢٠-٢١م). جرى في العالم الكثير من التحولات الحضارية في الجو، والبر، والبحر. ومن أعظم هذه التغيرات المواصلات والاتصالات

---

(١) من يدرس تاريخ البشرية عبر العصور التاريخية يجد الكثير من العلماء المبدعين العاملين الذين سخروا حياتهم لخدمة الناس، بصرف النظر عن مواطنهم الرئيسية، أو جنسياتهم، أو معتقداتهم، أو أشكالهم. وفي المتن البعض من تلك النماذج. وهناك الكثير من الأعمال العلمية المطبوعة والمنشورة التي أرخت للمنجزات العلمية والمعرفية على مر التاريخ.

(٢) اعلم أن كل المعلومات الواردة في الفقرات السابقة ليست جديدة، لأنها موثقة في الكثير من الدراسات العلمية العربية والأجنبية. وذكرتها في هذا المحور حتى نرى كيف بدأت وتطورت الاتصالات ووسائل التواصل محلياً، وإقليمياً، وعالمياً .

ولهما صلة ببعضها[١]. لكن قطاع المواصلات يركز على نقل البشر (براً، وبحراً، وجواً) وما يتعلق بحياتهم من مكان لآخر في أرجاء الأرض. اما الاتصالات فمجالها الرئيسي هو الفضاء، حيث سُخر بالكثير من الوسائل المادية والمعنوية التي تصل إلى البشر وتربطهم ببعضهم صوتاً، أو صورة، أو كتابة. وصار الفضاء مشتركاً بين سكان الأرض، أفراداً، وأسراً، ومجتمعات، ودول، وقارات[٢].

لا يتسع الحديث عن وسائل التواصل الحديثة والمعاصرة في المملكة العربية السعودية، أو في بلاد السروات وتهامة في ورقات معدودات، لأن ذلك موضوع كبير يستحق أن يوثق في كتاب ورسائل علمية جامعية عديدة، وهذا العمل من مسؤوليات جامعاتنا ومراكز البحوث العلمية المحلية. والذي أوثقه في هذه المدونة فقط لمحات يسيرة مما عاصرته وعرفته وشاهدته في جنوب البلاد السعودية خلال هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠- ٢١م) ٠

كانت بداية هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) خير وبركة على الأوطان السعودية، بسبب الأمن والنماء والتطور والاستقرار الذي وصل كل مكان، وشمل كل القطاعات الحضارية وفي مقدمتها المسيرة التعليمية العامة والعالية، الإنسانية والعلمية. وجنوب المملكة حظيت بالكثير من الدعم والرعاية في هذا الميدان الحيوي المهم، وقد أشرت إلى ذلك في صفحات سابقة من هذا القسم، وفي عدد آخر من كتبي وبحوثي المطبوعة والمنشورة التي صدرت خلال العقود الثلاثة الماضية[٣].

رأيت خلال هذ القرن (١٥هـ/ ٢٠-٢١م)، وأنا أعيش وأرتحل في ربوع السروات وتهامة الكثير من التطورات الحديثة التي استفاد منها جميع الأفراد، والأسر، والقرى، والمدن، والمجتمعات التهامية والسروية. وتاريخ التنمية الحديثة في مناطق جنوب المملكة العربية السعودية جديرة أن تدرس دراسات علمية تاريخية حضارية، مع توثيق حياة الأرض والناس في القرون الماضية، وما عاصرها من أحداث سياسية، واجتماعية،

---

(١) هناك دراسات عامة تشير إلى الاتصالات والتقارب الذين بين هذين القطاعين. لكن بحوث على مستوى صغير ومحدودة في الزمان والمكان غير موجودة بشكل جيد وواضح.

(٢) سبحانك يا الله، من يقرأ التاريخ على مر العصور يجد أن الحضارة المادية والمعنوية التي يعيشها العالم اليوم، لم يسبق لها مثيل، وفيها من السلبيات والإيجابيات الشيء الكثير الذي يكتب في آلاف الكتب والدراسات العلمية، وإذا توقفنا مع المخترعات الحديثة خلال القرنين (١٤- ١٥هـ/ ٢٠-٢١م)، فإن لها الكثير من الفوائد التي خدمت البشرية في مجالات كثيرة جداً، لكن لها أيضاً سلبيات عديدة. وهذه قدرة الله -عزوجل-، فهو الذي خلق الكون وسخر له وفيه الكثير من المخلوقات والعجائب التي لا يعرفه ولا يدركها الناس مهما عملوا ووصلوا إليه من اكتشافات أو إبداعات بشرية ٠

(٣) انظر بعض الدراسات الخاصة بالعلم والتعليم في بلاد السراة وتهامة منشورة في موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (٢٩ مجلداً). وفي بحوث وكتب أخرى عديدة ٠

واقتصاديــة، وعلميــة وتعليمية، وثقافيــة ومعرفية، ثــم مقارنة تلك العهــود مع العقود الماضيــة من هذا القــرن (١٤٠١-١٤٤٤هــ/١٩٨١-٢٠٢٢م))، وإذا تمت هذه الأعمال العلمية التوثيقية فسوف تتضــح لنا الصورة، ونعرف، وتعرف أجيال المستقبل صفحات مشرقة من حياة الناس في هذه الديار السروية والتهامية[٤].

وعــودة إلى رحلــة هــذه البلاد (تهامــة وسراة) مــع الاتصالات ووسائــل التواصل الحديثــة. فهــي جزء صغير مــن هذا الكيان الكبــير (المملكة العربيــة السعودية)، ولا ننســى فضــل الله ـ عــز وجل ـ على هــذه الديار، عندمــا دخلت تحت نفــوذ حكام هذه البلاد، منذ عهد المؤسسة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل (رحمه الله)، ثم جــاء أبناؤه الملوك من بعده (سعود، وفيصل، وخالــد، وفهد، وعبدالله، وسلمان) فشاع الأمن والرخاء والتطوير في كل مكان، ودخلت حياة المدنية والتمدن(المادية والمعنوية)، واستفــادت منها جميع شرائح المجتمع، وصارت بلدان السـراة وتهامة جزء من المملكة العربيــة السعودية التــي أصبحت جزءاً وعضــواً، رئيسياً وفاعــلاً في المنظومة العربية، والإسلامية، والعالمية[٥].

ونجــد عجلــة المخترعــات والتحديث الحضــاري الحديــث المعاصر بــدأ في الدول الصناعية الحديثة الغربية والشرقية، ثم سرى انتشاره إلى كل جزء في الكرة الأرضية. ومجــال الاتصــالات وتسخير الفضاء لعبــور القارات، والتواصل مع شعــوب الأرض بدأ منــذ بضعة قرونٍ، لكن القــرن الماضي، وهذا القــرن (١٤ـ١٥هـ/٢٠ـ٢١م)، كانا أكثر إبداعــاً واختراعاً في مجال التطور الصناعي، واكتشفت أجهزة كثيرة لخدمة البشرية، مثل: الراديو، واللاسلكي، والهواتــف بأنواعها، والتلفزيونات، ثم الكمبيوترات، وأخيراً الإنترنــت الذي يعد اكتشافاً رائــداً عظيماً في الوصول إلى كل مكان، وإلى جميع شرائح المجتمعات في أرجاء الكرة الأرضية، ونسمع حالياً ما يسمى بـ (الذكاء الاصطناعي)، وتقنيــة النانو وغيرها التي وصلت إلى بلدان كثيرة في العالم، وسوف نسمع في المستقبل مكتشفات أخرى عديدة تقوم على قطاع أو شبكات الإنترنت (Internet)[٦].

---

(٤) إنني منذ أربعين عاماً، وأنا أنادي بضرورة دراسة وتوثيق تاريخ وحضارة بلادنا (السراة وتهامة)، مع توخي الانصاف والحياد والمصداقية والشفافية فيما يدرس ويكتب ثم يطبع وينشر. (والله من وراء القصد).

(٥) بدايــة توحيد المملكة ثم تطورهــا حتى صارت من الدول الرئيسية والمهمة في العــالم، وفي شتى المجالات. موضوع كبير صدر عنه مئات البحوث والدراسات العربية والأجنبية لكن دراسة بعض أجزاء المملكة مثل السروات وتهامة وغيرها، ودورها المحلي، والإقليمي، والعالمي مازالت من المجالات الجديرة بدراسات علمية عميقة ورصينة.

(٦) الإنترنت: يعرف بشبكة المعلومات، أو الشبكة العالمية، أو الشبكة العنكبوتية. وهو نظام عالمي يسمح بتبادل المعلومات ويدخل في خدمة الكثير من المجالات والقطاعات البشرية الصغيرة والكبيرة ٠

حتى بداية هـذا القرن (١٥هـ/٢٠م) وصلت طلائع الإنترنت إلى بعض القطاعات والـوزارات في المملكة العربية السعودية. وفي العقد الثـاني من القرن نفسه بدأ انتشاره واستخدامه في بعض الحواضر والمدن الكبيرة بالمملكة، لكن في العشرينيات زادت معرفة الناس به[١]. ثم تطور حتى صار اليوم (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) معروفاً ومستخدماً عند كل الناس (صغـيراً وكبـيراً، ذكراً وأنثـى، متعلماً أو أميـاً) ومما عرفت عنـه وشاهدته في بلاد السراة وتهامة، أذكر بعضاً من ذلك في البنود الآتية:

أ- كـون لي صلة بالقراءة والكتابة (الطباعة والنشر) منذ زمن بعيد فقد سمعت ثم شاهدت مـن عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/٢١م) بدايةً تحول الكتب والصحف مـن ورقيـة إلى رقميـة، وصـار بعضـ الناسـ تدريجيـاً لا يفضلون الرجـوع إلى الصحـف والكتب الورقية، ويبحثون عنهـا رقمياً عن طريق مواقع الإنترنت العامة أو الخاصـة، الرسمية أو الأهلية[٢]. ومن خلال سـيري في مناكب السراة وتهامة. رأيـت مكتباتها الجامعية تشتمل على آلاف الكتب الورقية، لكنها أصبحت تشترك في العديد من مجموعات الكتب الرقمية المحلية، والإقليمية، والعالمية. واطلعت على بعضـ تقارير جامعات الملك خالد، والطائـف، وبيشة، ونجران، وجازان فوجدتها في العقـد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) كانـت جميع محتوياتها ورقية، وفي الثلاثينيـات من القرن نفسـه، أصبح عندها اشتراكات كثـيرة مع مكتبات رقمية داخـل المملكة العربية السعودية وخارجها. وهذه الظاهرة امتدت إلى كل المكتبات العامـة والخاصـة فأصبـح ارتيادها قليـلاً أو نـادراً[٣]. كذلك قطاعـات التعليم العـام والعالي والتقني، والإدارات والمؤسسات الحكومية والرسمية بذلت قصارى

---

(١) قـرأت وسمعت خلال العقدين الثاني والثالث من هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م) حديث الناس عن (النت) او الإنترنـت، وخدمته في التواصل مـع الناس كتابياً ثم كلامياً. وقد التقيـت بالعديد من العرب والأجانب في بعضـ مـدن تهامة والسراة، وأخـبروني عن استخدام الإيميـلات من خـلال النت، وكذلك الاتصالات والمحادثـات بالصوت والصوة مـع أشخاص آخرين في بلدان عديدة من العـالم. لكن الصورة الكاملة عن النت مازالت وقتها في البدايات من أول العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) .

(٢) تم تسخير النت علمياً ومعرفياً. وصار في مواضع الإنترنت (الشبكة العالمية) الكثير من العلوم والمعارف، والرجـوع إليها سهلاً. والكثير من الباحثين، أو مـن يريد معرفة معلومة ما، فإنه يطلع عليها في الإنترنت. وهـذا أثـر كثيراً على العلوم والمعارف الورقية. بل إن الوزارات ومؤسسات الدول أصبحت تتجه إلى توظيف الإنترنت في كل الأعمال والقطاعات التعليمية والعلمية، والخدماتية، بجميع أنواعها. والمصادر الورقية اليوم (الكتـب، والمجـلات، والصحف، والتقارير وغيرها) تراجعت كثـيراً، وأصبح الحصول عليها من الشبكة العنكبوتية أسهل وأسرع .

(٣) شاهـدت معظم المكتبات العامة في عموم السـروات وتهامة ألغيت، ولم تصبح لها أي دور في حياة الناس. وسمعـت أن وزارة الثقافـة السعوديـة تسعـى إلى تصميم طريقة تفعيـل الإنترنت في حيـاة الناس ثقافياً ومعرفياً، وبخاصة في مجال المعرفة مثل المكتبات وغيرها .

جهودها خلال العشرين سنة الأخيرة إلى تفعيل الإنترنت في حياة الناس، وصارت الكثير من الأعمال اليوم (١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م) يتم إنجازها عن بعد من خلال شبكة الإنترنت العالمية[١].

ب ـ أدركت الجامعات، والكليات، والأقسام الأكاديمية، وإدارات التعليم ومؤسساتها، والقطاعات العامة والخاصة، الرسمية والأهلية في أرجاء السروات وتهامة بأهمية التقنية وتوظيف الإنترنت في أعمالها الإدارية، والمالية، والمعرفية، والعلمية والتعليمية عندئذ أنشأت شُعب أو مراكز للتعليم والتدريب التقني. وكانت جامعة الملك خالد في أبها، ثم تلتها جامعات السروات وتهامة سباقة في ذلك من أجل تدريب موظفيها أولاً، ثم فتحت أقساماً وكليات تخصصية لتدريس الطالبات والطلاب في مجالات التقنية المختلفة التي تقوم على قطاع الشبكة العالمية (الإنترنت)، كما أنشئت مراكز وإدارات ثم عمادات للتعليم الإلكتروني. وأصبح هناك وكالات جامعية للجودة والتطوير وخدمة المجتمع، ومن أهم أعمالها تطوير المسيرة الوظيفية التعليمية على جميع المستويات، وكان للجانب التقني وتسخير الإنترنت النصيب الأكبر فيرسم خططها، وإنجاز أعمالها. ومن خلال (٤٤) سنة قضيتها في التعليم الجامعي، شاهدت الكثير من التطورات والمنجزات الفردية، والجماعية، الرسمية والأهلية، العامة والخاصة. ولكل عقد (١٤٠١ـ ١٤٤٤هـ/ ١٩٨٤ـ ٢٠٢٣م) إنجازات ومواصفات، لكن العقدين الأخيرين (١٤٢٥ـ ١٤٤٤هـ/ ٢٠٠٤ـ٢٠٢٣م) مختلفان تماماً في نوع التطورات، والأنشطة، والسلبيات والإيجابيات الحضارية المتنوعة،والسبب الرئيسي يعود للانتشار التقني الذي ساد العالم، وهذه البلاد (تهامة وسراة) جزء صغير من الوطن (المملكة العربية السعودية)، ومن كوكب الأرض بشكل عام[٢].

ج ـ اطلعت على مئات الوثائق والتقارير والسجلات الخاصة بالجامعات السروية والتهامية، وإدارات التعليم العامة، وعدد من الإدارات والقطاعات الصحية،

---

(١) أوجزت الحديث عن تراجع العملية التقليدية في الحياة التعليمية وقطاعات الدولة الرسمية والأهلية، وآثار الشبكة العالمية على حياة الناس في تعليمهم، وقضاء الكثير من مصالحهم.وكيف التوجه المحلي والإقليمي والعالمي على توفير (النت) لكل شرائح المجتمع، وتوجيههم على توظيف الإنترنت في تواصلهم العلمي، والمعرفي، والوظيفي، وجميع المجالات الصغيرة والكبيرة. وهذه الطفرة الحياتية حدثت فقط خلال العقدين الأخيرين (١٤٢٥ـ ١٤٤٤هـ/ ٢٠٠٤ـ ٢٠٢٣م)، وأعتقد خلال العشر أو العشرين سنة القادة سوف يكون الإنترنت هو السائد والفاعل في حياة البشر على كل المستويات.

(٢) الذي وثقته أعلاه ليس مبالغاً فيه. فمن يقرأ ويكتب تاريخ حياة الناس في السروات وتهامة قبل سنة (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، وبعدها، يجد الاختلاف واضحاً، بسبب الطفرة التقنية، والانفجار المعلوماتي الذي يعيشه العالم عبر الفضاء عن طريق توظيف وتسخير شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت)

والاجتماعية، والاقتصادية، والسياحية، والمدنية والعسكرية، والحكومية والأهلية فوجدت الكثير من الميزانيات والجهود التي بذلت في التدريب التقني والبشري من أجل تفعيل الإنترنت في شتى المجالات في هذه المؤسسات، بل رأيت العديد من الاتفاقيات والشراكات الداخلية والخارجية للهدف نفسه، وقد أثمرت هذه الجهود المباركة، فعندما تذهب إلى أي قسم، او إدارة، أو كلية، أو شعبة، أو مؤسسة تجد الكثير من الكوادر البشرية (ذكوراً وإناثاً) يقومون على إنجاز وظائفهم وواجباتهم، وشبكة المعلومات (الإنترنت) من الأسس الرئيسية في أداء أعمالهم وخدمة من يتردد عليهم أو يتصل بهم لمصالح متنوعة[١].

د ـ لاحظت أن الميدان الاقتصادي وبخاصة في التجارة والحرف والمهن المختلفة استفادت وربحت كثيراً في ممارسة أعمالها المختلفة. فمن المشاهدات الشخصية قامت آلاف المحلات الاقتصادية والحرفية والصناعية خلال العقد والنصف الماضي (١٤٣٠ـ ١٤٤٤هـ/٢٠٠٩ـ ٢٠٢٣م)، وعمل فيها آلاف البشر من السعوديين وغير السعوديين، والكثير من هذه القطاع سخرت (الإنترنت) في إنجاز أشغال، بل إن بعض المحلات التجارية والحرفية والصناعية تقوم منجزاتها بنسبة (١٠٠٪) على شبكة المعلومات (الإنترنت). وهذا مما يؤكد على الأساليب القديمة والتقليدية في ممارسة كثير من الاقتصاديات تراجعت وبعضها اندثرت ولم نعد نراها في الميدان العملي[٢].

هـ ـ إذا توقفنا مع الحياة الثقافية والإعلامية في بلاد تهامة والسراة خلال العقدين الأخيرين، نجد أنها تأثرت كثيراً، مثلها مثل غيرها من القطاعات المذكورة في الفقرات السابقة وكون الراديو، والتلفزيون، والصحافة وغيرها من الوسائل قديمة في تاريخها، لكن مع ظهور شبكة المعلومات (الإنترنت) جرى عليها الكثير من التغيرات، وكان للتقنية الحديثة الأثر الأكبر على هذه المصادر الثقافية والإعلامية. فالتلفزيون مثلاً لم يعد محدوداً في قناة أو قناتين، إنما صار هناك العديد من الأقمار الصناعية التي تبث مئات وأحياناً آلاف القنوات

(١) كل النقاط التي أشرت إليها في المتن عرفتها وشاهدتها، ومازلت أعاصرها من عشرينيات القرن الهجري الحالي(١٥هـ/٢١م). وحسب علمي فهي غير مدروسة في أعمال علمية تاريخية حضارية تنموية، آمل من الباحثين والمؤرخين في بلدان السروات وتهامة أن يلتفتوا إلى هذا الميدان الكبير فيدرس ويوثق في أعمال علمية جادة رصينة ٠

(٢) هذه التحولات التاريخية الحضارية الحديثة والمعاصرة جديرة بالبحث والدراسة. مع الإشارة إلى حياة السرويين والتهاميين الاقتصادية قديماً، ثم الظروف والعوامل التي جرت على هذا القطاع خلال العشرين سنة الماضية (١٤٢٥ـ ١٤٤٤هـ/٢٠٠٤ـ ٢٠٢٣م) ٠

العربيــة والإسلاميــة والأجنبيــة[١]. كما وصــل في العشرين سنــة الأخيرة الكثير مــن الأجهزة التقنية الذكيــة، والبرامج القائمة على الإنترنــت، ومن خلالها تبث آلاف الموضوعــات والمقاطــع (السلبيــة والإيجابية) المختلفــة بالصوت والصورة، ومــن الصعب حصرها وتفصيــل الحديث عنها، مثل: الواتســاب (Watsaapp)، وفيسبــوك (Facebook)،وانستغــرام (Instegram)، والإيميــلات بأنواعهــا، وتيــك تــوك (Tik Tok)، وجوجــل درايــف (Google Drive) ومايكروسوفــت (Microsoft teams)، وبنترســت (Pinterst)،وغيرها [٢]. وتطور استخدام هذه البرامــج عنــد السرويين والتهاميين منــذ نهاية العشرينيات وخاصــة الفيسبوك، والواتساب، ثم التيك توك[٣].

و- ممــا عرفته وعاصرته مع الإنترنت وآثــاره على أرض وسكان السراة وتهامة ظهور المنتديــات الفضائية في السنوات الأولى من عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/٢١م)، وصار يكتب فيها الكثير من الأفراد بأسماء مستعارة، وفي موضوعات متنوعة، وفي نهايــة العقد نفسه تطورت الكثير مــن المنتديات، وأصبح المشاركــون فيها يكتبون بأسمائهــم الصريحــة، ولم تكن المشاركــة في هذا المجال محصــورة على الكتابة فقــط، بل علــى الصوت والصــورة. ولاحظــت تلك المنتديــات من عــام (١٤٢١-١٤٢٩هـ/٢٠٠٠ـــ ٢٠٠٨م) متنوعــة في أهدافهــا، واصحابهــا، والموضوعات التي تناقشها.وبعضهــا معرفيــة وأدبيــة وعلمية وثقافيــة، وقد تكون خاصــة لأسرة، أو جماعــة، وأحيانــاً لشخص أو شخصين أو ثلاثة. وفي هــذه الفترة كانت الصحافة الورقية نشطة، لكنها بدأت تتراجع بسبب نشاط الإنترنت وانتشاره[٤]. ومن بداية

---

(١) أرجــو أن نــرى مؤرخــين جادين يدرسون تاريــخ الرائــي (التلفاز) في الســروات وتهامة وآثــاره الإيجابية والسلبية، وما جرى له من تحولات حضارية من نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر

(٢) هذه الأجهزة والبرامج وغيرها تعتمد بشكل كلي على شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت)، ولكل واحد منها تاريخ وآثار إيجابية، وسلبية على حياة الناس في أرجاء الكرة الأرضية، وصارت من الشغل الشاغل عند كل البشر وسوف نرى في قادم الأيام برامج وأجهزة أخرى أكثر دقة وتأثيراً على الأرض والناس ٠

(٣) يصعــب أن أورد في هــذه الصفحات شروحات كاملة عن هذه البرامج وأثرها على الناس في جنوب البلاد السعوديــة، لكنها تعد وسائــل التواصل الأخيرة والحديثة المستخدمة على نطــاق واسع، وعند كل الشرائح والفئــات، ولهــا إيجابيات وسلبيات كثيرة على حيــاة ووقت وصحة وأخلاقيات وقيــم البشر ليس في تهامة والسراة، لكن في كل مكان من الكرة الأرضية. آمل من جامعاتنا المحلية في جنوب المملكة العربية السعودية أن تشجــع وتدعم دراسة تاريخ وآثار هذه البرامج علــى البلاد والعباد، وهذا العمل يعد من الواجبات على هذه المؤسسات التعليمية العالية.

(٤) أرجــو أن نرى باحثين جادين يدرســون مسيرة الإنترنت وعلاقته بالمنتديات الافتراضية الخاصة والعامة، الفرديــة والجماعيــة، الأهليــة والرسمية في بلاد الســروات وتهامة، مــن عام (١٤٢٠ــــ ١٤٣٠هـ/١٩٩٩-٢٠٠٩م). وسمعــت عــن بعض الدارسين الذين كتبوا في هذا المجال وتلــك الفترة، لكنني لم أجد حتى الآن دراســة علميــة وافية ودقيقة. وقد التقيت ببعض من أسسوا أو عملوا في هذه المنتديات، وزودوني بمعلومات

ثلاثينيـاتٍ هذا القرن (١٥هـ/٢١م) اتسع استخدام الإنترنت في كل شيء، علمياً، ومعرفيـاً، وثقافيـاً، واجتماعيـاً، واقتصادياً.ودخلت الكثير من وسـائـل التواصل الاجتماعـي كالواتسابٍ وغيره. وأصبحت هذه البرامـج عند المؤسسات الحكومية والأهليـة، ذكوراً وإناثاً، وصـارت من ضروريات الناس في جميع الأمكنة، وعند كل الفئـات، وموجودة في كل مكان، داخل البلاد وخارجها، وأصبح الفضاء من خلال هـذه الأجهزة والبرامج يربـط أجزاء العالم بعضه ببعـض، ونتج عن ذلك الكثير مـن الإيجابيـات والسلبيات على جميـع شعوب الأرض، وممـا رأيته في هذا الباب بالبلدان التهامية والسروية، أدرج شيئاً من ذلك في الفقرات التالية :

١ـ إن الفوائـد العائـدة من شبكـة المعلومات العالمية (الإنترنـت) كثيرة جداً، ومتنوعـة في أغراضهـا علـى الأرض والنـاس. ولا نستطيـع حصرها لتعدد إيجابياتهـا. ومكاسـب الإنترنـت سائـدة في أرجـاء العـالم، والسرويـون والتهاميـون ليسـوا إلا شريحة صغـيرة (أرضـاً وإنساناً) مـن هذا العالم الكبير[١].

٢ـ أمـا الأضـرار والسلبيات من الإنترنت فهـي أيضاً كثيرة، لكـن من أهمها : ضياع وقت الإنسان، فقد يقضي فترة زمنية طويلة، تصل إلى ساعات خلال اليـوم الواحد، وهو يشاهد الكثـير من الموضوعات والمشاهـدات المحلية، أو الإقليمية، أوالعالميـةٍ. وجميعها أو بعضها غير نافعة ولا مفيدة عقلياً ونفسياً وجسديـاً٠ وأحيانـاً تجعـل الإنسان في عزلـة عن عالمه، وقـد ينتج عن ذلك بعضـ الأمراض النفسية، أو الجسدية، كالكسـل والخمول، وما ينتج عنهما من سلبيات عديدة. أيضاً مشاهدات الكثير من الصور أو الأفلام أو الأخبار الإباحيـة التـي تضـر الإنسـان المسلم في دينـه وقيمه وصلته مـع الله (عز وجل). وقـد يتعلم الشخص مما يراه من سلبيات بعضـ العادات والتقاليد أو الأفـكار والمعتقـدات الضـارة للإنسان نفسه ولأهله وبـلاده. وللأسف إن وسـائـل التواصل الاجتماعي من خلال الإنترنت أصبحـت منبراً سيئاً لهدم

عامـة وسطحية، وطلبت منهم تزويدي ببعض السجلات أو الوثائـق التي لها صلة مباشرة أو غير مباشرة بهـذا الميـدان المعرفي، لكنهم لم يتمكنوا من موافاتـي بشيء، وقال بعضهم، هناك بعضـ المصادر المدونة لكنها ضاعت.

(١) مـن يدرسـ فوائد الإنترنـت ووسائله وبرامجه علـى الإنسانية يحتـاج إلى سنوات طويلـةٍ، وأعمال علمية كثيرة. وجنوب البلاد السعودية (من مكة والطائف إلى جازان ونجران) استفادت كثيراً من هذا القطاع الفضائي الإلكتروني، وفي مدة قصيرة لا تزيد عن عقدين من الزمن (١٤٢٥ـ ١٤٤٤هـ/٢٠٠٤ـ ٢٠٢٣م). آمل أن يقوم بعض المؤرخين بدراسة تاريخ الإنترنت وآثاره الإيجابية على هذه البلاد السعودية ٠

الأخلاقيات، ونشر الرذيلة، وتدمير العلاقات الزوجية، وتفكك الأسر وتدهور العلاقات الحميدة بين أفرادها. وكم قرأت وشاهدت وسمعت الكثير من الوقائع والقصص الاجتماعية السلبية، التي كان للإنترنت ووسائل التواصل الفضائي الدور الأساسي في هذه المثالب التي يعود شرها على الدين أولاً، ثم على الحياة الإنسانية النظيفة والكريمة.

إذا كنا قد عرفنا وقرأنا أساليب أعداء الدين الإسلامي من القدم، وكيف تفننوا وبذلوا ما في وسعهم لمحاربتنا في ديننا وعقيدتنا الإسلامية، فلم يتركوا وسيلة أو طريقة إلا سلطوها علينا وعلى بلادنا ومقدراتنا ابتداءً بالحروب الصليبية في العصور الوسطى، وما تلا ذلك من قرون، حتى جاء الاحتلال لكثير من بلاد المسلمين عسكرياً وسياسياً وحربياً خلال العصر الحديث، ثم رأوا أن الغزو الفكري والثقافي والفكري هو الأفضل والأكثر نجاحاً في تحقيق أهدافهم. فسلكوا الكثير من السبل للوصول إلى غاياتهم، وقد نجحوا. وبعد انتشار عالم الإنترنت صاروا أكثر اجتهاداً في تحقيق سياساتهم الخبيثة تجاه معتقداتنا، وقيمنا، وعاداتنا، وأعرافنا العربية والإسلامية. ووجدوا من بني جلدتنا من تعاون معهم وحقق لهم رغباتهم. ولم يتورعوا في استهداف ثوابتنا، وصلاتنا ببعضنا، وأصبح الكثير من المسلمين وفي مقدمتهم الأطفال والنساء من الشرائح المستهدفة في إفسادهم، وإبعادهم عن دينهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً [١].

خامساً: رأي وتعليق:

إن الناظر في موضوعات هذا القسم يجدها مجالات حضارية كثيرة وكبيرة (كلمة في باب الرحلات، والقلم والكتاب، والمواصلات، والاتصالات، ووسائل التواصل الحديثة). وقد يقول قائل: إنني أتحدث عن قطاعات لها صلة ببلاد السروات وتهامة، خلال العصر الحديث والمعاصر، وكل ميدان يُكتب عنه عشرات الكتب والبحوث العلمية. وهذا كلام لا أعترض عليه أبداً، وهي الحقيقة. لكن الذي سعيت وأسعى إلى تحقيقه أن أكتب عن عناوين عديدة وواسعة في هذه البلاد الجنوبية العربية السعودية التي لها تاريخ قديم وطويل ومتشعب وعريق، ولا أدعي الكمال في كل عمل أنجزته عن هذه البلدان التهامية والسروية[٢]. آمل أن كل موضوع أو دراسة علمية طبعتها ونشرتها

---

(١) إن الحديث عن الغزو الثقافي والفكري ضد الإسلام والمسلمين في وقتنا الحاضر أكبر وأشد من أي زمن سبق. وعلى المسلمين بجميع مؤسساتهم الرسمية والأهلية أن ينتبهوا لهذا الخطر المحدق، ويعلمون أن الصراع بين الشر والخير، والحق والباطل، معروف منذ القدم، وسوف يستمر حتى تقوم الساعة. والله الهادي إلى سواء السبيل.

(٢) أرجو أن لا يستغرب أحداً اهتماماتي العلمية والبحثية ببلاد تهامة والسراة، فهي الأرض التي ولدت فيها، وتربيت على ثراها وعشت أكثر من ستين عاماً. والأهم من ذلك أنها ذات تاريخ وحضارة قديمة ومتنوعة

خلال العقود الأربعة الماضية عن الأرض والناس في هذه البلاد ألا تخلو من جديد وفائدة تصب في خدمة البحث العلمي المثمر والنافع. وقلت سابقاً وأكرر قولي الآن، إن هذه النواحي (سراة وتهامة) مازالت بكراً في ميادين الدراسات العلمية المختلفة، ودورنا نحن معاشر الباحثات والباحثين من أبنائها أن نجتهد، ونبذل كل طاقاتنا المادية والمعنوية في خدمتها علمياً ومعرفيا، وإن فعلنا ذلك فسوف نؤدي الأمانة تجاه ديننا، وبلادنا، وأهلنا ٠ ونحن اليوم - ولله الحمد - أفضل بكثير من قبل في مقدراتنا المادية، وفي حضارتنا العلمية، والمعرفية، والأدبية، والثقافية، والتعليمية[(١)].

من يقرأ الكثير من المتون والحواشي المنتشرة في هذا القسم، وغيره من الكتب والبحوث والأقسام العلمية المطبوعة والمنشورة منذ بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) إلى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) فإنه سيجد الكثير من الآراء، والتعليقات، والتوصيات العلمية التي لها صلة مباشرة أو غير مباشرة ببلاد السروات وتهامة (أرضاً وسكاناً) عبر أطوار التاريخ ٠ وكل توصية رصدتها لم توثق إلا بعد قراءات وتأملات كثيرة في تراث وموروث هذه الديار التهامية والسروية، لكن الكثير من هذا التاريخ والحضارة مازال غير موثق، بل الكثير منه قبل الإسلام وبعده ضاع ولا نعرف عنه شيئاً حتى هذه اللحظة. وأملنا في الله - عزوجل - أن يسخر لآثار هذه البلاد المدفونة والسطحية، المادية والمعنوية من ينقب عنها عبر العصور التاريخية، ثم تُدرس وتحلل، وإن تم ذلك بطريقة جادة ومنهجية علمية رصينة ومتخصصة، فقد نطلع على شيء من التاريخ والموروث الذي لم يعرف ولم يكتشف حتى الآن[(٢)].

منذ العصر الحجري إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م)، ومهما بذلنا من مال ووقت وجهد في خدمتها بحثياً وتوثيقيا، فلن نوفيها حقها، ولن نقدر على استكمال جوانبها التاريخية والأدبية والحضارية الكثيرة. آمل إن كل عمل قدمته نحو هذه الديار يكون خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون من العلم النافع الذي أجد أجره وثوابه عند الله (عز وجل) ٠

(١) نعم بلاد السروات وتهامة تحت حكم هذه الدولة المباركة (المملكة العربية السعودية) تعيش أجمل عصورها في شتى المجالات. والمسيرة العلمية والتعليمية في مقدمة القطاعات الحضارية التنموية الحديثة والمعاصرة ٠

(٢) لا ننكر أن هناك بعض الجهود الطيبة المتعلقة بدراسة بعض الآثار المادية في أرجاء السروات وتهامة، لكنها مازالت محدودة وفردية وغير مدعومة. والذي نتطلع إليه أن تقوم مؤسسات علمية كبيرة لديها الدعم المادي والمعنوي،فترسم الخطط العلمية العميقة والقوية لتحديد أماكن الآثار في أنحاء الديار، ثم ترسل لها فرق عمل بارعة ومتخصصة. (بإذن الله تعالى) ٠

القسم الرابع

مكة المكرمة في عين رجل من أهل السراة (قراءات، وذكريات، ومشاهدات) (١٣٩٢ـ ١٤٤٤هـ/ ١٩٧٢ـ٢٠٢٣م)

القسم الرابع

مكة المكرمة في عين رجل من أهل السراة (قراءات، وذكريات، ومشاهدات). (١٣٩٢-١٤٤٤هـ/١٩٧٢-٢٠٢٣م) بقلم. أ.د غيثان بن علي بن جريس

أولاً: تمهيد:

إن مكة المكرمة ليست كغيرها من مدن العالم، فهي مذكورة ومرعية عند الله (عز وجل)، لأنها مقر الكعبة المشرفة،وفيها بدأت وتتابعت أحداث دينية عظيمة وكثيرة، وأكبرها أثراً وتأثيراً في الكرة الأرضية مولد الرسول الكريم محمد رسول الله، خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، ثم نزول الوحي (القرآن الكريم) عليه فيها حوالي ثلاثة عشر عاما. ولهذه القدسية العظيمة، كونها حرم الله، ثم قبلة المسلمين في أرجاء المعمورة أصبحت مذكورة في جميع الكتب السماوية،ولها تاريخ وتوثيق في جميع الحضارات وعند الكُتَّاب والمؤلفين وأرباب العلم والمعرفة والثقافة بجميع اللغات في أنحاء العالم. وأثناء سيري في الأرض، وارتيادي جامعات ومكتبات عربية وإسلامية وأجنبية شرقية وغربية كثيرة اطلعت على آلاف المصادر والمراجع، وحضوري مئات المؤتمرات، والندوات، والمحاضرات، والنقاشات فوجدت مكة المكرمة حاضرة باستمرار في أي عمل معرفي له علاقة بالإسلام وحضارته، كما صدر عنها آلاف البحوث والدراسات الدينية، والتاريخية، والجغرافية، والحضارية وغيرها، ولست في هذا المقام بصدد حصر ما كتب عنها، فذلك قد دُرس ووثق في العديد من الكتب والأعمال العلمية والتوثيقية.[١]

إذا توقفت مع شريحة الرحالة والعلماء الذين زاروا مكة المكرمة خلال القرون الإسلامية المختلفة (ق١-ق١٥هـ/ ق٧ـ ق ٢١م)، وجدناهم يقدرون بالعشرات، ولو قلت أن أعدادهم تجاوزت ذلك إلى خانة المئات فربما ذلك الصواب. والمقصود بهؤلاء الأعلام، أي من زار مكة ووثق شيئاً من تاريخها وحضارة أهلها. وأثناء اطلاعي على عشرات الكتب والبحوث التي وصلتنا من هؤلاء العلماء والمدونين، خرجت ببعض الخلاصات والرؤى التي أرصد بعضها في النقاط الآتية:

١- لا يدخل ضمن هؤلاء الشريحة العلماء في شتى مجالات العلوم والمعرفة الإسلامية أو الإنسانية (الشرعية، واللغوية، والأدبية، والتاريخية، والجغرافية، والتراجم، والطبقات،وعلوم الطبيعة والنبات، وثقافات ومعارف أخرى عديدة)، فذلك ميدان واسع يُكتب عنه عشرات المجلدات، إنما قصدت كل عالم أو رحالة جاء إلى مكة المكرمة، ثم دون شيئاً مما شاهده وعاصره أثناء إقامته في هذا البلد الحرام[٢].

---

(١) من يرغب معرفة المزيد يطلع على قوائم المكتبات العلمية المحلية والإقليمية والعالمية فهي مليئة بالمصادر والمراجع الخاصة بمكة المكرمة. ومن بحث في المواقع والمنصات الرقمية فسوف يجد أيضاً مئات الدراسات في الموضوع نفسه.

(٢) يوجد هناك الكثير من الكتب والبحوث التي رصدت الكثير من حياة وتوثيقات رحالة وجغرافيين ومدونين قدموا إلى مكة عبر أطوار التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث والمعاصر، ومعظم هذا التراث مطبوع ومنشور ومازال هناك بعض المخطوط الذي ينتظر

٢- معظم الرحالة الذين وفدوا إلى مكة، جاءوا لأهداف دينية، هي أداء مناسك الحج والعمرة، وكانت جميع مدوناتهم وتوثيقاتهم عن هيئة المسجد الحرام، وما شاهدوا عليه وفيه من تاريخ مادي ومعنوي، وما يتعلق بالقائمين على خدمة الحرم وزواره، أو حياة الوافدين من الحجاج والمعتمرين أثناء أداء صلواتهم ومناسكهم في محيط المسجد الحرام والمشاعر المقدسة، وقليل جداً من الرحالة من تحدث عن حياة أهل مكة العامة والخاصة. وقد كان هناك رحالون وصلوا إلى مكة، وبقوا فيها بعض الوقت، وكان لهم أهداف أخرى علمية، أو تجارية، أو سياحية، أو سياسية وأمنية ودبلوماسية، أو مآرب أخرى، ومنهم من كان يجمع بين أكثر من هدف، لكن الأساسي والمعلن عنه هو السبب الديني[١].

٣- تنوع الرحالة الذين زاروا مكة ووثقوا صفحات من تاريخها خلال القرون الإسلامية المختلفة. ففيهم رحالون عديدون من شبه الجزيرة العربية. وفي مقدمتهم بعض المكيين والمدنيين والطائفيين، ومنهم أعداد جيدة أرخوا لهذه البلدان الثلاثة (مكة، والمدينة، والطائف)،وإذا اعتبرنا مؤلفاتهم التي وصلنا أولها في القرن الثالث الهجري(التاسع الميلادي)، ثم تتابعت حتى هذا القرن (١٥هـ/٢١م) من فئة المصادر التاريخية المحلية، فذلك تصنيف حميد، لكن من يفحص دراساتهم يجد الكثير من مادتها تدخل في باب الرحلات والمشاهدات التي عاصروها في بلدانهم. وكانت مكة المكرمة محظوظة أن ظهر فيها مؤرخون محليون كبار فصلوا الحديث في جوانب عديدة من تاريخ أرضها وأهلها مثل: الأزرقي، والفاكهي، وابن ظهيرة، والفاسي، وبعض العلماء من أسرة آل فهد، ثم جاء في قرون متأخرة حتى وقتنا الحاضر بعض الأعلام الآخرين فوثقوا جزئيات كثيرة من حضارة هذا البلد المبارك، مكة المكرمة، وقلبها النابض المسجد الحرام والمشاعر المقدسة[٢].

الدراسة والتحقيق ثم الطباعة والنشر.

(١) من يستقرئ الحياة السياسية في شبه الجزيرة العربية، والعالم الإسلامي، أو البلدان الأجنبية الشرقية والغربية، يجد أن التاريخ السياسي شيء أساسي في حياة الناس في أي زمان ومكان. وكون مكة المكرمة بلد حرام، وقبلة جميع المسلمين، فقد كانت ضمن اهتمامات الكثير من رجال السياسة والقلم. لهذا زارها وتجول في أرجائها وكتب عنها الكثير من الأعلام العرب والمسلمين، بل تسلل إليها العديد من غير المسلمين الذين أسلم بعضهم فعلاً، وآخرون تظاهروا بالإسلام من أجل الولوج إليها، والكتابة عن حرمها ومشاعرها المقدسة وسكانها المحليين أو الوافدين الزائرين. وهناك الكثير من الدراسات التي كتبت عن هؤلاء الرحالة، وبعض مدوناتهم وكتبهم التي وثقوها عن مكة أثناء زيارتهم لها.

(٢) قضيت سنوات عديدة أبحث وأقرأ في المصادر والمراجع التاريخية التي أرخت لشبه الجزيرة العربية، ووجدت بلاد الحجاز (مكة، والمدينة، والطائف) حظيت بخدمات جيدة جداً عند المؤرخين وغيرهم من أرباب القلم الدين دونوا لنا الكثير من تراث وحضارة وفكر وأدب البلاد الحجازية. وبعض الحجازيين كانوا ضمن هذه الشريحة الكبيرة التي أرخت لهذه الحواضر المقدسة (مكة المكرمة، والمدينة المنورة).

والكثير من المؤرخين والرحالة اليمنيين أفادونا كثيراً بكتابة صفحات من تاريخ وحضارة أهل الحجاز، وبخاصة المسجد الحرام، والمسجد النبوي وما يحيط بهما من تاريخ وحضارة. ولا تخلو بلاد نجد وشرق الجزيرة العربية من مؤلفين ورحالة وصلوا إلى مكة المكرمة ووثقوا لمحات من تاريخ الأرض والناس وما يتعلق بالمشاعر المقدسة[(١)].

أما الرحالة الذين جاءوا من خارج شبه الجزيرة العربية، ووصلوا مكة وكتبوا عن أرضها وسكانها فأعدادهم كثيرة. ومنهم العرب وبعض المسلمين الذين قدموا من مصر والمغرب والأندلس، أو من بلدان إفريقية أخرى، وآخرون من بلاد الشام، والعراق، وبعض بلدان المشرق الإسلامي، ورحالون آخرون من شرق وجنوب شرق آسيا كشبه القارة الهندية، وبلدان أرخبيل الملايو وغيرها. كما وصل إلى الحجاز خلال العصر الحديث (ق١٠-ق١٥هـ/ ق١٦-ق٢١م)، بعض الرحالين الغربيين من دول أوربا وكندا وأمريكا، أو من بلدان شرقية كالاتحاد السوفييتي سابقا، والصين، وكوريا، واليابان، واستراليا وغيرها[(٢)].

(*) **هناك أسباب عديدة جعلتني أوثق صفحات تاريخية حضارية في هذا الموضوع، أذكر أهمها في النقاط الآتية:**

أ- أنا ابن السروات أباً عن جد، عشت في ديرتي سروات الحجر (محافظة النماص) العشرين سنة الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكنت أسمع وأشاهد بعض الأفراد من بلادنا يذهبون نحو الحجاز (الطائف، ومكة المكرمة) إما للحج والعمرة، أو بحثا عن عمل وكسب رزق، وعند عودتهم ترى أحوالهم الاقتصادية أفضل من أهلهم في مواطنهم الرئيسية[(٣)]. دخلت المدرسة الابتدائية وبدأت أشاهد البضائع التي تستورد من مكة وجدة وغيرهما وتباع في أسواقنا الأسبوعية، واصلت دراستي

---

(١) المؤرخون والرحالة في وسط شبه الجزيرة العربية وشرقها لا يصلون إلى الأعداد والمستوى التوثيقي الذي حظيت به مكة وغيرها من حواضر الحجاز عند الرحالة والمؤرخين اليمنيين المتقدمين والمتأخرين. ومن خلال اطلاعي على موروث الرحلات التي ذكرت الأماكن المقدسة، أقول إن هناك العديد من الرحالة اليمنيين الجيدين الذين كتبوا معارف جيدة عن بلاد الحجاز وبخاصة مكة المكرمة وما حولها، وفي مقدمتهم أبو محمد الحسن الهمداني من أهل القرنين (٣-٤هـ/٩-١٠م).

(٢) جاء العشرات بل مئات الكتاب والرحالة من كل هذه البلدان العربية والإسلامية والأجنبية عبر العصور الإسلامية (ق٢-ق١٥هـ/ق٨-ق٢١م) إلى الديار الحجازية، وكتبوا عن جزئيات من تاريخها، وأغلبهم دخلوا مكة المكرمة وسجلوا صفحات من حضارتها خلال التواريخ والأزمنة التي جاءوا فيها.

(٣) إن رحلة التهاميين والسرويين إلى الحجاز خلال العصر الحديث (ق١٠-ق١٥هـ/ق١٦-ق٢١م) من أجل كسب الرزق، أو طلب العلم، أو أداء مناسك الحج والعمرة، أو الإقامة والمجاورة موضوعات جديدة في أبوابها تستحق أن تدرس في عشرات البحوث العلمية، ومن يبحث في هذا الميدان فقد يعثر على وثائق تاريخية، وربما كتب ومخطوطات حجازية تحتوي على شيء من ذلك، بالإضافة إلى القصص والروايات الشفهية التي تناقلها الخلف عن السلف. وهذه العناوين ليست سهلة الإنجاز والتحقيق، لكن من يعمل ويجتهد فقد ينجز شيئاً إيجابياً في هذا الميدان.

إلى المرحلة المتوسطة، وعرفت معلومات أكثر عن الحجاز وبخاصة الأماكن المقدسة، وفي عام (١٣٩١، أو١٣٩٢هـ/١٩٧١، ١٩٧٢م) أخذتني والدتي (رحمها الله) مرافقاً ومحرماً لها لأداء مناسك الحج[1]، فكانت أول مرة أشاهد مكة والمسجد الحرام، ثم انتهيت من الثانوية العامة عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، ودخلت كلية التربية، فرع جامعة الملك سعود بأبها، وفي عام (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) ذهبت حاجاً مع طلاب الكلية، وفي العام التالي (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، سافرت للحج مرة أخرى. وفي الفترة الممتدة من (١٣٩٧ـ ١٤٠١هـ/١٩٧٧ـ ١٩٨١م) كان عندي سيارة تاكسي، وأذهب من وقت لآخر إلى الطائف، ونادراً إلى مكة من أجل العمل في مهنة نقل الركاب بالتاكسي، وسافرت عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م) لدراستي العليا في أمريكا، وبقيت في كل زيارة للسعودية أزور مكة والمسجد الحرام لأداء مناسك العمرة، ومنذ حصولي على الدكتوراه عام (١٤٠٩ــ ١٤١٠هـ/١٩٨٩م) حتى الآن ١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) حججت ثلاث مرات أخرى، اثنتان في العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، والثالثة في بداية العشرينيات من القرن نفسه.

ب ـ بدأت أعرف أكثر عن تاريخ وحضارة مكة والحجاز بشكل عام عندما عزمت على مواصلة الدكتوراه في بريطانيا عام (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، وبعد أن تحدد موضوع رسالتي لهذه الدرجة العلمية في: **تاريخ الحجاز الاجتماعي، والحرفي، والتجاري خلال العصر العباسي الأول**، كان عليَّ أن أتردد على الحجاز (مكة المكرمة، والمدينة المنورة) مرات عديدة من أجل جمع مادتي العلمية لهذا العنوان، واطلعت على الكثير من تاريخ وتراث الديار الحجازية خصوصاً الأماكن المقدسة، وبعد رجوعي للعمل في الجامعة عام (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) عكفت على دراسة وإصدار الكثير من البحوث العلمية، وبعضها عن الحجاز في موضوعات تاريخية وحضارية متعددة، لكنها تدور في فلك العصر الإسلامي المبكر والوسيط.

ج ـ أنجزت في عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) بحثاً بعنوان: صفحات من الصلات التاريخية والحضارية بين أهل الحجاز والسرويين والتهاميين خلال مئة عام (١٣٤٠ــ ١٤٤٣هـ/١٩٢١ــ ٢٠٢٢م)[2]، وزادت معرفتي أكثر عن مكة المكرمة في

(١) أشرت إلى بعض هذه المعلومات في مدونة سابقة نشرت في أحد أجزاء موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب). وكان الأوائل يعانوا متاعب ورزايا كثيرة جداً عندما يرغب الواحد منهم الذهاب للحج. والكثير منهم فقدوا حياتهم بسبب صعوبة الطريق، والفقر والجوع، وفقدان الأمن، ومشاكل أخرى كثيرة. ولا أجد دراسة علمية جادة تعالج هذا الموضوع، آمل أن نرى مؤرخاً أو باحثاً مجتهداً يعكف على دراسة هذا الميدان في هيئة كتاب علمي عميق رصين.

(٢) انظر موسوعة: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)، ج٢٦، ص ١٢ـ ١٥٣.

العصر الحديث والمعاصر، والدور الحضاري والتنويري الذي ساهم به المكيون في بناء الدولة السعودية الحديثة (المملكة العربية السعودية)، وهذا مما شجعني في الدراسة والبحث في موضوعات تاريخية حضارية لها علاقة بمدن الحجاز الرئيسية، وفي مقدمتها مكة المكرمة [١].

د- اطلعت على مئات الدراسات والرحلات العربية والأجنبية التي أرخت لجوانب كثيرة من تاريخ وحضارة مكة المكرمة والمدينة المنورة خلال العصور الإسلامية المختلفة، ووجدت أن مؤرخي وعلماء وأعلام السراة وتهامة لم يكن لهم أثر يذكر مع جمهرة الرحالين والمؤرخين الذين جاءوا من أصقاع المعمورة إلى بلاد الحرمين الشريفين، ثم وثقوا لنا تراثاً تاريخياً متبايناً في الزمن والمحتوى[٢].

لأن واحداً من السرويين المجاورين لأجزاء من البلدان الحجازية فقد فضلت أن أكتب صفحاتٍ من تاريخ مكة المكرمة الحديث والمعاصر (١٣٩٢-١٤٤٤هـ/١٩٧٢-٢٠٢٣م) معتمداً على المشاهدات والذكريات التي عرفتها في هذا البلد الحرام خلال هذه العقود الخمسة، ولم أغفل عن الاستفادة من قراءتي في مصادر ومراجع كثيرة صدرت عن هذه الحاضرة. ولن يكون حديثي مقصوراً على المسجد الحرام وما حوله كما فعل معظم الرحالة، لكنني سوف أوثق جزئيات أخرى عن الحاضرة (مكة المكرمة) وحياة سكانها، ولا أدعي أنني سوف آتي بشيء لم يسبقني به أحد، لكن حسبي أنني اجتهدت في رصد أشياء مختلفة أو جديدة قد تفيد من يطلع عليها، أو تهدي بعض الباحثين إلى تصحيح ما وقعت فيه من أخطاء، أو استكمال غموض أو نقص وقع.

ثانياً: التركيبة الجغرافية والبشرية لمكة المكرمة والسراة:

١- لمحة عن طبيعة مكة جغرافياً وبشرياً:

تميل طبيعة مكة الجغرافية إلى تركيبة الأجزاء التهامية، فهي أرض منخفضة مقارنة بالمرتفعات السروية، وترتفع عن سطح البحر حوالي (٣٠٠م)، ومناخها حار

(١) أرجو أن يمد الله في العمر وأنجز بحوثاً أكثر عن بلدان الحجاز الكبرى وبخاصة مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والطائف. وقريباً (بإذن الله) يصدر الجزء الأول عن محافظة الطائف. كما آمل أن انتقل للعيش في مكة المكرمة أو المدينة المنورة، وهذا مما سوف يساعدني لإنجاز أعمال علمية موثقة عن هذه البلاد المقدسة المباركة.

(٢) يوجد في مكة المكرمة وغيرها من حواضر الحجاز ومدن المملكة الأخرى مئات الباحثين وأساتذة الجامعات السرويين والتهاميين الذين لهم نتاج علمي كثير ومتنوع، وبعضه في موضوعات عديدة عن مكة وغيرها من الأوطان الحجازية. لكن جل هذه الدراسات قامت على الجمع والبحث والتحليل مع الاعتماد على كل مرجع أو مصدر مكتوب، وإذا كان هناك عمل ميداني فنسبته قليلة، والذي أقصده وأعنيه الأعمال التي تعتمد بالدرجة الأولى على الرحلة والمشاهدة، ولا بأس من الاطلاع على التراث المعرفي المكتوب والموثق الذي يساعد في استكمال جزئيات متعددة لأي دراسة قامت على أدب الرحلات والانطباعات والمشاهدات.

صيفاً، معتدل شتاءً، وأمطارها قليلة وأحياناً متوسطة، وتهب عليها غالباً الرياح الشمالية الغربية، أو الجنوبية الغربية. وأهميتها التاريخية جاءت من مكانتها الدينية، ففي وسطها المسجد الحرام والكعبــة المشرفة، وكانت قديما بلدة صغيرة ومحدودة، وأشهر معالمها الجغرافية المسجد الحرام وما يتصل به من معالم أو مشاعر مقدسة كمنى، ومزدلفة، وعرفة (عرفات)وغيرها [١].

وفي العصر الحديث والمعاصر تعتبر مكة المكرمة العاصمة المقدسة في المملكة العربية السعودية،بل هي المركز الرئيسي لمنطقة مكة المكرمة التي تتكون من محافظات عديدة، وعشــرات المراكــز الإدارية. ومحافظة مكة تتكون من بضعــة مراكز إدارية، يحدها من الجنوب محافظة الليث، ومن الشمال محافظة الجموم، ومن الشرق محافظة الطائف، ومن الغرب محافظتي جدة وبحرة [٢].

في مدينــة مكة الكثير مــن الجبال المتفاوتة في الارتفــاع، والمساحات، والأشكال. وعن بعضهــا أخبار وروايات تاريخيــة فصلتها كتب التراث الإسلامي المبكــرة والوسيطة. ومن الجبــال القريبــة من المسجد الحرام والمطلة عليه جبل أبي قبيــس، وقيقعان، فالأول شرق الكعبة ويتصل بجبل خندمة. والثاني شمال غرب الحرم، وإلى شمال جبل قعيقان وجنوبه أو على مقربة منه مجموعة جبال أخرى مثل: جبل السيدة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها)، وجبل أبي لهب. وجنوب المسجد الحرام مرتفعات أجياد ولها بضعة أسماء أخرى. وهناك جبال أخرى متفرقة في مدينة مكة مثل: جبل ثور على بعد (٤،٥كم) جنوب المسجد الحرام [٣]، وجبل النور (غار حراء)، على بعد (٥كم) شمال شرق المسجد، وجبال عديدة في المشاعر المقدسة (عرفة، ومزدلفة، ومنى)، وبعض نواحي أخرى من حاضرة مكة.

هنــاك شروحات مطولة عن هذه الجبال الآنف ذكرهــا، وقد قمت بجولات عديدة علــى بعضهــا في نهايــة عام (١٤٤٣هــ /٢٠٢٢م) فوجــدت جميع الجبــال القريبة من المسجــد الحرام أو التي تطل عليه قد تغــيرت معالمها فصارت مليئة بالعمران الحديث، ومازالت مســيرة التنمية العمرانية قائمة فيها، أما الجبال البعيدة عن المسجد الحرام

---

(١) هناك مئات البحوث والكتب والدراسات القديمة والحديثة التي فصلت الحديث عن جغرافية مكة المكرمة ومعالمهــا الطبيعيــة والدينية، مع ذكــر حدودها الشرعيــة، والسياسية والإدارية عبر العصــور التاريخية، ولســت في هــذه الدراسة معنيــا بهذا الموضوع، ومن رغــب الاطلاع والاستزادة في هــذا الباب فينظر ذلك ضمن فهارس المكتبات العربية والأجنبية ورقياً وإلكترونياً .

(٢) للمزيد عن جغرافية محافظة مكة المكرمة وحدودها الإدارية في عصرنا الحديث انظر الكثير من البحوث والكتــب والرسائــل العلميــة المطبوعة والمتوفرة في المكتبــات الجامعية والعلمية الأخــرى في المملكة العربية السعوديــة وغيرها. وإذا نظرنا في مدينة مكة، وليست المحافظة، فحدودها الرئيسية والجغرافية أقل مما تم الإشارة إليه في المتن، وفي الموضوع نفسه دراسات علمية كثيرة .

(٣) وقفــت عنــد أسفل جبل ثور من ناحية حي الهجــرة، وهنــاك طرق عديدة تؤدي إليــه بعضها من حي كدي، وأخرى من أحياء العزيزية، أو العوالي، أو المسفلة .

مثل : جبلي ثور والنور وغيرهما، فهما مازالا قائمين، لكن العمارة الحديثة صارت قريبة منهما وتحيط بهما من كل جانب[١].

في حاضرة مكة العديد من الأودية الصغيرة والكبيرة، من أهمها:

أ- **وادي إبراهيم الخليل:** تأتي منابعه من الشمال الشرقي في حاضرة مكة، ويسير إلى الجنوب الغربي ماراً بالمسجد الحرام إلى أسفل مكة وطوله يزيد عن (٣٠كم) ويلتقي مع وادي عرنة الذي يأتي من جبال شرق مكة مروراً ببعض المشاعر المقدسة نحو الغرب. ووادي إبراهيم قلب مدينة مكة وتشرف عليه بعض الجبال الآنف ذكرها مثل: أبو قبيس، وقيعقان، وخندمة، والكعبة، وعمر وغيرها.

ب- **وادي فخ:** يسير من شمال شرق المدينة نحو الغرب، من الأودية الكبيرة والرئيسية في مدينة مكة وله فروع عديدة، مثل: وادي الزاهر، ووادي جليل، ووادي أم الجود، ووادي العشر.

ج- **وادي سرف:** يبعد عن وسط المدينة شمالاً بضعة أكيال، ويقع في حي النوارية حالياً، وفي هذه الناحية قبر أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث (رضي الله عنها).

د- **وادي منى:** شرق المدينة، يسير من الشرق إلى الغرب، وينحصر بين جبال منى الشمالية والجنوبية.

هـ- **وادي محسر:** من الأودية الرئيسية في مكة يمتد من حي المعيصم ويسير جنوباً من بين مشعري منى ومزدلفة.

المتأمل في جغرافية محافظة مكة يجد تعدد جبالها، وهضابها، وحزونها، ويتخللها الكثير من الأودية المتفاوتة في مساحاتها طولاً وعرضاً، وقد تغيرت معالمها في وقتنا الحاضر نتيجة تزايد وتوسع العمارة الحديثة. وصارت معظم المرتفعات والوديان مستوطنات سكنية ومخططات عمرانية.

المعروف عن بلاد مكة ضعف الغطاء النباتي، فأغلب جبالها وسهولها جرداء، وإن وجدت بعض النباتات فهي محدودة[٢]. وهذا مما أثر على الكائنات الحية من الطيور والحيوانات البرية، والزواحف فهي الأخرى قليلة. وأكثر ما رأيته حمام الحرم الذي يوجد بأعداد كثيرة، أما الحيوانات والطيور الأليفة فغالباً تجلب إلى أهل مكة من

---

(١) إذا كان هناك بعض الدراسات العلمية التاريخية والجغرافية والسكانية قد صدرت عن هذه الجبال فذلك أمر جيد، إلا أنني أنصح بأن يدرس كل جبل بشكل منفرد مع تتبع المراحل التاريخية والعمرانية لكل معلم منذ صدور الإسلام إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م).

(٢) الحياة الزراعية والنباتية ضعيفة في مكة وما حولها، منذ عهود قديمة وعبر أطوار التاريخ، وقد أشارت إلى ذلك الكثير من المصادر والمراجع العربية المتنوعة.

المناطق المجاورة مثل السروات وتهامة وغيرها [١].

كانــت مكــة في قديم الزمان بــلاد جدب وقحــط، ولم يكن فيها إستيطــان بشري، وإن وجــد شيء من ذلك ففي أطرافها البعيدة. وعندمــا صارت مقراً للبيت العتيق، ثم تتابعت عليها الكرامات الإلهية حتى جاء مولد آخر الأنبياء والرسل، محمد بن عبدالله (عليــه أفضل الصلاة والسلام)، وبعد نزول القــرآن الكريم على الرسول المصطفى، وقامــت الدولــة الإسلامية، وانتشر نــور الرسالــة الإسلامية في أرجــاء الأرض، وصار النــاس من كل مكان يفــدون إلى المدينة المقدسة والمسجد الحــرام لأداء مناسك الحج والعمــرة، وبذل خلفاء وسلاطــين وأمراء وملوك المسلمين مــا في وسعهم لحماية البيت الحــرام وخدمتــه سياسياً وحضارياً. بــل هاجر الكثير من العلماء وطلبــة العلم وأفراد وجماعــات آخريــن إلى مكة المكرمة للمجــاورة والإقامة الدائمة، وأبنــاء القبائل داخل شبــه الجزيــرة العربية أصبحوا يترددون دائماً على المــدن المقدسة في الحجاز لأسباب دينيــة واقتصاديــة وحضارية، ومنهم مــن فضل الاستقرار والعيش فيهــا. وأبناء قبائل الحجــاز الرئيسية وفي مقدمتهم قريش ومن عاصرها، وتعايشوا مع كل الوافدين الذين قدموا إلى بلادهم (مكة المكرمة) [٢]. وهنــاك ظروف واسباب كثيرة أثرت على التركيبة السكانية في حاضرة مكة المكرمة، أذكر بعضها في البنود الآتية :

١- إن العامل الديني من أهم الجوانب الحضارية التي جعلت الكثير من الأجناس البشرية يأتــون إلى الحجــاز لأداء شعيرة الحج، ومنهم من أقــام في مكة لبعض الوقت ثم عادوا إلى أوطانهــم، وآخرون عاشوا فيها وماتوا. وهذا الحــراك البشري أثر في تنوع عناصر المجتمع المكي، فتداخلوا وتقاربوا وانصهروا في بيئة واحدة تجمعهم إخوة الإسلام [٣].

---

(١) تصديــر الحبوب والمواشي وغيرها من بلاد تهامــة والسراة إلى مكة المكرمة مدون في الكثير من المصادر المحليــة الحجازية واليمنيــة، كما وثق ذلك العديد من الرحالة العــرب والمسلمين خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة.

(٢) أشــرت فقط إلى نقــاط رئيسية عن التطور التاريخي البشري الذي عاصرته مكة المكرمة منذ اتخذت مقراً للكعبــة المشرفــة، ثم بداية نزول القرآن فيها حتى أصبحت قبلة المسلمــين في أرجاء الكرة الأرضية. ولهذه المدينة الدينية تاريخ سياسي وإداري وحضاري طويل خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة والمعاصــرة، وتزامــن مع ذلك نمو بشري متنــوع في أعراقه، وثقافته، وحضارته.وهنــاك الكثير من الكتب والتراث المكتوب عن هذه التحولات التاريخية الحضارية والبشرية.

(٣) قــرأت عشرات البحوث العربيــة والإسلامية التي تحتوي على تفصيلات عــن تاريخ مكة الحضاري خلال القــرون الإسلامية المختلفة. واتضح لي حجــم الانصهار الاجتماعي الذي عرفه المجتمع المكي، وكيف لعب الديــن الإسلامــي دوراً كبيــراً في تلاقي أجناس البشر الذيــن جاءوا من بلدان عديــدة في مشارق الأرض ومغاربها.كمــا اطلعــت علــى كتب الطبقــات والسير والتراجــم التي أرخــت للأعلام المكيين منــذ القرون الإسلاميــة الأولى إلى الآن، فوجدت تعدد وتباين أصولهــم الأولى، لكنهم في نهاية الأمر قضوا حياتهم في أرض الحرمين الشريفين، ومات الكثير منهم فيها.

٢- الحياة السياسية لا تقل عن الحياة الدينية من حيث التأثير في التركيبة الاجتماعية. فالأمم والدول والإمارات التي مدت نفوذها السياسي على أرض الحرمين جلبت معها الكثير من العناصر البشرية الموالية لها، ومكنتها من العيش ضمن الطبقة الحاكمة أو المتنفذة في إدارة البلاد، وهذا الذي ذكرته صدر عنه الكثير من الكتاب ومصادر ومراجع تاريخية وحضارية عديدة أثناء عصر الدولة الأموية في الشام، والدولتين العباسية والفاطمية في العراق ومصر، وفي عصور الدولة الأيوبية، والمملوكية، والعثمانية، وأخيراً الدولة السعودية الحالية (المملكة العربية السعودية) [١]. ونجد أن طبقات الأمراء الأشراف هم من حكم أرض الحرمين لتلك الدول الكبرى التي قامت خارج شبه الجزيرة العربية منذ القرن (٤-١٤هـ/ ق١٠-٢٠م)، وتزامن مع ذلك أوقات سلم وحرب عرفتها أراضي الحجاز، والكثير من الصدامات العسكرية بين قوى خارجية وداخلية على بلاد الحرمين، وقد أثر ذلك في الحياة الديموغرافية التي عاشتها البلاد خلال هذه القرون العشرة [٢].

٣- إن الحياة الاقتصادية والعلمية والثقافية والفكرية أثرت حتماً في بناء وتنوع المجتمع المكي، فهناك الكثير من التجارات الداخلية والخارجية التي تصل إلى أسواق المدينة وتنشط أثناء مواسم الحج والعمرة، ويشارك فيها الكثير من التجار المحليين، والإقليميين، والعالميين. كما جاء الكثير من العلماء وطلبة العلم الذين شكلوا شريحة واسعة في المجتمع. وكان لتجارة الرقيق في العصور الإسلامية الأولى والوسيطة والحديثة حتى سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) أثر كبير في المجتمع المكي [٣].

٤- وحد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل أجزاء المملكة العربية السعودية تحت راية التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وأصبحت مكة هي منطلق الثقافة والتنوير الحضاري الذي عم أرجاء البلاد. وأدرك الإمام ابن سعود التنوع البشري الموجود في الحجاز وبخاصة مكة فعمل جاهداً على صهر هذا المجتمع مع

---

(١) من يفحص تاريخ هذه الدول العربية والإسلامية يجدها كانت حريصة كل الحرص على مد نفوذها على أرض الحرمين، وتبع ذلك توظيف الكثير من البشر الموالين لسياسات هذه الحكومات التي تعمل على تطبق ما رسم لها من خطط وبرامج لإدارة الأوضاع في المدينة المقدسة (مكة المكرمة) وما جاورها من بلاد الحجاز، وفي الوقت نفسه خدمة زوار المسجد الحرام والمشاعر المقدسة.

(٢) حبذا أن نرى باحثين جادين يدرسون تاريخ المجتمع المكي خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة (ق٤-١٤هـ/ق١٠-ق٢٠م)، وما جرى له أو عليه من تحولات وتبدلات وانصهارات بشرية، وكيف كانت الحروب السياسية الداخلية والخارجية لاعباً رئيسياً في تشكيل المجتمع الحجازي.

(٣) أرجو أن نرى بعض طالباتنا وطلابنا في برامج الدراسات العليا في أقسام التاريخ بجامعاتنا المحلية فيعكفون على دراسة تأثير التجارة بشكل عام وتجارة الرقيق بشكل خاص على تشكيل المجتمعات الحجازية منذ صدر الإسلام إلى منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م)، وهذا الموضوع مهم وجديد في بابه.

غيره مــن المجتمعات السعودية الأخرى. وبدأت معظم مؤسسات الدولة الحديثة في مكــة، وتولى إدارتهــا الكثير من المكيين مــع غيرهم من الرجــال السعوديين الذين ينتمــون إلى أوطان متعددة الأماكن والأعراق. كما عينــت الدولة أعلاماً حجازيين كثيريــن في أنحــاء البلاد (المملكة العربية السعودية) حتــى يؤسسوا ويبنوا أنظمة الدولة الحديثة وبدايات التنمية الحديثة[١].

٥- عندمــا دخل الملك عبدالعزيز الحجاز وجد في مدنهــا الرئيسية عناصر بشرية كثيرة مــن دول عربيــة وإسلاميــة في مشارق الأرض ومغاربها وبعضهم يقطنــون فيها منذ عقــود عديدة. وفي الوقت نفســه فيها قبائل وعشائر وبطون عربيــة يعيشون فيها منذ عشــرات القــرون، وبالتــالي أصبح الجميــع تحت حكم دولــة عربية حديثــة (المملكة العربيــة السعودية)، وصار الجميع مــن رعايا الدولة السعوديــة الحديثة، وعليهم أن ينخرطــوا في خدمــة عموم البــلاد أمنيا، وتعليميــا، وفكريا، وثقافيــا، وتنمويا. وهذا التطــور الاجتماعــي والحضاري لم يسبق له مثيل في تاريــخ الأمم والدول التي حكمت شبه الجزيرة العربية منذ القرن الهجري الأول إلى منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) [٢].

٦- أزور مكــة المكرمــة منــذ مطلــع تسعينيــات القــرن (١٤هــ/٢٠م) إلى وقتنــا الحاضر (١٤٤٤هــ/٢٠٢٣م)، وشاهــدت وتجولــت في المنطقــة المحيطــة بالمسجد الحــرام، وذهبــت إلى أحيــاء أخرى عديدة في أنحــاء المحافظــة، ورأيت في الكثير مــن الحارات القديمــة عناصر بشرية مــن أصول غير عربيــة كالأفارقة، والهنود، والبخاريــين، والباكستانيــين، والأفغــان، والبنجال، والإندونيسيــين، (الجاويين)، وهنــاك بعض العــرب وفي مقدمتهــم اليمنيــين، والمصريــين، والسوريين وغيرهم مــن بلــدان الشام، ومن بلاد المغــرب العربي. وغيرها، ومعظمهــم يعيشون في مكة مــن قبل ظهــور الدولــة السعودية الحديثــة، وبعضهم جــاءوا وتكاثــروا في العصر السعــودي الحالي. مثل الجنسيــة البرماوية والبخارية الذيــن خرجوا من بلادهم بسبــب الاضطهاد والحروب التي جرت لهم على أيدي حكومات ودول كافرة معادية للإسلام والمسلمين[٣].

---

(١) لا أجــد حتــى الآن دراســات علمية جادة تــؤرخ لــلأدوار الإيجابية التي ساهــم بها المكيــون في تأسيس وبناء مؤسسات الدولة الحديثة في مناطق البلاد المختلفة. نعم هناك من دون تفصيلات عن جهودهم في نشأة كثير من الإدارات الحكومية في مكة، لكن نطمع أن نعرف آثارهم في أطراف البلاد ونواحيها المتفرقة والمتباعدة.

(٢) هذا التطور الحضاري الذي عاشته الحجاز في عصر الدولة السعودية الحالية جدير بالدراسة مع مقارنته بالعصور التاريخية السابقة منذ القرن (٤هـ/١٠م) إلى نهاية النصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٣) إن كل جنسيــة مــن هــذه الأجناس المذكورة في المتن لها تاريخ في العصر الحديــث، ومن أقدمهم العناصر الهنديــة وبعض الأصــول العربية. وهنــاك بعض الدراسات المختصرة التي ذكرت قدومهم إلى الحجاز، ثم

٧- إن الناظر المتأمل في المجتمع المكي منذ عدة عقود يجد أن أبناء القبائل العربية من أنحاء المملكة العربية السعودية يعيشون في أنحاء المحافظة المكية ويتمتعون بحياة كريمة في شتى مناحي الحياة، ويعملون في الأعمال المختلفة الحكومية والأهلية، ويمتلكون الأموال والعقارات مثلهم مثل غيرهم من أهل مكة الذين جاءوا من خارج شبه الجزيرة العربية، بل صار هناك تداخل وتجاور وترابط ومصاهرات وصلات اجتماعية بين أبناء القبائل وغيرهم من أهل الحضر المكيين، وهذه التداخل والتقارب الاجتماعي زاد بنسبة كبيرة خلال العقدين الأخيرين (١٤٢٤-١٤٤٤هـ/ ٢٠٠٣-٢٠٢٣م) [١].

٨- إن التطور الاقتصادي والأمني الذي تمر به البلاد السعودية من ثمانينيات القرن (١٤هـ/ ٢٠م) حتى الآن (١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م)، جعلت الإدارات الحكومية، والمؤسسات الأهلية، والأفراد والجماعات يستقدمون عمالة خارجية من بلدان عربية وإسلامية وأجنبية، والذاهب في أرجاء حاضرة مكة منذ مطلع هذا القرن(١٥هـ/٢٠م) حتى الوقت الحالي يشاهد آلاف الأيدي العاملة التي تعمل في قطاعات تنموية كثيرة بشكل مؤقت، وهذه الفئة جزء من التركيبة الاجتماعية المكية، فلهم تراثهم، وفنونهم، ولهجاتهم، وتقاليدهم وعاداتهم.كما أن الحجاج والزوار الداخليين والخارجيين لبيت الله الحرام كل عام، وإن كانت إقامتهم قصيرة ومحدودة، إلا أنهم يؤثرون ويتأثرون بالسكان المحليين. ولأهل مكة طقوس وعادات وأعراف حضارية متنوعة يستعدون لها ويعملون من أجلها بسبب موسم الحج والعمرة طوال العام [٢].

استمراريتهم في العيش والمساهمة في بناء المجتمع المكي الحديث. ومازالت هذه النقاط موضوعات تستحق البحث والدراسات التفصيلية التوثيقية. وكما أشرت سابقاً، كان للكثير من رجالهم دور كبير وريادي في بناء الدولة السعودية الحديثة، ومنهم بعض الأعلام الكبار الذين وثقت صفحات من تاريخهم، ومازالوا جديرين ببحوث جادة وعميقة توضح إسهاماتهم الكبيرة خصوصاً في خدمة بلاد الحجاز، أو البلاد العربية السعودية بشكل عام.

(١) هذا الانصهار والتقارب الاجتماعي والمصاهرة كان قليلاً في النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وحتى العقدين الأولين من هذا القرن (١٤هـ/٢٠م)، ونتيجة التعلم والتعليم، واتساع الثقافة الداخلية والخارجية، وطول التجاور ساعد في التقارب بين أبناء القبائل أنفسهم، وبين أهل البادية والحاضرة. كما أن الدولة من خلال خطط التنمية والتطوير زادت من تداخل أبناء المجتمع السعودي مع بعضهم، وقللت من حدة العنصرية والعصبية.كما أصدرت الحكومة مؤخراً أنظمة وقوانين عديدة تعاقب من يؤذي الآخرين عرقياً، وفرضت عقوبات مالية وجسدية صارمة على من يشجع العنصرية والعصبية ضد أي فرد، أو جماعة، أو طبقة، أو قبيلة، أو عشيرة، أو صاحب مهنة أو حرفة. وأقول أن تنمية البلاد وتطويرها تحتاج إلى مثل هذه التنظيمات التي تساعد على توحيد البلاد، ونبذ الفرقة والخلافات، وتشجيع التميز والإبداع.

(٢) هناك بعض الدراسات الحديثة التي ذكرت شيئاً من استعدادات أهل الحجاز وطقوسهم وعاداتهم بمناسبة مواسم الحج والعمرة كل عام. وهذا الموضوع مازال يستحق مزيداً من البحث والتوثيق، مع دعم الدراسات في هذا الباب بالوثائق والصور الفوتوغرافية.

٢ـ وقفة مع طبيعة السراة وسكانها :

السـروات جبال متقاودة مترابطة من بلاد الطائـف إلى قعر اليمن. والجغرافيون والمؤرخـون الأوائـل كتبوا عنهـا تفصيلات كثـيرة، ومنهم مـن أطلق عليهـا السراة أو السـروات، وآخرون ذكروها باسم (الحجاز)، أو مرتفعات الحجاز[١]. والسروات التي أعنيهـا في هـذه الدراسة، جزء من جبال الحجـاز الممتدة من بلاد اليمـن إلى الشام، لكننـي حصرت توثيقاتي على الجبال السرويـة العالية الممتدة من الطائف إلى سروات نجران ووادعة وقحطان[٢].

هـذه الجبـال تحجـز بـين المنحـدرات والسهـول التهاميـة الغربيـة، والبـوادي والمستوطنات البشرية الشرقية، مأهولة بالسكان. وجميع سكانها قبائل عربية قحطانية وعدنانية، استوطنتهـا منذ آلاف السنين، ولها آثار وتراث وتاريخ وحضارة متنوعة عبر أطـوار التاريخ[٣]. ولست في هذا المقام دارساً وموثقـاً لمسيرتها التاريخية والحضارية، لكننـي أجدها تختلف تماماً في تركيبتهـا الجغرافية والبشرية عن حاضرة مكة المكرمة ومـا حولها، فأرضها جبال عالية، لها منحدرات غربية حـادة، وأجزائها الشرقية ذات انحـدارات تدريجيـة، وهي كثيفة الغطـاء النباتي، ففيها من الأشجـار والنباتات آلاف الأنـواع المتفاوتة في الأحجـام، والأشكال، والاستخدامـات. وكائناتها الحية من الطيور والحيوانات لا تقل في أعدادها وأنواعها عن مستوى الحياة النباتية. وتعد مصدراً جيداً للمـوارد المائيـة الجوفية والسطحية. وكل هـذه المؤهلات قليلة جـداً أو شبه مفقودة في مدينة مكة وما جاورها من البلدان التهامية الحجازية.

لم تكـن السروات ذات ثقل ديني مقارنة بمكـة المكرمة، باستثناء بلاد نجران التي كان لهـا صلات قوية مع الديانتين اليهودية والنصرانيـة. وبعد ظهور الإسلام، ودخول

---

(١) هنـاك عشـرات البحـوث المطبوعة والمنشـورة الحديثة، والكثـير من المصـادر الإسلامية المبكـرة التي فصلت الحديث عن حـدود الحجاز (السروات)، وعن جزئيات أخرى كثيرة عن جغرافيتها، ومواردها الطبيعية. انظر هذه المصادر والمراجع ضمن فهارس المكتبات الجامعية والعامة الداخلية والخارجية، وهي متوفرة ورقياً ورقمياً.

(٢) أصـدرت العديد من الدراسات الجغرافية، والتاريخية، والحضاريـة. انظرها ورقياً في الكثير من المكتبات المركزيـة في البـلاد السعودية وغيرهـا. وتوجد على موقعي الإلكـتروني (Prof-ghithan.com) ، وعلى قناتي على التلجرام (مكتبة التاريخ العامة).

(٣) ربمـا يعارضني بعض الباحثين والقراء الكرام، ويقولون أين حضارتها وتاريخها الذي تدعي؟ واتفق مع من يقـول ذلـك، فهذه البلاد ما من شك أن لها تراث وحضارة عريقـة قبل الإسلام وبعده، لكنها لم تكن ذات حـظ كبـير عند المؤرخين ومـدوني التاريخ والتراث الأوائـل، فأغلب توثيقاتهم ركزت علـى حواضر اليمن والحجـاز الكبـيرة، ولم تلق بالاً كبيراً لهذه الديار الواقعة في الوسط، والمعروفة باسم (السروات وتهامة)، ومـن يسـير في مناكب هذه الأوطـان ويشاهد آثارهـا المادية والمعنويـة السطحية والمدفونة فإنـه يتأكد له أصالتها وعراقتها حضارياً وتراثياً وتاريخياً.

أهـل مكة فيه، وتأسيس الدولة الإسلامية في المدينة في عهد الرسول محمد بن عبدالله (ﷺ)، ثم تتابع دول الإسلام وإمبراطورياته خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة والمعاصرة، أصبحت مكة المكرمة المقر السياسي الرئيسي الذي يشرف إداريا ومالياً على الأجزاء الجنوبية (تهامة وسراة) حتى بلاد جازان ونجران[١].

٣ـ نبذة عن الصلات الجغرافية والتاريخية الحضارية بين مكة المكرمة والسروات:

تقـع أجـزاء من منطقة مكـة عند سفوح سـروات الطائف الغربيـة. وفي مرتفعات الطائـف وتهائمهـا قبائل عربيـة قديمة لها صـلات تاريخية وحضارية مـع قبائل مكة المكرمة وما حولها، وبينهم من الصلات الحضارية والجغرافية ما وثقته الكثير من كتب الـتراث الإسلامي عبر القرون الإسلاميـة المختلفة[٢]. وإذا كان أهـل السروات ابتداءً مـن بـلاد الطائف شمالاً إلى جازان ونجـران جنوباً على علاقـات تاريخية متنوعة مع المكيـين قبـل الإسلام وبعده. فكذلك أهل حواضر الحجاز عمومـا، ومكة خصوصا كان لهـم تواصل وترابط جيد مع السرويين سياسيـا، وإداريا، واجتماعيا، وثقافيا ومعرفيا، واقتصاديـا وسياحيا[٣]. ومن يفحص المصادر الحجازية المحلية في العصر الإسلامي المبكـر والوسيط، وكذلك الوثائـق التاريخية الحديثة المنشورة وغـير المنشورة فسيجد معلومات متنوعة ومتفرقة تعكس شيئاً من تلك العلاقات الإنسانية والتاريخية.

خرجـت بهذه الخلاصة بعد البحث والقراءات الكثـيرة خلال سنوات عديدة. كما سمعـت ذلك وشاهدته خـلال الستين سنة الماضيـة (١٣٨٠-١٤٤٤هـ/١٩٦٠-٢٠٢٣م)، وتأكـد لي عمق العلاقـات وقوتها بين الناحيتـين في شتى المجالات، وكيـف كان المكيون

(١) إن التاريـخ الإداري والمـالي غير واضـح في بلاد السراة قبـل الإسلام، وخلال القـرون الإسلامية المبكرة والوسيطـة والحديثـة. ونجـد في مصادر التاريـخ المبكرة والكبـيرة تفصيلات عن مسـيرة التاريخ المالي والإداري في عصـور الـدول الإسلامية التـي ظهرت داخل شبـه الجزيرة العربية وخارجهـا، وكيف كانت سياستهـا الإداريـة في اليمن والحجاز، أما البـلاد الواقعة في الوسط، فلا نجد معلومـات وافية وواضحة ترصـد ذلك. وإن ذكرت بعض المصـادر أو الوثائق صفحات محدودة، لكنها مازالـت قليلة جداً وناقصة. ومما قرأته عن تاريخ مكة والطائف، أو جازان وبعض حواضر اليمن الكبرى فقد كانت حياة الناس المالية والإدارية قريبة الشبه مما هو جار في حواضر العالم الإسلامي الأخرى. والسرويون لم يكونوا مخالفين لما هـو موجـود عند غيرهم، إلا أن شيوخ القبائل يحكمون قبائلهم وغالباً يكونون في تواصل دائم مع الإمارات والقوى السياسية الموجودة في الحجاز وبخاصة في مكة المكرمة أو المدينة المنورة.

(٢) لا أجـد كتباً وبحوثـاً علمية تاريخية مستقلة تناقش هـذا الموضوع، وهو من الميادين البحثية الكبيرة التي تستحق أن تدرس في عشرات الدراسات العلمية الرصينة.

(٣) حبـذا أن نرى بعض طالباتنا وطلابنا في برامج الدراسات العليا بأقسـام التاريخ في الجامعات السعودية يدرسـون هذه المحـاور في هيئة بحوث أو رسائل علمية جامعية. كما أن أعضـاء أقسام التاريخ في جامعات السـروات وتهامـة، وفي مـدن الحجـاز الرئيسية (مكـة المكرمة، وجـدة، والمدينة المنـورة) عليهم واجب ومسؤولية دراسة هذه الأوطان والصلات الحضارية بينها عبر أطوار التاريخ القديم والإسلامي.

أصحاب إبداع وريادة في نشر التنمية والحضارة الحديثة في ربوع السروات. ثم الجهود التـي بذلهـا السرويـون في تطوير بلادهـم، واتصالهـم بغيرهم، وكانت مكـة المكرمة وغيرهـا من حواضـر الحجاز الكبرى في مقدمة البلدان السعوديـة التي هاجروا إليها، واستقروا في أرجائها، وأفادوا واستفادوا، وأصبح لهم آثار إيجابية كثيرة في تنمية البلاد الحجازيـة خصوصاً في الخمسين سنة الأخيرة (١٣٩٥ـ ١٤٤٤هـ/١٩٧٥ـ٢٠٢٣م)،كما اندمجـوا وتداخلوا ثقافيـاً، واقتصادياً، واجتماعياً، وحضاريـاً مع المكيين وغيرهم من سكان الحجاز[١].

ثالثاً: صفحـات من تاريخ مكة الاجتماعـي والإداري خلال الخمسـين سنة الماضية (١٣٩٢ـ ١٤٤٤هـ/١٩٧٢ـ٢٠٢٣م):

١- الأوضاع الاجتماعية :

قضيـت عدة شهـور أقرأ في المصـادر والمراجع التـي أرخت للمجتمـع المكي خلال العصـور الإسلاميـة المختلفة، ووجدت أن المسجد الحرام ومـا حوله هو العمود الفقري الـذي تقـوم عليه حياة النـاس العامة والخاصـة، والإدارة الحاكمة لمكـة كانت إدارتها وجميـع نشاطاتهـا قريبـة ومشرفة علـى سير الحيـاة الدينية في الحرم ومـا حوله من مستوطنات بشرية. وكتب التاريخ المكي المبكرة فصلت الحديث عن الأمكنة التي تحيط بالحـرم، مسمياتها، ومواقعها، وأزقتها، وأسواقهـا، وأسماء بعض الأجناس والطبقات البشرية التي تسكنها. ثم جاءت مصادر ومراجع متأخرة فدونت تفصيلات أكثر وأطول عـن التطـور الاجتماعي والسكاني الـذي عاصرته مكـة المكرمة بشكل عـام، والمسجد الحرام على وجـه الخصوص[٢]. ومما أتذكره وشاهدته وقرأت عنه، وله صلة بالتاريخ الاجتماعـي خلال الخمسين عامـاً الماضية (١٣٩٢ــ١٤٤٤هـ/١٩٧٢ــ٢٠٢٣م)، أرصد بعضاً منه في الورقات التالية :

أ- الفرد، والأسرة، والمجتمع :

استقـرت حياة المجتمع المكـي، أسراً وأفراداً منذ دخـول الحجاز تحت نفوذ الملك عبدالعزيـز بن عبدالرحمن الفيصـل، وعين ابنه الأمير فيصل نائبـاً عنه في الحجاز،

---

(١) سكان المملكة العربية السعودية يعيشون تاريخاً اجتماعياً وحضارياً كبيراً خلال المئة سنة الأخيرة (١٣٤٤ـ ١٤٤٤هـ/١٩٢٤ــ ٢٠٢٣م)، ولا أرى بحوثاً علمية جادة وعميقة تدرس هذا النمو والحراك المجتمعي. وعلى الجامعـات السعودية بكلياتها، وأقسامهـا، وأساتذتها واجب عظيم تجاه هـذه الحياة الحضارية الحديثة والمعاصرة فتدرسها وتوثقها في كتب ودراسات علمية جادة وقيمة.

(٢) هنـاك عشرات المصادر والمراجع التي وثقت صفحـات كثيرة من تاريخ مكة الاجتماعي والإداري، وأكثرها وضوحاً وتفصيلاً الكتب والدراسات الخاصة بالعصر الحديث(ق١٣ــ١٥هـ/ق١٩ـ ٢١م).

فعمل ما في وسعه على تنفيذ سياسة والده ونشر الأمن والاستقرار في البلاد مع الأخذ بوسائل النمو والبناء والتطوير، واتضح للفرد أو الأسرة المكية عدل وهمة هذه الدولة الحديثة التي تسعى إلى تطوير الأرض والإنسان على حد سواء، وكون المجتمع المكي صاحب تجارب وخبرة جيدة في خدمة الحجيج والزوار، فواصلوا سيرهم في خدمة أنفسهم اقتصاديا، والعمل على تطبيق السياسات والأنظمة الرسمية التي نادت الدولة بتنفيذها ليس في بلاد مكة فحسب، وإنما في أنحاء المملكة العربية السعودية، وهذا مما جعل حياة الناس تنمو وتزدهر في مناحي الحياة [١].

جاء ملوك آل سعود (سعود، وفيصل، وخالد، وفهد، وعبدالله، وسلمان) فساروا على سيرة والدهم الملك عبدالعزيز، وضاعفوا الجهود في خدمة وتطوير البلاد والعباد. وفي تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حججت ثلاث مرات، وشاهدت المجتمع المكي (صغاراً وكباراً) ينعمون بحياة هادئة في استقرارهم، ومزاولتهم الكثير من الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية. فكان منهم العاملين (ذكوراً وإناثاً) في وظائف حكومية، وآخرون يشتغلون في حرف ومهن عديدة. ومع بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) وخلال العقود الأربعة الماضية صار المجتمع المكي كبيرا في تركيبته السكانية وتنوعه حسب أجناسهم، وأعمالهم، ومراكزهم الاجتماعية والحضارية المختلفة [٢].

ب- العمارة بأنواعها:

إن عمارة المسجد الحرام والمشاعر المقدسة كانت ومازالت في مقدمة اهتمامات الدولة السعودية الحديثة. فأثناء حجي عام (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) شاهدت اهتمام الدولة بصيانة المسجد الحرام ومرافقه. وتوثق العديد من الدراسات الجهود التي بذلها الملوك السعوديون (عبدالعزيز، وسعود، وفيصل) لخدمة المسجد الحرام والمشاعر المقدسة، وبقيت الأمور تسير إلى الأحسن في عصور الملوك خالد، وفهد، وعبدالله، وسلمان [٣].

---

(١) تنوع الأعراف في مكة، وجودة الحياة العلمية والثقافية والفكرية والدينية مقارنة بغيرها من بلدان كثيرة في شبه الجزيرة العربية جعلت الأفراد والمجتمع المكي أكثر تحضراً في معايشهم العامة والخاصة. وهذا مما جعل الملك عبدالعزيز الفيصل يعتمد عليهم في كثير من مفاصل البناء والتطوير الحضاري في أنحاء البلاد (المملكة العربية السعودية).

(٢) هناك عشرات الكتب التي درست المجتمع المكي خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) والعقود الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ومنها على سبيل المثال: (١) عدد من الكتب والبحوث التاريخية لعبداللطيف بن دهيش. (٢) عبدالفتاح أبو علية. الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز. (٣) بضع دراسات وكتب لعبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان. (٤) مؤلفات لأحمد السباعي. (٥) بعض مؤلفات أحمد عبدالغفور عطار. (٦) مؤلفات عديدة لمحمد علي مغربي، ومحمد طاهر كردي، وإسماعيل خليل كتبخانة، وعبدالله محمد أبكر وغيرهم.

(٣) زرت المكتبة المركزية بجامعة أم القرى، ومكتبة الحرم المكي فوجدت العديد من الرسائل الجامعية والكتب

وكانت الدولة حسب إمكاناتها المادية في عصري الملكين فيصل وخالد قد أجرت العديد من الإصلاحات، إلا أن الطرق التي كانت تصل إلى الحرم قليلة وصغيرة ومحدودة، وهناك الكثير من الأبنية والحارات الملاصقة للحرم كانت هي الأخرى عائقاً لزوار البيت أثناء مواسم الحج. وفي عهد الملك فهد (١٤٠٢ـ١٤٢٦هـ/١٩٨٢ـ٢٠٠٥م) أدركت الدولة الحاجة الماسة إلى توسعة الحرم، فسعت إلى نزع ملكيات بعض الأمكنة والعقارات في الجهة الجنوبية الغربية وأمر الملك فهد بزيادة مساحة الحرم حتى صار يتسع لمئات الآلاف من الحجاج والمصلين، كما وجه بإجراء توسعات وإصلاحات أخرى داخل الحرم ومرافقه والمشاعر المقدسة[١]. وفي نهاية عصر الملك فهد[٢]، ثم عصر الملك عبدالله بن عبدالعزيز (١٤٢٦ـ١٤٣٦هـ/٢٠٠٥ـ٢٠١٦م) جرى تحقيق أكبر توسعة على المسجد الحرام وفي اتجاهات متعددة. ونزعت ملكية حارات كاملة في الناحية الشمالية الشرقية، والشمالية، والشمالية الغربية، والناحية الغربية أيضاً[٣]. ومن الأماكن التي أزيلت، أو أزيل معظمها، حارات سوق الليل، والشامية، وشعب عامر، وشعب علي، وأجزاء من جرول، وحارة الباب، والنقا، والقرارة، والجودرية، وجبال عمر، والكعبة، والشراشف، وشارع خالد بن الوليد، وجرهم وغيرها. ومن الناحية الجنوبية الشرقية للحرم، والجنوبية، والجنوبية الغربية، أزيلت قلعة أجياد، والقشاشية، والهجلة، والشبيكة، والسوق الصغير، ودحلة الرشد، والكنكارية، وأبو طبنجة، والنكاسة، وحارة الأشراف، والكدوة وغيرها[٤].

والدراسات العلمية التي أرخت لتوسعة الحرمين الشريفين من صدر الإسلام إلى وقتنا الحاضر. ووجدت التوسعات السعودية الحديثة من عهد الملك عبدالعزيز آل سعود إلى عهد ابنه الملك سلمان بن عبدالعزيز من أكثر التوسعات وأكبرها على مر التاريخ. كما يوجد العديد من المواقع الإلكترونية الحديثة، التي فصلت الحديث عن توسعة الحرم المكي في العصر الحديث والمعاصر من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م).ومن هذه المواقع (١) هيئة تطوير مكة المكرمة والمشاعر المقدسة. (٢) الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي. (٣)مصنع كسوة الكعبة. (٤) مجموعة بن لادن السعودية.(٥)بوابة الحرمين الشريفين وغيرها.

(١) كنت أتردد على مكة المكرمة خلال النصف الثاني من العقد الأول في هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وخلال العقد الثاني من القرن نفسه، وأشاهد عمليات إزالة بعض العقارات الخاصة في الناحية الجنوبية الغربية للحرم، ثم العمارة والتوسعة للمسجد، وفي الوقت نفسه كانت تشيد بعض الأبراج السكنية من حول الحرم، لكن العشوائية في البناء والتخطيط مازالت هي السائدة آنذاك في جميع الحارات المحيطة بالمسجد الحرام، وإن كانت هذه المرافق تقوم على خدمة زوار البيت العتيق اجتماعياً واقتصادياً، إلا أنها خلقت الكثير من المعوقات السكنية والمرورية وبخاصة في موسم الحج.

(٢) في السنوات الأخيرة من عصر الملك فهد كان ولي العهد الأمير عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود يباشر الإشراف على حكم البلاد بسبب مرض خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز.

(٣) تعد توسعة الملك عبدالله بن عبدالعزيز أكبر توسعة للمسجد الحرام على مر التاريخ الإسلامي، وصدر عنها تفصيلات كثيرة مطبوعة ومنشورة ورقياً ورقمياً.

(٤) كل الأحياء والحارات الآنف ذكرها في المتن لها تاريخ وتفصيلات في مصادر التاريخ الإسلامي المبكر، وبخاصة مصادر التاريخ المكي كالأزرقي، والفاكهي، وابن ظهيرة، والفاسي، وآل فهد. وكتب عنها بعض

مما شاهدته على توسعات المسجد الحرام وبعض المشاعر المقدسة خلال العقود الخمسة الماضية (١٣٩٢-١٤٤٤هـ/١٩٧٢-٢٠٢٣م)، أذكر بعض الانطباعات والتحولات الحضارية في النقاط التالية:

١- توسع المسجد الحرام داخلياً وخارجياً مئات الأضعاف، بعد أن كان محدوداً في أدواره، وأبوابه، ومناراته، ومرافقه المعمارية المتنوعة، وفي الوقت نفسه توفرت مساحات شاسعة خارجية لخدمة زوار البيت العتيق. وإذا كانت توسعة الملكين فهد وعبدالله في الناحيتين الجنوبية الغربية، والغربية، والشمالية الغربية، والشمالية، فمازال هناك أيضاً مساحات فضاء شاسعة في الجهات الشمالية الشرقية، والشمالية، والشمالية الغربية، وهي مواقع عدد من الحارات التي تم إزالتها في عهد الملك عبدالله في نهاية العشرينيات وبداية الثلاثينيات من هذا القرن (١٥هـ/٢١م). وقد شاهدت في مطلع عام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م) بعض المنشآت الجديدة التي مازالت في طور البناء والتشييد، ومعظمها في الناحية الشمالية والشمالية الغربية من المسجد الحرام.

٢- نتج عن توسعة الملكين فهد وعبدالله بناء مشاريع استثمارية عملاقة لخدمة المسجد الحرام وزواره من الحجاج والمعتمرين ومن هذه المنشآت المعمارية:

أ - أبراج شركة مكة للإنشاء والتعمير، وفندق دار التوحيد في عصر الملك فهد.
ب - أبراج البيت، أو وقف الملك عبدالعزيز للحرمين الشريفين، ويطلق عليه أيضاً برج الساعة، ويتكون من عدة أبراج، وفنادق جبل عمر في عهد الملك عبدالله.

جميع هذه المشاريع في الناحية الجنوبية والغربية من المسجد الحرام، وتتكون من آلاف الغرف والأجنحة، وعشرات المرافق الخدماتية المتنوعة[1].

٣- كنت أتردد على مكة سنوياً مرات عديدة، خلال الثلاثين سنة الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م) وأشاهد تراكم منازل الحارات القديمة المحيطة بالحرم، وتداخل أزقتها، ومحلاتها التجارية، وضيق الشوارع المؤدية إلى المسجد الحرام،

المؤرخين المكيين في العصر الحديث والمعاصر مثل: محمد طاهر كردي، ومحمد عمر رفيع، ومحمد مغربي، وعبدالله محمد أبكر، وإسماعيل خليل كتبخانة، وفوزي محمد الساعاتي وغيرهم. وأقول إن التاريخ الديموغرافي لمدينة مكة خلال الستين سنة الماضية (١٣٨٠-١٤٤٤هـ/١٩٦٠-٢٠٢٣م) جدير بالعديد من الدراسات الوصفية والتحليلية الدقيقة والرصينة، نأمل من مؤسسات مكة المكرمة البحثية أن تقوم بإنجاز هذا المقترح في عدد من الكتب والرسائل العلمية.

(١) اطلعت على دراسات ورقية ورقمية مختصرة عن هذه المشاريع الكبيرة، لكنها مازالت بحاجة إلى دراسات علمية توثيقية تاريخية جادة ورصينة، أرجو أن نرى من يدرسها في هيئة كتب أو رسائل علمية جامعية.

وهذا مما سبب الزحام الشديد، وغالباً عدم وجود النظافة. وزيادة أعداد الحجاج والـزوار كانت مـن الأسباب الرئيسيـة لتوسعة المسجد بشكل أكـبر، ثم العمل على إزالـة الأحياء والحـارات المحيطة بالحـرم. وعرفت من بعضـ المسؤولين في أمانة العاصمـة المقدسـة في نهاية عام (١٤٤٣هــ/٢٠٢٢م) أن إزالة الحــارات القديمة والعشوائيـة المجـاورة للحـرم، وفي أماكـن متفرقـة من مكـة مستمرة، وقـد رأيت وسمعـت في التلفزيـون السعـودي أثناء تدوين هـذه السطور في شهـر المحرم عام (١٤٤٤هــ/٢٠٢٢م) أن العمل جـار على إزالة أجزاء عديدة من حي المسفلة جنوب الحرم وحارات أخرى عديدة[1].

٤- تشير بعض الدراسات والخرائط الجوية في النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) أن الحــارات المحيطـة بالمسجـد الحرام، وقد تمـت إزالة معظمها خـلال العقدين الماضيـين الأخيريـن من هـذا القرن (١٥هــ/٢٠م)، هي مقـر الكثافـة السكانية المحليـة الكبيرة في المدينة. وظهـرت أحياء جديدة وتوسعت الحــارات القريبة من الحرم خلال السبعة عقـود الماضية (١٣٧٠ـ١٤٤٤هـ/١٩٥١ـ ٢٠٢٣م)[2]. وهناك عـدد من الدراسات الحديثة التي حصرت ووثقت حـارات مكة القديمة والرئيسية حـول الحرم بـ (١٣ــ ١٥) حـارة[3]. وأثناء ترددي على مكة خلال العقود الخمسة الماضيــة، شاهدت معظمها من عام (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) حتى العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ورأيت أيضاً أحياء أخرى كثيرة في أماكن متفرقة من المدينة. وفي نهاية عام (١٤٤٣هـ، وبداية عام ١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م) تجولت في أرجاء الحاضرة حــوالي (١٥) يوماً، وسجلت بعض ذكرياتي ومشاهداتي على عمران المدينة، وأوثق

---

(١) زرت مكة المكرمة في نهاية عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م)،وقابلت بعض المهندسين في هيئة تطوير مكة، والمشاعر المقدسـة، وذكروا لي بضع حارات وأحياء متفرقة في مدينة مكة في طريقها إلى الإزالة، وكثير منها تم نزع ملكيتها وتعويض أصحاب العقارات فيها.

(٢) مـن يطالع الخرائط الجوية خلال المئة عام الماضية (١٣٤٢ــ ١٤٤٤هـ/١٩٢٣ـ ٢٠٢٣م)، ويفحص بعض الدراسـات والكتـب المطبوعة يجد أن حاضرة مكة لا تخلو من مستوطنات ريفية أو بدوية بعيدة عن محيط الحـرم منذ الخمسينيات والستينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م)، ومع توفر الأمن والاستقرار خلال النصف الثـاني مـن القرن نفسه، ثم زيـادة الأموال ودخل المواطـن السعودي من تسعينيات ذلـك القرن، والعقود الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠ـ٢١م)، عندئذ صارت المدينة تتوسع عمرانياً وسكنياً في كل الاتجاهات.

(٣) أشرت إلى بعض تلك الحارات في فقرة سابقة، وأوثقها كما وردت في بعض الخرائط والكتب والدراسات التي صدرت خلال المئة سنة الماضية، وهي: (١) أجياد. (٢) الباب. (٣) الشبيكة. (٤) المسفلة. (٥) القرارة. (٦) الشاميـة. (٧) حـارة شعب علي وسوق الليل، وأحياناً تذكر حارتـين مستقلتين. (٨) القشاشية. (٩) شعـب عامر. (١٠) حـارة النقا والفلق، وبعض الدراسات ذكرتها حارتـين منفصلتين. (١١) السليمانية. (١٢) المعابـدة. (١٣) جـرول. وأغلب هذه الحـارات أزيلت، وصدر عنها بعضـ الدراسات المحدودة، وكل حارة لها تاريخ طويل يستحق أن يفرد لكل واحدة رسالة جامعية أو كتاب توثيقي مستقل.

لمحات من هذه الانطباعات والذكريات في النقاط الآتية:

أـ كانت السيارات ووسائل النقل الرئيسية، وطرق المواصلات تربط بين المشاعر المقدسة (عرفة، ومزدلفة، ومنى) وبين المسجد الحرام وغيره من أحياء المدينة، لكنها كانت محدودة وضيقة حتى العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ثم زادت وتوسعت في العقود الثلاثة الماضية (١٤١٢ـ١٤٤٤هـ/١٩٩٢ـ٢٠٢٣م)، فأنشئت عشرات الأنفاق في أرجاء المدينة، والطرق الرئيسية والفرعية التي تربط أحياء الحاضرة مع بعضها، ومع محيط المسجد الحرام. وأجريت تخطيطات حديثة، ونفذت أربعة شوارع دائرية للمدينة، حتى تسهل مسيرة الحجاج والمعتمرين بين الحرم والمشاعر المقدسة، وفي الوقت نفسه يستطيع السكان المحليين ممارسة حياتهم اليومية بيسر وسهولة. والدائري الأول يحيط بجزء كبيرة من المسجد الحرام، وأثناء التوسعات الأخيرة تم إزالته، وإزالة معظم الأحياء التي كان يمر عليها. والدائري الثاني مازال قائماً ويمر على عدد من الأحياء القريبة من الحرم، ولا يظهر عليه أنه دائري متصل. والدائري الثالث بعد الدائري الثاني، ويمتد في أحياء كثيرة وحديثة، ولا يبدو عليه أيضاً اكتمال دورانه. أما الدائري الرابع والأخير، بعد الدائري الثالث، فهو طريق مكتمل الدوران [1].

ب ـ أثناء تنقلي في عموم المدينة، وجدتها تشتمل على عشرات الأحياء وعندما سألت بعض المكيين العارفين بجغرافية المنطقة، ورجعت إلى العديد من المذكرات والسجلات والوثائق والخرائط والكتب المطبوعة والمنشورة وجدت من وثق، أو ذكر عدد الأحياء في المدينة، فهناك قول يذكرها في خانة الستينيات، ورأي آخر يرفع عددها إلى التسعينيات، ورأي ثالث أشار إلى عددها فوق المئة [2]. ولست في هذه الخلاصة معني بدراسة هذه الأحياء تاريخياً وجغرافياً، وحضارياً، فهذه موضوعات كبيرة تستحق أن توثق في بحوث كثيرة وكبيرة ودقيقة [3]، لكني أذكر فقط بعضها، مع ربط توثيقي

(١) كل النقاط التي أشرت إليها في المتن ذكرتها باختصار شديد، مع أن هذه التنمية العمرانية الحديثة والمعاصرة تحتاج أن تدرس وتفصل في عشرات الكتب.ومادتها العلمية متوفرة في أمانة العاصمة المقدسة، وهيئة تطوير مكة والمشاعر المقدسة وغيرها من المكتبات والمراكز الحضارية الأخرى.

(٢) معظم أحياء مكة الحديثة، بصرف النظر عن عددها شُيدت خلال العقود الأربعة الماضية (١٤٠٥ـ١٤٤٤هـ/١٩٨٥ـ٢٠٢٣م). وهذا النمو العمراني الذي عاشته مكة انتشر أيضاً في أرجاء المملكة العربية السعودية.

(٣) من هذه الأحياء أو النواحي في المدينة : (١) المشاعر المقدسة (منى، ومزدلفة، وعرفة). (٢) أجياد. (٣) التنعيم. (٤) الخالدية. (٥) الرصيفة. (٦) الزاهر. (٧) السليمانية. (٨) الشوقية. (٩) العتيبية. (١٠)

بالطـرق الدائريـة الأربعـة الآنـف ذكرها. فمعظـم الحـارات الواقعة على الدائـري الأول دخلت في توسعات الحرم الجديـدة، ومازالت بعض مواقعها تحت التخطيط بهدف العمـارة والتشييد لصالح المسجد الحرام[١]. وهناك أحيـاء مازالـت قائمة بـين الدائرين الأول والثـاني، مثل: جبـل الشرشف، والطندبـاوي، والولايـا، والمطبعة، وأجزاء من حارتي أجيـاد، وجرول، وبين الدائريـن الثاني والثالث أحياء العزيزية الشماليـة والجنوبية[٢]، ومخطط سـتر اللحيـاني، والهجـرة، والروابـي، وريع بخشـ، والمسفلـة، والخالدية، وأم قضـب، والرصيفـة، والنزهـة، وشارع الستـين، والهنداويـة، والزاهر، وأم الجـود، والشهـداء[٣]. والأحياء الكبيرة بين الدائريـين الثالث والرابع، والبدايـة مـن حي النسيم شرقـاً نحو الغرب إلى بطحـاء قريش، والكعكية، والشوقيـة، والمحمديـة، والسبهاني، والإسـكان (الملك فهـد)، والحمراء، والبحـيرات، والعمـرة، والتنعيم، ووادي جليـل، والعدل، ومنـى، ومزدلفة، حتـى النسيـم [٤]. ومن الأحياء خارج الدائـري الرابع بعض مخططات ولي العهد جنوباً وتسير غرباً إلى مخططات الزايدي، وزهرة العمرة، وأبو مراغ، والنوارية، والشرائع، والراشدية، والعوالي، والحسينية[٥].

العـدل. (١١) العزيزية (حوض البقر قديمـاً). (١٢) الكعكية. (١٣) المعابـدة. (١٤) الحجون. (١٥) المعيصـم. (١٦) النزهـة. (١٧) الملاوي. (١٨) شارع المنصـور. (١٩) شارع الستـين. (٢٠) الفيصلية. (٢١) الشرائـع. (٢٢) كدي. (٢٣) الهجرة. (٢٤) بطحـاء قريش. (٢٥) الأندلس. (٢٦) التيسير. (٢٧) الإسـكان. (حـي الملك فهـد). (٢٨) الجميزة. (٢٩) الخنسـاء. (٣٠) الروابـي. (٣١) الروضة. (٣٢) الرصيفـة. (٣٣) العمـرة. (٣٤) التقـوى. (٣٥) وادي جليـل. (٣٦) ولي العهـد. (٣٧) النسيـم. (٣٨) المرسـلات. (٣٩) العـوالي، وغيرهـا. لم آت على كل الأحيـاء في أرجاء العاصمة المقدسـة، ومازال هناك أحياء أخرى كثيرة تقع بين الطرق الدائرية الثاني والثالث والرابع، وأخرى خارج الدائري الرابع.

(١) تجولـت مرات عديدة في مطلع عـام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م) حول المسجد الحرام،ورأيـت الكثير من المنشآت العمرانيـة التي العمل فيها قائماً، وبعضها ضمن توسعات المسجد كالمنارات، وباب الملك عبدالعزيز، وعند صحن الطواف، ومحطه القطار الملاصق للحرم، وأبنية أخرى غرب المسجد الحرام وشماله.

(٢) يبـدأ الدوار الثالث من بداية منى ونهايـة مزدلفة ويسير غرباً إلى مخطط ستر اللحياني، ثم حي الهجرة، إلى الخالديـة، والرصيفيـة، والملك فهـد، وأم الجود إلى مسجد التنعيم. وأثنـاء تجوالي في المدينة وجدته يتوقف عند التنعيم،وإذا اكتمل فسوف يصل إلى شارع الحج.

(٣) مازال في الكثير من هذه الأحياء أبنية شعبية يقطنها الكثير من الناس، وذكر لي أنها في طريقها للإزالة بعد استكمال دراسة أوضاع سكانها، وإنهاء إجراءاتها الإدارية والمالية والتخطيطية.

(٤) لاحظت أن الدائري الرابع يبدأ من حي العوالي ويسير إلى بطحاء قريش، ثم السبهاني، ثم الشوقية، ثم مخطط الهدى ويتقاطع مع طريق المدينة، ويواصل السير إلى العسيلة، ثم المعيصم، ويعود مرة أخرى إلى العوالي.

(٥) هـذه الأحياء حديثة وأقدمها بدأت في العقـد الأول في هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وشاهدت حركة عمرانية جيدة فيها، ومخططات أخرى مجاورة .

خلال إقامتي في مكة في نهاية عام (١٤٤٣هـ) وبداية عام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م) سار معي الأستاذين الكريمين ناصر بن أحمد العماري، وأحمد بن معيض الزهراني في نواحي عديدة من مدينة مكة[(١)]، وشرحا لي الكثير من التفصيلات عن بعض الأحياء القديمة والجديدة، وتفصيلات حضارية أخرى عديدة، وأعلم أنني في أيام معدودة لن أستطيع الإلمام بكل شيء في ميدان العمارة والتعمير، لكنني أذكر صوراً تاريخية حديثة ومعاصرة شاهدتها في رحلتي الأخيرة، أو رحلات سابقة، أو قرأت عنها، أو سمعتها من الأستاذين الآنف ذكرهما أو غيرهما[(٢)].

عرفت أن منطقة الحرم، كما ذكرت سابقاً، كانت مليئة بالأحياء والعمارات السكنية والتجارية المتنوعة في أسمائها، ومرافقها، ونوعية عمرانها، ثم جرى عليها الإزالات والتوسعات العمرانية الحديثة والمعاصرة، وشيدت عمارات وأبراج عالية متعددة الأحجام والمرافق والخدمات، وجميعها لخدمة زوار المسجد الحرام من الحجاج والمعتمرين والمصلين[(٣)].

ذكرت المصادر التاريخية المبكرة والمتأخرة مصطلحي (المعلاة، والمسفلة)، ويقصد بالمعلاة أي الناحية التي تعلو المسجد الحرام، وتقع في الناحية الشمالية من الحرم وضمن جغرافية وادي إبراهيم الخليل، والكثير من الأحياء القريبة في هذه الناحية تم إزالتها خلال العقد والنصف الماضي (١٤٢٩-١٤٤٤هـ/٢٠٠٨-٢٠٢٢م). أما المسفلة فهي الناحية التي تقع أسفل المسجد الحرام جنوباً، وتعد جزءاً من وادي إبراهيم الخليل أيضاً[(٤)].

---

(١) الأستاذان العماري والزهراني يعيشان في مكة منذ عدة عقود، ويعرفان الكثير عن التركيبة البشرية والجغرافية وتفصيلات أخرى من الحياة التنموية التي تعيشها مكة منذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م)، فشكر الله لهما على ما قدما لي من عون وخدمات.

(٢) كما التقيت بالعديد من الأساتذة الكرام الذين قدموا لي معلومات وتفصيلات متنوعة عن حاضرة مكة في العصر الحديث والمعاصر، مثل: (١) الأستاذ يوسف محمد الصّبحي. (٢) الأستاذ إبراهيم بن منصور الهاشمي. (٣) الأستاذ عبدالمحسن بن عالي الشنبري. (٤) الأستاذ بدر بن ستير الحياني، فجزاهم الله عني كل خير.

(٣) مازال حول الحرم بعض الأحياء القديمة نوعاً ما، وجميعها تقع في محيط الدائرين الأول والثاني، وأعتقد أنها جميعها في طريقها للإزالة، وسمعت من بعض المسؤولين في أمانة العاصمة المقدسة أن هناك توجهاً في تسخير منطقة الحرم وما يحيط بها لخدمة زوار المسجد الحرام، ومعظم المشاريع الحديثة القائمة والمستقبلية سوف تكون استثمارية وأوقافاً لخدمة الحرم وما يحيط به. والناظر اليوم (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م) في العمارات القريبة من المسجد الحرام يجد أن معظمها فنادق وأبراج سكنية حديثة، ومازال هناك بعض الأبنية والأحياء القديمة غرب، وجنوب وشرق الحرم ويغلب عليها العشوائية في تخطيطها العمراني وهي ضمن الإزالات والتطوير العمراني القادم الذي تعيشه المدينة.

(٤) بعض الأحياء في هذه الناحية تم إزالتها، والحارات الباقية في طريقها للإزالة. وهناك شروحات كثيرة في عدد من المصادر والدراسات عن ناحيتي المعلاة، والمسفلة. ومازالت تحمل هذين الاسمين حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م). ففي الناحية الشمالية تقع مقبرة المعلاة ويقع على مقربة منها حارات عديدة مثل: الحجون، والجميزة، والسليمانية، والملاوي، والمعابدة، والعدل وغيرها. وحارة المسفلة جنوب الحرم

والباحث في تاريخ الدروب التي تصل إلى مكة والحرم من أماكن عديدة، يجد أن كتب الجغرافيين والرحالة المتقدمين، والمؤرخين والباحثين المحدثين أشاروا إلى خمس طرق رئيسية تدخل إلى الحرم[1] هي:

١- طريق مكة جدة، وحالياً ثلاثة فروع. الطريق السريع من جدة إلى مكة وأطلق عليه مؤخراً اسم طريق الأمير محمد بن سلمان. وطريق من مكة إلى جدة عن طريق مدينة بحرة، وطريق آخر من مكة إلى جدة عن طريق عسفان.
٢- طريق مكة المدينة المنورة.
٣- طريق مكة الطائف عن طريق أحياء الشرائع ثم وادي السيل.
٤- طريق مكة الطائف عن طريق جبل الهدا.
٥- طريق مكة الليث حتى القنفذة ثم جازان.

البعض من هذه الطرق قديمة جداً، وتعود إلى عصور ما قبل الإسلام، والجغرافيون المسلمون الأوائل فصلوا الحديث عنها وعن محطاتها، وامتداداتها داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها. وكانت قديماً محدودة في مسالكها والخدمات الموجودة عليها، وبعد ظهور السيارات في الحجاز في النصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم تطورت البلاد في عصر الدولة السعودية الحديثة، وشقت الطرق القديمة وتوسعت، واستحدثت طرق حديثة، وأصبحت حاضرة مكة مرتبطة مع غيرها من المناطق والبلدان داخل المملكة العربية السعودية وخارجها من خلال هذه الطرق السريعة المزدوجة الآنف ذكرها.

عاصرت تاريخ هذه الطرق الرئيسية في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ورأيتها كيف كانت محدودة في خدماتها ومساحاتها، فكانت في البداية سيد واحد، ثم تطورت منذ العقد الثاني في هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) حتى أصبحت اليوم سريعة، ومتعددة المسارات، وعليها جميع الخدمات التي يحتاجها المسافرون والزوار الذين يرتادون مكة للحج والعمرة[2]. شاهدت أجزاء هذه الطرق الواقعة ضمن حدود مدينة مكة

مازالت معظم عمائرها قائمة، لكنها ضمن مشروع الإزالة الحديثة. هذا الذي سمعته وشاهدته في نهاية عام (١٤٤٣هـ وبداية عام ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٢م).

(١) معظم هذه الطرق قديمة، وترتبط بطرق الحجاج الرئيسية التي تسير في اتجاهات عديدة في شبه الجزيرة العربية حتى تصل إلى بلدان أخرى عديدة في العالمين العربي والإسلامي. والجغرافيون والرحالة الأوائل فصلوا الحديث عن دروب الحج القديمة التي تأتي من بلدان عديدة حتى تصل المسجد الحرام في مكة المكرمة. وهذه الطرق المذكورة في المتن كانت طرقاً صغيرة فلا يسلكها إلا المشاة بدوابهم، ثم دخلت السيارة إلى الحجاز في النصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وتحولت تدريجياً طرق المشاة إلى طرق سيارات كما نشاهدها في وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م).

(٢) إن هذه الطرق الخمس الآنف ذكرها جديرة أن يصدر عنها دراسات تفصيلية خلال المئة عام الماضية (١٣٤٣ـ ١٤٤٤هـ/١٩٢٤ـ ٢٠٢٣م)، أرجو أن نرى مؤرخين جادين يتخذونها موضوعات بحثية مدعومة بالوثائق والصور الفوتوغرافية.

المكرمة منذ مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وكانت تجوبها معظم السيارات الصغيرة والكبيرة، لكنها كانت ضيقة ومحدودة في المنطقة القريبة من المسجد الحرام، لازدحامها بالحارات السكنية، وإحاطة منطقة الحرم بالجبال والمرتفعات العالية التي تعوق حركة وصول السيارات إلى الحرم. كما أن الشوارع التي تتفرع من هذه الطرق الرئيسية إلى أحياء المدينة كانت هي الأخرى قليلة، وصغيرة، ومحدودة. وقد أدركت الدولة هذه العقبات فبذلت كل ما في وسعها لفتح أنفاق عديدة تصل إلى منطقة الحرم[1]، وتربط أحياء المدينة والمشاعر المقدسة (منى، ومزدلفة، وعرفه) مع أجزاء الحاضرة المختلفة.

وأثناء تجوالي في مدينة مكة في نهاية عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢٣م) رأيت مئات الطرق السريعة والمزدوجة التي تربط الأحياء ببعضها، بل وجدت الحي الواحد ملئ بالطرق المزدوجة والفردية. وإذا نظرت في المشاعر المقدسة (عرفات، ومزدلفة، ومنى) فهي مرتبطة بشبكة طرق كبيرة وعالية الجودة والإتقان من حيث رصفها، وما يقع عليها من خدمات أو جسور تسهل حركة الحجيج. ومن يطالع الخرائط الورقية والرقمية الحديثة فسوف يجد الكثير من التفصيلات عن أسماء شوارع المدينة، واتجاهاتها، والكثير من الخدمات الموجودة عليها. ومما عرفته وسرت من خلاله الدوائر الثلاث التي تحيط بالمدينة (الدائري الثاني، والثالث، والرابع)، ومن الشوارع الداخلية الكبيرة الأخرى. (١) شارع العزيزية العام الذي يربط مشعر عرفة بالحرم[2]. (٢) شارع المنصور الذي

---

(١) رأيت مدينة مكة خلال العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وتجولت في بعض أجزائها في مطلع عام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)، فعرفت صعوبة الوصول إلى الحرم قديما، واليوم صار في أرجاء المدينة عشرات الأنفاق التي تسهل حركة المرور في كل ناحية، وبخاصة الوصول إلى منطقة الحرم والخروج منها. ومن الأنفاق التي سرت من خلالها وتوقفت عند بعضها: (١) نفق السليمانية شمال الحرم يبدأ من حي جرول وينتهي عند مقبرة المعلاة من الناحية الشرقية. (٢) نفق بخش في الجهة الجنوبية من الحرم، يبدأ من ريع بخش وينتهي في شارع المنصور. (٣) نفق المعيصم يربط بين مشعر منى وحي المعيصم. (٤) نفق الملك فهد يربط بين منى وحي الششة. (٥) نفق الملاوي يصل بين الحرم (شعب عامر) وحي الششة، ويقال أنه أطول نفق في مكة. (٦) نفق المسخوطة يخرج من باب الملك عبدالعزيز وبرج الساعة حتى مقر حجز السيارات في كدي. (٧) نفق من مستشفى النور الدائري الثالث إلى حي العزيزية، ومن العزيزية يسير نفق آخر إلى منى ويسمى طريق الملك خالد، بعده عدة أنفاق تنفذ إلى المعيصم. وهذه الأنفاق تربط بين الدائري الثالث والدائري الرابع من جهة الشرق. (٨) نفق محبس الجن الذي ينتهي عند شعب عامر حول الحرم. (٩) نفق عند الدائري الثالث يربط بين مسجد عائشة حتى حي أم الجود. ولم أستطع حصر الأنفاق في المدينة المقدسة، لكنها تقدر بالعشرات، وهناك من قال عددها أكثر من أربعين نفقا، وأنا غير متأكد من هذه الرواية. إلا أن جميع الأنفاق التي شاهدتها طريقين ذهابا وإيابا، ومخدومة بالإضاءة وخدمات أخرى عديدة. وموضوع الأنفاق في مكة يستحق أن يدرس في كتب ورسائل علمية جامعية.

(٢) هذا الطريق سرت من خلاله مشياً على الأقدام أثناء ثلاث حجات، اثنتان في التسعينيات، من القرن (١٤هـ/٢٠م)، والثالثة في بدايات العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). كما مشيت فيه بالسيارة مرات عديدة، ورأيتها قديما ضيقة ومتواضعة، وفي العقدين الأخيرين (١٤٢٤-١٤٤٤هـ/٢٠٠٣-٢٠٢٣م)

يبدأ من حي جرهم جنوباً إلى حي البيبان شمالاً. (٣) شارع إبراهيم الخليل الذي يمتد من الحرم نحو الجنوب إلى مخططات ولي العهد. (٤) شارع المسجد الحرام ينطلق من الحـرم نحو الشمـال الشرقي ماراً بمقبرة المعلاة، ثم حي المعابـدة إلى شارع الأبطح في حي العدل [١].

لم آت علـى كل أحيـاء مكـة، لكننـي زرت معظمها مـع الأستاذين ناصـر العماري وأحمـد الزهـراني، وفي أوقات متفرقـة خلال الأيام الأخيرة مـن شهر ذي الحجة عام (١٤٤٣هـ)، والأسبوع الأول من عام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)، وجمعت مادة علمية عن بعض الأحيـاء، وأوثـق في هذا المبحث لمحات من التنمية التاريخيـة والعمرانية عن بعض هذه (الحارات)، أو النواحي[٢]، وهي كالآتي :

١- المشاعر المقدسة :

الأماكـن المقدسـة في الناحيـة الشرقية من مدينـة مكة المكرمة: منـى، ومزدلفة، وعرفـات (عرفـة). ورد ذكرها في القـرآن الكـريم، والتفاسير، وكتب السـنن والفقه. واشتملت كتـب التراث الإسلامي على تفصيلات تاريخيـة، وحضارية، وأدبية عن هذه

أصبح شارع العزيزية الرئيسي شارعاً مزدوجاً وكبيراً وواسعاً.

(١) يذكـر أنـه كان يطلق على شارع المسجـد الحرام اسم (الأبطـح)، وفي بعض المصـادر المتقدمة والمتأخرة تفصيـلات عـن اسم الأبطح وتاريخـه. واثناء سيري في الطـرق الرئيسية التي تدخـل إلى مكة وجدت أن طريق جدة مكة السريع يدخل إلى شارع الستين، ثم طريق أم القرى ويواصل السير في بعض الأنفاق حتى العزيـزة والمشاعـر المقدسة. وخط الليث مكة يصـل إلى مخططات ولي العهد ثم يسـير في بعض الأحياء حتـى شـارع إبراهيم الخليل في حي المسفلة. وخـط المدينة المنورة مكة يدخل إلى حـي النوارية ثم العمرة الجديـدة ثم البحيرات، ثم الزاهر ثم يتفرع إلى فروع عديدة. خط الطائف مكة يسير في وادي نعمان، ثم العوالي، فالعزيزية حتى الحرم· وطريق الطائف من خلال وادي السيل إلى الشرائع ثم المعيصم، فالعدل، فالمعابدة، فالجميزة حتى الحرم ومشيت في طرق داخلية أخرى عديدة مثل: (١) طريق الخواجات جنوب مكـة قريبـاً من مخططات ولي العهد يسـير خارج مكة حتى جدة أو الطائف، ومنـه فروع تدخل إلى داخل المدينـة.(٢) طريـق عبد الله عريف يسير مـن حي النزهـة حتى نهاية الطريـق الدائـري الثالث في حي الرصيفـة (٣) طريق عبد القادر كوشك يبدأ من تقاطع طريق الليث مع وادي إبراهيم الخليل ويتجه غرباً إلى الدائري الرابع. (٤) طريق عمر قاضي يبدأ من طريق السيل (الشرائع) إلى أحياء عديدة في منطقة الشرائـع وما حولها وأقـول: إن موضوع طرق مكة الداخلية والخارجية موضـوع كبير يستحق أن يدرس في بحوث علمية عديدة.

(٢) إن أحيـاء مكـة المكرمة القديمة والجديدة كثـيرة جداً، وبعض المؤرخين المكيين القدمـاء والمحدثين أشاروا إلى بعض التوثيقات عن الحارات القديمة. وأمانة العاصمة المقدسة وفروعها، وهيئة تطوير مكة والمشاعر المقدسـة، وبعض المراكز البحثية والأقسام العلمية في جامعة أم القـرى أصدرت عدداً من البحوث لبعض الحـارات القديمـة والحديثة، وهناك الكثير من الخرائط والسجلات والوثائـق والدراسات الهندسية عن مدينـة مكة وتضاريسها ومستوطناتها البشرية ومخططاتها العمرانية. وأقول إن كل حي قديم أو جديد في حاضرة مكة يستحق أن يفرد له دراسة توثيقية تفصيلية.

النواحي، كونها من المشاعر الدينية التي يرتادها الحجاج أثناء أداء مناسك الركن الخامس من أركان الإسلام، حج البيت الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً. ولن أسهب الحديث عن تاريخها وحضارتها والأحداث السياسية والدينية التي جرت على أرضها لأن ذلك مبسوط في مئات الدراسات القديمة والحديثة، لكنني فقط أشير إلى شيء من جغرافيتها وتنميتها العمرانية خلال العقود الخمسة الأخيرة (١٣٩٢ـ ١٤٤٤هـ/ ١٩٧٢ـ ٢٠٢٣م).

فمشعر منى واد تحيط به الجبال من الشمال والجنوب ويبعد عن المسجد الحرام شرقاً حوالي (٦كم). يوجد فيه عدد من المساجد التاريخية مثل: مسجد الخيف، ومسجد البيعة ، ومسجد المنحر، ومسجد الكبش، ومسجد المرسلات، ومسجد عائشة، ومسجد الكوثر. ومسجد الخيف المسجد الرئيسي لمشعر منى حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م)[١]. ويحد منى من الشمال الغربي جمرة العقبة، ومن الجنوب الشرقي وادي محسر، ومن الجنوب جبل القوس، ويطلق عليه جبل منى، ومن الشمال جبل ثبير، وتقدر مساحته الشرعية حوالي (٨كم٢). وقد رأيت ناحية منى في التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) والعقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م)، وهي أرض يستوطنها الحجاج من اليوم السابع إلى الثالث عشر من شهر ذي الحجة كل عام، وكانت الخيام المصنوعة من القماش تقام في سهول وجبال هذا المكان طوال أيام الحج، والجبال المطلة على سهل منى مليئة بالأحجار الصغيرة والكبيرة، ورأيت الحجاج منتشرين في كل مكان بهذا الموقع خلال أيام الحج، ولا يخلو هذا المشعر من عمارات حديثة لعدد من المؤسسات الأمنية والإدارية التي تشرف على خدمة الحجيج. ومنذ عشرينيات هذا القرن(١٥هـ/٢١م) حتى الآن بذلت الدولة جهوداً عظيمة في تطوير مشعر منى عمرانياً وتنموياً، وأزالت جميع الحجارة الموجودة في جبال منى لأنها كانت خطيرة على أمن الحجيج، ووسعت وطورت طرق المشعر، وشيدت العديد من المشاريع العمرانية التي تجعل الحجاج يرمون الجمرات بسهولة ويسر، وأنشأت العديد من العمارات متعددة الأدوار حتى يستوطنها بعض الحجاج أيام إقامتهم في مشعر منى من يوم التروية إلى ثالث أيام التشريق[٢]،

---

(١) عرفت منى هذه المساجد منذ أمد بعيد، وأغلبها تأسست في القرون الإسلامية الأولى، ولكل مسجد قصة وتاريخ، وقد صدر عنها العديد من الدراسات والتوثيقات المتقدمة والمتأخرة، ومعظم هذه المساجد لم تعد موجودة حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م)، وأشهرها وأكبرها حتى وقتنا الحاضر مسجد الخيف، ويتسع لمئات المصلين وعمارته حديثة، ومن مرافقه أبنية خدماتية تصب في رعاية المسجد ومن يرتاده من المصلين والحجاج. ومشعر منى ومسجد الخيف من الموضوعات التاريخية الحديثة التي يجب دراستها في أعمال علمية تاريخية توثيقية تفصيلية.

(٢) للمزيد عن جغرافية وتاريخ منى انظر، الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص ١٩٤-ت ١٩٦، الكردي، التاريخ القويم، ج٣، ٣٢٨، الأمير شكيب أرسلان، الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج على أقدس مطاف، وهي الرحلة الحجازية، ص ٦٥ـ ٦٦ .

والمشروع الأعظـم أن استبدلت الحكومة الخيام القماشية بخيام مصنوعة من الزجاج والبلاستيـك مقاومة للحريق، وزودت أرجاء المشعر بـكل الخدمات الأمنية والحضارية التي يحتاجها الحاج أثناء أداء مناسك حجه[١].

مشعر مزدلفة بين مشعري منى وعرفة، ومساحته أكثر من تسعة كيلو مترات مربعة. يحده من الغرب وادي محسر، ومن الشرق عرفات، ومن الشمال والجنوب جبال متصلة تطـل على مزدلفة. وأرضـ مزدلفة منبسطـة، وفيها مسجد المشعر الحـرام، مساحته تقريبـاً (٩٠×٦٠م) يتسـع لأكثر من عشرة آلاف مصل، وله منارتـان يزيد ارتفاعهما عـن (٣٠م)، وله ثلاثة مداخل من الجهات الشرقيـة والشمالية والجنوبية. ويربط بين المسجد وعرفة طريق مشاه بعرض حوالي(٦٠م)[٢].

تقـع عرفة أو عرفات شـرق مكة على طريق الطائف مكة عبر جبـال الهدا، وتبعد عن الحـرم حوالي (٢٢كم)، وعـن مشعر منى حوالي (١٠كم). يقام فيهـا أهم مناسك الحج (يوم عرفة) في التاسع من شهر ذي الحجة كل عام. وفي عرفات جبل الرحمة، ويعرف أيضاً بأسمـاء القرين، والنابت ، والإل. يحد مشعـر عرفات من الغرب وادي نمره، ومن الجهات الثـلاث الأخرى مجموعة جبال تتفـاوت في أشكالها وأحجامها. وعرفـة أرض منبسطة، لا عمـران فيها سوى مسجد نمرة في الناحية الغربيـة يتسع لمئات الآلاف من المصلين، وبعض الأبنيـة الصحية والأمنيـة والخدماتية التي تستخدم أثناء موسم الحـج، والطرق الواسعة المسفلتـة تغطي عموم أرضـ المشعر طولاً وعرضـاً [٣].كما جرى تشجـير مشعر عرفة منذ تقريبـاً ثلاثة عقود، وفيها اليـوم مئات الأشجار المتفاوتة في أحجامهـا، ومن أهم فوائدها تلطيف الجو على الحجاج يوم عرفة، واستخدامها أماكن ظل طوال يوم الوقفة [٤].

---

(١) مشعـر منى أكثر المشاعر المقدسة (منـى، وعرفات، ومزدلفة) عمرانياً، وهـي خالية طوال السنة، ووقت استخدامهـا أيـام الحج فقـط، والاستعدادات تبـدأ فيها من نهاية شهـر شوال كل عـام إلى نهاية موسم الحـج، المصـدر: مشاهـدات الباحث لمشعر منـى مرات عديدة خلال سنـوات متفرقة من عـام (١٣٩٢ـ ١٤٤٤هـ/١٩٧٢ـ٢٠٢٣م).

(٢) مشاهـدات الباحـث في نهاية عـام (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م). لمزيد مـن التفصيلات عن مشعـر مزدلفة انظر الأزرقـي، ج٢، ص ١٧٢ـ١٧٣ ١٩٠ـ ١٩٣. الفاسـي، شفاء الغرام، ج١، ص ٥٠٤ ــ ٥١٢،٥١٠، عبدالملك بن دهيش، حدود المشاعر المقدسة(منى، مزدلفة، عرفات) (١٤٢٥هـ)، ص٩٩ـ ١٢٢ ٠

(٣) صـدر الكثير من البحـوث والدراسات القديمة والحديثة عن المشاعر المقدسة ومعظمها مطبوعة ومنشورة ومنها.محمد الزركشي. إعلام الساجد بأحكام المساجد (القاهرة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م ص ٧٢ـ ٧٣. أرسلان، الارتسامات اللطاف، ص ٥٨ــ ٦٥، عبدالملك بن دهيش، حدود المشاعر المقدسة (منى، مزدلفة، عرفات).

(٤) كانـت الأشجـار في مشعـر عرفة قليلة ونـادرة حتى العقد الأول مـن هذا القرن (١٥هــ/٢٠م)، ثم زادت رعايتهـا واستنباتها حتـى أصبحت تقدر أعدادها بالمئات وربمـا بالآلاف.مشاهدات الباحث خلال خمسة عقود (١٣٩٢ـ ١٤٤٤هـ/١٩٧٢ـ٢٠٢٣م).

من قراءتي ومشاهداتي للمشاعر المقدسة خلال العقود الخمسة الماضية (١٣٩٥-١٤٤٤هـ/١٩٧٥-٢٠٢٣م)، وجدت أن الحكومة أدركت زيادة أعداد الحجاج سنوياً، وكان عليها أن تقوم بالعديد من المشروعات العمرانية والتنموية في منى، ومزدلفة، وعرفات، ومن أهمها ما يلي:

أ - تطوير وتوسعة الجمرات، حيث كانت مكونة من ممرات وجسور متوسطة، لكنها لم تكن كافية، فبدأت الدولة من نهاية العشرينيات وبداية الثلاثينيات بالعديد من التوسعات الضخمة التي شملت الأبنية والجسور والأدوار والمصاعد المتعددة. وكان هناك بعض الطرق الرئيسية التي تربط بين المشاعر والحرم وأجزاء مكة مثل شارع الملك عبدالعزيز، وجسري الملكين فيصل وخالد، وطريقي الملكين عبدالعزيز، وفهد فجرى توسيعها وتزويدها بالإنارات والكثير من الاصلاحات والخدمات. كما نفذت طرق مشاة سهلة وواسعة من عرفات إلى جمرة العقبة ثم إلى الحرم. ومن أحدث المشروعات في مطلع الثلاثينيات من هذا القرن(١٥هـ/٢١م) قطار المشاعر الذي يربط بين المشاعر المقدسة الثلاثة (منى، وعرفات، ومزدلفة)، وقد صمم بأعلى تقنيات هندسية ومعمارية، وحل مشكلات كبيرة بخصوص نقل الحجاج بين المشاعر[١].

ب - يوجد في المشاعر حالياً ثلاثة جوامع كبيرة، مسجد الخيف بمنى، ومسجد نمرة في عرفات، ومسجد المشعر الحرام بمزدلفة. وهذه المساجد حظيت بالرعاية العمرانية الكبيرة من عهد الملك عبدالعزيز، ثم جرى توسعتها وتطويرها في عصري الملكين خالد وفهد، ثم أدخل عليها تزويقات وترميمات متعددة خلال العقود الأربعة الماضية (١٤٠٤ - ١٤٤٤هـ/١٩٨٤ - ٢٠٢٢م)، ورأيتها في رحلتي الأخيرة في مطلع هذا العام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م) مزودة بالكثير من المراوح، والمكيفات، والسجاد. والمصاحف، وعشرات دورات المياه[٢].

ج - الصرف الصحي وتزويد المشاعر المقدسة بالمياه العذبة من المشاكل الكبرى التي عانى منها الحجاج عبر عصور التاريخ. وكانت عين زبيدة من مصادر المياه

---

(١) المصدر: رحلات الباحث ومشاهداته منذ عام (١٤٠٠- ١٤٤٤هـ/١٩٨٠- ٢٠٢٣م). للمزيد انظر :حامد عباس. قصة التوسعة الكبرى (جدة، ١٤١٦هـ)، ص٤٩، أميرة علي مداح وآخرون. المشاعر المقدسة عبر العصور (دراسة تاريخية) (مكة المكرمة، ١٤٣٧هـ)، ص ٢٩٣- ٢٩٩. وأقول إن طرق المشاعر، وتطوير الجمرات، والقطار موضوعات مهمة تستحق أن تدرس في بضعة كتب ورسائل علمية جامعية.

(٢) كل مسجد من هذه المساجد يستحق أن يفرد له دراسة مستقلة خلال المئة عام الماضية (١٣٤٣-١٤٤٤هـ/١٩٢٤- ٢٠٢٣م)، أرجو أن نرى بعض المؤرخين الجادين يتولون هذه المعالم الدينية بالبحث والتوثيق الرصين.

الرئيسيــة وقد حظيت هذه العين بالكثير مــن الإصلاحات والترميمات.وكانت من اهتمامــات الملــك عبدالعزيز الكبرى وأبنــاؤه الملوك من بعــده[١]. كما جلبت مياه الشــرب في العصر الحديث مــن وادي نعمان، وبعض العيــون الأخرى القريبة من مكــة. وكان هنــاك بعض الآبــار في محيــط المشاعر (عرفات، ومنــى، ومزدلفة)، لكنهــا لا تســد حاجة الحجــاج. وفي عصــر الملــك فهد (١٤٠٢-١٤٢٦هـ/١٩٨٢-٢٠٠٥م) أدرك الحاجة الماسة إلى مصادر مياه كبيرة وكثيرة فأمر بإنشاء محطة تحليــة الميــاه في ميناء الشعيبــة، ومر هذا المشــروع بالعديد مــن المراحل(١٤٠٢ـ ١٤٠٨هـ/١٩٨٢ـــ ١٩٨٨م)،وعند افتتاحه حل مشاكل كبــيرة بخصوص مصادر مياه حاضرة مكة. ومن يسير في أرجاء المدينة والمشاعر المقدسة في وقتنا الحاضر يشاهــد العديــد من الخزانــات السطحية الكبــيرة التي تزود الحجيــج وأهل مكة بالمياه المحلاة الكافية[٢].

أمــا الصــرف الصحي فهــذه مشكلة أخرى كبــيرة، وقد شاهــدت الحجاج خلال حجاتــي الأربــع الأولى (١٣٩٢- ١٤١٢هــ/١٩٧٢-١٩٩٢م) فقــد كان معظمهــم يسكنون في العراء والخيــام المتواضعة في المشاعر المقدسة، ويقضون حاجاتهم في الخــلاء لعدم وجود دورات ميــاه كافية، ولم تكن الحمامــات الداخلية موجودة إلا عنــد بعض المؤسسات الحكومية أو شركات الطوافة الكبيرة. وخلال الثلاثين سنة الأخــيرة (١٤١٢ــ١٤٤٤هـ/١٩٩٢ــ٢٠٢٣م) توفرت خدمــات الصرف الصحي، وأصبــح استخدام الخلاء حالياً نادراً، فهناك الكثير جداً من دورات المياه الموزعة علــى أرضــ المشاعر، وضمن مرافــق الخيام المطورة والعمائــر الموجودة في مشعر منــى، ومازالــت وزارة الشــؤون البلدية والقروية تبذل قصــارى جهودها في توفير دورات مياه في كل مكان من المشاعر المقدسة[٣].

د ـ الأضاحي في المشاعر المقدسة من الأعمال التي يقوم بها بعض الحجاج لاستكمال حجهــم. وتوفر المواشي والمجازر من ضروريــات ذبح الأضاحي. وشاهدت مجزرة منى خــلال التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)،وكانــت في مكان مكشوف شرق

(١) وجــدت بعض البحوث المختصرة التــي توثق صفحات من تاريخ مصادر الميــاه في مكة والمشاعر المقدسة، لكن هذه الموضوع مازال بحاجة إلى دراسة تفصيلية توثيقية جادة. للمزيد انظر، أمل صلاح عبدالرحمن جمبي.مصــادر مياه الشرب ومشكلاتها في مدينة مكة (دراسة جغرافية الموارد المائية) رسالة ماجستير في قسم الجغرافيا بجامعة أم القرى (١٤٣٣هـ/١٤٣٤هـ) (١١٢)صفحة.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) تاريــخ الصرف الصحي في مكــة والمشاعر المقدسة خلال المئــة سنة الماضية (١٣٤٢ـــ ١٤٤٤هـ/١٩٢٣ـــ ٢٠٢٣م) موضوع تاريخي مهم يستحق أن يدرس في عدد من الكتب العلمية.

المشعر، ومن أراد ذبح أضحيته يذهب إلى أصحاب المواشي القريبة من المجزرة ويأخذ ما يريد، ويذبح ذبيحته، وأحياناً يتركها بعد ذبحها، وهناك من يسلخ أضحيته ثم يأخذ شيئاً منها لنفسه ويترك الباقي في العراء. كانت هذه الطريقة تسبب تلوثاً كبيراً للأرض والناس[١]. وفي مطلع هذا القرن نقلت أماكن الجزارة إلى وادي محسر في آخر مشعر مزدلفة من ناحية منى، وصار هناك مجموعة حظائر للحيوانات المعروضة للأضاحي، وإلى جانبه مجازر عديدة[٢]. ومنذ عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/٢١م) أنشئت مجازر حديثة في حي المعيصم، مزودة بكل الإمكانات اللازمة، وأصبحت لحوم الأضاحي مادة غذائية مهمة توزع على الفقراء داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، وتعاون البنك الإسلامي للتنمية مع الجهات الرسمية المسؤولة عن الأضاحي بهدف الاستفادة من لحومها وتوزيعها داخلياً وخارجياً بطرق عملية وعلمية وصحية وإنسانية[٣].

هـ- شاهدت خلال الحجات الست التي قمت بها من بداية التسعينيات إلى عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وقرأت ورأيت وسمعت عن خدمات أخرى عديدة تقدم للحجاج في المشاعر المقدسة. فهناك مقرات عديدة للأجهزة الأمنية مثل: الدفاع المدني، والشرطة، والجوازات، والحرس الوطني، والمرور وغيرها، فتراها مأهولة بالكوادر البشرية العسكرية والمدنية الذين يسهرون على خدمة الحجاج وراحتهم. وهذه القطاعات الحكومية لها أبنية ثابتة تصان وتغلق طوال العام، وتفتح ويجري استخدامها أيام الحج فقط. وفي منى والمشاعر الأخرى أبنية صحية، ومستشفيات ومراكز رعاية طبية، ومواقع لتجميع النفايات والتخلص منها، وشبكات ومقرات تقنية تعمل في مجالات عديدة لمراقبة سير الحجيج وتنقلاتهم وخدمتهم والإشراف على رعايتهم[٤].

---

(١) هذا الذي شاهدته في الأعوام (١٣٩٢هـ، ١٣٩٨هـ، ١٣٩٩هـ)، وفي بعض تلك السنوات شريت أضحيتي وذبحتها، وتركتها لمن يريد أخذ لحمها. ومعظم الناس يفعلون مثلما فعلت. وتاريخ المجازر في مكة والمشاعر المقدسة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة موضوع لم يدرس في هيئة بحوث علمية جادة، آمل أن نرى باحثين يقومون بدراسة هذا الموضوع في عدد من الدراسات العلمية.

(٢) ذهبت للحج في النصف الأول من عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/٢١م) وشاهدت تلك الحظائر والمجازر الموجودة في وادي محسر.

(٣) تاريخ الأضاحي والمجازر في منى خلال الخمسين سنة الماضية (١٣٩٢-١٤٤٤هـ/١٩٧٢- ٢٠٢٣م) موضوع يستحق أن يدرس في هيئة كتاب أو رسالة علمية جامعية.

(٤) أعلم أنني لم أشر إلى كل المنشآت العمرانية والتنموية في المشاعر المقدسة، وهي كبيرة خلال أيام الحج، ومنها العسكرية والمدنية، والحكومية والأهلية. وشركات الطوافة، أو المؤسسات الخيرية والاجتماعية والإعلامية والتوعوية وغيرها، وجميعها موجودة في المشاعر وبخاصة في ناحية منى، وبعضها ليس لها مقرات ثابتة، لكنها تؤسس لها مواقع مؤقتة أثناء موسم الحج. وكانت أغلب مواد بنائها من الخيام

٢ـ حي المعابدة :

هـذا الحي مـن الحـارات المكية القديمـة، يقـع في الناحيـة الشماليـة الشرقية مـن الحـرم. لم يكـن فيـه استيطان بشـري كبـير، لكنـه توسع خـلال العقـود الستة الماضيـة (١٣٨٠ـ١٤٤٤هـ/١٩٦١ـ٢٠٢٣م)، وأصبـح يمتـد مـن حي الحجـون جنوباً إلى بدايـة المشاعـر المقدسة عند أسفل منـى. ويحتوي على عدد مـن الجبال والأحياء والشعـاب وفيه بعض الأبنية التاريخية الحديثـة، مثل قصر السقـاف، الذي بني عام (١٢٢٤هـ/١٨٠٩م)، واتخـذه الملـك عبدالعزيـز آل سعـود مقـراً له، وجـرى تجديده وترميمه عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ويتبع حالياً الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني، ويوجد في هذه الحارة قصر الشيبي، وكان الأمير فيصل بن عبدالعزيز أثناء عمله نائباً للملـك على الحجاز ينزل فيه كلمـا زار مكة، وقريباً من القصـر دكة الملك عبدالعزيز التـي كان يجلس فيها كل يوم بعـد صلاة العصر، ثم تابعه، بعد ذلـك، ابنه فيصل[١]. كان مقـر إمـارة مكة في قصر السقاف حتى انتقالهـا إلى مبناها الحالي في حي العدل المجـاور لحي المعابـدة. ويوجد حالياً في المعابـدة مقر أمانة العاصمـة المقدسة، وبعض المؤسسـات الإداريـة الأخرى. وهذا الحـي في الوقت الحاضر مكتـظ بالعمائر الحديثة السكنيـة والتجارية متعددة الأدوار، ويتخلله الكثير من الشوارع المتفاوتة في مساحاتها، وأطوالها، والخدمات الموجودة على جوانبها. والمعابدة من أقرب الأحياء إلى الحرم بعد هدم الكثير من حارات مكة الواقعة في الناحية الشمالية من المسجد الحرام[٢].

ونجـد عددا من الحارات القريبة من المعابـدة، وكانت بعضها على صلات جوار جيدة مع حي المعابدة، أو جزء منه جغرافيا وحضاريا. ومن هذه الحارات: الجميزة، والزهراء، والزاهر، والعتيبيـة (الأندلس حاليا)، والعـدل، والخنساء، والجعفرية، وحي الشعبـة (شعبة الضبع)، وريـع ذاخر، وجليل، وحي الفيصلية ويضم (الروضة، والملاوي، والششة، وريع المسكين)، وحي شـارع الحج، وحي العزيزية[٣]. وأثنـاء تجوالي في معظم هذه الأحيـاء رأيتها مكتظة بالسكان والعمارات الحديثة، ولا تخلو بعضها من أبنية شعبية متفاوتة في مساحاتها وأحجامها[٤].

القماشية، ثم استبدلت بالخيام البلاستيك، أو الألمنيوم والمواد غير القابلة للاشتعال. وكنت كل مرة أحج، وأثنـاء إقامتـي في منى أيام التشريق أتجـول في بعض أجزاء المشعر، وأشاهد الكثـير من المقرات الإدارية الأمنية والاقتصادية، والإعلامية والدعوية وغيرها.

(١) تم إزالـة هـذه الدكة في بدايـة الثلاثينيات من هذا القرن (١٥هـ/٢١م) أثناء التوسعـات العمرانية التي شهدتها المنطقة القريبة من المسجد الحرام.

(٢) المصدر: مشاهدات الباحث وزيارته لحي المعابدة في نهاية عام (١٤٤٣هـ) وبداية عام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م).

(٣) هـذا الـذي سمعتـه من بعض أعلام مكـة أثنـاء زيارتي الأخيـرة في نهاية عـام (١٤٤٣هـ) وبداية عام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م). وجميـع هـذه الحارات تحمـل نفس الأسمـاء المذكـورة أعلاه حتى وقتنـا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م). وكل حي من هذه الأحياء يستحق أن يفرد له دراسة مستقلة.

(٤) إن الذاهب في أرجاء حاضرة مكة يجد العمارة الحديثة أصبحت هي السائدة في كل مكان. وهناك أحياء وأبنية شعبية وعشوائية متناثرة في مواضع عديدة من المدينة.

٣- حي العزيزية (حوض البقر) :

يقع هذا الحي في أعلى حي المعابدة من الناحية الجنوبية الشرقية. إن هذه الناحية كانت جزءاً من المعابدة، وقد شاهدتها في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، ولا تُعرف آنذاك إلا باسم حوض البقر، ربما لأن الأبقار كانت توجد فيها بكثرة، وقد رأيت فيها أعداداً كثيرة من البقر في عام (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م). وكانت آنذاك خالية من العمران، ومنذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) وبدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) بدأ العمران فيها وزاد، ثم صارت تعرف باسم حي العزيزية، وقسمت فيما بعد إلى العزيزية الجنوبية والشمالية. وأنشئت فيها العديد من المؤسسات الإدارية، وأهمها إدارة وكليات جامعة أم القرى، التي بقيت فيها سنوات عديدة قبل انتقالها إلى مقرها الجديد في العابدية شرق حي العوالي جنوب شرق محافظة مكة. ومازال في العزيزية حتى الآن بعض المراكز والمؤسسات الإدارية التابعة للجامعة، لكن الذي غلب على هذه الناحية خلال الثلاثين سنة الأخيرة، أنها صارت من أحياء مكة المكرمة الكبيرة المليئة بالأسواق التجارية، والفنادق والشقق المفروشة. وأصبحت الكثير من عماراتها الحديثة مخصصة للاستثمار التجاري أثناء موسم الحج، وهي مخدومة بطرق مواصلات حديثة، وخدمات أخرى كثيرة أمنية إدارية وحضارية، ويسكنها الكثير من السكان السعوديين وغير السعوديين، وتشاهد فيها حركة عمرانية واقتصادية كبيرة[١].

٤- أحياء ريع بخش، وكدي، والهجرة، والشوقية، والكعكية :

كل هذه الأحياء تقع جنوب المسجد الحرام، وحارتي ريع بخش، وكدي تلي حارة أجياد من الجنوب[٢]. بل ريع بخش حلقة الوصل بين كدي وأجياد[٣]. وقد شقت فيه العديد من الأنفاق التي تربط بين بعض أحياء مكة الشرقية والغربية. ويوجد في هذا

---

(١) إن الذي ساعد في نمو وتطور حي العزيزية بشكل كبير موقعها الاستراتيجي، فهي تربط بين وسط المدينة وبخاصة المسجد الحرام، والمشاعر المقدسة. كما أصبحت من المناطق الحضارية والتجارية الكبيرة لمجاورتها لمشعر منى، ولحركتها الاقتصادية الكبيرة من قبل المستثمرين والحجاج وزوار البيت الحرام. وكوني من أرض السروات فهي من أول الأحياء التي أصل إليها عندما أزور مكة والحرم، وغالباً أسكن فيها أثناء إقامتي في المدينة المقدسة، وشاهدت فيها الكثير من الأسر السروية والتهامية التي تستوطنها منذ عقود. كما رأيت الكثير من تجار جنوب المملكة العربية السعودية الذين يمتلكون الكثير من الفنادق والشقق المفروشة المخصصة للاستثمار فترة الحج، ثم تقفل طوال السنة، وأغلبهم أجروا عقاراتهم على شركات داخلية وخارجية تقوم على نقل الحجيج وخدمتهم خلال رحلة حجهم.

(٢) مشاهدات الباحث، وزيارته لهذه المواقع مرات عديدة خلال العشرين سنة الماضية (١٤٢٢-١٤٤٤هـ/٢٠٠١-٢٠٢٣م).

(٣) يذكر أن هذا الريع أطلق على اسم شخص كان يملكه اسمه الدكتور محمد سعيد بخش، تم تبرع به للدولة خدمة للحرم وتوسعة ما يحيط به، فأطلق اسم المتبرع على المكان تقديراً له.

الريع الكثير من العمارات والفنادق الحديثة، ومازال فيه وعلى مقربة منه بعض البيوت العشوائية والشعبية(١).

يقــع حي كدي بعدٍ ريع بخش جنوباً، كان فيــه إلى عهد قريب سوق مكة الدولي، ثم أزيل. ويوجد فيه حالياً مشروع تعبئة زمزم(٢)، وفيه أيضاً إحدى مواقف حجز السيارات للقادمــين إلى المسجد الحرام من بــلاد السراة وتهامة وما والاها. وفي هذا الحي بعض الفنــادق الحديثة، والشقق المفروشة التي تستثمر أوقات الحج والعمرة، ويتخلله العديد من الشوارع الرئيسية والفرعية(٣).

موقــع حي الهجــرة في النـاحيــة الجنوبية من محيــط المسجد الحــرام، ويبعد عن الحرم حوالي (٤كم)، وسمي بهذا الاسم لأن الرسول (ﷺ) سلك هذه الناحية عندما هاجــر إلى المدينة المنورة. ومن أهــم معالم هذا الحي جبل ثور الذي يوجد في قمته غار ثــور، وارتفاع الجبل عن سطح البحر حوالي (٧٠٠م). وعمران الحي قام في هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠ـــ ٢١م)، ومعظم العمــارات مسلحة حديثة، والحي مأهــول بالسكان، وفيه العديــد من المدارس الحكوميــة، والمساجد المتفاوتة في أحجامهــا ومساحاتها، ولا يخلو من محلات تجارية صغيرة ومتوسطة(٤).

وحــي الشوقيــة من الأحيــاء الحديثة، يحــده من الشمــال الكعكية وحــي الإسكان وغيرهمــا، ومن الجنوب مخطط السلولي والدائــري الرابع، والشرق طريق مكة الليث، والغــرب الدائري الرابع، ومساحة الحي تقريباً (٥،٥كم٢)، ويوجد في الحي الكثير من الخدمات التنموية الجيدة، مثل الشوارع الصغيرة والكبيرة المسفلتة، ومأهول بالسكان، ويشتمــل علــى الكثير من العمــارات والمحلات التجاريــة والحرفيــة، ويسكنه لفيف من الأجنـاس البشرية السعوديين وغــير السعوديين، ولا يخلو من بعضــ الأمكنة الترفيهية المحدودة، كالحدائق، وممرات للممشى والرياضة(٥).

---

(١) هذا الذي شاهدته أثناء زيارتي الأخيرة لمكة مطلع هذا العام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م).

(٢) تم تعمــير مشــروع تعبئــة زمــزم الموجــود في حي كــدي في عهد الملك فهــد بــن عبدالعزيــز آل سعود عام (١٤١٥هــ/١٩٩٤م). وهذا مما ساعد الحجاج والمعتمرين وغيرهم في الحصول على مياه زمزم بسهولة. وهناك العديد من الدراسات الحديثة عن بئر زمزم وتوزيع مياهها، وبعضها مطبوع ومنشور.

(٣) مشاهــدات الباحــث ومعاصرته قيام العديد مــن المنشآت العمرانية الحديثة في حــي كدي خلال العقدين الماضيين (١٤٢٢ــ ١٤٤٤هـ/ ٢٠٠١ـــ ٢٠٢٢م).

(٤) قمــت بجولة في هذا الحــي في الأيام الأخيرة من شهــر ذي الحجة عام (١٤٤٣هــ/٢٠٢٢م). وهذا الحي وغيره من أحياء مكة الحديثة جديرة أن توثق في دراسات تاريخية جادة مع دعمها بالصور الفوتوغرافية.

(٥) زرت هــذا الحــي مــع الأستاذ ناصر العمــاري الذي يسكن فيه خــلال الأسبوع الأول مــن شهر المحرم عام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م). والحي يستحق أن يصدر عنه دراسة توثيقية تفصيلية.

أما حي الكعكية فهو من حارات مكة الجنوبية، ويجتاز هذه الناحية الطريق الرئيسي الذي يخرج من منطقة الحرم نحو الطريق الساحلي الذي يسير إلى الليث، والقنفذة، وجازان. ويذكر أن الحي سمي بهذا الاسم نسبة إلى عبدالله الكعكي الذي كان يملك في هذه الناحية مخطط عمراني باسمه، ويوجد حاليا (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م) في الحي شارع باسمه. وفي الكعكية سوق حلقة الفواكه والخضروات، وحراج لأنواع الطيور. وكان فيها إلى وقت قريب حراج بيع المواشي والإبل ثم نقل مكانه إلى كيلو عشرة، على طريق مكة الليث، قريباً من مواقف حجز السيارات[١].

٥- أحياء بطحاء قريش، والعوالي، والنسيم:

حي بطحاء قريش من أحياء مكة الحديثة، يبعد عن الحرم جنوباً بحوالي (١١كم)، ويطل جبل ثور على هذا الحي من الجهة الشرقية. ويمر الطريق الدائري الرابع من خلال الحي، ويسير شرقا نحو المشاعر المقدسة، وغربا إلى طريق جدة مكة السريع. والحي متطور في خدماته وتنميته الحديثة، وفيه أنواع العمارات الحديثة الصغيرة والكبيرة، السكنية والتجارية، وشوارعه كثيرة وحديثة ومتفاوتة في أطوالها ومساحاتها، وشاهدت في الحي في نهاية عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) العديد من مقرات المؤسسة الإدارية الحكومية، وأغلبها مستأجرة، مثل: (١) مكتبة الحرم المكي. (٢) الإدارة العامة للمساجد والدعوة والإرشاد. (٣) فرع وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد بمنطقة مكة. (٤) فرع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بمنطقة مكة. (٥) فرع وزارة العدل بمنطقة مكة. (٦) المحكمة العمالية. (٧) المحكمة الإدارية (ديوان المظالم سابقا). (٨) النيابة العامة (هيئة التحقيق والادعاء العام سابقا) فرع منطقة مكة المكرمة. (٩) محكمة الاستئناف فرع منطقة مكة. (١٠) المحكمة الجزائية. (١١) أبنية مدارس حكومية عديدة[٢]. ويسكن الحي الكثير من السكان السعوديين الذين هاجروا من أماكن عديدة في المملكة إلى مكة واستقروا فيها خلال العشرين عاما الماضية (١٤٢٢- ١٤٤٤هـ/٢٠٠١-٢٠٢٢م)، وفيهم نسبة كبيرة من التهاميين والسرويين، وأكثرهم يمتلكون بيوتا خاصة، ومنهم من لديه عقارات تجارية متعددة، ومعظمها شقق للإيجار[٣].

---

(١) هذه المعلومات وصلتني بالهاتف من الأستاذ ناصر بن أحمد العماري يوم الإثنين (٢/صفر/١٤٤٤هـ الموافق ٢٩/أغسطس/٢٠٢٢م). وكل الذي دونته عن هذا الحي وغيره من أحياء مكة، تعد شذرات محدودة شاهدتها أو سمعتها من بعض المكيين. وكل حي في محافظة مكة قديماً أو حديثاً يستحق أن يدرس في دراسة تاريخية توثيقية مستقلة ورصينة.

(٢) زرت هذا الحي مرات عديدة من عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/٢١م) حتى مطلع هذا العام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م).

(٣) أعرف أفراداً وأسراً كثيرة من جنوب المملكة العربية السعودية يسكنون في هذا الحي، وبعضهم شروا أراض خلال العقدين الثاني والثالث من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ثم شيدوها، وعند تقاعدهم من وظائفهم انتقلوا

حــي العــوالي شرق المدينــة، يبعد عن الحــرم حوالي (٢٣كم)، يحده مــن الشمال أجــزاء مــن المشاعر المقدسة، ومن الجنوب الحسينية، ومــن الشرق حي العابدية الذي توجـد فيه مقـرات جامعة أم القرى الجديدة، ومن الغـرب الحسينية، وربما سمي هذا الحــي بالعوالي لوقوعــه في الأجزاء الشرقية المرتفعــة من المدينة. وأثنــاء ترددي على مكــة خلال العقد الأول من هذا القرن (١٥هــ/٢٠م) كانت هذه الناحية محدودة جداً مــن الاستيطان البشري، وبــدأ النشاط العمراني الحديث فيها خــلال السنوات الأولى مــن العقــد الثاني في القرن الحالي[١]، ثــم نما وتطور حتى صار مــن أفضل أحياء مكة المكرمة. ويحتوي على الكثير من المنازل والقصور الفخمة، ويسكنه صفوة المجتمع المكي مــن القضاة، وأئمة الحــرم، وأساتذة الجامعة وغيرهم. وارتفــاع العمارات فيه تتراوح بين دور ودورين وأحياناً ثلاثة طوابق داخل الحي، وتزيد إلى أربعة وخمسة على الشوارع التجارية. ويشتمل علــى جميع الخدمات التجارية، والبترولية، والتقنية، والحرفية. وله شــوارع عديدة صغيرة وكبيرة، وأكبرهــا شارع إبراهيم الجفالي الــذي يتوسط الحي، ويقع عليه أكثر الحركة الاقتصادية والحضارية[٢].

وحــي النسيــم يقع إلى الشمال من حي العوالي، وهو مــن الأحياء الحديثة عمرانياً وتنموياً. ويوجد فيه عشرات الفنادق والشقق المفروشة التي تستثمر خلال موسم الحج، ومــن أكبر معالمه مجموعة فنادق أوقاف سليمان الراجحــي، وإلى جانبها جامع عائشة الراجحــي، وتشرف عليه شركة أوقاف سليمــان الراجحي القابضة. وشيد الجامع على أرقي المواصفات الهندسية تخطيطاً، وتصميماً، وتنفيذياً. ويشتمل على جميع الخدمات، ومساحتــه تزيــد عن ستين ألف متر مربع، ويتسع لخمسين ألــف مصل. وبدأت الصلاة فيــه من منتصــف الثلاثينيات في هذا القرن (١٥هــ/٢١م)، ويعد أكبر مسجد في مكة المكرمة بعد المسجد الحرام.

ولا يقــل حــي النسيــم عن حــي بطحاء قريــش، والعوالي مــن حيث سعــة الشوارع وتعددهــا، وتوفر كل الخدمات السكنية والتجارية. والأحياء الثلاثة (العوالي، والنسيم، وبطحــاء قريش) أحيــاء جديدة شيدت وتطورت في شتى المجــالات العمرانية والتنموية خلال الثلاثين سنة الماضية (١٤١٥ــ ١٤٤٤هـ/١٩٩٤ــ ٢٠٢٣م)[٣].

للعيش في مكة. ويوجد في الحي سكان آخرين من مدن ومناطق أخرى في المملكة. وهناك من لديهم استثمارات في الحي ويسكنون في أحياء أخرى في مكة، أو مدن أو مناطق في الحجاز وغيرها من بلدان المملكة.

(١) هــذا الــذي عاصرته أثنــاء دراسة الدكتــوراه الذي كان موضوعها عــن الحجاز، وكنــت أزور مكتبات مكة المكرمة خلال العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م).

(٢) مشاهدات الباحث لتطور هذا الحي من عام (١٤١٤هـ/١٩٩٣م) حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م).

(٣) شاهــدت نشأة هــذه الأحياء وتطورها عمرانيــاً وحضارياً منذ العقد الثاني في هــذا القرن (١٥هـ/٢٠م)

٦- أحياء مخططات الشرائع :

تقع حي الشرائع في الناحية الشمالية الشرقية للحرم المكي الشريف، وتبعد عنه حوالي (١٨- ٢٠كم). ويحدها من الشرق المغمس، ومن الغرب حي المعيصم، ومن الجنوب جبل الطارقي وجزء من المغمس، ومن الشمال الجعرانة والمسيلة. ومصطلح الشرائع ليس اسماً قديماً فربما لا يزيد تاريخه عن مئة عام وربما زاد قليلاً. وهي حالياً منطقة سكنية كبيرة تشتمل على العديد من المخططات العمرانية الحديثة. ومن يقرأ في كتب التراث الإسلامي المبكرة والوسيطة يجد أنها البلاد التي خرج الرسول (ﷺ) من خلالها إلى بلدة الطائف، لعله يجد من يحميه وينصره لنشر دعوة الإسلام. كما جاء من خلالها أبرهة الحبشي الذي أراد هدم الكعبة قبل الإسلام، وعلى أجزاء من هذه البلاد عُرف سوق ذو المجاز، ووقعت معركة حُنين، وضمن حدودها وادي الجعرانة الذي نزل فيه الرسول (ﷺ) بعد عودته من غزوة حنين، ووزع فيه الغنائم على بعض الصحابة (رضوان الله عليهم)، وبنى في هذه الناحية مسجد الجعرانة الذي أحرم منه الرسول (ﷺ) لعمرته الثالثة[1].

لهذه البلاد تاريخ قديم، وجرى على أرضها الكثير من الأحداث، وهي البوابة الرئيسية للحجاج والمسافرين الذين يخرجون من بلاد الطائف عبر وادي السيل إلى مكة، وقد سلكها الخلفاء، والسلاطين، والملوك، والأمراء، والوزراء، والعلماء، والكثير من البشر خلال القرون الإسلامية المختلفة[2]، وربما ترسخ اسم (شرائع المجاهدين) أو (الشرائع) وزاد استعماله وانتشر منذ أربعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، عندما وصلتها بعض جيوش الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، وأقامت فيها بعض الوقت، واستخدمت الخيام والأشرعة لتقيهم من حرارة الشمس والمطر وغيره[3].

حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م). وكل حي يستحق أن يدرس تاريخه التنموي الحضاري في كتاب أو دراسة مستقلة تفصيلية.

(١) روى عبدالله بن عباس (رضي الله عنهما) أن الرسول (ﷺ) اعتمر أربع عمرات: (١) عمرة الحديبية. (٢) عمرة القضاء. (٣) عمرة الجعرانة. (٤) عمرة مع حجته. ويوجد في الجعرانة اليوم مسجد على الطراز الحديث مزود بكل الخدمات. المصدر: مشاهدات الباحث في مطلع عام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م).

(٢) حبذا أن تدرس هذه الناحية من خلال كتب التراث الإسلامي المبكر والوسيط، بالإضافة إلى جمع آثارها ونقوشها التاريخية الحضارية. وهذا الموضوع جدير أن يصدر في بحوث عديدة.

(٣) هذه الناحية معروفة باسم (شرائع) أو (الشرائع) من قبل هذا التاريخ الآنف ذكره في المتن. ومما يؤكد ذلك أن بعض جيش الإمام عبدالعزيز آل سعود ومن جاء بعدهم أضافوا مصطلح (المجاهدين) بعد كلمة (شرائع) المعروفة قديماً عند أهل البلاد ومن حولهم من الحجازيين. وهذه الديار كانت إحدى المحطات الرئيسية للمسافرين والحجاج السرويين، والنجديين، والعراقيين وغيرهم ممن جاء إلى مكة عبر هذه الطريق.

شاهـدت حـي الشرائـع في نهايـة القـرن (١٤هـ/٢٠م)، وبدايـة هـذا القـرن (١٥هـ/٢٠م)، وكان فيه عمـارات قديمة وحديثة قليلة ومحـدودة في حدود العشرات. ثـم مـررت من هذه البـلاد خلال العقديـن الأولين مـن القرن (١٥هـ/٢٠م)، فرأيت مخططاتهـا تتزايد، والبيـوت السكنية تكثر. وفي نهاية العـامِ الماضي وبداية هذا العام (١٤٤٣ـ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٢م)، زرت هـذه المنطقـة، فلـم تعد حيـاً واحداً، إنمـا فيها أحياء ومخططـات كثيرة تشتمل علـى مئات العمـارات الحديثة المسلحة، ومـازال فيها بيوت شعبية صغيرة ومتجاورة [١].

وأثنـاء السير والمشاهدات في أجـزاء عديدة من ناحية الشرائع، التقيت أيضاً ببعض الأصدقاء والأقارب في هذه المنطقة، ومعظمهم من بلاد السراة وتهامة، وسألتهم عن أمور تنموية عديدة في هذه الأحياء، فذهبوا معي إلى بعض مكاتب العقار والعارفين بالشرائع ومخططاتهـا العمرانيـة، وأفادوني بالعديد مـن التفصيلات الخاصة بالحيـاة العمرانية الحديثـة، وبعض الذيـن قابلتهم يعيشون في بعض أحياء الشرائع منـذ أربعين وخمسين عاماً، وأذكر في الفقرات الآتية بعضاً مما سمعته من الأعلام والرواة الذي التقيت بهم في الأيام الأولى من هذا العام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)، حيث قالوا :

أ ـ معظم المنطقة عرفت بالشرائع، ومنها أجزاء داخل حدود الحرم، مثل: مخططات رقـم (٣، ٧، ١٠). ومخططـات أخرى خارج حدود الحـرم كالمخططات رقم (١، ٤، ٥، ٩، ١٣). وأحيـاء أخـرى ضمن المنطقة مثل: الخضراء، والراشدية، وشرائع النخيل، واللحيانيـة، وبعض من تحدثت معهم يقولون أن هذه المخططات الأخيرة ليست من الشرائع، لكن الذاهب في أرجاء هذه الجهة يجد كل الأحياء والمخططات متداخلة ومتقاربة ومتجاورة [٢].

ب ـ رأيـت في بعض المخططات بعض العمـارات الإداريـة، والتعليميـة، والخدماتية، والرسميـة، والأهلية. وسألت بعض الأعلام عن هذه الأبنية، فقالوا: جميع الأحياء في الشرائع مخدومة بالكثير من العمارات الحديثة التجارية، والإدارية، والتعليمية، والحرفيـة والصناعيـة، والرياضيـة والترفيهيـة، والجوامع والمساجـد والمقرات الدينيـة، وأضاف بعضهم ذكر بعض المعـالم الرئيسية في هذه الناحية، مثل: (١) بعـض الإدارات العسكريـة التابعـة للحرس الوطنـي، وإدارات الأدلـة الجنائية، ومـرور شرق مكـة، ومدينة تدريب الأمـن العام، وإدارة مكافحـة المخدرات. (٢)

---

(١) المفروض أن يطلق عليهـا أحيـاء أو مخططـات منطقـة الشرائـع، لأننـي زرت عـدداً مـن أحيـاء حاضـرة مكـة عام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)، ووجدت الكثافة السكانية والعمرانية في الشرائع تفوق أي ناحية أو حارة أو حي في عموم مدينة مكة.

(٢) هذا الذي شاهدته وأنا أتجول في أنحاء المنطقة لبضع ساعات.

يوجد بهذه الناحية مقبرتي الشرائع، وشهداء الحرم، بالإضافة إلى بعض الأمكنة السياحية الرياضية كالحدائق متوسطة المساحات، ومدينة الملك عبدالعزيز الرياضية (الاستاد الرياضي)، والعديد من الصالات والقاعات الكبيرة الخاصة بالاحتفالات والمناسبات الاجتماعية المختلفة. (٣) أشاروا إلى عدد من الشوارع والمساجد الكبيرة في المنطقة، مثل شوارع عمر قاضي (٦٤)، والعسكر، والفردوس. ومساجد الخلفاء الراشدين، والسديس، وفقيه، والعساف، والأميرة نوف.

ج ـ قمت بجولة ميدانية مع بعض الأفراد في الشرائع، وشاهدت بعض الجوامع، والمقرات العسكرية المذكورة أعلاه. ورأيت مقرات المدارس الحكومية الكثيرة لجميع المراحل، وعلى مستوى عمراني جيد. وشاهدت أبنية اقتصادية حديثة عديدة. كالشقق المفروشة، والأسواق التجارية المتفاوتة في معروضاته، وجودة مواقعها، ومساحاتها، ومقر حجز سيارات الحج والعمرة الذي يتسع لمئات المركبات. أما طرق المواصلات الرئيسية والفرعية، الفردية والمزدوجة فكثيرة جداً، ومخدومة بالإنارة، والإشارات المرورية، والخدمات التنموية التي يحتاجها المقيم والمسافر[١].

٧ـ أحياء (مخططات) ولي العهد:

تأتي مخططات ولي العهد في الجهة الجنوبية من مكة المكرمة، وتبعد عن الحرم من (١٢ـ ١٥كم)، بدأ تخطيطها وتهيئة أجزاء منها للعمران الحديث منذ العقد الأول في هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، واليوم عددها عشرة مخططات، من رقم (١) إلى رقم (١٠)[٢].

قبل الحديث عن هذه المخططات من خلال ما عرفته وشاهدته وسمعته، بحثت في بعض مصادر التاريخ الإسلامية المبكرة والوسيطة من أجل الحصول على مادة تاريخية قديمة، واتضح لي أمور عديدة، أذكر أهمها في النقاط الآتية:

أ ـ عُرفت هذه المخططات لعامة الناس باسم (ولي العهد) منذ ربع قرن تقريباً (١٤٢٠- ١٤٤٤هـ/١٩٩٩-٢٠٢٢م)، وكان لبعض أجزائها أسماء محلية عديدة.

---

(١) أحياء الشرائع من أوسع مخططات مكة وأكثرها عمرانياً وبشرياً. وتستحق أن تدرس تنموياً في شتى المجالات خلال الخمسين سنة الماضية (١٣٩٤هـ ـ ١٤٤٤هـ/١٩٧٤ـ ٢٠٢٢م)، وأعتقد أن هذا الموضوع جديد في بابه ويستحق أن يصدر عنه عدد من البحوث العلمية الجادة المدعومة بالصور الفوتوغرافية.

(٢) موقع بعض هذه المخططات قريبة من الطريق الساحلي الذي يربط جازان، والقنفذة، والليث مع مكة المكرمة. وهذا الطريق عرفته وسرت من خلاله منذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكنت أجتاز منطقة مخططات ولي العهد، وكانت آنذاك أراض بيضاء جرداء لا حياة فيها ولا عمران، وخلال العقدين الأولين من هذا القرن (١٤هـ/٢٠م) بدأ العمران في حاضرة مكة يتجه جنوباً، وكانت مخططات (١، ٢، ٣) على طريق مكة الليث أول الأجزاء التي تم تخطيطها وبدأ فيها العمران.

كما أنها حلقة الوصل بين مدينة مكة المكرمة وما يقع جنوبها حتى المراكز الأخرى الجنوبية التابعة لمحافظة مكة.

ب - مـن يتتبـع هجرة الرسـول (ﷺ) من مكة إلى المدينـة، يجد أنه (عليـه أفضل الصلاة والسلام) خرج من مكة متجهاً جنوبا، وعندما وصل إلى المنطقة التي تقع فيها مخططات ولي العهد حاليا انحرف شمالا، وواصل هجرته (عليه الصلاة والسلام) إلى يثرب[١].

ج - إن الدارس لتاريـخ مكـة المكرمة الحربـي والسياسي والحضاري خـلال القرون الإسلامية المبكرة، والوسيطة، والحديثة يجد الكثير من الحروب والصدمات التي وقعت في الأجزاء الجنوبية من مدينة مكة، وغالبا تكون بين ولاة مكة وحكامها من الأشـراف وغيرهم وبين بعض القوى السياسية والقبليـة القادمة من بلاد تهامة الممتدة من الليث والقنفذة إلى تهامة عسير، وجازان، وبلاد اليمن[٢].

د - مـن يقرأ أخبار ضم الحجـاز وبخاصة مكة المكرمة في عهـد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمـن الفيصـل، يجد أن القـوات السعوديـة الكبيرة والكثـيرة جاءت من الناحيـة الشماليـة الشرقية عن طريق وادي السيل حتـى وصلت منطقة الشرائع، ومن هنـاك واصلت المسيرة إلى وسـط المدينة المحيطة بالحـرم الشريف[٣]. ولم تكـن البلاد التهامية من جنـوب مكة إلى القنفذة وتهامة عسـير وسرواتها بعيدة عـن الأحداث، وإنما ساهمت فيها قبل وأثناء ضم منطقة عسير، وبعد دخول مكة وحواضـر الحجاز الرئيسيـة تحت النفوذ السعودي الحديـث. وأعتقد أن الأجزاء الجنوبيـة من حاضرة مكة مثل منطقة (مخططـات ولي العهد) وما حولها كانت من المعابر الرئيسية لجيوش الحكومة السعودية أثناء ذهابهم وإيابهم بين حواضر

(١) هنـاك العديد من البحـوث والدراسات العلمية المطبوعـة والمنشورة التي درست ورصـدت هجرة الرسول (ﷺ) من مكة إلى يثرب (المدينة المنورة)، وبعضها منشورة ورقيا ورقميا.

(٢) خرجـت بهـذه الخلاصـة، لأن مصادر التاريـخ المكية، ومصادر اليمـن المحلية، والمصـادر والمخطوطات الإسلاميـة المبكرة والوسيطـة، والكتب والوثائق الحديثة (المنشورة وغـير المنشورة) فصلت الحديث عن الحـروب والأحـداث السياسية التي وقعت في مكة المكرمة، وكان للبلاد التهامية الممتدة من مكة إلى تهامة اليمـن وأحياناً سرواتها إسهامات رئيسيـة عسكرياً، وحربياً، وسياسياً. ومن المؤكد أن الجزء الجنوبي من حاضـرة مكة المكرمـة أول النواحي التي جرى علـى أرضها لقاءات عسكرية، وسياسيـة عديدة. وأقول إن الصلات السياسية والحضارية بين المكيين والتهاميين من الليث إلى عدن خلال القرون الإسلامية المختلفة (ق١ - ق١٤هـ/ق٧ - ق٢٠م) موضوع جديد ومهم وكبير يستحق أن يُدرس وتوثق أحداثه التاريخية في العديد من الكتب والرسائل العلمية الجامعية.

(٣) مـن يبحـث في هذا الموضوع يجد العديـد من الكتب والدراسات الحديثة التـي فصلت الحديث عن دخول الجيش السعودي إلى مكة وبقية مدن الحجاز خلال الأربعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م).

الحجاز الكبرى والبلاد التهامية الممتدة من جنوب مكة إلى منطقة جازان[١].

تقع مخططات ولي العهد على أرضٍ كبيرة ومنبسطة، وربما بلدية مكة ثم أمانتها رأت أنٍ هذه المنطقة تعد متنفساً رئيسياً لانتشار العمران الحديث جنوب حاضرة مكة، بعيداً عن الازدحام البشري الذي تعيشه وسط المدينة وبعض أطرافها الأخرى أثناء مواسم الحج والعمرة[٢].

أثناء جمعي مادة علمية ميدانية عن حاضرة مكة في نهاية عام (١٤٤٣هـ) ومطلع عام(١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م) ذهبت مع الأستاذ ناصر بن أحمد العماري إلى مخططات ولي العهد أكثر من مرة، ورأيت أن المخططات رقم (١، ٢، ٣) داخل حدود الحرم، وهذه المخططات، والمخطط رقم (٤) تقع قريبة من الطريق الرئيسي الذي يخرج من مكة إلى محافظة الليث ثم إلى منطقة جازان. وأصبحت هذه المخططات الأربعة مكتظة بالعمران الحديث، ومعظم عماراتها بيوت سكنية حديثة تتكون من دور إلى ثلاثة أدوار بمرافقها، بالإضافة إلى العديد من الأبنية الخدماتية الأخرى (صحية، وتعليمية، واقتصادية، وغيرها)، وشوارعها كبيرة ومخدومة بالخدمات الضرورية اللازمة[٣]، ويقع إلى غرب هذه المخططات الأربعة، مخطط رقم (١٠)، ومازال خالياً من العمران، وقد خصصته الدولة لشهداء واجب الحد الجنوبي[٤].

---

(١) من يدرس تاريخ مدينة مكة الحديث في عصر الملك عبدالعزيز (١٣٤٤-١٣٧٣هـ/١٩٢٥-١٩٥٣م)، يجد أنها كانت الحاضرة الإدارية الرئيسية التي خططت وأشرفت على مؤسسات المملكة العربية السعودية الأولى (عسكرياً ومدنياً)، وكانت تُرسل منها البعثات وموظفي الدولة إلى كل مكان في أرجاء المملكة. والبلاد التهامية من جنوب مكة إلى جازان. وأيضاً السراة من منطقة الشرائع ثم الطائف إلى بيشة، والباحة، وأبها، ونجران كانت ومازالت تحظى بالرعاية والخدمات التنموية في شتى المجالات الحضارية. حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ الطرق التي تربط بين مكة المكرمة والسروات وتهامة من عام (١٣٤٤-١٤٤٤هـ/١٩٢٥-٢٠٢٣م)، وآثارها التنموية والتطويرية على بلدان وسكان جنوب البلاد السعودية.

(٢) زرت مكة المكرمة عشرات المرات من بداية التسعينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر، ودخلت إلى الحرم ووسط المدينة من كل الجهات (الشمالية، والجنوبية، والشرقية، والغربية)، ورأيت فعلاً الأجزاء الجنوبية لمدينة مكة تعد الأسهل والأفضل لتوسع العمران الحديث، لبعدها بعض الشيء عن المشاعر المقدسة، وتكدس الكثافة السكانية في بعض الحارات والأحياء الداخلية أيام العمرة والحج.

(٣) وجدت أن هذه المخططات الأربعة (١، ٢، ٣، ٤) مليئة بالسكان السعوديين من أنحاء المملكة العربية السعودية. بل وجدت بعض الأسر جاءوا من أوطانهم الرئيسية المتفرقة في المملكة بعد تقاعد أولياء أمورهم من وظائفهم، ثم رغبوا الإقامة في حاضرة مكة والعيش فيها. وقد لاحظت الوضع نفسه في أحياء أخرى عديدة في المدينة مثل: الشرائع، والعزيزية،وبطحاء قريش، وأمكنة أخرى في المحافظة. حبذا أن تدرس الهجرات الحديثة والمعاصرة من أماكن مختلفة في المملكة إلى حواضر الحجاز الرئيسية (مكة المكرمة، وجدة، والمدينة)خلال العقود الستة الماضية (١٣٨٠-١٤٤٤هـ/١٩٦٠-٢٠٢٢م)، وحسب علمي فهو موضوع جديد لم يبحث وجدير بالعناية البحثية التوثيقية الجادة.

(٤) إن الحرب والصراع مع المملكة العربية السعودية والحوثيين في العقدين الماضيين (١٤٢٠-

والمخططات رقم (٥، ٦، ٧، ٨، ٩)، فهي أحدث من المخططات رقم (١، ٢، ٣، ٤)، وجميعهـا تقع خارج حدود الحرم. وعلـى امتداد شارع إبراهيم الخليـل الذي يبدأ من شمـال الحرم المكي الشريف، ويسير من وسط المدينة حتى يصل أرض هذه المخططات ويتصل بطريقٍ الخواجات. وقامت العمارة الحديثة في هذه المخططات الأخيرة، ومازال البناء مستمراً، وأعتقد أنها سوف تكون مكتظة بالعمران والسكان في بضع سنوات قليلة. وشاهـدت أغلب عماراتها السكنية تتراوح من طابق إلى ثلاثة طوابق. وفيها العديد من المؤسسـات الحكوميـة والأهلية، والاقتصادية، وبخاصة مخطـط رقم (٥)، مثل المعهد والكلية التقنية ومرافقها، والمستشفى الألماني، ومعارض السيارات. كما شاهدت المدينة الصناعيـة ضمن هذه المخططات الحديثة، وسمعت من بعض أهل مكة، ومنهم أساتذةٍ في جامعـة أم القـرى بأن هذه الناحيـة (مخططات ولي العهد) سـوف تكون مستقبلاً المركـز الرئيسي للكثير من الخدمات الحضاريـة التنموية الحديثة. وأعتقد أن أقوالهم وتنبؤاتهم قد تكون صائبة وصحيحة، لاتساع مساحاتها وانبساطها، وبعدها نوعاً ما عن أمكنة الزحام الرئيسية أثناء مواسم الحج.

وقـد زرت في مطلع عـام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م) مكاتب العقـار في المخطط رقم (٦) وأخبرني أصحابها أن المخطط رقم (٩) مازال أقل المخططات عمراناً، ويتفرع إلى عدة أقسـام (أ، ب، ج، د) وتفريعـات أخرى عديـدة. ورأيت أجزاء كبيرة من هذا المخطط (٩) مازالـت أرضه خـام، فلم تشق الطرق فيه وغيرها من الخدمـات. كما أنني رأيت شـوارع المخططـات من (٥ـــ ٩) أصغر في مساحاتهـا، وأرصفتهـا، وخدماتها مقارنة بالشوارع التي في المخططات من (١ـ٤)[1].

١٤٤٤هـ/١٩١٩ـــ٢٠٢٣م)، موضـوع كبـيرٍ، صـدر عنـه الكثـير مـن المصـادر والوثائـق المحليـة، والإقليميـة، والعالميـة. وسـوف يكـون مجـالاً لدراسـات تاريخيـة متعـددة في قـادم الأيـام. ومصطلـح (شهـداء الواجـب)، أي من قتل واستشهد في هذه الحرب من رجال الأمـن والدفاع السعودي، واجتهدت الحكومـة في رعايـة أسر وقرابة الشهداء المتوفين، فوفرت لهم كل الإمكانات المعيشية (من رواتب، وسكن، وخدمات صحية واجتماعية وغيرها)، ودفعت لهم بعض المبالغ المالية الكبيرة، ومنحتهم منح نقدية وعينية متنوعـة، ومنها أراض سكنية في المدن والمناطق التـي يرغبونها، ومنها هذا المخطط رقم (١٠) في منطقة ولي العهد بمكة المكرمة لمن أراد منحته هناك (والله الهادي إلى سواء السبيل).

(١) إن الحديـث عـن العمارة القديمة والحديثـة وأنواعها في حاضرة مكة يتسع لمئـات وربما آلاف الصفحات، لكـثرة المادة العلمية عن هذا المجال الحضاري المهم. وإذا كانت قد صدرت بعض البحوث في هذا الميدان، إلا أنه مازال جدير بالبحث والتوثيق في عشرات الكتب والدراسات العلمية الرصينة. آمل من كليات جامعة أم القـرى العلمية، وبخاصة أقسام التاريخ، والآثار، والعمارة وغيرها أن تدعم أساتذتها وطلاب برامجها العليـا لدراسة هذا الموضوع منذ بداية القـرن (١٣هـ/١٩م) إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م)، وإذا تم ذلك فقد نطّلع على تراث حضاري مهم عن هذه المدينة المقدسة (مكة المكرمة)) .

٨- بعض أحياء غرب مكة :

إن الخـارج من الحرم نحو الغرب يمر على بعض الأحياء الشعبية والحديثة القديمة، وقـد تمـت إزالة بعضهـا. وعند الوصـول إلى شارع المنصـور الذي يمتد مـن الجنوب إلى الشمال، وعليه أو قريب منه بعض الأحياء الشعبية التي تم إزالتها، ومازالت الأحياء الأخرى في طريقها للإزالة[١]. ثم يأتي شارع عبدالله عريف المعروف باسم (الستين سابقا). ويمتد أيضا من الشمال إلى الجنوب، وبعده يوجد عدة أحياء جديدة مثل: الرصيفة[٢]، ومخططات بدر، والإسكان (حي الملك فهد)، والربوة، والرابية، ثم حي الحمراء. وأعتقد أن تاريخ هذه الأحياء يتراوح بين (٢٥ـ٤٥) سنة، أي نشأت جميعها خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠ـ٢١م). وأقدمها بدر، والحمراء، والرصيفة، وآخرها تقريبا الربوة، والرابية[٣].

تقـع مخططات أخـرى حديثة غرب الأحيـاء الآنف ذكرها، مثـل: مخطط الزايدي، ويعـرف أيضاً باسم التخصصي شمال طريق مكـة جدة السريع (طريق الأمير محمد بن سلمان)، وعلى جنوب الطريق نفسه مخطط البوابة، ويتصل به مخطط المستودعات. ويعد مخطط التخصصي (الزايدي) من أكبر هذه المخططات وأنشطها عمرانيا[٤]. يأتي بعد مخطط الزايدي (التخصصي) حي الحديبية، وأغلب الأبنية فيه عمارات شعبية متفاوتة في أنواعها، ومساحاتها، ومرافقها المعمارية[٥]، وعلى طريق جدة مكة القديم، وفي أقصى الجهة الغربية لمحافظة مكة المكرمة، وقريبا من نقطة التفتيش الأمنية بين مكة وجدة توجد ضاحيـة سمو وفيهـا العديد من مقرات المؤسسات الحكوميـة في مكة كالمحاكم، والسجون وغيرهـا. ومعظم هذه الأحياء، مـا عدا الحديبية، حديثة العمـران، ويتراوح تاريخها بين (٢٠ـ٤٠) عاما. فقد بدأ العمران فيها منذ العقد الثاني في هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)[٦].

ومعظـم الأحياء والمخططات المشار إليها أعلاه غـرب مدينة مكة حديثة العمران،

---

(١) المصـدر: مشاهـدات الباحـث خـلال الأيـام الأخـيرة مـن عـام (١٤٤٣هـ) والأيـام الأولى مـن عـام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م).

(٢) مازال في منطقة الرصيفة أحياء شعبية، وقريباً منها عمارات وأحياء حديثة. المصدر: مشاهدات الباحث في نهاية عام (١٤٤٣هـ).

(٣) هـذا الـذي عرفتـه وعاصرتـه، وأنـا أتردد علـى مكة منـذ مطلع هـذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، حتـى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م). وربما أن أحياء الرصيفة، والملك فهد، وبدر بدأ التخطيط لها واعتمادها من البلدية والجهات الرسمية منذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٤) المصـدر: قمـت بجولـة في هـذا المخطـط وما حوله مـع الأسـتـاذ أحمد معيض الزهـراني في مطلع عام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م).

(٥) يقع قبل مخطط الزايدي (التخصصي) شرقاً حي أو مخطط أم الجود، أو كسوة الكعبة، وهو من الأحياء الحديثة التي يزيد تاريخها تقريباً عن ثلاثين عاماً.

(٦) اعتمـدت في هـذا التوثيـق على زياراتـي لمكة المكرمة منـذ بداية هذا القـرن (١٥هـ/٢٠م)، ثـم مقابلتي مجموعـة من سـكان حاضرة مكة وبخاصة بعض الأفراد الذين سكنوا ومازالـوا يسكنون في هذه الأحياء والمخططات المكية الغربية.

ومليئة بالبيــوت السكنية التي يتراوح ارتفاعها بين دور وأربعة أدوار، وأحياناً يكون فيها أبنيــة أكثر ارتفاعاً وبخاصة الواقعة على شوارع رئيسية أو كبيرة. كما يوجد فيها بعض المباني التجارية كالشقق المفروشة وغيرها، وأدوارها قد تصل إلى خمسة وستة طوابق. وفيهــا العديــد من العمــارات المشغولة بأعمــال اقتصاديــة تجارية، وعلميــة، وإدارية، وصحيــة، ورياضية وغيرها. وبعض هذه الأبنية حكوميــة، وأخرى مستأجرة. كما يوجد ضمن مخطـط الزائدي (التخصصي) مواقف حجز السيــارات لمن يأتي من جدة وما حولهــا. وقد شاهدت في هذا المخطط نهضــة عمرانية نشطة، وهو حاليا مليء بالأبنية، وسوف يكون مكتظاً بالعمارات والسكان في غضون أعوام قليلة قادمة[١].

٩ـ بعض أحياء شمال مكة :

عنــد الخروج مــن الحرم تجاه الشمال في عــدد من الأحياء الشعبيــة مثل: جرول، والتيســير، والبيبــان. وقد أزيلت بعضــ عماراتها ومــازال فيها أبنية شعبيــة كثيرة[٢]، بعضهــا فنادق وشقق وغــرف مفروشة، وترتفع أدوار بعضها إلى عــدة طوابق. ثم تأتي حارتا الحجــون، والعتيبية، في الأولى مقبرة السيدة خديجــة وعمارات شعبية وحديثة، وبعضــ أبنيتها على الشارع العام ترتفــع إلى عشرة أدوار، وتستثمر أيام الحج والعمرة. وحــي العتيبية شمــال الحجون، وعماراته متعــددة الأدوار، وفيه ســوق العتيبية الشعبي الشهــير، ومعظم معروضات هذا الســوق التجارية تقع على شارع الأندلس وسط الحي، وأحد أجزاء حي العتيبية حارة ريع الكحل[٣].

يقع إلى الشمال من الأحياء السابقة، حارات الزاهر، وملقّية، والشهداء، والتنعيم، وأبومُــراغ. وجميع هــذه الأحياء شعبية، ويأتــي على بعض شوارعهــا الرئيسية عمارات كبــيرة. ترتفع أدوارها إلى سبعــة وثمانية أدوار، وفي مقدمتها حــي الزاهر. أما الأبنية الداخلية في هذه الأحياء والحارات الأخرى السابقة الذكر فغالباً تتكون من دور ودورين وبعضهــا ثلاثــة أدوار، وجميعهــا شعبيــة مسلحــة. وحد الحــرم الشمالي عنــد مسجد

---

(١) مــا من شك أن التمــدد السكاني والعمراني يسير في كلا الاتجاهات لحاضرة مكــة، لكن أكثرها وأنشطها في الجهــة الجنوبيــة، وقريبــاً ستكون مخططات ولي العهد هــي الأكثر في عدد الأبنيــة السكنية والمجالات العمرانيــة الحضارية الأخرى. وأثناء توسعات الحرم المكــي الجارية، والاستمرار في إزالة الأحياء القريبة من الحرم، والأبنية العشوائية، فالعمران الحديث سوف يتوسع ويتمدد في كل الاتجاهات، والناحية الغربية لحاضــرة مكــة من المناطق المقبلة على عمران حديث أنشط وأوسع وأكــبر، وأعتقد خلال عقد من الزمان وربما أكثر سوف تتصل مدينة جدة بمكة وتصبح حاضرة واحدة.

(٢) الأبنية القديمة جداً في مكة قليلة، والمقصود بمصطلح (شعبي) أو (شعبية)، أي عمارات مسلحة، لكنها ضمن أحياء وحارات غير مخططة، والبناء فيها قديم، ولم يكن تحت إشراف هندسي وتخطيط عمراني حديث.

(٣) المصــدر: مشاهــدات الباحــث أثنــاء تنقلــه في هــذه الأحيــاء مــع الأستاذ أحمــد معيض الزهــراني من (٢٧/١٢/١٤٤٣هـ) إلى (٢/١/١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٢م).

السيدة عائشة في حي التنعيم. وقد شاهدت في هذه الحارات بعض المساجد والجوامع المتفاوتة في عماراتها، وأحجامها، ومواقعها، ومرافقها الأخرى. ورأيت مسجد التنعيم (السيدة عائشة) دائماً مزدحماً بالمصلين والزوار والحجاج والمعتمرين. وفي بعض الأحياء السابقة قصور للأفراح، وملاعب رياضية وبعض الألعاب والملاهي[١].

أما حي النوارية في أقصى الناحية الشمالية لحاضرة مكة، فهو خارج حد الحرم، ومساحة هذه الناحية واسعة وكبيرة، وفيها عدد من المخططات الحديثة التي لها أسماء عديدة. وتشتمل مخططات هذه المنطقة على شوارع كثيرة ومتفاوتة في أطوالها ومساحاتها، وعماراتها على الشوارع الكبيرة والرئيسية يرتفع بعضها إلى عشرة أدوار، ومعظم الأبنية السكنية الداخلية تتكون من دورين وثلاثة، وتنتشر فيها الكثير من العمارات التجارية والاستثمارية المتنوعة[٢].

وفي بعض أحياء شمال الحرم عمارةٍ قديمة في جرول يذكر أنها كانت مقراً لمستشفى النساء والولادة في مكة، وصارت حالياً بناية مهجورة. وفي حي التنعيم مقر مستشفى حراء، ومازال قائماً ويشتمل على العديد من العيادات والأقسام الصحية، وموقع نادي الوحدة، ومقر أحد فروع شركة الكهرباء، وأبنية الكلية التقنية القديمة، ولهذه المؤسسة التعليمية عمارات حديثة في مخطط ولي العهد رقم (٥)[٣]. وعلى مقربة من حي النوارية مقر إصلاحية مكة، وهي نوع من السجون يقدم فيها دورات ودروس تأهيلية للمساجين، كما يوجد في أحد مخططات النوارية مستشفى محمد صالح باشراحيل الخاص[٤].

إن الحديث عن تاريخ العمارة في حاضرة مكة يستحق الخدمة البحثية العلمية في عشرات الكتب. ومنطقة الحرم وما حولها ذُكرت في عدد من البحوث القديمة والحديثة، لكن مازلنا نتطلع إلى أعمال موسوعية تُفصّل تاريخ هذه المنطقة عمرانياً منذ عصور ما قبل الإسلام إلى وقتنا الحاضر حبذا أن كليات ومراكز بحوث جامعة أم القرى تتولى رعاية وخدمة هذا الموضوع من خلال فرق عمل متخصصة لإنجاز هذا المشروع الجيد والرائد.

---

(١) مشاهدات الباحث في مطلع عام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) سبق الإشارة إلى هذه الأبنية عند الحديث عن مخططات ولي العهد.

(٤) إن الحديث عن الأحياء الواقعة شمال مكة من جرول إلى النوارية تستحق أن تدرس في مئات الصفحات، وبخاصة إذا بحثنا عن الأحداث التي جرت على أرضها منذ فجر الإسلام إلى وقتنا الحاضر. والذي أشرت إليه فقط شذرات مما شاهدته أثناء السير في مناكبها في الوقت الحالي. أرجو أن هذه الإشارات المحدودة تفتح آفاقاً أوسع لدراسات أعمق وأطول.

أما تاريخ العمران في أرجاء حاضرة مكة أو محافظاتها، فحسب علمي المتواضع فهو غير مخدوم في أي دراسة علمية رصينة. وهذا المجال أيضاً واسع وجدير أن يوثق في العديد من الكتب والدراسات العلمية. وإذا حُصرت فترة دراسة هذا الميدان على المئة سنة الأخيرة الماضية (١٣٤٣ــ ١٤٤٤هـ/ ١٩٢٤ــ٢٠٢٣م) فذلك أفضل وأجدر، ومن يتخصص ويعمل في هذا الحقل، فسوف يجد الكثير من المصادر المكتوبة والمروية التي تصب في خدمة هذا الموضـوع، كما سيجد ميادين عمرانية متعـددة تستحق الدراسة العلمية البحثية، ومعظم الأنشطة العمرانية الحديثة والكبيرة في أرجاء محافظة مكة المكرمة بدأت من تسعينيات القـرن (١٤هـ/ ٢٠م)، ثم زادت وتشعبت ميادينها خلال العقود الأربعة الماضية (١٤٠٤ــ ١٤١٤هـ/ ١٩٨٤ـ٢٠٢٣م). والذي أشرت إليه في الصفحات السابقة، يعد فقط شذرات أو إشـارات محدودة، أرجو أن نرى مـن بناتنا وأبنائنا (المهندساتٍ والمهندسين، والمؤرخات والمؤرخين) مـن يخدم هذا الميدان بحثياً في الأماكن المقدسة أولاً (مكة المكرمة، والمدينة المنورة)، ثم في بقية مناطق وحواضر المملكة العربية السعودية.

ج ـ وقفة مع اللباس والطعام :

مكـة المكرمة حاضـرة الحجاز الرئيسيـة، والحديث عن تاريخهـا الحضاري عبر العصـور يتسـع لعشرات المجلـدات. وتاريـخ اللباس والزينـة، والطعـام والشراب من الموضوعـات الكبـيرة. وقد اطلعت علـى مئات المصـادر الإسلامية المبكـرة والوسيطة [الشرعيـة، والتاريخيـة، والأدبية، واللغويـة، وكتب الرحلات، والمعاجـم، والجغرافيا وغيرهـا] فوجـدت فيهـا إشـارات كثيرة عـن الأطعمـة والألبسة في حواضـر الحجاز الكـبرى، وبخاصة المدينتين المقدستين[١]. وبعض المصـادر والوثائق التاريخية الحديثة (ق١٠ــ ق١٤هـ/ق١٦ـ ق٢٠م) تحتـوي أيضاً على تفصيلات جيدة عـن ألبسة وأطعمة أهـل الحجاز خلال العصر الحديـث[٢]. وفي الصفحات التاليـة أدون لمحات من تاريخ الألبسة والأطعمة في حاضرة مكة خلال العقود الماضية المتأخرة.

١ـ اللباس والزينة :

هنــاك العديد من الدراسات العربية التي صدرت عـن تاريخ مكة خلال المئة سنة

(١) صـدر العديـد من الكتـب الحديثة والرسائـل الجامعية التي فصلـت الحديث عن التاريـخ الاجتماعي في الحجـاز خـلال العصر الإسلامي المبكر والوسيط، وفي هذه الدراسـات فصول تتفاوت في الطول والقصر عن تاريخ الأطعمة والألبسة في مدن الحجاز الرئيسية (مكة المكرمة، والمدينة المنورة).

(٢) اطلعـت على العديد مـن الرسائل الجامعيـة وفهارس المكتبـات المركزية المحلية والإقليميـة فوجدت فيها صفحـات وبحوث علمية كثيرة عن تاريخ الحياة الاجتماعيـة في المدينة المنورة ومكة المكرمة خلال القرون الهجرية الأربعة الماضية (ق١١ـ ق١٤هـ/ق١٧ـ ق٢٠م).

الماضية (١٣٤٤ـ ١٤٤٤هـ/ ١٩٢٥ـ٢٠٢٢م)، وفيها معلومات توثيقية جيدة عن ألبسة المكيين وزينتهم، ومن هذه المراجع ما يلي:

أ- **محمد بن علي مغربي. ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري. (جدة، ١٤٠٢هـ)**

ب- **محمد عمر رفيع. مكة في القرن الرابع عشر الهجري (بيروت، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م).**

ج- **حورية عبدالله تركستاني. دراسة العوامل المؤثرة على تصميم حجاب المرأة السعودية بمكة المكرمة، رسالة ماجستير غير منشورة (مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ).**

د- **هدى سعيد حبيب. دراسة الملاءمة الوظيفية لألياف الأقمشة القطنية وخلطاتها في ملابس الطفل من الميلاد إلى سنتين بمكة المكرمة، رسالة ماجستير غير منشورة (مكة المكرمة، ١٤٢١هـ)**[١].

هـ- **إسماعيل السيد كتبخانة. موسوعة ثقافة المجتمع المكي خلال قرن ونصف القرن (١٣٠٠-١٤٣٦هـ). مكة المكرمة (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) (الجزء الرابع).**

في هذه الكتب والرسائل الجامعية الآنف ذكرها شروحات جيدة عن تاريخ اللباس والزينة في مكة المكرمة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، والعقود الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، فأشارت إلى ألبسة البدن الخارجية والداخلية عند الرجال والنساء، الصغار والكبار، وبعضها فصّلت الحديث عن لباس الرأس، والبدن، والأقدام. وذكرت نوعية ألبسة التجار، وأولاد الحارة، والعلماء، والأشراف، والشباب، وفي بعضها توضيحات لأسماء الألبسة، وأنواع الأقمشة المستخدمة، ثم خياطة أو تطريز بعض الملابس الخفيفة والثقيلة، وطرق غسلها وحفظها، ولا تخلو بعض الدراسات من ذكر هيئة ونوع الألبسة في الأعياد، والزواج، والحداد، والعزاء. وأشارت أيضاً إلى لباس بعض الحرفيين وأصحاب الصناعات اليدوية. وذكرت العديد من أدوات الزينة عند الرجال والنساء مثل لبس العقال، أو العمامة، أو النظارات والأقلام، والخواتم، والمسبحة عند الرجال. وأدوات الزينة عند النساء. من الذهب والفضة، والكحل، والعطور وغيرها[٢].

---

(١) يوجد أيضاً كتب حديثة منشورة، وبعض الدراسات العلمية المحكّمة المنشورة في بعض المجلات العلمية وفيها توثيقات للتاريخ الاجتماعي المكي، ولا تخلو من معلومات قيمة عن اللباس والزينة عند أهل مكة خلال القرون الهجرية الماضية (ق١٢- ق١٤هـ/ق١٨- ق٢٠م).

(٢) جرى توثيق معلومات جيدة جداً عن لباس المكيين وزينتهم خلال القرن الهجري الماضي، ومازال هناك موضوعات وعناوين مهمة تستحق الدراسات العميقة. وأقول إن إصدار معجم لغوي لأسماء الألبسة والزينة وما جرى عليها من تحولات لغوية وحضارية من بداية القرن (١٤هـ/١٩م) إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) موضوع جديد يستحق أن يوثق في عدة مجلدات.

احتوت بعض الدراسات السابقة على معلومات عن دور الإعلام المكتوب والمروي وما أحدث من تحولات وتغيرات في اللباس عند الرجال والنساء. والعنصر النسائي تأثرن بشكل أوسع وأكبر مما يقرأونه ويشاهدونه في المصادر الورقية والفضائية والتقنية. بل إن الكثير من الثقافات العربية والأجنبية أثرت سلباً على طريقة اللباس ونوعه عند عموم الطبقات الاجتماعية السعودية، لكن عنصر الشابات والشباب أكثر الأجناس التي تأثرت وقلدت موضات وألبسة دخيلة وغريبة على بلادنا ومجتمعاتنا المحلية[١].

خلال زيارتي لمكة المكرمة منذ نهاية القرن (١٤هـ/ ٢٠م) إلى الوقت الحاضر شاهدت العديد من الملاحظات التي لها علاقة مباشرة باللباس والزينة، وأذكر بعضا منها في البنود الآتية :

أ - إن الجنس الرجالي صغاراً وكباراً يلبسون الثوب والغترة (الشماغ) أو (الدسمال) في المؤسسات الحكومية الرسمية المدنية، والمدارس، والكليات وغيرها، وهناك أعداد كبيرة من الناس في الوظائف الرسمية المدنية يلبسون العقال على الغترة (الشماغ) وتتفاوت ألوان وأنواع الألبسة الخارجية للجسد من حيث الشكل، وجودة القماش، ونوع التفصيل والخياطة. وهناك من يلبس النظارات ويستخدم بعض الأقلام والميداليات[٢]. أما العنصر النسائي فعادة يلبسن العباءة، والنقاب إذا خرجن من بيوتهن إلى أعمالهن الحكومية والأهلية، وداخل وظائفهن في المدارس والمؤسسات الإدارية الرسمية والخاصة ينزعن العباءة، وغطاء الرأس ويمارسن أعمالهن في ألبستهن المتنوعة مثل البنطلون والقميص، أو التنورة والقميص، وبعضهن يلبسن ألبسة طويلة أو قصيرة متعددة الأشكال، والأنواع في تفصيلها وموديلاتها[٣].

---

(١) إن الحديث عن هذا الغزو والتأثير السلبي، وطرق، وأنواع، وأسماء الألبسة وأدوات الزينة التي دخلت بلادنا، وصارت مرغوبة ومحببة عند أكثر الناس، وقد بدأ ظهورها واستخدامها من النصف الثاني في القرن (١٤هـ/٢٠م)، وزادت وانتشر استعمالها حتى صارت عند كل فرد (ذكر وأنثى). وهذا الغزو الحضاري الخارجي أثر بشكل كبير على تراجع الألبسة وأدوات الزينة القديمة، وأصبح جيل اليوم من الشباب لا يعرفون أي شيء عن تلك الملابس، ولا يعرفون أسماءها وطرق استخدامها.

(٢) هذا السائد والوجوب اتباعه، لكن للأسف أن بعض الرجال والشباب لا يلتزمون بهذه القاعدة، لبس الثوب والغترة في الإدارات الحكومية، وهو لباس سعودي معروف متبع في المؤسسات الرسمية المدنية، وصار هناك من الشباب، وبعض متوسطي الأعمار، يلبسون القميص والبنطلون في الكليات الجامعية وبعض الإدارات الحكومية أحياناً، ويوجد في هذه المؤسسات أيضاً عناصر عربية وغير عربية وجميعهم يلبسون البنطال والقميص، وأحياناً ربطة العنق.

(٣) لا يمكن إجمال الحديث عن ألبسة النساء (الكبيرات، والمتوسطات، والصغيرات) في فقرات أو صفحات محدودات، لأنهن يختلفن من وظيفة لأخرى، ومن جيل لآخر. فالطالبات في المدارس العامة لهن لباس محدد معروف من قبل وزارة التعليم. والموظفات في القطاعات العامة والخاصة يتفاوتن في هيئة ونوع ألبستهن، لكثرة أنواع الألبسة النسائية، وأحياناً اشتراطات بعض المؤسسات الأهلية أو الحكومية في نوعية الألبسة التي يجب استخدامها أثناء العمل، فالقطاعات الصحية لها ألبسة معروفة. وهناك قطاعات تجارية، وحرفية صناعية، وعسكرية ومدنية تطلب أنواع من الألبسة أثناء ممارسة الأعمال في مقر الوظيفة.

ب ـ إذا ذهبت إلى الحرم المكي وما يحيط به من أحياء أو ذهبت إلى المشاعر المقدسة (منى، ومزدلفة، وعرفات) أثناء موسم الحج، أو زرت الفنادق أو الشقق الاستثمارية أثناء الحج والعمرة فإنك تشاهد جميع الرجال المحرمين بالإحرامات البيضاء، وأغلبهم يلبسون الحزام أو الكمر على الإحرام الذي يغطي أسفل الجسد، ومنهم من يحمل حقيبة من الجلد أو القماش على الكتف والجنب، وغالبا يكون فيها أدواته الشخصية من نقود، ومفاتيح، وأحيانا نظارات، وعلاجات. أما النساء المحرمات فيلبسن ألبسة طويلة ساترة للجسد، ويغطين رؤوسهن بأقنعة سوداء، أو ذات ألوان أخرى لبعض النساء الوافدات من خارج المملكة. ويحملن مثل الرجال حقائب على جنوبهن وفيها بعض الأدوات الخاصة بالنساء. والحديث عن ألبسة وأدوات زينة المحرمين من الرجال والنساء موضوع واسع خصوصا إذا توقفنا مع الأجناس البشرية المختلفة في أنحاء العالم، الذين جاءوا لأداء مناسك الحج أو العمرة. وهناك تباينات كثيرة في طريقة لبس الإحرامات وما يرافقها من أدوات ضرورية للمرأة والرجل[1]. وبعد قضاء مناسك الحج والعمرة، يعود الجميع (نساءً ورجالا) إلى ارتداء ألبستهم العادية. ومن خلال الفحص والمشاهدة أثناء أداء الصلوات في الحرم المكي ترى مئات النماذج لألبسة الناس ذكوراً وإناثاً، صغاراً وكباراً. وهذا الذي عرفته وعاصرته منذ حجتي الأولى عام (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، ومازلت أشاهده حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م). وغالبا تشاهد السعوديات والسعوديين يلبسون ملابسهم العادية كالثوب والغترة للرجال، وبعض الذكور يكتفي بلبس الثوب فقط مع الملابس الداخلية. والنساء أيضا يلبسن العباءة والحجاب أو النقاب على ألبسة أخرى متنوعة. كما تشاهد من يلبس القميص والبنطال من السعوديين وغير السعوديين. وترى أيضاً الكثير من البشر القادمين من خارج المملكة إلى مكة وهم يرتدون أزياء بلدانهم، ومن أنواع وهيئة ملابسهم تعرف البلاد أو الدولة التي ينتمون لها. ومنهم من يلبس الثوب السعودي أو الخليجي لكن من أشكالهم، أو كلامهم تعرف أنهم من بلدان عربية أو إسلامية أخرى، وأحيانا جاؤوا من دول أجنبية غربية أو شرقية[2].

---

(١) هذه الاختلافات تعود إلى الخلفيات الثقافية والاجتماعية والدينية لكل فئة أو عناصر بشرية جاءت من بلدان العالم إلى مكة لأداء الحج والعمرة. كما أن الرجال والنساء الذين ينتمون إلى بلدان عديدة في شبه الجزيرة العربية، أو بعض الدول العربية المجاورة لديهم أيضاً بعض التباينات في أنواع، وأشكال، وطرق لبس الإحرامات وقد تكون عند النساء أكثر من الرجال.

(٢) إن دراسة هيئات، وأشكال، وألبسة، ولهجات، وعادات وتقاليد، الوافدين من خارج المملكة إلى مكة المكرمة لأداء الحج والعمرة من الموضوعات الحضارية الجديدة، التي لا نجد عنها دراسات علمية توثيقية. نأمل من الأقسام العلمية المتخصصة في جامعة أم القرى، ومعهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج والعمرة أن يدعموا ويشجعوا إصدار بحوث علمية حادة وعميقة في هذا الميدان.

ج ـ رأيـت ومازلـت أشاهـد أسـواق حاضـرة مكـة المتنوعـة والمتفاوتـة في أماكنهـا، ومساحتهـا، ومعروضاتها، وأسعارها، وطرق التعامـلات التجارية فيها. ومحلات الألبسـة والأقمشـة وأدوات الزينة الرجاليـة والنسائية تأتـي في مقدمة الأنشطة التجاريـة. وفي تسعينيـات القـرن (١٤هـ/٢٠م)، والعقديـن الأوليـين مـن هذا القرن(١٥هـ/٢٠م). كانـت الأسواق المحيطـة بالحرم مـن كل الاتجاهات مليئة بمئات الأنواع من الألبسة الداخلية والخارجية، النسائية والرجالية. ورأيت تجارة الألبسـة والأقمشة من أنشـط التجارات، وزبائن هذه السلعـة من جميع الأجناس البشريـة الداخلية والخارجية الوافـدة إلى مكة[١]. وشاهـدت أيضاً على جوانب العديـد من شوارع حاضرة مكة الكثير من الأسواق الصغيرة المليئة بأدوات الزينة والألبسة النسائية والرجالية، ومازالت مثل هذه الأسواق منتشرة على الكثيرة من شـوارع بعض الأحياء المكية الكبيرة والمتوسطة. وخلال العقدين أو الثلاثة الماضية أنشئـت الكثير من الأسواق (المولات) الكبيرة في أماكن عديدة من المدينة[٢]. كما يوجد في بعض الأبنية الكبيرة القريبة من الحرم مثل أبراج الساعة وغيرها العديد من أسواق الألبسة وأدوات الزينة التي معظم معروضاتها مستوردة من دول عربية وإسلامية وأجنبية عديدة، والمستوردات الصينية تعد الأكثر والأرخص[٣].

د ــ ممـا عاصرتـه وعرفتـه في أسواق مكـة الصغيرة والكبـيرة مهنة الخياطـة للألبسة الرجاليـة، فقد رأيت الكثـير من الخياطين غير السعوديـين، ومعظمهم من باكستان ودول آسيوية أخرى. وعندهم الكثير من الدكاكين المليئة بالأقمشة الرجالية المتنوعة، وسألـت بعضهم عن هذه الحرفة فقالوا أنها مهنة نشطة، ومن يعمل فيها يجد أرباحاً كثيرة. كما رأيت محلات لخياطة الزي العسكري للعاملين في وزارتي الدفاع والداخلية، وهناك بعض الخياطين الذي يخيطون الملابس النسائية، والأزياء المدرسية، بالإضافة إلى انتشار مراكز التجميل والمشاغل النسائية، ومحلات الحلاقة الرجالية[٤].

---

(١) هـذا الـذي عرفته ووقفـت عليه وشاهدته في السـوق الصغير، وسـوق الليل، وسوق المدعى، وسـوق الشامية وغيرها من الأسواق القريبة من الحرم في الفترة الممتدة من (١٣٩٢ـ ١٤٢٥هـ/١٩٧٢ـ ٢٠٠٤م). وأعلم أنه صدر بعض الدراسات عن الحارات القريبة من الحرم، وقدتم إزالتها، وتلك الأسواق في تلك الأحياء وغيرها جديرة أن توثق في كتب ورسائل علمية، جامعية خلال الفترة من (١٣٥٠ـ ١٤٣٠هـ /١٩٣١ـ ٢٠٠٩م).

(٢) زرت عـدداً مـن هذه الأسواق (المـولات) في أحياء العزيزية، والعوالي، والشرائـع وغيرها. ووجدتها مليئة بآلاف الأنواع من أدوات الزينة والأقمشة والألبسة المستوردة من بلدان عديدة في العالم.

(٣) البضائع الصينية غزت جميع بلدان العالم، وتتفاوت في أنواعها وأسعارها حسب جودتها وموديلاتها.

(٤) كل هـذه الحرف منتشرة في جميع مدن وحواضر المملكة العربية السعودية، لكن أثناء ترددي على حاضرة مكة شاهدتها بكثرة في الأسواق القريبة من الحرم، وفي بعض الأمكنة الأخرى في عدد من الأحياء والأسواق المكية الكبيرة.

هـ ـ زرت في مطلع هذا العام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م) أسواق العتيبية (شارع الأندلس)، وزرت جامعة أم القرى، ومؤسسات إدارية حكومية وأهلية عديدة. وقضيت بضع ساعات في أسواق الحجاز، والضيافة، ومكة (مول). ورأيت الكثير من الألبسة الشعبية وأدوات الزينة القديمة والحديثة في بعض المحلات التجارية بأسواق العتيبية. كما شاهدت الكثير من العاملات والعاملين السعوديين وغير السعوديين في بعض الإدارات الخاصة والعامة، ومنها بعض مؤسسات الطوافة، وشركات تنظيفات وخدمات أخرى في الحرم، وما حوله من فنادق، ومطاعم وأسواق. ورأيت معظم ألبسة الناس حديثة، وتختلف تماماً عن ألبسة الأوائل من الآباء والأجداد في حاضرة مكة. واجتهدت في البحث ومعرفة بعض الملابس المكية الخاصة بالنساء والرجال، ورأيت نماذج منها في أسواق العتيبية الشعبية، وفي بعض المتاحف التاريخية في مكة[1]، لكنني لم أرها سائدة ومتداولة بين الناس، وقد تشاهد بعض الأفراد القلائل جداً حول الحرم، أو في بعض الأحياء وهم يرتدون العمامة، أو السديرية، أو الكوفية المكية[2].

والملاحظ أن الموضات الشرقية والغربية غزت البلدان العربية، والسعوديات والسعوديون قد تأثروا ومازالوا يتأثرون ويقلدون هذه الموضات الوافدة في الحلاقة، والتسريحات، وطرق التجمل، وارتداء الألبسة داخل المنازل وخارجها. كما شاهدت الكثير من النساء والرجال الوافدين يفضلون لبس الأقمصة والبناطيل على الألبسة العربية السعودية الأخرى. كالثياب، والشماغ، والكوفيات للرجال. والأردية الساترة للجسد والطويلة للنساء. بل صار كثير من النساء السعوديات وغيرهن لا يغطين وجوهن خارج البيت، وأحياناً يتم نزع أحجبة الرأس، وبعض النساء العربيات والأجنبيات لا يلبسن العباءة في الشارع والعمل، ويكتفين بلبس البنطلون والقميص[3].

---

(١) زرت بعض المتاحف التاريخية الخاصة والعامة وفي مقدمتها متحف جامعة أم القرى، وشاهدت بعض الملابس المكية القديمة معروض في هذه المتاحف التراثية، ومعظم المكيين، وبخاصة صغار ومتوسطي الأعمار لا يعرفون أي شيء عن تاريخها وأهميتها الحضارية.

(٢) أخبرني بعضٍ من قابلتهم من أهل مكة خلال رحلتي الأخيرة (٤٣ـ ١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)، بأن الأسر المكية (رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً) يحرصون على ارتداء الملابس المكية القديمة أثناء مناسبات الأعياد، والزواجات، وبعض الاحتفالات الاجتماعية الأخرى. وخلال السنوات العشر الماضية (١٤٣٣ـ ١٤٤٤هـ/٢٠١٢ـ ٢٠٢٢م) حضرت بعض المناسبات الاحتفالية المكية، وزرت بعض الأصدقاء، ورأيت بعض الأفراد وبخاصة كبار السن يحرصون على لبس الملابس المكية القديمة في بعض مناسباتهم الاجتماعية.

(٣) أقول تاريخ اللباس والزينة والتحولات التي جرت عليه في عموم مناطق ومدن المملكة خلال العقود الستة الماضية (١٣٨٠ـ١٤٤٤هـ/ ١٩٦٠ـ٢٠٢٣م) من الموضوعات الكبيرة التي يجب دراستها في عشرات البحوث. وهذا العمل مسؤوليات الكليات والأقسام المتخصصة في جامعاتنا السعودية المحلية.

وفي نهاية توثيقي لمحات محدودة عن هذا المحور (اللباس والزينة) آمل من الباحثين والمؤرخين المكيين أن يدعموا ويعملوا على إصدار دراسات مقارنة وتحليلية على لباس وزينة أهل مكة المكرمة في العصر الحديث المتأخر والمعاصر، مع الاجتهاد في السماع من الرواة المعاصرين الحاذقين، والاطلاع على الوثائق والدراسات المطبوعة والمخطوطة، وعلى المشاهدات الميدانية مع دعم العمل بالرسومات الفنية والصور الفوتوغرافية[١].

٢ـ الطعام والشراب :

إن ذكر العديد من الأشربة والأطعمة في الحجاز (مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وجدة وغيرها) وردت في العديد من المصادر الإسلامية المبكرة، والوسيطة، والحديثة حتى القرن (١٣هـ/١٩م).هذا الذي تأكد لي أثناء اطلاعي على الكثير من تلك المصادر، وعلى الرسائل الجامعية والمراجع الحديثة التي صدرت عن تاريخ الحجاز الحضاري خلال العقود الماضية المتأخرة[٢]. ومازال الكثير من الوثائق العربية والعثمانية غير المنشورة، فيها مادة علمية كبيرة عن السلع الغذائية، والأطعمة المتنوعة في حواضر الحجاز الرئيسية. كما أن كتب الرحالة العرب، والمسلمين، والأجانب تشتمل على مادة قيمة وكثيرة عن الأشربة والمواد الغذائية في أسواق المكيين خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م) [٣].

وفي القرن (١٤هـ/٢٠م)، والعقود الماضية من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) نجد الأستاذين محمد عمر رفيع، وإسماعيل كتبخانة يصدران عملين علميين عن التاريخ الحضاري المكي الحديث والمعاصر. وفي دراسات الإثنين توثيقات جيدة عن الأطعمة والأشربة في حاضرة مكة المكرمة. فالأول رصد العديد من الأشربة والأطعمة التي عاصرها وشاهدها عند المكيين خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) [٤]. وجاء الأستاذ كتبخانة فأشار إلى

(١) دائماً أرصد مثل هذا النداء والتوصية في معظم أعمالي التوثيقية البحثية، وغالباً لا أسجل مثل هذه المقترحات إلا على عناوين وموضوعات مهمة وجديدة، تستحق أن تُدرس في أعمال علمية كبيرة وجادة. (والله من وراء القصد).

(٢) من خلال دراساتي لدرجتي الماجستير والدكتوراه التي كان بعضها عن حواضر الحجاز خلال القرنين (٢ـ٣هـ/ق٨ـ ٩م)، وما عرفته واطلعت عليه في العديد من المكتبات العربية وغير العربية داخل المملكة وخارجها. وجدت أن تاريخ الحجاز (مكة المكرمة، والمدينة المنورة) قد بُحث سياسياً وحضارياً خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة. والكثير من هذه الدراسات تم طبعها ونشرها، ومازال بعضها رسائل جامعية في جامعات عربية وأجنبية.

(٣) دراسة المجالات الحضارية الحديثة مثل الأطعمة والأشربة في بلاد الحجاز من خلال كتب الرحالة والوثائق العربية والعثمانية غير المنشورة موضوعات مهمة، جديدة في أبوابها. ومن يدرس هذه العناوين في هيئة كتب ويعتمد على هذه المصادر فسوف يُطلعنا نحن معاشر المؤرخين والباحثين على مادة علمية قيمة. أرجو من مؤرخي حواضر الحجار أن يعكفوا على دراسة وتوثيق هذه الأبواب الحضارية الحجازية الحديثة.

(٤) لمزيد من التفصيلات انظر: محمد رفيع، مكة في القرن (١٤هـ)، طبعة بيروت (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، ص ١١٣ـ ١٦٠.

الكثير مما ذكره محمد عمر رفيع، وأضاف تفصيلات أخرى جديدة. والجميل في دراسة كتبخانة أنه وثق الكثير من الأطعمة والأشربة المكية بالصور الفوتوغرافية. وذكر العديد من المصادر الورقية، والرقمية، والمقابلات التي قام بها، واعتمد على مادتها[١].

وفي الخمسين عاماً الماضية (١٣٩٢-١٤٤٤هـ/١٩٧٢-٢٠٢٢م) وأنا أذهب وأعود بين السروات ومكة، وأراقب أطعمة وأشربة الناس في هذه البلدان، اتضح لي بعض المشاهدات والانطباعات في هذا المجال، وأدون شيئاً من ذلك في الصفحات الآتية :

١- ليس هناك وجه مقارنة بين الماضي البعيد، والحاضر الذي نعيشه منذ خمسة عقود. ففي السابق كان هناك ضيق في العيش، وندرة في الأطعمة والأشربة. والمعروف عن أرض مكة أنها قليلة الزرع والضرع، ويعتمد سكانها وزوارها على ما يُصَدّر إلى أسواقها من داخل شبه الجزيرة وخارجها[٢]. وكون السروات، من الطائف إلى أبها ونجران مجاورة وقريبة من حواضر الحجاز وبخاصة مكة المكرمة، فقد كانت محاصيلها الزراعية، وثرواتها الحيوانية تصدر إلى أسواق مكة بأعداد وكميات كبيرة[٣]. ومنذ سبعينيات وثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) تحسنت الأوضاع الحضارية والاقتصادية في أرجاء البلاد السعودية، ولم نصل إلى تسعينيات القرن نفسه إلا الخير فاض في كل مكان، وصارت الكثير من المواد الغذائية تُصَدّر من الداخل والخارج إلى أسواق مكة، وجميع مدن وحواضر المملكة العربية السعودية[٤].

٢- كنت في حجاتي الست، وزياراتي الأخرى لمكة من بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر أرى أصنافاً كثيرة من الأطعمة والأشربة في البقالات الصغيرة والكبيرة، وفي (البوفيهات) والمطاعم المتنوعة في أماكنها، وأنواعها، والأيدي العاملة فيها. كما زرت بعض الأسر المكية الأصلية، وبعض الأفراد أو الأسر النجدية، والسروية والتهامية وغيرها، ورأيت وفرة الأطعمة والأشربة عندهم، وتنوعها بين الأغذية

---

(١) للمزيد انظر: إسماعيل كتبخانة، موسوعة ثقافة المجتمع المكي(١٣٠٠- ١٤٣٦هـ)، طبع عام (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م)، ج٤، ص٧٣- ١٣٦ .

(٢) تاريخ التجارة في مكة وحواضر الحجاز الكبرى الأخرى خلال القرون الإسلامية المبكرة، والوسيطة، والحديثة مدون في عدد من المصادر العربية خصوصاً المؤلفات الحجازية واليمنية. ومذكور أيضاً في الكثير من الوثائق الحديثة غير المنشورة (ق١٠- ق١٤هـ/ق١٦- ق٢٠م).

(٣) هذا الذي أشارت إليه بعض المصادر الإسلامية الوسيطة وبخاصة كتب الرحالة المسلمين وغير المسلمين. كما سمعت الكثير من قصص السرويين الذين كانوا يُصَدّرون حبوبهم ومواشيهم إلى أسواق مكة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٤) هذا الذي قرأت عنه وشاهدته وأنا أسير في مناكب بلاد تهامة والسراة، والحجاز، وبلدان المملكة الأخرى من مطلع الثمانينيات في القرن الهجري الماضي إلى بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). أرجو ان أتمكن في قادم الأيام فأكتب رحلاتي وانطباعاتي ومشاهداتي على مناطق المملكة الرئيسية من عام (١٣٩٠- ١٤٤٤هـ/١٩٧٠-٢٠٢٣م).

النباتيـة والحيوانية، بالإضافة إلى الأشربـة الرئيسية كالشاي، والقهوة، ومشروبات أخـرى عديـدة يتم عملهـا في المنازل وبعضهـا تجلب من محلات الأغذيـة والأشربة التجاريـة. وإذا قارنا كمية وأنواع الأطعمة والأشربة في نهاية القرن الهجري الماضي، وبدايـة هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) مع العشرين سنة الأخيرة من القرن نفسه(١٤٢٤ـ ١٤٤٤هـ/٢٠٠٣ــ٢٠٢٢م)، فإننا نجد الكثير من الأشربة والأطعمة موجودة ومتوفرة في الفـترة السابقـة. أما العقديـن الماضيين الأخيرين فقـد زادت الأشربة والأطعمة بشكل كبـير على مستوى الأفـراد، والأسر، وعموم المجتمع. بجميـع شرائحه. وتأكد لي ذلك من خلال سيري ومشاهدتي لأمكنة عديدة، أذكر أهمها في النقاط التالية :

أ ـ أسـواق بيع الأطعمـة والأشربة لم تعـد محصورة على الدكاكـين والبقالات الصغـيرة والمتوسطـة، وإنمـا رأيـت في حاضـرة مكـة أسواقا كبـيرة جداً مخصصة لتجارة المـواد الغذائية والأشربة المجلوبـة من الداخل والخارج، وهي معروضة بطرق حديثة، وموزعة حسب صنف الغذاء أو الشراب، ويقوم عليها أيـدي عاملة مدربة من السعوديين(ذكـوراً وإناثاً) وغير السعوديين. ومعظـم هذه الأسـواق الكبيرة تتبع شـركات إقليمية أو عالميـة لها عشرات الفروع في بلدان عديدة في العالم[١].

ب ـ إن كميـات المـواد الغذائيـة والأشربـة والأطعمـة تزيـد في أرجـاء حاضرة مكـة أثناء شهور رجـب ورمضان والحج، لكـثرة زوار البيت الحرام في هذه الشهـور، وارتفاع نسبـة الاستهلاك. وقـد زرت مكة في هـذه الأشهر الآنف ذكرهـا، وفي شهور أخرى مثل محرم، وصفـر، وربيع الأول فوجدت الأسواق مليئة بالخيرات من كل أصناف المواد الغذائية! وأخبرني بعض المسؤولين في بعض الأسواق الكبـيرة أنهم يستوردون كميات أكبر وأكـثر ابتداءً من شهر جمـادى الأولى استعـداداً لزيارة المعتمرين ثم الحجـاج من شهر رجب إلى ذي الحجة[٢].

ج ـ شاهـدت وتـرددت على عـدد من المطاعـم الصغـيرة والكبـيرة في أرجاء المدينـة، فوجدت بعضهـا صغيرة وأخرى متوسطـة، أو كبيرة، ويعرض فيها الكثـير من الأشربة والأطعمـة، ومعظم مشتقاتها من لحـوم الحيوانات، أو

---

(١) أثناء جولاتي في مكة ابتداءً من المنطقة المحيطة بالحرم، ثم ذهابي إلى عدد من الأحياء الصغيرة والكبيرة في المحافظة رأيت الكثير من هذه الأسواق الخاصة ببيع الأشربة والأغذية، وهناك أسواق (مولات) كبيرة عامة يوجد ضمن أقسامها معروضات للكثير من المواد الغذائية المتنوعة.

(٢) أقـول إن تاريـخ الطعـام والشراب في محافظة مكـة من منتصف القـرن (١٤هـ/٢٠م) موضـوع حضاري جديد، وحسب علمي لم يوثق في عمل علمي مستقل، آمل أن نرى باحثاً جاداً يدرسه في هيئة كتاب أو رسالة علمية جامعية.

الدجاج والأسماك، والخضروات والإدامات المختلفة. بالإضافة إلى الخبز، والحلويات، والأشربة الغازية وغيرها. وهناك مطاعم متخصصة، أو تحمل أسماء بعض البلدان داخل شبه الجزيرة العربية أو خارجها. مثل الأكلات اليمنية، أو النجدية، أو الشامية، أوالتركية، أو المصرية، أو الهندية، أو الصينية، أو البخارية، أو الإندونيسية أو الجاوية، أو الباكستانية. أو بعض الأطعمة أو المطاعم الأوربية والأمريكية كمحلات البيتزا، أوما كدونالد (Macdonalds)، أو هرفي (Herfy)، أو البيك (ALBIK)، وغيرها من المطاعم العربية والإسلامية، والأجنبية[١].

د ـ ذهبت إلى بعض أسواق الفواكه والخضروات، ومحلات التمور، وأسواق المواشي وأعلافها والطيور، وبعض المستودعات ومحلات بيع المواد الغذائية بالجملة فعرفت وشاهدت الكميات الكبيرة، والوفرة الكثيرة من جميع هذه السلع. وقابلت بعض المسؤولين، أو التجار في هذه الأسواق التجارية، وسألتهم بعض الأسئلة التي لها علاقة بتوفير هذه البضائع. فأخبروني جميعاً أنها مستوردة من أماكن عديدة داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها. ووجدت أن معظم المواشي، والخضروات، والتمور مجلوبة من داخل المملكة العربية السعودية. وهناك بعض المواشي والفواكه تستورد من بلدان عديدة في العالم العربي، والإسلامي، والأجنبي. وهناك من قال: إن قرب مدينة جدة من مكة سهل استيراد الكثير من السلع الغذائية الخارجية بكل سهولة ويسر[٢].

هـ ـ حرصت على زيارة العديد من المطاعم المختلفة في أرجاء مكة، والاطلاع على قوائم الأشربة والأطعمة التي تقدمها لزبائنها. كما ذهبت إلى مجموعة من الأبراج والفنادق الكبيرة والمتوسطة القريبة من الحرم، وبعض الأحياء القريبة من المسجد الحرام مثل: أجياد، والمعابدة، والعزيزية، وكدي، والحجون وغيرها. ورأيت أنواع الأغذية والأشربة التي تقدمها في مطاعمها للساكنين فيها. فوجدت نفسي أمام مئات الأنواع من الأطعمة والأشربة

(١) إن دراسة وتوثيق تاريخ المطاعم القديمة والحديثة المعاصرة في حاضرة مكة المكرمة، أو أي مدينة أو منطقة في المملكة العربية السعودية يحتاج عشرات الكتب والبحوث العلمية. وحسب علمي لا يوجد دراسات تاريخية حضارية لهذا الميدان من عام (١٣٥٠ـ ١٤٤٤هـ/١٩٣١ـ ٢٠٢٣م)،ومن يبحث في هذا الموضوع فسوف يجد الكثير من المصادر الوثائقية المكتوبة، والروايات الشفاهية والصور الفوتوغرافية.

(٢) إن دور ميناء جدة التجاري والحضاري التنموي الإيجابي على جميع بلدان المملكة العربية السعودية مجال بحث كبير يستحق انجازه في عشرات البحوث العلمية الرصينة. أرجو من جامعات الحجاز (الملك عبدالعزيز، وأم القرى، والطائف، وطيبة، والإسلامية) أن تشجع أقسامها العلمية وطلابها وأساتذتها على دراسة هذا الميدان الحضاري المهم خلال المئة سنة الماضية (١٣٤٣ـ ١٤٤٤هـ/١٩٢٤ـ٢٠٢٢م).

المتنوعة في مكوناتها، وطرق طهيها، وأشكالها، وطعمها. كما وجدت معظم الأيدي العاملة في إعدادها وتقديمها من أجناس عربية وغير عربية، وأعداد السعوديات والسعوديــين مازالت نسبهم قليلــة. ومثل هذه المطاعم والأطعمــة في الفنادق لم أشاهدهــا في مطلع هذا القــرن (١٥هـ/١٠م)، وإذا كانت موجــودة آنذاك فمن المؤكد أنها قليلة ومحدودة. أما اليوم فأصبحت كثيرة، وكمياتها كبيرة ومتنوعة.

٣- وممــا عاصرتــه أثناء حجاتي مــن بداية التسعينيــات (ق١٤هــ/٢١م) إلى بداية العشرينيــات (ق١٥هــ/٢١م) وجود الأشربــة والأطعمة بسهولــة للحجاج، وسكان مكــة. وكان اعتمــاد معظم الحجيج على أنفسهم من حيــث توفير الطعام والشراب حتى العقد الثاني من القرن(١٥هـ/٢٠م)، فيحملون معهم، أو يشترون بعض المواد الغذائيــة ويقومون بإعدادها أثناء إقامتهم في المشاعر المقدسة[(١)]. وهنــاك شركات ومؤسســات قليلة تقوم بخدمة بعض الحجــاج أثناء حجهم مقابل مبالغ معلومة من كل حاجــة أو حــاج، ثم عملت الدولة ووزارة الحج بشكل مكثف على زيادة الشركات التــي تتولى خدمة حجاج الداخل والخارج منذ وصولهم إلى مكة حتى رجوعهم إلى بلادهــم. وقد رأيت الكثير من هــذه المؤسسات والشركات في الميــدان أثناء حجتي السادســة في بداية العشرينيات من هذا القرن (١٥هـ/٢١م)[(٢)]. وتزايدت شركات رعايــة الحجاج في الداخل والخارج حتى أصبح الحــج في وقتنا الحاضر، لا يتم إلا مــن خلال مؤسســات أو شركات رسمية مصرح لهــا بالعمل في خدمة الحجيج منذ بدايــة حجهم، ثم متابعــة رحلاتهم داخليــاً وخارجياً حتى ينتهــي كل حاجة وحاج مــن رحلته. وهذه المؤسسات تتولى القيام بكل مــا يحتاجه الحاج من رعاية، ونقل، وإطعــام. وقد اطلعت على بعض الإجراءات عند بعض هذه الشركات في مكة خلال عامي (١٤٤٢-١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)، فوجدتها تقوم على توفير الأطعمة والأشربة لكل مــن سجلتهم ووقعت عقود معهم. وأخبرني بعض المسؤولين في وزارة الحج بأن هذه الشــركات أو المؤسسات تتفــاوت في أسعارها، وفي خدماتها، لكنها في مجملها تقدم أنواع عديدة من الأشربة والأطعمة للحجاج من بداية حجهم إلى نهايته[(٣)].

---

(١) هــذا الذي عرفتــه وشاهدته في منى وغيرها من المشاعر خلال حجتي الأولى عام (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) إلى حجتي الخامسة أوائل العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م).

(٢) في أغلــب الحجات السابقة، حتــى العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) كنا وغيرنا نعتمد على توفير جميــع أغراضنا وأطعمتنــا بأنفسنا. أما الحجة الأخيرة فقد حججت أنــا وزوجتي مع شركة تولت رعايتنا وخدمتنــا خــلال أيام الحج، مقابل مبلغ من المــال، وقدره حوالي (٧٠٠٠) ريال. وأقــول إن تاريخ الطوافة ومؤسســات نقل الحجــاج وخدمتهم موضوع كبير يستحق أن يدرس في عدد من البحوث العلمية خلال المئة سنة الماضية (١٣٤٣ــ ١٤٤٤هـ/ ١٩٢٤ــ٢٠٢٢م).

(٣) رأيت خــلال السنوات العشر الماضيــة (١٤٣٣-١٤٤٣هـ/٢٠١٢-٢٠٢٢م) أن أسعــار الشركات تتفاوت من ثلاثــة آلاف ريــال إلى أربعين ألف ريال، حسب المواقع في منى وبقية المشاعر، والخدمات المقدمة لكل حاج، وفي مقدمتها الأطعمة والأشربة، نوعيتها، وجودتها وغير ذلك من الخدمات التي يحتاجها الحاج.

٤- إن عادات الطعام والشراب قديماً كانت تسير من خلال نظام عائلي معروف فالأب والأم، وأحياناً الجد والجدة يجتمعون مع أولادهم وبناتهم في أوقاتٍ معلومة في الصباح، والظهر، والمساء لتناول الطعام. وتتولى ربة البيت، وغالباً تكون الأم، مسؤولية إعداد الطعام والشراب، ويساعدها بناتها إذا كن كبيرات. وهناك قواعد أثناء تناول الأكل والانتهاء منه، والرجال هم من يحضرون الأغراض اللازمة لإعداد الأطعمة والأشربة للأسرة. ويوجد الكثير من المصطلحات اللغوية لعادات الشراب والطعام، وأسماء الأطعمة، وأدوات الطهي والأكل، وعبارات اصطلاحية خاصة بالغذاء والحياة الغذائية الفردية والجماعية، العامة والخاصة، العائلية والتجارية[1]. وفي الخمسين عاماً الماضية (١٣٩٣-١٤٤٤هـ/١٩٧٣-٢٠٢٢م) بدأ التغير والتحول يجري على كل شيء في حياة الناس. ونظام المعيشة من طعام وشراب سار نحو التوسع والتطور في أصناف الأطعمة والأشربة على مستوى الأسرة، أو الأسر، أو المجتمع. وظهرت الكثير من العادات الجديدة في طرق الطهي لأنواع الأشربة والأكلات وتقديمها للأفراد والأسر أو الضيوف. وزادت وتطورت أماكن الأطعمة والمواد الغذائية في أرجاء الحاضرة، سواءً كانت خاصة أو تجارية. وأصبحنا نرى ونسمع أسماء أشربة وأطعمة جديدة لم نعرفها من قبل، وبرزت فنون عديدة في إعداد الوجبات، وتنوعت الأدوات والأواني الغذائية، وصار عند الأجناس البشرية المكية، ومن وفد إليهم من السعوديين أو المقيمين، أو الزوار من الحجاج والمعتمرين أعراف متنوعة اتصلت ببعضها، وتبادلت الثقافات والمصطلحات والممارسات في تجهيز الكثير من الأكلات [2].

٥- من آثار كثرة الأشربة والأطعمة في كل ناحية، زيادة الأمراض بين الناس، مثل: السمنة، وأمراض السكر، والضغط، وتصلب الشرايين وغيرها من الأوبئة الحديثة التي لم تكن معروفة عند الأوائل. ومن يزور المستشفيات والمراكز الصحية في أي حي أو مكان من حاضرة مكة، أو غيرها من بلدان المملكة فإنه يتأكد له ما تم الإشارة إليه. كما أن عامة الناس ركنوا للاسترخاء، وعدم ممارسة الرياضة وتناول أشربة وأطعمة صحية. ومعظم الأفراد والأسر اتجهوا لتناول الأكلات التجارية، وتراجعت أطعمة المنازل التي كانت تعد تحت إشراف ربات البيوت، وإذا كان هناك فئات

(١) هكذا الذي سمعت وقرأت عنه عند أهل مكة في الحاضرة والبادية، والوضع نفسه يوجد في كل ناحية من بلدان المملكة العربية السعودية خلال القرون الماضية حتى الثمانينيات والتسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم بدأت عادات الشراب والطعام تتغير في الأنواع، وطرق الأعداد، وتناول الأشربة والأطعمة. كما دخلت مصطلحات لغوية جديدة مغايرة للمفردات والاصطلاحات التي عرفها الأوائل.

(٢) أوصي بدراسة تاريخ الشراب والطعام في حاضرة مكة خلال الخمسين عاماً الماضية (١٣٩٣-١٤٤٤هـ/١٩٧٣-٢٠٢٢م)، مع التركيز على الأسباب التي جرت على حياة الناس المعيشية، وما نتج عنها من سلبيات وإيجابيات على مستوى الفرد، والأسرة، والمجتمع.

مازالت تعمل أشربة وأكلات منزلية، فقد أوكلت هذه المهمة إلى الخادمات المنزليات، ولم تعد المرأة أو الأم تعتني بهذه المسؤولية، كما كن نساء القرون الماضية[١].

د. الأعراف، والعادات، والتقاليد:

دراسة التقاليد والأعراف والعادات في حاضرة مكة موضوع واسع، والغالب على الكثير من تقاليد سكان هذه المدينة المقدسة مكانتها الروحية والدينية. فإذا حصرنا حديثنا على المسجد الحرام وما يحيط به، وعلى المشاعر المقدسة أثناء مواسم الحج فإننا سوف نرى الكثير من العادات والتقاليد المتنوعة في الممارسات والأشكال والأهداف حسب كل عمل أو حرفة، أو هيئة لباس وزينة، أو طعام وشراب، أو فنون وعلوم ومعارف أو لهجات وغيرها، وذلك يرجع إلى تنوع الأجناس البشرية من شتى بقاع الأرض، ولكل مجتمع، أو أفراد، أوبلد، أو ناحية تقاليد خاصة وعامة. وكل الحجاج والمعتمرين من أرجاء المعمورة يجلبون معهم عادات وتقاليد من صميم ثقافاتهم وتراثهم المحلي، ثم يلتقون مع غيرهم في الحرم والمشاعر، ويؤثرون ويتأثرون ببعضهم،ومنهم من يمكث في المسجد الحرام وما حوله أيام، أو أسابيع، أو شهور. وربما هناك أفراد محدودون قضوا سنوات عديدة [٢].

إذا ابتعدنا عن الحرم ومحيطه الجغرافي والسكاني، فالمصادر الإسلامية المبكرة والوسيطة، والحديثة (ق١٠ـ ق١٣هـ/ ق١٦ـ ق١٩م) لا تذكر لنا صوراً اجتماعية دقيقة وواضحة عن حياة الناس في جبال، وأودية، ووهاد محافظة مكة. وربما المناطق البعيدة عن الحرم كانت قليلة الاستيطان، وإذا كان فيها حياة سكانية، فهم ينتمون إلى بعض القبائل الحجازية القديمة والرئيسية، ويعيشون حيالة البادية التي يغلب عليها التنقل والترحال، وتواضع المعيشة وبساطتها في كل شيء[٣].

---

(١) هذه المشكلة ليست محصورة على حياة الناس في مكة، إنما أصبحت معضلة كبيرة تعاني منها مدن وقرى وأرياف المملكة العربية السعودية. وذلك من سلبيات وفرة الأموال والثراء عند الناس، وكذلك توسع المجتمعات واتصالها ثقافياً وإعلامياً وفضائياً ببلدان ومجتمعات أخرى عديدة في أرجاء الكرة الأرضية.

(٢) إن حديثي يشمل فقط زوار المسجد الحرام من داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها، عبر أطوار التاريخ الإسلامي. وهناك عشرات المصادر والعلماء والرحالة الذين وثقوا الكثير من عادات وتقاليد الكثير من الحجاج والمعتمرين،وشرحوا ممارسة عباداتهم في المسجد الحرام، وبعض المؤلفين رصدوا بعض الأعراف والتقاليد الدينية، أو السياسية، أو الاجتماعية، أو الاقتصادية، أو الإخوانية، أو الإدارية لبعض الأفراد، أو الفئات، أو الاجتماعات والمجتمعات في الحرم المكي وما حوله من الحارات والمستوطنات البشرية. هذا الذي عرفته وقرأته في كثير من المصادر الإسلامية المبكرة، وفي بعض البحوث والمراجع المتأخرة.

(٣) اطلعت على عشرات المصادر التاريخية والحضارية المبكرة والوسيطة والحديثة من أجل معرفة حياة الناس الاجتماعية والحضارية في أجزاء محافظة مكة المختلفة البعيدة عن محيط المسجد الحرام، فلم أجد تفصيلات عن تاريخ الناس في هذه النواحي، وهناك بعض الإشارات التي تذكر أسماء بعض العشائر، والأراضي وما تحتويه من معالم جغرافية، أو ما جرى عليها من أحداث سياسية حربية وعسكرية، أما الجانب الحضاري لحياة أهل هذه البلاد الخاصة والعامة فغير معروفة.

والكتب التاريخية المكية المحلية، والمؤلفات الجغرافية والرحلات تعد من أفضل المصادر التي شرحت لنا الكثير من التفصيلات عن حياة الناس في المسجد الحرام وما حوله والمشاعر المقدسة، ووثقت لفيف من المعلومات عن بعض التقاليد والعادات والأعراف الحضارية التي يمارسها الحجاج والمعتمرين ومن يتصل بهم من أهل مكة. وظهر بعض الدارسين والباحثين المحدثين فأصدروا الكثير من البحوث والرسائل العلمية الجامعية التي تؤرخ لحياة المكيين عبر عصور التاريخ. وفي هذه الدراسات المتأخرة شروحات قيمة عن بعض العادات عند سكان مكة في القرون الإسلامية المبكرة، والوسيطة، والحديثة [١].

وقد صدر عدد من الكتب الأجنبية والعربية الحديثة، ومعظم مادتها العلمية مركزة على تاريخ الأرض والناس في مكة خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، ومن هذه المؤلفات التي تحتوي على توثيقات عن الأعراف، والعادات، والتقاليد المكية ما يلي:

١- **صفحات من تاريخ مكة المكرمة في نهاية القرن الثالث عشر**، للمستشرق ك. سنوك هورخرونية. نقله إلى العربية وعلق عليه الأستاذان محمد السرياني، ومعراج مرزا[٢]. والكتاب يقع في مجلدين، ويهمنا الجزء الثاني الذي دونت مادته من خلال المعاصرة والمشاهدة، فهذا الرحالة الهولندي مكث في مكة بضعة شهور وكتب عن الحياة اليومية، وأشار إلى بعض العناصر والفئات البشرية، وسجل لمحات من عاداتهم وتقاليدهم، وتعاملاتهم الحضارية مع مجتمعهم، ويحتوي الكتاب أيضاً على شروحات جيدة عن الأسر المكية، وبعض حرفهم، وعلاقاتهم الاجتماعية اليومية والموسمية داخل المنازل وخارجها. وعرج الباحث على حياة التعليم داخل المسجد الحرام، وفي بعض الحارات المحيطة به، وذكر العديد من العلوم والأعلام العلمية التي شاهدها زمن إقامته في مكة. وفي أكثر من (٢٠٠) صفحة ركز على الجاليات الإندونيسية (الجاوية) ووثق الكثير مما عرفه وشاهده عن حياتهم الحضارية العامة والخاصة [٣].

---

(١) هناك بعض التقاليد والعادات القديمة ومازالت مستمرة حتى الآن، وبخاصة الدينية والاجتماعية كزيارة المسجد الحرام من وقت لآخر، وبعض الأعراف في عادات الزواج، والأعياد، والمآتم، والتعليم والتعلم، وبعض التقاليد التي توارثها المكيون جيلاً بعد جيل. كما أن بعض الوافدين إلى الحرم من بلدان خارجية لديهم بعض المعتقدات والعادات التي يمارسونها أثناء زيارتهم مكة،والمسجد الحرام، والمشاعر المقدسة.

(٢) صدرت هذه النسخة العربية المترجمة من اللغة الإنجليزية عن طريق نادي مكة الثقافي الأدبي (١٤١١هـ/١٩٩٠م).ونسخة الكتاب الأصلية باللغة الألمانية.

(٣) صدر لهذا المستشرق العديد من الدراسات عن تاريخ وحضارة إندونيسيا، خدمة لحكومته هولندا التي مدت نفوذها إلى إندونيسيا واستعمرتها أكثر من (٣٠٠) سنة.وهذا الكتاب الخاص بمكة يشتمل على معلومات اجتماعية حضارية جديدة يصعب أن نجدها في مصدر آخر.

٢- **تاريـخ مكـة : دراسـات في السياسـة، والعلـم، والاجتمـاع، والعمـران**، للأستـاذ أحمد السباعـي. الكتاب يقع في جزئين في مجلد واحد، طبع أكثر من مرة. وبذل فيه الباحث جهـداً كبيراً، بدأه ببعض التواريخ والأحداث في مكة من قبل الإسلام، ثم أرخ لمجالات تاريخية وحضارية خلال القرون الإسلامية المبكرة، والوسيطة، والحديثة إلى منتصف القـرن (١٤هـ/٢٠م). وفي هـذا السفر تفصيـلات جيدة عن تاريخ مكـة الحضاري، وإشارات حسنة إلى العديد من الأعراف والعادات المكية داخل الحرم وخارجه[١].

٣ـ كتب أخرى حديثة، مثل:

أ- **مكة في القرن (١٤هـ/٢٠م)**، لمحمد رفيع.
ب- **تراث مكة المكرمة في القرن (١٤هـ/٢٠م)**، لعبدالله محمد أبكر.
ج- **موسوعة ثقافة المجتمع المكي خلال قرن ونصف (١٣٠٠ـ ١٣٤٦هـ)**، لإسماعيل كتبخانة. (تسعة أجزاء).

هـذه المراجع الثلاثة فصلت الحديث عن عـادات، وتقاليد، وأعراف مكية عديدة. والجميل في هذه المدونات أنه قام بإنجازها باحثون مكيون، والكثير مما وثقوه عاصروه، وشاهـدوه. ولم يعتمدوا فقـط على المشاهـدات، إنما رجعوا إلى العديـد من المقابلات والمصـادر الأصلية، فجلسوا، وقابلوا، وسمعوا من بعض الأسر والأعلام المكية. واطلعوا على مصادر ومراجع عديدة أثناء دراسة بحوثهم[٢].

وفي مكتبة جامعة أم القرى المركزية، وبعض المعاهد، والكراسي، والمراكز البحثية، في حاضـرة مكة العديد من الرسائـل الجامعية، والكتب والبحـوث العلمية التي أرخت للمدينة المقدسة (مكة المكرمة) عبر عصور التاريخ. وفي هذه الأعمال التوثيقية فصول، وأبواب عن التاريخ الاجتماعي المكي، وضمن هذه المواد شروحات وتفصيلات عن بعض التقاليد والعادات المكية في قرون وعصور إسلامية مختلفة[٣].

---

(١) الكتـاب في مجمله دراسة قيمة، لكن مازال بحاجة إلى مراجعـات، وترتيب، وإضافات وتعليقات. حبذا أن نرى باحثاً جاداً يقوم بمراجعته وتصويب الأخطاء الواردة فيه، وإضافة، وشرح ما يستوجب من تفصيلات وتوضيحات.

(٢) هـذه الكتب جديرة بالاطـلاع، وفيها جهود جيدة لتوثيـق صفحات من تاريخ حاضـرة مكة خلال العصر الحديـث. أرجـو من أصحابها وغيرهم من الأسـاتـذة المكيين أن يضاعفوا الجهود لإنجـاز دراسات أعمق وأشمل عن جميع مفاصل حياة الناس في أرجاء المحافظة ٠

(٣) في بعض جامعاتنـا السعوديـة المحليـة أساتذة وطلاب دراسات عليـا أنجزوا بعض البحـوث العلمية عن حاضـرة مكة، وكذلك في بعض الجامعـات العربية والإسلامية والأجنبية رسائـل وبحوث جامعية صدرت عـن مكة في عصور إسلامية مبكرة، ووسيطة، وحديثة. وتشتمل على بعض الإشارات والشروحات لأعراف وعادات ونشاطات اجتماعية في الحرم المكي والمشاعر المقدسة.

وبعض ما سمعته وشاهدته من عادات في مكة أثناء زياراتي لها خلال العقود الخمسة الماضية (١٣٩٢ـ ١٤٤٤هـ/١٩٧٢ـ ٢٠٢٢م) أوثق شذرات من ذلك في الصفحات التالية:

١- كوني من سكان السروات، فقد عرفت معظم السرويين يذهبون من بلادهم للحج والعمرة، وغالبا يستعجلون في الذهاب والإياب. وشاهدت الكثير منهم يسافرون من عسير أو الباحة وما جاورها، ويصلون إلى الحرم، وفي وقت قصير جداً يؤدون عمرتهم ثم يعودون إلى بلادهم دون أن يقضوا وقتاً كبيراً في الحرم. وفي السنوات الماضية الأخيرة (١٤٢٥- ١٤٤٤هـ/٢٠١٤-٢٠٢٢م) بدأت أرى بعض الأسر والأفراد السرويين والتهاميين يسافرون إلى مكة وقت الإجازات ويبقون فيها أياماً وأحيانا أسابيع يتعبدون في المسجد الحرام، ويقضون بعض أوقاتهم في أسواق مكة، أو يذهبون إلى جدة للمزيد من النزهة والاستجمام(١).

٢- أزور الحرم منذ مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) وأشاهد خدمات الدولة في حراسة المسجد الحرام، وتقديم جميع الخدمات اللازمة للحجاج والمعتمرين. لكن في العشرين سنة الأخيرة (١٤٢٥هـ ١٤٤٤هـ/٢٠١٤ـ٢٠٢٢م) زادت نسبة الخدمات بشكل كبير من حيث تنظيم الدخول والخروج من الحرم وخاصة في أوقات الذروة أيام الحج، والعمرة، وكل جمعة، أو إجازات نهاية الأسبوع بسبب زيادة الوافدين إلى الحرم. وعملية الغسيل لأجزاء الحرم الداخلية والخارجية والتنظيف على مدار الساعة، وتوزيع مياه زمزم في صهاريج موزعة في أرجاء المسجد، بالإضافة إلى المراقبة الدقيقة والتفتيش لكل من يحمل أغراضاً كبيرة أو كثيرة أثناء الدخول إلى الحرم. وفي مواسم الحج تتضاعف الخدمات الأمنية، والإشرافية، وكل عمل يصب في خدمة الحجاج وزوار مكة والمسجد الحرام(٢).

---

(١) سمعت وعرفت استعجال السرويين في قضاء زياراتهم لمكة والحرم المكي منذ بدأت أتردد على الحجاز، وشاهدت ذلك من بعض الآباء والأجداد، وقرأت عن سرعة سفرهم إلى الأماكن المقدسة وعودتهم إلى بلادهم. وربما ذلك يعود لصعوبة ووعورة تضاريس بلادهم التي تعودوا فيها على سرعة التنقل، والذهاب والإياب في كسب أقواتهم. وما ذكرته حقائق يعرفها كل من تعامل مع أهل السراة خلال القرون والعقود الماضية. وحالياً تطورت أحوالهم حضارياً وتنموياً، وصاروا يغيرون من طباعهم السابقة، وبخاصة أجيال الشباب ومتوسطي الأعمار، ووفرة الخير والمال عندهم وعند غيرهم جعلتهم أكثر تريثاً واستمتاعاً بأوقاتهم ورحلاتهم الدينية والاجتماعية.

(٢) إن الخدمات العامة والخاصة، المدنية والعسكرية، الصغيرة والكبيرة التي تقدمها مؤسسات الدولة في خدمة المسجد الحرام، ورعاية المصلين، والحجاج، والمعتمرين توثق في آلاف الصفحات. وهناك بعض الدراسات القليلة المطبوعة والمنشورة التي ذكرت شيئاً من ذلك. لكن هذا الميدان مازال جدير بدراسات علمية طويلة ورصينة وجادة. آمل من المؤرخين المعاصرين المنصفين أن يؤلفوا في هذا الباب بعض الأعمال العلمية النزيهة الحيادية.

٣- تقدم خدمات جليلة وكبيرة للموتى، فإذا أحضرت جنائز للصلاة عليها في المسجد الحرام تجد كل التسهيلات منذ وصولها إلى الحرم حتى نقلها إلى المقابر. وأقارب الجنائز. الذين قدموا معها إلى الحرم يجدون أيضاً التعاون التام أثناء دخولهم وخروجهم[١]. وفي أرجاء الحرم العديد من الخدمات الإنسانية مثل: مساعدة التائهين حتى يجدوا مقر إقامتهم، أو رفاقهم، وتوفير الأمكنة المناسبة لدروس الحرم المستمرة، وأحياناً تعقد بعض الأنكحة في المسجد الحرام، وهناك موظفون يساعدون في مثل هذه الأعمال. ومما لفت نظري خلال الثلاثين سنة الماضية كثرة الصائمين في الحرم، وبخاصة يومي الإثنين والخميس، والأيام البيض (١٣، ١٤، ١٥) من كل شهر. ويوجد أغنياء وموسرون يوزعون سفر إفطار في أجزاء عديدة من الحرم، وهذه العادة تزيد بشكل كبير في شهر رمضان. وهناك أفراد عاديون (رجالٌ ونساءٌ)، وأحياناً شباب يحضرون إلى أي ناحية في المسجد بعض الأشربة والأطعمة وتوزع على المارة من المصلين وزوار الحرم. ورأيت بعض المطاعم القريبة من الحرم توزع وجبات على الناس، وغالباً تكون في الليل بعد صلاة العشاء. وسألت بعض المسؤولين في عدد من تلك المطاعم عن أصحاب الشأن لهذه الصفات، فقالوا لي أنهم أسر أو أعلام محتسبون يتفقون مع هذه المطاعم لتقديم هذه الخدمات التطوعية، ويحصلون على أجورهم وأسعار الأطعمة الموزعة من أولئك المحتسبين[٢].

٤- أما إذا تجولت في أرجاء المدينة، فإنك تشاهد آلاف الناس في الشوارع، والأسواق، والمؤسسات الحكومية والأهلية، والأماكن العامة، والمنازل والأحياء الخاصة. وترى حركة المواصلات، والمشاة، وتسمع الأحاديث واللهجات المتفاوتة في موضوعاتها، ومعانيها، وألفاظها. وتلاحظ الحركة الدائمة لمئات الأجناس البشرية التي تأتي وتخرج من المسجد الحرام والمنطقة المحيطة به. وتسمع مساجد مكة مع المسجد الحرام ترفع الأذان، وتؤدي الصلوات في كل مكان. وإذا زرت بعض صالات أو قصور الأفراح في الزواجات ومناسبات الأعياد وغيرها فإنك ترى الكثير من الطقوس والعادات والتقاليد الاجتماعية في مجتمعات الرجال، والوضع نفسه في لقاءات واجتماعات النساء والأطفال، ولكل فئة تقاليد وفنون اجتماعية عديدة. والمجتمع المكي كثير الأعراق والثقافات البشرية، وهذا مما شكل الكثير من التنوع والتباين في تقاليد الناس وعاداتهم. ومن يطلع على المؤلفات الحديثة الآنف ذكرها

(١) لاحظت صلاة الجنائز في الحرم في جميع الصلوات المفروضة، ولا تمر صلاة بدون وجود جنازة أو جنائز.

(٢) إن الذاهب إلى الحرم يعجب من الصدقات والأعمال الخيرية التي في كل مكان من أرض الحرم. وذلك توفيق من الله عز وجل، واستجابة لدعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾. سورة البقرة، الآية (١٢٦).

في صفحـات سابقة، يجدها دونـت الكثير من التفصيلات عن بعض العادات المكية خـلال القرن(١٤هــ/٢٠م)، لكنهـا في هـذا القـرن (١٥هــ/٢١م)، وبخاصة في الثلاثين سنة الماضيـة (١٤١٣ـ ١٤٤٤هـ/١٩٩٣-٢٠٢٢م) تراجعت بعض التقاليد، أو انقرضـت في أدائها (وبروتوكولاتها) وحل محلها عادات وتقاليد دخيلة وحديثة. وهـذا ناتج من الحداثة والتنمية الحضاريةٍ الجديـدة. التي تعيشها المملكة العربية السعوديـة، وتقارب العالم حضارياً وتقنيـاً، ولوسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي دور كبير ومؤثر في هذه التحولات والتبدلات الاجتماعية الحديثة والمعاصرة.

٥- قبـل توسعـات الحـرم الحديثـة، كان هناك ازدحـام كبير في الدخـول إلى الحرم والخـروج منـه وبخاصـة أثنـاء الطـواف والسعـي. وأكثر مـن يعاني كبـار السن، والضعفاء، والمرضى. وإلى عهد قريب يوجد بعض الأفارقة طوال الأجسام، وأقوياء في صحتهم يحملون العجزة والمرضى في كراسي على رؤوسهم أثناء الطواف والسعي، ثم اختفت هذه العادة وحل محلها عربات عادية يدوية يوضع فيها الحاج أو المعتمر الكبـير في السن الذي لا يقدر علـى أداء عمرته أو حجه مشياً على الأقدام، وهناك أفراد يعملون في تأجير هذه العربات على من يحتاجها. ومؤخراً جلبت عربات تعمل بالبطاريات ويستطيع الحاج أو المعتمر استئجارها من مكاتب مخصصة في الحرم، وقيادتهـا بنفسه، أو شخص آخر يقودها أثناء أداء السعي أو الطواف. وتعدد أدوار الحرم ساعـدت عموم زوار المسجد الحرام على استكمـال أركان الطواف والسعي من أي دور رغبوا [١].

٦- مـن حسنـات التوسعـات العمرانية التي جرت علـى المسجد الحـرام وما حوله من العقـد الأول في هذا القرن(١٥هــ/ ٢٠م)، تحولات إيجابية كثيرة يصعب حصرها في سطـور أو صفحـات، وفي مجالات حضارية عديـدة: إدارية، وأمنيـة، وصحية، واقتصاديـة، واجتماعية، وتوعوية، ونفسية، ومعرفيـة وإعلامية، وتقنية، وإنسانية حضاريـة[٢]. ومما لاحظته في نهاية القرن (١٤هــ/٢٠م)، والعشرين سنة الأولى

---

(١) إن التوسعات العمرانية التي عاشتها حاضرة مكة المكرمة، وبخاصة المسجد الحرام وما يحيط به من أحياء خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، أوجدت الكثير من الأنظمة والعادات والأعراف الحديثة، وفي الوقت نفسه تراجعـت أو اختفت تقاليد وعادات مارسها الناس خلال القرون الماضية حتى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م). وهـذه التبدلاتٍ الحضارية والاجتماعية والتطويرية جديرة بالدراسة التوثيقية التحليلية المقارنة. حبذا أن نرى باحثاً جاداً يقوم بإنجاز هذا الموضوع في أعمال بحثية كبيرة من بداية القرن (١٤هـ/١٩م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م).

(٢) لا أدون هـذه الإشـارات التوثيقيـة من فراغ، لكن هذا الـذي عرفته وعاصرته أثنـاء حجاتي الثلاث خلال التسعينيـات مـن القرن الهجـري الماضي، وخـلال العقود الأربعـة الماضيـة (١٤٠٢ــ ١٤٤٤هـ/١٩٨٢ـ ٢٠٢٢م)، فقـد عشت في مكـة المكرمة بعض الوقت خلال إنجازي بحثي عـن الحجار لدرجة الدكتوراه في

مــن هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) كثرة الافتراش من الحجــاج في كل مكان بمكة أثناء مواســم الحج، والعادة نفسها تكاد تكون طـوال العام في المسجد الحرام وما حوله، مــن زوار البيــت الحرام، ومعظم الذين يمارسون هــذه الطريقة من خارج المملكة، وأعداد قليلة من داخل البلد. وبذلت الجهات الرسمية المسؤولة جهودا كبيرة للقضاء على هذه العادة، فأصبحنــا نرى أعداد المفترشين في الحرم والأماكن المقدسة أقل بكثير مما كنا نراه سابقا، ومازالت الجهود الحكومية مستمرة في القضاء على هذه الظاهــرة[١]. والزائر أو من يسكن في الأبراج والفنــادق الحديثة المحيطة بالمسجد الحرام،يجدهــا مــزودة بكل الخدمات التــي تعود بالفائدة على الحــرم، وعلى من يعمـل فيها من الموظفين والساكنين. لأنها مزودة بمصليات كبيرة للرجال والنساء، ومربوطــة صوتيــا وتقنيا مــع مؤذن وإمام الحــرم. بل الغرف السكنيــة في الفنادق القريبــة جــدا أو المطلة على الحــرم متصلة مع مكبرات الصــوت للمسجد الحرام أثنــاء أداء الصلوات. وهــذه الخدمة سهلت على من يسكن في هذه الأبراج، فيؤدون صلواتهــم مع إمام المسجد في كل الصلــوات المفروضة، وصلاة التراويح والقيام في شهــر رمضــان. وهناك خدمات أخرى كثيرة يصعــب حصرها، وجميعها تصب في خدمة الحجاج والمعتمرين ومن رغب السكن في هذه المقرات السكنية التجارية[٢].

٧- إن الكتابــة العلميــة عــن العــادات والتقاليــد في محافظــة مكــة في العصــر الحديــث والمعاصر(١٣٩٠-١٤٤٤هــ/١٩٧٠- ٢٠٢٢م) لا يمكــن إجمالهــا في مدونــات محــدودة ومختصرة، وذلك لاتساع الموضوع وكثرة تفريعاته. وما نتج عن حياة التطوير والتمدن الذي تعيشــه المملكة (أرضا وإنسانا). وهذا مما خلق طفــرة اجتماعية وحضارية كبيرة امتدت إلى كل جــزء أو مفصل في المجتمع السعودي العــام والخاص. وبالتالي ظهرت الاختلافات والتباينات الكثيرة والكبيرة بين أعراف وعادات جيل اليوم، وأجيال الآباء والأجداد[٣].

العقــد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠)، ثم زياراتي الدائمــة لحواضر الحجاز الكبرى وبخاصة مكة من عــام (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م). والمحــاور المذكورة في المتن مازالت بحاجة كبيرة إلى دراستها وتوثيقها في رسائل وكتب علمية رصينة.

(١) إن هــذه العــادة لها سلبيــات كثيرة أمنية، وصحيــة، وحضارية وقد انتبهت القطاعــات الحكومية والأهلية لهــذه المشكلة فاستحدثت الكثير من الحلول التــي تقضي عليها. والتنظيمات والتوسعات التي شهدتها مكة المكرمــة خلال العقد الماضــي (١٤٣٠ــ١٤٤٤هـ/٢٠١٠ــ ٢٠٢٢م) ، حتى الآن (١٤٤٤هـ / ٢٠٢٣م) ساعد في حل مشاكل كثيرة، وتسهيل كل السبل للحجاج وزوار البيت الحرام.

(٢) هناك بعض الدراسات المختصرة المنشورة عن هذه الفنادق والمشاريع العمرانية القريبة من المسجد الحرام، لكنها موضوعات جديدة لمن رغب دراستها تاريخيا وحضاريا وتنمويا مع ذكر آثارها الإيجابية على المسجد الحرام.

(٣) يجب على جامعاتنا المحلية، وأقسامها، ومراكز أبحاثها العلمية أن تدرك وتستشعر هذه التحولات الحضارية الجديــدة التي تمر بها أرض ومجتمعــات المملكة العربية السعودية، ثم تدعــم وتشجع بحثها ودراستها مع ابتكار الحلول التي تصب في خدمة البلاد والعباد.

هـ- لمحة عن الفنون الشعبية والألعاب الرياضية :

إن مكة المكرمة ملتقى الكثير من الأجناس البشرية منذ قديم الزمان، ولكل عنصر بشري جاء إلى حاضرة مكة من داخل شبه الجزيرة العربية أو خارجها لهم ثقافة وفنون طربيةٍ جلبوها معهم، وأخرى تعلموها ومارسوها مع المجتمع المكي الكبير. والوضع نفسه أيضاً مع الألعاب الرياضية الداخلية والخارجية، النسائية والرجالية. وإذا بحثنا في كتب التراث الإسلامي المبكرة، فإننا نجد المصادر الأدبية تأتي في مقدمة الموارد العلمية التي فصلت الحديث عن تاريخ الفن والتسلية في بلاد الحجاز[١]. ولا تخلو الكتب الإسلامية المبكرة، وبخاصة الفقهية عن تراث مدون وفتاوى شرعية على الحياة الفنية والغنائية في شبه الجزيرة العربية، وحواضر الحجاز الكبرى (مكة المكرمة، والمدينة المنورة) حظيت بالكثير من هذا التراث[٢].

في المؤلفات العربية والإسلامية خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة توثيقات متفرقة عن حياة الناس الاجتماعية في الحجاز، وللفنون الشعبيةٍ والألعاب الرياضية ووسائل التسلية ذكر في هذه المصادر. وقد رأيت خلال الأربعين عاماً الماضية (١٤٠٣-١٤٤٤هـ/١٩٨٣-٢٠٢٢م) العديد من الكتب المطبوعة والرسائل الجامعية المكتوبة باللغة العربية، وأخرى باللغة الإنجليزية وفيها فصول أو صفحات عن وسائل التسلية الرياضية والفنية والغنائية في أزمنة مختلفة من القرن (٣ -١٣هـ/ق٩ - ١٩م) [٣].

في القرن والنصف الماضي (١٣٠٠-١٤٤٤هـ/١٨٨٢-٢٠٢٢م) ظهر أو جاء إلى الحجاز العديد من المؤلفين، وأغلبهم من فئة الرحالين العرب، وآخرون مسلمون وغير مسلمين وثقوا جزئيات من تاريخ الناس في مكة وغيرها وكان ضمن مشاهداتهم لمحات من حياة المكيين الرياضية وبعض الفنون ووسائل التسلية الأخرى[٤].

---

(١) من يطالع مؤلفات الجاحظ، وابن عبدربه، والأصفهاني، وابن قتيبة. ومن يقرأ الدواوين الشعرية الإسلامية المبكرة فإنه سوف يجد مادة علمية عن الفنون والأغاني والأهازيج الحجازية.

(٢) نجد أن بلاد الحجاز صارت ولاية إدارية ضمن دولة الخلافة الإسلامية في الشام ثم العراق في عصر الدولتين الأموية والعباسية (٤١-٦٥٦هـ/٦٦١-١٢٥٨م)، وفي هذه الفترة زادت فيها الأنشطة الغنائية والطربية ووسائل التسلية الأخرى. وهناك عشرات الكتب والبحوث التي فصلت الحديث عن هذه الحياة في القرنين الثاني والثالث الهجريين (ق٨ - ٩م).

(٣) هذا الذي اطلعت عليه، وقرأت واقتنيت بعضها أثناء دراستي وعملي الجامعي من عام (١٤٠٠-١٤٤٤هـ/١٩٨٠-٢٠٢٢م). والكثير من هذه الأعمال العلمية صدرت في هيئة رسائل جامعية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، وبعضها صدرت من جامعات وأقسام غربية مثل بريطانيا، وهولندا، وفرنسا، وأمريكا. والبعض من هذه البحوث تم طبعها ونشرها في هيئة كتب، ومازال أكثرها غير منشورة، والأجنبية غير مترجمة إلى اللغة العربية.

(٤) بعض هؤلاء المؤلفين والرحالة من شبه الجزيرةٍ العربية، وآخرون من دول عربية وإسلامية وأجنبية (شرقية وغربية). حبذا أن نرى باحثة أو باحثاً يدرس تاريخ الفنون الشعبية والألعاب الرياضية في

اطلعت على بعض مؤلفات المكيين المعاصرين فوجدتهم وثقوا بعض الفنون التراثية والرياضية المحلية. فالأستاذ محمد رفيع يذكر ويشرح بعض الألعاب الرياضية الترفيهية، ووسائل التسلية عند الكبار والصغار في مكة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، وجل معلوماته الموثقة من مشاهداته ومعاصرته للمجتمع المكي[١]. ويأتي عبدالله أبكر، وإسماعيل كتبخانة فيذكران بعض ما دونه محمد رفيع، ويفرد أبكر باب بعنوان (الفنون المكية) رصد فيه شروحات جيدة عن بعض الفنون الحجازية مثل: المجس المكي، والصهبة، والمزمار[٢]. أما كتبخانة فكتب ثلاثة فصول مستقلة. **الأول: الألعاب الشعبية في مكة المكرمة**[٣]. **والثاني: الفنون الشعبية. والثالث: الغناء في مكة**[٤]. وجميع الفصول المذكورة اشتملت على مادة علمية مفيدة استقاها المؤلف من بعض المصادر والمراجع، بالإضافة إلى معرفته ومشاهدته بعض المكيين وهم يمارسون هذه الفنون في منازلهم واحتفالاتهم العامة والخاصة. وفي توثيقات كتبخانة تفصيلات جديدة لا نجدها عند غيره ممن كتب في التاريخ الاجتماعي المكي الحديث والمعاصر[٥].

(*) **أما انطباعاتي ومشاهداتي الخاصة، فأرصد شيئاً منها في الصفحات الآتية:**

١- عرفت وعاصرت بعض الألعاب الرياضية القديمة في بلاد تهامة والسراة منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكانت المواد المستخدمة، وطرق ممارستها بسيطة وبدائية[٦]. ووجدت أهل مكة عاشوا نفس الحياة الرياضية التي ذكرها محمد عمر رفيع وكتبخانة والناس قديماً يتكيفون مع بيئاتهم، ويسخرونها في معايشهم المختلفة. ونلاحظ أن معظم مواد الألعاب الرياضية التقليدية كانت من مكونات البيئة المحلية، وأحياناً يحتاجون إلى بعض الأغراض المساعدة والضرورية فيجدونها في الأسواق الشعبية[٧].

الحجاز خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) من خلال كتب الجغرافيين والرحالة المسلمين وغير المسلمين. وهذا الموضوع جدير بالاهتمام، ومن يبحث في الوثائق غير المنشورة وعند بعض الرواة الحجازيين فسوف يجد مادة علمية جديدة تصدر في بحث جامعي رصين.

(١) انظر محمد عمر رفيع. مكة في القرن (١٤هـ/٢٠م)، ص ١٩٣ـ ٢٠٦.

(٢) عبدالله محمد أبكر، تراث مكة في القرن (١٤هـ/٢٠م)، ج١، ص ٩٠٥ـ ٩٦٠.

(٣) انظر إسماعيل كتبخانة، موسوعة ثقافة المجتمع المكي خلال قرن ونصف (١٣٠٠ـ ١٤٣٦هـ)، ج٤، ص ١٣٧ـ ١٣٨.

(٤) المرجع نفسه، الجزء التاسع، ص ٢٠٩ـ ٢٥٢.

(٥) المرجع نفسه، ج٤، ص ١٣٧ـ١٨٨. ج٩، ص ٢٠٩ وما بعدها. ومازالت موضوعات الألعاب الرياضية والفنون الشعبية في حواضر الحجاز الرئيسية تستحق أن تدرس في كتب ورسائل جامعية تفصيلية.

(٦) نشرت العديد من الدراسات الحضارية الخاصة ببلاد السروات وتهامة عبر العصور الإسلامية، وفيها صفحات عديدة عن الفنون الشعبية والألعاب الرياضية القديمة في الباحة، وعسير، وجازان، ونجران.

(٧) مقارنة الفنون الشعبية والألعاب الرياضية في السروات والحجاز خلال العصر الحديث (ق١٠ـ ق١٤هـ/ ق١٦ـ ق٢٠م) موضوع مهم وجديد في بابه، حبذا أن نرى باحثاً جاداً يقوم بدراسته في كتاب أو رسالة علمية.

٢- واكب نشأة المدارس الحديثة في الحجاز وغيرها من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) ظهور ألعاب رياضية حديثة، مثل: كرة القدم، وكرة اليد، وكرة الطائرة. والعديد من الألعاب السويدية، وألعاب القوى، والسباحة، والرحلات البرية. وهذه الأنشطة تمارس في المدارس تحت إشراف أساتذة متخصصين. وانتشرت هذه الألعاب حتى صار الشباب يمارسون بعضها في حاراتهم، وتشكل فرق رياضية رسمية وشعبية تجري بينها المباريات المختلفة. كما شاهدت في مكة وغيرها من مدن المملكة بعض الفرق الرياضية المشكلة من العمال الوافدين إلى البلاد بهدفٍ ممارسة بعض الأعمال الاجتماعية والاقتصادية، لكنهم في أوقات إجازاتهم، وغالبا تكون نهاية الأسبوع، يتجمعون ويمارسون بعض الرياضات مثل: كرة القدم، أو الطائرة، أو اليد. ورأيت في مكة المكرمة بعض الباكستانيين الذين يلعبون رياضتهم المعروفة باسم (الكريكيت). وبعد ظهور وانتشار الرياضات الحديثة، بدأت الألعاب الرياضية القديمة تتراجع، ولم يبدأ هذا القرن(١٥هـ/٢٠م)، إلا اختفى معظمها في المدن والقرى الكبيرة في الحجاز وغيرها[١].

٣- قابلت وزرت العديد من الأفراد والأسر في مكة المكرمة خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م)، وشاهدت بعضهم في مجالس سمرهم واجتماعاتهم الليلية يلعبون ورقة (البلوت)، وآخرون يمارسون لعبة الشطرنج. وربما هناك ألعاب عند النساء، مثل البلوت وغيرها. وأخبرني بعض المكيين أن بعض العمالة الوافدة والعاملة في أرجاء محافظة مكة لهم ألعاب رياضية داخلية وخارجية، ولم أشاهد شيء من ذلك، وربما هذه الألعاب جلبوها معهم من تراثهم وبلادهم، أو تعلموها أثناء عيشهم وعملهم في المملكة العربية السعودية[٢].

٤- اعتقد أن مكة المكرمة وحواضر الحجاز الرئيسية عرفت الرياضة الحديثة، لعبة كرة القدم وغيرها، قبل أي ناحية أو مدينة في البلاد السعودية. وذلك يعود إلى تطورها

---

(١) مارست العديد من الألعاب الرياضية التقليدية في بلادي الأصلية بلاد السروات. وقرأت ثم شاهدت بعض المدرسين الحجازيين والمتعاقدين الذين كانوا يشرفون على التعليم الحديث في أرجاء السروات خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكان ضمن جداولهم وأنشطتهم الإشراف على الألعاب الرياضية في المدارس، وأحيانا يعقدون مباريات ودية تنافسية بين المدارس المحلية، وكان هناك فرق سروية تذهب لعقد مباريات كرة القدم مع بعض الفرق الأخرى في الحجاز وغيرها. المصدر: معاصرة الباحث لهذه الأنشطة في ثمانينيات وتسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٢) من يتجول في محيط المسجد الحرام، وفي أحياء مكة المختلفة، ويزور مستشفياتها، وكلياتها، وأسواقها، ومدنها الصناعية، ومساجدها فإنه يرى خليطاً بشرياً كبيراً من أنحاء المملكة العربية السعودية، ومن بلدان عربية وإسلامية في أرجاء العالم. وكل هذه التركيبة السكانية الكبيرة والمتنوعة لها أفراحها وأتراحها الخاصة، وعندها ثقافات رياضية واجتماعية عديدة تكونت من خلال التعايش مع بعضها، ومع غيرها من الأجناس البشرية الأخرى.

الإداري الحديث منذ عهد الدولة العثمانية وإمارة الأشراف السابقة لحكم الدولة السعودية الثالثة: فمن هذه العاصمة المقدسة بدأت ثم انتشرت وتطورت المؤسسات الإدارية الحضارية الحديثة في أرجاء المملكة العربية السعودية[١]. ونجد بعض البحوث تذكر أن نادي الوحدة السعودي بمكة يعود تاريخه إلى ثلاثينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وعُرف آنذاك باسم (المختلط)، ثم تحول اسمه إلى (الحزب)، وفي الستينيات من القرن نفسه صار اسمه الوحدة. ومازال يمارس نشاطاته إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م)، وحقق الكثير من الجوائز والنجاحات على مستوى المملكة، وخرج منه لاعبين كبار شاركوا في منتخب البلاد. ولهذا النادي مقر رسمي يتكون من مجموعة مباني حديثة في حي التنعيم. ويوجد في مكة مدينة الملك عبدالعزيز الرياضية. بحي الشرائع، بدأ تشييدها واستكمالها في السنوات الأولى من العقد الأول في هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). وتتكون من الإستاد الرياضي الذي تبلغ مساحته (٢٥٠٥٨م٢)، والمسبح الأولمبي.ومساحته تقدر بـ (٧٩٤٤م٢)، والصالة الرياضية الرئيسية ومساحتها (١٠٤٧٨م٢)، وبيت الشباب، والمسجد، ومواقف سيارات، ومرافق معمارية أخرى عديدة. ويعد نادي الوحدة من الأندية السعودية الجيدة[٢]. وقد زرت إدارة تعليم مكة، وعمادة شؤون الطلاب في جامعة أم القرى بهدف مقابلة بعض المسؤولين لتزويدي بمادة علمية عن الألعاب والأنشطة الرياضية في الجامعة ومدارس التعليم العام. وحصلت من بعض هذه الإدارات على سجلات وتقارير تعكس بعض الرياضات لطلاب التعليم العام والجامعة. وتأكد لي أن في وزارتي المعارف، والتعليم العالي سابقاً، ثم وزارة التعليم حالياً لوائح وقواعد وتنظيمات ترسم خطط الأنشطة الرياضية في الجامعات والمدارس. وقرأت الكثير من المباريات والأنشطة الرياضية المختلفة التي تم تنفيذها وأشرفت عليها إدارة تعليم مكة، وعمادة شؤون الطلاب بجامعة أم القرى منذ العقد الثاني في هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) إلى العام الماضي(١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) [٣].

---

(١) هناك عشرات الكتب والبحوث ومئات الوثائق التي تبين فضل مكة والمكيين على تأسيس وتطوير المؤسسات الإدارية الحديثة في الحجاز أولاً، ثم في بقية مناطق المملكة العربية الرئيسية. وهذا الموضوع جدير بالاهتمام من قبل المؤرخين والباحثين الجادين، أرجو أن تدرس كل منطقة في المملكة وصلاتها الإدارية والحضارية بمكة خلال العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م). ومن يقوم بإنجاز هذا العمل فسوف يُطلعنا معاشر الباحثين على مادة علمية قيمة وجديدة ٠

(٢) مدينة الملك عبدالعزيز الرياضية بمكة، ونادي الوحدة مجالات بحثية جيدة، أرجو من مؤرخات ومؤرخي مكة أن يدرسوا هذه الموضوعات في أعمال علمية عميقة وجيدة.

(٣) تاريخ الرياضة الحديثة في مكة موضوع كبير وجديد في بابه، وهناك الكثير من التقارير والإحصائيات، والكتيبات، والسجلات، والوثائق في أراشيف الجامعة وإدارة التعليم في مكة. آمل أن نرى طالبة أو طالب دراسات عليا يتخذه موضوعاً لإنجاز رسالة دكتوراه.

٥- نلاحظ في وقتنا الحاضر تراجع ثم اختفاء جميع الألعاب الرياضية التقليدية القديمة، وسبب ذلك التحضر والمدنية العمرانية والحضارية الذي تعيشه البلاد. كذلك الألعاب الرياضية الحديثة، التي كانت تمارس في الأحياء السكنية، والملاعب الخاصة أو الشعبية تراجعت بنسبة كبيرة مقارنة بما شاهدته في العقود الثلاثة الأولى من هذا القرن (١٤٠٠- ١٤٣٠هـ/ ١٩٨٠-٢٠١٠م)(١). وبقي نادي الوحدة، وأنشطة الجامعة والمدارس (الرجالية والنسائية) تمارس أنشطتها السنوية حسب الخطط المرسومة لها من الجهات الرسمية المسؤولة في هذه المؤسسات الإدارية التعليمية(٢).

٦- من يدرس التاريخ التقني الحديث يجد له الكثير من الآثار السلبية والإيجابية، ومن يسخره للاتجاه النافع أو الضار يجد بغيته. وللشبكة العنكبوتية (الإنترنت) أثر كبير على حياة الناس الحركية والرياضية. فمن خلال وسائل الاتصال والتواصل ظهر الكثير جداً من الألعاب الإلكترونية. وقد كنا نشاهد في العقود الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) برامج الكرتون في التلفزيون السعودي، وتطور البث التلفزيوني، وتعددت القنوات والبرامج الفضائية العربية وغير العربية، ثم اتسع المجال أكثر مع الفضاء المفتوح عبر الإنترنت، وأصبحت الأجهزة الإلكترونية مليئة بالألعاب الكثيرة والدخيلة على مجتمعاتنا، وصار الأطفال (ذكوراً وإناثاً)، وحتى الشابات والشباب، وأحياناً كبار السن يقضون ساعات طويلة على هذه الألعاب من خلال جوالاتهم، وأجهزة إلكترونية أخرى عديدة. ونتج عن ذلك آثار سلبية عديدة، اجتماعية، وأسرية، وأخلاقية، وثقافية وفكرية، وصحية، واقتصادية وغيرها. وهذه المشاكل ليست محصورة على المجتمع المكي، إنما هي مشكلة عامة شاملة لكل الأجناس البشرية على وجه الكرة الأرضية(٣).

---

(١) هذا الذي عرفته وعاصرته أثناء رحلاتي وأسفاري من منطقة عسير إلى مكة المكرمة منذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر.

(٢) اطلعت على عدد من التقارير السنوية في جامعة أم القرى وإدارة تعليم مكة، ورأيت فيها الكثير من التفصيلات عن الأنشطة الرياضية في بعض مدارس مكة وكليات الجامعة من عام (١٤٢٠-١٤٤٣هـ/١٩٩٩-٢٠٢١م).

(٣) أجلس في مجالس عامة وخاصة كثيرة، وأشاهد بين أفراد الأسرة الواحدة في السيارات، والأسواق، والمطاعم، والحدائق والمنتزهات. كما أرى بعض الأطفال والشباب في المساجد، وفي بعض الجلسات أو المجالس الرسمية. والغالبية تراهم يشتغلون بجوالاتهم يشاهدون ألواناً وأشكالاً من البرامج المختلفة، وقد تكون الألعاب الرياضية جزءاً مما يشاهدونه، وبعضهم يقضون ساعات طويلة في لعب بعض الألعاب الإلكترونية الفردية أو الجماعية. وصدرت الكثير من الدراسات العربية والأجنبية حول الإنترنت وتسخيره في البرامج الضارة للفرد أولاً، ثم للمجتمعات الصغيرة والكبيرة. ونحن في المملكة العربية السعودية علينا مسؤولية كبيرة للعمل على استخدام التقنية في كل عمل مفيد للأفراد والجماعات، ولجميع الجهات والمؤسسات العامة والخاصة.

أما الفنــون الشعبية ووسائل التسلية فذلك مجال واسع مارسه المكيون عبر عصور التاريــخ. وكما ذكرت سابقــاً، تنوع السكان وأجناسهم وفئاتهــم في محافظة مكة أوجد تبايــنات عديدة في فنــون الناس الطربيــة والترفيهية. والعرضــة والرقصات والألعاب الغنائيــة النسائيــة والرجاليــة موجــودة ومذكــورة عند قبائــل مكة منذ القــدم، وعند العناصــر البشريــة التي وفدت إلى مكة من داخل شبه الجزيــرة العربية وخارجها منذ قرون وعقود عديدة[١].

في زيارتــي الأخــيرة لمكة، وفي رحــلات عديدة سابقــة بذلت بعض الجهــود للعثور علــى دراســة تفصيلية مستقلة عن تاريــخ الفنون والألعاب الشعبية، وهــذا لا يعني أنها غــير موجودة. واطلعت على عــدد من الكتب والرسائل الجامعية عن الحجاز في القرون الإسلامية المختلفة فوجدت فيها بعض التوثيقات المختصرة عن فنون وتسليات حجازية خــلال بعض العصور والعقــود الإسلامية. وعندمــا نحصر البحث علــى الستين عاماً الماضية (١٣٨٢ــ ١٤٤٤هـ/١٩٦٢ـــ٢٠٢٢م) نرى الأمور أكثر ضبابية مع سهولة ووفرة المادة العلمية الخاصة بهذه الحقبة الزمنية[٢].

حضــرت في العشرينيــات والثلاثينيــات من هــذا القرن (١٥هــ/٢٠م) مناسبات زواج لبعض الأصدقــاء والزمــلاء السروييــن في مكــة، فكانــت الترتيبــات في قصــور الأفــراح التجارية، ويأتي الضيوف حسب العادة ويأخذون مجالسهم في الصالات المعدة للجلوس، وأحيانا قبل العشاء أو بعده تمارس فنون العرضة الشعبية، وتقال فيها الأشعار والمحــاورات الأدبية المتفاوتة في الموضوعــات، ومقاطع الكلام والقصائد. وعندما تنظر إلى الحاضرين تجدهم من قبائل وأسر عديدة داخل مكة وخارجها، ويتضح لك التداخل والتقارب بين العديد من سكان مكة، سوءا كانوا من قبائل شبه الجزيرة العربية، أو من الأجناس العربية والإسلامية الوافدة من خارج البلاد[٣].

(١) مــن يطلــع على مصادر الــتراث الإسلامي المبكــرة والوسيطة يجدهــا لا تخلو من شذرات عــن فنون أهل مكــة الشعبية ووسائل تسليتهم داخل البيوت وخارجها. وجاءت كتب ومراجع متأخرة خلال القرون الثلاثة الماضيــة (١٢ــ ١٤هـ/١٨ـ٢٠م) فدونــت شيئاً من هذا الــتراث في مناسبات الناس العامــة أثناء مواسم الحج، وشهر رمضان، والعيدين، وذكرت بعض الأشعار والأهازيج التي تقال خلال ممارسة بعض الألعاب والفنون الشعبية.

(٢) تحدثــت مــع بعض الأساتــذة الأكاديميين في جامعة أم القــرى وجامعات أخرى سعودية عــن أهمية توثيق تاريخنــا المعاصــر في كل الجوانب، فوجــدت أغلبهم يرى عدم أهمية ذلك، وبعضهــم يقول: ما هو الجديد الــذي يستحــق الكتابة والتوثيق في العقــود الماضية المتأخرة؟ وهذه للأسف وجهــة نظر قاصرة، فالواجب علينا كباحثين ومؤرخين أن نكتب ونوثق ما يمكن تدوينه من تاريخنا الحاضر، وإذا فعلنا ذلك فسوف ننقل لأجيالنا القادمة صفحات حقيقية من تاريخنا المعاصر.

(٣) في الوقــت الحاضــر زادت نسبة التداخل والاندماج بــين السكان، وهذا من فضل الوحــدة والتلاحم الذي

وأخبرتني بعض القرويات الساكنات في محافظة مكة أن فنون النساء الطربية والغنائية أكثر تنوعاً، فبعضها من فنون أهل مكة الرئيسية، وأخرى مستوردة من مناطق وبلدان داخلية وخارجية. والملاحظ على فنون النساء الشعبية في أرجاء البلاد السعودية، أنها متأثرة ببعض الأغاني والرقصات العربية والأجنبية، ودخلت عليها أنواع عديدة من الموسيقى والشيلات الغنائية الداخلية والخارجية. ودعيت لبعض اللقاءات الاجتماعية عند بعض الإخوان المكيين، وشاهدت أداء بعض المقامات والفنون الغنائية المكية الأصيلة، وقد استمتعت كثيراً بما رأيت وسمعت. وذكر لي بعض الزملاء المكيين الذين عرفتهم وزاملتهم أثناء دراسة الماجستير والدكتوراه، ومازالت علاقاتي معهم جيدة حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) بأسماء بعض الأعلام المشهورين والمبدعين في أداء بعض الفنون المكية الشعبية، وأغلبهم ماتوا (رحمهم الله)، وقليل جداً منهم أصبحوا كباراً في السن، ومازالوا على قيد الحياة[١].

من الفنون الترويحية الروحية تعود بعض الأفراد والأسر في حاضرة مكة وما حولها من المدن الحجازية، الذهاب إلى الحرم في عطلة نهاية الأسبوع فيؤدون الصلوات في المسجد الحرام، ويتبضعون من الأسواق المحيطة بالحرم، وأحياناً يبقون يوماً أو يومين على هذه الحالة. وفي الإجازات الطويلة يأتي من أنحاء المملكة بعض الأفراد والجماعات للغرض نفسه وأداء مناسك العمرة. ورأيت شركات استثمارية في أرجاء البلاد تنظم حملات للعمرة في الإجازات الأسبوعية والموسمية، وتتولى نقل الراغبين في زيارة المسجد الحرام، والقيام على شؤونهم من مقراتهم الرئيسية حتى عودتهم إليها مقابل مبالغ مالية يسيرة[٢].

في رمضان والعيدين الإسلاميين (الفطر، والأضحى) ترى أهل مكة وغيرهم يحرصون على الحضور إلى المسجد الحرام وساحاته من أجل أداء صلاة التراويح، والبعض يجتهدون البقاء في مكة، أو المجيء إليها أثناء صلاة العيد، ويجدون ذلك من باب التسلية والعبادة في وقت واحد. وقد زرت الحرم أيام كثيرة في شهر رمضان،

تعيشه مجتمعات المملكة العربية السعودية. وأعتقد مع النمو الحضاري الذي تسير فيه البلاد حالياً، فالانصهار السكاني سوف يزيد وتشتد اللحمة الوطنية أكثر فأكثر.

(١) أكثر من أربعين عاماً، وأنا أسير في مناكب السروات وتهامة وحواضر الحجاز الكبرى، وأسجل بعض التواريخ الحضارية التي عاشها الناس ومازالوا يعيشونها حتى الآن. ووجدت في بعض المجالات البحثية التنموية رواداً وأعلاماً كانوا أصحاب الفضل في تأسيس وبناء الأسس الأولى لبعض القطاعات، أو المؤسسات أو الثقافات والحضارات، ومع تقادم الزمن لم يعد أحد يذكرهم وفضلهم على أهلهم وبلادهم، وهذا في رأيي من باب الجحود عند الأجيال المتأخرة، وبخاصة من عرفوا شيئاً جيداً عن آثار أولئك الأوائل الماجدين. والمؤرخون والباحثون ينالهم ويشملهم نسبة كبيرة من القصور واللوم في هذا الباب.

(٢) أشاهد هذه الخدمة من العقد الأول في هذا القرن، وقد ذهبت مع إحدى الحملات من أبها إلى مكة لمدة ثلاثة أيام، وكانت رحلة سهلة في السفر والنفقات.

وصليت العيدين مع المسلمين، وشاهدت فرح الناس واستبشارهم بهذه الأنشطة الدينية، وما يصاحبها من تقاليد وعادات مكية[١].

قـرأت وسمعـت من بعض المكيين أسماء أماكن للاستجمـام في محافظة مكة. وكانت بعضها وسط المدينة وفي أطرافها القريبة قبل التوسع العمراني الكبير الذي تعيشه البلاد. كمـا شاهـدت الكثير من الأفـراد والأسر الذين يخرجـون إلى المشاعـر المقدسة (عرفة، ومزدلفة) وما حولها، أو يذهبون إلى بعض الحدائق الحديثة في أرجاء الحاضرة، ومازالت محدودة وقليلة مقارنة بمدن الحجاز الأخرى كالطائف وجدة. وهناك العديد من الأسواق التجاريـة التـي تراها مليئة بالبشر من بعـد الظهر إلى منتصف الليـل، والناس وبخاصة النسـاء والأطفال يقضون فيها ساعـات طويلة يمشون ويأكلون ويشربـون. ومؤخراً فتحت محلات للسينما في بعض الأسواق، وهناك من يتردد عليها ويشاهدون البرامج السينمائية المتنوعة. وفي بعض الأحياء المكية أماكن عديدة لرياضة المشي، وقد شاهدت بعضها مليئة بالناس أثناء رحلتي الأخيرة في نهاية عام (١٤٤٣هـ) وبداية عام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م).

ونجـد وسائل التواصل الاجتماعي تنشـر بعض الفنون الشعبيـة، ووسائل للترويح والتسليـة، ويتخللهـا بعض الأناشيد، والأشعار، والأهازيـج الطربية الحجازية، وأخرى مـن ثقافات عربيـة وإسلامية وأجنبية تصـدر عن طريق بعض المغرديـن، أو مشاهير الفنـون الاجتماعيـة التقنيـة. وأصبح هناك فنـون وثقافات كثيرة، داخليـة وخارجية، ويستطيـع أي إنسـان سماعها ومشاهدتهـا، وأحيانـاً يتأثر بها، وينقلهـا إلى غيره من الأفراد والمجتمعات[٢].

و- نماذج من الأمثال الشعبية، والمفردات والاصطلاحات اللغوية :

سافـرت وتنقلت في بلـدان عديدة داخل شبه الجزيـرة العربية وخارجها، ووجدت ميـاديـن كثيرة من التراث الشعبي مثل: الأمثال الشعبية، والمفردات واللهجات، والفنون

---

(١) يوجـد العديد مـن المصادر والمراجع التي أشارت إلى بعض الأعراف والعـادات التي يمارسها الناس أثناء مواسـم الأعياد في محيط الحـرم، وفي بعض الأحياء المكيـة. وهذا الموضوع الحضاري مـازال يستحق أن يدرس في عدد من البحوث العلمية منذ بداية القرن (١٢هـ/١٨م) إلى وقتنا الحاضر.

(٢) كل الـذي وثقتـه في هذا المحـور (الفنون الشعبيـة، ووسائل التسليـة والألعاب الرياضية) فقـط إشارات قليلـة ومحـدودة. وهذا المجال كبير ومتشعـب وجدير أن يُدرس في كتب ودراسات كثـيرة. آمل أن نرى من مؤرخـي أهـل الحجاز من يتـولاه بأعمال توثيقية جـادة وتفصيلية. كما أرجو أن يقوم بعـض أساتذة اللغة بجمع ودراسة مفردات الغناء والفنون الطربية في حواضر الحجاز وبواديها، وكذلك الاصطلاحات اللغوية المستخدمة مع الرياضات القديمة والحديثة. ومن المؤسف أن الكثير من الألفاظ التراثية بجميع القطاعات والميادين الحجازيـة اندثرت، وصارت أجيال اليوم لا تعرف عنها أي شيء، ومن يعكف على دراسة وتوثيق هذا الموضوع الحضاري فسوف يسدي لنا معاشر الباحثين فضلاً كبيراً.

المعرفيــة المحلية. وهي من المصادر المهمة لدراسة وتوثيق تاريخ عامة الناس وخاصتهم في أي بيئـة أو مجتمـع صغيراً أو كبيراً. وبـلاد الحجاز (مكة المكرمـة، وجدة، والمدينة المنـورة) ومـا حولها من أكبر وأكـثر المجتمعات المليئة بالتراث الأدبـي والإنساني. وإن بحثنـا في مصادر الـتراث العربي الإسلامي المبكر والوسيـط وجدنا فيه مقتطفات من أدب وتراث الحجازيين المحلي، والإقليمي، والعالمي[١].

في العصر الحديث زادت أعداد الدراسات الأدبية والحضارية عن حواضر الحجاز الكبرى. وصدرت عشرات البحوث باللغة العربية، ولغات أخرى إسلامية وأجنبية، وفيها إشارات إلى الألفاظ، واللهجات، والأمثال الشعبية الحجازية[٢]. وللرحالة والمستشرقين الغربيين إسهامات في هذا الباب. فنجد سنوك هورخرونيه أثناء زيارته وإقامته في مكة المكرمة في نهاية القرن (١٣هـ/١٩م) ينجز دراسة علمية جيدة جمع فيها مئات الأمثال العربية، والألفاظ والاصطلاحات اللغوية مع ترجمتها وشرحها وتقديمها بدراسة لغوية أدبيـة قيمـة[٣]. ومن يبحث في كتب الرحـلات إلى الحجاز العربية وغـير العربية يجد مـادة علمية متفرقة وجيدة عن لهجات أهل الحجـاز وفنونهم وأمثالهم الأدبية العربية والعاميـة. ولا نستغـرب أن تكون مكة المكرمة والمدينة المنـورة وبلاد الحجاز عامة عالم واسع من الثقافة والأدب والفكر، وكيف لا تكون كذلك وهي قبلة المسلمين، ومهوى جميع العـرب والمسلمين في أرجاءٍ المعمورة. فتراها في حركة إنسانية دائمة من أهلها المحليين والوافديـن إليهـا حجاجاً ومعتمرين مـن كل مكان في العالم، ولكل منهـم تراث وثقافة خاصة وعامة، ويجري بينهم تداخلات وتقارب وتأثر وتأثير حضاري في شتى الجوانب. هـذا الذي عاصرته وشاهدته وسمعـت عنه خلال الخمسين عاماً الماضية وأنا أتردد في زيارات ورحلات مستمرة لمكة المكرمة، ولمدن الحجاز الأخرى [٤].

---

(١) اطلعـت على عشرات المصـادر التاريخية واللغوية، وعلى مئـات البحوث والدراسـات والرسائل الجامعية فوجـدت في بعضهـا مادة علمية موثقة عن الحياة الاجتماعية عبر عصـور التاريخ الإسلامي، ومن محاور هذا التاريخ لمحات من الاصطلاحات اللغوية، والأمثال الشعبية الحجازية.

(٢) مـن يبحث عن مـواد علمية منشورة في هذه المجالات فإنه يجد الكثير مـن الدراسات العربية، والعثمانية، والهنديـة، والأجنبيـة وغيرها، وفيها توثيقات عـن حياة المكيين الاجتماعية مثل الفنـون والأمثال المحلية، واللهجات والمفردات الاصطلاحية.

(٣) انظـر دروز، جامعـة ليدن والدراسـات العربية، خلاصة بحـث منشور في مجلـة (Islamic Review)، ترجمـه مـن اللغة الإنجليزية إلى العربية السيد أحمد علـي، ونشر في (مجلة الحج) العدد (١٢)، السنة (١٣٧١هـ)، ص ٣٤- ٤٠.

(٤) أصـدرت خـلال الثلاثـين سنة الماضيـة بضع دراسات عـن بلاد الحجـاز في القرون الإسلاميـة المبكرة، والوسيطـة، والحديثـة، والمعاصـرة، وجميعها مطبوعة ومنشـورة. ومازلت أواصل بعض بحوثي عن جدة والمدينتين المقدستين (مكة المكرمة، والمدينة المنورة) في العصر الحديث والمعاصر. آمل أن أتمكن في قادم الأيـام من جمـع كل دراساتي المنشورة والتي مازالت في طريقها للطباعـة والنشر في أعمال علمية موحدة تحت عنوان عام عن حواضر الحجاز الكبرى.

اطلعت على بعض الكتب والدراسات التي ناقشت الأمثال العامية وأحياناً العربية في الحجاز أو بلدان أخرى من شبه الجزيرة العربية، وهناك بعض البحوث التي وثقت عشرات الأمثال والمفردات أو الاصطلاحات اللغوية المكية أو الحجازية، ومن هذه المراجع ما يلي:

١- دون محمد عمر رفيع في كتابه : **مكة في القرن (١٤هـ)**، حوالي عشرين صفحاته اشتملت على تفصيلات جيدة عن بعض المفردات والاصطلاحات التي يقولها المكيون، وذكر العديد من الأمثال الشعبية المعروفة عند أهل مكة وغيرهم[1].

٢- أحمد السباعي، **الأمثال الشعبية في مدن الحجاز**، صدر في مطلع هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م)، وتحتوي هذه الدراسة على مئات الأمثال المتداولة في مكة وغيرها من بلدان المملكة العربية السعودية.

٣- حسين عبدالله محضر. **الأمثال العامية في مكة**، هذا الكتاب صدر نهاية القرن الهجري الماضي، وجمع المؤلف أكثر من (٨٠٠) مثل شعبي متداولة في أرض الحجاز وبخاصة في محافظة مكة.

٤- فريد عبدالحميد سلامة. **معجم الأمثال الشعبية في مدن الحجاز (مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وجدة)**، صدر هذا السفر الجيد في بداية الثلاثينيات من هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م). والمؤلف بذل غاية جهده في جمع آلاف الأمثال الشعبية، والألفاظ والاصطلاحات، والأبيات الشعرية، والأقوال والحكم الموجودة في بلاد الحجاز، وكثير منها معروفة عند أمم وبلدان أخرى داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.

٥- هناك كتب أخرى صدرت وفيها صفحات أو فصول عن الحياة الاجتماعية في الحجاز مثل اللهجات المحلية، والأمثال الشعبية، ومن تلك الدراسات : (أ) محمد علي مغربي. **ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن (١٤هـ)**. (ب) محمد ناصر العبودي. **معجم الكلمات الدخيلة في لغتنا الدارجة**. (ج) عبدالرحمن عسيري وآخرون. **الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية**. (د) محمد صادق دياب، الأمثال العامية في الحجاز، احتوت هذه الدراسة على أكثر من (٢٥٠) مثلاً شائعاً في الحجاز. (هـ) فتحية حسين عبدالغفور عطار. **عامية مكة ومدى قربها من الفصحى**. هذا الكتاب دراسة جيدة احتوت على حوالي ألف مصطلح أو لفظ مع شرح معانيها، وأصول بعضها في معاجم اللغة العربية الرئيسية، أو صلتها ببعض اللغات الأخرى كالعثمانية، والفارسية وغيرها.

---

(١) هناك العديد من الألفاظ التي ذكرها رفيع، وهي إلى حد ما خاصة بأهل مكة. أما الأمثال التي أوردها فهي منتشرة في حواضر الحجاز وغيرها من البلدان داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها.

زرت بعض المكتبات المركزية في المملكة العربية السعودية مثل: مكتبات جامعات أم القرى، والملك عبدالعزيز، والملك سعود، والملك خالد، ومكتبات مركز الملك فيصل، والملك عبدالعزيز العامة، والملك فهد الوطنية ووجدت فيها العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه، أو بعض المجلات العلمية المحكمة وتحتوي على موضوعات لغوية وأدبية عن مكة المكرمة، أو الحجاز ومنها فصول أو صفحات عن الأمثال الشعبية، والمفردات والاصطلاحات اللغوية[١].

الحديث عن مجال اللهجة المكية والأمثال الشعبية لا يمكن اختصارها في فصول أو صفحات محدودة، وإذا كان بعض المؤلفين في العصر الحديث مشكورين دونوا لنا العديد من الكتب والدراسات في هذا الميدان، فهم بذلوا جهودهم، وقدموا لنا نتاجهم العلمي حسب قدراتهم، لكن هذا المجال مازال يحتاج إلى تضافر جهود الجامعات المحلية ومراكز أبحاثها، والواجب عليها أن تكون فرق عمل متخصصة لدراسة اللهجات المحلية الحجازية، وأمثالها العامية وعلاقتها بالأمثال العربية الفصيحة منذ عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر. والذي جعلني أنادي بهذه التوصية يعود لأهمية الحجاز وتحديداً حاضرة مكة المكرمة التي عرفت وعاش فيها الكثير من القبائل والعشائر والأسر العربية، ناهيك على تاريخها وصلاتها مع شعوب العالم وبخاصة المسلمين الذين هم على اتصال دائم بها في صلواتهم وعباداتهم، ومنهم الكثير من البشر الذين زاروها عبر القرون الإسلامية المختلفة لأداء مناسك الحج والعمرة. وكل هذه الصلات البشرية مع مكة المكرمة وبخاصة المسجد الحرام، أوجدت علوم وثقافات وحضارات متعددة ومتنوعة في اللهجات، وجميع المجالات الإنسانية الحضارية الأخرى[٢].

إذا توقفنا مع لهجة أهل مكة في العصر الحديث والمعاصر فإنها امتداد لتاريخ قديم وطويل، لكثرة ما يتردد عليها من شعوب الأرض كل عام لأداء فريضة الحج، ولا ننسى الأحداث والحكومات السياسية الداخلية أو الخارجية التي مدت نفوذها عليها، وما تحمله من توجهت وثقافات ومعارف، وأيضاً تنوع سكان هذه الحاضرة من الأمم والقبائل العربية

---

(١) ضمن تلك الأعمال العلمية دراسات مخصصة لمدن الحجاز الرئيسية (مكة، والمدينة، وجدة)، وبعضها محدودة على مدينة واحدة، وحاضرة مكة حظيت بنصيب جيد من تلك البحوث العلمية .

(٢) إن المجتمع المكي عبر أطوار التاريخ من المجتمعات النشطة جداً فهو دائم الحركة في جميع مجرياته العامة والخاصة. والذي جعله هكذا مجاورته للكعبة المشرفة والمسجد الحرام. ومن يقرأ عن هذه المدينة المقدسة منذ عصور ما قبل الإسلام، ثم بداية نزول الوحي على الرسول الكريم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب (عليه أفضل الصلاة والسلام)، ثم تاريخ الإسلام والمسلمين السياسي والحضاري منذ بداية التاريخ الهجري حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) يجد أن هذه المدينة (مكة المكرمة) كانت، ومازالت، وسوف تبقى قلب الكرة الأرضية وبخاصة لمن يدين بدين الإسلام في أرجاء المعمورة، وإذا كانت بهذه المنزلة الدينية والحضارية العظيمة، فلابد أن تكون من أعظم المخازن المعرفية والثقافية والحضارية.

داخل شبه الجزيرة العربية، ومن الأجناس البشرية الخارجية المتفاوتة والمتنوعة في مواطنها الأصلية، وما عرفته وتعلمته من علوم وثقافات وحضارات خلال رحلاتها البشرية، وهذا بدون شك ولد لهجات واصطلاحات وأمثال شعبية محلية حجازية. وفي الصفحات الآتية أرصد بعض مشاهداتي وانطباعاتي في الحجاز تحديداً محافظة مكة المكرمة خلال العقود الخمسة الماضية، وأوثق ذلك في عدد من النقاط على النحو الآتي:

أ- إذا جلست مع بعض المكيين الذين يعيشون وسط المدينة وقريباً من المسجد الحرام، أو حتى في بعض مدن الحجاز الرئيسية الأخرى فهناك من يقلب القاف كافاً مثل: كلت له أولها، بدلاً من قلت لها أوله، وينطقون الدال بدلاً من الذال مثل: ذالك، أو ذالكم، أو هذا تنطق عند الكثير من المكيين وغيرهم من أهل الحجاز دالك، ودالكم، وهدا. ويقلبون الثاء سيناً مثل حثيث تنطق حسيس، وكثير ـ كسير. وتقلب الثاء إلى تاء وأحياناً سين مثل عثمان ـ عتمان أو عسمان. ويشبكون بعض الحروف في بعضها، وأحياناً يضيفون حرف أو حرفين في آخر بعض المفردات مثل قلت له ينطقونها قلتلو. ورحت له، أوجئت له تنطق رحلتوا وجيتلوا. ونجد بعض المراجع الآنف ذكرها في فقرات سابقة توثق مئات المفردات والاصطلاحات اللغوية السائدة والمتداولة بين الحجازيين وأهل مكة في مقدمتهم[1].

ب- سمعت ورأيت عشرات اللهجات والاصطلاحات الكلامية في المسجد الحرام وما حوله من الأحياء من أجناس بشرية كثيرة جاءت إلى مكة لأداء شعائر الحج والعمرة، ولغاتهم الرئيسية عربية وغير عربية. وأغلبهم يتعاملون مع غيرهم من المكيين أو الزوار والحجاج الآخرين بلهجة عربية مكسرة، وأحياناً يصعب على السامع فهم كلامهم. وهناك من لا يستطيع الحديث بالعربية، فتراهم يعانون في قضاء حوائجهم العامة والخاصة أثناء اتصالهم بالأجناس البشرية الأخرى. وتمتد هذه المشكلة إلى العناصر البشرية الأعجمية الأجنبية التي وفدت إلى مكة وغيرها من مدن وقرى المملكة العربية السعودية بهدف العمل في حرف وقطاعات اجتماعية واقتصادية عديدة. وهذه الشريحة من الناس يعانوا في الشهور الأولى من قدومهم إلى السعودية، لكن بعد ممارسة أعمالهم واحتكاكهم بالمجتمع تجدهم يستطيعون التحدث بالعربية العامية التي يشوبها الكثير من التحريفات، والحذف والإضافة في الحروف والمعاني، ومن ثم ترى الأجناس العربية ومنهم

---

(١) مازالت موضوعات اللهجات المحلية في الحجاز وغيرها من بلدان شبه الجزيرة العربية مجال واسع يستحق أن يصدر عنه مئات الكتب والدراسات العلمية، وهذه مسؤوليات وواجبات الأقسام العلمية اللغوية والأدبية في جامعاتنا السعودية والعربية، أرجو أن تقوم هذه المؤسسات العلمية الأكاديمية بواجبها تجاه دراسة اللغة واللسانيات في أوطاننا المحلية.

النساء والرجال السعوديين يحاورون ويجارون هذه العمالة الأجنبية الوافدة في كلامهم ولهجاتهم العربية المكسرة التي استحدثوها وتعلموها، ثم نشروها بين فئات المجتمع المختلفة[١].

ج- من خلال ترددي على حاضرة مكة شاهدت الكثير من الأفراد والأسر السعودية التي وفدت إلى هذه المدينة المقدسة بهدف الحج والعمرة، ثم البقاء هناك فترات متفاوتة. وهناك فئات أخرى جاءوا إلى مكة منذ زمن للعمل في قطاعات حكومية وأهلية، أو للدراسة في مدارس وكليات وجامعات منطقة الحجاز، ومنهم بعض الأسر التي انتقلت من مواطنها الرئيسية في السعودية للعيش والمجاورة للمسجد الحرام، وتراهم جميعاً مازالوا يمارسون حديثهم بلهجات بلادهم وعشائرهم الأصلية، ولبعضهم بنين وبنات ولدوا وتربوا في حواضر الحجاز الكبرى فأخذوا من لهجة سكان مدنهم وقراهم الأولى، كذلك أثروا وتأثروا بلهجة المكيين، أو الحجازيين بشكل عام[٢]. والوضع نفسه مع بعض الأجناس العربية الأخرى التي جاءت حديثاً، أو استوطنت مكة منذ زمن، وعاشوا وتداخلوا مع المكيين، وأثروا وتأثروا بهم في مجالات عديدة، والمفردات واللهجات والاصطلاحات اللغوية من المظاهر الحضارية التي شملها هذا التأثير[٣].

د- للأسف أن البحوث العلمية المعاصرة الخاصة بدراسة حياة الناس اليومية في أرجاء المملكة العربية السعودية ومنها اللهجات المحلية والاصطلاحات اللغوية، والأمثال، والحكم، والفنون الشعبية المحلية، وغيرها من المظاهر الحضارية لعامة

---

(١) إن دراسة لهجة العمالة الوافدة باللغة العربية في أرجاء المملكة العربية السعودية من المجالات الحضارية الحديثة التي عرفها المجتمع السعودي وانتشرت بنسبة كبيرة في أرجاء الوطن خلال العقود الستة الماضية (١٣٨٥-١٤٤٤هـ/١٩٦٥-٢٠٢٢م)، ولا أجد هناك الاهتمام الكثير لبحث ودراسة هذا الميدان، مع توضيح الآثار السلبية على الثقافة واللغة العربية، أرجو من جامعاتنا المحلية وبخاصة كلياتها والأقسام المتخصصة أن تعكف على دراسة وتحليل وتوثيق مثل هذه الموضوعات الحضارية المعاصرة.

(٢) أثناء تجوالي في أحياء مكة المختلفة رأيت الكثير من سكانها جاءوا من بلدان السروات وتهامة، ومن مناطق نجد، والشمال، والقصيم، والشرقية، وصاروا من نسيج المجتمع المكي، وتداخل الكثير منهم مع المكيين في جوانب عديدة من مظاهر الحياة الاجتماعية والتعليمية والثقافية والاقتصادية وغيرها.

(٣) رأيت أثناء تنقلي في أحياء مكة القديمة والحديثة من يتحدث أحياناً باللهجة المصرية، أو الشامية، أو السودانية، أو لهجات بلدان شمال إفريقيا (تونس، والجزائر، والمغرب). أما العمالة الأجنبية كالأفغان، والبنجاليين، والباكستانيين، والهنود، والنيبال وغيرهم فهم كثيرون في أرجاء محافظة مكة ولهم لغاتهم ولهجاتهم. أما سكن شبه الجزيرة العربية من اليمن، والسروات وتهامة، ومناطق القصيم، والرياض، والشمال، والشرقية فترى الكثير منهم يترددون على المسجد الحرام، ومنهم أعداد غير قليلة يعيشون في حاضرة مكة وحواضر الحجاز الأخرى، ولهم لهجاتهم وأنشطتهم الاجتماعية والحضارية المتنوعة. وكل هذه الموضوعات ميدان رحب لإنجاز دراسات تاريخية حضارية جديدة وجيدة.

الناس غير مخدومة بحثياً وتحليلياً وتوثيقياً. وتعد من المجالات التاريخية المعاصرة والمهمـة والمتنوعة في شتى الميادين. آمل من مراكز أبحاثنا العلمية، ومن جامعاتنا السعوديـة ممثلة في أساتذتها وأقسامها الأكاديميـة المتخصص أن تشجع وتدعم إنجاز بحـوث رصينة عن هذه الموضوعات الحضارية المحلية، وإذا تم تشكيل فرق بحثية لخدمة هذا الميدان فذلك أفضل وأجدر(١).

٢ـ نبذة عن الحياة الإدارية والمالية :

إن التوثيـق للتاريـخ الإداري، والأمني، والمالي في مكة المكرمـة، أو حواضر الحجاز الكـبرى خـلال القرون الإسلاميـة المختلفة (ق١ـــ ق١٥هـ/ق٧ـــ ق٢١م) ورد في هيئة صفحـات، أو فصـول، أو كتب، أو بحـوث علمية متفاوتة في حقبهـا الزمنية، وعناوينها العلمية، ومؤلفيها من العرب والعجم. ومن يطالع فهارس المكتبات الداخلية والخارجية، العربيـة والأجنبية فإنه يجد مئات الدراسات القديمـة والحديثة التي احتوت على مواد علمية عن تاريخ بلاد الحجاز الحضاري (الإداري، والمالي، والأمني) (٢).

تعاقـب علـى إدارة (إمـارة) مكـة الكثير من الـولاة والأمراء منذ عصـر الرسول (ﷺ) إلى وقتنـا الحاضـر (١٤٤٤هــ/٢٠٢٣م) ولـكل وال (أمير) سـيرة وإنجازات وأحـداث وثقتها الكثير مـن المصادر الإسلاميـة المبكرة والوسيطـة والحديثة. وهناك دراسـات وبحوث حديثة متأخـرة أوردت تفصيلات أوسع عن التاريـخ الإداري والأمني والمـالي منـذ بداية القرن (١٥هــ/٢٠/٢١م)، وفي السطور الآتية أذكـر بعضاً من هذه المؤلفـات والبحـوث التـي اشتملت على شيء مـن التاريـخ الإداري الحديث في الحجاز وبخاصة حاضرة مكة المكرمة، وهي:

١- إسماعيل حقي جارشلي: **أشراف مكة وأمراؤها في العهد العثماني** (بيروت، ١٤٢٤هـ).
٢- حسين محمد نصيف. **ماضي الحجاز وحاضره** (القاهرة، ١٣٩٠هـ)
٣- بيغم ريزفان. **الحج قبل مائة سنة، الرحلة السرية للضابط الروسي، عبدالعزيز دولتشين إلى مكة المكرمة** (د. ت). وإن بحثنـا في كتب الرحالة العرب المسلمين، والأجانـب في أرجـاء العالم وجدنـا مئات الرحـلات والرحالين الذيـن زاروا مكة

---

(١) لم أوثـق هذا القـول اعتباطاً، لكنه خلاصة قراءات ورحلات وجـولات وانطباعات في حواضر ومدن وقرى كثـيرة في أرجاء السعوديـة. أرجو أن تجد هذه النداءات مؤسسات علميـة وتعليمية تدعمها وتترجمها إلى واقع عملي ملموس يخدم البحث والباحثين في أنحاء وطننا الغالي (المملكة العربية السعودية).

(٢) هـذا الذي اطلعت عليه وعرفته خلال الأربعين سنة الماضيـة (١٤٠٣ـ ١٤٤٤هـ/١٩٨٣ـ٢٠٢٢م)،وأنا أزور المكتبـات العامة والخاصة، الحكوميـة والأهلية في دول وبلدان عديدة من العـالم. ووجدت للمدن المقدسة (مكة المكرمة، والمدينة المنورة) ذكر جيداً في الكثير من المصادر والمراجع الأجنبية والعربية.

وكتبوا عنها خلال القرون الإسلامية المختلفة. وفي مدوناتهم ومشاهداتهم الكثير من التفصيلات للتاريخ الحضاري الحجازي، وللحياة الإدارية، والأمنية إشارات متفاوتة من رحالة لآخر[1].

٤- أحمد عبد الغفور عطار. **صقر الجزيرة (جزءان)** (ط١٣٩٢هـ، ١٣٩٧هـ).
٥- طالب محمد وهيم. **مملكة الحجاز(١٩١٦-١٩٢٥م) (دراسة في الأوضاع السياسية)** (البصرة، ١٤٠٣هـ).
٦- حافظ وهبة. **خمسون عاماً في جزيرة العرب** (القاهرة،١٣٨٠هـ).
٧- أحمد السباعي. **تاريخ مكة (جزءان)** (طبعات عديدة خلال القرن الهجري الحالي).
٨- إبراهيم عويض العتيبي. **تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز (دراسة تاريخية)** (الرياض، ١٤١٩هـ).
٩- إبراهيم عويض العتيبي. **الأمن في عهد الملك عبدالعزيز، تطوره، وآثاره** (الرياض، ١٤١٧هـ)
١٠- عبدالفتاح حسن أبو علية. **الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز** (الرياض، ١٤١٨هـ).
١١- عبدالحميد الخطيب. **الإمام العادل الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود (سيرته، بطولته، سر عظمته)** (الرياض، ١٤١٩هـ).
١٢- حسن عبدالله آل الشيخ. **التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية** (جدة، ١٤٠٤هـ).
١٣- فيصل محمد الحارث. **نشأة الأمن العام في المملكة العربية السعودية، وتأسيس وزارة الداخلية (ط١٤٢٣هـ).**

هذه نماذج محدودة من البحوث التاريخية الحضارية التي ذكرت مدونات وتحليلات عن التاريخ السياسي والحضاري الحديث في شبه الجزيرة العربية، وعن بلاد الحجاز (مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وجدة). وفي بعض المجلات العلمية العربية المحكمة، والرسائل الجامعية تفصيلات وإضافات جيدة عن مكة المكرمة، وغيرها من حواضر المملكة العربية السعودية.

ومما قرأته عن تاريخ محافظة مكة، وما سمعته وشاهدته في مجالات الأمن، والإدارة، والمال خلال الستين عاماً الماضية (١٣٨٤-١٤٤٤هـ/ ١٩٦٤-٢٠٢٢م)، أوثق شذرات من ذلك في الصفحات الآتية :

أ- تولى حكم مكة المكرمة خلال العصر الإسلامي الكثير من الدول، والإمارات، والأعلام. وجميعهم اجتهدوا في خدمة الحرمين الشريفين، لكن الظروف السياسية الداخلية والخارجية وأحياناً الصراعات الأهلية أو القبلية المحلية لا

(١) هناك مئات الكتب المطبوعة والمنشورة في أدب الرحلات، ومنها نسبة كبيرة فصلت الحديث عن بلاد الحجاز وبخاصة المدن المقدسة، والحرمين الشريفين بمكة والمدينة.

تساعد على توفير الأمن والاستقرار الاجتماعي والإداري، وذلك انعكس على حياة الحجــاج والمعتمرين الداخليين والخارجيين أثناء قدومهم إلى مكة، وأداء مناسك الحــج والعمــرة[١]. وكانت حيــاة زوار المسجــد الحرام من أنحــاء العالم محفوفة بالمخاطـر المتنوعـة (أمنيــا، وصحيــا، وطبيعيا وبشريــا، وماليا، وكـوارث أخرى عديدة)، وعند وصولهم إلى المدينتين المقدستين (مكة، والمدينة) يقابلون بعض المشاكل الآنف ذكرها، بالإضافة إلى صعوبة أداء مناسك حجهم وعمرتهم لفقدان السيطـرة الإداريـة والأمنية الكاملة علـى البلاد، وانتشــار الفوضى في كل مكان. فالحـكام والأمراء داخـل الحواضر يتفاوتون في سياساتهـم وحزمهم وصلاحهم لخدمــة الصالح العام للبلاد والعباد. وبقية السكان المحليين من القبائل في عموم بــلاد الحجاز تجدهم تكتلات منفصلة بعضها عن بعض، ودائما في حروب قبلية، والأقـوى يظلم الأضعف، والصراعات الأهلية لا تتوقف. والدول والقوى الإسلامية الخارجيــة في اليمن، والشام، والعــراق، ومصر وغيرها تراقب الحيــاة السياسية والبشريــة في مكــة المكرمــة والمدينة المنــورة، وبعضهــا تساهــم في الحصول على مكاســب شخصية، وأمراء الحجاز الأشراف كانوا على اتصال دائم مع بعض تلك الحكومــات الإسلامية الخارجيــة، وأحياناً مع دول أجنبيــة، وبعضهم لا يسعون إلا لخدمــة مصالحهم الذاتية، وهذا مما جعـل حياة النــاس غير مستقرة، شاملة لكل الطبقات الاجتماعية[٢].

ب- هكــذا كان وضــع حاضرة مكة المكرمــة والأراضــي الحجازية حتى ظهــور الإمام عبدالعزيــز بن عبدالرحمن الفيصل الذي قضــى حياته في توحيد المملكة العربية السعوديــة وفي مقدمتهــا أرض الحرمــين الشريفين (مكة، والمدينــة). والمصادر والمراجــع التاريخية فصلت الأحداث الحربية والسياسية قبيل وأثناء ظهور وتطور البــلاد السعودية. ومن أول وأهم أعمال الإمــام عبدالعزيز آل سعود العمل الجاد علــى بناء بلد آمــن خالٍ من الاحــتراب والصراعات الأهلية القبليــة، وتسهيل كل السبــل والوسائل للحجــاج والمعتمرين حتى يؤدوا مناسكهــم في أمن واستقرار[٣].

---

(١) ذكرت المصادر الحجازية، والكتب التاريخية القديمة والحديثة، وروايات ومدونات الرحالة المسلمين وغير المسلمين عبر أطوار التاريخ الإسلامي تفصيلات وشروحات كثيرة ومطولة عن فقدان الأمن والاضطرابات العسكرية والسياسية والحربية التي شهدتها بلاد الحجاز (مكة المكرمة، والمدينة المنورة وما حولهما) من القرن (٢ـ ١٤هـ/ق٨ـ ٢٠م).

(٢) مــا دونته خلاصة مختصرة جداً لحياة الحجازيين بشكل عام خلال القرون الإسلامية المختلفة. وللأسف كان الوضــع نفسه عند سكان الجزيــرة العربية قاطبة، لعدم وجود الحكومة القويــة الشاملة القادرة على بسط حياة الأمن والاستقرار من منتصف القرن الهجري الأول إلى منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٣) مــازال هناك الكثير من الوثائق العربية والأجنبية غير المنشورة، وفيها مادة علمية جيدة عن ضم الحجاز

أدرك الإمـام ابن سعود أن أرض الحجاز وبخاصـة مكة المكرمة عاصرت وعرفت الكثير من الأنظمة الإدارية والأمنية القديمة والحديثة بسبب موقعها الديني، وما مـر عليها من تحولات تاريخية وحضارية، عندئـذ قرر أن تكون القاعدة الرئيسية لتأسيس جميع مؤسسات الدولـة الإدارية، والمالية، والأمنيـة. واستعان بالكثير من الحجازيـين وبخاصة المكيين في بناء ونشـأة الإدارات الحكومية المدنية والعسكرية، الأهليـة والرسميـة. ومـن يطّلع على جريـدة أم القرى، وجريدة صـوت الحجاز في عصر الملك عبدالعزيز (يرحمه الله) يجدها مليئة بالأنظمة والقرارات الملكية التي تصـب في تأسيس الإدارات الحكومية المختلفة، ويظهر من تلـك القرارات وغيرها مـن المصادر التاريخيـة الأدوار المهمة التي قام بها بعض الأعلام المكيين في البناء والتطويـر للحياة الأمنيـة، والمالية، والإدارية ليس في مكـة أو الحجاز فحسب وإنما شملت جهودهم الحضارية التنموية جميع مناطق ومدن المملكة العربية السعودية[١].

ج- عنـد التوقـف مع تاريخ نشأة كل إدارة حكومية سعوديـة نجد معظمها بدأت في مكة المكرمـة ثم تطورت وتشعبـت إلى وزارات وإدارات عمومية. وكان الملك عبدالعزيز، وابنـه الأمير فيصل، نائبه في الحجاز، يتابعان ويوجهان باستمرار على الاجتهاد في بنـاء مؤسسات إداريـة حديثة تخدم الأرض والناس، وتوفر حيـاة آمنة مستقرة[٢]. كمـا أنهما بذلا ما في وسعهما على توفير وتطوير كل القطاعات والإدارات التي تقوم علـى خدمة زوار المسجد الحـرام من الداخل والخارج، وعلـى أداء مناسك حجهم وعمرتهم في أمـن وسلام. وكان للملك عبدالعزيز خطابات كثيرة يؤكد فيها لنفسه ولجميـع المسؤولين في دولته، وللشعب على تحكيم شـرع الله، والسير على توجيهات القـرآن الكـريم والسنـة النبويـة، ووجـوب التفـاني في خدمة الحرمـين الشريفين والاحتسـاب من الله (عز وجـل). وكان دائماً يحذر من الفوضـى والفتن الصغيرة والكبـيرة، أو الإخلال بالأمن في أي ناحية من بلاده، ومن يصدر منه أعمال مشينة فرديـة أو جماعيـة فإنه لن ينجو مـن العقاب. وهذا مما جعل الناس يعيشون في أمن

وتطويرها في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود ومن جاء بعده من الملوك (١٣٤٣-١٤٤٤هـ/١٩٢٤-٢٠٢٣م)، حبذا أن تدرس هذه الوثائق ويستفاد منها في إصدار بعض البحوث العلمية الجادة.

(١) إن دراسة الجهود الكبيرة التي بذلها بعض الأعلام المكيين أو الحجازيين في بناء الدولة السعودية الحديثة. موضوع كبير، لم يخدم بحثياً بشكل جيد، أرجو من الباحثين والمؤرخين الجادين أن يدرسوا إسهاماتهم في هذا المجال في حواضر الحجاز الكبرى أولاً، ثم في مدن وحواضر المملكة العربية السعودية الأخرى.

(٢) تاريـخ نشـأة المؤسسـات الإداريـة السعوديـة (القضائيـة، والتشريعيـة، والأمنيـة، والتعليميـة، والمالية، والعسكريـة، والصحية، ومعظـم القطاعات الخدماتية الحديثة) بدأت من مكـة المكرمة، واستمرت تتابع وتطور أعمالها من مراكزها الرئيسية في الحجاز وتشمل مسؤولياتها وفروعها بقية مناطق المملكة العربية السعودية خلال الفترة الممتدة من (١٣٤٤-١٣٧٣هـ/١٩٢٥-١٩٥٣م).

وسـلام، بعد أن كانـوا في صراعات وفتن مختلفة. وهذه الجهـود والإجراءات الإدارية التنظيميـة أخذت فترة من الزمن حتى استقر الناس في قراهم ومدنهم، وتوفر الأمن على طول الطرق، والأسواق، وفي كل ناحية من البلاد (المملكة العربية السعودية) [١].

د- إن البحـث فيما يتعلق بخدمة المسجـد الحرام والحجاج والمعتمرين في عصر الملك عبدالعزيز وأولاده الملوك والأمراء من بعده حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م). وثقت في عشـرات الكتب، والبحوث، والرسائل العلميـة الجامعية. وأنشئت العديد مـن الإدارات، ثـم الـوزارات، واللجـان، والقطاعـات الرسمية والأهليـة التي جل أعمالهـا ومنجزاتها خدمة الحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة (منى، ومزدلفة، وعرفـات)، وغيرها مـن المواقع التـي لها صلة بـزوار المدينتـين المقدستين (مكة والمدينة) [٢].

هـ- إنهـا خمسـة عقـود أزور محافظة مكـة، وأشاهـد مؤسساتها الإداريـة العسكرية والأمنيـة والمدنيـة. ورأيتهـا في التسعينيـات من القـرن (١٤هـ/٢٠م) محدودة في مقراتهـا، وأفرادهـا، وتشكيلاتهـا، لكنها كانت قائمة على قـدم وساق في أداء واجباتهـا داخل المدينة قريبـاً من المسجد الحرام، وفي المشاعـر المقدسة، وبعض الأحيـاء والحـارات الأخرى في المدينـة. ومع مطلع هذا القـرن (١٥هـ/٢٠م)، ثم خـلال الأربعين سنة الماضية (١٤٠٤ــ١٤٤٤هـ/١٩٨٤ـ٢٠٢٢م) توسعت المحافظة عمرانيـاً في كل الاتجاهـات وزادت أعداد السكان السعوديـين والمقيمين، وارتفعت نسـب الحجاج والزوار مـن داخل البلاد وخارجهـا، وأدركت الدولـة هذا التطور البشـري والتنموي السريع، عندئذ بادرت في تطويـر إداراتها الحكومية والأهلية، فتعـددت مقراتها، وزادت ميزانياتها، وتضاعفت كوادرهـا البشرية، وعملت على إدخال كل الأساليب التطويرية (فنياً، وإدارياً، وتقنياً) [٣].

---

(١) حبـذا أن نـرى مؤرخين جادين يعملون دراسـات مقارنة عن أوضاع الحجاز وغيرها مـن مناطق السعودية قبـل توحيد المملكـة وبعد. وهناك وثائق غير منشـورة تصب في خدمة هذا الموضـوع، ومازال هناك بعض المعاصرين الذين عاشوا وشاهدوا الكثير من الأحداث خلال العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٢) إن الحديـث عـن كل المؤسسات المدنية والعسكرية التي لها علاقة بخدمة المسجد الحرام والمشاعر المقدسة من عام (١٣٤٣ــ ١٤٤٤هـ/١٩٢٤ـ٢٠٢٣م) مازالت بحاجة إلى دراسات أطول وأعمق في الرصد والتحليل. وهنـاك الكثـير من الأراشيف في بعض الـوزارات والإدارات العامة والفرعية تحتـوي على سجلات ووثائق جديدة تفيد في خدمة هذا الميدان بحثياً وتوثيقياً.

(٣) أقول إن دراسة التاريخ الإداري التطويري المعاصر في محافظة مكة (١٤١٠-١٤٤٤هـ/١٩٩٠-٢٠٢٣م) من الموضوعـات الجديدة الجديرة بالدراسة العلمية التوثيقية الرصينـة الجادة. أرجو من مؤسسات حاضرة مكـة العلميـة والبحثيـة أن تدعم فرق عمل علميـة تقوم بإنجاز هـذا المشروع، ثم مقارنـة الموضوع نفسه بالفترة الممتدة من (١٣٥٠-١٤٠٩هـ/١٩٣١-١٩٨٩).

و- لو وثقت مشاهداتي وما سمعته عن كل إدارة أهلية أو حكومية في حاضرة مكة (١٣٩٢-١٤٤٤هـ/١٩٧٢-٢٠٢٢م) فذلك يملأ مئات الصفحات لكثرة الوظائف والمنجزات لكل مؤسسة وما يتصل بها من فروع وأقسام تخدم جانباً مهماً في حياة سكان المحافظة، أو رعاية وخدمة الحجاج والزوار للبيت العتيق. وأوصي أساتذة جامعة أم القرى، وطالبات وطلاب الدراسات العليا في جامعات منطقة الحجاز (الطائف، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة) أن يدرسوا تاريخ كل مؤسسة إدارية رئيسية حديثة في موضوع مستقل من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م)، وهي مجالات حضارية حديثة ومعاصرة جديرة بالدراسة والاهتمام البحثي.

ز- شاهدت أثناء جولاتي في أرجاء المحافظة المكية في نهاية عام (١٤٤٣هـ) وبداية عام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م) عشرات المقرات الإدارية المدنية والعسكرية، وكثير منها حكومية مثل: مقرات التعليم العام، وأبنية جامعة أم القرى، ومباني أخرى صحية، وتقنية، وعسكرية، وقضائية، ورياضية، ودينية، وإدارات أخرى عديدة خدماتية. كما رأيت بعض المباني الإدارية (حكومية، وأهلية) مستأجرة في أحياء متفرقة من المحافظة. وبعض المقرات الحكومية والمستأجرة التي وقفت عليها تتفاوت في مواقعها الجغرافية، وعدد طوابقها، ومرافقها، وموظفيها، وبعض الخدمات الأخرى[1].

رابعاً: فصول من تاريخ مكة الاقتصادي:

قبل الدخول في جزئيات هذا المحور، سبق أن نظرت وقرأت في مئات المصادر والمراجع العربية والإسلامية وبعض الأجنبية، فوجدت الكثير منها حفظت لنا فقرات، أو صفحات، أو فصول من التاريخ الحجازي. ومنها بحوث ومؤلفات عديدة رصدت أحوال مكة المكرمة قبل الإسلام (سياسياً، واجتماعياً، ودينياً، وجغرافياً وبشرياً، واقتصادياً)، وكيف كانت ناحية فقيرة منزوية بين جبال وشعاب الحجاز، وجرى اختيارها من الله (عز وجل) لتكون مركزاً دينياً يحتضن الكعبة المشرفة، ونمت وتزايدت فيها الحياة

---

(١) ومن المؤسسات الإدارية المدنية والعسكرية، الحكومية والمستأجرة التي شاهدتها وزرت بعضها: عدد من المقرات العسكرية في حي الشرائع، وتتألف من أبنية كثيرة متعددة الطوابق والمرافق، ومليئة بالموظفين المدنيين والعسكريين، وفي أحياء المعابدة، وبطحاء قريش، والنسيم العديد من المحاكم الشرعية، وبعض الإدارات العسكرية الأمنية، ومقر أمانة العاصمة المقدسة في حي المعابدة. وإمارة مكة المكرمة في حي العدل، وعدد من المستشفيات والمراكز الصحية في أحياء الهجرة، والعزيزية، والششة، والشرائع، والتنعيم. والرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي في حي أجياد. ورابطة العالم الإسلامي في حي أم الجود، وشرطة مكة في حي كدي، وفرع شركة الكهرباء في التنعيم، وفرع وزارة الحج في حي الحمراء، والغرفة التجارية في حي الزايدي، ومقران قديم وحديث للكلية التقنية في التنعيم، وولي العهد رقم (٩). وفرع وزارة التجارة في حي الرصيفة، وإدارة النقل في حي العوالي، ومقرات أخرى عديدة تعليمية، ودينية، واقتصادية، ومالية، وإعلامية في أحياء متفرقة من المحافظة.

البشرية حتى عهد قُصي بن كلاب القرشي الذي بذل جهوداً كبيرة في تطوير هذه القرية الدينيــة (مكة المكرمة) حتــى صارت حاضرة كبيرة تشرف علــى خدمة البيت الحرام، وتتصــل بمدن وبلدان وحضــارات أخرى عديدة داخل شبه الجزيــرة العربية وخارجها. وكون ظروف المكيــين القرشيين الجغرافية قاسية لفقر مواردهم الطبيعية، فكان عليهم أن يوظفــوا حياتهــم وبلادهم للاستثمــار الاقتصادي، وفي الوقت نفســه يستفيدون من موقعهــم الدينــي، وساروا في تحقيق هذيــن الاتجاهين، وممــا زاد اشتهارهم وتطورهم الحضاري وقوع حاضرتهم (مكة) على مفترق طرق القوافل العربية القديمة بين الشام واليمــن ومــا حولهما من الحضــارات والبلدان، وبالتالي تطــورت مدينة مكة إلى محطة عبــور القوافل المحليــة، والإقليمية والعالميــة. واجتهد المكيون (القرشيــون) في التعاون، والتقــارب، والترابط السياسي والاجتماعي فيما بينهــم من أجل حماية وتطوير حياتهم الاقتصادية وبخاصة التجارية، ومن ثم أصبحوا قوة اقتصادية يحسب لها حساب عظيم في الداخــل والخارج، وصار لها صلات وتبــادلات حضارية مع كبريات الأمم آنذاك مثل الــروم، والفرس، والأحباش وغيرهــم. وأصبحت قبيلة قريش تتصــدر المشهد التجاري والسياسي والحضاري في أنحاء جزيرة العرب[١].

نجــد منطقة الحجاز ومركزها مكة المكرمة، والمسجد الحرام صارت قوة جغرافية وبشريــة جمعت بين حياة البادية والتحضــر، وفي الوقت نفسه أصبحت حاضرة تجارية كبيرة تتصل بها معظم الشعوب والحكومات داخل الجزيرة العربية وخارجها[٢]. وعلى مقربــة من المدينة (مكة) نشأت أسواق كبيرة ومشهورة مثل: سوق عكاظ في الطائف، وسوقي مجنة، وذي المجاز[٣].

وينــزل الوحي على الرسول محمــد (ﷺ)، وتنتشر الدعوة الإسلامية من مكة إلى أنحاء العالم، وتقوم دول وحضارات إسلامية في مناطق وبلدان كثيرة شرق الكرة الأرضية وغربهــا، وتبقى حاضرة مكة هــي قبلة المسلمين ومهوى أفئدتهــم في صلواتهم، وحجهم، وعمرتهم. ومع هذه الميزة الفريدة تطورت حياة أهلها الاقتصادية في جوانب عديدة [٤].

---

(١) هــذه الخلاصــة المدونة في المتن جرى شرحها وتفصيلها في عشرات الكتــب العربية والأجنبية، والكثير من هــذه المصادر والمراجع مطبوعة ومنشورة ورقياً وإلكترونيــاً، ومازال بعضها في هيئة رسائل علمية جامعية منتشرة في الكثير من المكتبات الجامعية وغيرها في أرجاء العالم.

(٢) من الصعب أن تدرس تاريخ مكة المكرمة الاقتصادي الحديث دون الإشارة إلى قدمها التاريخي الحضاري (السياســي، والاجتماعــي، والتجاري). فهي منذ تولت قريش أمورها الإداريــة والسياسية والدينية سارت نحو التطور الحضاري، والسمعة الواسعة في أرجاء المعمورة.

(٣) صدر عن هذه الأسواق العربية القديمة دراسات مستقلة، وصفحات وفقرات كثيرة في المصادر الإسلامية المبكرة والوسيطة.

(٤) أوشكــت أن أتوســع في دراسة بعض المقومات الإيجابية المساعدة لتطــور التاريخ الاقتصادي خلال القرون

وفي العناصر التالية أوثق لمحات من هذا التاريخ خصوصاً في العصر الحديث والمعاصر، وهي على النحو التالي:

١- لمحات من تاريخ الصيد، والجمع والالتقاط، والرعي، والزراعة :

لا يخلو مجتمع في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام وبعده من هذه المهن الأربع. والصيد والرعي غالباً من حرف أهل البوادي والأرياف. وربما وجد في المدن من مارسها. أما الجمع والالتقاط فيشترك في مزاولتها الحضر والبادية. أما الزراعة فهي مقصورة على سكان الحواضر والأرياف. ومن يقرأ الكتب الشرعية، والتاريخية، والحضارية، والأدبية واللغوية، والمعاجم الجغرافية، وكتب الرحلات والرحالة وغيرها من كتب التراث الإسلامي والأجنبي القديم، والوسيط، والحديث يجدها تتفاوت في المادة العلمية التي وثقتها عن هذه الأعمال الاقتصادية، وكل بيئة أو ناحية داخل شبه الجزيرة العربية تختلف حسب المعوقات أو المقومات التي تحتاجها كل مهنة. وإذا ركزنا في هذه الدراسة على محافظة مكة، وجدنا أهلها منذ عصور ما قبل الإسلام إلى القرن (١٤هـ/٢٠م) مارسوها، لكن حسب الظروف والإمكانات الجغرافية، والتركيبة السكانية وطبقاتهم الاجتماعية[١].

الذي جعلني أرصد هذه الخلاصة يعود إلى قراءاتي قديماً وحديثاً، وما سمعته من بعض الرواة، أو شاهدته أثناء زياراتي للحجاز، ومكة تحديدا، وهي على النحو الآتي:

أ- أشارت كتب السنن، والخراج والأموال، والتراجم والطبقات، والتاريخ، واللغة والأدب، والجغرافيا إلى معلومات لها صلة بهذه المهن الأربع في مكة (الجمع والالتقاط، والصيد، والرعي، والزراعة). وجاءت بعض كتب الرحالة العرب وغير العرب المتأخرين والكثير من الوثائق غير المنشورة، وبعض الدراسات المطبوعة فأوردت تفصيلات أكثر من سابقتها حول الموضوع نفسه[٢]. ومهنة الجمع

الإسلامية المختلفة، وكذلك بعض المعوقات، لكنني وجدت الكثير من الكتب والبحوث العلمية المطبوعة، والرسائل الجامعية غير المنشورة قد فصلت الحديث في هذا الجانب، عندئذ تجاوزته، ومازال هناك بعض العوامل تستحق مزيداً من الدراسات التوثيقية التحليلية الجادة والرصينة.

(١) تخصصت في درجة الدكتوراه في موضوع التاريخ الاجتماعي، والتجاري، والصناعات والحرف التقليدية خلال القرنين (٢-٣هـ/ق٨-٩م)، واطلعت على مئات الأبحاث والدراسات القديمة والحديثة، وتأكد لي صحة ما أشرت إليه في المتن. مع أن كل حرفة في كل (٥٠) سنة منذ فجر الإسلام إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) تستحق أن يفرد لها كتاب، أو دراسة علمية مطولة مستقلة، وربما يقول قائل إن هذه التوصية مبالغ فيها، لكن هذه الحقيقة، لما يحدث من تواريخ على كل صنعة أو مهنة خلال كل نصف قرن، أو كل مئة عام.

(٢) حوالي أربعين عاماً وأنا أتردد على بلاد الحجاز، وأبحث في تاريخها وحضارتها عبر عصور التاريخ، ووجدت الكثير من المصادر والمراجع الداخلية والخارجية التي وثقت شيئاً من تاريخ هذه الموضوعات في القرون الإسلامية المبكرة والمتأخرة.

والالتقاط تشمـل :الحطب، والمساويك، والخضـروات والفواكه والحبوب التي تُجلب مـن أطراف محافظة مكـة، أو البلدان المجـاورة لها كالطائـف، ووادي فاطمة (مر الظهران)، ومناطق أخرى أبعد في السروات وتهامة، أو جدة، أو المدينة وغيرها [١].

أمـا الصيـد البري في مكة (البلد الحرام) فعليه قيـود شرعية، وهنـاك الكثير من النصوص في القرآن والسنة النبوية فصلـت الحديث في هذا الباب، وفي محافظة مكة بعض أفراد العشائر والقبائل البدوية والريفية الذين مارسوا هذه الحرفة وربما مازال القليـل منهـم يمارسونها في جبـال وأودية المحافظـة، وبخاصة في الأجـزاء الجنوبية، والشرقية، والشمالية أما الناحية الغربية فكان ومازال بعض المكيين يذهبون إلى ساحل البحـر الأحمر، من الشعيبة إلى جدة، ويعملون في صيد الأسماك، ومنهم من يشتغل في تجارة السمك وجلبه إلى بيته، أو الأسواق المكية[٢].

ب- تعـد مهنة الرعي في محافظة مكة من الحـرف القديمة التي مارسها المكيون ومن جاورهـم من القبائل. ونجـد الكثير من كتب التراث الإسلامـي تذكر العديد من قصـص الرعي والرعاة في مكة قبل الإسلام وبعده، وتشير إلى أنواع المواشي التي يتـم رعيها في أرجاء حاضرة مكة. ويبدو أنها كانت قليلة ومحدودة في المدينة لقلة الأعشـاب والحشائـش والشجيرات، وأحيانا نـدرة الغطاء النباتـي في جبال مكة وأوديتها ووهادها القريبة من المسجد الحرام، لكن المصادر المبكرة تشير إلى شيء من حياة الرعي، وعند الذهاب بعيداً في النواحي المختلفة من مدينة مكة، والبلدان المجاورة لها تزداد مهنة الرعي وتكثر المواشي والحيوانات الأليفة. ونجد من قبائل قريـش، وهذيل وغيرها من كان يعمـل في رعي المواشي وتجارتهـا، ومازال هناك رعـاة وتجار من قبائل هذيل مـن العشائر القريبة من مكة يمارسون رعي الضأن، والماعز، والجمال ويتاجرون فيها حتـى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) [٣]. وتكثر أعداد

---

(١) كل هـذه السلـع تدخل في مجال التجـارة، فكان ومازال هناك أفراد أو أسر عملـوا في هذه الحرفة، وكانت سابقـا نشطـة ولها تجار من أهـل مكة وغيرهم يعملون فيهـا، وربما تكون حرفتهم الوحيـدة، وفي العصر الحديـث من تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى الآن تراجعت لوفرة الخيرات والأموال عند الناس، لكن مـازال هنـاك من يمارسهـا، ومن يذهب إلى محيط المسجـد الحرام، وبعض الجوامـع والأسواق في مكة، يجـد مـن يجمع المساويك ويبيعها، وترى بعض الأفراد يقومون ببيع بعض السلـع التي اشتروها من بعض المستودعات أو أسواق الجملة.

(٢) هـذا الـذي سمعتـه من بعض أفراد القبائـل الواقعة ضمـن محافظة مكـة أو القريبة منهـا، ومن بعض تجـار الأسمـاك أو البحاريـن في مكة وجـدة. ومنهم من ذكر قصصـاً عرفها أو سمع عنهـا خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، أو في أزمنة أقدم من ذلك .

(٣) سألـت عـن هذا الموضوع، وذهبت إلى سـوق المواشي في مكة المكرمة أكثر من مـرة خلال العشرينيات من هـذا القرن (١٥هـ/٢١م)، وفي رحلتي الأخيرة عـام (١٤٤٣ـ ١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م)، وشاهدت بعض الأفراد

الحيوانات (الجمال، والأبقار، والضأن، والماعز) في أسواق مكة خلال موسم الحج، وفي شهر رمضان لحاجة الناس إلى أداء مناسك حجهم، أو حاجتهم إلى اللحوم. وفي الماضي حتى سبعينيات القرن (١٤هـ/ ٢٠م) كان أهل السراة وتهامة من أكثر التجار الذين يصدرون مواشيهم إلى البلد الحرام أثناء مواسم الحج، وقد سمعت عشرات القصص وعثرت على بعض الوثائق الحديثة التي تعكس شيئاً من هذه الأخبار. وهناك من أخبرني أن بعض التجار المكيين خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) كانوا يعملون في تجارة الأغنام ويجلبون معظمها من بلدان الطائف، وغامد وزهران، ومنطقة عسير، ومن الديار التهامية الممتدة من الليث إلى جازان واليمن، ولم يكن في حواضر الحجاز الرئيسية (مكة، وجدة، والمدينة) الأعداد الكافية لطلب أهل مكة والحجاج في مواسم الحج[1].

شاهدت أسواق مكة الشعبية منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) حتى الآن(١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) ،وعرفت أن المواشي تصدر إليها بأعداد كبيرة من الداخل والخارج. وصار هناك بعض المستثمرين المكيين وغيرهم يشترون أو يستأجرون أراض واسعة في المحافظة، ويجلبون إليها الكثير من الأغنام والأبقار والجمال بهدف تربيتها واستثمارها تجاريا في مواسم الحج. ومنهم من لديه مزارع مواش كثيرة في مناطق داخلية وخارجية من المملكة العربية السعودية للغرض نفسه. وكان القائمون على مهنة الرعي حتى ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) في الغالب من أهل مكة، أو من السعوديين، ثم تحول الحال، وصار السعوديون لا يرغبون ممارسة هذه الحرفة، وحل محلهم العمالة الوافدة، وأكثرهم من بعض دول إفريقيا، أو جنوب وشرق آسيا كالباكستانيين، والبنجاليين، والهنود وغيرهم. وهناك أعداد غير قليلة من اليمنيين، وتغيرت الكثير من العادات والتقاليد المرافقة لمهنة الرعي[2].

أو التجار من محافظة مكة يعملون في جلب البهائم وبيعها، والتقيت ببعضهم فذكروا لي أن أغنامهم المعروضة من حظائرهم التي يمتلكونها، ويقومون على خدمتها، وأخرى جلبوها من مناطق أخرى داخل المملكة العربية السعودية وخارجها. ورعي وتجارة المواشي في محافظة مكة موضوع جديد لم يدرس حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرسه من عام (١٣٨٠-١٤٤٤هـ/١٩٦١-٢٠٢٢م) .

(١) تاريخ تصدير الحيوانات والمواشي من السروات وتهامة إلى مكة المكرمة طوال العام وخاصة في موسم الحج خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة (ق١- ق١٤هـ/ق٧- ق٢٠م) موضوع بكر لم يُدرس، وجدير أن يوثق في عشرات الكتب والبحوث العلمية. أرجو من جامعات الحجاز والسروات وتهامة أن تدعم الباحثين الجادين لدراسة مثل هذا الموضوع الحضاري المهم وما شابه من العناوين التاريخية الجديدة .

(٢) إن إنجاز دراسة مقارنة لحياة الرعي قديماً وحديثاً في الحجاز، أو محافظة مكة، وكيف كانت؟ وماذا جرى عليها من تحولات اجتماعية وتاريخية؟ خلال القرون (١٣-١٥هـ/١٩- ٢١م) من الموضوعات الجيدة لإصدار بعض الدراسات العلمية العميقة.

ج- بـلاد مكة المكرمة غير زراعية، ونص على ذلك القرآن الكريم ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ... ﴾ [(١)]. وهذا يدل على أن أرض المسجد الحـرام، ووادي إبراهيم الـذي يقع عليه البيت العتيق ليس زراعياً، فهو أرض جرز. اختار الله، سبحانه وتعالى، هذه الديـار الجرداء لتكون مقراً للكعبة والمسجد الحرام، واستمر التاريخ وتعاقبت القبائل والأمم والشعوب على استيطان هـذه الناحيـة المقدسة. وإذا كانت الحياة الزراعية غـير موجودة في بقعة المسجد الحـرام، وحتـى في الجبـال والوهـاد المتناثـرة في أجزاء كثـيرة من مكـة، إلا أن المحافظة بشكل عام لا تخلو من زراعات وثمار مختلفة [(٢)].

اطلعـت على العديد من المصادر التاريخية المبكرة، والوسيطة والحديثة إلى القرن (١٤هـ/٢٠م)، فوجدت بعضها أشارت إلى الحياة الزراعية في الحجاز، وكانت موجودة في كل مكان كالطائف، والمدينة المنورة، وبعض البلدان الواقعة بين مكة المكرمة والمدينة. وتأتي حاضرة مكة أدناها في الزروع والمياه العذبة بخلاف ماء زمزم[(٣)].

مازال التاريخ الزراعي في محافظة مكة من الموضوعات الجيدة للبحث العلمي منذ القـرن (ق٤ـ١٤هـ/ق١٠ــ ٢٠م)، والمصادر العربية والإسلاميـة تشتمل على معلومات جيـدة في هذا الميـدان، ناهيك عن الوثائـق الحديثة (العربيـة، والعثمانية) من القرن (١٠ــ ١٤هـ/ق١٦ــ٢٠م) فهي موارد قيمـة تخدم من يعتني بهذا المحـور في هيئة كتب علمية أو رسائل جامعية[(٤)].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية (٣٧).

(٢) أقصـد محافظـة مكة في وقتنا الحالي فهي تمتـد عشرات الكيلومترات في كل الاتجاهـات، وأعتقد أنها لا تخلـو من الزراعة قبل الإسلام وبعده لتوفر مياه الأمطـار التي تسقط على جبالها وأوديتها، ووجود التربة الصالحة للزرع خاصة في جهاتها الشمالية والشرقية والجنوبية.

(٣) مكـة بحاجة كبيرة جـداً إلى المياه، لكثرة استهلاك الماء من قبل الحجاج والزوار للبيت الحرام، بالإضافة إلى حاجـة سـكان مكة للماء طوال العام. وأدرك ذلك الخلفاء، والأمـراء، والوزراء، والملوك خلال القرون الإسلاميـة المختلفـة، فكانوا يبذلون قصـارى جهودهم لتوفير المياه العذبة لهـذه المدينة المقدسة، وقدموا خدمـات جليلـة في هذا المجال، وأكثرهم رعايـة وخدمة لهذا الموضوع ملوك آل سعـود في الدولة السعودية الثالثـة الذيـن اعتمـدوا ودعموا منجـزات عملاقة كانـت نتيجتها توفير الميـاه الكافية والكثـيرة للحجاج والسكان المقيمين.

(٤) مـن يدرس هذا المجال يجد اهتمام بعض أمـراء مكة الأشراف بالزراعة في نواح عديدة من محافظة مكة وغيرهـا. والسـكان المكيون العاديـون كان فيهم من يمارس الزراعة في أطـراف المحافظة، ومدن حجازية وسرويـة وتهاميـة أخرى. وإذا بحثنا عـن المحاصيل المزروعة، وطرق الحرث والزراعـة، والأيدي العاملة، ووضـع الزراعة في محافظـة مكة مقارنة بغيرها من مدن وحواضر الحجـاز الأخرى فسوف نجد شذرات قليلة متفرقة في هذه الأبواب. أرجو أن نرى باحثين ومؤرخين جادين يدرسون حياة الزراعة والمزارعين وما يقابلهم من عقبات في هذه المهنة الاقتصادية بمكة خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة.

مـن نهاية القـرن (١٤هـ/٢٠م) إلى الآن، تنقلت في جبـال، وأدوية، وقرى، وأحياء قديمة وحديثة في محافظة مكة، ورأيت بعض النباتات القليلة المتفرقة في أنحاء البلاد، والكثـير منها برية تروى من مياه الأمطـار. وشاهدت بعض الزراعات والمزارع الخاصة متوسطة المساحات، ويتولى الإشراف عليها أصحابها الذين جلبوا لها أيد عاملة أجنبية تقـوم على خدمتها. ووقفت على بعض المزارع التي جـل مزروعاتها، خضروات أو بعض الأشجـار المثمـرة المستوردة من داخل المملكة العربية السعوديـة وخارجها. ومن مرافق بعضـ المزارع البعيدة عن وسط المدينة بعض الحظائر الخاصة بالأبقار، أو الجمال، أو المواشي (الضأن، والماعز)، وقليلاً من الخيول[1].

أعتقـد أن مثل هذه الحياة الزراعية والحيوانيـة لم تكن موجودة بهذه الصورة في محافظـة مكة قبل أربعـين عاماً. نعم كان هنـاك زرائب للحيوانات التـي يجلبونها من أماكن متفرقة في المملكة لتربيتها واستثمارها في مواسم الحج. أما المزارع المستصلحة الخاصـة فكانـت نـادرة، وربما غير موجـودة لضعف المـوارد المالية، وبعـد أن تحسنت الأحـوال الاقتصادية في عموم المملكة العربية السعوديـة، وتوفرت الأموال الكثيرة عند النـاس، صـار هناك مـن يشتري الأراضي الخـام ويستثمرهـا في الزراعة وغيرها من الحرف الاقتصادية الأخرى[2].

بذلـت بلديـة ثم أمانة العاصمـة المقدسة وفروعها جهوداً طيبـة في زراعة الأشجار التجميليـة المختلفـة في طول المحافظـة وعرضها، وحظيـت المشاعر المقدسـة وبخاصة عرفات، وبعض الشوارع في أحياء كثيرة بالمدينة بالزراعة والتشجير للكثير من النباتات التـي زادت الحاضرة زينة وجمالا، ومن المؤكـد أنها ساهمت في محاربة التلوث وتلطيف المنـاخ. وشاهدت بعض الحدائق الحديثة في أمكنـة عديدة من المحافظة وفيها الأشجار المتفاوتـة في أشكالهـا وأحجامهـا، وزراعة أرضهـا بالحشائش والنباتـات الخضراء مع توظيف الكثير من العمالة الوافدة على ري مزروعاتها، والإشراف على خدمتها، وتنظيف حماماتها، والجلسات العائلية، وألعاب الأطفال الدائمة الثابتة وغيرها من المرافق[3].

(١) حبـذا أن نـرى مؤرخـاً جـاداً يدرسـ تاريـخ الزراعـة الحديثـة والمعاصـرة في الحجـاز مـن (١٣٩٠-١٤٤٤هـ/١٩٧٠-٢٠٢٣م)، فهو موضوع جيد يستحق الدراسة العلمية الجادة.

(٢) ليسـ هـذا العمـل محصوراً على مكـة المكرمة، ومـن يسير في مناكب مناطـق ومدن المملكة يجـد أن هذه الظاهـرة انتشـرت في أمكنة كثيرة، لكنها تتفاوت مـن مكان لآخر حسب الظـروف المناخية، ووفرة المياه، وجودة التربة، وربما أسباب أخرى.

(٣) زرت الكثـير من الأحياء في كل الاتجاهات، وذهبـت إلى مشعر عرفات، وسرت في شوارع كبيرة، وصغيرة، ومتوسطـة ولاحظـت الخدمات الجيدة التـي تبذلها أمانة العاصمـة المقدسة، وبلديـات الأحياء، وحاولت الحصول على سجلات ووثائق وخرائط وصور فوتوغرافية تخدمني في توثيق هذه المشاهدات، لكنني حتى كتابـة هذه السطور لم أعثر على شيء. آمل أن نرى باحثين مجتهدين يوثقون بحوثاً، أو صفحات من تاريخ

إن الـذي ذكرتـه في الصفحات السابقـة عـن الزراعـة، والـري، والصيـد، والجمـع والالتقـاط مجـالات حضارية عرفتهـا مكة والمكيين خـلال القرون الإسلاميـة المختلفة. والذي تعيشه هذه المحافظة خلال هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠ـ٢١م) يختلف تماماً عن القرون والعصور السابقة، وذلك لأسباب كثيرة، أهمها:

١- حرص الدولة ورعايتها لكل المجالات التي يعود نفعها وفائدتها على البلاد والعباد. ومكـة المكرمـة لها خصوصيـة كبيرة عند ولاة الأمـر الذين يهتمـون دائماً بخدمة المسجـد الحرام وقاصديه من الحجاج والزوار، وفي الوقت نفسه يوجهون ويدعمون توجيه التنمية الحديثة في الاتجاه السليم للمصلحة العامة والخاصة على حد سواء.

٢- مهنتا الصيد والجمع والالتقاط لم تعد ذات أهمية كبيرة عند الناس، لعدم الحاجة إليهـا، وإن وجدت خاصة الجمـع والالتقاط فنسبتها ضئيلـة مقارنة بحياة القرون الهجرية الماضية.

٣- الرعـي والزراعـة جرى لهمـا طريقتان مختلفتـان. لم يعد في أرجـاء مكة رعي في الخـلاء كمـا كان النـاس في الماضي، ومـن يمتلـك الحيوانات ويرغـب في تربيتها والمتاجـرة فيهـا، فإنـه يخصص لهـا المزارع والحظائـر التي تحتويهـا مع توظيف مـن يرعاها في زرائبها ويشرف عليها. أما الزراعـة فقد تراجعت في أرجاء البلاد (المملكة العربية السعودية)، وكانت في السابق محدودة جداً في محافظة مكة. وفي وقتنـا الحاضر عرف الناس المـزارع الخاصة في أطراف المدينـة أو الحاضرة، ولا يستطيع الحصـول عليها إلا الأثرياء وأصحاب الأموال الكبيرة. والحكومة رأت من مسؤولياتها دعـم الأمانة والبلديات على تحسين الشوارع وبعض الأماكن بالحدائق والجمالية المخصصة للنزهة والترفيه[1].

٢ـ الحرف والصناعات القديمة والحديثة:

الصناعـة وممارسة الحـرف قديماً وحديثاً من الأبـواب الحضارية التي مارستها شعوب الكرة الأرضية، ومازالت تُمارس في كل مكان حتى وقتنا الحاضر. وكُتّاب التاريخ والحضـارة الإسلاميـة سجلوا في مؤلفاتهـم المختلفة فصـول، أو صفحات عن الحرف والصناعـات التقليديـة المتنوعة. وبلاد الحجاز ومكة المكرمة حظيـت بمن وثق أقساماً عن صناعاتها وحرفها المحلية. والقرآن الكريم وكتب التفاسير نقلت صوراً من الأعمال المهنيـة والحرفية عند العرب والمسلمـين، والحجازيون والمكيـون في مقدمتهم. وكذلك

الزراعة في مكة وبخاصة تشجير وزراعة الحدائق والشوارع.

(١) مجـالات النزهـة والترفيه في مكـة قليلة ومحدودة جـداً، لقدسية المدينـة، وأهل مكة غالبـاً يذهبون إلى محافظتي جدة أو الطائف إذا رغبوا في قضاء بعض الوقت في الترويح والاستجمام.

كتب الحديث، ثم المصادر التاريخية المبكرة، ومنها مؤلفات خاصة بالحجاز، ومكة تحديداً مثل مؤلفات الأزرقي، والفاكهي، والفاسي وغيرهم أشارت إلى معلومات مفيدة عن تاريخ بعض الصناعات والحرف والحرفيين في حارات مكة وأسواقها. وجاء إلى الحجاز ومكة عشرات الرحالة العرب والمسلمين وغيرهم، ودونوا في رحلاتهم مواد علمية جيدة عن الكثير من الحرف والصناعات الحجازية. والذي وثق في هذا النوع من المصادر يصعب أن نجده في مراجع أو مصادر أخرى. أما المصادر الوثائقية المنشورة وغير المنشورة خلال العصر الحديث والمعاصر (ق١٠ـ ق١٥هـ/ق١٦ـ ق٢١م) ففيها كم كبير من المادة العلمية التي تخدم الدارسين عن الحياة الاقتصادية في محافظة مكة وبخاصة مجال الحرف والصناعات التراثية القديمة والحديثة[١].

قبل تدوين مشاهداتي وانطباعاتي على حرف وصناعات مكة خلال الخمسين عاماً الماضية (١٣٩٢ـ ١٤٤٤هـ/١٩٧٣ـ ٢٠٢٢م) اطلعت على بعض الكتب والدراسات والمقالات التي أرخت لهذا المجال في العصر الحديث، مثل:

أ- كتاب محمد الكردي **(التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم).**

ب- كتاب عبدالله محمد الغازي **(إفادة الأنام بذكر أخباء البلد الحرام).**

ج- كتاب محمد عمر رفيع **(مكة في القرن الرابع عشر).**

د- موسوعتا ناصر الحارثي، وإسماعيل كتبخانة. **الأولى بعنوان (موسوعة الآثار الإسلامية بمكة المكرمة أعمال الآجر). والثانية (موسوعة ثقافة المجتمع المكي خلال نحو القرن ونصف القرن).**

هـ- كتاب عبدالله محمد أبكر **(صور من تراث مكة المكرمة في القرن الرابع عشر الهجري).**

رأيت وقرأت العديد من الرسائل الجامعية، والأبحاث العلمية المحكية. بالإضافة إلى مقالات في عدد من الصحف المحلية، وكتيبات وتقارير صدرت من وزارات وإدارات عامة وفرعية سعودية، وكذلك مواقع ومنتديات إلكترونية[٢]. وخرجت من قراءاتي لهذه المصادر والمراجع بالعديد من الخلاصات التي أدون بعضها في المحاور الآتية:

---

(١) أقول إن العكوف على دراسة التاريخ الصناعي والحرفي في أي حاضرة من حواضر الحجاز الكبيرة (مكة المكرمة، والطائف، وجدة، والمدينة المنورة) من خلال كتب الرحلات والرحالة، أو من السجلات والوثائق المنشورة وغير المنشورة الداخلية والخارجية فإنه سوف يخدم هذا المجال الحضاري، وسوف يطلعنا نحن معاشر الباحثين على شروحات وتحليلات علمية قيمة.

(٢) جميع هذه المصادر والمراجع الموثقة في المتن احتوت على مواد علمية مختلفة عن التاريخ الصناعي والحرفي المكي خلال العصر الحديث، وجل المعلومات المدونة شملت الفترة الممتدة من بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى ثلاثينيات هذا القرن (١٥هـ/٢١م). ورأيت في بعض قوائم المصادر والمراجع من هذه الكتب أسماء بحوث ومؤلفات ومقالات عن الحرف والصناعات في الحجاز وبخاصة مكة المكرمة، ولم أستطع العثور على هذه الدراسات والاستفادة منها.

١- إن أهـل مكـة عاصـروا حياة الحـرف التقليدية وامتهـن أغلبهم صناعـة أو حرفة يدويـة[١]، فأبدعوا فيهـا، وتوارث الأبناء حرفـة الآباء والأجداد حتـى صار هناك أسـر مكية كثيرة معروفة بحرفتها، أو الصنعـة التي تمارسها، مثل: العطار، ممن يتعامـل مـع العطـور والأعشاب العطريـة، وربما قبـل العطرجي الـذي يمتهن بيع العطـور الدهنية، وطيب البخـور بجميع أنواعه. والفخرجي نسبـة إلى الصناعات الفخارية. والنجار، والنحاس، والحـداد، والدباغ، والقطان، والقماش، أو قمشان، والسقـا، والزمزمـي أو الزمازمـة، والصائـغ أو الجواهرجـي. فكل هـذه الأسماء جـاءت من الحرف والصناعات التي مارسها أصحابها من النجارين، والنحاسين، والحداديـن، والدباغـين، والقطانـين الذيـن يعملـون في نفش القطـن وصناعته، والقماشـين من التعامل مع النسيـج والأقمشة، والسقائين مـن ممارسة حرفة بيع المياه بهدف السقايا، والزمازمة أو الزمزمي نسبة لمن عمل مع مياه زمزم والخدمة فيها: والجواهرجي أو الصائغ من الاختصاص في صياغة الجواهر والتعامل معها. وهناك مهن كثيرة عُرف بها أفراد وأسر مكية منذ عقود أو قرون[٢].

٢- تأكد لي أن هناك قطاعات حرفية أو صناعية كبيرة، ويندرج تحتها مهن أو صناعات فرعية أو صغيرة، ومن تلك المجالات:

أ- **الحُلي وأدوات الزينة** :كالصاغة، والحلاقـين، والعطارين، والجواهرجية، والسبحيـة الذيـن يتعاملون مـع صناعة أو بيـع وشراء المسابـح ومفردها (السبحة، أو المسبحة).

ب- **الأطعمة والأشربة** ، مثل : الجزارين، والطباخين، والنحاسين، والفخرانية المختصين بصناعة الفخار، واللبانيين والسمانة اشتقاقاً من اللبن والسمن، والفرانين من مهنة عمل الخبز بأنواعه، والحلوانية من التعامل مع الحلويات بجميع مشتقاتها.

---

(١) أهـل مكـة اختلفـوا عن غيرهم مـن أبناء القبائـل في الحجـاز، أو تهامـة والسـراة، أو أي ناحية في شبه الجزيـرة العربية، فالسواد الأعظم منهم لم يتأففـوا أو يبتعدوا عن ممارسة أي حرفة تعود عليهم بالخير والأربـاح المادية بعكـس أبناء العشائر والقبائل الذيـن لا يرضون بممارسة الصناعـات والحرف المختلفة مثـل: الدباغة، والحـدادة، والصياغة، والجزارة وغيرها. ويحتقرون مـن يعمل في هذه الأعمال ويصفونه بأوصـاف غير حسنة. وهذه عادة كانت عنـد القبائل من قبل الإسلام ومازالت موجودة عند أبناء القبائل حتى وقتنا الحاضر.

(٢) من خلال سيري في مناطق عديدة في المملكة وجدت بعض الأسر القليلة اشتهرت باسم مهنها التي مارسها بعضـ الآبـاء والأجداد ثم بقيت ملازمة لاسم الأسرة من الأبنـاء والأحفاد. لكن هذه الظاهرة في حواضر الحجاز الكبرى (المدينة المنورة، ومكة المكرمة، وجدة) موجودة ومنتشرة بنسبة كبيرة مقارنة بغيرها من مدن ومناطق المملكة.

ج- **مهنة لها علاقة بالألبسة وبعض المفروشات**، مثل: الخياطين، والقطانين من القطن، والعقلجية من صناعة العقل للرجال والمتاجرة فيها، والدباغين، والخرازين.

د- **حرفة العمارة والتشييد**، مثل: الحدادين، والنجارين، والحجارين، والبنائين، والنوارة من التعامل مع النورة المستخدمة في تجميل المنازل وتزويقها، والدهانين، والسباكين، والكهربائيين، والسمكريين وغيرهم[١].

٣- رأيت أن مكانة مكة المكرمة الدينية وتردد الحجاج والمعتمرين عليها من أنحاء العالم جعل الكثير من الصناعات والحرف التقليدية تتأثر بالتركيبة البشرية للوافدين والمقيمين، وهناك مهن تمارس طوال العام، وأخرى أثناء المواسم الدينية التي تعيشها مكة في رجب، ورمضان، وأداء فريضة الحج في نهاية كل عام. ومن يستقرئ التاريخ الإسلامي الطويل لحاضرة مكة يجد صناعات ومهن ظهرت في بعض القرون أو العقود الإسلامية المختلفة، وبقيت إلى العصر الحديث، وأخرى لم تستمر لظروف جغرافية، أو سياسية، أو إدارية، أو اجتماعية. أو ثقافية وحضارية[٢].

٤- الواضح أن المكيين الحضر الذين يعيشون في المدينة قريباً من المسجد الحرام دائماً يحبون العمل في أي عمل بهدف الربح وكسب الرزق. وقد يفد إلى الحجاز من داخل شبه الجزيرة وخارجها من يقيم في مكة شهوراً أو سنوات ويعملون في أي عمل أو حرفة، ولا يرون في ذلك أي غضاضة. وهذه الظاهرة كانت موجودة خلال القرون الإسلامية المبكرة، والوسيطة، والحديثة (ق١ـ ق١٤هـ/ ق٧ـ ق٢١م)[٣]. ولم نعد نر مثل هذه العادة في وقتنا الحاضر، وأصبح الفرد أو الأسرة المكية الحالية لا تتمسك بالصناعات والحرف التي كان يمارسها الآباء والأجداد، بل معظمهم

---

(١) لم آت على كل المهن التي مارسها المكيون خلال القرون الماضية، ومازال هناك صناعات أو حرف كثيرة لها علاقة بالصحة والطب والتطبيب، والطوافة وخدمة الحجيج، وأعمال أخرى من اختصاص النساء، وبالأعمال التجارية، أو الاجتماعية أو خدمات لها علاقة بالمسجد الحرام والحجاج والمعتمرين. كما أن تنوع أطياف المجتمع في مكة خلقت بعض الحرف أو الصناعات للكثير من الأفراد والأسر. حبذا أن نرى باحثين جادين يعكفون على إصدار دراسة موسوعية معجمية عن كل الصناعات والحرف القديمة في محافظة مكة خلال العصر الحديث (ق١٠ـ ق١٤هـ/ق١٦ـ ق٢٠م).

(٢) حبذا أن نرى مؤرخاً مجتهداً يدرس الحرف والصناعات التي ظهرت خلال التاريخ الإسلامي (ق١ـ ق١٤هـ/ق٧ـ ٢٠م) ثم اختفت مع توضيح أسباب ظهورها ثم تلاشيها واندثارها.

(٣) هذا الذي وجدته في كثير من كتب التراث الإسلامي التاريخية، واللغوية والأدبية، والتراجم والطبقات، وكتب الرحالة والرحلات. وعرفت أيضاً من بعض السرويين والتهاميين الذين أخبروني عن آبائهم وأجدادهم في القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م) بأنهم كانوا يذهبون إلى مكة للعمل في أي حرفة، ومن أكثر الأعمال التي مارسوها حراسة المنازل، ونقل المياه، وكل ما يتعلق بالعمارة والبناء، وحرف أخرى عديدة.

أصبحــوا يتأففــون منهــا، ولا يرغبون الانتساب إليهــا، أو الحديث عنهــا، أو سماع ذكرهــا. وذلك ناتج حياة التمدن والحضــارة الحديثة، وآثار التنمية المعاصرة التي تعيشها البلاد من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) [١].

٥- مــن خلال دراساتي عــن أرض وسكان الســروات وتهامة قبل الإســلام وبعده حتى العقــود الأخــيرة من القــرن (١٤هـ/٢٠م) وجــدت أن النــاس في هــذه البلاد كانوا في عمــل دائم، وجميعهــم (الرجال والنساء، الصغار والكبــار) يمارسون كل المهن والصناعــات كل حسب ظروفه الجغرافية، ومجــال معيشته. وأهل البادية يختلفون عــن حيــاة الأرياف والمــدن، والتجار، وهــم قليلــون، مقارنة بالمزارعــين وأصحاب الصناعة والحــرف اليدوية[٢]. والذي جعل السرويون والمكيون يعملون في أي حرفة يعــود لضعف أحــوال الناس الاقتصاديــة، وحاجتهم الماسة للحيــاة وكسب الرزق. وأهــل تهامة والســراة يختلفــون في إدارة أعمالهم وممارستها عــن أهل مكة. فكل أســرة بجميع أفرادها يشتغلون في حرفهم الرئيسية، مثل الرعي، أو الزراعة، وهما المهنتــان الرئيسيتان عند أهل البلاد. ويتعاون أهــل القرية الواحدة، وأحياناً أفراد القبيلــة أو العشــيرة في خدمة بعضهــم البعض، وهناك مظاهر كثــيرة من التكافل والتآزر بينهم لممارسة أعمالهم المختلفة وكسب أرزاقهم المحلية [٣].

الحضر المكيون يشتغلون في مهن كثيرة، لكن كل صنعة أو حرفة لها مشيخة وقوانين تحكمها في كل شيء، والشيخ يتم اختياره من أفراد المهنة الواحدة حسب شروط واضحة، والأقدميــة والخبرة بأعمال الحرف من الشروط الأساسية. ولكل شيخ نائب يساعده في إدارة أوضــاع أفــراد طائفتــه، وينوب عن الشيــخ أثناء غيابه لأي ظــرف من الظروف. وشخص ثالث يطلق عليه اسم (نقيب)، يكون سنداً للشيخ ونائبه وحلقة الوصل بينهما وبقيــة أفراد الحرفة. ولكل مهنة مجلس يعقد دورياً حسب الاتفاق، أو عند الحاجة التي

---

(١) هذه المشكلة ليست محصورة على المكيين فحسب، إنما هي سائدة في أنحاء المجتمع السعودي. فالبعض من الناس كان آباؤهــم وأجدادهــم يمارسون حرفاً عديدة حســب الظروف والاحتياج، ثم فاض الــرزق والخير على الناس فصــار الأبنــاء والأحفاد لا يريدن الحديث عن مهــن أسلافهم، وأحياناً يغضبــون إذا ذكرهم أحد بذلك وهناك الكثير من الآثار السلبية التي نجمت عن تحسن أحوال الناس الاقتصادية والحضارية الحديثة والمعاصرة. ومثل هذه التحولات وآثارها الإيجابية والسلبية جديرة أن تدرس وتوثق وتحلل في دراسات وبحوث علمية عديدة.

(٢) كان هنــاك بعض الحرفيــين المتخصصــين، وأعدادهم قليلــة، مثــل النجارين،والحداديــن، والصاغة، والخرازيــن، والجزاريــن وغيرهــم. ومعظم النــاس وبخاصة الرجال يقومــون بهذه الأعمــال وغيرها في منازلهــم، وإذا عجــزوا عن مهنة أو عمل محــدد يستدعون المتخصص في ذلك لإنجــاز ما يرغبون مقابل أجرة نقدية أو عينية من الثمار والحبوب وغيرها .

(٣) ظهــرت بعض البحوث الحديثة التي طبعــت ونشرت في هذا الموضوع، ومازال عنــد عموم قبائل السروات وتهامة الكثير من القواعد والوثائق التاريخية غير المنشورة وفيها تفصيلات عن مجالات التعاون والتكافل بينهم لمواصلة استقرارهم وحياتهم المعيشية .

تستوجب ذلك[١]. ومن شروط الانتساب لأي مهنة لابد من موافقة شيخ الحرفة وبعض المعاونين. والفرد الجديد الذي يرغب الالتحاق بالطائفة لابد أن يمر بعدة اختبارات تثبت صلاحيته في مزاولة المهنة التي يريد الانضمام إليها، وإذا نجح واجتاز الامتحان يعلن نبأ ذلك على جميع أفراد الطائفة، وعلى العضو الذي انضم حديثا الاحتفاء بهذه المناسبة ويدعو جميع أفراد الحرفة لوليمة مع تقديم بعض الأشربة والأطعمة المكية[٢].

أما أبناء العشائر والقبائل في محافظة مكة وما يحيط بها، فلا يختلفون عن حياة قبائل السراة وتهامة ومعظمهم كانوا بدواً رحلاً يمارسون حرف الصيد، والجمع والالتقاط، والرعي. وربما كان القليل منهم يذهبون إلى الحاضرة ويشتغلون في بعض الأعمال التي مارسها السرويون والتهاميون في مدن الحجاز الكبرى خلال القرون الإسلامية الماضية حتى الستينيات والسبعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)[٣].

تختلف مشيخة الحرفة في مكة عن مشيخة العشيرة أو القبيلة في الحجاز أو السروات وتهامة. فاختيار الشيخ عند الفريقين يستوجب قبوله أو اختياره من أعضاء المهنة، أو القبيلة. ومشيخة القبيلة أو العشيرة غالبا تنتقل إلى الشيخ بالوراثة من الأب أو الأخ الأكبر أو أي واحد من نفس عائلته. أما مشيخة الحرفة فقد تنتقل إلى أخيه أو ابنه إذا قبله أفراد المهنة، وربما يتولى المشيخة شخص آخر من نفس الطائفة. ومهام شيخ القبيلة أكثر وأوسع (سياسيا، واجتماعيا، واقتصاديا، وحربيا وغيرها)، أما شيخ الحرفة فواجباته محدودة مع طائفته.والشيخان (القبلي، والحرفي) يراجعان مؤسسات الدولة الإدارية. لكن شيخ القبيلة في السابق ذا هيمنة وصلاحيات كبيرة على أهله وبلاده، ويستطيع أن يعقد التحالفات والحروب مع غيره من القبائل، أو القوى السياسية المجاورة لدياره، ويقدر أيضا أن يطفئ أي مشكلة متى أراد. ومن يدرس تاريخ القبائل في شبه الجزيرة العربية، وبخاصة في الحجاز والسروات وتهامة خلال القرون الإسلامية المختلفة (ق١- ق١٤هـ/ق٧- ق٢٠م) يجدها لعبت أدواراً تاريخية (إيجابية وسلبية) متعددة، وكان هناك بعض الشيوخ البارعين في الحنكة، والدهاء، والشجاعة، والكرم وغيرها من

---

(١) تاريخ مشيخة الحرفة في حواضر الحجاز الكبرى (المدينة المنورة، ومكة المكرمة) قديمة، وكتب عنها بعض البحوث العلمية، لكن مازال هناك جزئيات غامضة عن بداياتها وما جرى عليها من تحولات تاريخية حضارية ٠

(٢) المصدر: اطلعت على عدد من المراجع العربية المكية، وسمعت شيئاً من ذلك أثناء رحلتي الأخيرة في مكة عام (١٤٤٣- ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٢م) ٠

(٣) حسب علمي لا يوجد أي دراسة عن تاريخ القبائل في السروات وتهامة، أو في البلاد المحيطة بحاضرة مكة خلال العصر الإسلامي المبكر والوسيط والحديث، وكيف كانت علاقاتهم السياسية والحضارية بالمدينة المقدسة (مكة المكرمة) وأهلها، حبذا أن نرى مؤرخين جادين يدرسون هذا الموضوع في هيئة رسائل علمية جامعية أو كتب تاريخية توثيقية.

الصفات الإنسانية والأخلاقية[١]. وعند ظهور الدولة السعودية الحديثة وظفت القبائل وشيوخها في خدمة البناء والتوحيد، وواجه الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل (يرحمه الله) الكثير من المشاكل مع القبائل في أنحاء البلاد، لكنه في النهاية تغلب على كل العقبات، وصار شيوخ ونواب وعرائف القبائل اليوم يساندون الدولة ومؤسساتها النظامية الحديثة في خدمة الأرض والناس في أوطانهم وفي أرجاء البلاد[٢].

وشيوخ الحرف في مكة، لابد أن يحصلوا على الموافقة والقبول من أمير مكة، أو من إدارة البلدية بعد تأسيسها في النصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م) وبقيت البلدية هي المسؤولة إداريا عن جميع الطوائف الحرفية. وكان شيوخ الطوائف في السابق أصحاب حل وعقد في حرفهم، وتتوسع جهودهم أحيانا إلى إصلاحات أخرى عامة تكون ذات صلة بخدمة المجتمع المكي[٣].

ومن نهاية القرن الهجري الماضي وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، تراجعت أهمية شيوخ الحرف المكية، أو الحجازية بشكل عام. وأصبحت الغرفة التجارية مع البلدية تقتسمان الإشراف على الصناعات والمهن. وبقيت البلدية هي التي تصدر تعيين شيخ الحرفة بعد أن يتم اختياره من طائفته، وأصبحت مناصب شيوخ الحرف صورية، فليس لهم أي نفوذ أو سلطة تنفيذية على أعضاء طوائفهم. وأصبحت مشاكل كل حرفة وما يوجهه أفرادها من عقبات تحال إلى مؤسسات الدولة الرسمية كالمحاكم، والشرطة، والبلدية وغيرها للفصل فيها[٤].

إن السعي إلى إنجاز دراسات علمية عميقة عن الحرف والصناعات الحديثة والقديمة في محافظة مكة تحتاج إلى جهود كبيرة ومتواصلة من المؤرخين والباحثين الجادين. وإذا حصرنا دراستنا من بداية العهد السعودي في الحجاز إلى وقتنا الحاضر (١٣٤٣-١٤٤٤هـ/١٩٢٤-٢٠٢٣م)، فالأمر ليس صعبا لوفرة المواد العلمية المدونة، أو من خلال الرواية والمقابلات الشخصية مع المعاصرين العارفين والقريبين من ممارسة بعض الصناعات والحرف قديما وحديثا. وأثناء زياراتي الكثيرة للحجاز وبخاصة (مكة، وجدة، والمدينة المنورة) خلال خمسة عقود (١٣٩٥-١٤٤٤هـ/١٩٧٥-٢٠٢٢م)، حرصت على

---

(١) حبذا أن نرى مؤرخاً جاداً يدرس سير بعض الشيوخ المميزين في الحجاز والسروات خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م). وهذا الموضوع جديد في عنوانه ويستحق دراسة علمية جادة.

(٢) مازال تاريخ القبائل في الحجاز وتهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة، والوسيطة، والحديثة حتى النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) جدير بالاهتمام من قبل المؤرخين والباحثين. آمل أن نرى منهم من يتولى هذا الموضوع بالعديد من البحوث التفصيلية الجادة.

(٣) هناك العديد من البحوث التي وثقت صفحات من تاريخ الطوائف الحرفية ومشيختها، لكن مازلنا نتطلع إلى دراسة موسوعية وافية عن هذا الموضوع الحضاري خلال القرون الإسلامية المختلفة.

(٤) آمل أن نرى من يعكف على دراسة مقارنة للطوائف الحرفية في مكة في القرون الماضية حتى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م)، والعقود الخمسة الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م). وأعتقد أنه موضوع جديد يستحق الرعاية والخدمة البحثية الرصينة.

مقابلة بعض الباحثين والحرفيين في مكة سعوديين وغير سعوديين ونقلت منهم توثيقات مختلفة عن الصناعات المعمارية، والأطعمة والمواد الغذائية، والطوافة وأعمال أخرى لها صلة بزوار البيت العتيق من الحجاج والمعتمرين، وصناعات ومهن خاصة باللباس والزينة والأثاث، والطعام والشراب وبعض الوظائف التجارية وتبادل المنافع، ومجالات حضارية أخرى (تعليمية وثقافية، وصحية، واجتماعية، وترويحية، ودينية) [١].

اجتمع عندي بعض العلوم والمعارف التي سمعتها بالرواية الشفهية، أو عرفتها وتأكدت منها من خلال المشاهدة والسير في مناكب محافظة مكة، أو مناطق أخرى حجازية، وتهامية وسروية. وأذكر في الصفحات التالية بعضاً من هذه الخلاصات، وهي :

١- جميع الصناعات والحرف في حاضرة مكة كانت تقوم عليها أيدي عاملة مكية بالدرجة الأولى، وتعمل معهم عناصر عربية محدودة من مناطق سعودية أخرى، وأحياناً غير عربية وغالبيتهم من الرقيق حتى سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) [٢]. وكل حرفة، كما ذكرت سابقا، كانت تسير ضمن نظام إداري محلي يتولى إدارته والإشراف عليه شيخ المهنة ومن يعاونه من نفس الطائفة. وسمعت قصصاً وروايات تذكر أسماء بعض المعلمين البارزين في بعض الصناعات والحرف المكية، وعلمت أن معظم المواد الأولية لكل مهنة كانت محلية، وأحياناً تُجلب بعض المواد من البلدان المجاورة في الحجاز، أو نجد والمنطقة الشرقية، أو من اليمن وبلاد السروات وتهامة. وكان بعض التجار يأتون من تلك البلدان إلى مكة لممارسة أعمال اقتصادية في أسواق مكة، ويقايضون سلعهم مع سلع أخرى لا يجدونها إلا في أسواق الحجاز وبخاصة مكة المكرمة[٣]. ومما سمعت وقرأت عنه الثراء اللغوي المحلي الكبير لممارسة الكثير

---

(١) إن اهتماماتي التاريخية والحضارية بدأت من منتصف التسعينيات في القرن الهجري الماضي، وكان عندي رغبة كبيرة ومازالت تجاه دراسة موروثنا الحضاري المحلي في المملكة العربية السعودية وأكثر المناطق التي استهوتني وأريد معرفة المزيد عنها بلاد الحجاز (الطائف، ومكة، والمدينة، وجدة)، ومناطق الجنوب السعودي (من الطائف ومكة إلى جازان ونجران)، ومازلت أنوي وأتطلع إلى دراسة شيء من تاريخ وتراث وسط، وشرق، وشمال المملكة العربية السعودية، أرجو أن يتحقق ذلك في الوقت القريب. وما يخص منطقة الحجاز انطلاقاً من حاضرة مكة، فقد درست ووثقت صفحات من تاريخها وحضارتها عبر العصور، لكن الذي أعمل عليه حالياً ومنذ بضع سنوات يتركز على تاريخها وحضارتها وتراثها وموروثها خلال المئة سنة الماضية (١٣٤٣-١٤٤٤هـ/١٩٢٤-٢٠٢٢م)، أرجو من الله التوفيق والسداد في تحقيق ما أصبوا إليه.

(٢) تاريخ الأيدي العاملة في الحجاز، وعنصر الرقيق وإسهاماتهم في التاريخ الحضاري الحجازي والسروي والتهامي حتى ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) من الموضوعات التي لم تدرس في كتب علمية ورسائل جامعية. آمل أن نرى مؤرخين مجتهدين يتولون خدمة هذا المجال بحثياً وتوثيقياً .

(٣) تاريخ التجارة بين أهل مكة وغيرهم من سكان شبه الجزيرة العربية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) والعقود الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) من الموضوعات التاريخية الحضارية الجديرة بالدراسة والتوثيق، وهذه مسؤوليات أقسام التاريخ في الجامعات السعودية، أرجو أن نرى هذه المؤسسات الأكاديمية تستشعر واجباتها تجاه خدمة البحث العلمي لمثل هذه المجالات العلمية البحثية الحديثة.

مـن المهن والصنائع، من حيث أسمـاء المواد المستخدمة في كل حرفة، ومصطلحات وألقـاب تطلـق علـى العاملـين في كل صنعة بجميـع تخصصاتهم وفئاتهـم، وفنون الاتصـال الاجتماعي والثقـافي والحضاري بـين أرباب الحرف ومـن يتعامل معهم مـن الزبائـن المكيين أو غيرهم مـن الحجاج والمعتمريـن، أو من يفـد إلى مكة لأي هـدف أو مصلحـة أخرى. وسبـق أن درست وسرت في أرجاء بـلاد تهامة والسراة، وجمعـت معلومات كثيرة في ميدان المفردات والمصطلحات اللسانية المحلية، ووجدت كل ناحيـة (الحجـاز وقلبهـا مكة، أو السـروات وتهامةٍ) تشتمل علـى قدر كبير من المـوروث اللغوي العربـي المحلي، وفيه نسبة عالية جداً مـن الكلمات والاصطلاحات العربية الفصيحة، ووجود هـذه الظاهرة أوسع وأكبر في المرتفعات السروية الممتدة من الطائـف إلى نجران. والمنطقتان (تهامة والسـراة، والحجاز) عندهما الكثير مـنٍ التقارب والتشابه في الاسـم والمعنى لكثير من الألفـاظ والمصطلحات، وهناك أيضاً فوارق أخرى عديدة[١].

٢ـ شاهدت مسيرة التنمية الاقتصادية الحديثة في مكـة وغيرها من مدن وحواضر المملكـة العربيـة السعودية خـلال هذا القـرن (١٥هـ/٢٠-٢١م)، وكيف تحولت حيـاة النـاس وحرفهم عما كان عليه الآباء والأجداد[٢]. ففي مكة المكرمة رأيت كل حرفـة أو صنعة يدوية قديمة اجتالتها موجة الحداثة، فدخلت الكهرباء وتوسعت، وجاءت معهـا الآلات والأجهزة الكهربائية الحديثة، وبـدأت الصناعات التقليدية تتراجع وتحل محلها صنائع وحرف حديثة في الأمكنة، والأدوات، والأيدي العاملة،

(١) هـذا الذي توصلـت إليه أثناء دراسـة بعض الجوانب الحضاريـة في الناحيتين (الحجاز، والسـراة وتهامة). ووجدت أن ميدان الحرف والصنائع في المنطقتين يحتاج إلى إنجاز العديد من المعاجم اللغوية في هذا الميدان، وهنـاك قطاعات أخـرى لا تقل أهمية عما أشرت إليـه. وإذا ركزنا على المهن والصناعـات التقليدية المعروفة والممارسة عند الناس بشكل كبير حتى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م)، فسوف نجد لها تراث معرفي وثقافي ولساني كبـير، لكنه أصابـه التراجع، وضاع الكثير منـه، وأصبحت أجيال اليوم لا تعرف عنـه أي شيء، والواجب على مؤسساتنا العلمية والتعليمية والثقافية والإعلامية الرسمية والأهلية أن تجتهد في بعثه وتشجيع جمعه ودراسته، وتوظيفه ضمن مسيرة التنمية الحديثة والمعاصرة التي تعيشها البلاد خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) .

(٢) إن الحديث عن تاريخ الاقتصاد الحديث والمعاصر في المملكة العربية السعودية خلال خمسة عقود (١٤٠٠ـ ١٤٤٤هـ/١٩٨٠ـ ٢٠٢٢م) بـاب واسع، ومختلف تماماً عـن اقتصاديات سكان شبـه الجزيرة العربية في القـرون الإسلامية الماضية (ق١ـ ق١٤هـ/ق٧ـ ق٢٠م). فحياة البساطة والمحدودية كانت السمة السائدة في الماضـي، لقلة المـوارد المالية، وصعوبة الطبيعة الجغرافية، وتواضـع المجالات الحضارية الأخرى. ومنذ النصـف الثـاني في القرن(١٤هـ/٢٠م) بدأت الحيـاةٍ السياسية والإدارية تستقر في ربـوع المملكة العربية السعوديـة، ثـم ظهر البترول في هذه البلاد فكان فتحاً كبيراً لعصر حضـاري جديد، زاد فيه الخير والمال الكثـير، ثم سعت الدولة السعودية الحديثة إلى تطوير الأرض والإنسان في شتى المجالات، وتحولت الحياةٍ العامة والخاصة من الوضع القديم إلى تاريخ حديث ومعاصر له فلسفة وتراث وثقافة حديثة اختلفت كثيراً عما سبقها من الموروث المعنوي والمادي.

والسياسات والقواعد الخاصة بكل صنعة أو حرفة، ولم ينته العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) إلا والكثير من المهن القديمة اختفت أو في طريقها للانقراض. وبدأ كل شيخ حرفة أو صنعة قديمة ومعه أفراد مهنته يبحثون على صنائع أخرى يقتاتون منها، ومنهم من بقي يمارس حرفته القديمة لكن ضمن منظومة الصناعة الحديثة مع توظيفٍ الآلة، واليد العاملة الأجنبية، والسيرِ في ركاب الأعمال المؤسسية، وأحيانا الجماعية والفردية لكنها مختلفة تماماً عما عرفه وعاصره المكيون في القرون الماضية [١]. والوضع نفسه عاشته بلدان السعودية الأخرى، فكل صنعة أو مهنة قديمة لم تعد معروفة وتمارس بشكل طبيعي كما كانت عند الأوائل، وظهرت حرف وصناعات حديثة، وجاء معها أيدي عاملة غير وطنية، وظهرت ثقافة لغوية، وأعرافٍ وتقاليد جديدة، والكثير منها دخيلة على المجتمعات السعودية فنيا، واجتماعيا، وفي مجالات حضارية أخرى عديدة. ومن عاصر وتأمل في حياة الناس الصناعية والحرفية القديمة، ويشاهد التنمية الاقتصادية المهنية الحديثة والمعاصر يتأكد له الاختلاف الكبير والبون الشاسع بين الماضي والحاضر [٢].

٣- قمت بجولة علمية في أرجاء محافظة مكة في عامي (١٤٤٣-١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م) بهدف جمع مادة علمية عن مسيرة الحياة الصناعية والمهنية الحديثة، ثم اجتهدت في استذكار بعض المشاهدات التي رأيتها أو سمعت عنها خلال العقود الأربعة الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م)، وقابلت بعض الحرفيين وأصحاب الصناعات القديمة والحديثة، وزرت بعض المكتبات العامة والخاصة وعدد من المؤسسات الخدمية الرسمية والأهلية وحصلت على بعض التقارير، والبحوث، والكتيبات الخاصة بالتاريخ الاقتصادي المكي الحديث والمعاصر، وخرجت بعدد من الرؤى العامة، أسجل بعضها في الفقرات الآتية:

أ- توسعت الأنشطة الاقتصادية المهنية والصناعات الحديثة خلال هذا القرنِ (١٥هـ/٢٠-٢١م) بشكل كبير، فلا تسير في شارع كبير أو متوسط وأحياناً

---

(١) إنجاز بحوث علمية جادة وموسوعية عن صنائع وحرف المكيين قديماً وحديثاً من العناوين التي يجب أن تجد العناية والرعاية البحثية من قبل المؤسسات الأكاديمية المتخصصة. ومازالت هذه الجهات التعليمية مقصرة في هذا الجانب.

(٢) سافرت وعرفت خلال الخمسين سنة الماضية مناطق عديدة في المملكة العربية السعودية ابتداءً من أرض السروات إلى منطقة الحجاز، والمنطقة الوسطى وبخاصة الرياض، وحواضر المنطقة الشرقية (الظهران، والخبر، والدمام، ورأس تنورة)، ورأيت الكثير من الصناعات والحرف القديمة كيف تراجعت وتساقطت أغلبها خلال تقريباً ثلاثين عاماً (١٣٩٠-١٤٢٠هـ/١٩٧٠-٢٠٠٠م)، وحلت محلها الصناعة الحديثة التي بدأت بعضها في حواضر السعودية الكبيرة من خمسينيات وستينيات القرن (١٤هـ/٢٠م).

صغـير إلا تجد الكثير من الحـرف والصناعات الحديثة، وتتفاوت من مكان لآخر في أنواعها، وموديلاتها، وأهدافها. وإن ذهبت إلى الأسواق الحديثة أو الشعبية ترى تنوع المهن والصنائع، ومعظم موادها الأولية أو الرئيسية مستوردة من خارج البلاد، وقليل منها من الداخل. أما المناطق الصناعية، أو المحلات، أو المصانـع المتخصصة فتراها منتشـرة في بعض الأماكن من المدينة، ومن أشهرها المدينة الصناعية في حي التنعيم، وأخرى في مخططات ولي العهد. فـالأولى تقع على أرض مساحتها حوالي (٨٠٠) ألف متر مربع، وفيها الكثير من المصانع الحديثة المتنوعة، مثـل: العطور وبعض المواد التجميلية، والمواد الغذائيـة والأشربة، ومواد البناء، والأدوات المنزلية المعدنية، والبلاستيكية، والنحاسية، وصناعات أخرى عديدة. أما الصناعية الأخرى فكانت سابقاً في حي الكعكية، ثم نقلت مؤخراً إلى مخططات ولي العهد مقابل المخططين رقم (٥و ٦)، ومعظـم محلاتها متخصصة في خدمة السيـارات، والآلات الثقيلة والخفيفة، وصناعات وحرف أخرى عديدة اجتماعية واقتصادية وغيرها[١].

وإذا دخلـت الأحياء المختلفة، أو سـرت في بعض الشوارع الرئيسية الداخلية أو الخارجيـة ترى الكثير من الحرف الخاصـة بخدمة السيارات بجميع أنواعها، وتلاحـظ محلات متخصصة في إصـلاح الأجهزة المنزليـة، أو المكتبية، أو في مجالات التقنية المختلفة. وقد تجولت في أحياء الشرائع، وولي العهد، والعوالي، والحمـراء، والزايـدي، والرصيفـة، والتنعيـم، والمعابدة، وأجيـاد، والنسيم، والعزيزية وغيرها وحاولت حصر بعض المحلات الصناعية والحرفية فوجدتها كثيرة ومتنوعة التخصصات والأغراض، وتجد معظمها صنائع أو حرف تخدم المكيين ومن يعيش فيها باستمرار. وهناك حرف تعمل وتنظم أوضاعها المهنية طـوال العام، لكنها متخصصة في أنشطة محددة خلال مواسم الحج والعمرة لكـثرة الوافدين إلى البلـد الحرام، وارتفاع أرباح هـذه القطاعات خلال هذه المواسم. ومن تلك المهن المؤسسات الخاصة بالطوافة، أو كل ماله علاقة بمياه زمـزم، أو العاملـين في تأجير الإسكان، والمواصلات، وتجـارة وتوفير الأطعمة والأشربة، واللباس والزينة وكل ما يحتاجه الحاج أو المعتمر من هدايا وأغراض من مكة المكرمة يريد الحصول عليها ونقلها إلى بلاده[٢].

---

(١) زرت هاتـين الصناعيتين مرات عديدة خلال هذا القـرن (١٥هـ/٢٠-٢١م)، وآخر مشاهدة في نهاية عام (١٤٤٣هـ) وبداية عام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م). والصناعيتان جديرتان أن يصـدر عنهما عدد من البحوث والرسائل العلمية الجادة.

(٢) أشرت في السطور المدونة أعلاه إلى عدة مجالات لها تاريخ قديم وطويل في مكة، مثل: الطوافة والمطوفين، والزمازمـة ومـيـاه زمزم، وتوفير السكن والطعام والمواصلات للحاج والمعتمـر، والهدايا التي يفضل الحاج

ب ـ التقيت ببعض الحرفيين القدماء، وقابلت عشرات الأفراد من العاملين في مهن وصناعات حديثة، فوجدت الأوائل يتذكرون حرفهم القديمة، والأيام الجميلة التي عاشوها في الماضي. ومنهم من صرح بحزنه على تلك الأيام الخالية، وبعضهم أضاف قائلا: «**كنا يا ولدي نعيش حياة محبة وألفة وتعاون، نعم كانت الحياة المادية قليلة ومحدودة، لكن النفوس طيبة، وجميع أصحاب الحرف من أهل مكة، ولا نجد بيننا عمالة أجنبية كما نراهم في وقتنا الحاضر. وكنا نمارس أعمالنا من الساعات الأولى في النهار، ونبقى الساعات الطويلة في شغلنا وفي محلاتنا**»[1]. ومما سمعته من أولئك الرواة ذكر مفردات ومصطلحات لغوية كانت متداولة بينهم في القرن الهجري الماضي، لكنني لم أعد أسمعها في وقتنا الحاضر. وذكروا لي أسماء أعلام كثيرين كانوا شيوخ حرف، وعلى قدر كبير من الأخلاق والقيم الإنسانية المتنوعة[2]. أما الأيدي العاملة المهنية الحديثة في مكة في وقتنا الحاضر فالسواد الأعظم منهم من بلدان عربية وإسلامية أخرى. وقضيت بضعة أيام أشاهد العديد من الأعمال الحرفية في المسجد الحرام وما يحيط به من مستوطنات بشرية وبخاصة الفنادق والأبراج التجارية، وبعض الأحياء القريبة منه. وذهبت إلى بعض المواضع الاقتصادية في المدن الصناعية، وأماكن حرفية على جوانب بعض الشوارع الكبيرة في المحافظة. وقابلت بعض الأصدقاء المكيين الذين عندهم بعض الخدم (رجال ونساء) وجميعهم من بلدان إفريقية، أو جنوب وشرق آسيا. وكل هذه الأجناس تم استقدامهم من بلدانهم للعمل في مهن كثيرة بعضها يتعلق بالحرم مثل التنظيف وخدمات حرفية أخرى عديدة. والأكثرية من هذه الأيدي الوافدة تعمل في قطاعات اقتصادية واجتماعية وتعليمية وصحية وخدماتية خاصة، ومنهم نسبة تعمل في بعض المؤسسات الإدارية الحكومية. ولهذه العناصر

أخذها من مكة إلى أهاليهم وأقاربهم في بلادهم وكل هذه الموضوعات تستحق عشرات البحوث، آمل أن نرى باحثين جادين يدرسونها خلال المئة عام الماضية (١٣٤٣ـ ١٤٤٤هـ/١٩٢٤ـ ٢٠٢٢م).

(١) التقيت ببعض المكيين من كبار السن في أحياء الرصيفة، وبطحاء قريش، والتنعيم وسجلت معهم بعض القصص المتنوعة التي عاصروها وشاركوا فيها خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، آمل أن أجمع رواياتهم ثم أدرسها وأنشرها في قادم الأيام.

(٢) مازلت أحث المؤرخين السعوديين وبخاصة الحجازيين على دراسة اللهجة المكية المحلية خلال القرون الماضية، وما تحتوي عليه من تصريفات بلاغية وصرفية ومعان أخلاقية ومجتمعية، وكيف أثرت وتأثرت بلغت ولهجات أخرى عربية وغير عربية. أم كتابة سير عن أعلام مكة المكرمة، فقد صدرت بعض الكتب والبحوث في هذا الميدان، لكن مازال هناك اعلام خلال القرنين (١٣ـ ١٤هـ/١٩ـ٢٠م) وكان لهم جهود وبصمات حضارية جيدة على بلدهم وأهلهم.

السكنية تقاليد وأعراف ولهجات جاءوا بها من بلادهم والأهلية، وإذا كانت أعمالهـم الأساسيـة الخدمة في مجالات صناعية ومهنيـة مختلفة، إلا أنهم يتأثرون ويؤثرون في النسيج الاجتماعي المكي[١].

ج ـ إن الدولـة لهـا الـدور الرئيسـي في هـذه التحـولات الحضاريـة الصناعية والحرفيـة وغيرهـا. بدأت منـذ توحيد جميـع كيانات السعوديـة المجتمعية تحـت مظلة وحكومـة واحدة (المملكـة العربية السعوديـة). ومن ثم عملت علـى تحديث حياة النـاس تعليمياً، وإدارياً، واجتماعياً، واقتصادياً، وثقافياً، وتنويريـاً من أجـل مواكبة مسـيرة التاريخ الحضـاري المحلـي، والإقليمي، والعالمـي. ولبلاد الحرمين (مكة، والمدينـة) خصوصية من حيث الاهتمام والعنايـة، وقد حظيت بالرعاية الواسعة والكبيـرة من حكام المملكة العربية السعوديـة منذ عهد الإمام عبدالعزيز آل سعود إلى عصر ابنه الملك سلمان بن عبدالعزيز. وقد فصلت الكثير من البحوث والكتب العلمية ما جرى على أرض الحرمين من خدمة وتطوير خلال المئة عام الماضية (١٣٤٣ـ١٤٤٤هـ /١٩٢٤ـ٢٠٢٢م)[٢].

د ـ ممـا أدركته خـلال رحلتي الأخـيرة إلى مكة وجـود العديد مـن المؤسسات الإداريـة السعودية التي تقوم على متابعـة الحياة الصناعية والحرفية، مثل الغرفة التجارية الصناعيـة، وأمانة العاصمة المقدسة وفروعها، ومؤسسات أخـرى عديدة تتبع لوزارات التجـارة والصناعة، والحـج، والشؤون البلدية والقرويـة وغيرهـا فجميعهـا تتابع وتشرف علـى كل الحـرف والصناعات الحديثـة وما يدور في فلكها من منجزات، والعمل على حل مشاكلها، وتوجيه البوصلة التي تعود بالفائدة على مسيرة التخطيط والتنمية الحديثة[٣].

---

(١) هـذه الحالة المجتمعية منتشرة في أرجاء السعودية. ومعظم الصناعات والمهن الحضارية الخاصة والعامة تقوم عليها العمالة الوافدة العربية وغير العربية. وأدوارهم الحضارية (السلبية، والإيجابية) في المجتمع السعودي تستحق أن يعتنى بها بحثياً وتوثيقياً وتحليلياً، وهذه من واجبات الجامعات ومراكزها البحثية.

(٢) هنـاك عشرات الدراسـات العربية والأجنبية التي درست تاريخ الحرمين خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر. ومازال هناك موضوعات عديدة ونوعية عن الحرم وعموم المدن المقدسة (مكة، والمدينة) خلال العصر الحديث والمعاصر، أرجو أن نرى متخصصين جادين ومنصفين قادرين على العطاء يؤرخون لهذه الموضوعات التاريخية الحضارية.

(٣) زرت بعض هذه الإدارات وحصلت على بعض الإحصائيات والتقارير والكتيبات التي رصدت صفحات من تاريخهـا المعاصـر. وضمن هذه المواد أنشطة عديدة ومختلفة لها صلـة بالتاريخ الصناعي والحرفي خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠ـ٢١م).

وخلاصة هذا المحور أذكر بعض التوصيات التي أرجو أن تجد من يصغى إليها، والاستفادة منها لخدمة التاريخ والحضارة المهنية الصناعية، وهي على النحو التالي :

١- إن الحرف والصناعات المكية القديمة تعكس حضارة محلية فريدة تاريخية، وثقافية، وفنية، وتراثية وقد هُجرت فاندثرت واستبدلت بفنون حديثة مستوردة لا صلة لها بموروثنا الحضاري. وأصبحنا لا نرى ولا نعرف من تراثنا الأصيل إلا نماذج بسيطة معروضة في المتاحف، أو في بعض أسواقنا الشعبية، أو نسمع عنها بعض القصص والروايات الشفهية التي يذكرها كبار السن في المجالس الاجتماعية الخاصة والعامة(١). وعند أهل مكة جودة وإتقان كبير في ممارسة الكثير من حرفهم التقليدية، مثل أعمال البناء والعمران، أو إعداد الطعام والشراب، أو أعمال النجارة، والحدادة، والصياغة، واللباس والزينة، أو الخدمات القديمة المتنوعة الخاصة بخدمة المسجد الحرام، والزوار من الحجاج والمعتمرين(٢).

٢- إن مكة بلد مقدس يأتي إليها الملايين من جميع أنحاء الأرض. ولها سجل تراثي حضاري معنوي ومادي قديم وكبير. والواجب على وزارات الثقافة، والسياحة، والإعلام ، والتعليم، والحج، والبلديات، والجامعات أن تتضافر جهودها في ترميم وبعث هذا الموروث المحلي العتيق. وإن فعلت ذلك فإنها سوف تصون شيئاً من هذه الحضارة المكية الجيدة، وأيضاً تستثمرها اقتصادياً وسياحياً فيما يعود على البلاد والعباد بالنفع العميم(٣).

٣- من الواجب على وزارة التعليم أن تنشئ أقساماً، أو كليات علمية متخصصة تُدرس كل ماله صلة بالصناعات والحرف القديمة، وتستفيد من الدول والمؤسسات الإقليمية والعالمية التي سبقتها في هذا الميدان. وإذا أخذنا حاضرة مكة كنموذج، أو أي ناحية في أرجاء المملكة فسوف نجد مادة وتراث متنوع يستحق أن يخدم ويستفاد منه حضارياً وتنموياً وسياحياً.

---

(١) إن الصناعات والحرف القديمة في أي مجتمع من مجتمعات شبه الجزيرة العربية تعد جزءاً مهماً من تاريخ وحضارة البلاد المحلي. والسائح في أرجاء المملكة العربية السعودية يجد أن كل ماله صلة بالتراث التقليدي تدهور وضاع أكثره، ولا نرى من يهتم به ويرعاه لا عملياً ولا علمياً، ونأمل أن تقوم جامعاتنا بخدمة هذا التراث المادي والمعنوي، وإن فعلت ذلك فإنها سوف تحفظ بعض الشيء من هذا التاريخ المجيد.

(٢) من يطّلع على المصادر والمراجع التي أرخت لصناعات وحرف حواضر الحجاز، فإنه يتأكد له ما وثقته في المتن. ومن يتجول اليوم في مكة، وجدة، والطائف والمدينة فإنه يرى التاريخ الماضي القريب أصبح أثراً بعد عين. وبذل الإنسان المعاصر أقصى جهده في إتلاف ما تبقى من هذا الموروث والحضارة والتراث الأصيل.

(٣) قرأت مئات الصفحات عن فنون العمارة المكية القديمة، وعن إبداعات حضارية أخرى من صنع أهل البلد، ولم يخالطها أي معارف أو ثقافات دخيلة. ولو أعيد بناء وتطوير هذا التراث، مع الاستفادة من وسائل التقنية الحديثة فقد نرى موروثاً قديماً حديثاً يعكس لوحات مختلفة من ماضي هذه البلاد الجميل .

٤- إن تجاوز أو تجاهل المصادر المحلية في بلادنا، التي كان بعضها عماد الحرف والصناعات القديمة يعد هدراً لهذه المواد الخام، وفي الوقت نفسه عدم خدمة أجيالنا الحاضرة التي جنينا عليها، فلم نطلعهم على صفحات من تراث وتاريخ الآباء والأجداد، وتركناهم يتلقون معارف وثقافات لا صلة لها بتراث بلادهم المحلي الأصيل(١).

٣- شذرات من التاريخ التجاري :

هناك المئات من الباحثين عرباً، ومسلمين، وأجانب كتبوا عن تاريخ الحجاز الحضاري، وبخاصة مكة المكرمة في العصر القديم، وقرون الإسلام المختلفة (ق١ــ ق١٥هـ/ق٧ــ ق٢١م). وبعض المصادر والمراجع العامة أو الخاصة وثقت فقرات، أو صفحات، أو فصولا، وأحياناً مؤلفاً كاملاً عن التاريخ التجاري المكي في حقبة محددة. ومن يعمل على إصدار دراسة ببليوجرافية تفصيلية يحصر فيها كل ما كتب عن تجارة، أو اقتصاديات مكة عبر أطوار التاريخ بكل اللغات فإنه سيقدم عملاً جليلاً لتاريخ وحضارة هذه المدينة المقدسة، وللمؤرخين والباحثين في مشارق الأرض ومغاربها(٢).

سبق أن اطلعت على الكثير من المصادر العربية الإسلامية المبكرة والبحوث والكتب الأجنبية التي فيها إشارات، أو تفصيلات عن تجارة المكيين قبل الإسلام وبعده. وقبل توثيقي هذه الرحلة في محافظة مكة قرأت بعض الكتب، والبحوث والرسائل الجامعية، وبضعة تقارير حديثة عن جغرافية مكة السكانية والعمرانية، وموضوعات أخرى حضارية وتنموية. ومنها ما يلي:

١- جيهان عبدالرحمن شاه باهاي. دور مكة المكرمة في الحياة الاقتصادية قبل الإسلام (دراسة لما بين القرنين (الرابع والسابع الميلاديين)، رسالة ماجستير في جامعة الملك عبدالعزيز (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

٢- حقي إسماعيل إبراهيم. أسواق العرب التجارية في شبه الجزيرة العربية (عمان: دار الفكر، ١٤٢٣هـ).

٣- محمد محمود السرياني." مكة المكرمة (دراسة في تطوير النمو الحضري)". منشورات الجمعية الجغرافية الكويتية (١٤٠٥هـ/١٩٨٤م).

---

(١) زرت العديد من بلدان الشرق والغرب، ورأيت بعضها تعمل جاهدة على توظيف تراثها المادي اقتصادياً وحضاريا حتى يصبح من مصادر الدخل الرئيسية في البلاد. ونحن في المملكة العربية السعودية عندنا من المؤهلات الحضارية المعنوية والمادية ما يجعلنا في مقدمة الدول، لو اجتهدنا وعرفنا كيف نستفيد من تاريخنا وحضارتنا وتراثنا العربي الإسلامي الأصيل.

(٢) آمل أن نرى مؤرخاً جاداً يتبنى هذه التوصية، ويخرج لنا عملاً علمياً جاداً ورصيناً، ومن يفعل ذلك فلن يُحرم الأجر والثواب من الله (عز وجل).

٤- سعاد إبراهيم الحسن. **النشاط التجاري في مكة في العصر المملوكي**، رسالة ماجستير في جامعة أم القرى (١٤٠٥هـ/١٩٨٤م).

٥- حسن إيلام. "الأسواق المركزية في مكة المكرمة وتوزيعها وانتشارها". **الندوة السابعة لأقسام الجغرافيا في المملكة العربية السعودية**، كلية الآداب، جامعة الملك سعود (١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

٦- حسن عبدالله أبو ركبة وآخرون. "ظاهرة انتشار الأسواق المركزية بالمملكة العربية السعودية تأثيراتها واتجاهاتها". **مركز البحوث والتنمية في جامعة الملك عبدالعزيز** (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

٧- سناء صالح عبده الحبيشي. **آثار الحج على الاستخدمات التجارية. بمدينة مكة المكرمة**. رسالة ماجستير في جامعة أم القرى (١٤١٣هـ/١٩٩٣م).

٨- عواطف الشريف الحارث. **البيئة الحيوية لمنطقة الحرم المكي (دراسة في الجغرافيا الحيوية)**،رسالة ماجستير، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).

٩- فاطمة عويد الحبسي. "العوامل الجغرافية المؤثرة في توزيع شبكة الطرق البرية بمنطقة مكة المكرمة". **الندوة الثامنة لأقسام الجغرافيا في المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى** (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

١٠- زهير محمد جميل كتبي. **أثر الوظيفة الدينية على استخدام الأرض في مكة**. رسالة دكتوراه في قسم الجغرافيا بمعهد الدراسات والبحوث، جامعة الدول العربية بالقاهرة (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

١١- نزهة يقظان الجابري. **تحليل النظام الحضري بمنطقة مكة المكرمة الإدارية (دراسة في الجغرافيا العمرانية**. رسالة دكتوراه، جامعة الملك عبدالعزيز (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

١٢- أشواق حمزة مليباري. **الأسواق في مدينة مكة المكرمة (دراسة في النشأة، والتطور، والتوزيع)**رسالة ماجستير، جامعة أم القرى(١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)

١٣- سعد أبو راس الغامدي. "تصنيف استخدامات الأراضي في مدينة مكة المكرمة عن طريق معالجة بيانات أقمار صناعية مدمجة". **المجلة الجغرافية العربية، عدد(٤٢)** (القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

١٤- معـراج مرزا. **أطلس خرائط مكـة المكرمة**، هيئة المساحـة الجيولوجية السعودية (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

١٥- اطلعت على عـدد من التقارير والمخططات العمرانية عـن حاضرة مكة الصادرة مــن وزارات الحج، والشـؤون البلدية والقروية، ومن الهيئـة العليا لتطوير منطقة مكة المكرمة، وجميعها في سنوات مختلفة خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠ـ ٢١م).

معظـم هذه المراجـع الآنف ذكرها، وبعض المصادر التاريخيـة الإسلامية القديمة ناقشـت جغرافيـة مكة قبل الإسلام، وخـلال القرون الإسلامية المختلفـة، وكيف أثرت الطبيعة الجغرافية، والمكانة الدينية، على حياة الناس في شتى المجالات. وكانت التجارة ضمــن أولويات المكيين، وكان للأوضاع التاريخية السياسية والإدارية منذ فجر الإسلام إلى الآنِ (١٤٤٤هــ/٢٠٢٣م) الـدور الرئيسـي في نشاط الحياة التجاريـة أو تراجعها، وأحيانا تدهورها[1].

لم يأت القرن (١٤هـ/٢٠م) إلا وبلدة مكة المكرمة من الحواضر التجارية النشطة، مع ما كانت تعيشه شبه الجزيرة العربية من فقر، وفوضى، وانفلات سياسي، إلا أن هذه المدينة تُعد أحسن من غيرها[2]. ويقيض الله أن يظهر الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل في نجد، ويمد نفوذه السياسي على الحجاز وغيرها حتى تشكلت دولته الحديثة (المملكة العربية السعودية)، عندئذ اتخذت مكة العاصمة الدينية والإدارية، التي بدأت منها معظم الدراسات والتخطيطاتً التنموية السعودية الحديثة[3].

---

(١) عُرفـت مكـة كبلدة تجارية جيدة قبـل الإسلام، وبعد ظهورِ الديـن الإسلامي في الحجـاز وانتشاره في أرجاء العـالم، ثم تطورت هـذه الحاضرة المقدسة دينيا وحضاريا. وما جرى من أحداث حربية وسياسية داخل شبه الجزيـرة وخارجهـا، وانتقال الخلافة الإسلامية مـن الحجاز إلى العراق، ثم الشام، وبغـداد، والقاهرة، ثم الأستانـة وما جرى بعد ذلك على بلـدان العرب والمسلمين من تقلبات سياسية، كل ذلك أثر سلباً وإيجاباً على بلاد الحرمين، وكانت مكة المكرمة في قلب الأحداث التاريخية. وهناك العديد من المصادر الإسلامية المبكرة، والمراجع المتأخرة فصلت التاريخ السياسي للعالم الإسلامي، وللحجاز، والمدينتين المقدستين (مكة، والمدينة).

(٢) مــن يستقرئ تاريخ المـدن والحواضر والمناطق في شبه الجزيرة العربية قبل قيام المملكة العربية السعودية فإنــه يجـد الاضطرابات السياسية والقبلية منتشرة في كل مكان، ولم تكن مكة سالمة من تلك الأحداث، إلا أنها أفضل من غيرها، وربما قدسيتها ومنزلتها الدينية جنبتها بعض الويلات والعقبات السائدة آنذاك.

(٣) لم يكـن الإمـام عبدالعزيز يجهـل حياة التخلـف والأمية الموجودة في أرجـاء الجزيرة العربيـة. ويعلم أن حواضـر الحجـاز الرئيسيـة وبخاصة مكـة المكرمة قد عرفـت شيئاً من حيـاة التمدن والحداثـة لصلتها الوطيـدة مع بعض البلدان العربية الأخـرى، ومع الدولة العثمانية التي عرفت ومارست الكثير من الأنظمة التعليميـة، والمالية، والإداريـة الحديثة. ورغبة الإمام عبدالعزيز في تطوير بـلاده والأخذ بكل جديد، فقد تـرك لأهل مكـة المتعلمين والمتنورين ومعهم بعض رجـال دولته المستشارين والمثقفـين ليعملوا ويتعاونوا في التأسيـس والبنـاء لمؤسسات الدولة الإداريـة والحضارية الحديثة، وتكون مقراتهـا الرئيسية في مكة، وقد قامـوا بالمهمة خير قيام، وفي خلال ثلاثة عقود (١٣٤٣ـ١٣٧٣هـ/١٩٢٤ـ ١٩٥٣م) وصل التطوير الحديث

إن امتلاء مكة سنوياً بالحجاج والمعتمرين جعلها سوقاً تجارية نشطاً. وعند دخولها تحت ظل الدولة السعودية الحديثة، بقيت على وضعها الاجتماعي السابق، فأغلب سكانها من الحضر والبادية صاروا مواطنين سعوديين. وتحسنت أوضاع البلاد سياسياً وأمنياً، وأثر ذلك إيجابياً على جوانب الحياة الحضارية الأخرى، إلا أن العقبة الكبرى التي واجهت الدولة السعودية الحديثة ضعف الموارد الاقتصادية، ولم يستمر ذلك طويلا لظهور البترول، فبدأت ظروف الدولة وعموم الناس تسير نحو التطور والنماء. ومن أوائل اصلاحات الملك عبدالعزيز الاجتهاد في توفير حياة الأمن والاستقرار للحجاج وزوار البيت الحرام، ثم أدخل العديد من أعمال البناء والتطويرات على بعض مرافق المسجد الحرام، والمشاعر المقدسة [١].

تشير بعض المصادر في العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى أسماء العديد من الأسواق في مكة، وجميعها حول المسجد الحرام. وتنشط أثناء موسم الحج والعمرة، وتُصدر إليها الكثير من السلع الداخلية والخارجية، ويقوم عليها أسر، وافراد، وتجار معروفون، لهم صلات متنوعة مع بعضهم البعض، ومع تجار آخرين في جدة، والقنفذة، وعدن، وبلدان أخرى عديدة داخل الجزيرة العربية وخارجها. ووسائل النقل الرئيسية الدواب، وفي منتصف القرن (١٤هـ/ ٢٠م) بدأت السيارات تصل إلى مكة وتخرج منها، وبقيت الدواب تستخدم في نواحي كثيرة من المحافظة، وتزايدت السيارات وطرقها، وتراجعت أهمية الدواب، ولم يأت العقد التاسع من القرن الهجري الماضي إلا أصبحت المركبات وسيلة النقل الرئيسية للبشر والبضائع والأمتعة المختلفة [٢].

ذهبت إلى مكة المكرمة في بدايات التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم تكررت رحلاتي إلى الحجاز عموماً ومكة خصوصاً خلال الأربعين سنة الماضية (١٤٠٢-١٤٤٤هـ/١٩٨٢-٢٠٢٢م) وشاهدت الحياة التجارية في هذه العاصمة المقدسة، وسمعت وقرأت عنها، وفي الصفحات التالية أرصد لمحات من ذلك:

إلى جميع مناطق المملكة، والفضل يعود لله أولاً، ثم لفطنة وبصيرة الملك عبدالعزيز، ثم لأهل الحجاز وبخاصة المكيين الذين ساهموا بنسبة كبيرة في بناء المملكة العربية السعودية.

(١) تلك الإصلاحات خلال الفترة الأولى من عصر الملك عبدالعزيز في الحجاز موثقة في عشرات البحوث العلمية. ومازال هناك وثائق غير منشورة تشتمل على فضله وجهوده الدينية، والاجتماعية، والأخلاقية، والإنسانية لخدمة سكان مكة المكرمة كونهم جيران البيت الحرام. ومن يستقرئ التاريخ الإسلامي يجد هناك الكثير من الخلفاء، والسلاطين، والوزراء، والأمراء الذين كانوا يسارعون في الإحسان إلى سكان مكة والمدينة لأنهم أهل البلد الحرام.

(٢) أشرت في الفقرة المدونة أعلاه إلى عناصر عديدة مثل: وسائل التنقل في محافظة مكة، والتجار والتجارات داخل مكة وخارجها خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، وهي موضوعات حضارية حديثة مازالت تستحق أن تُدرس في عدد من الرسائل الجامعية أو بحوث وكتب علمية.

أـ الطرق :

المسجـد الحـرام الهدف الرئيسي لمن رغـب زيارة مكة، والمركـز الأساسي لسكان المدينـة والمحافظة. وتصل طـرق المشاة القديمة، ثم السيارات مـن جهات مكة الأربع. فمن ناحية الشرق أو الطائف طريق وادي السيل، ثم طريق عقبة الهدا منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م). ومن المدينة المنورة وبلاد الشام طريق أخرى. ومن الغرب وجدة طريق ثالثـة، ومن تهامة اليمـن، وجازان، والقنفـذة، والليث جنوباً طريـق رابعة. جميع هذه الدروب معروفة ومسلوكة بالدواب والمشاة من قبل الإسلام، وخلال العصور الإسلامية المختلفـة حتـى ظهـور السيـارات واستخدامها في النصـف الثاني من القـرن الهجري الماضـي. وكل طريق له تاريخ طويل، ويستحق أن يوثق في دراسات علمية عديدة. رأيتها في مطلـع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) مسفلتة وضيقة، وبعد خروجهـا من محافظة مكة تتفـاوت في جودة رصفهـا وسفلتتها، وفي الخدمـات الموجودة علـى جوانبها حتى تصل إلى أطـراف المملكة من جهاتهـا الأربع[١]. واجتهدت الدولة في تطويرها وتوسيعها حتى صـارت اليوم (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) مزدوجة مزودة بـكل الخدمات التي يحتاجها الحاج والمسافر، وصار مع بعضها طرق أخرى جديدة مرادفة أفضل من القديمة[٢].

طرق المدينة ومواصلاتها مرتبطة بحركة العمران، فالعديد من الدراسات الحديثة تشير إلى حوالي (١٣) حارة جميعها حول الحرم، في منتصف القرن(١٤هـ/٢٠م) [٣]، والطـرق القادمة من الجهات الأربع تصل إليها، ولم يأت القرن (١٥هـ/٢٠م) إلا زادت الأحيـاء حوالي ثلاثة أضعـاف، منها: جـرول، والعزيزية، والطندبـاوي، والسليمانية، والجميزة، والمعابـدة، والعتيبية، والفيصلية، ومنى، والرصيفـة، والهنداوية، والزاهر، والزهراء، والنزهة، والتنعيم، وبطحاء قريش، والهجرة، والسلولي، والغسالة، والعدل، والشرائع، والعوالي، وجبل النور، والنوارية، والبحيرات، والخنساء، والشيشة، والروضة، والخالدية، والحمراء وغيرها[٤].

---

(١) سـرت في معظمهـا، وشاهدت مستواها العمراني خلال العقد الأول مـن هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وكانت سهلـة في أماكـن وصعبـة ووعرة في أخـرى. والطـرق الحديثة في المملكـة العربية السعودية مـن (١٣٥٠-١٤٢٠هـ/١٩٣١-١٩٩٩م) من الموضوعات الجديدة الجديرة بالدراسة التاريخية التوثيقية.

(٢) كان هناك طريق واحدة تخرج من مكة إلى جدة، أو المدينة، أو الطائف. واليوم هناك أكثر من طريق سريع بـين هـذه المدن الحجازية في الشـرق، والشمال، والغرب وبـين العاصمة المقدسة. وهـذه الدروب القديمة والجديدة تستحق أن تدرس في أعمال علمية تاريخية عميقة.

(٣) سبـق أن ذكـرت معظم تلك الحارات في المحور الخاص بالحياة الاجتماعية في بداية هذه الدراسة. ومنها: سوق الليل، والقشاشية، والشامية، وشعب عامر، وشعب علي وغيرها.

(٤) للمزيـد انظر السيد عبدالقـادر كوشك. دراسات في قضايا المدن المعاصرة والتحضر (جدة، ١٤١٥هـ) ص ١٣٥ومابعدها، محمد محمود السرياني، مكة المكرمة: دراسة في تطوير النمو الحضري، ص ١٣-٢٨.

من خلال جولاتي في أرجاء مكة في ثلاثينيات وأربعينيات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ثم اطلاعي على بعض الدراسات المطبوعة والمنشورة، والخرائط الجوية التي أرخت لمكة نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م)، والعقدين الأوليين من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) تأكد لي أن التمدد العمراني الحديث انتشر في الاتجاه الشمالي الشرقي نحو طريق السيل إلى حي الشرائع. وفي الجهة الشمالية الغربية على طريق المدينة المنورة وقامت مخططي العمرة والنوارية. وفي الناحية الجنوبية الشرقية نحو طريق الهدا الطائف بدأت أحياء العزيزية، والعوالي وغيرهما. وفي الاتجاه الجنوبي الغربي على طريق الساحل إلى الليث وما بعدها ظهرت مخططات عديدة مثل الكعكية، ووادي السلولي. ونتج عن ذلك فتح شوارع عديدة تربط هذه الأحياء الجديدة ببعضها، وترتبط جميعها بالمسجد الحرام والحارات القديمة من حوله[1]. وشوارع أخرى كثيرة داخل بعض الأحياء الحديثة.

وأصبحنا في وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) أمام شبكة طرق برية كثيرة تربط جميع مناطق، ومدن، وحواضر، وقرى المملكة العربية السعودية، بعضها مع بعض. ومعظمها مزودة بجميع الخدمات التي يحتاجها المسافر. وتأتي محافظة مكة في قلب البلاد السعودية، فقد حظيت بالاهتمام الكبير داخلياً، وتم ربطها بطرق مسفلتة رئيسية تصل إلى كل ناحية في المملكة. وتوثيق تاريخ طرق مكة المكرمة الحديثة مع غيرها تحتاج إلى عشرات الدراسات العلمية، فقد كانت محدودة وصعبة المسالك خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وفي هذا القرن(١٥هـ/٢٠-٢١م) تعددت وتطورت ووصلت إلى كل جزء صغير وكبير في المملكة العربية السعودية[2].

جدول رقم (١): أسماء بعض الطرق ومسافاتها التي تربط بين حاضرة مكة المكرمة وغيرها من المحافظات والمدن في المملكة العربية السعودية عام (٤٣ـ١٤٤٤هـ/٢١ـ٢٠٢٢م).

م	أسماء الطرق بين مكة وغيرها	مقدار المسافة بالكيلومترات	ملاحظات
١ـ	مكة المكرمة ـ الطائف	(١٢٤ـ ١٢٨كم)	من طريق السيل
٢ـ	مكة المكرمة ـ الطائف	(٩٠ـ ٩٤كم)	من طريق الهدا
٣ـ	مكة المكرمة ـ تربة	(٢٣٩ـ ٢٤٤كم)	
٤ـ	مكة المكرمة ـ رنية	(٤٤٥ـ ٤٥٠كم)	
٥ـ	مكة المكرمة ـ بيشة	(٤٥٦ـ ٤٦٠كم)	

(١) وجدت في بعض الخرائط العديد من الشوارع التي ظهرت مع الأحياء الجديدة خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وبعضها معروفة من نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م)، مثل شوارع الحج، والحجون، وأم القرى، والمسجد الحرام، والمنصور، وخالد بن الوليد، وعمر القاضي، والشهداء، وعبدالله عريف، والأندلس، والجزائر، وإبراهيم الجفالي، وعبدالله خياط، والضيافة، والخنساء، ووادي جليل وغيرها.

(٢) آمل أن نرى مؤرخين سعوديين جادين يؤرخون للطرق البرية في المملكة خلال مئة عام (١٣٤٣ـ١٤٤٤هـ/١٩٢٤ـ٢٠٢٢م) ويخصون طرق الحجاز، وبخاصة المدن المقدسة (مكة المكرمة، والمدينة المنورة)، مع غيرها بدراسات علمية جادة وتفصيلية مع دعمها بالوثائق التاريخية والصور الفوتوغرافية.

م	أسماء الطرق بين مكة وغيرها	مقدار المسافة بالكيلومترات	ملاحظات
٦ـ	مكة المكرمة ـ الباحة	(٣٠٧ـ ٣١١كم)	
٧ـ	مكة المكرمة ـ النماص	(٥٠٠ـ ٥٠٥كم)	
٨ـ	مكة المكرمة ـ أبها	(٦٣٦ـ ٦٤٢كم)	
٩ـ	مكة المكرمة ـ خميس مشيط	(٦٧٨ـ ٦٨١كم)	
١٠ـ	مكة المكرمة ـ نجران	(٩٠٦ـ ٩١١كم)	
١١ـ	مكة المكرمة ـ الليث	(١٩٣ـ ١٩٧كم)	
١٢ـ	مكة المكرمة ـ القنفذة	(٣٨٢ـ ٣٨٦كم)	
١٣ـ	مكة المكرمة ـ المخواة	(٣٥٢ـ ٣٥٧كم)	
١٤ـ	مكة المكرمة ـ محايل عسير	(٥٥٧ـ ٥٦١كم)	
١٥ـ	مكة المكرمة ـ الدرب	(٥٨٢ـ ٥٨٦كم)	
١٦ـ	مكة المكرمة ـ صبيا	(٦٦١ـ ٦٦٦كم)	
١٧ـ	مكة المكرمة ـ جازان	(٦٩١ـ ٦٩٤كم)	
١٨ـ	مكة المكرمة ـ أبوعريش	(٦٩٣ـ ٦٩٧كم)	
١٩ـ	مكة المكرمة ـ صامطة	(٧٤٢ـ ٧٤٧كم)	
٢٠ـ	مكة المكرمة ـ الطوال (الموسم)	(٧٥٦ـ ٧٥٩كم)	
٢١ـ	مكة المكرمة ـ جدة	(٨١ ـ ٨٥كم)	الطريق السريع
٢٢ـ	مكة المكرمة ـ جدة	(٧٠ـ ٧٥كم)	الطريق القديم
٢٣ـ	مكة المكرمة ـ المدينة المنورة	(٤٣٧ـ ٤٤١كم)	
٢٤ـ	مكة المكرمة ـ تبوك	(١٠٠٢ـ ١٠٠٨كم)	
٢٥ـ	مكة المكرمة ـ عرعر	(١٤٠٥ـ ١٤١٠كم)	
٢٦ـ	مكة المكرمة ـ الجوف	(١٢٤٩ـ ١٢٥٤كم)	
٢٧ـ	مكة المكرمة ـ حائل	(٨٥٧ ـ ٨٦٤كم)	
٢٨ـ	مكة المكرمة ـ الرياض	(٨٦١ـ ٨٦٧كم)	
٢٩ـ	مكة المكرمة ـ الخرج	(٩٥٠ـ ٩٥٥كم)	
٣٠ـ	مكة المكرمة ـ عنيزة	(٨٠٠ـ ٨٠٥كم)	
٣١ـ	مكة المكرمة ـ بريدة	(٨٥٢ـ ٨٥٨كم)	
٣٢ـ	مكة المكرمة ـ الدمام	(١٢٧٠ـ ١٢٧٦كم)	
٣٣ـ	مكة المكرمة ـ الظهران	(١٢٧٢ـ ١٢٧٧كم)	
٣٤ـ	مكة المكرمة ـ الجبيل	(١٣٢٩ـ ١٣٣٤كم)	
٣٥ـ	مكة المكرمة ـ رأس تنورة	(١٣٠٥ـ ١٣١٢كم)	
٣٦ـ	مكة المكرمة ـ حفر الباطن	(١١٥٨ـ ١١٦٤كم)	
٣٧ـ	مكة المكرمة ـ الخفجي	(١٣٨٠ـ ١٣٨٦كم)	
٣٨ـ	مكة المكرمة ـ الأحساء	(١٣٤٨ـ ١٣٥٥كم)	

قرأت وعرفت مكة المكرمة منذ نهاية العقد الأخير من القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر، وشاهدت الأعمال الجبارة التي قامت بها الدولة تجاه الحرمين الشريفين، وكانت تضاريس مكة المكرمة من العقبات الكبيرة التي واجهت مسيرة التطوير والتنمية المكية، لكن الدولة لم تستسلم للأمر وقررت ثم خططت وأنفقت

الأموال الكبيرة حتى تمكنت من تجاوز معظم العقبات الجغرافية، وأنجزت عشرات الطرق الجيدة الحديثة. وصارت التنقلات بجميع المركبات تجوب جميع أحياء المدينة، وتصل معظمها إلى مراكزها وبخاصة منطقة المسجد الحرام وما حولها. ومازالت عجلة النمو والتطوير العمراني الحديث على قدم وساق في أرجاء المحافظة وما حولها من حواضر ومدن الحجاز. وتسهيل الطرق والاعتناء بها يأتي في مراتب متقدمة من سياسة الحكومة التنموية.

كانت صلاتي بأرض الحرمين قديمة، ومازلت على هذا التواصل إلى الآن، ومن رحلاتي في مناطق ومدن عديدة في المملكة خلال العقود الستة الماضية (١٣٨٤-١٤٤٤هـ/١٩٦٤-٢٠٢٣م) اتضح لي أن هناك الكثير من طرق المواصلات البرية الحديثة التي اعتنت بها الدولة، وأدركت أن مسيرة التنمية المعاصرة تستوجب شبكة طرق سهلة وواسعة ومتطورة، وقد تحقق ذلك ولله الحمد [١].

ورأيت الدروب الإقليمية الحديثة بين مكة المكرمة وغيرها تسير نحو التعمير والتطوير الجيدين ومرت كل الطرق الترابية والمسفلتة التي تربط حاضرة مكة مع غيرها داخل المملكة وخارجها بمراحل تنموية متنوعة وعديدة حتى صارت اليوم (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م) حديثة وواسعة في عرضها وأطوالها، وتسير عليها كل السيارات المسخرة في خدمة الحجاج والمعتمرين القادمين من كل مكان إلى بيت الله الحرام. وتصل من خلالها إلى محافظة مكة جميع أنواع البضائع الداخلية والخارجية[٢].

لكل مدينة مركز رئيسي تحيط به أجزاء الحاضرة الداخلية والخارجية. ومركز مكة المكرمة يفوق غيره من مراكز المدن الأخرى بسبب موقع الكعبة والمسجد الحرام الذي تتجه إليه كل الطرق. ومن يطالع طرق مكة المكرمة وبخاصة التي تربط أطراف المدينة مع منطقة المسجد الحرام يجدها تتسع وتتشعب في أرجاء المحافظة، لكن موقع البيت الحرام في مكان محدود جغرافيا على وادي إبراهيم الخليل، وهذا يجعل جميع الطرق تضيق في عرضها ومداخلها في منطقة المسجد الحرام[٣]. والدراس لجغرافية مكة

(١) تاريخ الطرق والمواصلات ووسائل النقل في جميع مناطق المملكة خلال العصر الحديث والمعاصر (١٣٥٠-١٤٤٤هـ/١٩٣١-٢٠٢٣م) موضوع واسع جدير أن يدرس في مئات الدراسات. وكل ناحية، أو محافظة، أو مدينة في أنحاء البلاد لها مسيرة تاريخية مع الطرق ووسائل النقل خلال المئة سنة الماضية. آمل أن نرى مؤرخين جادين في كل منطقة من مناطق المملكة يهتمون بدراسة وتوثيق هذا الميدان التنموي المهم.

(٢) هذا الذي عرفته وعشته أثناء ترددي على المسجد الحرام وعلى حواضر الحجاز الكبرى (الطائف، ومكة، وجدة، والمدينة) من عام (١٣٩٢-١٤٤٤هـ/١٩٧٢-٢٠٢٢م). آمل أن أتمكن في قادم الأيام من القيام برحلة طويلة على مناطق المملكة العربية السعودية، وأوثق صفحات من تاريخ التنمية الحديثة العامة في هذه البلاد المباركة.

(٣) إن الشوارع الرئيسية في مكة الواقعة على مقربة من منطقة الحرم تتسع وتتشعب كلما بعدت عن المسجد،

في وقتنا الحالي يلحظ تنوع طرقها، ويمكن تقسيمها إلى بضعة أنواع هي :

١ ـ الطرق الرئيسيــة، متنوعة، طرق طولية، أو دائرية، ويتخلل بعضها جسور وأنفاق، ويغلــب عليها الاتســاع في كل الاتجــاه، ومتوسط عرضها يــتراوح غالباً بين (٣٠-٨٠م) حسب مواقعها، وصلاتها بما حولها من نشاطات حضارية متنوعة [١].

٢ ـ طــرق فرعية تربط بين الطــرق الإقليمية والرئيسية في المدينــة، ويتراوح عرضها تقريبــاً مــن (٢٠ــ٥٠م). وعددهــا يفوق عدد الطــرق الرئيسية. وتصــل الأحياء ببعضهــا، وتربطهــا بالطرق الرئيسية. وقــد سرت في بعضها خــلال العشرينيات والثلاثينيــات من هذا القــرن (١٥هـ/٢١م) مثل: طريق عبــد الله عريف، وطريق عمــر قاضي، وطريق الجزائر، وهناك طرق أخرى حديثة فرعية في بعض الأحياء الجديدة مثل: مخططات الشرائع، وولي العهد وغيرها [٢].

٣ ـ الطرق المحلية داخل الأحياء والمجمعات السكنية، وأهميتها الرئيسية خدمة سكان الحــي، والتجمعــات البشرية المحلية. وترتبــط ببعضها، وتتصل بطــرق فرعية أو محوريــة أخرى، وعرضها يــتراوح بين (١٠ــ٢٥، أو٣٠م) أحيانــاً [٣]. وكل الأحياء مليئــة بالطــرق الصغيرة التي تصــل إلى كل مكان في الحــي. لكنني اكتفيت بذكر بعضــ الطرق المحلية الكبيرة نوعاً ما، وتخدم جزءاً واسعاً من الأمكنة، أو الأحياء الموجودة في نطاقها.

ويحدث العكس كلما قربت.

(١) ممــا عرفتــه مــن الطــرق الرئيسيــة وســرت مــن خلالهــا في الخمسين سنــة الماضيــة (١٣٩٢ــ١٤٤٤هـ/١٩٧٢ــ٢٠٢٢م). طريــق الحــج، وطريــق المسجد الحــرام، وطريــق الضيافة، وطريق المنصــور، وطريق الحجــون، وطريق أم القرى، وطريــق الملك خالد، وطريق الملك عبــد الله. وهناك طرق رئيسيــة أخرى عديــدة تصل إلى أجزاء مختلفة في المحافظة. وجميع هــذه الطرق الآنف ذكرها قديمة في تاريخهــا فبعضهــا ربما تعود نشأتها إلى سبعينيات القرن (١٤هــ/٢٠م) مثل طريق المسجد الحرام الذي يخــرج من محيط الحرم إلى العزيزيــة والمشاعر المقدسة ويتصل بطرق إقليميــة تصل إلى الطائف، وكل طريق يستحق أن يوثق في بحث مستقل.

(٢) يصعــب أن يشمــل حديثــي كل الطــرق الفرعيــة في محافظة مكــة، وبعضها تعــود إلى بضعة عقــود. وكل الطــرق الفرعية في عموم مكــة المكرمة تستحق أن تدرس في كتاب أو رسالــة جامعية من بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). إلى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م).

(٣) تجولــت في أرجــاء المدينة خلال الثلاثينيات وبدايــة الأربعينيات وسألت عن بعض الطــرق الفرعية داخل بعضــ الأحياء. وفي كل حي طرق فرعيــة تتفاوت في أطوالها وعرضها وأهميتهــا الحضارية والاقتصادية. ومــن الطــرق التــي وقفت عليها أو سمعــت عنها. طريق عبد الله خيــاط، وطريق خالد بــن الوليد، وطريق إبراهيــم الجفالي، وطريق الأندلس في حي العتيبية، وطريق عبد الله الخليفي، وطريق وادي جليل، وطريق الشهداء، وطريق الطاشقندي وغيرها.

٤ - الطرق المحورية : وهي أقل الطرق في أي حي أو ناحية، وتربط بين الطرق الفرعية والطرق المحلية، وهي قريبة في عرضها من الطرق المحلية، لكنها ليست فاعلة بنسبة كبيرة. وذكر لي من هذه الطرق طريق الخنساء، وطريق ريع ذاخر. ولو اعتبرنا هذه الطرق فرعية فذلك أمر جائز.

ونجد أن الدروب المحلية أكثر الطرق المنتشرة في المحافظة لتنوعها، ولأهميتها في خدمة سكان كل حي أو ناحية. لكنها مع الطرق المحورية وأحياناً الفرعية تأتي في مرتبة ثانية بعد الطرق الرئيسية من حيث خدمة الحركة التجارية، والمجالات الاقتصادية الأخرى [١].

ونشاهد العمل منذ سنوات في توفير خدمة المواصلات بالقطار في المشاعر المقدسة، وبين مكة وجدة، ومازالت الدراسات والجهود مستمرة في توفير شبكة سكك حديدية متقدمة في أرجاء منطقة الحجاز، ولمحافظة مكة الأولوية من حيث العناية والاهتمام [٢].

أدركت الدولة الحياة العصرية التي يعيشها العالم من نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م)، وازدياد النمو السكاني الذي يسير بشكل سريع وكبير في كل مكان، وهذا مما انعكس على تطور حياة الناسِ الاجتماعية والاقتصادية. وفيما يتعلق بحاضرة مكة فالوضع كان ومازال أكثر إرهاصاً لزيادة أعداد السكان بشكل عام، وارتفاع نسبة الحجاج والمعتمرين من الداخل والخارج، ولابد من وجود بنية تحتية قوية مخطط لها حتى تستوعب المدينة المقدسة من يعيش فيها، أو من يفد إليها حاجاً، أو زائراً، أو غير ذلك. وقد اطلعت على العديد من التقارير الكثيرة والرسمية التي لها صلة بالتنظيم والمخططات الهيكلية الهندسية والعمرانية والتنموية لمحافظة مكة خلال العقود الأربعة الماضية (١٤٠٥-١٤٤٤هـ/١٩٨٤-٢٠٢٢م) فأدركت وتأكد لي أن هناك استشعار واهتمام عظيم من جميع المؤسسات الرسمية والأهلية المعنية برعاية وخدمة وتطوير المسجد الحرام، وجميع القطاعات الخدمية في أنحاء الحاضرة المكية. وإذا كانت ومازالت الأعمال قائمة في بناء وتطوير الطرق الرئيسية في المحافظة وجميع أحيائها، فلا ننسى الخدمات الأخرى التي لها صلة بالنمو العمراني الحديث مثل الجسور، وشبكات الكهرباء، والمياه، والصرف الصحي، والاتصالات. إضافة إلى خدمات أساسية أخرى أمنية، وصحية،

(١) هذا الأمر ليس محصوراً على حاضرة مكة، لكنها ظاهرة شاهدتها في أغلب المدن والمناطق التي زرتها وكتبت بعض الدراسات عنها في بلاد الحجاز، أو تهامة والسراة. وتاريخ الطرق بجميع أنواعها في أي حاضرة أو منطقة بالمملكة خلال المئة سنة الماضية (١٣٤٣-١٤٤٤هـ/ ١٩٢٤-٢٠٢٣م) من الموضوعات الحضارية الاجتماعية والاقتصادية الجديرة بالدراسة التوثيقية والتحليلية.

(٢) من يتردد على مكة المكرمة من العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ويشاهدها اليوم (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م) يعرف ويتعجب من هذه الطفرة العمرانية العملاقة التي لم يعرفها التاريخ من قبل، ويدرك أن هناك جهوداً جبارة بذلت من الدولة وجميع المؤسسات التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بخدمة المدينتين المقدستين (مكة المكرمة، والمدينة المنورة)، وكل ماله صلة بهما تنموياً وتطويرياً وحضارياً.

وتعليميـة ودينية. ومجـالات أخرى عديـدة اجتماعيـة واقتصادية. وكل هـذه الميادين المعيشيـة الحضارية فرضتهـا الحياة الحديثـة المختلفة عن حياة الأوائـل حتى العقود الأخيرة من القرن(١٤هـ/٢٠م) [١].

ب ـ الأسواق :

عُرفـت مكـة كسوق تجاري كبـير قبل الإسلام وبعـده. ولم تكن تجارتهـا محلية أو إقليمية فقط، إنما سادت واتسعت حتى أصبحت عالمية. والباحث في الكثير من المصادر العربيـة والأجنبية منـذ التاريخ القديم حتى العصر الحديث يجـد أن التجار والتجارة المكيـة كانت حاضرة في الأسواق الداخليـة والخارجية. ومن يطلع على فهارس المكتبات الورقيـة والرقمية العربية، والإسلامية، والأجنبية يجد أسماء وقوائم كثيرة من الكتب، والمقـالات، والبحوث والرسائـل الجامعية وفيها تواريخ سياسيـة وحضارية متنوعة عن حاضـرة مكة عبر أطوار التاريخ. وتجاراتها وأسواقها من المجالات الكبيرة التي حظيت بتوثيقات، وشروحات، وتحليلات، ومقارنات عديدة[٢].

نجد بعض المؤرخين المكيين الأوائل مثل الأزرقي والفاكهي وغيرهما يذكرون أسماء أسواق أو أزقة تجارية في مكة خلال القرون الإسلامية الأولى. ولم تكن المشاعر المقدسة آنـذاك تخلـو من تجارات مختلفة أثنـاء مواسم الحج وجاءت مصـادر متأخرة فوثقت إشارات، أو فقرات من التاريخ التجاري الحجازي. وكتب الجغرافيين والرحالة أفضل من حفـظ لنا تفصيلات قيمة عن الحياة التجارية المكية منذ القرن (٣ـ ١٤هـ/ق٩ـ٢٠م). وإذا بحثنـا في الوثائق والسجـلات العربيةِ والإسلامية خلال العصر الحديث والمعاصر (ق١٠ــ ق١٥هـ/ ق١٦ــق٢١م) نجد كمـاً هائلاً من المصادر التي تـؤرخ لتجارات مكة المكرمة، وعلاقاتها مع غيرها من الأسواق والبلدان المحلية، والإقليمية، والعالمية[٣].

---

(١) عشـت سابقـاً ولاحقـاً تاريـخ الحضـارة والتنمية الذي تمـر به المملكـة العربيـة السعودية مـن (١٣٨٠ــ ١٤٤٤هـ/١٩٦٠-٢٠٢٢م)، وشاهدت التغيرات الكبيرة والكثيرة التي مـرت ومازالت على البلاد والعباد. وفي تسعينيـات القرن(١٤هـ/٢٠م) عاصرت بعض الجوانب الحياتية في مكة والمشاعـر المقدسة، وكيف كانـت بسيطة اقتصادياً وتنموياً، لكنها كانت تسير نحو البناء والتطوير في شتى المجالات. وفي هذا القرن (١٥هـ/٢٠ـ ٢١م) رأيت وقرأت وسمعت عن تحديثات كثيرة قامت بها مؤسسات الدولة السعودية التنموية في أنحاء المحافظات الكبيرة.

(٢) هـذا الذي عرفته من خـلال بحوثي المختلفة عن منطقة الحجاز منذ مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) حتى الآن(١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م). فقد قرأت واطلعـت على عدد من الكتب العربية والأجنبيـة الجيدة التي أرخت لتجـارة مكـة أو الحجـاز في فترات مختلفة قبـل الإسلام وبعده. ومـازال هناك جوانب كثـيرة في العصر الحديث والمعاصر تستحق أن يصدر عنها دراسات علمية عميقة وجادة.

(٣) قـرأت عشـرات البحوث المحكّمة، والكتبِ العلمية والرسائل الجامعية التي أرخت لحاضرة مكة في العصر الحديـث وفيها جزئيات صغـيرة، وأحياناً كبيرة عن تجارة مكة، وأسواقهـا، وصادراتها ووارداتها، وطرق

قبل الحديث عن أسواق مكة خلال الخمسين سنة الماضية (١٣٩٢-١٤٤٤هـ/ ١٩٧٢-٢٠٢٢م)، وجدت العديد من الرحالين المسلمين وغير المسلمين يصفون بعض أسواق مكة من القرن (٥-١٤هـ/ق١١- ق٢٠م)، مثل: ناصر خسرو (ق٥هـ/ق١١م)، والإدريسي، وابن جبير(ق٦هـ/ق١٢م)، وابن بطوطة (ق٨هـ/ق١٤م)، وجون لويس بوركهات، وسنوك هورخرونية (ق١٣هـ/ق١٩م)، والضابط الروسي بيغم ريزفان (عبدالعزيز دولتشين)، ولبيب البتنوني، وعمر رفيع (ق١٤هـ/ق١٩-٢٠م) وغيرهم، وخرجت من شروحاتهم ومشاهداتهم ببعض الأقوال في النقاط الآتية:

١ - معظمهم ذكروا نشاط الحياة التجارية في مواسم الحج، وأشاروا إلى عدد من الأسواق القديمة. التي مارست نشاطاتها خلال القرون الإسلامية المختلفة، مثل: سوق المسعى، وسوق الليل، وسوق المُدّعى، وسوق المعلاة، وسوق سويقة وغيرها، وجميعها قريبة من المسجد الحرام. ومنهم من أشار إلى الحياة الاقتصادية في مكة وتأثرها بالأوضاع السياسية في العالم الإسلامي. ففي فترات الصراع بين العباسيين والفاطميين، أو الاضطرابات السياسية في الدولة المملوكية أو بعض القوى المحلية في شبه الجزيرة العربية، كل ذلك كان يؤثر سلباً على الحياة الإدارية، والدينية، والتجارية، في الأماكن المقدسة، والطرقات التي تربطها مع غيرها من بلدان العالم الإسلامي [١].

٢ - ذكر ابن جبير وابن بطوطة ومن جاء بعدهما إلى القرن (١٤هـ/٢٠م) تفصيلات أطول وأكثر عن الحياة التجارية في مكة، وتنوع أسواقها، وسلعها، وأماكنها حول المسجد الحرام. وأشار بوركهارت وهورخرونية إلى كثرة السلع في أسواق مكة، وبعضها كانت تأتي من بلدان عديدة عربية وإسلامية في شرق العالم وغربه، ويورد الضابط الروسي دولتشين الذي زار مكة عام (١٣١٥هـ/١٨٩٨م) خلاصة بعض مشاهداته، فيذكر أن الحج هو الموسم التجاري الحقيقي للمكيين والحجاج، وتتحول المدينة وبخاصة منطقة الحرم، والأزقة والشوارع القريبة منها إلى سوق كبيرة تعرض فيها أنواع كثيرة من السلع والتجارات الخارجية [٢].

التعاملات التجارية، والأيدي العاملة، والمقومات أو المعوقات التي تواجه التجارة والتجار في الحجاز وبخاصة المدن المقدسة (مكة المكرمة، والمدينة المنورة).

(١) كان للتاريخ السياسي العام والخاص خلال العصر الإسلامي المبكر، والوسيط، والحديث تأثيرات كبيرة على أهل الحرمين، وغالباً يحدث نتائج سلبية على أمن الحج والحجيج داخل الحجاز بسبب الصراعات والاضطرابات السياسية داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها.

(٢) ما ذكره هذا المستشرق الروسي في القرن التاسع عشر الميلادي، هو الوضع نفسه الذي عاشته مكة، منطقة الحرم وما حولها، خلال القرون الإسلامية المختلفة (ق١- ق١٤هـ/ق٧- ق٢٠م) وذلك موثقاً

٣ـ كان محمـد عمر رفيع المكي شاهد عيان للحياة الحضارية المكية، وكنت أتمنى أنه دون لنـا تفصيلات دقيقة عن أسواق وتجارات مكة في القرن (١٤هـ/٢٠م)، لكنه حصر حديثه في عشـرات الصفحات على وسائل النقل والتنقل، وبعض التجارات والحرف اليدوية، وتجار بعض السلع المتفرقة، وأشار إلى بعض الجاليات المشاركة في حيـاة مكـة الاقتصادية كالتجـارة وغيرها. وكل هـذه المحاور مهمـة ومازالت تستحـق مزيداً من البحث العميق خـلال العقود السبعة الأولى من القرن (١٤هـ/ ق١٩-٢٠م) ومـن المؤكـد أن تجارة أسواق مكة في عصـره كانت متنوعة، ونشطة، ولها أعراف وتقاليد متنوعة، لكنه لم يذكر لنا شيئاً من ذلك [١].

ذهبـت إلى مدينة مكة مرات عديدة خلال العقد الأخير من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ورأيـت العمـارات القديمـة والحديثـة تحيـط بالمسجد الحـرام، ومعظم حـارات مكة التاريخية المجاورة للحرم مكتظة بالدكاكين والأسواق التجارية المتنوعة في معروضاتها، ومساحاتهـا، والأيدي العاملة فيها. والكثير مـن أبنية تلك الحارات مشغولة بالاستثمار العقـاري فهي مسكونـة ببعض المكيـين، وفي مواسم الحج والعمـرة تُخصص للإسكان التجاري على الحجاج وزوار البيت الحرام [٢].

مع مطلـع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) حتى عشرينيات القـرن نفسه عاشت حاضرة مكـة حياة حضارية كبـيرة شملت الكثير مـن القطاعات. وحظي العمـران والاقتصاد بالنصيـب الأوفـر من هـذه التطـورات التنمويـة. وإذا كان حول الحـرم أو على بعض الشوارع الحديثة بعض المحلات التجارية الحديثة، إلا أن العقود الثلاثة الأولى من هذا القرن شهدت طفرة تجارية كبيرة، فتكاثرت وتنوعت الأسواق والدكاكين الشريطية على

ومذكـوراً في مئـات المصادر القديمة والدراسات والمراجع الحديثـة. لأن الحج موسم عام يأتي إليه الناس حجاجـاً، أو تجـاراً، أو سكاناً محليين من أجل أداء عباداتهم، والاستفـادة والتكسب من الأعمال التجارية المختلفة، التي هي العمل الاقتصادي لأهل مكة.

(١) محمـد رفيـع من سكان مكـة المكرمة، عاصـر التاريخ المكي قبل قيـام المملكة العربيـة السعودية، وبعد أن أصبحت جزءاً من البلاد السعودية، وما جرى عليها من تبدلات سياسية، وإدارية، واجتماعية، واقتصادية. ومـن المؤكـد أنه شاهد وعـرف الكثير من التحولات الحضاريـة التي شهدتها البـلاد، وأشار إلى جزئيات كثيرة منها، لكن التاريخ التجاري لم ينل نصيباً كبيراً في توثيقاته. والتاريخ التجاري خلال العقود الوسطى في القـرن الرابع عشر الهجـري (١٣٣٠ـــ ١٣٧٠هـ/١٩١١ــ ١٩٥٣م) مـن الموضوعات التاريخية الحديثة الجيدة، آمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس هذا العنوان في كتاب علمي، أو رسالة جامعية.

(٢) استفـادة أهـل مكة مـن عقاراتهم للتجـارة والإسكان عـادة قديمة مارسوهـا منذ فجر الإسـلام، لكنها تطـورت وتوسعـت بشـكل كبير جداً خلال العصـر الحديث. وبعـد أن فاض الخير على النـاس منذ نهاية القـرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م)، لم يعد هـذا الاستثمار العقاري والتجاري محصوراً علـى المكيين، وجاء تجار ورجال أعمال كبار، ومؤسسـات وشركات محلية، وإقليمية، وعالمية فاستثمروا في محافظة مكة تجارياً، وسكنياً، وحرفياً، وصناعياً.

جوانب الطرق الرئيسية وبعض الفرعية والثانوية[١]. وظهرت مجمعات وأسواق تجارية مركزية متوسطة أو كبيرة في أمكنة وأحياء متفرقة من المحافظة[٢].

ذهبت في اتجاهات مختلفة من المدينة، ورأيت بعض الأسواق الموسمية المؤقتة، أو الأسواق المركزية، أو الموزعة على أطراف بعض الشوارع. وفي رحلتي الأخيرة إلى مكة استذكرت صورا مما شاهدته في تلك العقود السابقة، وبحثت في بعض المصادر والمراجع عن تواريخ ومسميات بعض الأسواق الحديثة التي أنشئت حتى العشرينيات من هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م)، وكونت حصيلة من المعرفة التاريخية التجارية التي أدون بعضها في الفقرات التالية :

أ - رأيت الكثير من التجارات والسلع المعروضة فقط أيام الحج في أمكنة وطرق عديدة في المشاعر المقدسة (منى، ومزدلفة، وعرفات)، ومعظمها من الألبسة، والأطعمة، والأشربة. وزرت وقرأت عن أسواق أخرى كبيرة وصغيرة تضاعفت تجاراتها المتنوعة في موسم الحج ورمضان[٣].

ب - قرأت ووقفت على العديد من الأسواق الحديثة في المدينة، وجمعت بعض التواريخ والإحصائيات عنها، ورأيت إدراج بعضاً منها في الجدول التالي:

جدول رقم (٢) : أسماء بعض أسواق مكة المكرمة الحديثة (١٤١٠- ١٤٢٦هـ/١٩٨٩- ٢٠٠٥م)

م	اسم السوق	تاريخ نشأته	اسم الحي الذي يقع فيه	مساحته التقريبية بالمتر المربع
١	القوافل	(١٤١٠هـ/١٩٨٩م)	الشوقية	أكثر من (٣٥٠٠٠م٢)
٢	الأنوار	(١٤١٠هـ/١٩٩٠م)	الضيافة (الزاهر)	حوالي (٤٠٠٠م٢)
٣	السلام	(١٤١٣هـ/١٩٩٣م)	العزيزية	أكثر من عشرة آلاف متر مربع

---

(١) مفردة الشريطية مصطلح حديث يطلق على المحلات التجارية على جوانب الشوارع في أي مدينة من مدن المملكة، ويبدو أنه من المصطلحات الحديثة في نظام البلديات.

(٢) أوثق شيئاً من التطور التجاري الذي شاهدت بعضه منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). فالأسواق القديمة المحيطة بالحرم تراها دائماً في حركة تجارية مستمرة، لكن في مواسم عمرة رجب ورمضان، وأيام الحج ترتفع مستويات التجارة فيها إلى أعلى المستويات. وقد تجولت أكثر من مرة في اسواق المدعي، والليل، وسويقة، والشامية، والغزة، والصغير، وجميعها مجاورة للمسجد الحرام، ويعرض فيها جميع التجارات وبخاصة الألبسة وأدوات الزينة، والأثاث والمفروشات، والأطعمة والمواد الغذائية، والكثير من التحف والبضائع المخصصة للهدايا، وأسواق الذهب والمجوهرات، والعود والعطور، والمواد الطبية والصحية، والكثير من الأشربة المعدنية والغازية وغيرها من البضائع المحلية، والإقليمية، والعالمية.

(٣) لم يكن ذلك محصوراً على سلعة دون أخرى. لكن أسواق المواشي تصل أعلى مستوياتها في موسم الحج لحاجة الناس إلى الأضاحي والهدي. والمواصلات ومحطات السيارات الصغيرة والباصات وغيرها تنشط طوال العام، لكنها تزيد أعدادها وتكثر في شهر رمضان وموسم الحج. كذلك الأطعمة والأشربة وأدواتها المختلفة من السلع المستهلكة والمطلوبة باستمرار، وتزيد كمياتها في أشهر الحج.

م	اسم السوق	تاريخ نشأته	اسم الحي الذي يقع فيه	مساحته التقريبية بالمتر المربع
٤	الصفا	(١٤١٤هـ/١٩٩٤م)	الخنساء	حوالي (١٣٠٠م٢)
٥	الهجرة	(١٤١٤هـ/١٩٩٤م)	العمرة	أكثر من (٥٠٠٠م٢)
٦	مركز العوالي	(١٤١٦هـ/١٩٩٥م)	العوالي	حوال (٢٥٠٠م٢)
٧	الرصيفة الدولي	(١٤١٧هـ/١٩٩٧م)	الرصيفة	حوالي (١٥٠٠٠م٢)
٨	متاجر العرب	(١٤١٧هـ/١٩٩٧م)	جبل النور	حوالي (٣٥٠م٢)
٩	التعاون	(١٤١٧هـ/١٩٩٧م)	وادي جليل	أكثر من (٢٣٠٠م٢)
١٠	مجمع الحجاز	(١٤١٨هـ/١٩٩٨م)	النزهة (الستين)	أكثر من (١٣٠٠٠م٢)
١١	الكرم	(١٤١٩هـ/١٩٩٨م)	ريع ذاخر	حوالي(١٣٧٠م٢)
١٢	المسفلة	(١٤١٩هـ/١٩٩٩م)	المسفلة	أكثر من (١٥٥٠م٢)
١٣	مركز العائلة	(١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)	العزيزية	حوالي(٧٠٠٠م٢)
١٤	الحارثي	(١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)	الراشدية	حوالي(١٣٥٠م٢)
١٥	مركز الدرة	(١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)	ريع ذاخر	حوالي(٣٠٠٠م٢)
١٦	مجمع الضيافة	(١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)	الضيافة (الزاهر)	حوالي (٢٠٠٠٠م٢)
١٧	مراكز فقيه للسجاد	(١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)	ريع ذاخر	أكثر من (٢٠٠٠م٢)
١٨	القرشي	(١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)	الخضراء	حوالي (٩٥٠م٢)
١٩	البحيرات	(١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)	البحيرات	حوالي (٩٠٠٠م)
٢٠	المرسى	(١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)	الضيافة (الزاهر)	حوالي (٣٠٠٠م٢)
٢١	البسام	(١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)	العزيزية	أكثر من (١٠٠٠م٢)
٢٢	مجمع ذي المجاز	(١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)	العزيزية	حوالي (٦٥٠٠م٢)
٢٣	المنصور	(١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)	شارع المنصور	حوالي (٤٠٠م٢)
٢٤	العتيبية المركزي	(١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)	العتيبية (شارع الأندلس)	حوالي (٢٤٠٠م٢)
٢٥	مجمع الشرائع مول	(١٤٢٦هـ/٢٠٠٥ك)	الخضراء	حوالي (١٠٠٠م٢)

(*) **نلحظ في المادة المدونة في الجدول السابق عدة أمور منها :**

١- هـذه الأسواق المذكورة تعد نمـاذج من أسواق مكة الحديثة خـلال العقود الثلاثة الأولى مـن هـذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ومازال هنـاك أسواق أخـرى كثيرة شبه مركزيـة أو شريطيـة في أماكـن متفرقـة مـن الحاضـرة. والأسـواق الموثقة هنا متفرقـة في مواقعهـا، وبضائعهـا، ومنها المتخصصـة في سلعـة أو سلع محدودة، وأخرى متنوعة. وأكثر الأسواق التي عليها إقبال من جميع شرائح المجتمع، أسواق الأطعمـة والأشربة، والألبسة، والزينـة، وتأتي بقية البضائع في مراتب تالية، مثل: المفروشـات والأثـاث، ومواد البنـاء، وكل ما يتعلق بالسيـارات والمركبات وبعض الصناعات والورش والآلات والتقنيات وغيرها.

٢ - مثل هذه الأسواق الحديثة المدونة وغيرها ظهرت مع عصر التطور التجاري الحديث في أرجاء المملكة. وعموم البلاد عرفت هذه الطفرة من بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، لكنها كانت في الغالب عشوائية، ومحدودة في أماكنها، ومساحاتها، وتواريخ تأسيسها، وطاقاتها البشرية والاقتصادية، ثم بدأت تتطور من بداية العقد الثاني، ومازالت في توسع وتقدم وتطوير مستمر حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م). وحسب علمي أن هذا الميدان جديد في بابه العلمي والبحثي، ويستحق دراسات توثيقية عميقة وأصيلة.

٣ - زيادة الأسواق منتشرة على أحياء كثيرة من المدينة، وبعض الأحياء فيها أكثر من سوق. وصار هناك (مولات) أسواق كبيرة تزيد مساحاتها عن عشرة آلاف متر مربع، مثل: اسوق القوافل، ومجمع الحجاز، ومجمع الضيافة، وسوق الرصيفة [١]. وهذه المحلات التجارية تحتوي على الكثير من السلع، وفي مقدمتها الألبسة وأدوات الزينة. وأسواق أخرى تتراوح مساحاتها من (٥٠٠٠-١٠٠٠٠م٢)، كمركز العائلة، وأسواق الهجرة، والبحيرات، ومجمع ذي المجاز. أما الأسواق التي تتراوح مواقعها من مئات المترات إلى أقل من خمسة آلاف متر مربع فهي الأكثر انتشاراً [٢].

٤ - زيادة الأسواق وتفرقها في المحافظة أحدث نمواً كبيراً في زيادة العمران الاجتماعي، والصناعي، والاقتصادي، والديني. وأصبح عند المكيين ومن يزور مكة خيارات كثيرة للتسوق، والتنقل بين الأسواق المختلفة في بضائعها، ومقراتها [٣].

شاهدت حاضرة مكة من عام (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) تتطور بشكل كبير وسريع. ورأت الحكومة أن الحارات والمخططات العشوائية المحيطة بالمسجد الحرام، أو القريبة منه تشكل معوقات كبيرة لخدمة الحجاج وزوار البيت الحرام. وأجريت الكثير من الدراسات لتوسعة الحرم، وإزالة العشوائيات، وبذلت الجهود

---

(١) تأسس هذا السوق في العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م)، ثم أزيل، وحل محله أسواق أخرى جديدة. وبعض الأسواق المذكورة في الجدول السابق كانت قوية ونشطة في العقود الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ثم تراجع بعضها وضعفت قوتها التجارية بعد ظهور أسواق أخرى منافسة أكبر وأكثر تطوراً وتنوعاً.

(٢) حتى العشرينيات من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) كانت الأسواق التجارية في أي ناحية من البلاد السعودية تمر بالكثير من التحولات الاقتصادية المتأثرة بعوامل أخرى عديدة. وزيادة الوعي والمعرفة عند الناس، وتوفر الأموال في أيدي السكان تعد من الأسباب الرئيسية في التطورات الاقتصادية وغيرها من مفاصل الحياة التنموية الأخرى.

(٣) لم تعد أسواق مكة محصورة في منطقة الحرم، وشملت التنمية الحديثة عموم المحافظة، وامتدت إلى كل مجال حضاري مادي ومعنوي، وعادت بالكثير من الفوائد الإيجابية على أهل مكة، وكل من يزور المدينة المقدسة من الحجاج والزوار.

والأمـوال مقابـل إزالة معظم أحياء مكـة القديمة، وما اشتملت عليـه من محلات تجارية شعبية، وتم التخلص من بعضها، ومازالت السياسة التطويرية العمرانية الحديثة تمتد إلى الباقـي. كما شيدت الكثير من الأبراج والفنـادق الجديدة حول الحرم، وفي أماكن عديدة من الأحياء القريبة. وأصبح ضمن مرافقها الكثير من الأسواق الحديثة المتنوعة(١).

أثنـاء زيارتـي الأخيرة لبعض الأسـواق الصغيرة والكبيرة الـوارد ذكرها في جدول رقـم (٢)، رأيتهـا مكتظة بالزبائن، وصـارت أكثر الأيدي العاملة فيهـا من السعوديات والسعوديـين. مقارنـة بالعشرينيات من القـرن نفسه حيث كانت اليـد العاملة الأجنبية آنـذاك هـي المحرك الرئيسـي. وشاهـدت في العديد من الشـوارع الرئيسيـة والفرعية بعض الأسواق التقليديـة في ديكوراتها، وتعاملاتها التجارية المختلفة. ووقفت على بعض الأسـواق الحديثة الكبيرة والواسعة وفي مقدمتهـا سوق مكة (Makah MOLL) في حي العزيزية، وهو أحسن وأكبر أسواق مكة في الوقت الحاضر (١٤٤٤هـ / ٢٠٢٣م)، ومازال بحاجـة إلى بعض الخدمات المتنوعة التي يحتاجها المتسوقـون. وسوق المتاجر السعودية ويتكـون من عدة فـروع، والفرع الرئيسي في حـي النسيم. وهناك أسـواق أخرى عديدة وبخاصـة للمـواد الغذائيـة، مثل: بنـدة، والعثيم، وابـن داود، و(هاوس كـير) وغيرها. وأسـواق الخردوات في حي المعيصم ويقع على مساحة كبيرة ربما تزيد عن كيلو في كيلو. وذكـر لي أن صناعيـة مكة الجديدة جنوب المدينـة بحوالي (٤٠ـ ٥٠كـم)، ولم أزرها، ومازالت تحت البناء والإنشاء(٢).

وخلاصة القول أن الاستقرار السياسي والإداري في البلاد انعكس على حياة الناس في كل المجـالات. وتحولـت المدينة المقدسـة (مكة المكرمة) من بلـدة صغيرة متواضعة إلى محافظـة واسعـة تشتمل على عشرات الأحيـاء المتفاوتة في مساحاتهـا، ومواقعها، وخدماتها الحضارية. وتحولت تجارات الناس من منطقة المسجد الحرام إلى كل مكان في الحاضـرة. وتسهلت الطرق، وتوفرت جميع الخدمات التي يحتاجها الفرد والمجتمع. وهنـاك سعي حثيث من الأفراد، والمجتمع، والدولة علـى تطوير منطقة الحرم عمرانيا

(١) قضيـت الكثـير من الساعـات والأيام مـن منتصـف الثلاثينيات في هذا القـرن (١٥هـ/٢١م) إلى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) أزور وأتردد وأشاهد الأسواق الجديدة في أبراج مكة، وبرج الساعة، والفنادق القائمة في جبـل عمـر، وبعض الفنادق الأخرى في أحيـاء أجياد، والحجون، والمعابدة وغيرهـا، ورأيت على شوارع المسجـد الحـرام، وإبراهيم الخليـل، وأم القرى الكثير من الأسـواق المركزية الجديـدة، وبعض المحلات التجاريـة الشريطيـة القديمة نوعاً ما. وسمعت من بعض المسؤولين في أمانـة العاصمة المقدسة أن منطقة الحـرم وما يحيط بها من أحياء وشـوارع سوف تزال جميع مرافقها العمرانية القديمة، وتخطط تخطيطاً عمرانياً حديثاً .

(٢) أشـرت فقـط إلى شـذرات قليلة لبعض الأسـواق والتجارات الكثـيرة والمتنوعة في هـذه العاصمة المقدسة وجميعها تستحق الدراسة في عدد من الكتب والبحوث العلمية.

واستثمارياً نحو اتجاه يصب في خدمة البيت الحرام وزواره من الحجاج والمعتمرين. والعمل مازال قائماً على تأسيس وتوفير بيئة مستقرة للسكان المحليين خارج محيط الحرم ووسط المدينة. ونجد الزحف العمراني الحديث يسير في كل الاتجاهات، لكن المناطق الجنوبية وبخاصة مخططات ولي العهد قد تكون الأحياء الأكبر نمواً بشرياً، في قادم الأيام، ومقرات صناعية، وتجارية، وإدارية لبعدها عن منطقة الحرم، وسهولة أرضها مقارنة ببعض النواحي الأخرى في الناحيتين الشرقية والشمالية. والتمدد العمراني يتجه أيضاً غرباً بمستوى جيد، وقد تتصل مدينة جدة تنموياً وعمرانيا بحاضرة مكة خلال العشر سنوات القادمة [١].

ج ـ الصادرات والواردات :

إن الحديث عن صادرات وواردات مكة المكرمة من الموضوعات الكبيرة جداً، الجديرة بالدراسة في الكثير من الكتب العلمية، وذلك لأسباب عديدة، أذكر بعضها في النقاط الآتية :

١ ـ بلاد مكة تجارية بامتياز منذ عصور ما قبل الإسلام، وخلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة. ومصادرنا العربية والإسلامية، والمصادر والمراجع الأجنبية أشارت إلى ذلك، وبعضها فصلت الكلام عن التاريخ التجاري الحجازي قبل الإسلام وبعده[٢].

٢ ـ تعد المنزلة الدينية لمكة المكرمة العامل الأهم لشهرتها التجارية. وأدرك أهلها منذ زمن قريش قبل الإسلام بهذه المنقبة، فبذلوا جهوداً عظيمة في تطوير علاقاتها التجارية داخل الجزيرة العربية وخارجها. ثم ظهر الإسلام وانتشر داخل الجزيرة العربية وخارجها فازدادت رفعة مكة المكرمة دينيا وتجاريا وحضارياً[٣].

---

(١) إن الطفرة الحضارية الحديثة التي تعيشها المملكة استغرقت بضعة عقود، لكن الأربعين أو خمسين سنة الأخيرة (١٣٩٥ـ ١٤٤٤هـ / ١٩٧٥ـ٢٠٢٢م) تختلف عن الفترة السابقة من حيث سرعة الإنجاز والاكتمال التنموي. وإذا بقيت الأحوال التطويرية بنفس الوضع والمستوى فقد نرى تطورات كبيرة وهائلة خلال العشر أو العشرين سنة القادمة. ونسأل الله التوفيق والسداد للرعاة والرعية.

(٢) إن تاريخ التجارة في مدينة مكة، أو في الحجاز بشكل عام، كما وثقت في كتب التراث الإسلامي، أو المصادر الأجنبية قبل الإسلام وبعده من الموضوعات التي دُرست في بعض البحوث الحديثة العربية وغير العربية، ومازال هناك جوانب كثيرة تستحق أن تُدرس وتُحلل في دراسات أخرى عديدة.

(٣) حبذا أن نرى باحثين متخصصين يدرسون أهمية المكانة الدينية لمكة، وأثر ذلك على الجوانب الحضارية الأخرى منذ فجر الإسلام إلى وقتنا الحاضر. ولا ننكر أن هناك بعض البحوث الحديثة التي أشارت إلى شيء من ذلك. لكن دراسة الميادين الحضارية (الاجتماعية، والتجارية، والحرفية، والثقافية والعلمية والفكرية) بشكل مستقل، وصلة كل مجال بالجانب الديني المقدس، هو الذي نتطلع إليه، ونطالب به بحثياً،

٣ ـ كتـب التراث الإسلامي المبكـرة، والوسيطة، والحديثة مليئـة بالتواريخ السياسية والأمنية التـي عاصرتها الحجاز خلال القرون الإسلاميـة المختلفة. واطلعنا على الكثير جداً من الأحـداث العسكرية والسياسية والحربية والأمنية التي جرت على أرض مكة، بعضها في مواسم الحج، وأخـرى في أوقات أخرى من كل عام. وكانت حياة النـاس الاقتصادية مستمرة ومتعايشة مع وضع البلاد السياسي، الذي كان غالباً في صعود وهبوط أمنياً وسياسياً [١].

نجد الكثير من المصادر العربية والإسلامية حفظت بعض المعارف عن الصادرات والـواردات الحجازية وبخاصة المكية. وكتب الجغرافيـا والرحالة أفضل الموارد العلمية التـي ذكرت تفصيلات عـن السلع المختلفة التـي تُعرض في أسواق مكـة، والقادمة من بلـدان عديـدة وكثيرة داخل شبـه الجزيرة العربيـة وخارجها. وقد اطلعـت على مئات المدونات لجغرافيين ورحالين زاروا مكة، وأقاموا فيها بعض الوقت منذ القرن (٢ـ ١٤هـ /ق٨ـ ٢٠م)، واحتوت مؤلفاتهم على شروحات كثيرة وقيمة عن البضائع في أسواق مكة ومحلاتها التجارية، وكيف كانت تتنوع وتكثر خلال موسم الحج، وأحيانا من شهر رجب إلى شهر الحج من كل عام [٢].

إذا فحصنا مؤلفات جميع الرحالة العرب، والمسلمين وغير المسلمين الذين عاشوا في مكـة، أو جـاءوا إليها من أقطار عديدة في العالم الإسلامـي أو الأجنبي[٣]، ووثقوا أسماء سلع كثيرة في أسواق مكـة. وكانت السروات والطائف، واليمن، والأجزاء التهامية تصدر

مـع تقسيـم فترات دراسة مثل هذه الموضوعات إلى حقب قصيرة، فـلا تتجاوز فترة الدراسة الواحدة عن مئة عام، منذ فجر الإسلام إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م).

(١) إننـي أوجـزت حديثي عـن خمسة عشـر قرنـاً (ق١ـق١٥هـ/ق٧ــ ق٢١م). وكانت مكة دائمـاً مرتادة من المسلمين داخل الجزيرة العربية وخارجها. بهدف أداء مناسك الحج والعمرة. وهنـاك حكومات ودول وقوى سياسيـة محليـة وخارجية لها إسهاماتهـا السياسية والحضارية في مكة. والحـراك السياسي والحضاري متصلان ببعضهما، وكل منهما له تأثير على الآخر، فإذا توفر الاستقرار السياسي والأمني أزدهر الجانب الحضاري، وإذا اضطربت الأحوال الأمنية انعكس سلباً على حياة المكيين الحضارية.

(٢) بعضـ التجـار في العالم الإسلامي، من فجر الإسلام إلى وقتنا الحاضر، كانوا ومازالوا يوظفون تجاراتهم وأموالهـم في أوقات المواسم. وشعائر العمرة والحج في مكة من المواسم الجيدة والنشطة لكثير من التجار العرب والمسلمين عبر أطوار التاريخ الإسلامي. وهذا الموضوع يستحق أن يوثق في عدد من البحوث والكتب العلمية الجيدة.

(٣) مـن المعـروف أن غـير المسلم لا يجوز له أن يدخـل إلى منطقة الحرم في مكة المكرمـة. وهناك العديد من الأفـراد غـير المسلمين عبر أطوار التاريخ الإسلامي تسللوا إلى داخـل مكة، ومنهم من غير اسمه الأجنبي إلى عربي إسلامي، وآخرون استطاعوا الدخول دون تغيير الاسم النصراني أو اليهودي وغيره من الديانات الأخرى وأكثرهم وثقوا زياراتهم ومشاهداتهم في مكة والمسجد الحرام، وصدرت في كتب منشورة، وأخرى مازالـت غير منشورة. ودراسـة تاريخ مكة السياسي والحضاري من خلال هـذه الشريحة من الموضوعات الجديرة بالدراسة والتوثيق والتصويب والتحليل.

الكثير من سلعها إلى مكة. وكان المكيون أنفسهم ينتظرون بضائع هذه البلان، ومعظمها مواد غذائية، وأطعمة وأشربة مختلفة، بالإضافة إلى المواشي والحيوانات والطيور الأليفة[١]. وكان تجار هذه الأوطان يقايضون سلعهم بسلع أخرى يجدونها في أسواق مكة.

لبلدان شبه الجزيرة العربية الأخرى صلات بيع وشراء جيدة مع المكيين. أما بلدان العرب والمسلمين الأخرى من الأندلس وبلاد المغرب في الغرب إلى أقصى الشمال، والجنوب، والشرق الإسلامي فكانت هي الأخرى تصدر الكثير من سلعها المختلفة إلى أسواق الحجاز وبخاصة مكة المكرمة من القرن الثاني الهجري إلى وقتنا الحاضر[٢]. وإذا قارنا كميات أو نسب الواردات والصادرات من وإلى أسواق مكة عبر عصور التاريخ الإسلامي، فليس هناك وجه مقارنة، لأن معظمها مجلوبة من داخل شبه الجزيرة وخارجها إلى الأسواق المكية. وتوفر البضائع من كل مكان في مكة تشكل نشاطاً تجارياً كبيراً بين الحجاج والمعتمرين، وكذلك المكيين والحجازيين وغيرهم من سكان الجزيرة العربية[٣].

جاء العصر الحديث والمعاصر، وبدأت حياة الناس في مكة وغيرها تتبدل حسب الأحوال السياسية داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها وكان لدخول قوى حديثة غربية وشرقية غير إسلامية إلى الساحة العربية والإسلامية من العوامل الرئيسية التي أثرت على التركيبة الجغرافية والبشرية العربية[٤]. وكون شبه الجزيرة العربية،

---

(١) الكثير من رحالة المسلمين في القرون الإسلامية الوسيطة أوردوا تفصيلات جيدة عن البضائع المحلية في عموم بلاد السراة، وتهامة. واليمن التي كانت تسوق إلى أسواق الحجاز وبخاصة مكة المكرمة، وكان لها الكثير من الزبائن الحجازيين وغيرهم. حبذا أن نرى طالبة أو طالب دراسات عليا في جامعاتنا المحلية فيتخذ موضوع الصادرات والواردات بين الحجاز والسراة وتهامة خلال العصر الإسلامي الوسيط) موضوعاً لأطروحة ماجستير أو دكتوراه. وهو موضوع حسب علمي جديد، فلم يدرس في عمل مستقل حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م).

(٢) إن رصدي يشمل قروناً عديدة، ومؤرخي ورحالة القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة أسهبوا في توثيق تفصيلات في هذا الباب، وبعضهم عرب ومسلمون، وآخرون غير مسلمين. وبعض كتب الرحالين تحتوي على مواد كثيرة عن السلع والتعاملات التجارية في مكة، ومثل هذه الموضوعات تستحق أن تدرس في أعمال علمية توثيقية كبيرة.

(٣) لاشك إن حاضرة مكة من الأسواق الرائدة، وهناك العديد من الرسائل الجامعية التي صدرت خلال العقود الماضية باللغة العربية ولغات أخرى عديدة، وفيها توضيحات كثيرة عن تجارات مكة في العصور الإسلامية (ق١ـ ق١٥هـ/ق٧ـ ق٢١م). والقليل منها طبعت ونشرت، ومعظمها مازالت غير منشورة، ومخزونة في مستودعات ومكتبات عربية، وإسلامية، وأجنبية. وهي من المعارف الحضارية الإسلامية التي يجب جمعها ثم طباعتها ونشرها.

(٤) لن نخوض في صلات العالم الشرقي والغربي بالعالم العربي سياسياً وحضارياً، فهذه صلات قديمة تعود إلى عصور ما قبل الإسلام، واستمرت خلال القرون الإسلامية المختلفة. وكانت ومازالت في الغالب عدائية للدين الإسلامي وجميع من يعتنقه. ولهذه البلدان الأجنبية تاريخ سياسي وعسكري طويل مع بلدان الشرق الأوسط، ومازالوا يرسمون المكائد والمؤامرات لعموم العرب. والعرب أنفسهم بين مؤيد ومعارض لسياسات

وبخاصــة الحجــاز التي عاصمتها مكة المكرمــة من البلدان الهامــة لجميع المسلمين في الكــرة الأرضيــة، ومع تعاقب القــرون ثم العقود الحديثــة والمعاصرة، وتقلــب الأوضاع السياسيــة في كل مــكان. ومكة المكرمة جزء صغير من هذا العالم الواسع، لكنها حظيت مــن أربعينات القرن (١٤هـ/٢٠م) بدولة عربيــة إسلامية موفقة، هي الدولة السعودية الثالثــة، فأشرفت ورعت هــذه البلاد المقدسة رعاية جليلة كبيرة لم يسبق لها مثيل على مر التاريخ الإسلامي، وبالتالي صارت حاضرة مكة المحور الحضاري الرئيسي لتأسيس نهضــة سعودية عربيــة إسلامية. ولم تقتصر أهميتها علــى منزلتها الدينية فقط، إنما أصبحت من حواضر البلدان العربية التجارية الهامة [١].

وأصبحــت التنمية السعودية الحديثة والمعاصرة المحفــز الرئيسي لتطور أي مجال حضــاري في أرجــاء البــلاد [٢]. وصــارت حاضــرة مكــة بأرضهــا وإنسانهــا وتجاراتها واقتصادهــا من الحواضــر الإسلامية والعالميــة المشهورة، وتطــورت أسواقها وتعددت حتــى غدت من المدن التجارية السعودية الكبــيرة. وفي الصفحات الآتية أحصر حديثي علــى لمحات مما شاهدته مــن بضائعها، ونشاطها التجــاري الداخلي والخارجي خلال الخمسين سنة الماضية (١٣٩٢ـ ١٤٤٤هـ/١٩٧٢ـ ٢٠٢٢م).

إن وفــرة الأمــوال عند الدولة وأفــراد المجتمع، واستقرار البلاد سياسيــاً وأمنياً خلق تنمية عمرانية على الأرض، ومن أهمها شق طرق السيارة في أرجاء البلاد. وتحولت وسائل النقــل تدريجيا من الــدواب إلى السيارات. وأنشئت المطارات واتصلت بلدان السعودية مع غيرهــا من بلدان العالم بريــا، وجويا، وبحريا، وهذا مما سهل الأعمال التجارية الداخلية والخارجية، وأصبحت الكثير من سلع العالم تصل إلى أسواق المملكة العربية السعودية [٣]. وحظيت مكة بالكثير من البضائع العربية والإسلامية، والأجنبية الشرقية والغربية.

هذه الدول الأجنبية الاستعمارية.

(١) لو توقفنا مع تاريخ حاضرة مكة الحضاري خلال المئة سنة الماضية (١٣٤٣ـ١٤٤٤هـ/١٩٢٤ـ٢٠٢٢م)، فإن كل جانب حضاري (اقتصادي، واجتماعي، وديني، وثقافي ومعرفي، وإعلام) جدير أن يكتب عنه عشرات الكتب والبحوث العلمية.

(٢) أوصــي دائماً بدراســة وتوثيق التنمية الحضارية الحديثة في المملكة العربية السعودية من ثلاثينيات القرن (١٤هــ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٤هــ/ ٢٠٢٣م)، لأنه واكب هذه الفترة تحول جــذري في أنحاء البلاد، وفي كل شــيء علــى مستوى الأرض والإنسان. ومازلت أنادي بهذه التوصية الموجــه لمؤسساتنا التعليمية العالية، وللباحثين والمؤرخين بها لخدمة أهلنا وبلادنا.

(٣) عرفــت مــدن وحواضر شبه الجزيــرة العربية الكثير من السلــع المستوردة من بلدان كثــيرة خلال القرون الإسلاميــة المختلفــة (ق١ــ ق١٤هـ/ ق٧ ــ ق٢٠م) يوم كانــت الحيــاة متواضعة، ووسائــل النقل الجمال والحمــير، أو بعض القوارب والسفن في البحار. وبعد اكتشــاف الآلات وزيادتها، ثم تطور طرق المواصلات البحرية، والجوية، والبرية، وبالتالي تيسرت حياة السفر والحج والتجارة، وأصبح نقل الأغراض والبضائع أسرع وأسهل وأفضل مما سبق.

منذ ولدت في سروات بلاد الحجر في نهاية السبعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى تسعينيات القرن نفسه كنت أشاهد الحجاج والمسافرين يذهبون من عموم السروات إلى مكة، وبعضهم يحملون الحبوب من مزارعهم الخاصة، أو يصطحبون قطعان من المواشي (الضأن، والماعز، والإبل) من أجل بيعها في أسواق مكة، وعند عودتهم يجلبون الكثير من البضائع مثل: الأقمشة، وبعض الألبسة وأدوات الزينة، ولفيف من المواد الغذائية، كالشاي، والقهوة، والأرز، وبعض البهارات، ورأيت من جلب بعض الأدوات المنزلية، والأثاث والمفروشات، وأحياناً حلويات وسلع أخرى عديدة[1].

أثناء حجاتي الثلاث في نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) تجولت في أسواق مكة القريبة من الحرم، ورأيت فيها أنواعاً كثيرة من البضائع المجلوبة من اليمن، وسواحل البحر الأحمر الشرقية والغربية، وسلع أخرى كثيرة من بلاد الشام، ومصر، وبلدان عديدة كأوروبا، وأمريكا، وجنوب وشرق آسيا. وشاهدت في المشاعر المقدسة خلال موسم الحج تجارات متعددة بعضها داخلية، وأخرى خارجية ومعظمها مواد غذائية وبعض الألبسة الداخلية والخارجية. وواصلت زياراتي لمكة خلال هذا القرن (١٤٠٠-١٤٤٤هـ/١٩٨٠-٢٠٢٢م)، وخرجت بالعديد من الخلاصات الخاصة بالسلع المعروضة في دكاكين وأسواق الحاضرة المكية، وهي على النحو الآتي:

١- بدأت التجارة المكية تدريجياً تتوسع أفقياً ورأسياً، وكماً وكيفاً، ففي العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، كانت الأسواق والمحلات التجارية في المدينة متواضعة إلى حد ما في مساحاتها، والأيدي العاملة، وأنواع البضائع. وكان هناك سلع معروضة من أرجاء العالم، لكنها مازالت كمياتها وأنواعها قليلة. ومع تقدم العصر توسعت التجارات، وزادت وتنوعت البضائع المستوردة من الخارج، وكثرت الأيدي العاملة الوافدة من بلدان عربية وإسلامية وأجنبية[2].

٢- بقيت أسواق مكة الشعبية تعرض بضائعها المختلفة، والمستوردة من بلدان كثيرة في العالم. وأسواق الليل، والمُدّعي، والصغير، والشامية، والشبيكة وغيرها حول

(١) كان التصدير والاستيراد بين أهل الحجاز والسرويين والتهاميين موجود منذ عصور ما قبل الإسلام، وخلال العصور الإسلامية المختلفة، وهذا الذي ذكرته بعض المصادر المبكرة، لكنني أدركت ذلك وشاهدته خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م). والعلاقات التجارية بين الحجاز والسروات في القرن الرابع عشر الهجري موضوع جديد جدير أن يوثق في كتاب تفصيلي.

(٢) هذا الذي شاهدته خلال ترددي على مكة للدراسة، أو الحج والعمرة من عام (١٤٠١-١٤٤٤هـ/١٩٨١-٢٠٢٢م). والوضع نفسه رأيته في مدن أخرى بالمملكة كجدة، وأبها، والرياض، والدمام، وبقية مدن وحواضر البلاد السعودية. وهذا مما يؤكد التطور التنموي الكبير الذي تعيشه البلاد، والحياة الاقتصادية من المجالات الرئيسية التي تطورت ونمت بشكل واسع وكبير.

الحــرم تعمل ليلاً ونهاراً، وحركتها التجارية مستمرة طوال الوقت. وكذلك أسواق العتيبيــة وغيرها ثم تنامت الأسواق المركزيــة والشريطية في عدد من أحياء مكة، وأصبــح هناك أســواق متخصصة في سلع معلومة، وأخــرى متنوعة البضائع. وفي زيارتــي الأخيرة لمكة عام (٤٣ـ ١٤٤٤هــ/٢٠٢٢م) رأيت السلع الخاصة بالألبسة والزينة تتصــدر بعض الأسواق المركزية الكبيرة، ومعظــم تجاراتها مستوردة من بلــدان كثيرة في غــرب العالم وشرقه. وتجــارات أخرى متخصصــة في سلع المواد الغذائية بجميع أنواعها، ومنها المستورد من بلدان عربية وأجنبية. وبعض الأطعمة المحلية كالحبوب، والخضروات، والفواكه، واللحوم تستورد من بلدان عديدة داخل المملكة، ومنها بعض الأنواع المستوردة من خارج السعودية[١].

٣ـ إن الحديــث عن الواردات والصادرات من وإلى أســواق مكة مرتبطة بالعديد من الإجــراءات المالية والإداريــة والتنظيمية من أصحاب التجــارة أنفسهم من حيث دراسة الجدوى، والتفكــير في الأماكن المناسبة، ورؤوس الأموال المطلوبة، والأيدي العاملة وغيرهــا من الطرق والوسائل والترتيبات اللازمــة. كما أن هناك وزارات وإدارات ومؤسســات حكوميــة وأهلية لهــا صلة قوية بالأنشطــة التجارية من حيث المراقبــة، والمتابعــة، وإعطــاء الشــروط والتراخيص اللازمــة لتأسيــس التجارة واستمــرار مزاولتها، وكذلك استحصال الضرائــب والاستحقاقات المالية على كل ســوق أو سلعــة أو منشاة تجارية. وقد زرت الأمانة العامــة للمدينة المقدسة (مكة المكرمــة) ، والغرفة التجارية الصناعية في مطلع هــذا العام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م) ، للحصــول علــى بعض الوثائق والسجــلات التي تؤرخ للحيــاة التجارية في حاضرة مكة، وحصلت على بعض الكتيبات والتقارير المتفاوتة في موضوعاتها، وأحجامها، ومازلت أبحث عن المزيد بهدف إخراج دراسة توثيقية عن التاريخ التجاري الحديث والمعاصر لمنطقة مكة المكرمة خلال هذا القرن (١٤٠٠ـ ١٤٤٤هـ/ ١٩٨٠ـ٢٠٢٣م) ، أرجو أن يتحقق ذلك في قادم الأيام[٢].

---

(١) إن أنواع السلع المحلية أو الخارجية في أسواق مكة في الوقت الحاضر جديرة بالتوثيق في مئات الصفحات، لكثرتها، وتنوعها، وتعدد مصادرها، وطرق جلبها وعرضها، وتنوع التعاملات التجارية في شتى الجوانب.

(٢) صحيــح أن حاضــرة مكة هي الهدف الرئيســي الأول في هذه الدراسة المنتظرة، لكــن هذه المدينة المقدسة متصلــة بالعديد من المحافظات والمدن والقرى في منطقة مكــة المكرمة، وهذا الذي آمل أن أعكف عليه في قــادم الأيام، فأنجــز دراسة موسوعية عن الحيــاة التجارية لهذه البلاد الممتدة مــن القنفذة ورنية وتربة والطائــف في النواحــي الجنوبيــة والشرقيــة، إلى محافظات الجمــوم، ورابغ، وجدة وغيرهــا في الجهات الشمالية والغربية، وأسأل الله العون والسداد لتحقيق هذا العمل العلمي التاريخي الحديث والمعاصر.

٤- لو قسمت أنواع السلع الرئيسية التي شاهدتها في أسواق مكة في بداية هذا العام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)، وقارنتها مع ما عرفته في نهاية القرن الهجري الماضي(١٤هـ/٢٠م)، فهناك بعض التشابهات، أما الاختلافات فهي أكثر، وأذكر نماذج مما عرفته في البنود الآتية:

أ- استيراد أو تصدير أنواع السلع الضرورية إلى أسواق مكة، ومن أمكنة كثيرة داخل شبه الجزيرة العربية أو خارجها من المهن الاقتصادية القديمة جدا في تاريخها، ومازالت مستمرة إلى اليوم، لكن وسائل النقل، وطرق المواصلات، وتوفر الأمن والاستقرار كانت من أهم المقومات لحياة تجارية نشطة. ومن تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى الآن توفرت هذه العوامل ونمت التجارة المكية بشكل واسع وكبير، لكنها كانت محدودة في سعة الأسواق، وتنوعها وتخصصها، وفي الفنون التجارية المختلفة، والأيدي العاملة، ووسائل التقنية حتى العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢١م)، ثم تطورت بشكل جيد، ومازالت تسير نحو ازدهار وتطور أكثر وأوسع[١].

ب- لا يوجد الشيء الكثير من السلع المكية المحلية التي يمكن تصديرها إلى داخل البلاد وخارجها[٢]، اللهم إلا مياه زمزم، التي تنقل من مكة إلى غيرها من البلدان العربية والإسلامية، وغالبا تكون هدايا وليست للتجارة، لكن منذ عدة عقود صار هناك من يعمل في تجارتها ويصدرها إلى أمكنة كثيرة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها. وكون أسواق مكة رائجة ونشطة، طوال العام، فالتجارات المختلفة تستورد إليها من كل مكان، ولها زبائن من المكيين وغيرهم من الحجاج والمعتمرين الذين ينقلونها إلى أهاليهم وبلدانهم الأصلية في أرجاء العالم. أما السعوديون والمقيمون في مكة، أو الذين يعيشون في أرجاء البلاد السعودية، ويترددون على حاضرة مكة من وقت لآخر، فهم من الزبائن الرئيسيين لأسواق مكة الصغيرة والكبيرة، فيشترون البضائع المختلفة التي يحتاجونها داخل محيط محافظة مكة، أونقلها إلى مواطنهم

(١) شاهدت هذا التطور في مكة وغيرها من مدن المملكة من بداية التسعينيات الهجرية الماضية حتى أربعينيات هذا القرن (١٥هـ/٢١م). والذي يجري في مكة من تطور تجاري، أو في أي حاضرة، أو محافظة سعودية أخرى خلال الخمسين سنة الماضية (١٣٩٣-١٤٤٤هـ/١٩٧٣-٢٠٢٢م) يستحق أن يدرس في عشرات الكتب والرسائل العلمية، وهذه مسؤوليات وزارة التجارة، ووزارة الصناعة والثروة المعدنية، والغرف التجارية، والجامعات المحلية فتدعم وتشجع إنجاز بحوث علمية وإحصائية عن التنمية السعودية الحديثة وبخاصة في الحياة الاقتصادية (التجارية، والصناعية، والزراعية، والسياحية وغيرها)، أرجو أن تجد هذه التوصية من يدعمها ويتبناها على الصعيد الرسمي والأهلي.

(٢) كما أشرت سابقاً، لا يوجد في مكة مصادر أو ثروات طبيعية يمكن استغلالها تجارياً، اللهم إلا الحرف اليدوية، أو الصناعات الحديثة تستغل في مزاولة بعض الأعمال الاقتصادية.

الرئيسية، أو أماكن إقامتهم في أنحاء المملكة، وإن لم تكن سلع مكية محلية، إلا أنها مرت بمراحل عديدة من الاستيراد والتصدير داخل المملكة وخارجها [١].

ج ـ إن المكيين أهل حرفة وتجارة، وهناك الكثير من الأفراد والمؤسسات التجارية التي جاءت إلى مكة واستقرت فيها قديماً وحديثاً، ومارست التجارة العامة، أو المتخصصة في سلعة أو سلع معلومة. كما برز العديد من التجار المكيين الكبار منذ ثمانينات وتسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وتوسعت تجاراتهم حتى صاروا اليوم من كبار تجار الحجاز. وظهرت شركات وأعلام عديدون خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وأصبحوا اليوم من كبار التجار المستثمرين في محافظة مكة، وبعضهم من سكان مكة الرئيسيين، وآخرين من بلدان عربية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها[٢].

د ـ لو توقفت مع دراسة كل سلعة كبيرة من جنس واحد لمجال محدد في مكة، مثل: الأغذية والأشربة، واللباس والزينة، ووسائل المواصلات والسفر والرياضة، والتسلية والترفيه، ومواد البناء والعمارة والأثاث والمفروشات، أو الأسواق الشعبية المتنوعة في بضائعها، فذلك يحتاج عشرات البحوث العلمية الجادة، ومعظم هذه السلع موجودة في أسواق مكة خلال العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم توسعت وزادت في مساحاتها، وأنواعها، وتوفيرها من أمكنة كثيرة، وطرق عرضها خلال العقود الأربعة الماضية (١٤٠٣ـ١٤٤٤هـ/١٩٨٣ـ ٢٠٢٢م). وبالتالي أصبحت تجارات مكة اليوم تضاهي غيرها من الأسواق الحديثة داخل المملكة وخارجها[٣].

---

(١) حبذا أن يظهر لنا مؤرخ جاد فيدس حركة البيع والشراء، والواردات والصادرات التي عرفتها أسواق مكة خلال المئة سنة الماضية(١٣٤٣ـ ١٤٤٤هـ/١٩٢٤ـ ٢٠٢٢م). ومن يقوم بإنجاز هذا الموضوع العلمي فسوف يجد مادة كبيرة تخدم بحثه، كما سيجد مصادر مروية ومكتوبة كثيرة في هذا الجانب.

(٢) اطلعت على بعض إحصائيات التجار الكبار والصغار في حاضرة مكة خلال العقد الأخير من القرن الهجري الماضي، والعقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، كما حصلت على معلومات جيدة عن التجارات والتجار في محافظة مكة خلال العشرينيات والثلاثينيات من القرن الحالي، واتضح لي القفزات الكبيرة جداً في عالم الاستثمار والتجارة خلال العشرين سنة الأخيرة (١٤٢٣ـ ١٤٤٤هـ/٢٠٠٢ـ ٢٠٢٢م)، ومازالت تسير الحياة الاقتصادية التجارية في حاضرة مكة بمستوى نشط وعال جداً، وأعتقد في خلال عشرين سنة أخرى (١٤٤٥ـ ١٤٦٤هـ/٢٠٢٣ـ٢٠٤٢م) سوف تصبح مدينة مكة من كبريات المدن الاستثمارية داخل المملكة وخارجها.

(٣) أوثق هذه الأقوال من خلال مشاهداتي لأسواق وبضائع حاضرة مكة وغيرها في أرجاء البلاد السعودية من بدايات العقد الأخير في القرن(١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م).

د ـ الأسعار والأجور:

قرأت وسألت عن الأجور والأسعار في الحجاز عامة وفي مكة المكرمة خاصة خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، فوجدت أنها كانت قليلة جداً في الخمسينيات حتى السبعينيات فالسلعة الواحدة من الطعام والشراب، الكافي لشخص أو شخصين تقدر بالقرش والقرشين، وكلما زادت الكمية زاد السعر قليلاً. وفي مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) التقيت ببعض الأعلام السرويين الذين سافروا إلى مكة في منتصف القرن الهجري الماضي، وعملوا في بعض الأعمال المختلفة، فذكروا لي بعض المعلومات الاقتصادية التي مارسوها أو سمعوا عنها، ومما ذكروا قولهم:

١. كنا نعمل في أعمال خدمية حكومية أو أهلية، وأجورنا أو رواتبنا قليلة جداً، فأحياناً تصرف بالقروش، وأخرى بالريال والريالين، وقليلاً من تصل أجرته إلى سبعة أو عشرة ريالات في الشهر الواحد حتى نهاية الخمسينيات. وكانت جل أعمالنا في الحراسات، أو البناء، أو نقل المياه إلى المنازل، والبعض منا التحقوا بوظائف حكومية وغالباً أعمال عسكرية والقليل جداً من المدنية[1].

٢ـ قال لي بعضهم «كان الحصول على العمل يا ولدي صعباً، وأحياناً إذا وجدنا من يوفر لنا المأكل والمشرب والسكن نعمل عنده بدون أجرة. وبعض الرفاق المحظوظين عملوا عند بعض الأسر الغنية، أو المقتدرة مادياً، ونحن أصحابهم وجميعنا من الحجاز[2]، فهم يساعدوننا ويصرفون علينا، ويوفرون لنا بعض اللباس والشراب والطعام. ووجدنا قبلنا في مكة بعض الأفراد من ديرتنا كانوا يعملون عند الأشراف، وعند مجيء حكم ابن سعود وجدوا وظائف في الجندية وبعض الأعمال المدنية كالحراسة، ونقل الأغراض من مكان لآخر، ومنهم من كان يتقن مهنة العمارة والبناء»[3].

---

(١) خلاصة قصص سمعتها من أكثر من شخص عمل في حاضرة مكة في الخمسينيات والستينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، واعلم أن حديثهم محدود فهم يذكرون لمحات مما عرفوه وعاصروه. مع أن مكة في ذلك الوقت كان فيها حركة اقتصادية محدودة ومتنوعة إلى حدما، وتنشط في مواسم رمضان والحج، وبعض المؤرخين المكيين أشاروا إلى صور من الأجور والأسعار في النصف الثاني من القرن الهجري الماضي، ومازال هناك مئات الوثائق المالية غير المنشورة الصادرة عن مديرية ثم وزارة المالية. وموضوع الأجور والأسعار خلال المئة سنة الماضية (١٣٤٣ـ ١٤٤٤هـ/١٩٢٤ـ ٢٠٢٢م) موضوع حضاري جديد يستحق الدراسة في عمل علمي جاد.

(٢) قصدهم بكلمة (الحجاز) أي بلاد السراة الممتدة من الطائف إلى عسير ونجران. ومازلنا نسمع الناس في هذه البلاد حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) يسمون هذه الديار الحياز، والمقصود بذلك (الحجاز)، أي السروات.

(٣) نستخلص من هذه الأقوال أمور عديدة منها: (أ) كانت مكة المكرمة في وضع أفضل من غيرها حضارياً، فهذه بعض الأيدي العاملة تسافر من بلدانها وقراها إلى مكة. بحثا عن الرزق والكسب. (ب) حاضرة مكة مازالت آنذاك متواضعة في إمكاناتها، لكن مكانتها الدينية أثرت على وضعها الاقتصادي (الحرفي والتجاري)، ومن يعيش فيها أو يسافر إليها يستطيع أن يجد عملاً يقتات منه. (٣) مقارنة مكة مع غيرها من مدن وقرى البلاد السعودية (١٣٤٠ـ ١٣٦٠هـ/١٩٢١ـ ١٩٤١م) يجدها كانت أكثر تحضراً وتمدناً، وهذا مما

٣ـ سمعت من بعض الرواة الغامديين، والزهرانيين، وآخرون من بلاد الحجر، وعسير، وشهران، وودادعة وقحطان في العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) من قال: "**كنا نشتغل في وظائف عديدة في مكة من عام (١٣٥٠ـ ١٣٧٥هـ/١٩٣١ـ ١٩٥٥م)، ونبقى في أعمالنا سنوات عديدة، وعندما يتوفر عند الواحد منا بعض المال وعادة تكون مئات الريالات، والقليل منا الذي يجمع نقوداً في خانة الآلاف نعود إلى بلادنا في السراة، وبعضهم يتزوجون، وآخرون يبنون غرفة أو غرفاً صغيرة ومحدودة للسكن، ثم نجلس في ديرتنا، والقليل منا يسافرون مرة ثانية. ومن الأشياء الجميلة أننا إذا قررنا الرجوع لأهلنا نشتري بعض الأقمشة والملابس كالأقنعة للنساء، والغتر (العمائم) للرجال حتى نهديها لجميع أفراد قرانا رجالا ونساءً، ومنا من كان يحصر هذه الهدايا لأفراد أسرته أو فخذه وعائلته من الأجداد، والآباء، والأعمام والعمات، والخالات والأخوال، وأبناء العمومة وغيرهم. وأسعار هذه الهدايا مجتمعة تقدر بعشرات الريالات، ونادراً تصل إلى المئات**"(١).

بدأت الأوضاع الاقتصادية تتحسن في التسعينيات من القرن الهجري الماضي، ومن منتصف ذلك العقد زادت رواتب الموظفين، وارتفع دخل الفرد. واستمر الوضع من حسن إلى أحسن في العقد الأول من القرن الحالي. وصارت أسعار المواد الغذائية القليلة والمحدودة تقدر بالريالات، وإذا كانت كمياتها كبيرة فبالعشرات. واذكر أن الدجاجة الواحدة بخمسة ريالات، وإذا كانت مطهية مع الأرز فلا تزيد عن سبعة ريالات. وحبة التميس بربع ريال، ثم نصف ريال، وكوب الشاي بربع ثم نصف ريال، وكيس الأرز لا يزيد عن ثلاثين إلى أربعين ريالا، والذبيحة من (٣٠٠ـ ٦٠٠) ريال، والبقرة، أو الجمل في خانة المئات، وأحياناً تصل أسعارها خانة الألف ريال وبضع مئات الريالات. وكان في مكة العديد من دكاكين المواد الغذائية، والأطعمة والأشربة وجميعها أسعارها رخيصة من عام (١٣٩٠ـ١٤١٥هـ/١٩٧٠ـ ١٩٩٤م). وأقصد بكلمة (رخيصة)، أي تدرجت قيمتها من الريالات القليلة إلى العشرات، ثم المئات حسب الحجم، والكمية، والنوع، والجودة(٢).

جعلها في حالة اقتصادية تجارية أفضل من غيرها. حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس حالة مكة الحضارية في العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم يقارنها مع غيرها من مناطق ومدن المملكة العربية السعودية.

(١) هذا يدل على رخص الحياة، وعدم توفر الأموال الكثيرة والكبيرة. وقد رأيت بعض المسافرين، الذين يعودون من مكة المكرمة وغيرها إلى بلادهم في سروات بني شهر وبني عمرو وما جاورها خلال الثمانينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، يجلبون معهم الكثير من الأغراض، التي معظمها أقمشة وألبسة، ويوزعونها هدايا على نساء ورجال قراهم وبخاصة الكبار في السن، ومنهم من يهدي غترة (عمامة) لكل ذكر، وشيلة، أو قناع لكل أنثى، وبعضهم يحضرون عدد من طاقات الأقمشة الرجالية والنسائية، ثم يقصونها ويقسمونها على معظم أفراد القرية رجالاً ونساءً، ولا يبقى بيت في القرية إلا ويصله هدية من هذا المسافر الذي يطلق عليه في اللهجة العامة (خاطر).

(٢) آمل أن نرى باحثاً جاداً يخصص دراسة علمية توثيقية عميقة عن الطعام والشراب (أنواعها، وأسعارها)

أسافر حاجاً ودارساً من السروات إلى مكة من أوائل التسعينيات إلى عام (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، وأراقب الأسعار والأجور. فكانت جميعها معقولة مقارنة بدخل الفرد. فالألبسة للرجال والنساء والأطفال تقدر بالريالات، والعشرات، والمئات حسب نوع اللباس، وجودته، وكميته، اللهم إلا المجوهرات، أو بعض الألبسة عالية الجودة فقد تدخل في خانة الآلاف. وأدوات البناء، وأثاث المنازل تتراوح من الريالات إلى الآلاف. وأسعار الأراضي والمنازل تتفاوت، فالقريبة من المسجد الحرام تكون أسعارها عالية في مئات الآلاف والملايين، أما الأحياء البعيدة فحسب جودة المكان وما يتوفر فيه من خدمات، وموقعه من المسجد الحرام، إلا أن الأراضي في التسعينيات رخيصة وغالبا تكون في عشرات الآلاف، ومنها بمئات الألوف أو الملايين حسب الموقع والمساحة[1]. وأسعار الآلات والسيارات الصغيرة إجمالا في عشرات الآلاف، أي من سبعة وثمانية آلاف إلى المئة ألف.والسيارات أو المعدات الكبيرة والثقيلة في مئات الآلاف. وقطع غيار السيارات من الريالات إلى المئات وآلاف الريالات حسب نوع القطعة، وحجمها، وأهميتها[2].

من منتصف العشرينيات لهذا القرن (١٥هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) دخلت أسعار كل شيء في أرقام خيالية، فأصبحت السلعة التي كانت تباع بعشرة ريالات في مطلع هذا القرن، يقدر سعرها اليوم بثلاثين وأربعين ريالا، أي ارتفع السعر في كل شيء ثلاثة وأربعة أضعاف، وفي بعض السلع أكثر من ذلك. فالأرض في أي حي من أحياء مكة البعيدة عن الحرام، كان سعرها من (٨٠-١٠٠) ألف ريال في العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، واليوم لا تقل عن (٦٠٠) ألف وتصل إلى المليون في المخططات السكنية، أما الأراضي التجارية فغالبا في الملايين. والأراضي والعمارات حول الحرم كانت أجورها وأسعارها معقولة، ثم تضاعفت عشرات ومئات المرات[3].

في الحجاز، أو مكة المكرمة، أو السروات وتهامة من عام (١٣٨٥-١٤١٥هـ١٩٦٥-١٩٩٤م). وهذا موضوع حسب علمي جديد في عنوانه، فلم يصدر في أي عمل توثيقي، ومن يعمل على هذا الموضوع فلن يجد صعوبة في جمع المعلومات إطلاقاً، لتوفر المادة العلمية.

(١) شاهدت الأراضي في أحياء المعابدة، والعزيزية، والشرائع، والرصيفة، والشوقية، والعوالي وغيرها كيف كانت أسعارها رخيصة ومعقولة في العقد الأول من هذا القرن، (١٥هـ/٢٠م) ثم بدأت في الارتفاع من العقد الثاني، واستمرت في الارتفاع حتى وصلت حاليا إلى أرقام باهظة وخيالية .

(٢) كنت طالباً في الجامعة، وأعمل في تاكسي حتى السنوات الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ثم اشتريت أكثر من سيارة خصوصي خلال العشرين سنة الأولى من القرن نفسه، ورأيت كيف كانت السيارات رخيصة. فالهايلوكس الجديدة تتراوح من (٧-١٢) ألف ريال ثم زادت أسعارها إلى (١٥) و (١٨) و (٢٠) ألف ريال. وكذلك السيارات الأخرى فالكرسيدا، أو الكراون، أو المازدا في خانة العشرين ألف ريال وتزيد قليلا، كذلك سيارات الجمس، وسيارة الركاب الأخرى كانت أسعارها رخيصة في العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) تتراوح بين عشرات الآلاف وتصل أحيانا إلى المئة ألف وتزيد .

(٣) هذا الذي تأكد لي من عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) إلى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م)، وانا أتردد على مكة، وأسكن في أماكن عديدة قريبة من المسجد الحرام، وأحيانا في بعض الأحياء البعيدة، كما بحثت وسألت عن شراء

ومن يبحث في تاريخ الأسعار في حاضرة مكة خلال هذا القرن (١٤٠٠ـ١٤٤٤هـ/ ١٩٨٠ـ ـ٢٠٢٢م)، ويكون دقيقاً وجاداً، فإنه سوف يتضح له تدرج وسرعة زيادة الأسعار في كل شيء. وهناك الكثير من الأسباب الداخلية والخارجية التي أثرت على هذا الارتفاع[1].

كانت الأجور بسيطة جداً في العقدين الأخيرين من القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، فالأيدي العامة اليومية لاتزيد عن عشرة وعشرين وثلاثين ريالا لعامل المهنة العادي أما الفني فأجرته ترتفع إلى أربعين وخمسين ريالا في نهاية التسعينيات. وأيضا أجور الدور، ووسائل النقل، والآلات والمعدات الخفيفة والثقيلة كلها كانت في الريالات والعشرات، ونادرا تصل أجرة الشقة أو الطابق الواحد في الأحياء البعيدة عن الحرم إلى عشرة أو (١٥) ألف ريال في السنة، ومشوار الراكب داخل مكة بالريالات وربما ارتفع قليلاً في موسم الحج، كذلك مشوار الراكب من مكة إلى أي مدينة من مدن المملكة يقدر بعشرات الريالات، وإذا كان المشوار خاص فيرتفع عدة أضعاف، وأحياناً يدخل خانة المئات إذا كانت المسافة بعيدة [2].

دخلت الأجور، مثلها مثل الأسعار، مرحلة الزيادة من بدايات هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م)، ووصلت في الوقت الحالي إلى أرقام عالية. فأجرة اليد العامل للفرد العادي تراوحت من (٥٠) ريالاً (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) إلى (١٥٠) و (١٧٠) ريالاً هذا العام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)، واليد الفنية وصلت حاليا (٢٥٠) و (٣٠٠) ريالاً لليوم الواحد. ومتر التشييد والبناء كان (٧٠) و (٨٠) ريالا، والآن (١٥٠ــ ١٧٠) ريالا للمتر المسطح. وأجرة السباكة والكهرباء عادة تكون بالاتفاق على المتر، أو الجملة، وكذلك مهنة البناء، والدهانات. وأجرة الآلات والمعدات في السنوات الأخيرة تراوحت من العشرة والعشرين إلى (١٠٠) ريال للشيول الصغير والكبير للساعة الواحدة. ورد البطحاء القلاب الكبير (٤٥٠ــ ٥٠٠) ريالا، والوسط (٣٥٠) ريالاً. أما الخرسانة فالسيارة الكبيرة (٧٠٠) ريالاً، والوسط (٥٠٠ـ ٦٠٠) ريالا. وكيس الأسمنت كان سبعة ريالات في العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م)، والآن (١٤ـ١٦) ريال.

الأراضي والمنازل في مخططات مكة الحديثة من عام (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) إلى عام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)، وسمعت ورأيت تزايد الأسعار وارتفاعها بشكل سريع وجنوني.

(١) آمل أن نرى كليات وأقسام جامعة أم القرى العلمية تدعم وتشجع دراسة مثل هذا الموضوع الحضاري الحديث والمعاصر. وللأسف فجامعاتنا المحلية لا تبذل اهتماماً ملحوظاً في دراسة مشاكل المجتمع المعاصرة. وارتفاع الأجور والأسعار على الناس من العقبات الكبرى التي تعاني منها جميع شرائح المجتمع السعودي. وعلى مراكز أبحاثنا ومؤسساتنا العلمية والتعليمية مسؤوليات عظيمة تجاه الناس والأرض التي توجد فيها هذه الإدارات العلمية والمعرفية.

(٢) هذا الذي عرفته وعاصرته في النصف الثاني من العقد الأخير في القرن (١٤هـ/٢٠م). وتاريخ الأجور في مكة خلال المئة سنة الماضية (١٣٤٣ـ ١٤٤٤هـ/ ١٩٢٤ـ ٢٠٢٢م) موضوع بكر، جدير أن يدرس ويوثق في كتاب علمي.

أمـا أجـور العمارات والأسـواق والمحلات التجاريـة، فالأبنية القريبـة من المسجد الحرام غالية من بداية هذا القرن، لكنها ارتفعت مؤخراً أضعاف كثيرة. وغرف الفنادق أو الأجنحة ترتفع أسعارها في شهر رمضان وموسم الحج وتصل الليلة الواحدة إلى مئات وآلاف الريالات، حسب جودة العمارة وقربها من الحرم، وهناك فنادق وشقق مفروشة في أحياء عديدة من المدينة، فأجرتها أقل، لكنها في الوقت الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) غالية جداً مقارنة بما كانت عليه الأوضاع قبل عشرين وثلاثين سنة [١].

أمـا الأسـواق والدكاكين التجارية الوقعة على شوارع كبـيرة ورئيسية، أو قريبة من المسجد الحرام فأجرتها عالية جداً، تقدر بعشرات أو مئات الآلاف شهرياً حسب موقعها، ومساحتها. وهناك محلات صغيرة أجرة المحل الواحد في خانة الآلاف، وأحياناً عشرات الآلاف حسب المكان، ونوع العمل الذي يتم مزاولته[٢].

يصعـب على الباحث أن يلـم بتاريخ الأسعار والأجور خـلال خمسين سنة (١٣٩٢-١٤٤٤هـ/١٩٧٢ـــ ٢٠٢٢م) في حاضـرة مكة النشطـة اقتصاديا وتجاريـا طوال العام، وترتفـع نسبـة تجاراتها بشكل كبير من شهر رجـب إلى ذي الحجة كل عام، لازدحامها بالحجـاج والمعتمريـن، وما أشرت إليـه في الفقرات السابقة نمـاذج قليلة ومختصرة. والموضـوع مازال بحاجـة إلى دراسات تحليليـة وتوثيقية أطول، آمـل أن يظهر في قادم الأيام من يتولى خدمة هذا العنوان بحثياً في هيئة كتاب علمي تفصيلي [٣].

قـرأت، وسمعت، وعرفت العديد من الأسباب التي أثرت على ارتفاع الأسعار والأجور خـلال هـذا القرن (١٥هـ/ ٢٠-٢١م) وعلى كل شـيء ليس في محافظة مكة، إنما في أرجاء البلاد السعودية، ومن أهمها ما يلي:

أ- التوسـع والزيادة في إنتاج النفط خلق طفـرة اقتصادية كبيرة على جميع مفاصل الدولـة الرسميـة والأهلية، وكل ذلك صـب في مصلحة الأرض والإنسان، وبدأت

---

(١) عاصرت تراوح أسعار السكن باليوم والليلة، أو الشهر، أو السنة منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، لكنها في الوقـت الحاضـر عالية جداً بسبب الغلاء السائد، وأيضاً عملية الهـدد لبعض الأحياء الشعبية في مكة، وهذا مما أثر في ارتفاع الإيجارات في كل مكان.

(٢) قضيـت عدة أيـام في نهاية العام الماضي، وهـذا العام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م) أسأل وأشاهـد الأسواق التجارية الصغـيرة والكبـيرة القريبة من الحـرم، والموجودة في بعض الأحياء الحديثـة، وأجرتها تـتراوح من الألفين والثلاثـة شهريـا للدكاكين الصغـيرة البعيدة عن وسـط المدينة إلى عشـرات الآلاف ومئـات الآلاف للأسواق المتوسطة والكبيرة أحياناً داخل العديد من الأحياء مثل العزيزية، والعدل، والنسيم، والعوالي. والأسعار أحياناً تكون أقل من غيرها في بعض المخططات البعيدة مثل الشرائع، والزايدي، وولي العهد، والراشدية وغيرها.

(٣) مـن يقوم بذلك لن يجـد صعوبات كثيرة لوفرة المادة العلمية الموثقة في مصـادر عديدة، وإجراء مقابلات شخصية مع المشاهدات الميدانية ستكون أيضاً عاملاً مساعداً كبيراً لخدمة هذا الموضوع.

خطـط التنميــة السعودية من بداية تسعينيــات القرن الهجـري الماضي، ورسمت الدولــة الأولويات لبناء البلاد في شتــى المجالات. وكل هذه الإجراءات والسياسات تولد عنها زيادة السكان، وتوسع المستوطنات البشرية رأسياً وأفقياً، وبالتالي زادت الأسعار وارتفعت الأجور في كل القطاعات[١].

ب. بـدأت الطفـرة الاقتصاديــة الأولى في عصر الملك خالد بـن عبدالعزيز آل سعود (١٣٩٥- ١٤٠٢هـــ/ ١٩٧٥ـــ١٩٨٢م). فـزادت الرواتب[٢].على مستـوى الدولة، والأسر، والأفراد، والقطاعات المختلفة [٣].

ج ـ بقيـت الأسعار والأجـور في العقدين الأوليين من هذا القـرن (١٥هـ/٢٠م) تسير سـيراً معقـولاً. ولم يكن هناك أجـور أو أسعار كبيرة جـداً مقارنة بما نشاهده في وقتنــا الحاضر. نعـم كان هناك مشاريــع تنموية كبيرة ومتعـددة، ورواتب الناس كانت طيبة، والعيش بشكل عام ميسور لمعظم طبقات المجتمع [٤].

---

(١) كانـت الأجور والأسعـار ترتفع ببطء من الخمسينيـات إلى السبعينيات، ثم بدأ الارتفـاع يزيد نوعاً ما في الثمانينات حتى بدايات النصف الثاني من العقد التاسع في القرن الهجري الماضي. ومع مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) بدأت أحوال الناس الاقتصادية والمالية تتطور بشكل جيد، وسارت في الاتجاه التنموي النشط حتـى وقتنا الحاضر، وتولـد عن ذلك تحولات في الأجور والأسعار نحو الارتفـاع حتى وصل إلى سقف عال خـلال هذا العقد الـذي نعيشه (١٤٤٠ـ ١٤٥٠هـ/٢٠١٩ـ ٢٠٢٨م). أرجـو أن يخرج لنا باحث جاد يدرس الظـروف السياسيـة والحضارية التي أثرت سلبـاً أو إيجاباً على حياة الشعب السعـودي من عام (١٣٤٠ـ ١٤٠٠هـ/١٩٢١ـ ١٩٨٠م)، فهو موضوع جديد في بابه.

(٢) تاريـخ الرواتب في الدولة السعودية الحالية من عـام (١٣٤٥ـ ١٤٠٢هـ/١٩٢٦ـ١٩٨٢م) موضوع لم يبحث إطلاقـاً، وكل ناحيــة أو منطقة في المملكة تستحق أن يصدر عنها بحوث عديدة في هذا الميدان. وإذا أخذنا مكـة المكرمة أنموذجاً، فإننا نجـد بعض الكتب والرسائل الجامعية أشارت إلى شذرات من تاريخ الرواتب خـلال القرن (١٤هـ/٢٠م). آمل أن نرى مؤرخاً جاداً يقوم بدراسة هذا الموضوع، وأن حدث ذلك، فسوف نطلع على معارف جديدة توضح التطور التاريخي الحضاري الحديث لهذا المجال.

(٣) عاصـرت بساطـة دخـل الأفـراد في ثمانينيـات القـرن (١٤هـ/٢٠م) ثـم تدرجـت الزيـادات وتحسنت الرواتـب بشـكل رسمـي في النصـف الثـاني مـن العقـد التاسـع في القـرن نفسـه، وبالتـالي ارتفعـت الأجـور قليـلاً للأيـدي العاملـة، وأسعـار المـواد الغذائيـة، والألبسـة وأدوات الزينـة، وأجـور المنـازل والمحـلات التجاريـة، وكل الحـرف والصناعـات، ووسائـل النقـل والمواصـلات؛ وأسعـار السيـارات والأدوات والسلـع المختلفـة. وأقـول أن الارتفـاع آنـذاك كان معقـولاً مقارنـة بالرواتـب التـي حصلـوا عليهـا بعـد زيـارة الرواتـب. حبـذا أن نـرى مؤرخـاً مجتهـداً يدرس تاريـخ الطفـرة الأولى (١٣٩٥ـــ ١٤٠٢هـ/١٩٧٥ـ١٩٨٢م) وآثارها الإيجابية والسلبية على الأرض والناس في أرجاء المملكة العربية السعودية.

(٤) كانـت الفترة الممتدة مـن (١٤٠٢ـ١٤٢٢هـ/١٩٨٢ـ ٢٠٠١م) مختلفة تماماً عـن العقود السابقة. ففي هذه الحقبـة زادت التجـارات، والعقارات، ورؤوس الأمـوال عند الناس. وتنوعت وتوسعـت مجالات التنمية في أرجـاء البلاد. ومع هذا كله كانت الأسعار والأجور جيدة مقارنـة بالمكاسب المادية لكل الناس، سواءً كانت وظائف رسمية، أو أهلية، أو قطاعات أخرى اقتصادية وحضارية.

د ـ جاءت حقبة العشرينيات من هذا القرن (١٥هـ/٢١م)، وبدأت الأجور والأسعار ترتفع. فقامت الدولة بزيادة رواتب الموظفين (٥٪)، ثم ضاعفتها حتى وصلت (١٥٪)، وبعد هذه الزيادة ارتفعت الأسعار والأجور أكثر فأكثر، وبدأت الأسر، وجميع أفراد المجتمع يعانون من الغلاء. وهناك الكثير من السلع والإيجارات التي زادت بنسب كبيرة، مقارنة بالعقدين السابقين (١٤٠٢ـ ١٤٢٢هـ/١٩٨٢ـ ٢٠٠١م) [١].

هـ ـ بدأت فترة الثلاثينيات واستمر التاريخ حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م)، ووقعت بعض الأحداث السياسية مثل حرب اليمن، وإرهاصات إرهابية عديدة، وبعض الأحداث الإقليمية، والعالمية، وكل هذا أثر على اقتصاد جميع دول العالم. وارتفعت الأجور والأسعار في كل مكان، وأصبح من الصعب تحديد سبب رئيسي واحد لهذا الغلاء العالمي [٢]. ولم تسلم المملكة وشعبها من هذه المشكلة الاقتصادية، مع أنها فُرضت بعض الضرائب على السلع التجارية الداخلية والخارجية من أجل تجاوز المحنة الاقتصادية التي تعاني منها جميع بلدان العالم [٣]. والحقيقة أن الأجور والأسعار الداخلية ارتفعت كثيراً، لكن من يقارن أحوال المملكة الاقتصادية مع غيرها من الدول يجد أنها استطاعت التغلب على الكثير من العقبات المحلية، والإقليمية، والعالمية، ومازالت حياة البلاد والعباد مستقرة، وجميع الناس (مواطنين ومقيمين) يعيشون في أوضاع حضارية آمنة على جميع المستويات، وهذا فضل من الله (عز وجل) ثم سياسة هذه الدولة السعودية الراشدة [٤].

---

(١) عاصرت هذا التاريخ الحديث، ولو اطلقت العنان في تدوين مقارنات بين العشرينيات وبداية الثلاثينيات وبين العقدين الأولين من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) فذلك يحتاج إلى عشرات وربما مئات الصفحات. أتمنى أن نرى مؤرخاً جاداً ومنصفاً يدرس هذا الموضوع في هيئة كتاب أو رسالة جامعية.

(٢) من يتعمق في دراسة جميع الأوضاع الداخلية والخارجية يجد الأمور متشابكة بين الداخل والخارج. وهذه البلاد جزء من العالم، وتتأثر بما يحدث من تحولات سياسية وحضارية إقليمية وعالمية.

(٣) من يدرس الرزايا والأحداث التي عاشها العالم خلال العقود الأربعة الماضية (١٤٠٠ـ ١٤٤١هـ/١٩٨٠ـ ٢٠٢٠م)، فإنه يجد المملكة العربية السعودية، ولله الحمد، استطاعت أن تواجهها بحنكة وجهود جبارة على جميع المستويات الداخلية والخارجية.

(٤) هذه الحقيقة، قد يقول بعض ضيقي الأفق، إن ما رصدته في المتن يخالف الحقيقة. ويحصر تفكيره على أن الحياة غالية جداً. وأتفق معه في ارتفاع الأجور والأسعار، لكن من يدرس التاريخ السياسي والحضاري العالمي، ثم يدرس أوضاع المملكة العربية السعودية في هذا الكون الكبير، يجد أنها من أفضل الدول التي بذلت ما في وسعها لخدمة أرضها وشعبها، وقامت بواجباتها السياسية والدبلوماسية والحضارية الإقليمية والعالمية، ومازالت تواصل مشوارها في خدمة بلادها ومسؤولياتها مع دول العالم العربي والإسلامي والأجنبي

خامساً: وقفات مع التعليم والتعلم، والثقافة، والإعلام :

أدرجـت في هذا العنوان موضوعات عديدة وكبـيرة، وإذا كنت أكتب عن حاضرة مثل مكة المكرمة، فذلك ميدان واسع يُوثق في عشرات الكتب والمجلدات. وإذا بحثنا في المصادر الإسلاميـة المبكـرة والوسيطة نجد فيهـا مئات الكتب التي احتوت على شـيء من تاريخ وتـراث مكة العلمي، ويكفي هذه المدينة المقدسـة أن الرسول الكريم محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي ولد فيها، وعاش في مناكبها وجبالها ووهادها العقود الأولى مـن عمره، ونـزل عليه الوحي فيها، وهذا ممـا زادها رفعة وعلوا في السمـاوات والأرض، كونهـا مقر الكعبـة المشرفة والبيت العتيق، ثـم ظهور خاتم الأنبياء وسيـد المرسلين فيها، وهذا وأيم الله أعلى مراتب الشرف والسمعة الحسنة عند الله عز وجل، ثم عند الناس[١].

قبـل أن أبدأ كتابة هذا المحور، قمت بمسح عام علـى العديد من المكتبات الورقية، والرقمية المحلية، والإقليمية، والعالميـة بهدف الاطلاع على المصادر والمراجع والبحوث العربية والأجنبية التي أرخت للحجاز، ومكة المكرمة تحديداً في مجالات العلم والتعليم، والمكتبات، والثقافة، والإعلام، ووجدت كما هائلا من المادة العلمية المطبوعة والمنشورة. أما المخطوطة فلم أبحث عنها، وأعتقد أنه مازال هناك مصادر كثيرة مخطوطة تستحق الجمع والدراسة والتحقيق[٢].

اتضح لي من خلال دراستي ثم عملي في جامعات عديدة داخلية وخارجية واشتغالي بالتدريس، والجمع والبحث والتأليف حـوالي (٤٥) عاما، ثـم تخصصي وتحديـدي رسالة الدكتـوراه في تاريخ وحضـارة الحجاز خـلال القرون الإسلامية الأولى، وعكوفي مؤخرا علـى إنجاز بعض البحوث العلمية عـن السـروات وتهامة خلال القـرون الإسلامية المختلفـة، وصلاتها التاريخيـة والحضارية مع اليمن والحجاز. كل هذا جعلني أخرج بخلاصات كثيرة عن هذه البلدان العربية الماجدة[٣]. والذي يهمني في هذه الفقرات ريادة مكة المكرمة العلمية والمعرفية، وأوثق بعض النقاط العامة في السطور الآتية :

---

(١) هنـاك عشرات الدراسات القديمة والحديثة التـي فصلت الحديث عن مكانة مكة الجغرافية، والإنسانية، والدينية، والروحية لما حباها الله من مميزات فريدة ليست عند غيرها ٠

(٢) جميـع المصادر الإسلامية المبكرة والوسيطـة (الكتب الشرعية، واللغـة والأدب، والتاريخية والحضارية، والتراجـم والطبقـات، والجغرافيا والرحـلات، والأنسـاب، والموسوعات العامة) احتـوت على الكثير من المعلومات التعليمية والمعرفية الخاصة بمكة المكرمة. وأغلب هذه الموارد العلمية محققة ومطبوعة ومنشورة. ومـازال في الكثير من المكتبات الحكومية والأهلية (الخاصة والعامة) المحلية، والإقليمية، والعالمية الكثير مـن المخطوطات العربية والإسلامية التـي فيها تاريخ لبلاد مكة وبخاصة في الجوانـب الدينية، والعلمية، والمعرفية، والثقافية.

(٣) سـوف يكـون لي بعضـ البحوث الأخـرى التي لها صلـة ببلاد اليمن، وبلـدان الحجـاز (الطائف، ومكة، والمدينة، وغيرها)، آمل أن يتحقق ذلك في قادم الأيام ٠

١- بعد أن أصبحت مكة قبلة جميع المسلمين، وصارت في قلب كل مسلم على الكرة الأرضية، وبدأت أهميتها السياسية والروحية الدينية العالمية منذ عهد الرسول (ﷺ)، واستمرت هذه المنقبة العظيمة عبر أطوار التاريخ الإسلامي. وأفاضت المصادر الإسلامية المختلفة في الجوانب السياسية، والدينية، والعلمية والمعرفية المكية ومكانتها الكبيرة عند دول، وإمبراطوريات، وعلماء العالم الإسلامي منذ فجر الإسلام إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م)[١].

٢- الكثير من علماء المسلمين في أرجاء الأرض وعلى مر التاريخ، أدرجوا ضمن مؤلفاتهم، وتوثيقاتهم، ودروسهم شيئاً من تاريخ وتراث مكة العلمي والمعرفي. ومن العلماء أعداد كبيرة جاءت من أصقاع المعمورة إلى مكة، فتعلموا وعلموا في حلق العلم بالمسجد الحرام، ومنهم الذين قضوا أعمارهم في هذه المهنة في مكة، وآخرون يأتون ويذهبون بين المدن المقدسة (مكة، والمدينة) وغيرها داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها، وعملهم الرئيسي العلم والتعلم. ومن يطالع كتب التراث الإسلامي يجد أسماء مئات، بل آلاف المجاورين والعلماء في المسجد الحرام منذ القرون الإسلامية الأولى إلى العصر الحديث والمعاصر[٢].

٣- الباحث في تاريخ الخلافة الإسلامية في الشام، والعراق، ومصر، واستنبول (اسطنبول). ودول الإسلام الأخرى في مشارق الأرض ومغاربها من فجر الإسلام إلى وقتنا الحالي، يجد تفصيلات كثيرة عن رجال الحكم والسياسة والإدارة كيف كانوا يولون مكة المكرمة والمسجد الحرام اهتماماً كبيراً، سياسياً، وإدارياً، وعمرانا، واجتماعياً، واحتسابا، وكيف كان سكان الحرمين يحظون بالكثير من أنواع الصدقات والرعاية الإنسانية من قبل الخلفاء، والأمراء، والوزراء وغيرهم من المتصدقين الذين يبحثون عن الأجر والثواب من الله (عز وجل)[٣]. وهناك

---

(١) لايتسع المجال لذكر أمثلة على ما أشرت إليه في المتن، فذلك مبسوط وموثق في مصادر التاريخ العامة والمحلية، وفي مئات المصادر الإسلامية الأخرى المتخصصة في مجالات علمية ومعرفية متنوعة. وقد اطلعت خلال الأربعين عاماً الماضية (١٤٠٢-١٤٤٤هـ/١٩٨٢-٢٠٢٣م) على آلاف الكتب والبحوث الحديثة والرسائل الجامعية باللغة العربية ولغات أخرى أجنبية، ولا تخلو من رصد معارف وتوثيقات مختلفة عن حاضرة مكة والمسجد الحرام، والجانب العلمي والمعرفي أخذ حيزاً كبيراً في هذه المراجع الحديثة.

(٢) صدر في هذا المجال مئات البحوث العلمية الحديثة المطبوعة والمنشورة، ومازال هناك أعلام، وموضوعات تستحق أن توثق في دراسات علمية جادة. آمل أن نرى باحثين جادين يفتشون عن هذه العناوين العلمية والمعرفية الجديدة، ثم يُعتنى بها بحثياً وتوثيقياً وتحليلياً.

(٣) هذا المجال خُدم كثيراً عند أصحاب العلم والتوثيق المعرفي على مر التاريخ الإسلامي. واعلم أنه صدر الكثير من الكتب والبحوث العلمية الحديثة باللغة العربية ولغات أخرى أجنبية عديدة. وكل هذه المصادر والمراجع اشتملت على تفصيلات كثيرة عن وضع مكة المكرمة والمسجد الحرام في قلوب وعقول حكام

خلفـاء، ورجال حكم وسياسـة، وأصحاب جاه ومـال ومحتسبون(رجـالاً ونساءً) خصصـوا صدقـات وأوقاف ومـواد عينية في مكـة لرعاية الفقـراء والمحتاجين، والمرضى والمنقطعين وغيرها من أبواب البر والإحسان. وبعض أولئك دعموا العلم والتعلم، فشيـدوا أبنية لخدمة مجال التعليم، وصرفوا الأمـوال، واشتروا وأوقفوا عقـارات لهذا الشـأن. ومنهم من تبنـى طباعة الكتب ونشرهـا، ودعموا وشجعوا الراغبين من طلاب العلم، والعلماء الذين ينشرون العلم في حلق ومجالس التعليم والتعلم في المسجد الحرام، أو في الحارات القريبة من الحرم[(١)].

وإذا حصـرت توثيقاتـي على العقود الماضيـة المتأخرة، وركزت على مجـالات التعليم، والثقافة، والإعلام، فذلك المطلوب، وهذا ما سوف أرصد شيئاً منها في الصفحات التالية :

١ـ التعليم والتعلم :

أ ـ لمحة عن التعليم في مكة قبل العصر السعودي الحديث:

كانـت مكـة تواصل مسيرتها التعليميـة والتنويرية من خـلال المسجد الحرام، وفي العصـر الحديث، بعد امتداد نفـوذ الإمبراطورية العثمانية على بلـدان العالم العربي، وأصبحـت الحجاز تحت سيطرة العثمانيين، وكذلك الأمـراء الأشراف في مكة المكرمة والمدينـة المنورة، لكـن السلطان العثمـاني ورجال دولته في الحجاز هـم أصحاب الحل والعقـد في البـلاد، وحـكام مصر تحـت مظلة الدولـة العثمانيـة يعدون حلقـة الوصل الرئيسيـة بين السلطة العثمانية وشبه الجزيـرة، وفي مقدمتها الأماكن المقدسة (مكة، والمدينة) وما حولها[(٢)].

سعـت الإمبراطورية العثمانية إلى فتح بعض المدارس الحديثة في مكة، وفي مطلع القـرن (١٤هـ/١٩م) أنشئت المدرسـة العثمانيـة الرشدية بجانب الحـرم، ثم تنقلت

الدول الإسلامية ورجال المال والسياسة والإدارة عبر أطوار التاريخ الإسلامي (ق١ـ ق١٥هـ/ق٧ـ ق٢١م).

(١) كل الذي أشرت إليه فقط شذرات محدودة لأعمال وأنشطة إنسانية واجتماعية وعلمية وتعليمية عاصرتها مكـة المكرمـة خـلال القـرون الإسلامية المتعاقبـة (ق١ــ ق١٥هـ/ق٧ــ ق٢١م). وطبع ونشـر الكثير من الدراسـات الحديثة في هـذا الباب، ومازال هناك عناويـن أخرى جديدة ونوعية تستحـق العناية البحثية التوثيقية.

(٢) هـذه الإشـارات المختصرة في المتن مفصلـة في عشرات الكتب والبحـوث، والكثير منها مطبـوع ومنشور. ومـازال هناك مخطوطات ووثائق كثـيرة غير منشورة بالحروف العربيـة، والعثمانية، وغيرها من اللغات الأجنبيـة. وأقـول إن تاريخ الحجاز، أو أي ناحية في شبه الجزيرة العربيـة، تحت سيطرة الدولة العثمانية في العصـر الحديث (ق١٠ـ ق١٤هـ/ق١٦ـ ق٢٠م) من المجالات البحثية التي مازالت تحتاج خدمة ورعاية كبيرة من قبل الجامعات ومراكز البحوث العربية والأجنبية، وهناك آلاف الوثائق العثمانية والأوربية غير المنشورة التي تعد من المصادر الرئيسية الجيدة لدراسة مثل هذا الميدان الكبير.

في أمكنــة عديدة. وكانت لغــة التدريس اللغة العثمانيــة، وفي ثلاثينيات القرن الهجري الماضــي، في عهد الشريــف حسين بن علــي، أصبحت هذه المدرسة عربيــة صرفة، وتم تعديــل اسمها إلى مدرسة المعلاة، وبقيت بهذا الاسم في بداية العهد السعودي الحديث في الحجــاز، ثم تحول اسمها إلى المدرسة السعودية عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م)[١]. وتذكر بعض المصــادر إنشاء مدارس عثمانية أخرى عديدة في مكــة في نهاية العشرينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)[٢].

كمــا أنشــأ الشريــف حســين بــن علــي المدرســة الخيريــة التحضيريــة الهاشمية عام(١٣٣٠هــ/١٩١١م)، وتعد أول مدرسة عربية حكوميــة تأسست في مكة في العصر الهاشمــي، وذكرهــا المؤرخــون المكيــون، وفصلــوا الحديث عــن بداياتهــا، ومقراتها، ومنجزاتهــا. وبقيت تــؤدي رسالتها حتى العهد السعودي الحديث، ثــم تغير اسمها إلى المدرســة الرحمانيــة، وتنقلت في أمكنة عديدة حتى استقــرت في مبناها الحكومي بحي الهجــرة[٣]. وذكر إسماعيل كتبخانة وغيره أنهــا أول مدرسة نظامية حكومية منذ عهد الأشراف، ثم الحكومة السعودية الحديثة . وسرد حوالي (١٧٠) شخصية سعودية. من الــوزراء، والقضاة، والأساتذة، والأدباء الذين تخرجوا من هذه المدرسة. ومن يتأمل في سير هؤلاء الأعلام، (مدنيين وعسكريين)، وما تقلدوا من مناصب في الدولة السعودية الثالثــة، ومــا قدموا لدينهم وبلادهــم فإنه يجد أغلبهم من الــرواد الأوائل، في تأسيس وتطوير التنمية الحديثة في بلادنا، وبعضهم ماتوا، وآخرون مازالوا على قيد الحياة[٤].

أسســت الحكومــة الهاشميــة مدارســ أخــرى في ثلاثينيــات القرن (١٤هــ/٢٠م)،

---

(١) للمزيــد انظــر فــاروق بنجــر، لمحات عن نشــأة التعليــم المدرسي في مكــة المكرمة (ط١٤٢٠هــ)، ص ٠٥ عبدالرحمــن صالــح عبدالله. تاريخ التعليــم في مكة المكرمة (ط١٤٠٣هـ)، صــ ٧٨. لم تكن مكة الوحيدة التــي افتتحت فيهــا مدرسة عثمانية باسم (الرشديــة)، إنما أسست نفس المدرســة في أكثر من مكان من شبه الجزيرة العربية. كذلك المدرسة السعودية التي بدأت في مكة في عصر الدولة السعودية، جرى افتتاح مدارس عديدة في مدن ومناطق سعودية أخرى بنفس الاسم. ونجد هذه المدرسة افتتحت في ابها، وبيشة، وبلاد غامد، والقنفذة، وجازان، وجميعها باسم المدرسة السعودية في عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م).

(٢) عبدالرحمــن صالــح، ص ٥. ومن تلــك المدارس العثمانيــة، المدرسة الصناعية، ومدرســة برهان الاتحاد وغيرهــا. حبــذا أن تجمع الوثائق العثمانيــة الخاصة بالتعليم في الحجاز والســروات ثم تدرس وتصدر في عمل علمي توثيقي جاد.

(٣) لمزيــد مــن التفصيلات عن هذه المدرســة الخيرية، ثم الرحمانية انظر مؤلفات محمــد عمر رفيع، وأحمد السباعــي، وعبــدالله بغدادي في كتابه : لمحات مــن التعليم وبداياته في المملكة العربيــة السعودية، وفاروق صالــح بنجر، ومحمــد عبدالحميد مرداد في كتابه : رحلة العمــر، وعبدالرحمن صباغ في كتاب : ذكريات مدرس، وكان أحد طلاب هذه المدرسة ثم معلميها.

(٤) انظــر إسماعيل كتبخانــة، موسوعة ثقافة المجتمع المكي، ج٥، ص ٦٣ــ ٦٧. صدر عن بعض هؤلاء الأعلام دراســات وتراجم شرحــت مسيرتهم التعليمية والعملية، ومازال منهــم شخصيات كبيرة ساهمت بالشيء الكثير في بناء الدولة السعودية الحديثة، ويستحقون أن تصدر عنهم دراسات توثيقية مطولة.

واستمرت بعضها في أداء رسالتها العلمية والتعليمية حتى مجيء الدولة السعودية الحديثة، فأبقت على بعضها، وغيرت مسمياتها، وواصلت مسيرتها التعليمية السعودية الحديثة[١].

ولدّ مكانة مكة الدينية واحتضانها للمسجد الحرام أنشطة تعليمية مستمرة، وبخاصة في العلوم الشرعية، واللغوية، والتاريخية، والإنسانية. وعرفت الديار المكية الكثير من الكتاتيب المتفاوتة في إمكاناتها، ومقراتها، والأفراد أو الأسر والجماعات التي أسستها، وأشرفت على مسيرتها[٢]. وبقيت تلك الكتاتيب تؤدي رسالتها العلمية والتعليمية حتى ظهور الحكم السعودي الحديث، ثم أنشئت المدارس الابتدائية، ورياض الأطفال الحديثة، واختفت الكتاتيب تدريجياً[٣]. وكون تركيبة حاضرة مكة خليط من السكان الأصليين، أو الوافدين من بلدان عربية وإسلامية أخرى، فقد استمرت بعض الكتاتيبٍ المحدودة والصغيرة، أو الأنشطة التعليمية المتواضعة في بعض الأحياء العشوائية، وغالباً بين الأسر والسكان الوافدين مثل البخاريين والبرماويين وغيرهم. وجل العلوم التي تُدرس في هذه الأمكنة القرآن الكريم وبعض العلوم الشرعية والعربية الأخرى، وهي محدودة وفقيرة في مستواها العلمي وإمكاناتها وقدراتها المادية والعلمية والتعليمية، بل تأتي في أدنى المستويات من نظام الكتاتيب التي عرفتها مكة خلال العقود الأولى من القرن (١٤هـ/٢٠م)[٤].

---

(١) معظم تلك المدارس الهاشمية أنشئت عام (١٣٣٥هـ/١٩١٦م)، ومنها الابتدائية، والثانوية، والحربية، والصناعية، والزراعية وغيرها. ومن تلك المدارس التي استمرت في العهد السعودي. (١) مدرسة حارة الباب التحضيرية، ثم الابتدائية، وصار اسمها في العهد السعودي المدرسة الفيصلية عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م). (٢) مدرسة الشامية التحضيرية، ثم الابتدائية، وأصبح اسمها في العصر السعودي الحديث المدرسة العزيزية نسبة إلى الملك عبدالعزيز، والسابقة نسبة إلى الأمير فيصل بن عبدالعزيز.

(٢) نجد بعض التقارير والمؤلفات المكية تذكر أكثر من ثلاثين أو أربعين كُتّاباً في مكة خلال العقود الأربعة الأولى من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكانت موزعة في غرف أو بيوت أو مساجد صغيرة في الحارات القريبة من المسجد الحرام. وكل كتّاب يُعرف باسم صاحبه أو القائم عليه، وبعض المؤلفين أشاروا إلى أنواع الكتاب في مكة فذكروا (١) كتاتيب الأحياء (الحارات) وهي السائدة. (٢) كتاتيب متخصصة في الكتابة والخط. (٣) كتاتيب راقية أو نظامية، وهي أكثر تطوراً وتخصصاً من النوعين السابقين. للمزيد انظر مؤلفات أحمد السباعي، وعبدالرحمن صباغ، ومحمد عمر رفيع، ومحمد عبدالرحمن الشامخ، التعليم في مكة والمدينة (ط١٤٠٢هـ)، ص٣٧. وعبداللطيف بن دهيش» الكتاتيب في الحجاز في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري». مجلة كلية التربية ، عدد (٢) (محرم /١٤٠٢هـ)، ص١٥ .

(٣) الكثير من كتاتيب مكة اختفت، وبعضها ضمت إلى المدارس النظامية الحديثة. وهذه الظاهرة لم تكن محصورة على كتاتيب الحجاز، بل كان في بلاد تهامة والسروات وغيرها من ديار المملكة العربية السعودية الكثير من الكتاتيب حتى الخمسينيات من القرن(١٤هـ/٢٠م)، ثم تناقصت حتى انتهت وحل محلها مدارس التعليم النظامي. حبذا أن نرى باحثين جادين يدرسون العلاقة بين الكتاتيب وبدايات المدارس النظامية في المملكة العربية السعودية خلال الأربعينيات والخمسينيات من القرن الهجري الماضي.

(٤) هذا الذي وجدت ذكره عندما التقيت ببعض المكيين في العقد الأول من هذا القرآن (١٥هـ/٢٠م)، كما زرت بعض تلك الكتاتيب في أحياء المسفلة، والنكاسة، والشامية، وشعب عامر، وحارة الباب أثناء إقامتي في مكة بضعة أسابيع عندما كنت أجمع مادتي العلمية لدرجة الدكتوراه في النصف الثاني من العقد الأول في هذا القرن (١٥هـ/٢٠م).

تشير المصادر والمراجع إلى معرفة المكيين بعض المدارس الأهلية خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة، وتلك المدارس ليست بعيدة في نظامها عن الكتاتيب، لكنها قد تكون في أمكنة أوسع، وعدد مرتاديها من الطلاب ربما أكثر، وتجد رعاية أكبر من بعض الحكام، والأمراء، وأصحاب الجاه والثراء وبخاصة من دول، وأفراد، وأسر خارج شبه الجزيرة العربية[١]. لكن مثل هذا النوع من المدارس ليس لها إدارة أو تنظيم وأشراف بالمفهوم الحديث، إنما كانت اجتهادات فردية وأحيانا جماعية من بعض العلماء والمجتهدين الذين يبحثون عن الأجر من الله ـ عز وجل ـ، ويسعون إلى خدمة مجتمعاتهم وأبناء المسلمين من أهل مكة، أو من جاء إليها من أقطار عديدة في العالم[٢]. ومن يدرس تاريخ كل كتّاب أو مدرسة أهلية في مكة خلال القرون الإسلامية (ق٤ـ ١٤هـ/ق١٠ـ٢٠م) يجد أن معظم من أسسها وأشرف عليها علماء، أو رجال علم وثقافة جاءوا، أو آباؤهم، أو أجدادهم من داخل أو خارج شبه الجزيرة العربية، وعاشوا في الحجاز، واجتهدوا في خدمة العلم والتعليم، ومنهم من رغب في خدمة بني جلدته من بلاده الأصلية، ويقطنون مكة منذ عصور أو قرون ماضية، فأسسوا لهم مدارس أهلية لخدمتهم، وأحيانا تتوسع أنشطة بعض المدارس حتى يلتحق بها شرائح وجنسيات مختلفة[٣].

نجد الكثير من الوثائق والسجلات وبعض المؤلفات العربية وغير العربية تذكر العديد من المدارس الأهلية التي ظهرت في مكة المكرمة خلال القرنين (١٣-

(١) بعض مؤرخي مكة في العصور الإسلامية الوسيطة والحديثة مثل: الفاسي في كتبه (شفاء الغرام، والعقد الثمين، ومنتخب شفاء الغرام). والطبري في مؤلفه (الأرج المسكي في التاريخ المكي)، وبعض المذكرات والوثائق والمراجع المتأخرة أشارت إلى معلومات لها علاقة بالمدارس الأهلية من القرن (٧-١٤هـ/١٣-٢٠م). وهناك أيضاً بعض الرسائل الجامعية التي احتوت على شيء من هذا الميدان، ومازال هناك مدارس في الحجاز تستحق الدراسة العلمية التوثيقية التحليلية الجادة خلال القرون الآنف ذكرها.

(٢) وجدت هذه الطريق منتشرة في أنحاء شبه الجزيرة العربية. فهناك بعض الأفراد الذين يبدؤون التعليم في بلادهم الأصلية، أو يهاجرون في طلب العلم، وعندما يحصلون على قسط منه يعودون إلى أهلهم وقراهم الرئيسية من أجل خدمتهم علمياً ومعرفياً واجتماعياً. وقد قرأت وسمعت عن كثير من الأعلام الذين خرجوا من بلاد السروات وتهامة في العصر الحديث(ق١٠ـ ق١٤هـ/ق١٦ـ ق٢٠م)، وذهبوا إلى مكة والمدينة، وبعض بلدان اليمن، أو الشام، أو مصر وتعلموا في مدارسها بعض الوقت ثم عادوا إلى أقوامهم وبلادهم لخدمتهم في مجالات علمية واجتماعية عديدة.

(٣) أشرت في أمكنة عديدة من هذه الدراسة إلى تنويع التركيبة السكانية لمكة المكرمة، وكيف لا تكون كذلك فهي مدينة المسلمين المقدسة الرئيسية، ومقر الكعبة المشرفة قبلة الإسلام والمسلمين في الكرة الأرضية. ومن يفحص أنواع الأجناس والجاليات الموجودة في مكة اليوم (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) يجدهم خليط من عرب وغير عرب جاءوا أجدادهم الأوائل عبر عصور التاريخ إلى هذه الحاضرة المقدسة، فأقاموا فيها، وصار أكثرهم اليوم يحملون هويات سعودية، ومنهم الذين يعيشون بجنسياتهم الأصلية، ويحملون إقامات أو هويات مؤقتة. وليس هذا مجال حديثنا، لكن هذه الجاليات لها عادات وأعراف وأنشطة خاصة، ومنهم من سعى قديما أو حديثا إلى خدمة قومه وبني جلدته علمياً وتوعوياً وتنويرياً وثقافياً. وقد صدرت بعض البحوث والكتب في هذا المجال، لكنه مازال يستحق دراسات أعمق وأطول خلال القرون الهجري الأربعة الماضية (ق١٠- ق١٤هـ/ق١٦- ق٢٠م).

١٤هـ/١٩ــ٢٠م). وأجمعت كل الدراسات المخطوطة والمطبوعة على أن المدرسة الصولتية هي أول المدارس النظامية في مكة وفي المملكة العربية السعودية. تأسست هذه المؤسسة عام (١٢٩٢هـ/١٨٧٥م)، وقدمت خدمات علمية وتعليمية جليلة، ومازالت تؤدي رسالتها المعرفية حتى وقتنا الحاصر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) [(١)].

ظهر في مكة خلال القرن (١٤هـ/١٩ـ٢٠م) أكثر من عشرين مدرسة أهلية، قام بتأسيسها أفراد وأسر محتسبة من المكيين، أو من بعض الوافدين إليها، ولديهم روح التضحية والرغبة في نشر العلم والمعارف النافعة بين سكان مكة المكرمة والوافدين إليها[(٢)]. وهذه المدارس تتفاوت امكاناتها المكانية والمادية، وفي مستواها التعليمي،

---

(١) صدر عن هذه المدرسة الكثير من الإشارات والمدونات المطبوعة والمخطوطة، وذكرت بدايات تأسيسها، ومقراتها، ومن تعاقب على إدارتها، وكيف كانت مستقلة ومدعومة من الحكومة الهندية، لأن الذي أسسها من بلاد الهند، ثم صارت مدعومة ومرعية إلى حد ما في عصر الدولة السعودية الحديثة، وقد التقيت بأحد مديريها في هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) وذكر لي تفصيلات جيدة عن جهود هذه المدرسة، وما قدمت من جهود علمية ومعرفية على المستوى الداخلي والخارجي. أرجو أن نرى باحثاً جاداً يصدر عنها دراسة تفصيلية يفصل تاريخها منذ النشأة حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م).

(٢) من تلك المدارس (١) المدرسة الفخرية العثمانية (١٢٩٨ـ١٤٠٣هـ/١٨٨٠ــ١٩٨٣م)، ومؤسسها عبدالحميد قاري الهندي. (٢) مدرسة دار الفائزين عام (١٣٠٤ـ ١٨٨٦م)، أسسها عبدالخالق محمد حسين البنقالي. (٣) المدرسة الخيرية (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م)، أسسها محمد حسين خياط من أبناء مكة، بقيت تعمل حتى العهد السعودي الحديث، ثم تحول اسمها إلى المدرسة الرحمانية عام (١٣٥٤ـ ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م). (٤) مدرسة عبدالكريم الطرابلسي الشامي عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م)، لم تستمر طويلاً. (٥) مدرسة الفلاح في مكة عام (١٣٣٠هـ/١٩١١م)، وهي فرع من مدرسة الفلاح في جدة التي نشأت عام (١٣٠٠هـ/١٨٨٢م)، ومؤسسها الحاج محمد علي زينل علي رضا من أهل جدة، ومازالت تؤدي رسالتها في جدة ومكة حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م). (٦) مدرسة الماحي (١٣٣٩هـ/١٩٢٠م)، أسسها محمد أمين الماحي من أهل مكة، وتوقفت عام (١٣٧٠هـ/١٩٥٠م). (٧) مدرسة الترقي العلمية (١٣٤٢هـ/١٩٢٣م)، أسسها أحمد العجمي، وزيني كتبي، كانت أساساً كُتّاباً، ثم تحولت إلى مدرسة، وتوقف العمل فيها مع مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). (٨) مدرسة إندونيسيا المكية (١٣٦٤هـ/١٩٤٤م)، أسسها جنان محمد طيب، من أصول إندونيسية، ومن علماء المسجد الحرام، ولم تستمر. (٩) مدرسة النجاح الليلية، أنشأها عبدالله أحمد خوجه من أهل مكة عام (١٣٥٠هـ/١٩٣١م)، تطورت على ضوء خطط وزارة المعارف، وتكونت من الابتدائية والمتوسطة لتعليم الكبار. (١٠) مدرسة دار الحديث (١٣٥٢هـ/١٩٣٣م)، أسسها عبد الظاهر أبو السمح، إمام المسجد الحرام، تولت وزارة المعارف الإشراف عليها بعض الوقت، ثم انتقل الإشراف عليها إلى الجامعة الإسلامية في المدينة، ومازالت تؤدي رسالتها إلى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م). (١١) مدرسة دار العلوم الدينية (١٣٥٣هـ/١٩٣٤م)، أنشأها السيد محسن بن علي المساوي الحضرمي، عاش في جنوب شرق آسيا، ثم قدم للعيش في مكة عام (١٣٤٠هـ/١٩٢١م)، كانت في البداية خاصة، ثم تحولت إلى وزارة المعارف. (١٢) مدرسة دار الأيتام (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م)، أسسها مدير الأمن العام آنذاك مهدي المصلح، استمرت تؤدي رسالتها حتى ضمت إلى وزارة العمل والشؤون الاجتماعية عام (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م)، وأصبح اسمها دار التربية الاجتماعية. (١٣) المدرسة الخيرية العارفية (١٣٥٨هـ/١٩٣٩م)، أسسها محمد عارف تراب البنغالي من مواليد الباكستان، ولم تستمر، (١٤) مدرسة دار السلام الأهلية (١٣٦٥هـ/١٩٤٥م)، أسسها محمد سلامة الله البنغالي، استمرت تؤدي رسالتها التعليمية عقود عديدة. (١٥) مدارس أخرى عديدة:

وتنظيماتها الدراسية. وبعضها استمر في أداء رسالتها التثقيفية والتعليمية منذ نشأتها حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م)، وأخرى واصلت أداء عملها التربوي والتعليمي لبعض الوقت، ثم توقفت، أو ألغيت لأسباب مختلفة[١].

ب ـ نبذة عن التعليم في مكة من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م):

دخلت مكة المكرمة تحت حكم الملك عبدالعزيز في بداية الأربعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وأدرك (رحمه الله) أهميتها العلمية، والتنويرية، والثقافية، لما لها من تاريخ حافل في ميدان العلم والمعرفة فجعلها القاعدة الرئيسية لتطوير بلاده تنمويا. وتولى العديد من رجال مكة مع غيرهم من أعلام البلاد رسم الخطط الحضارية للبلاد السعودية. وأنشئت الكثير من المديريات والمؤسسات متعددة المسؤوليات، وكانت مديرية المعارف من الإدارات السعودية المهمة التي قامت بواجباتها خير قيام،من أجل محاربة الأمية، ونشر العلوم والمعارف في أرجاء البلاد[٢].

بالرجوع إلى المراسيم الملكية المنشورة في جريدة أم القرى، وإلى الوثائق وسجلات مديرية المعارف (١٣٤٤هـ - ١٣٧٣هـ/١٩٢٥-١٩٥٣م)، وإلى الكتب والرسائل الجامعية التي أرخت لمسيرة التعليم في مكة المكرمة، أو في المملكة العربية السعودية، نجد أن التعليم السعودي الحديث بدأ يسير في الاتجاه المنظم المدروس في شتى الجوانب، وكانت المدارس الحكومية الابتدائية من أولويات مديرية المعارف، فعملت على تأسيس ونشر هذه المؤسسات التعليمية في مناطق المملكة الرئيسية[٣]. ولم تنشئ وزارة المعارف

التوحيدية عام (١٣٧٠هـ/١٩٥٠م)، والخيرية المليبارية عام (١٣٧١هـ/١٩٥١م)، والمهاجرية السلفية عام (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م)، ومدرسة دار القرآن عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م). للمزيد عن هذه المدارس الأهلية المذكورة أعلاه وغيرها انظر بعض مؤلفات المكيين خلال المئة سنة الماضية، مثل أحمد السباعي، ومحمد عمر رفيع، وعبد الرحمن صباغ، وعبدالرحمن صالح، وأحمد محمد جمال، وفيصل بن عبدالله مقادمي، ومحمد علي مغربي، وعمر عبدالجبار. وانظر سجلات وكتب إحصائية عديدة في وزارة المعارف. وجميع المدارس الآنف ذكرها تستحق أن يفرد لكل مدرسة دراسة مستقلة، وبعضها تستحق أن يصدر عنها بضع دراسات.

(١) لم أسهب الحديث عن هذه المدارس المكية الأهلية، مع أنها أدت رسالة عظيمة لخدمة العلم والثقافة العربية والإسلامية. ومن يدرس تاريخ مكة والمدينة منذ فجر الإسلام إلى وقتنا الحاضر يجد العلماء المحتسبين من أصقاع الأرض خدموا هذا المجال في هاتين المدينتين المقدستين، وصدر عن بعضهم بحوث ودراسات، وآخرون مازالوا غير مخدومين تاريخيا وتوثيقيا.

(٢) هناك عشرات الكتب والبحوث العلمية التي أرخت لمؤسسات الدولة السعودية منذ تأسست في مكة في منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم تطورت حتى أصبحت وزارات ومؤسسات كبيرة تشرف على مسيرة تطوير البلاد ورعايتها سياسيا، وإداريا، واجتماعيا، واقتصاديا، وتعليميا، وثقافيا وغيرها من المجالات الحضارية.

(٣) عملت على إصدار عدد من الكتب والدراسات عن تاريخ التعليم في بلاد السراة وتهامة، فوجدت أنها حظيت بالرعاية من قبل الدولة ومديرية المعارف بمكة، وبدأت المدارس السعودية الأميرية في الحجاز من

بـدلاً مـن مديرية المعارف عـام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) إلا أصبـح في محافظة مكة حوالي عشريـن مدرسـة حكومية ابتدائيـة. بالإضافـة إلى المعهـد الإسلامي (المعهـد العلمي السعـودي بمكة) عـام (١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م)، ومدرسة تحضير البعثات عـام (١٣٥٥-١٣٥٦هـ/١٩٣٦-١٩٣٧م)، ومدارس أخرى عديدة متنوعة المستويات والتخصصات[١].

استمـرت مديريـة المعـارف في مكة تشرف علـى قطاعات التعليم العـام للبنين في جميع مناطق المملكة، ثم تحول اسمها عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) إلى وزارة، وصار الأمير فهد بن عبدالعزيز أول وزير لها، وبقيت في مكة حتى عام (١٣٧٦هـ/١٩٥٦م)، ثم نقلت إلى الرياض. وإذا بحثنـا عن تعليم مكـة الحديث منذ نشأته إلى سنـة انتقال الوزارة إلى الرياض، فلـم يكن فيهـا معتمديـة (إدارة) تعليم مثل غيرها مـن مدن وحواضر المملكـة، والإشراف على التعليم في محافظة مكة من مسؤوليات مديرية المعارف العامة ثم الوزارة، وكانت أول إدارة تعليم أنشئت في مكة عام (١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م)[٢].

تطـور التعليم العـام للبنين مـن السبعينيات بشـكل سريع وكبـير. وأثناء الاطلاع علـى بعض الإحصائيات الخاصـة بمحافظة مكة المكرمـة حتى الثلاثينيـات من هذا القرن (١٥هـ/٢١م)، اتضح أن عدد الطلاب عام (٧٦-١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م) في جميع المدارس (١١٣٣٢) طالباً، وعدد المدارس (٥٢) مدرسة، والمعلمون (٤٨٧) معلماً. لكن هـذه الأعداد ارتفعت بشـكل كبير عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م إلى (٦٥٢) مدرسة، يدرس فيها (١٥٨٢٢١) طالباً في جميع المراحل، ويعمل فيها (١٢٢١٧) مدرساً[٣].

نهايـة الأربعينيات وبداية الخمسينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م)، وفي مناطـق أخرى عديدة بأرجاء المملكة العربية السعودية.

(١) بدايـات التعليم السعـودي الحديث في مكة موثق في عشـرات الكتب الثقافية، والبحـوث العلمية المحكمة. ومازال هناك سجلات ووثائق في وزارة التعليم حالياً، وبعض المدارس أو الإدارات التعليمية المكية، وتحتوي علـى معـارف جديدة تصب في خدمـة التوثيق التاريخـي لهذا المجال الحيـوي المهم. ومـن المدارس التي تأسست في مكة في الخمسينيات والستينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م). (١) عدد من المدارس الليلية لتعليم الكبار، ومدرسة ليلية أخرى لتعليم اللغة الإنجليزية. (٢) مدرسة المطوفين عام (١٣٤٧هـ/١٩٢٨م). (٣) ومدرستا المعلمين الليلية، وتحسين الخطوط والآلة الحاسبة عام (١٣٦٨هـ/١٩٤٨م).

(٢) معتمديـات ثـم إدارات التعليـم في مناطق المملكـة موضوعات مهمة وجديـدة لميادين البحـوث التاريخية والتربوية. أرجو من طالبات وطلاب الدراسات العليا في جامعتنا السعودية أن يعتنوا بهذا المجال الكبير في بحوثهم ورسائلهم الجامعية.

(٣) يوجـد في الإدارة العامـة لتعليـم مكة حاليـاً الكثير من الوثائـق، والكتيبات، والسجـلات التي تحتوي على تفصيـلات كثـيرة عن مسـيرة التعليم في منطقة مكـة، آمل أن يظهـر دارس جاد يؤرخ لهـذه الإدارة منذ تأسيسها عام (١٣٧٦هـ/١٩٥٦م) حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) .

بدأت مدارس تحفيظ القرآن الكريم في مكة، بل في المملكة بفكرة من أحد الأعلام الباكستانيين، يدعى محمد يوسف سيتي، الذي أسس عشرات المدارس الخاصة بتحفيظ القرآن في بلاده، وحققت نجاحاً في ذلك. وعند قدومه إلى مكة في بداية الثمانينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) عرض فكرته على بعض الأعلام المكيين، فاستحسنوا الفكرة، ودعموها، وتكونت جماعة تشرف على تنفيذ هذا المشروع، وكان الشيخ محمد يوسف رئيساً لهذه الجماعة أو اللجنة، وبدأت أول مدرسة لتحفيظ القرآن في حارة الحفائر عام (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م)، وتزايدت هذه المدارس حتى زاد عددها بمكة في مطلع هذا القرن عن سبعين مدرسة، ثم انتشر في جميع مناطق المملكة، وقدم خريجو هذه المدارس خدمات اجتماعية، وتوعوية، ودينية كثيرة، ومازالت تؤدي رسالتها في كل مكان حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) [١].

لم تغفل وزارة المعارف أن تتبنى إنشاء مدارس حكومية لتحفيظ القرآن الكريم لجميع المراحل التعليمية، وزادت أعدادها حتى صارت في كل مدينة كبيرة، أو محافظة في المملكة.وتولت إدارة التربية والتعليم في مكة الإشراف التام على هذه المدارس في أرجاء المحافظة عن طريق قسم التوعية الإسلامية بالإدارة، وطلاب هذه المدارس يدرسون جميع المناهج الموجودة في مدارس التعليم العام بالإضافة إلى حفظ القرآن الكريم. واستمرت تؤدي هذه المدارس رسالتها بشكل جيد، وفي بداية الأربعينيات من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، تم ضم طلاب مدارس تحفيظ القرآن الكريم في أنحاء المملكة إلى مدارس التعليم العام، ولم يصبح هناك مدارس تابعة لوزارة التعليم تعرف باسم (تحفيظ القرآن الكريم) وبقيت، مدارس تحفيظ القرآن في المساجد والأحياء تمارس عملها، وتشرف عليها وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد [٢].

أشرت سابقاً إلى أن المدارس الأهلية المكية سباقة ورائدة في التعليم الأهلي، ورأينا المدارس الصولتية، والفلاح، والفخرية العثمانية، والماحي وغيرها التي أنشئت خلال القرن (١٣هـ/١٩م)، والعقود الأولى من القرن (١٤هـ/١٩ـ٢٠م)، ثم أنشئ في النصف الثاني من القرن الهجري الماضي أكثر من (١٥) مدرسة أهلية في مكة، قامت بجهود فردية أو جماعية، ثم دعمتها الحكومة وشجعتها على أداء رسالتها [٣].

---

(١) جماعات أو مدارس تحفيظ القرآن في المملكة من الموضوعات التاريخية الحديثة والمعاصرة الجيدة والجديدة، أرجو من المؤرخين السعوديين أن يوثقوا تاريخ هذه المؤسسة المهمة والرائدة.

(٢) حبذا أن نرى باحثين جادين يوثقون تاريخ مدارس تحفيظ القرآن الكريم في الأحياء والمساجد، وكذلك المدارس التابعة لوزارة المعارف، والرئاسة العامة لتعليم البنات، وأخيراً وزارة التعليم خلال العقود الستة الماضية (١٣٨٢ـ ١٤٤٤هـ/١٩٦٢ـ ٢٠٢٢م).

(٣) للمزيد عن أسماء هذه المدارس، ومقراتها في حارات مكة، وسنوات تأسيسها انظر فاروق بنجر، لمحات عن نشأة التعليم المدرسي في مكة المكرمة (ط ١٤٢٠هـ)، ص٧ ٠ وهذه المدارس الأهلية جديرة بالاهتمام دراسة وبحثاً وتوثيقاً خلال العصر السعودي الحالي (١٣٤٢ـ ١٤٤٤هـ /١٩٢٣ـ ٢٠٢٢م) ٠

كل المدارس الأهلية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) كانت غير ربحية، والمؤسسون، أو القائمون عليها من القطاعين الأهلي ثم الحكومي من المحتسبين، وإن كان بعضهم من موظفي الحكومة، فأجورهم يحصلون عليها من خزينة الدولة. لكن من بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) بدأ ظهور المدارس التجارية الربحية، وأول مدرسة في محافظة مكة من هذا النوع، مدرسة منارة مكة المكرمة عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م). وهذه المؤسسة واحدة من المدارس الأهلية التي أسستها مؤسسة الإيمان للتربية والتعليم، وصاحبها الأمير محمد الفيصل آل سعود وبعض الأعلام في مجال المال والعلم والتربية. ثم تزايدت المدارس الأهلية التجارية في أرجاء المحافظة المكية، وشملت جميع المراحل والعلوم والفنون المعرفية، وبعضها في مقرات خاصة، وأخرى مستأجرة[١]. وتشير بعض الإحصائيات إلى أن عدد المدارس الأهلية للبنين في مكة عام (١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م) (٨٠) مدرسة. الابتدائية (٣٠) مدرسة، والمتوسطة (٢٧)، والثانوية (٢٣). وعدد فصول جميع المراحل (١٠٤٣) فصلاً، والطلاب (٢٠٦٥٩) طالباً، والمعلمون (٢٠٧٠) مدرساً[٢].

مر تعليم البنات الحديث في مكة بمراحل عديدة فقد تأخر بعض الوقت، فلم يكن يجاري نشأة تعليم البنين، وظهر في مكة بعض الأعلام الذين سعوا إلى تأسيس مدارس أهلية، وأولهم الشيخ محمد ياسين الفاداني الذي أنشأ مدرسة البنات الابتدائية الأهلية عام (١٣٦٢هـ/١٩٤٢م)، كما افتتح بالمدرسة فرع لإعداد المعلمات عام (١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م)، ويدرس بهذا القسم الطالبات اللاتي حصلن على المرحلة الابتدائية، ومدة الدراسة ثلاث سنوات، ومن تتخرج بهذا الفرع تستطيع أن تمارس مهنة التدريس[٣].

وأنشئت مدرسة الفتاة الأهلية عام (١٣٦٧هـ/١٩٤٧م)، ومؤسسها حسين عبدالغني فلمبان، كانت مقصورة على المرحلة الابتدائية، ثم افتتح المرحلة المتوسطة، لكنها لم تستمر طويلاً لضعف الإمكانات المادية. وفي سبعينيات القرن الهجري الماضي أنشئت مدارس أهلية عديدة، مثل: المدرسة النموذجية، ومدرسة الزهراء عام (١٣٧٨هـ/١٩٥٨م) وغيرهما. ثم تأسست الرئاسة العامة لتعليم البنات في المملكة عام (١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م)، وتولت الإشراف على تعليم البنات، وتزايدت أعداد

---

(١) أثناء تجوالي في محافظة مكة عام (٤٣ـ ١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)، وزيارة إدارة تعليم مكة وجدت هناك العديد من المدارس الأهلية العامة، والفنية وغيرها. ومنها: مدارس المعرفة، ومدارس الفرسان، ومدارس جيل المستقبل وغيرها. وتاريخ التعليم الأهلي في مكة خلال هذا القرن(١٥هـ/٢٠ـ٢١م) موضوع جديد في بابه يستحق أن يكون عنواناً لعدد من الدراسات العلمية.

(٢) انظر الدليل الإحصائي بإدارة تعليم مكة المكرمة عام (٣٤ـ ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م). مازلت أنادي بدراسة وتوثيق التعليم الأهلي في محافظات منطقة الحجاز خلال هذا القرن (١٤٠٠ـ ١٤٤٤هـ/١٩٨٠ـ ٢٠٢٣م)، وهو موضوع مهم يستحق العناية البحثية التوثيقية .

(٣) للمزيد عن هذه المدرسة انظر، شادية باشماخ وآخرون. خطوات تعليم المرأة في مكة المكرمة (ط،١٤٢٠هـ)، ص٣٩ـ ٤٠ .

المدارس الحكومية والأهلية في مكة. وقد اطلعت على إحصائيات مدارس مكة عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)، فكان عدد المدارس الحكومية، من رياض الأطفال إلى الثانوية، (٤٨١) مدرسة، يدرس فيها (١٤١،٦٦٩) طالبة، ويقوم على تدريسهن حوالي خمسة عشر ألف معلمة. أما المدارس الأهلية فعددها (١٢٤) مدرسة، يدرس فيها حوالي ثلاثة عشر ألف طالبة، ويتولى تدريسهن حوالي (١٣٥٠هـ) معلمة[١].

بدأ الإشراف على تعليم البنات الحديث في مكة عام (١٣٨٠هـ/١٩٦٠) بواسطة مكتب تعليم يتبع مندوبية البنات في جدة، ثم تحولت المندوبية إلى إدارة تعليم البنات بجدة. وفي عام (١٣٨٨هـ/١٣٦٨هـ) أصبح في مكة إدارة عامة لتعليم البنات، وفي عام (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) صارت تحت اسم الإدارة العامة للتربية والتعليم للبنات بالعاصمة المقدسة، ثم جمعت إدارة تعليم البنين مع البنات وأصبح اسمها الإدارة العامة للتربية والتعليم بمنطقة مكة المكرمة، وحاليا (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) تعرف باسم الإدارة العامة للتعليم بمنطقة مكة المكرمة[٢].

أما التعليم الفني والتقني فهو مجال واسع، وحظيت حاضرة مكة بنصيب وافر من هذا التعليم، مثل المعهد المهني، والثانوية الصناعية، وحاليا (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) يوجد أكثر من فرع للكلية التقنية للبنين والبنات، وقد زرت بعض مقراتها في رحلتي الأخيرة (٤٣ـ ١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م). وشاهدت أبنية حديثة لهذه المؤسسات في مخطط ولي العهد رقم (٩)، بعضها انتهى تشييدها، واخرى مازالت في طور العمران[٣].

أما التعليم العالي للبنين والبنات في مكة، وفي إطار وزارة المعارف والرئاسة العامة لتعليم البنات، فقد أنشئت معاهد المعلمين والمعلمات في أرجاء البلاد السعودية، وحظيت مكة بمعهدين للذكور والإناث تخرج منهما مئات الطالبات والطلاب الذين انخرطوا في

---

(١) المصدر: إدارة تقنية المعلومات في الإدارة العامة لتعليم مكة المكرمة. نأمل من أقسام التربية والتاريخ في جامعة أم القرى أن توثق تاريخ التعليم المكي الحديث (الحكومي، والأهلي)، ويعد من الموضوعات العلمية المهمة الجديرة بالدراسة والتحليل.

(٢) هذا الذي قرأته في عدد من منشورات وكتيبات إدارة تعليم مكة، والتقيت خلال الخمس سنوات الماضية (١٤٣٩ـ ١٤٤٤هـ/٢٠١٨ـ ٢٠٢٢م) بعدد من المسؤولين والمشرفين التربويين الذين يعملون في إدارة تعليم مكة، وبعضهم تجاوزت خدمتهم في التعليم بمحافظة مكة أكثر من ثلاثين عاماً.

(٣) من خلال جولاتي في بلدان السروات وتهامة والحجاز شاهدت أبنية حكومية حديثة لمعاهد وكليات التعليم المهني والتقني. ووجدت الكثير من الأنشطة الصناعية والمهنية والتعليمية لهذه المؤسسات. وبذلت الكثير من الجهد للحصول على دراسات علمية توثيقية رصينة عن هذا الصنف من التعليم. وأقول إن على المؤرخين في بلادنا الالتفاف إلى تاريخ التعليم بشكل عام والتقني خصوصاً فتدرس مراحله التاريخية وما قدم من خدمات للبلاد والعباد، ثم الخروج بتوصيات لتطوير هذا الميدان وجعله أكثر فاعلية في الأثر والتأثير على الأرض والناس.

سلـك التعليم للمرحلـة الابتدائية[١]. ومن منتصـف تسعينيات القـرن (١٤هـ/٢٠م) إلى نهايـة العشرينيات قامت وزارة المعارف، والرئاســة العامة لتعليم البنات، ثم وزارة التربية والتعليـم بتطويـر مؤسساتها للتعليم العــالي الخاصة بمجال التدريـس، فرفعت مستويات معاهـد المعلمـات والمعلمين إلى كليـات متوسطة تمنح درجة الدبلـوم لخريجيها، وفي نهاية العقـد الأول، ومنتصـف العقد الثاني من هـذا القرن (١٥هـ/٢٠م) جـرى تطوير الكليات المتوسطة للذكور، ثم للإناث إلى كليات إعداد المعلمين والمعلمات للمرحلة الابتدائية. وكانت كل كلية تشتمل على العديد من التخصصات الأدبية والعلمية، وتخرج في كليتي مكة المكرمة آلاف الطالبات والطلاب، وبقيت تؤدي دورها التربوي والتعليمي حتى تم ضمهما إلى جامعة أم القرى عام (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، وإعادة هيكلتها ضمن هياكل وخطط الجامعة[٢].

نجـد في حاضرة مكة المكرمة أكثر مـن كلية للبنين والبنــات، ومرجعيتها الإدارية وزارة المعــارف، أو الرئاســة العامة لتعليم البنــات، ثم وزارة التربيــة والتعليم (للبنين والبنــات) فكليات إعداد المعلمات والمعلمين لها إدارات محددة في الوزارة والرئاسة، ثم وزارة التربية والتعليم. وكانت إدارة تعليم البنات بمكة تشرف على الكليات التي تطورت من كلية متوسطة إلى إعداد المعلمات، ثم كلية التربية[٣].

في معظم مناطق المملكة إدارات عامة لكليات البنات، وهذه المؤسسات لها مرجعية رئيسيــة في الرئاسة العامة لتعليــم البنات، ثم وزارة التربية والتعليم. وقد أنشئت إدارة الكليــات العامة للبنات بمكة المكرمة عام (٩٥ــ ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)، كانت تشرف على كليــة التربية بقسميها العلمــي والأدبي، وتختلف عن الكلية المتوسطة، أو إعداد المعلمات التابعــة لإدارة تعليــم مكة[٤]. وهــذه الإدارة تعد حلقــة الوصلٍ بين الكليــات التابعة لها والجهــات الأخرى، وتقوم علــى رعاية وخدمة كلياتهــا تعليمياً، وماليــا، وتربويا. ويتبع

---

(١) بحثت عن تاريخ بدايات التعليم في مكة وبخاصة المؤسسات التي اعتنت بمهنة التعليم مثل معاهد، وكليات المعلمــات والمعلمين، وكليات التربيــة ولم أجد عنها دراسات تاريخية توثيقية رصينة، أرجو من مؤرخي مكة أن يهتموا بهذا الميدان في أعمالهم البحثية.

(٢) الذي جرى في مكة المكرمة سار على جميع الكليات المتوسطة، ثم إعداد المعلمات والمعلمين في أنحاء المملكة. وقــد اشتركت في لجان عديدة بجامعة الملك سعود ثم جامعة الملك خالد وكان لها صلات تربوية وتطويرية بكليات المعلمين التابعة لوزارة المعارف ثم التربية والتعليم من عام (١٤١٤ــ ١٤٢٨هـ/١٩٩٤ــ ٢٠٠٧م).

(٣) شاهدت هذا النظام الإشرافي والإداري في مناطق جازان، ونجران، وعسير، والباحة، وبقيت مناطق المملكة. وأقول إن تاريخ التعليم العام والعالي التابع لوزارة المعارف، والرئاسة العامة لتعليم البنات، ثم وزارة التربية والتعليم من عام (١٣٥٠ــ ١٤٢٨هـ/١٩٣١ــ ٢٠٠٧م) موضوع مهم لم يخدم في ميادين الدراسات التاريخية التربوية التوثيقية، أرجو من جامعاتنا المحلية أن تدعم إنجاز مثل هذه المشاريع العلمية .

(٤) شاهــدت إن إدارات الكليات العامة للبنات في كل منطقــة تشرف على كليات محدودة في المدينة الرئيسية التي توجد فيها هذه الإدارة. أما إدارات التعليم للبنات والبنين في أي منطقة فتمتد مسؤولياتها إلى كليات في مدن ومحافظات أخرى بالمنطقة التي تتولى الإشراف عليها تعليمياً.

الإدارة العامة لكليات البنات بمكة المكرمة ثلاث كليات: ١- كلية التربية للأقسام العلمية. ٢- كلية التربية للأقسام الأدبية. ٣- كلية التربية للاقتصاد المنزلي، والتربية الفنية. وهذه الهيكلة الإدارية كانت سارية على كليات عديدة في بعض المدن الرئيسية في المملكة العربية السعودية. وفي عام (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م) ضمت جميع كليات البنات في أرجاء البلاد السعودية إلى وزارة التعليم العالي والجامعات الحكومية[١].

لا غرابة أن تكون مكة المكرمة أول مدينة في المملكة العربية السعودية يؤسس فيها كلية جامعية، فقد أمر الملك عبدالعزيز بإنشاء كلية الشريعة عام (١٣٦٩هـ/١٩٤٩م)، واقتصرت الدراسة فيها على العلوم الشرعية واللغة العربية، وتخرجت أول دفعة عام (١٣٧٢هـ/١٩٥٢م)، وكان عددهم (١٤) طالبا. والهدف من تأسيس هذه المؤسسة التعليمية خدمة التعليم العالي في الحجاز، ودعم إنجاز أعمال بحثية جيدة، وتخريج كوادر بشرية مؤهلة[٢]. كانت مديرية المعارف تتولى الإشراف عليها من سنة التأسيس حتى عام (١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ثم افتتحت كلية التربية للبنين، وصارت الكليتين (الشريعة، والتربية) فرع من جامعة الملك عبدالعزيز في جدة من عام (١٣٩١-١٤٠١هـ/١٩٧١-١٩٨١م). ثم أنشئت جامعة أم القرى بمكة عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، وفي العام نفسه أصبح في هذه الجامعة الجديدة خمس كليات، هي: ١- كلية الشريعة. ٢- كلية التربية. ٣- كلية اللغة العربية. ٤- كلية الدعوة وأصول الدين. ٥- كلية التربية في الطائف[٣].

من ترددي على حاضرة مكة خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م) وبحثي عن مسيرة هذه الجامعة الحجازية، تبين لي عدد من الأمور التطويرية، أذكر بعضها في النقاط الآتية:

١- بدأت كليات الجامعة في أحياء عديدة من مكة المكرمة، وأكثرها في حي العزيزية للبنين، والزاهر للبنات. وكان الملك فهد بن عبدالعزيز قد وضع حجر الأساس لمشروع المدينة الجامعية في العابدية عام (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ودشن ولي العهد الأمير عبدالله بن عبدالعزيز المشروع للمدينة عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، وانتقلت عدد من الكليات إلى هذه المدينة عام (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

---

(١) أرصد هذه المدونات من خلال ما عرفته وقرأته وعاصرته أثناء عملي في جامعتي الملك سعود، والملك خالد حوالي (٤٤) عاما. كما أنني أصدرت العديد من الدراسات العلمية المطبوعة والمنشورة في هذا الميدان، وبخاصة في مناطق السروات وتهامة الممتدة من الطائف ومكة إلى جازان ونجران.

(٢) هناك بعض الدراسات التي صدرت عن منجزات وتاريخ هذه الكلية، آمل أن نرى باحثاً ينجز دراسة موسوعية عن جهودها ومنجزاتها من عام (١٣٦٩-١٤٤٤هـ/١٩٤٩-٢٠٢٣م)، ومن يقوم بهذا العمل الكبير فسوف يطلعنا معاشر الدراسين على مادة علمية قيمة عن هذه الكلية الرائدة.

(٣) نلحظ مكة المكرمة، بل الحجاز يتولى نشر التعليم العام والعالي في منطقة الحجاز أولا، ثم في أرجاء المملكة خلال العقود الأولى لمسيرة التعليم العام. أما التعليم العالي في مكة وجدة فكان من مهماته نشر التعليم العالي في أجزاء كثيرة من السروات وتهامة. وبخاصة المنطقة الممتدة من الطائف ومكة إلى الليث، والقنفذة، ومنطقة الباحة .

٢ـ تطـورت الجامعـة في جميع مفاصلهـا العلميـة والتعليمية، والإداريـة، والعمرانية والتنموية، وزادت عدد كلياتها إلى العشرات، وانتقلت من مقراتها المتفرقة إلى المدينة الجامعية في العابدية (قسم البنين)، وشاهدت عام (٤٣ـ ١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م) تشييد مقرات البنات الجامعية في العابدية على وشك الانتهاء، ومن المحتمل انتقال الطالبات من حي الزاهر إلى المدينة الجامعية خلال هذا العام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م).

٣ـ تطـورت إحصائيات الجامعة التعليمية، فكان إجمالي عـدد طلابها وطالباتها في جميـع الكليات والتخصصات عام (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) (١١،٦٢٠) طالبة وطالبا. وبعد انضمـام كليات البنات إلى الجامعة عام(١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م) أصبح المجموع الكلي أكثر من (٣٥) ألف طالبة وطالباً [١].

٤ـ وجـدت في الكثـير من الوثائـق والسجلات والكتيبـات والتقارير مئـات المنجزات العلمية البحثيـة، والمؤتمرات المحلية والإقليمية والعالميـة، والاتفاقات والشراكات الداخليـة والخارجية. وفي الجامعة العديد من الكليات المساندة، والمعاهد ومراكز البحـوث النشطة التي لها إسهامات كثيرة تصب في خدمة أعضاء هيئة التدريس، والموظفات والموظفين، والطلاب والطالبات، وخدمات المجتمع بشكل عام [٢].

٥ـ أزور مكتبـة جامعـة أم القـرى المركزيـة، وبعض متاحفهـا التاريخيـة والعلميـة والتراثيـة، وكلياتها، ومراكز أبحاثها من بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) إلى الآن (١٤٤٤هــ/٢٠٢٣م). وأعـرف الكثير من الزملاء والأصدقـاء في هذه الجامعة، وحضرت العديد من مناشطها التعليمية والعلمية، والثقافية، والاجتماعية. وعندي علاقـات واسعة مع بعض طالبتهـا وطلابها في برامج الدراسـات العليا، وأغلبهم صاروا من حملة درجة الدكتوراه. واتضح لي من خلال هذه التجارب والمشاهدات والانطباعاتٍ أن هذه المؤسسة التعليمية العالية (جامعة أم القرى) قدمت خدمات كثـيرة جداً يصعب أن نوثقها في عشـرات الصفحات، وتستحق أن يُدرس تاريخها خـلال أكثر مـن سبعة عقود في عشرات المجلدات، آمـل أن يتحقق ذلك من خلال كراسيها ومراكز بحوثها وأقسامها العلمية والأكاديمية ٠

---

(١) حصلـت على العديد من التقارير السنويـة للجامعة عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م)، ووجدت الكثير من المنجزات والتطـورات التي شهدتها الجامعـة من عام (١٤١٥ـ ١٤٤٣هـ/٢٠١٤ــ ٢٠٢٢م)، آمل أن نرى طالب علم جاد يدرس تاريخ الجامعة من خلال تقاريرها السنوية.

(٢) اطلعـت على بعض الدراسـات العلمية المحدودة عن تاريخ الجامعة، أو بعض إداراتها وكلياتها وعماداتها، وأوصـي مراكز بحـوث الجامعة أن تدعـم وتشجع إنجاز دراسـة تفصيلية عـن إدارات الجامعة وكلياتها وجميع مؤسساتها داخل مدينة مكة وخارجها من عام (١٣٦٩ــ ١٤٤٤هـ/ ١٩٤٩ـ ٢٠٢٣م) ٠

الكتب والمكتبات من فروع العلم والتعلم، وإذا بحثنا عن هذا المجال المعرفي في أرض الحجاز وفي مكة المكرمة تحديداً، فإننا نجد أول آية نزلت في القرآن تحث على العلم، قال تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)[١]. ولا يمكن ممارسة القراءة والتعليم إلا بوجود الكتاب، أو الكتب. ولا نجد المصادر تذكر أسماء مكتبة أو مكتبات بالمعنى المشروح في كتب المعاجم اللغوية، إنما بدأت المكتبة الإسلامية بكتابة القرآن الكريم، ومن يتتبع تاريخ نزول القرآن ثم كتابته ونسخه في نسخ عديدة، واهتمام المسلمين بالعلوم الشرعية وفي مقدمتها القرآن الكريم والسنة النبوية، ثم العلوم والمعارف الأخرى نجد أن الكتب بدأت تزيد عند الحجازيين وبخاصة أهل مكة والمدينة[٢].

والباحث المتأمل لتاريخ الدول الإسلامية التي كان لها صلة مستمرة بأرض الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة، يجد حكامها من الخلفاء، والأمراء، والسلاطين، وأصحاب النفوذ وغيرهم كانوا على صلة بمكة المكرمة، فيأتون إليها للحج والعمرة، ويبذلون بعض الأعطيات المعنوية والمادية والعينية للمكيين، وفي مقدمتهم أمراء مكة، والعلماء، والفقهاء، والأعيان، ومن تلك الهدايا بعض الكتب الشرعية واللغوية والأدبية، والتاريخية، وكان القرآن الكريم وتفسيره من أهم الكتب المهداة لعلية الناس، ولم يكن المسجد الحرام يخلو من خزائن، أو أمكنة معروفة تحفظ فيها المصاحف، وبعض الكتب الشرعية[٣].

إذا بحثنا عن هجرة العلماء أو من عرف باسم المجاورين إلى مكة، فإننا نجد أعداداً كبيرة جاؤوا من أقطار عديدة إلى مكة وعاشوا فيها، وعملوا في مهنة التعليم والتعلم، وبعضهم اشتغلوا بالكتابة والتأليف في معارف متنوعة. وبعض العلماء المكيين ألفوا علوماً كثيرة، ومنهم من وصلتنا مؤلفاتهم خلال القرون الإسلامية الوسيطة، مثل: الأزرقي، والفاكهي، وابن ظهيرة، والفاسي، وأكثر من فقيه ومؤرخ وعالم من أسرة آل فهد المكية، ولا يمكن لجميع هؤلاء العلماء وأرباب القلم أن ينجزوا نتاج معرفي وعلمي مكتوب إلا بوجود مكتبات خاصة لهم ينهلون منها علومهم، أو عامة يستفيد منها طلاب المعرفة[٤].

---

(١) سورة العلق، الآية (١) .

(٢) من يدرس تاريخ العلماء والفقهاء الحجازيين منذ عهد الرسول الكريم (ﷺ) إلى القرن الرابع الهجري يجد المصادر المبكرة توثق الكثير من سيرهم وتراجمهم، وأولئك العلماء والأعلام كانوا يمتلكون بعض الكتب في علوم الشريعة، والسنة، والفقه، واللغة، والتاريخ وغيرها .

(٣) الكثير من كتب التراث الإسلامي في القرون العشرة الأولى (ق١-ق١٠هـ/ق٧-ق١٦م) تشتمل على توثيقات كثيرة عن الحياة العلمية في المدن المقدسة (مكة والمدينة) ، فذكرت أسماء الكثير من العلماء وجهودهم التعليمية في المسجد الحرام، وهناك من قدم الدروس وألف الكتب في علوم كثيرة، وبعضهم ماتوا في الحجاز، وآخرون مكثوا شهوراً أو سنوات في مكة ثم سافروا إلى بلدان أخرى عديدة.

(٤) من يبحث في هذا الجانب يجد إشارات إلى الكثير من العلوم والكتب الموجودة في مكة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة وبدايات الحديثة. وذكر أسماء مجالس علماء كبار لهم طلاب ومريدون من

تحتـوي مصادر ووثائق العصر الحديث (ق١٠ـ ق١٣هـ/ ق١٦ـ ق١٩م) على الكثير من المادة العلميـة التي تفصل الحديث عن الأنشطة العلمية والمعرفية في بلاد الحجاز، ومنها المكتبات الخاصة والعامة عند أهل مكة، أو من جاء إليها وأقام فيها. وتشير بعض الروايـات إلى علمـاء وأعلام عاشوا في حاضرتـي مكة والمدينـة وكان عندهم مكتبات تشتمل على المئات أو الآلاف من المصادر المختلفة في علومها وأزمانها[١].

من خلال قراءتي عن تاريخ مكة خلال (٢٤٣) سنة الماضية (١٢٠١ـ١٤٤٤هـ/١٧٨٦ـ ٢٠٢٢م) عرفت أن بلاد مكة عاصرت العديد من القوى السياسية الداخلية والخارجية، وكان لكل نفوذ سياسي أحداث تاريخية وحضارية، ومعظم الحكومات التي مدت نفوذها على الحرمين كان لهـا جهود متفاوتة في خدمة الأرض والناس دينياً وعلمياً ومعرفياً، ومصادر العلم والتعلـم. والمكتبات ودور الكتب العامة والخاصة من المظاهر الحضارية التي عرفتها أرض الحجاز خلال هذه العقود والقرون الماضية المتأخرة[٢].

في العقود الماضية المتأخرة (١٣٩٢ـ ١٤٤٤هـ/١٩٧٢ـ٢٠٢٢م) سمعت ورأيت مكتبات مكيـة عديـدة (عامـة، وخاصـة)، وأذكـر لمحة موجـزة مما عاصرتـه وقـرأت عنه لهذه الأمكنة العلمية والتعليمية، وهي على النحو الآتي :

أ ـ مكتبة الحرم المكي :

صـدرت بعض الدراسات عن هذه المكتبة، وذكرت أن في المسجد الحرام الكثير من المصاحف والكتب خلال القرون الإسلامية الوسيطة، وبقيت بعض المخطوطات والكتب عنـد بعض العلمـاء المسلمين الذيـن كانوا يعقدون لقـاءات ودروس في أنحـاء المسجد الحرام، ولم يكن هناك مكتبة منظمة في مكانها وكتبها، وإجراءاتها الإدارية والعلمية[٣].

داخـل شبه الجزيرة العربية وخارجهـا. وبلاد الحرمين (مكة والمدينة) من الأمكنة المهمة في العالم التي يسافر إليها طلاب العلم لتلقي العلم على بعض علمائها وشيوخها.

(١) لسـت معنيـاً في هذه الورقـات أن أكتب تاريخ المكتبـات في مكة عبر العصور الإسلاميـة، وهناك دراسات عربية وأجنبية صدرت في هذا الميدان. لكن ما زال هناك مادة علمية جديدة في هذا الموضوع، وهي متناثرة في الكثير من الوثائق غير المنشورة خلال القرون الماضية المتأخرة (ق١٠ـ ق١٤هـ/ق١٦ـ ق٢٠م).

(٢) اطلعـت خلال الأربعين سنة الماضيـة (١٤٠٢ـ ١٤٤٤هـ/١٩٨٢ـ ٢٠٢٢م) على عشـرات الكتب، والرسائل الجامعيـة، والبحوث العلمية المنشورة في مجلات عربية وأجنبيـة وفيها تفصيلات كثيرة عن تاريخ الكتب والمكتبـات والحيـاة العلميـة والتعليمية في الحجـاز وبخاصة مـن بداية القـرن (١٣هـ/١٩م) إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م). وكما ذكرت في حاشية سابقة، مازال هنـاك الكثير من الوثائق غير المنشورة الجديرة بالدارسة والتحليل في هذا الباب ٠

(٣) هـذا الذي أشارت إليه بعض الدراسات الحديثة، وأعتقد أن المسجد الحرام كان جامعة للمصلين وطلاب العلـم والعلمـاء، ولابد أن هنـاك مؤلفات يستفيد منها العـالم والمتعلم. ومن يفحص المصـادر الإسلامية المبكرة والوسيطة فسوف يجد فيها معارف قيمة تصب في خدمة هذا الموضوع العلمي.

ويذكر إسماعيل كتبخانة وغيره من الباحثين المتأخرين أن مكتبة الحرم المكي الحالية أنشئت في ستينيات القرن (١٣هـ/١٩م) في عهد السلطان العثماني عبدالمجيد بن محمود الثاني (١٢٣٧-١٢٧٨هـ/١٨٢١-١٨٦١م)، داخل المسجد الحرام[1]، واستمر نقلها من مكان لآخر داخل مدينة مكة، حتى استقر مكانها الحالي في عمارة مستأجرة في حي بطحاء قريش، ولها فرع آخر ضمن عمارة المسجد الحرام من الجهة الغربية[2].

لن أسهب الحديث عن هذه المكتبة خلال القرون الماضية، فقد مرت بالكثير من التطويرات في إمكاناتها المادية والبشرية والعلمية، ومازالت بحاجة كبيرة لإصدار دراسة موسوعية تفصيلية عنها خلال العصر الحديث والمعاصر. آمل أن يتحقق ذلك من خلال مؤرخين عرب ومسلمين جادين. وتجربتي مع هذه المؤسسة العلمية خلال العقدين الأولين من هذا القرن عندما كانت في مكانين مختلفين الأولى في مبنى حكومي في الساحة الغربية المقابلة لباب الملك عبدالعزيز، والثاني في عمارة مستأجرة في شارع المنصور، وذُكر لي أنه تولى إدارتها عدد من الأعلام من عام (١٤٠١-١٤٢٠هـ/١٩٨١-١٩٩٩م)، مثل: الأساتذة هاشم بن عبداللطيف نصر الدين، وأحمد عبدالرحمن المانع، ومحمد بن عبدالعزيز الدويش، وعبدالرحمن العقلا، ومحمد بن سليمان بن عبيد، ويوسف بن عبدالله الوابل[3].

انتقلت المكتبة من بداية العشرينيات في هذا القرن (١٥هـ/٢١م) إلى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) في مقرين آخرين مستأجرين. الأول عمارة من عدة طوابق بشارع عبدالله عبد الغني خياط في حي العزيزية، والثاني المبنى الحالي على شارع ذات النطاقين غرب جبل ثور في بطحاء قريش. وقد ترددت عليها في مطلع هذا العام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م) وأخبرني بعض المسؤولين فيها أنها تحتوي على حوالي ثلاثين مكتبة

---

(١) للمزيد عن هذه المكتبة انظر، اسماعيل كتبخانة، موسوعة ثقافة المجتمع المكي، ج٥، ص ٢١٣-٢٤٣. يحيى بن جنيد. الحياة الثقافية في مكة المكرمة في القرن التاسع عشر الميلادي (الرياض. مؤسسة اليمامة الصحفية، ١٤٢٢هـ)، ص ٧٩ ٠ وأعتقد أن هذه المكتبة قد أنشئت قبل هذا التاريخ، ومازال هناك الكثير من الوثائق العثمانية غير المنشورة التي تحتوي على معلومات كثيرة عن الحياة العلمية في الحجاز وبخاصة مكة خلال القرنين (١٢-١٣هـ/١٨-١٩م)، أرجو أن يُدرس هذا الموضوع من خلال هذه المصادر الأولية.

(٢) مشاهدات الباحث في نهاية عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م)، وهذه المكتبة مفتوحة خلال ساعات محددة يومياً، ويرتادها الكثير من طلاب العلم الذين يزورون المسجد الحرام، أو الباحثون والأساتذة في بعض الجامعات السعودية وغيرها.

(٣) قابلت بعض هؤلاء المديرين، وكان لهم عليَّ فضل كبير في ترددي على المكتبة عندما كنت أجمع مادتي العلمية لدرجة الدكتوراه في الفترة من (١٤٠٦-١٤٠٨هـ/١٩٨٦-١٩٨٨م)، وأثناء العقد الثاني من هذا القرن (١٤١٠-١٤٢٠هـ/١٩٨٩-١٩٩٩م)، فشكر الله لهم، آمل أن نرى باحثاً جاداً يكتب سير مديري هذه المكتبة خلال العصر السعودي الحديث (١٣٤٣-١٤٤٤هـ/١٩٢٤-٢٠٢٣م) ٠

خاصة أهديت لها خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، والعقود الماضية من هذا القرن، وعشرات الدوريات والصحف، وبعضها يعود تاريخهـا إلى القرنين(١٣ـ ١٤هـ/١٩ـ٢٠م). وفيها الكثـير من الكتـب والمخطوطات القيمة النـادرة عن تاريخ وحضـارة الحجاز وبخاصة المدن المقدسة (مكة، والمدينة)،ومخطوطـات عربية أخرى أصلية ومصورة ورقياً تقدر بالآلاف، أما المخطوطات بلغات أخرى فعددها في المئات. ومحتويات المكتبة من المصادر والمراجـع والمطبوعات المختلفة فهـي بعشرات الآلاف. أرجو من القائمين على المكتبة حاليا أن يقوموا على تحويل موادها الورقية إلى مادة رقمية حتى يتسع انتشارها في العالم، وآمل أن ترتبط وتشترك المكتبة مع فهارس المكتبات الإلكترونية العربية والإسلامية والعالمية [١].

ب ـ مكتبة مكة المكرمة :

مقـر هذه المكتبة مـكان مولد النبي محمد (ﷺ) في الجهـة الشرقية من المسعى. أسس مقرها في عهد الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل، بناءً على قرار موافقة الملـك في (١٤/٤/١٣٧٠هـ)، على وقفية المكتبـة أرضاً وعمارة، أعلـن ذلك رسمياً في جريـدة البلاد السعوديـة، العدد (٩٩٨) وتاريخ (٢٥/٥/١٣٧٠هـ) وصدر بذلك صك شرعي من المحكمة الكبرى بمكة عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م)، ينص على" **أن يكون المبنى مكتبة عمومية موقوفة بجميع أبنيتها ومحتوياتها لجميع المسلمين** "[٢].

زرت المكتبـة وقابلت مديرها الأستاذ عبدالمالك بن عبد القادر الطرابلسي في عام (١٤١٢هـ/١٩٩١م) [٣]، وذكـر لي بعض المعلومات عـن هذه المكتبة منـذ تأسيسها في سبعينيـات القرن (١٤هـ/٢٠م)، ويتكون مقر المكتبة من طابقين، مساحة الدور الواحد أكثر مـن (٢٠×١٢م)، وارتفاع يصل إلى عشرة أمتـار، والمدخل الرئيسي من النـاحية الغربيـة، ومدخل فرعي من الجهة الشمالية، ويتكـون المبنى من عدة غرف في كل دور، بالإضافـة إلى مرافق أخرى كالممـرات، ودورات مياه، وقاعة واسعة تتوسط المبنى، وقد أزيلـت جميع الأبنية المحيطة والقريبة، ومازال مقر المكتبـة قائماً مشغولاً بآلاف الكتب

---

(١) للأسـف إن جميع مكتبتنـا السعودية الرسمية والأهليـة، العامة والخاصة مازالـت متأخرة جداً في نظام المكتبـات ذات المحتـوى الرقمي، وسوف يدركـون السلبيات الكبيرة لهذا التأخـير، أرجو أن نرى في بلادنا مكتبات إلكترونية مرتبطة بمكتبات أخرى رقمية في أنحاء العالم.

(٢) هذه المعلومات وصلتني مكتوبة من مدير المكتبة في نهاية عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) الأستاذ يوسف الصبحي، ويوجد نسخة من هذه المدونة ضمن مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية. (غير مرقمة).

(٣) عبدالمالـك الطرابلسي أول من أسس بضع مدارس في منطقة عسير في خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وحـوالي (١٥) مدرسة نظاميـة في نجد في الستينيات من القرن نفسه. نشـرت له بعض المدونات وسيرته الذاتيـة في كتـاب: تاريـخ التعليم في منطقة عسير، الجـزء الأول، وفي موسوعة (القـول المكتوب في تاريخ الجنوب (طبعتان أولى وثانية) (الجزء الأول).

المطبوعة والمخطوطة وبعض الموظفين حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) [١].

تولت الإدارة العامة للأوقاف الإشراف على المكتبة منذ البداية، وفي عام (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) جرى تعديل اسم المكتبة من مكتبة عامة، إلى مكتبة وزارة الإعلام، وفي العام نفسه عاد الإشراف على المكتبة إلى إدارة الأوقاف العامة، ثم عدل اسم المكتبة إلى مكتبة مكة المكرمة، وانتقل الأشراف عليها إلى وزارة الحج والأوقاف، وفي عام (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م) صار عبدالمالك الطرابلسي مديرا للمكتبة، واستمر إشرافه عليها إلى نهاية العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) [٢].

يذكر مدير المكتبة الحالي الأستاذ يوسف الصبحي بعض المعلومات عنها، فيقول: " تحتوي المكتبة على (٢٠٠٠) مخطوطة أصلية في علوم متنوعة، من أهمها، كتاب (إحكام الأحكام لابن دقيق العيد)، نسخة نفيسة، كتبت بالمدادين الأسود والأحمر سنة (٧٩٣هـ)، وكتاب: فتوح الحرمين، لمحيي الدين لاري، نسخت بمكة سنة ٩٥٧هـ). وتحتوي المكتبة على (٤٢٠٠٠) عنوانا مطبوعا، أي (٩٠،٠٠٠) ألف مجلدا تقريبا. وعدد الكتب النادرة في المكتبة (٦٥٪) من إجمالي الكتب. من أهمها، كتاب: بهجة اللغات، طبع سنة (١٢١٦هـ). وكتاب: حل الأسرار في النحو، طبع سنة (١٢٢٤هـ). وكتاب: صحيح الإمام البخاري، طبع في الهند سنة (١٢٦٨هـ). وكتاب: الصلاة لابن القيم الجوزية، طبع في الهند سنة (١٢٩٦هـ). وعدد المكتبات الخاصة الموقوفة في المكتبة (٢٢) مكتبة. وتحتوي المكتبة على أقدم الصحف المحلية بداية من أعدادها الأولى، كصحيفة أم القرى، وصحيفة صوت الحجاز، وصحيفة البلاد. ومجلات محلية قديمة، مثل: مجلة الإصلاح المكية، ومجلة الحج، ومجلة المنهل، ومجلة رابطة العالم الإسلامي وغيرها" [٣].

---

(١) كانت حارات سوق الليل، والمدعي، وشعب بني هاشم (شعب علي) الذي مكان المكتب فيه، وغيرها من حارات مكة المحيطة بالحرم من الجهة الشمالية والشرقية قائمة أثناء زيارة المكتبة عام (١٤١٢هـ/١٩٩١م)، وفي نهاية العشرينيات. وبداية الثلاثينيات من هذا القرن (١٥هـ/٢١م) تم إزالة تلك الحارات وغيرها بهدف توسعة الحرم. والمكتبة في الوقت الحاضر مفتوحة معظم أيام الأسبوع، ولها مدير وبضعة موظفين. مشاهدات الباحث في نهاية عام (١٤٤٣هـ) وبداية عام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م).

(٢) لهذه المكتبة أرضاً وعمارة تاريخ طويل، وتعاقب على إدارتها بضعة أعلام منذ تأسيسها (١٣٧٠هـ/١٩٥٠م) حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م)، آمل أن نرى أحد مؤرخي مكة يصدر عنها كتاب تفصيلي مدعوما بالصور والوثائق التاريخية.

(٣) مدونة من الأستاذ يوسف الصبحي، وصلتني في نهاية عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م)، ويوجد نسخة منها ضمن الوثائق العامة في مكتبة د غيثان بن جريس العلمية (غير رقمية).

ج ـ مكتبات المعاهد والمدارس العامة، وبعض المكتبات الخاصة :

أثنـاء زيارتي المتعددة لمكة خـلال العقدين الأوليين من هـذا القرن (١٥هـ/٢٠م) بهـدف الحج والعمـرة، أو البحث العلمي زرت بعض الأصدقـاء والزملاء في معهد مكة العلمـي، وبعض المدارس العامة وبخاصـة مرحلتـي المتوسطة والثانويـة وشاهدت في بعضها مكتبات تتفاوت في مساحاتها، ومحتوياتها، لكنها لم تكن في وضع جيد من حيث مرافقها وإمكاناتها لمن يرتادها من الطلاب مثل الطاولات، والكراسي وغيرها. وعرفت مؤخـراً أن هـذه المكتبات الورقية تراجع الاهتمام بها كثـيراً، وصار هناك مصادر تعلم أخرى عديدة، والكتـب والمكتبات التقليدية أصبحت في آخر قائمة الاهتمامات التربوية والتعليميـة عند الطـلاب والأساتذة وغيرهم مـن طبقة المتعلمـين، ومؤسسات تعليمية كثيرة صغير وكبيرة[١].

عرفـت عشرات العلمـاء، وأساتذة الجامعـات، والباحثين الذيـن يمتلكون مكتبات خاصـة، وغالبـاً تكون تخصصية في الميـدان أو التخصص العلمـي لصاحب كل مكتبة. وزرت العديـد مـن أعضاء هيئة التدريـس في جامعة أم القرى منذ العقـد الأول في هذا القـرن (١٥هـ/٢٠م) إلى الآن (١٤٤٤هـ / ٢٠٢٣م) ورأيت بعض مكتباتهم الخاصة المتنوعة في مساحاتها، ومحتوياتها، وطرق الاهتمام بها. كما شاهدت مؤخراً العديد من المكتبات الورقية الخاصة، في أجزاء عديدة من البلاد السعودية، التي أهملت نوعاً ما من قبل أصحابها بسبب التقدم في السن، أو المرض، أو وفاة بعضهم، كذلك النظام الرقمي الحديث أثر سلباً على حماس واهتمام بعض أصحاب المكتبات بمكتباتهم الورقية[٢].

د ـ مكتبة جامعة أم القرى المركزية (مكتبة الملك عبدالله بن عبدالعزيز الجامعية):

كانت مكتبة كلية الشريعة، وكلية التربية، أقدم كليتين في الجامعة، هما النواة الأولى لتأسيس مكتبة موحدة للجامعة عام (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م). واستمرت هذه المؤسسة ضمن

---

(١) هـذه المشكلة ليسـت محصورة على حاضرة مكة، لكنهـا مشكلة عامة في أنحاء البـلاد. لمست هذا من خلال رحلاتـي العلميـة وزياراتـي للكثير مـن المدارس والمعاهد العلميـة والكليـات والجامعات في المملكـة العربية السعوديـة. ومع توفـر خدمات (قوقل)، والمواد العلميـة الرقمية، صار الاهتمام بالمكتبـات الورقية الحكومية والأهلية يتراجع بشكل كبير، ولا ندري ما الذي سوف يحل بالكتاب الورقي في العشر أو العشرين سنة القادمة.

(٢) عرفـت ذلك وسمعته بشكل صريح من بعض المتعلمين وأساتـذة الجامعة في محافظة مكة وغيرها. وكوني أعمـل في التأليـف والطباعة والنشر منذ العقد الأول في هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) فكان الإقبال على الكتب الورقية قوياً، لكن خلال العقدين الأخيرين (١٤٢٦ـ ١٤٤٤هـ/٢٠٠٥ـ ٢٠٢٢م) تراجع هذا الاهتمام بنسبة كبـيرة، وقـد ذهبت مرات عديدة إلى بعض الأقسام العلمية في جامعاتنا المحليـة من جازان ونجران إلى مكة والطائف بهدف إهدائهم بعض المؤلفات الجديدة، فالبعض منهم يأخذها من باب المجاملة، وآخرون يقولون نحن لا نريد الكتب الورقية، ونفضل القراءة والاستفادة من المصادر والمراجع الرقمية.

مرافق جامعة أم القرى بحي العزيزية من نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى عام (٢٤-١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ثم نقلت في مقر خاص لها في المدينة الجامعية بالعابدية، وأطلق عليها اسم (مكتبة الملك عبدالله بن عبدالعزيز الجامعية)[1].

تجربتي مع مكتبة جامعة أم القرى المركزية تعود إلى العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ومازال لي صلة قوية بها حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م)، بل عرفت بعض الزملاء والأصدقاء الذين تولوا عمادة ووكالة شؤون المكتبات في جامعة أم القرى وغيرها من الجامعات السعودية من عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) إلى وقتنا الحاضر[2].

بدأت مكتبة جامعة أم القرى المركزية في مقر خاص بها يتكون من ثلاثة أدوار في حي العزيزية عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، واستمرت تؤدي رسالتها على أكمل وجه حتى منتصف العشرينيات من هذا القرن (١٥هـ/٢١م)، ثم نقلت إلى مقرها الحالي في العابدية، وأصبحت في مبنى يتكون من عدة طوابق، وله الكثير من المرافق الرئيسية والثانوية، ويتوسط المدينة الجامعية. وللمكتبة فرع آخر للطالبات بحي الزاهر، وقريباً سوف تنقل جميع كليات وإدارات وخدمات الطالبات من مكانها في الزاهر إلى مقرها الجديد في المدينة الجامعية بالعابدية[3].

شاهدت في العشرينيات من هذا القرن (١٥هـ/٢١م) مكتبات تخصصية في بعض الأقسام العلمية، أو كليات جامعة أم القرى، ومازالت بعضها تؤدي خدمات علمية جيدة لأساتذة وطلاب المؤسسات الأكاديمية التابعة لها. وعرفت من بعض صناع القرار في الجامعة خلال الثلاثينيات وجود العديد من المكتبات العلمية في كلية المعلمين، وكليات البنات في مكة، وبعد انضمام هذه المؤسسات إلى جامعة أم القرى عام (٢٨-١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) جرى ضم تلك المكتبات المتفرقة إلى مكتبة الجامعة المركزية[4].

---

(١) هذا الذي سمعته من بعض الأساتذة والمسؤولين في جامعة أم القرى عام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م). وهذه المكتبة المركزية، ومكتبات الجامعة الفرعية تستحق أن توثق في كتاب تفصيلي منذ تأسيسها عام (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م).

(٢) من خلال دراستي ثم عملي في جامعة الملك سعود، ثم جامعة الملك خالد، وعملي في مهنة التأليف والطباعة والنشر والتوزيع، فقد اتصلت بجميع المكتبات الجامعية، والعامة، وبعض الأهلية في المملكة العربية السعودية من مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م)، وعرفت الكثير من المعلومات العلمية، والإدارية، والتطويرية لهذه المؤسسات المعرفية. آمل أن يمد الله في العمر حتى أوثق ما عرفته وعاصرته مع هذه المكتبات المحلية، وما رأيته وشاهدته مع مكتبات جامعية وغير جامعية في بلدان عربية، وإسلامية، وأجنبية خلال الفترة الممتدة من (١٣٩٦-١٤٤٤هـ/١٩٧٦- ٢٠٢٣م).

(٣) أشرت في صفحات سابقة من هذه الدراسة إلى الحياة العمرانية الحديثة في مكة. والأبنية التعليمية الحكومية للمدارس، والكليات، ثم المدينة الجامعية في حي العابدية. وهذا النوع من العمارة جدير أن يخصص له عدد من الدراسات أو الرسائل الجامعية، آمل أن يتحقق ذلك من خلال أقسام التاريخ والعمارة في جامعة أم القرى.

(٤) زرت العديد من الجامعات المحلية في الحجاز، والباحة، وعسير، وجازان، ونجران ووجدت جميع كليات

من خلال بعض التقارير السنوية لجامعة أم القرى، ومدونات وتقارير أخرى خاصة بمكتبة الجامعة المركزية، ومقابلة بعض العاملين والمسؤولين في هذه المكتبة من عام (١٤٢٠ـ ١٤٤٤هـ/١٩٩٩ـ٢٠٢٢م)، اتضح لي عدة أمور:

١ـ تحتوي المكتبة على أكثر من (١٥) مكتبة خاصة أُهديت للجامعة، وقد خصص لها أماكن معلومة في مقر المكتبة المركزية بالمدينة الجامعية. ويوجد قسم كبير خاص بالمخطوطات في علوم مختلفة، ويشتمل على أكثر من سبعة آلاف مخطوطة أصلية، ومصورة. وللمكتبة صلات جيدة بأقسام المخطوطات في الجامعات والمكتبات السعودية، والعربية، والأجنبية [١]. وذُكر لي أن في المكتبة بعض المخطوطات والكتب النادرة [٢].

٢ـ يوجد ضمن محتويات المكتبة عشرات الآلاف من الرسائل الجامعية، والدوريات، والمطبوعات الحكومية، وبعض الموسوعات والمعاجم والمراجع التخصصية باللغتين العربية والأجنبية. كما اطلعت على تقرير عمادة شؤون المكتبات عام (٤٢ـ١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)، وفيه تفصيلات عن خدمات المكتبة الرئيسية في المدينة الجامعية، وفي مكتبة الطالبات في الزاهر،ومعاهد ومراكز البحوث العلمية، وكليات المحافظات مثل الجموم، والليث، والقنفذة. بالإضافة إلى خدمات أخرى عديدة قدمتها مكتبات الجامعة للأساتذة، والباحثين، والطالبات والطلاب. وأشار التقرير إلى بعض الإحصائيات. ففي مكتبة الملك عبدالله الجامعية بالعابدية (٥٧٣،٨٢٥) عنواناً أو وعاءً معرفياً ورقياً ورقمياً. وفي مكتبة الطالبات بالزاهر (٢٢٦،٦٥٧) وعاءً. وإجمالي قواعد المعلومات (٧٠) قاعدة، وعدد المجلات العلمية الورقية والإلكترونية (٤٧،٢٧٥) وحدة [٣].

المعلمين، والصحية، والبنات ضمت بجميع مرافقها البشرية والمادية والعلمية إلى الجامعات الحكومية، وصارت الجامعة في كل منطقة المسؤولة الأولى والمباشرة عن التعليم العالي في كل ناحية، ما عدا التعليم المهني مازال يتبع مالياً وإدارياً وعلمياً إلى المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني. وما جرى ويجري للتعليم العالي بشكل عام في الحجاز أوتهامة والسراة يستحق أن يُدرس ويُوثق في عشرات الكتب والرسائل الجامعية من عام (١٣٧٠ـ ١٤٤٤هـ/ ١٩٥٠ـ ٢٠٢٣م).

(١) مع تطور وسائل التواصل الرقمي، أرجو من جامعاتنا ومراكز أبحاثنا السعودية أن تبذل بعض الجهد الجاد في الاتصال بمراكز المخطوطات والوثائق المحلية، والإقليمية، والعالمية، وتجتهد في جلب كل ما يخدم بلادنا بحثياً وتوثيقياً ومعرفياً.

(٢) زرت في ثلاثينيات هذا القرن (١٥هـ/٢١م) معهد المخطوطات وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ومقره قريباً من مبنى المكتبة المركزية في المدينة الجامعية، واطلعني عميد المعهد ووكيله آنذاك على مئات المخطوطات الموجودة في هذا المعهد ومازالت المخطوطات الموجودة في المكتبة المركزية والمعهد تحتاج رعاية وعناية أكثر تصب في دعم وتشجيع دراسة وتحقيق هذه المصادر العربية.

(٣) مازلت أوصي بتوثيق التاريخ العلمي البحثي لجامعة أم القرى، والكتب والمكتبات محور مهم يستوجب أن يفصل تاريخية خلال السبعين سنة الماضية.

هـ- المكتبة العامة، ومكتبة نادي مكة الثقافي:

كان ومازال لي صلة جيدة جداً بهاتين المكتبتين منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). وذكر لي أن المكتبة العامة بدأت متواضعة في مطلع التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم تطورت وتنقلت في أمكنة عديدة حتى أنشئ لها مقر كبير من عدة أدوار بحي الزاهر. وتعد هذه المكتبة من المصادر الرئيسية المهمة التي تحتوي على عشرات الآلاف من المصادر والمراجع، ولها الكثير من الجهود العلمية والمعرفية والاجتماعية التي قدمتها لجميع الطبقات والمؤسسات الثقافية والتعليمية في محافظة مكة. وقد عرفت بعض مديري هذه المكتبة من عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) حتى الآن (١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م)، ووجدتهم متعاونين، متفانين في خدمة المكتبة وزوارها من جميع شرائح المجتمع المكي، أو من يزورهم من خارج منطقة الحجاز من طلاب العلم والمعرفة، أو من الحجاج والمعتمرين وغيرهم. وكان الإشراف عليها من قبل وزارة المعارف، ثم وزارة التربية والتعليم، وأخيراً صارت تتبع إدارياً ومالياً لوزارة الثقافة[1]. وقامت وزارة الثقافة التي فصلت منذ بضع سنوات من وزارة الإعلام بدراسة وضع المكتبات العامة في أرجاء المملكة، وأخيراً ألغت جميع المكتبات الموجودة في مقرات مستأجرة، وبعض المكتبات الأخرى في أبنية حكومية. وعرفت أثناء تدوين هذه السطور في الشهور الأولى من عام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م) أن مكتبة مكة العامة مازالت في مقرها، وأخذت الوزارة المقر والمحتوى، أما جميع الموظفين فانتقلوا إلى وزارات وإدارات حكومية أخرى. وأخبرني مدير المكتبة الحالي الأستاذ حسن الزهراني أنه ينتظر مجيء مندوبين من الوزارة لاستلام المكتبة بما تحتوي عليه من كتب ومصادر تعلم[2].

أما مكتبة النادي الثقافي الأدبي، فقد أنشئت في مقر النادي بحي جرول في نهاية القرن الهجري الماضي، ثم نقل النادي ومكتبته إلى مقر خاص للنادي في حي العزيزية. وكان لي علاقة جيدة مع رئيسه معالي الأستاذ الدكتور راشد الراجح وبعض المسؤولين[3]،

(١) زرت معظم المكتبات العامة في السروات وتهامة، والحجاز، والرياض، والمنطقة الشرقية من عام (١٤٠٢-١٤٤٤هـ/١٩٨٢-٢٠٢٣م)، وعرفت أنها قدمت خدمات جليلة وكبيرة لطلاب العلم والمعرفة. ورأيت أيضاً مكتبات في بعض المحافظات التهامية والسروية والحجازية فلم تكن مخدومة بالإمكانات والموظفين، بل بعضها كانت مهجورة ومقفولة طوال العام.

(٢) اتصال هاتفي مع الأستاذ حسن الزهراني يوم الأربعاء (١٥/٤/١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م). وتاريخ المكتبات العامة في تهامة والسراة وحواضر الحجاز ومحافظاتها موضوعات تاريخية حديثة، حبذا أن نرى باحثين جادين يوثقون تطورها التاريخي من نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م).

(٣) وعرفت معظم رؤساء الأندية الأدبية في المملكة من عام (١٣٩٨-١٤٢٨هـ/١٩٧٨-٢٠٠٧م)، وكانوا جميعهم على قدر كبير من العلم والأدب والخلق. وجميعهم يعدون من الرعيل السابق المبدعين المتألقين في علومهم، وشيمهم، ومعارفهم، وأخلاقياتهم. وكان لي علاقات حميمية وجيدة مع بعضهم، مثل: الدكتور راشد الراجح في مكة، وعلي العبادي في الطائف، وسعد المليص في الباحة، وعبدالله بن إدريس في الرياض،

فكنت أتردد على زيارتهم في النادي، وأحضر مناشطهم العلمية والثقافية، وأزودهم ببعض مؤلفاتي، ورأيت مكتبة النادي في وضع لا بأس به، وتحتوي على أكثر من عشرين ألف مصدر ومرجع، بالإضافة العديد من الصحف والمجلات العربية. وأخبرني بعض القائمين على النادي في عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/٢١م) أن هناك أرض مخصصة لمقر النادي، ويسعون إلى تشييدها، لكن في الثلاثينيات من القرن نفسه، وجدت مقر النادي انتقل من العزيزية إلى جزء من مبنى المكتبة العامة في حي الزاهر، وحُفظت مكتبة النادي في إحدى المستودعات، وبعد أن أصبحت وزارة الثقافة المسؤولة عن المكتبات العامة، وكذلك النوادي الأدبية، ولم يتم بناء مقر مستقل لنادي مكة الثقافية، عندئذٍ عاد النادي مع مكتبته إلى مقره السابق في حي العزيزية [(١)].

و ـ مكتبات أخرى:

تعد مكتبة رابطة العالم الإسلامي من المكتبات المكية التي أنشئت في بداية الثمانينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكان لها مقر متواضع في مبنى الرابطة من قصر السقاف بحي المعابدة، وبعد أن انتقلت الرابطة إلى مقرها الجديد على طريق جدة القديم خصص للمكتبة طابقين تحتوي على العديد من الصالات والغرف، ومحتويات المكتبة حاليا تزيد عن ثلاثين ألف كتاب، ومعظم مصادرها ومراجعها تدور في فلك التراث العربي والإسلامي، بالإضافة إلى عدد من الدوريات العربية وبعض المطبوعات والكتب الرسمية العربية والإسلامية[(٢)].

ذكر لي عدد من المكتبات الأخرى في مكة، بعضها حكومية وأخرى أهلية أو خاصة، ولم أتمكن من زيارتها أثناء رحلتي الأخيرة (١٤٤٣ـ ١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م) مثل: مكتبة الرئاسة العامة لشؤون الحرمين، ومكتبة المحكمة الشرعية الكبرى، ومكتبة المدرسة الصولتية، ومكتبة مدارس الفلاح، ومكتبة نادي الوحدة الرياضي، وبعض المكتبات الموجودة في بعض المساجد أو الجوامع، ومكتبات أخرى عديدة عند بعض القضاة،

وعبدالرحمن العبيد في الدمام، ومحمد بن حميّد في أبها، وحجاب الحازمي في جازان. آمل أن يمد الله في العمر حتى أوثق بعض الشيء عن جهودهم في خدمة العلم والثقافة في بلادنا، وجميعهم يستحقون أن تُكتب سيرهم في كتب وبحوث علمية عديدة.

(١) النوادي الأدبية في انحاء البلاد السعودية مازالت تراوح مكانها، لكنها في وضع أفضل من المكتبات العامة. ولا يعرف القائمون عليها ما هو مصيرها في قادم الأيام، مع أن الكثير منها في مقرات حكومية، وقلصت أعداد الموظفين واللجان، وأصبح في كل نادي فقط ثلاثة موظفين الرئيسي، ونائبه، وشخص ثالث. وتاريخ النوادي الأدبية منذ نهاية القرن الهجري الماضي إلى نهاية العشرينيات من القرن (١٥هـ/٢٠م) كان لها دور ريادي كبير في ميادين الفكر، والأدب، والثقافة. ثم تراجعت خلال الـ (١٥) سنة الماضية. وهذه المؤسسات المعرفية (النوادي الأدبية) في عموم البلاد، تستحق أن يكتب تاريخها وبخاصة في الثلاثين سنة الأولى من عصرها.

(٢) زرت هذه المكتبة مرات عديدة، واستفدت من بعض كتبها الخاصة بالأقليات الإسلامية في العالم، وانتشار الإسلام، وغيرها من البحوث المتنوعة.

والمؤرخين، وأساتذة الجامعة، ورجال الدعوة والإرشاد وغيرهم [١].

٢ـ لمحة عن الحياة الثقافية والعلمية والإعلامية :

بدأ مع التعليم النظامي ميادين معرفية أخرى بعضها بجهود فردية، وأخرى حكومية رسمية، وجميعها تصب في خدمة الحياة الثقافية والعلمية والإعلامية المكية. كان لظهور المدارس الحكومية ثم الكليات الجامعية دور في توسع الثقافة. وقد وثق بعض الباحثين والمؤرخين المكيين المتأخرين أسماء بعض أعلام مكة من العلماء والأدباء والمثقفين الذين برزوا في الساحة العلمية والمعرفية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكان لهم العديد من المكتبات التجارية التي تهتم ببيع وسائل القراءة والكتابة، مثل: الورق، والأقلام، والكتب، وأدوات الرسم والخط، أو الطباعة على الآلة الكاتبة، أو بعض الأجهزة الإلكترونية الأخرى[٢]. وكان هناك العديد من التجار الذين لهم مكتبات عديدة تهتم ببيع الكتب الورقية المتنوعة[٣]. وقد شاهدت بعض المكتبات التجارية في العقدين الأوليين من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) في حارت المسفلة، وأجياد، وشعب علي، وضمن بعض الأسواق التجارية مثل: سوق الليل، وسوق المدّعى، والسوق الصغير، وسوق الحجاز وغيرها. وبعض تلك المكتبات كانت تجمع بين التجارة في الكتب العلمية، والأدوات المدرسية[٤]. ومن خلال جولاتي في حاضرة مكة خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠ـ٢١م)، شاهدت، وقرأت، وسمعت عن بعض مكتبات مكة الربحية، ودورها في خدمة العلم والثقافة، وأوثق شيئًا من ذلك في النقاط الآتية :

أ ـ زرت وتعاملت مع مكتبات تجارية عديدة في أحياء العزيزية، والمعابدة، والشرائع، والمسفلة، والشوقية، والهجرة وغيرها. وكانت تلك المكتبات تقليدية في

---

(١) الحديث عن مكتبات مكة خلال العصر السعودي (١٣٤٣ـ ١٤٤٤هـ/١٩٢٤ـ ٢٠٢٣م) موضوع واسع يكتب في عشرات الكتب والرسائل العلمية الجامعية. ومع ظهور المكتبات أو الكتاب الرقمي بدأت جميع المكتبات الورقية تتراجع، وقد نرى تراجعاً أو تدهوراً لها أكثر في قادم الأيام.

(٢) للمزيد انظر عبدالعزيز الرفاعي. رحلتي مع المكتبات ـ مكتبات مكة المكرمة (الرياض: ١٤١٣هـ/١٩٩٢م). حسن عبدالحي قزاز، أهل الحجاز بعبقهم التاريخي (جدة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م). عبدالوهاب أبو سليمان، العلماء الوراقون في الحجاز في القرن (١٤هـ) (الطائف،١٤٢٣هـ)، إسماعيل كتبخانة، موسوعة ثقافة المجتمع المكي، (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) (الجزء السادس).

(٣) حبذا أن يظهر لنا باحثة أو باحث جاد يوثق تاريخ المكتبات التجارية في مكة خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)، مع الإشارة إلى العوامل المساعدة لتأسيس مثل هذه الميادين الثقافية، وكيف كانت تجلب الكتب، وأثرها على تنوير المجتمع المكي بشكل خاص، والمجتمع السعودي بشكل عام.

(٤) كانت المكتبات التي تجمع بين الأدوات القرطاسية والكتب الثقافية والعلمية منتشرة بشكل كبير في أرجاء البلاد السعودية، وكان أصحاب تلك المكتبات يجنون أرباحاً كبيرة من هذه التجارة، ولهم صلات قوية مع المدارس والكليات والجامعات بهدف توفير المطلوب لكل مؤسسة علمية وتعليمية. هذا الذي شاهدته في بلاد السروات وتهامة، وفي مدن وحواضر سعودية أخرى عديدة. وهذا المجال حسب علمي لم يوثق في دراسات علمية، آمل أن نرى مؤرخين وباحثين يدرسون هذا الموضوع من (١٣٩٠ـ ١٤٢٥هـ/١٩٧٠ـ ٢٠٠٤م).

عرض بضاعتهـا، ومحدودة في وسائـل التقنية خلال العقـد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ثم بدأت تزيد المكتبات الربحية وتنتشر في معظم أحياء مكة، وتُزود بالعديـد من الأجهـزة والأدوات الضروريـة التي يحتاجها الزبائـن مثل: الفاكس، وآلات الطباعة والتصوير، ثم دخلت أجهزة الكمبيوتر وخدمات الإنترنت المختلفة.

ب ـ تـرددت كثيراً على كليات جامعة أم القـرى في العزيزية والزاهر، ثم في العابدية. كما زرت إدارة تعليم مكة مرات عديدة، وشاهدت بعض مجمعات المدارس للبنات والبنين. وفي هذه المواقع الكثير من المكتبات والمحلات التجارية العلمية المتخصصة في توفير طلبات الأساتذة والطالبات والطلاب في هذه المؤسسات العلمية[١].

ج ـ بعـد دخول الإنترنـت وتوسع نشاطه في المملكة العربيـة السعودية من عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/٢١م)، أثر ذلك على تجارة الكتب الورقية، والمذكرات التقليدية، وصار طلاب العلم والمعرفة والثقافة من الأساتذة، والطالبات والطلاب، والمثقفات والمثقفين يفضلـون استخدام التقنية والنت في جلب معارفهم العلمية والتعليمية. وقد تجولت في أحيـاء عديدة في مكة عام (٤٣ـ ١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)، ورأيت المكتبات التجارية العلمية القديمـة تراجعـت، وصـارت معدودة علـى الأصابـع في حاضرة مكـة، وهناك بعض المكتبـات التي جمعت بين بيـع الكتب الورقية، والخدمات العلميـة الرقمية عن طريق الأجهزة الفنية والتقنيـة. وانتشرت كثيراً مكاتب الخدمات التقنية التي تخدم معظم شرائح المتعلمين في مذكراتهم وبحوثهم وميادين علمية ومعرفية أخرى عديدة[٢].

ظهـرت الصحافة ممثلـة في الصحـف الورقية بمـدن الحجاز الرئيسيـة (مكة، والمدينة، وجدة) في العقود الأولى من القرن (١٤هـ/١٩ـ٢٠م)، وكانت الدولة العثمانية

(١) رأيـت الكثير مـن هذه المحلات التجارية العلميـة في مكة ومدن أخرى عدية في المملكـة مثل: أبها، وخميس مشيـط، والطائـف، وجـدة، والرياض، والدمـام وغيرها. وتجـارة الكتـب والمذكـرات والأدوات العلمية للجامعات والمدارس من الموضوعات الجديدة في بابها من عام (١٣٩٠ـ ١٤٤٤هـ/١٩٧٠ـ ٢٠٢٣م).

(٢) لا أحـد ينكـر إيجابيات الإنترنت على الناس في شتى الميادين. ولو بحثنا عن سلبياته وجدناها أيضاً كثيرة. لكن الذي يهمنا في هذه الورقة ماله صلة بالعلم والتعلم، فالذي يوظف الشبكة العنكبوتية (جوجل) وغيره مـن وسائـل الاتصالات والتواصـل في الجوانب الجيدة المثمـرة للعلم والتعلم، فسوف يجنـي فوائد علمية ومعرفية كبيرة. لكن للأسف هناك بعض الأساتذة والطالبات والطلاب الذين لا يتعبون أنفسهم، ويجلبون معارفهـم مـن الإنترنت دون تعلم واستفـادة، وهدفهم فقط اجتيـاز المادة التي يدرسونهـا، والأساتذة في المدارس أو الكليـات لا يدققون في ذلك، ورغبتهم أن يقدم الطالب أي شـيء. كما أن في مكاتب الخدمات والمكتبـات الطلابية من يتاجر في هذه الأعمال العلمية، فالطلاب يدفعون أموالهم، وهؤلاء التجار ينجزون المطلـوب عن طريق القص واللصق من المستودعات والمواقع الرقمية. هذا الذي أشاهده في مدن وحواضر كثـيرة في المملكـة مـن بدايـة الثلاثينيات. ومثل هـذا الميدان جديـر أن يدرس، وينشر الوعـي بين هيئات التدريس في المدارس والجامعات، وبين الطلاب والطالبات. والإنترنت من النعم الكبيرة التي أنعم الله بها على البشر، ومن يُفعّله في الخدمات الإيجابية الفردية والمجتمعية فإن مكاسبه عظيمة.

وإمارة الأشراف قد أصدرت بعضها باللغة العثمانية، وأخرى بالعربية، أو باللغتين معاً. ويشير بعض المؤرخين المتأخرين إلى عدد من الصحف والمجلات التي صدرت قبل العهد السعودي الحديث (١٣٢٦- ١٣٤٤هـ/١٩٠٨- ١٩٢٥م) [١].

استفاد الملك عبدالعزيز من تجربة المكيين في عالم الصحافة في عصر الدولة العثمانية والأمراء الأشراف، وأدرك أهمية الصحافة والإعلام في تأسيس الدولة الحديثة على أسس عربية إسلامية جلية. وكان من أول أعماله (رحمه الله) الأمر بإنشاء جريدة أم القرى عام (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م)، وأسس مطبعة رسمية للحكومة عرفت باسم (مطبعة أم القرى). ولجريدة أم القرى آثار إيجابية كثيرة على تطوير الدولة سياسياً وثقافياً ومعرفياً داخلياً وخارجياً[٢].

ظهر بعد جريدة أم القرى عدد من الصحف الفردية، وأولها صحيفة صوت الحجاز التي أسسها محمد صالح نصيف عام (١٣٥٠هـ/١٩٣١م)، وهي امتداد لجريدة (بريد الحجاز) التي أنشأها أيضاً محمد نصيف في جدة عام (١٤٤٣هـ/١٩٢٤م) وكانت تصدر أسبوعياً حتى عام (١٣٦٠هـ/١٩٤١م)، ثم توقفت بضع سنوات. ثم عاد صدورها عام (١٣٦٥هـ/١٩٤٥م) من قبل الشركة العربية للطباعة والنشر، وأصبح اسمها صحيفة البلاد، وتصدر يومياً، ومازالت تصدر ورقياً ورقمياً حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) من مؤسسة البلاد للصحافة والنشر في جدة[٣].

---

(١) من تلك الصحف والمجلات: (١) صحيفة الحجاز بمكة عام (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م). (٢) صحيفة شمس الحقيقة في مكة عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م). (٣) صحيفة الإصلاح الحجازي في جدة عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م). (٤) صحيفة صفا الحجاز في جدة عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م). (٥) صحيفة الرقيب في المدينة المنورة عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م). (٦) صحيفة المدينة المنورة في المدينة عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م). (٧) صحيفة القبلة في مكة عام (١٣٣٤هـ/١٩١٥م) (٨) صحيفة الحجاز في المدينة المنورة عام (١٣٣٤هـ/١٩١٥م). (٩) صحيفة الفلاح في مكة عام (١٣٣٨هـ/١٩١٩م). (١٠) صحيفة بريد الحجاز في جدة عام (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م). جريدة مدرسة جرول الزراعية في مكة عام (١٣٣٨هـ/١٩١٩م). للمزيد انظر محمد عبدالرحمن الشامخ. الصحافة في الحجاز (١٣٩١هـ/١٩٧١م)، وهاشم عبده هاشم. الاتجاهات الصحفية العددية والنوعية للدوريات السعودية (جدة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، وغازي عوض الله. الصحافة الأدبية في المملكة العربية السعودية (جدة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، وعبدالرحمن الشبيلي. الإعلام في المملكة العربية السعودية (دراسة وثائقية تحليلية وصفية) (الرياض: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م). وصدر بعض البحوث والصفحات المطبوعة والمنشورة عن هذه الصحف الحجازية خلال سنوات متفرقة من النصف الأول للقرن (١٤هـ/٢٠م)، ومازال في الأرشيف العثماني الكثير من الوثائق والسجلات غير المنشورة وتحتوي على مادة علمية جديدة عن هذه الصحف، أرجو أن نرى باحثاً جاداً يقوم بإصدار دراسة تاريخية توثيقية عن هذه الجرائد من خلال هذه المصادر الأولية.

(٢) صدرت بعض البحوث العلمية عن هذه الجريدة، ومازلنا نتطلع إلى أن يصدر عنها عمل موسوعي يدرس جميع منجزاتها الحضارية المتنوعة منذ تأسيسها حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م).

(٣) كانت هذه الصحيفة رائدة في موادها العلمية، والأعلام الذين تولوا الإشراف على تحريرها وإدارة شؤونها

تلا ذلك صدور عدد من الصحف السعودية المكية مثل جريدة حراء الأسبوعية عام (١٣٦٧هـ/١٩٤٧م). وجريدةٍ الندوة التي صدر عددها الأول بمكةٍ في (١٣٧٧/٨/٨هـ)، وكانت تصدر آنذاك أسبوعياً، ثم تطورت حتى صارت تصدر يومياً حتى وقتنا الحاضر. كما صدرت أول صحيفة أسبوعية رياضية، كانت تطبع في مطابع قريش بمكة، ثم توقفت بعد أن صدر منها عشرات الأعداد، ويذكر أن جميع أعدادها توجد ضمن أرشيف جامعة الملك عبدالعزيز في جدة في وقتنا الحاضر [(١)].

الباحث عن عالم الصحف في المملكة العربية السعودية من تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر يجد نفسه أمام كم هائل من المصادر الصحفية الرسمية التابعة لوزارة الإعلام، وصار في حواضر عديدة من البلاد صحف متنوعة، لكنها تغطي الكثير من المعارف والثقافات في أرجاء الوطن، ومكة المكرمة في مقدمة المدن السعودية التي يدون الكثير من أخبارها وتاريخها الحديث والمعاصر وبخاصة في مواسم الحج والعمرة، أو الذي حظيت به هذه المدينة المقدسة، والمسجد الحرام من دعم ورعاية عظيمة من قبل الدولة. وفي العقدين الأخيرين صار في مكة المكرمة الكثير من المواقع والمنتديات والصحف الرقمية الرسمية والفردية. وأصبح العناية بالجرائد والصحف الورقية يتراجع على جميع المستويات[(٢)].

ومما له صلة بالنشر الثقافي والصحفي العلمي في مكة المكرمة، فقد اطلعت على بعض المجلات الثقافية والعلمية أثناء جمعي مادة رسالة الدكتوراه في منتصف العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ووجدت واطلعت على بعض المجلات الثقافية التي تأسست في النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، مثل: (١) مجلة الإصلاح عام (١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م). (٢)

العلمية والثقافية. وتطبع في سنواتها الأولى بالمطبعة السلفية، والمطبعة العربية في مكة المكرمة. ويذكر أنه تولى امتيازها ورعايتها بشكل عام الشركة العربية للطباعة والنشر عام (١٣٥٤هـ/١٩٣٥م). أرجو أن نرى أحد مؤرخي الحجاز فيخرج لنا دراسة تفصيلية عن هذه الصحيفة منذ كانت باسم صوت الحجاز إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م). كما أن لي تجارب عملية مع مؤسسة البلاد للصحافة والنشر في جدة من عام (١٤١٠-١٤٢٥هـ/١٩٨٩-٢٠٠٤م).

(١) كل هذه الصحف التي صدرت بجهود فردية خلال العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م) تستحق أن تكون موضوعات لإصدار عدد من البحوث العلمية الرصينة والجادة.

(٢) أشرت في صفحات سابقة إلى لمحات قليلة من بداية الصحف الورقية في مكة. وإذا أدركنا أن حاضرة مكة كانت المنطلق الأول والفعلي لتأسيس التعليم والتنمية الحديثة في المملكة، فما من شك أنها كانت أيضاً المقر الرئيسي للكثير من الحراك الثقافي والصحفي المبكر الذي لعب أدواراً كبيرة في نشر المعرفة في شتى الجوانب في مناطق، ومدن، وحواضر كثيرة بالمملكة العربية السعودية. وقد جئت إلى مكة في بدايات التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وبقيت على اتصال بحواضر الحجاز الكبرى ابتداءً من مكة، وشاهدت وقرأت عن الكثير من القفزات الثقافية التي عاشتها هذه المدينة، والصحف اليومية والأسبوعية الورقية ثم الرقمية من الموارد الفعلية التي أثرت إيجاباً على المكيين أرضاً وإنساناً.

مجلة الندوة الإسلامية (١٣٥٦هـ/١٩٣٧م). (٣) مجلة الحج (١٣٦٦هـ/١٩٤٦م). (٤) مجلة الروضة للأطفال (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م). (٥) مجلة قريش (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م) (٦) مجلة رابطة العالم الإسلامي (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م). وبعض هذه المجلات توقفت في القرن الهجري الماضي، وأخرى مازالت مستمرة حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م)[١].

شاهدت في هذا القرن (١٥هـ/٢٠- ٢١م) العديد من المجلات العلمية التي صدرت من مؤسسات علمية وتعليمية وأكاديمية. فهناك بعض مدارس التعليم العام التي كان من أنشطتها الثقافية إصدار مجلات حائطية، ثم مجلات ورقية تتكون من عشرات الصفحات. وكان لكلية المعلمين، وكليات البنات بعض المجلات الثقافية والعلمية، أما جامعة أم القرى فقد اعتمدت العديد من المجلات العلمية المتخصصة، من خلال وكالة الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي، وعمادة البحث العلمي، وبعض الأقسام، أو الكليات، أو الكراسي العلمية، ومراكز البحوث. ومعظم هذه المؤسسات أصدرت أعدادا كثيرة من تلك المجلات ورقياً خلال العقود الثلاثة الأول من هذا القرن، ثم بدأت بعضها تصدر رقمياً، وتوقفت عن الإصدارات الورقية [٢].

لم يغفل الملك عبدالعزيز وابنيه الملكين سعود وفيصل عن أهمية الإذاعة، وكانت بداياتها في السعودية في نهاية الستينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م). ومن أهم ما سعت إليه الدولة من خلال وسيلة الراديو إيصال أهداف وتوجهات الدولة السعودية الحديثة إلى المجتمعات الداخلية والخارجية، وكذلك إعداد وتهيئة المجتمع السعودي لتقبل التحولات الاجتماعية التي طرأت بعد توحيد أجزاء المملكة تحت راية ودولة واحدة[٣].

تشير بعض المصادر إلى افتتاح أول استديو إذاعة في مكة عام (١٣٧١هـ/١٩٥١م)، وكان للخبراء المصريين وبعض العرب الآخرين دور ريادي في تأسيس الإذاعة السعودية، وبرز من الأعلام الحجازية وبخاصة المكيين من كان له جهود كبيرة في التأسيس والإدارة

---

(١) كل هذه المجلات اسسها وأشرف عليها أعلام كبار في عالم المعرفة والثقافة المكية، ونشر من خلالها الكثير من المعارف العربية والإسلامية الداخلية والخارجية. وكل مجلة تستحق أن يصدر عنها دراسة مطولة مستقلة، آمل أن يجد هذا النداء من يستجيب له من طلاب البحث العلمي.

(٢) اطلعت على الكثير من هذه المصادر المعرفية في مكتبات مكة الرسمية والأهلية. والقائمون عليها من أساتذة هذه المؤسسات التعليمية العامة والعالية. والمجلات العلمية المحكمة في جامعة أم القرى وكلياتها من الموضوعات الجديدة في بابها، آمل أن نرى بعض طلاب الدراسات العليا يدرسونها من خلال رسائلهم الجامعية.

(٣) إن التغيرات التي جرت على التركيبة الاجتماعي قبيل وأثناء توحيد المملكة العربية السعودية لم يكن أمراً سهلا. واستشعر الملك عبدالعزيز آل سعود أن الجانب السياسي والعسكري وحده لا يؤسس دولة قوية، ولابد من توفر عوامل حضارية أخرى عديدة. والثقافة والمعرفة من أهم الأعمدة التي أخذ بها، ولم يحصر جهوده على مجال ثقافي دون آخر، لكنه بدأ بالتعليم النظامي، وامتدت أعماله إلى ميادين ثقافية أخرى، وكانت الإذاعة ثم التلفزيون من المقومات الفعلية التي أخذت بها الدولة من وقت مبكر.

والإشراف على مؤسسات الإذاعة في مكة، وجدة، والرياض. وكانت فترات البث الإذاعي في البداية قصيرة، فلا تزيد عن ساعات قليلة خلال اليوم. ومن أوائل برامج الإذاعة السعودية (هنـا مكـة المكرمة)، ثم تغـير الاسم إلى (در الإذاعـة السعودية من مكـة المكرمة) وبعد تأسيـس إذاعـة صوت الإسلام من مكة المكرمة في بدايـة الثمانينيات بدأ التنوع في البرامج الثقافية والترفيهية [١]، ثم تغيير الاسم إلى (إذاعة المملكة العربية السعودية من جدة).

بعـد تحســن الأحــوال الاقتصادية في البلاد خــلال العقدين الأخيريــن من القرن الهجــري الماضي، بدأ الراديو ينتشر بشكل أوسع بين المكيين، وبعض المناطق والحواضر السعوديــة الأخرى، وصار من أهم الوسائل التثقيفيــة والإعلامية لنشر الوعي والمعرفة بــين الناس. ثم تطــورت الإذاعة السعودية، وظهرت قنــوات إذاعية متخصصة وبرامج مختلفة ومتنوعة في أطروحاتها [٢].

تزامن مع ظهور الراديو في الحجاز ظهور وسيلة الرأي (التلفزيون) الأبيض والأسود، وكان ذلك خلال عصر الملك سعود بن عبدالعزيز، وتحديدا في عام (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م). وتعـددت محطـات التلفزيون، وبـدأ البث الرسمـي من محطتي الرياض وجدة في عام (١٣٨٥هــ/١٩٦٥م)، وفي عام (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) تم إيصـال البث التلفزيون إلى مكة المكرمــة من محطة جدة، ثم بـدأ البث الملون الرسمي عـام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م). وسبق نشـر مناسـك الحج من المشاعر المقدسـة في النصف الأول من العقـد التاسع في القرن (١٤هــ/٢٠م). ثم تطورت وسائل الإعلام بشكل كبير خــلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) حتى أصبحنا نشاهد مئات القنوات الفضائية التي تبث برامجها في جميع الأوقات [٣].

أزور مكة المكرمة من بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) دارساً وباحثاً، وحاجاً ومعتمراً، وكل مـرة أزور بعض المؤسسـات الدينية، والتعليميـة، والإداريـة، والخدماتية. والتقيت

(١) استمـر برنامج صوت الإسلام من مكة المكرمة بهذا الاسم حوالي عشر سنوات (١٣٨١- ١٣٩٠هـ/١٩٦١-١٩٧٠م)، ثـم تغـير الاسم إلى (إذاعة نداء الإسلام من مكة المكرمـة). وهناك العديد من البحوث التي صدرت عن تاريخ بدايات الإذاعة في السعودية، ومازال هناك وثائق غير منشورة لها علاقة بهذا الموضوع، حبذا أن يدرس في هيئة كتاب من خلال هذه المصادر الأولية.

(٢) كنـت أشاهد بعض الأعيان والشيوخ والوجهاء في بلاد السروات خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن (١٤هــ/٢٠م)، وهم يتجمعـون في بيوتهم وقراهم مع الأصدقاء والأقارب لسمـاع بعض البرامج الإذاعية السعوديـة والعربيـة. وكنت أرى بعض التجـار يجلبون أجهزة الراديو المختلفة مـن مدن الحجاز. حبذا أن نـرى دراسة هذا الموضوع خلال النصف الثاني من القـرن الهجري الماضي، وهذا المجال جدير أن يصدر عنه عدد من البحوث العلمية.

(٣) الحديـث عن تاريخ التلفزيون في المملكة العربية السعودية خـلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) موضـوع مهـم جدير أن يدرس في دراسات عديـدة. أما أوضاع القنوات التلفزيونيـة في هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م) فهو مجال كبير جداً يُدرس في عشرات الكتب والبحوث العلمية التوثيقية.

بالعديد من المؤرخين والباحثين والأساتذة في كلية المعلمين، وإدارة التعليم، وكليات ومعاهد جامعة أم القرى، ومازلت حتى هذا العام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) على تواصل جيد مع كثير من شرائح المجتمع المكي، وأتطلع في قادم الأيام أن أصدر دراسة تاريخية حضارية مفصلة عن حياة الناس في محافظة مكة المكرمة خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م). وهناك موضوعات كثيرة لم أذكر تفصيلات عنها في هذا المبحث، وكل موضوع يستحق أن يصدر في دراسة أو دراسات مطولة، لكنني أشير إلى لمحات موجزة عنها في النقاط الآتية:

١- هناك عدد كبير من الباحثين والمؤرخين والأساتذة المكيين وغيرهم أصدروا العديد من الكتب والبحوث العلمية منذ بداية القرن (١٣هـ/١٨م) حتى الآن، وبعضها مطبوعة ومنشورة في أوعية نشر مستقلة، أو في كتب ندوات ومؤتمرات محلية، وإقليمية، وعالمية، أو في مجلات علمية محكمة أو ثقافية: وكل هذه المصادر والمراجع تستحق أن يصدر عنها عمل ببليوجرافي مشروح يذكر عنوان كل دراسة، ومكان وتاريخ إنجازها، ونشرها وخلاصة مختصرة لكل كتاب، أو بحث ومؤلفه[1].

٢- عرفت حاضرة مكة خلال العهد السعودي الحالي (١٣٤٣-١٤٤٤هـ/١٩٢٤-٢٠٢٣م) عشرات الإدارات الحضارية الحديثة الرسمية والأهلية. وقد أشرت إلى بعضها في صفحات سابقة من هذه الدراسة. وكل مؤسسة تستحق دراسات توثيقية مفصلة ورصينة. ومن أهم هذه الإدارات كل ما له علاقة بالجانب الدعوي والديني، والتعليمي، والثقافي، والإعلامي، والسياحي، وضمن هذه المساهمات قطاعات مهمة خدمة هذه المدينة المقدسة محليا، وساهمت في مكانتها المقدسة العربية والإسلامية، وصلاتها بالمسلمين في أرجاء العالم. ومنها :الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، ورابطة العالم الإسلامي، وبعض الإدارات أو الأقسام في جامعة أم القرى، أو وزارات الحج والعمرة، والشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، والإعلام، والثقافة، وكل ما له صلة بحاضرة مكة من خلال هذه المؤسسات الرسمية. وفي جميع هذه القطاعات نشاطات وخدمات كثيرة تصب في مجال الثقافة، وخدمة الإسلام والمسلمين، إعلامياً ومعرفياً داخلياً وخارجياً [2].

---

(١) ربما يقول قائل أن هناك من قام بهذا العمل العلمي، وأقول لقد بحثت في هذا الجانب سنوات عديدة، وكل الذي اطلعت عليه بخصوص هذا الاقتراح قليل ومحدود. وهناك مئات وربما آلاف الدراسات التي صدرت عن مكة، أو فيها ذكر عن شيء من تراثها وحضارتها، ومعظمها باللغة العربية في مكتبات وجامعات ومراكز بحوث داخلية وخارجية. ومنها المكتوب بلغات أخرى عديدة غربية وشرقية. وإنجاز مثل هذا المشروع يعد عملاً رائداً، ولن يكون صعباً جداً مع توفر لتقنية وخدمات الإنترنت.

(٢) كل القطاعات التي أشرت إليها في المتن لها تاريخ وجهود كثيرة جداً من ستينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م). وهناك العديد من البحوث العلمية والثقافية التي وثقت صفحات من مسيرة هذه المؤسسات في محافظة مكة، ومازال ضمن أراشيفها الكثير من الوثائق والسجلات الجديدة في معارفها

٣- أتـرددٍ على نادي مكة الثقافي والأدبي من بداية هـذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وزرته مؤخراً في مطلع عام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م). وذهبت إلى مقر نادي الوحدة الرياضي، والاجتماعي، والثقافي، واتصلت وشاهدت معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحـج والعمـرة، وزرت مكتبـات خاصـة أو أهليـة في أحيـاء العـوالي، والشرائع، والعزيزيـةٍ وغيرهـا، وخرجت ببعض الخلاصـات العلمية والثقافيـة الشخصية، وأذكر شيئاً منها في البنود التالية:

أ- يعتبر نـادي مكة الثقافي الأدبـي جامعة مصغرة امتـد تاريخها حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م) حـوالي نصـف قرن فقد صـدر قـرار تأسيسه عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، وقام على تأسيسه نخبة مميزة من العلماء والأساتذة المكيين[١]. ولهـذه المؤسسة الثقافية منذ تأسيسها إلى نهاية العشرينيات من هـذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م) مسيرة طويلـة وكبيرة مليئة بالمنجزات المعرفيـة الرائدة[٢]. ومن أكـثر إنجازاتها مئات المحاضرات، والندوات، واللقاء، والمسامـرات الثقافية والعلمية المتنوعة في عناوينها، وما قُدم من خلالهـا من معـارف انتشر صداهـا وأثرها الإيجابـي إلى أمكنة وشرائح بشريـة كثيرة داخلية وخارجيـةٍ. أما نتاج النادي الثقـافي العلمي المطبوع والمنشورة، فلا يقل كثرة وتميزاً في العدد والنوع عن المناشط المنبرية[٣].

وإحصائياتها العلمية، وتستحق أن تدرس وتوثق في أعمال أكاديمية جادة. وعلى جامعة أم القرى من خلال كلياتهـا وأقسامها العلمية، ومراكز البحوث في هذه الوزارات المذكـورة أعلاه مسؤولية كبيرة تجاهٍ التوثيق التاريخـي والمعرفي، وما تحقـق إنجازه من خلال مؤسساتهـا العلمية والثقافية في الثمانـين عاماً الماضية (١٣٦٤-١٤٤٤هـ/١٩٤٥-٢٠٢٢م).

(١) لمزيـد من التفصيلات عن هـذا النادي خلال عقوده الأولى، انظر محمود حسـن زيني. نادي مكة الثقافي الأدبي ومسيرة ربع قرن (مكة المكرمة،١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

(٢) زرت هـذا النادي خلال الثلاثينيات والأربعينيات من هـذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وزرت غيره من النوادي الأدبيـة في المملكـة، ووجدتهـا تراجعت كثيراً في أنشطتهـا المعرفية والثقافية، بل أغلبهـا تحتضر في وقتنا الحاضـر. وكـوني عاصـرت واتصلت بأكـثر هذه النوادي مـن عـام (١٣٩٥-١٤٢٩هـ/١٩٧٥-٢٠٠٨م)، واطلعت على منجزاتها الجيدة والكبيرة آنذاك. ثم عاصرتها من عام (١٤٣٠-١٤٤٤هـ/ ٢٠٠٩-٢٠٢٣م) واتضـح لي الفـرق الشاسع بـين الفترتين، وللأسف إنهـا في الفترة الأخيرة لم تجد الدعـم والرعاية التي عرفتهـا الفترة الأولى، ثم اختلاف نوعيـة القائمين عليها قديماً، فقد كانوا من كبار علماء وأعلام المملكة العربية السعودية.

(٣) اطلعـت علـى بعض الوثائق والسجلات في نـادي مكة الثقافي والأدبـي، والذي لفت نظـري، أسماء اللجنة التأسيسيـة الأولى للنـادي عامٍ (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، فقد كان بعضهم من أعـلام البلاد السعودية الكبار، وهـم :أحمـد السباعـي رئيسـا، وعضوية كل من:أحمـد وصالح ابنـي محمد جمال، ومحمـد حسن فقي، وحسين عرب، وعبـدالله عريف، وإبراهيم الشورى وحسن محمد باجودة، وإبراهيم فودة، ومحمود حسن زينـي، ومحمد عبدالله الزيـد، وناصر الرشيد، وعبدالله مليباري، وحامـد هرساني، وعبدالكريم نيازي، وإسماعيـل حسن غسال، وعلي أبوالعلا، وعبدالسـلام الساسي، وراشد الراجح الشريف، وأحمد إبراهيم

ب ـ من المناشط الحضارية المكية الحديثة نادي الوحدة الرياضي الذي أسس في العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ومازال يؤدي خدماته الرياضية والثقافية والاجتماعية حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م)، وقد حاولت أحصل على بعض الوثائق والمصادر الأولية لهذه المؤسسة الرياضية. ولم أتمكن من ذلك. وجمعت عنه بعض المعلومات القليلة، التي تشير إلى تاريخ تأسيسه من أربعينيات وقيل ستينيات القرن الهجرب الماضي. وكان إبراهيم فودة أول رئيس له، وتعاقب على إدارته عشرات من الأعلام المكيين، وكان من أعضاء هيئة الشرف فيه بعض المسؤولين ورجال أعمال كبار، مثل الدكتور محمد عبده يماني، وصالح عبدالله كامل وغيرهما. ولم تكن أنشطة هذا النادي محصورة على الرياضة، إنما كان ومازال له مناشط اجتماعية وثقافية وترفيهية متعددة[1].

ج ـ استشعرت الدولة وبعض الأعلام والمسؤولين في مكة أهمية البحث العلمي في خدمة المدينة المقدسة (مكة المكرمة) بما تشتمل عليه من أمكنة دينية تختص بعموم المسلمين، وما يتعلق بالمسجد الحرام والمشاعر المقدسة، وما يجب معرفته والقيام به من خدمات للحجاج وزوار البيت الحرام، وإيجاد الحلول العملية والعلمية لكل المشاعر والمعوقات في محيط محافظة مكة، أو ماله صلة بمواسم الحج والعمرة. عندئذ أنشئ العديد من المراكز العلمية الخاصة بهذا الشأن وفي مقدمتها: (١) معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج والعمرة الذي أسس في مكة في بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). وهو حاليا يتبع إداريا وعلميا وماليا جامعة أم القرى، وله الكثير من الجهود الإيجابية والمنجزات العلمية في كل ماله علاقة بالحج والعمرة[2]. (٢) هناك مركزان بحثيان أهليان. الأول: مركز التميز في أبحاث الحج والعمرة. والثاني : مركز فقيه للأبحاث والتطوير. وكلاهما تأسسا خلال هذا القرن، ولهما جهود تذكر فتشكر في ميدان الإنجاز الثقافي العلمي والمعرفي بحثيا وتقنيا. وأثناء زيارتي لمكة أكثر من مرة خلال

شكري، وعبدالله الداري، وعبداللطيف بن دهيش، ومحمد محمود حافظ، وعبدالوهاب أبو سليمان، وعبدالعزيز محيي الدين خوجه. وكان الرئيس وجميع الأعضاء من أعلام مكة وبعضهم من مشاهير الأدباء والعلماء في المملكة العربية السعودية.

(١) زرت مقر النادي في رحلتي الأخيرة إلى مكة عام (٤٣ـ١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م). وأوصي المؤرخين المكيين أن يوثقوا تاريخ هذه المؤسسة الرياضية التي قارب تاريخها على تسعة عقود .

(٢) صدر عن هذا المعهد بعض الدراسات العلمية، ومازال يستحق أن يصدر عنه عمل علمي تاريخي موسوعي من سنة تأسيسه عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) .

ثلاثينيات هذا القرن (١٥هـ/٢١م) زرت هذين المركزين، بالإضافة إلى معهـد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحـج والعمرة، وشاهدت الكثير مـن البحوث والمشاريـع العلمية الجيدة ومعظمهـا في موضوعات لها صلة بشعيرة الحج والعمرة [١].

د - رأيت العديد من المكتبات الخاصة عند أصحابها، ومكتبات أخرى في بعض جوامـع ومساجد مكة المكرمة. واطلعت على الكثير من محتوياتها العلمية، فوجـدت فيها الكثير مـن المصادر والكتـب النادرة، ولا تخلـو بعضها من مخطوطات في علـوم شرعية ولغويةٍ. وبعضٍ المسودات والمذكرات والوثائق غـير المنشورة. أرجـو أن نرى مؤرخاً مجتهداً يدرس تاريخ هذه المكتبات، وبخاصة القديمة والكبيرة والنادرة في محتوياتها المعرفية.

إن قدسيـة ومنزلـة مكة المكرمـة الدينية جعلتها مقـراً لعقد عشـرات المؤتمرات، والنـدوات، واللقاءات، والملتقيات العربية والإسلامية، المحلية، والإقليمية، والعالمية منذ أربعينيـات القـرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر. وقد اطلعت علـى عشرات الكتب والدراسـات والرسائل الجامعية التي أرخت لكثير مـن هذه المناشط العلمية والمعرفية، ابتـدأ بالمؤتمـر الإسلامي الأول عـام (١٣٤٤هـ/١٩٢٥م) إلى أربعينيـات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). وكان لكل لقاء، أو مؤتمر، أو نـدوة، أو ملتقى استعدادات كثيرة، وخرج من خلالها نتائج وتوصيات عديدة، ولها آثار إيجابية متنوعة على حاضرة مكة الحاضنة لهذه الأنشطة، وعلى بلدان ومجتمعات داخلية وخارجية [٢].

سادساً: نتائج وتوصيات الدراسة:

إن الحجـاز وعاصمته مكة المكرمة قبلة جميع المسلمين في الكرة الأرضية، تُعد هذه الناحية من أكثر البلدان في العالم التي حظيت باهتمام الرحالة المسلمين وغير المسلمين على مر العصور الإسلامية. ومن يسعى إلى إنجاز عمل ببليوجرافي مفصل لكل من زار مكـة المكرمة ووثق شيئاً من تاريخ وحضارة أرضهـا وإنسانها منذ القرن الهجري الأول إلى القـرن (١٤هـ/٢٠م)، فإنه سيجد أعداداً كثيرة مـن الأعلام والعلماء الذين دونوا صفحات أو كتب كثيرة في ذلك [٣].

(١) اطلعـت على بعض الخلاصـات والدراسات المحدودة عن هـذه المؤسسات البحثية، لكنهـا مازالت بحاجة كبيرة إلى الاهتمام التوثيقي التحليلي من قبل أساتذة متخصصين في معاهدنا وجامعاتنا السعودية.

(٢) إذا كان صدر بعض البحوث العلمية عن هذا الجانب العلمي والمعرفي الذي شهدته حاضرة مكة خلال قرن من الزمان، فمازلنا بحاجة كبيرة إلى دراسات نوعية وموسوعية توثق تاريخ هذا القطاع الثقافي المعرفي المهم.

(٣) لا أقصـد فقط الجغرافيين الرحالة المسلمـين وغير المسلمين، وإنما كل من جاء إلى مكة عالماً أو متعلماً في أي صنف من صنوف المعرفة. فهناك رجال علم وتعلم في العلوم الشرعية، أو اللغوية والأدبية، أو التاريخية

ومعظم الرحالين والمدونين الذين وثقوا صوراً من تاريخ مكة وحياة أهلها، وحصروا مروياتهم ومدوناتهم على ما شاهدوه وعرفوه أو سمعوه عن المسجد الحرام وما يحيط به من مستوطنات بشرية. وجل توثيقاتهم عن حياة الناس الدينية في الحرم، والمشاعر المقدسة أثناء مواسم الحج والعمرة، ولا تخلو أعمال بعضهم العلمية من تحليلات ومعلومات لها علاقة بجوانب حضارية أخرى (سياسية، وعسكرية، واجتماعية، واقتصادية، وعلمية وتعليمية، ومعارف جغرافية، وشروحات وسير لبعض الأعلام المكية أو الحجازية، وبعض الأوضاع المالية، أو الكوارث الطبيعية وغيرها)[١].

كوني رجل من أهل السراة خلال القرنين (١٤ــ ١٥هـ/٢٠-٢١م)، ولي اهتمامات بتراث وتاريخ وحضارة شبه الجزية العربية وبخاصة جنوبها، وأنجزت بعض المؤلفات التاريخية والحضارية عن بلاد الحجاز، والسروات وتهامة، واليمن. وقرأت بعض المصادر والمراجع التي أرخت لهذه الأوطان، وبعضها لرحالة حجازيين أو يمنيين من القرن (٢-١٤هـ/ق٨- ٢٠م). وكل المعارف العلمية التي اطلعت عليها تسهب في شروحاتها عن حواضر الحجاز واليمن، وقليلاً جداً التي تحتوي على تواريخ وتوضيحات حضارية عن المنطقة الوسط بين تلك الحواضر، المعروفة باسم (السروات وتهامة) الممتدة من نجران وجازان إلى الطائف ومكة المكرمة[٢].

رصدت في دراسات سابقة شذرات من الصلات التاريخية والحضارية بين التهاميين والسرويين وأهل اليمن والحجاز في فترات مختلفة من العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة[٣]. وأوصيت كثيراً بأهمية البحث في هذا المجال لكثرة الصلات والعلاقات بين هذه الأوطان الممتدة من عدن والحديدة وصنعاء إلى مكة

الجغرافية، أو السياسية والإدارية، أو الاجتماعية والاقتصادية وغيرها من أبواب العلم والمعرفة الذين قدموا إلى الحجاز وبخاصة المدن المقدسة للحج والعمرة، أو للتعليم، أو التجارة، أو أي مهنة من المهن، إلا أن له أثر معرفي وعلمي في مكة، ووصلتنا تلك الآثار مكتوبة أو مروية ومنقولة.

(١) اطلعت على مئات المصادر، والمراجع، والبحوث والرسائل الجامعية التي حفظت لنا معارف وتفصيلات مختلفة من توثيقات الرحالة أو الكتاب والمؤلفين الذين جاءوا إلى الحجاز، وكتبوا عن بلاد الحرمين وبخاصة المسجد الحرام ومدينة مكة المكرمة، وجل مدوناتهم قامت على المشاهدة والتجربة والرواية الشفهية والسماع، ولم تخل بعض الأعمال المكتوبة من الاطلاع على مصادر أخرى مكتوبة لها علاقة بتاريخ وحضارة مكة والمكيين.

(٢) الهمداني العالم اليمني الوحيد الذي حفظ لنا بعض المعارف الجيدة عن هذه الديار التهامية والسروية خلال القرن (٤هـ/١٠م)، وكل من جاء بعده من الجغرافيين والرحالين حتى القرن (١٤هـ/٢٠م) لم يفيدوننا كثيراً عن تاريخ الأرض والناس لهذه البلاد العربية القديمة في أنسابها ومستوطناتها الطبيعية والبشرية.

(٣) انظر بعض هذه الكتب والبحوث مطبوعة ومنشورة في عدد من مؤلفاتي التي صدرت خلال الثلاثين سنة الماضية (١٤١١ــ ١٤٤٤هـ/ ١٩٩١ــ ٢٠٢٢م)، ومن أهمها موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (٢٩) مجلداً. وكل هذه الكتب والبحوث منشورة ورقياً ورقمياً، وتوجد على عدد من الروابط والقنوات الإلكترونية المحلية، والإقليمية، والعالمية.

المكرمة، والطائف، وجدة، والمدينة المنورة[١].

سمعت من الآباء والأجداد السرويين كيف كان بعض أهل تهامة والسراة يذهبون من أوطانهم إلى الحجاز أو مناطق أخرى في شبه الجزيرة العربية أو خارجها خلال القرون الماضية المتأخرة من أجل البحث عن لقمة العيش بالدرجة الأولى، وقليل جداً الذين تركوا أوطانهم طلباً للعلم والمعرفة[٢]. وقد بذلت جهوداً كبيرة أبحث عن بعض الباحثين أو الرحالة السرويين الذين ذهبوا إلى الحجاز أو اليمن ووثقوا ما عرفوه وشاهدوه، فلم أجد أحداً قام بذلك. مع أنني وجدت الكثير من التهاميين والسرويين الذين سافروا إلى مكة المكرمة، أو بعض مدن اليمن الرئيسية خلال العصر الحديث (ق١٠ـ ق١٤هـ/ق١٦ـ ق٢٠م)، لأهداف متعددة، ومنها طلب العلم في هذه الأصقاع، لكن لا أحد منهم وثق رحلته، وما شاهده من تاريخ الناس في تلك البلدان التي سافر إليها[٣].

هذه الدراسة الموثقة في هذا القسم: **مكة المكرمة في عين رجل من أهل السراة (قراءات، وذكريات، ومشاهدات) (١٣٩٢هـ/١٩٧٢-٢٠٢٣م)**. خلاصة بحث، وذكريات، وارتحال في طلب العلم داخل المملكة العربية السعودية وخارجها. وكنت مثل أي إنسان سروي يسمع عن مكة المكرمة في سن الطفولة، ويشاهد بعض السرويين يذهبون إلى الحج أو العمل في مكة، ثم يعودون إلى قراهم ومواطنهم الرئيسية، ويقصون في مجالسهم العامة والخاصة ما قابلوه من صعوبة في السفر، ومعوقات كثيرة في ذهابهم، ثم إقامتهم في مكة، أو أثناء عودتهم[٤].

---

(١) وثقت في أمكنة كثيرة من مؤلفاتي المطبوعة والمنشورة عشرات العناوين والتوصيات الجديرة بالعناية والاهتمام البحثي من قبل الباحثين، وكليات، وأقسام، ومراكز البحوث العلمية.

(٢) كانت بلاد السراة وتهامة مليئة بالخيرات الطبيعية، لكنها أرض صعبة جداً في تضاريسها ومناخها، وتركيبتها القبلية، فلا تخضع لسلطة رسمية توفر الأمن والاستقرار للجميع. وإنما حكمها وإدارة أمورها في قبضة شيوخ القبائل وأعيانها. وهذا مما جعل حياتهم السياسية والإدارية في قلق واحتراب وفوضى، وبالتالي انتشر الخوف، والجهل، والمرض، وفقدان الأمن العام في أرجاء البلاد. وقد صدر بعض الدراسات العلمية الخجولة عن تاريخ قبائل السروات وتهامة، وبعضها تفتقد إلى الصدق والإنصاف والحيادية. نأمل أن نرى دراسات جادة تقوم على منهج علمي رصين بعيداً عن التعصب والعنصرية.

(٣) إذ حصرنا الذين ارتحلوا في طلب العلم من السراة وتهامة إلى الحجاز أو اليمن خلال العصر الحديث وجدناهم بالعشرات، وربما بالمئات. وهناك دراسات مطبوعة ومنشورة ذكرت بعضهم، ومازال هذا الموضوع يستحق مزيداً من البحث والدراسات العلمية الجادة. ونلاحظ في الستين سنة الأخيرة (١٣٨٠ـ١٤٤٤هـ/١٩٦٠ـ ٢٠٢٢م)، انتشار العلم العام والعالي في كل مكان من شبه الجزيرة العربية، وصار هناك مئات الأساتذة والباحثين في الجامعات العربية والأجنبية الذين أنجزوا دراسات متنوعة في مجالاتها وعناوينها، ولبلاد السراة وتهامة وصلاتها مع الحجاز واليمن نسبة جيدة من هذه البحوث، لكن معظمها مازالت غير منشورة، وتوجد ضمن مخازن المكتبات الجامعية.

(٤) توثيق قصص وروايات وتاريخ أولئك السرويين والتهاميين الذين كانوا يسافرون إلى مكة من بداية القرن (١٤هـ/١٩م)، إلى العقد الثامن من القرن نفسه موضوع جديد في بابه، ولم يصدر عنه أي دراسة علمية جادة. آمل أن نرى مؤرخاً جاداً، أو بعض طالبات وطلاب الدراسات العليا في جامعات تهامة والسراة فيدرسونه في عدد من البحوث والرسائل الجامعية، وهو بحق يستحق أن يخدم بمنهجية علمية رصينة وعميقة.

كانت أول رحلة لي إلى المسجد الحرام ومكة المشرفة في بداي التسعينيات، وكنت وقتها في السنة الثانية عشرة من عمري، وسمعت الأوائل كيف كانوا يسافرون سيراً على الأقدام، أما في زمن رحلتي الأولى فكانت السيارات وسائل النقل الرئيسية. وواصلت رحلاتي المتتالية إلى مكة خلال الخمسين سنة الماضية (١٣٩٢-١٤٤٤هـ/١٩٧٢-٢٠٢٢م)، وفي كل مرة أحصل على ثقافات ومعارف مختلفة أثناء السفر، أو الإقامة في حاضرة مكة[١].

لم أسهب كثيراً عن تاريخ بلاد السروات ومكة في عصور إسلامية مبكرة، ووسيطة، وإلى حد ما العصر الحديث، واجتهدت في الجمع بين ما قرأته في المصادر والمراجع، ومازلت أتذكره من خلال المشاهدات القديمة والحديثة. وحاولت قدر الاستطاعة أن أحصر توثيقاتي وشروحاتي على حاضرة مكة المكرمة بمفهومها الواسع، ولم أسلك نفس المنهج الذي سلكه معظم الرحالة السابقين، حيث كان جل مدوناتهم عن تاريخ المسجد الحرام، والمشاعر المقدسة، وقليل من أرخ لحياة المكيين في أرجاء الحاضرة[٢].

لا أدعي الإبداع أو التميز فيما تم توثيقه، لكن حسبي أنني اجتهدت، وأسأل الله أن يكون ما قدمته من العمل النافع الذي أجد أجره عند الله عز وجل. ومن ينظر إلى الفهرس العام لهذه الدراسة، يجد أني تشعبت في ميادين المعرفة التاريخية الحضارية لبلاد مكة، فأشرت إلى لمحات (جغرافية، واجتماعية، وإدارية، واقتصادية، وعلمية وتعليمية، وثقافية، وإعلامية) مما قرأته، وتذكرته في الماضي، أو شاهدته عام (٤٣-١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)، والحقيقة أن المدة المحددة في عنوان البحث، تعتبر العصر الذهبي لمحافظة مكة المكرمة لما حظيت به من رعاية كبيرة منقطعة النظير من الدولة السعودية الحديثة. ومن يبحث في وثائق الحكومة الرسمية، والأوامر الملكية فإنه سيجد آلاف المصادر الأولية المليئة بالتاريخ التنموي الحضاري الكبير الذي تعيشه حاضرة مكة خلال المئة سنة الماضية (١٣٤٣-١٤٤٤هـ/١٩٢٤-٢٠٢٢م) [٣].

---

(١) جمعت أثناء هذه الرحلة الطويلة الكثير من الكتب، والوثائق، والصور الفوتوغرافية، والقصص الشفهية. آمل أن يمد الله في العمر، فاجمعها، وأدرسها، وأشرح غامضها وبخاصة ما يتعلق بالبلدان الممتدة من سروات منطقة عسير إلى مدينة الطائف. وهذه البلاد تستحق أن يصدر عنها عشرات الدراسات الأثرية والتاريخية العلمية خلال العصور القديمة والإسلامية المبكرة، والوسيطة، والحديثة، والمعاصرة.

(٢) ربما كان الرحالة قديماً معذورين لصغر مساحة مكة المكرمة. والبلدة أو المدينة خلال القرون الماضية حتى منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) كانت فقط المسجد الحرام وما يحيط به من حارات ومستوطنات سكنية، بالإضافة إلى المشاعر المقدسة (منى، ومزدلفة، وعرفات). أما معظم بلدان المحافظة المكية فبلاد جرداء، خالية من الحياة السكنية المستقرة، ولا تخلو من حياة البدو الرحل.

(٣) من يستقرئ تاريخ الخلفاء، والأمراء، والسلاطين، والوزراء على مر التاريخ الإسلامي، يجد مئات الأعلام الذين قدموا الكثير من الخدمات والأعمال الخيرية لأهل الحجاز وبخاصة سكان مكة والمدينة. وبعضهم

الناظـر في متون وحواشـي هذا العمل العلمي يجد الكثيرمـن الاقتراحات التي تفيد الباحثـين، والمخططين، وصنـاع القرار في البلاد للاستفادة منهـا، في كل ماله صلة بالبناء والتطويـر لأرض الحرمـين، ومازال عنـدي انطباعات وخلاصـات وتوصيات عامـة أسرد بعضها في النقاط الآتية :

١- صـدر عن مكة مئات الكتب والبحـوث والرسائل العربيـة والأجنبية خلال عصور مـا قبل الإسلام، والقرون الإسلامية المختلفـة. والعصر الحديث والمعاصر مازال بحاجة إلى دراسات نوعية تاريخية وحضارية قائمة على مصادر أولية، كالوثائق، والسجـلات والإحصائيـات، والروايات والمقابلات، والصـور الفوتوغرافية. ومثل هـذه البحوث لابد أن تتوسع وتشمل حياة المكيين المحلية في شتى الجوانب، وكذلك زوار المسجـد الحـرام (الحجـاج والمعتمرين) الذين قدمـوا إلى مكة من أصقاع الأرض العربية، والإسلامية، والأجنبية. وما يتولد عن إقامتهم في المدينة المقدسة من آثار إيجابية وسلبية على السكان والأراضي الحجازية.

٢- عاصـرت حياة المجتمع المكـي كيف توسع جغرافيـاً وبشرياً مـن تسعينيات القرن الهجـري الماضي، وما جرى في البلاد من تطـورات وتحولات طبيعية، واجتماعية، وإدارية، واقتصادية، وعمرانية، وإعلامية، وتعليمية، وثقافية، وفكرية، وسياحية، وتقنيـة. وعن كل هذه المجالات معلومات رسمية وأهليـة مكتوبة، وروايات شفهية، وتستحـق أن تخدم بحثياً من قبل المؤسسـات البحثية في حواضر الحجاز الكبرى، وفي جامعات ومراكز علمية سعودية، وعربية، وإسلامية، وأجنبية ٠

٣- واكـب توسعـات المسجد الحـرام، والعنايـة بالمشاعـر المقدسة، وتطويـر المدينة تخطيطـاً وعمرانـاً، خلال هذا القرن (١٥هــ/ ٢٠م) آثار إيجابيـة وسلبية. وهذا الجانـب بحاجة إلى إجـراء بحوث توثيقية جادة، ثم الخـروج بتوصيات تصب في خدمة حاضرة مكة في المستقبل القريب والبعيد.

٤- رأيت وقرأت ومازلت أشاهد المسيرة العمرانية التي تعيشها مكة من العقد الأول في هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وهنـاك الكثير من التاريخ العمراني المكي المتنوع القديم الـذي امتدت إليه آلة الهدم تخطيطـاً وعمرانـاً، ومثل هذا النوع من التاريخ المادي

قدمـوا أعمالاً كبيرة لخدمـة وتوسعة المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمشاعـر المقدسة. لكن إذا قارنا تلك العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة، والحديثة مع عصر المملكة العربية السعودية، فليس هناك وجه مقارنـة على الإطلاق، لما بذلت وقدمت هـذه الدولة المعاصرة من خدمات عمرانيـة، واجتماعية، ومالية، وإنسانيـة، واقتصادية، وخيرية لأرض الحرمين الشريفين، ومن يرتادها سنويـا من الحجاج والمعتمرين من الداخل والخارج.

يحتاج إلى الحفاظ عليه ما أمكن، وإذا كان لابد من إزالته، فالواجب توثيقه علمياً وتاريخياً وحضارياً حتى تطلع عليه وتستفيد منه أجيال المستقبل.

٥ـ هنـاك تواريخ حديثـة ومعاصرة عن بلاد مكة في ثقافات ولغات غير عربية، ومنها الموثق كتابيا، وأخرى تروى شفاهة من أجناس بشرية متنوعة جاءوا لأداء مناسك الحـج والعمرة. ومثل هذه المصادر لا يستفاد منها ولا يلتفت إليها معظم المؤرخين والباحثـين العرب، آمل أن نرى جهوداً تبذل في هـذا الجانب، والجامعات العربية والإسلامية، وأقسامهـا، ومراكز بحوثها الأكاديمية خير من يترجم هذه التوصية إلى واقع في هيئة دراسات وأعمال علمية جادة ورصينة.

٦ـ إن الذي قمت به وأنجزته في هذا المبحث، اجتهاد فردي أتطلع من خلاله أن تُفتح أبواب بحثية جديدة، تدرس تاريخ مكة المكرمة المعاصر، أو أي حاضرة رئيسية في المملكـة العربية السعودية. وكون البـلاد السعودية أصبحت مجتمعاً واحداً تستوده روح الإخوة والمحبة. وصار الإنسان الذي ولد وتربى بداية حياته في أقصى الجنوب السعودي، هاجر واستوطن أمكنة أخرى في شمال البلاد، أو غربها، والوضع نفسه جـرى لابن الشمـال أوالغـرب، أو الشرق، وبالتـالي تبلور تاريـخ حضاري حديث ومعاصـر للأرض والناس في أنحاء البلاد. ومثل هذا التحول والانصهار المجتمعي جدير بالدراسة والتوثيـق معرفياً وتاريخياً، حتى تراه الأجيال القادمة من الأبناء والأحفاد، ويعرفون كيف كان وضع هذه الديار في سابق الزمان، وما حدث لها من تطويرات وتبدلات جغرافية وإنسانية وحضارية إيجابية ٠



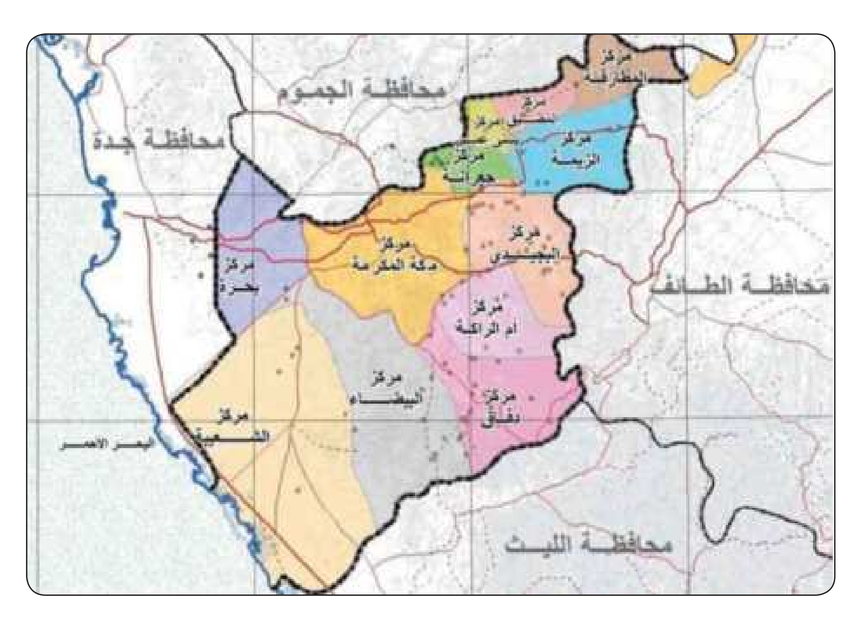
ملحق الصور الفوتوغرافية الخاصة بالقسم الرابع (حاضرة مكة المكرمة)



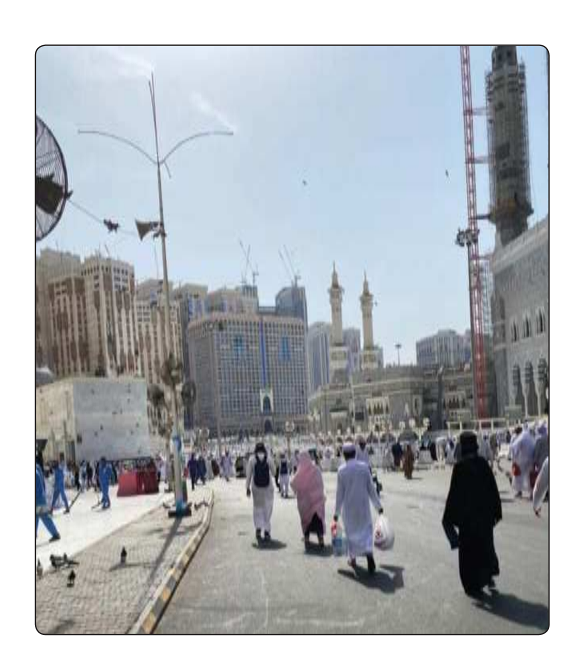
الصورة رقم (١): مشهد جوي للمسجد الحرام والمناطق المحيطة به عام (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م)



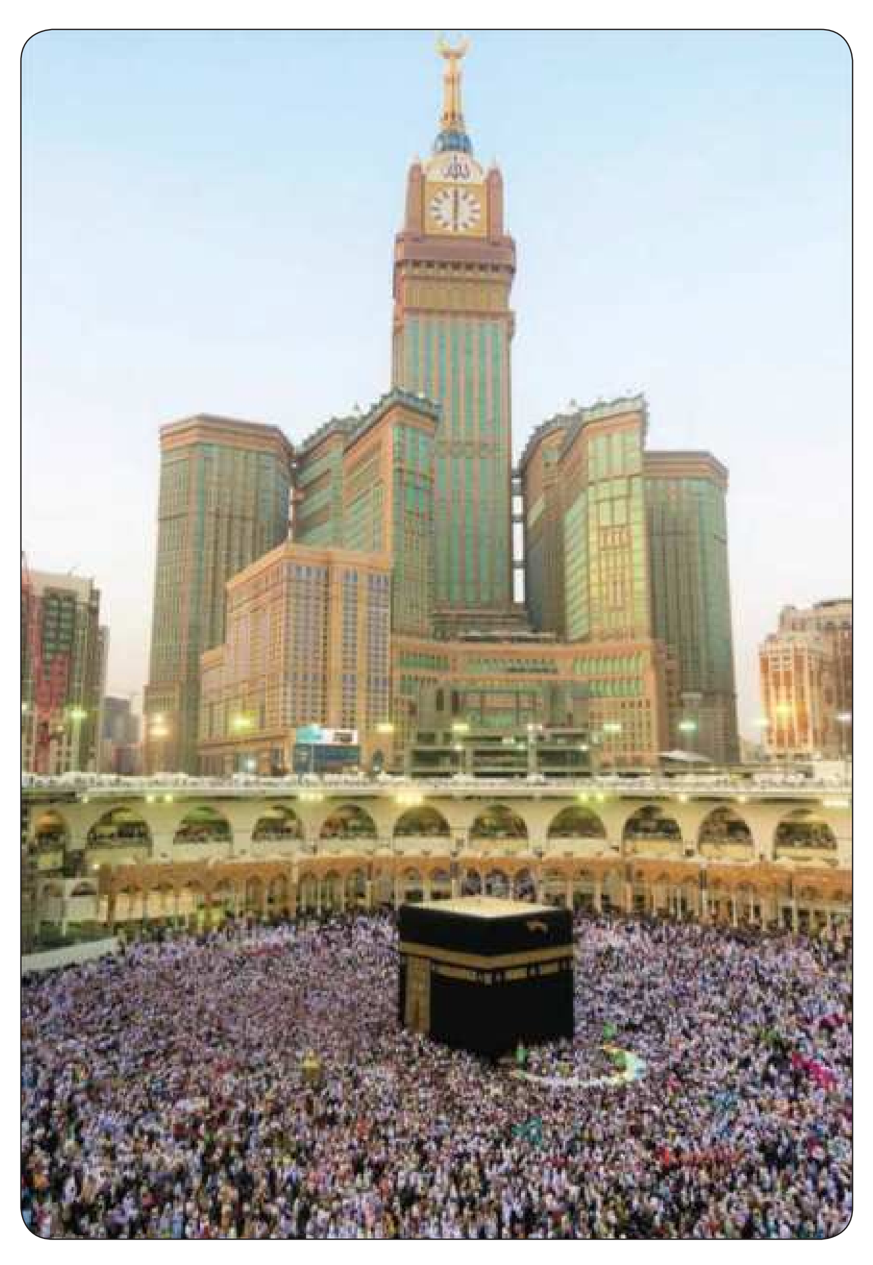
الصورة رقم (٢): مشهد جوي للمسجد الحرام والمناطق المحيطة به عام (١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٣): مكة المكرمة ومراكزها الإدارية عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٤): طرف من الحرم المكي والعمارات القريبة منه من الجهة الجنوبية عام (١٤٤٣هـ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٥): أبراج البيت تطل على الحرم من الناحية الجنوبية عام (١٤٤٣ هـ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٦): منظر جوي للحرم المكي الشريف
عام (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م)



الصورة رقم (٧): فناء المسجد الحرام من الجنوب وفيه لفيف من المصلين والزوار
عام (١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٨): بعض العمارات خلف عمارة وقف الملك عبدالعزيز بمكة عام (١٤٤٤ هـ ٢٠٢٢م)



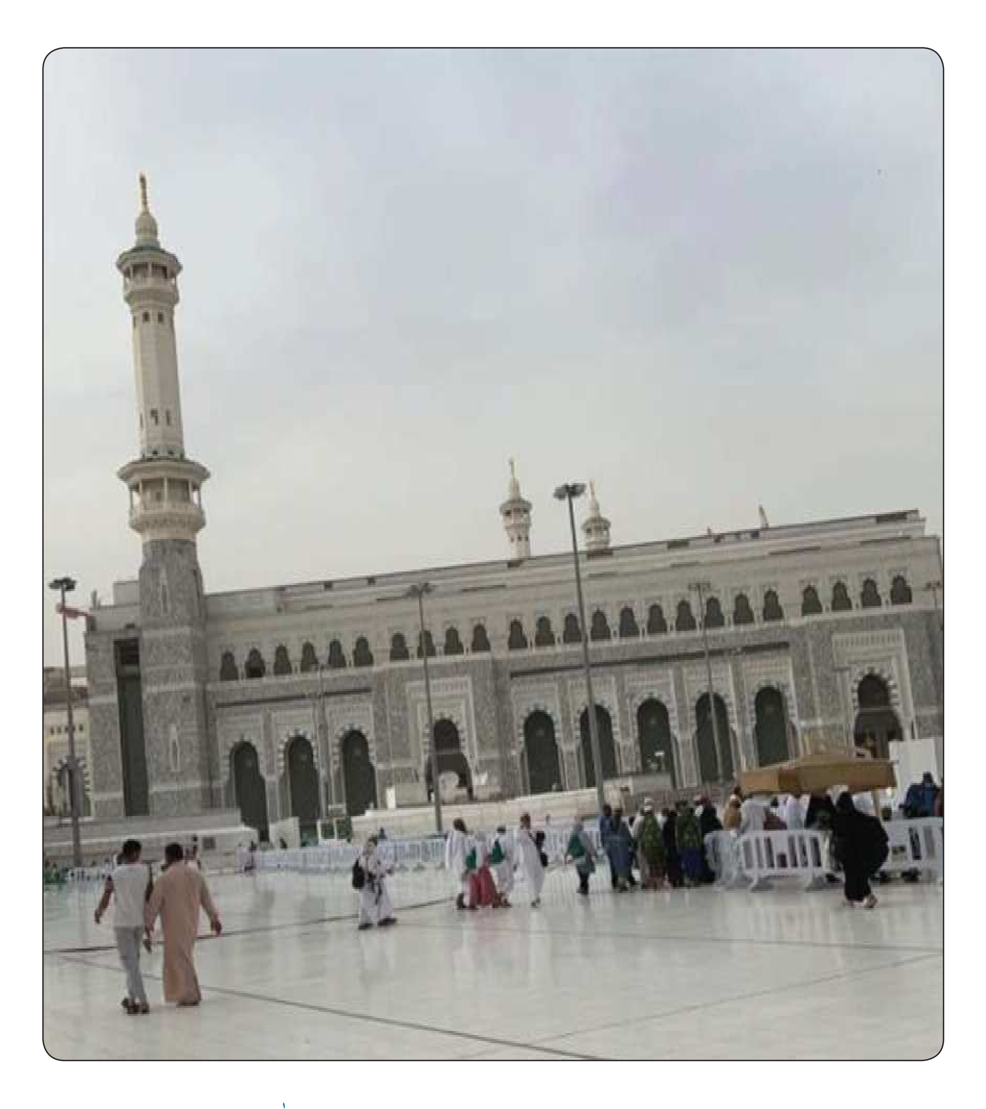
الصورة رقم (٩): مدخل باب الملك فهد في الحرم المكي عام (١٤٤٣ هـ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٠): منظر لجزء من المسعى من ناحية الصفا عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١١): إحدى واجهات الحرم المكي من الناحية الجنوبية الشرقية عام (١٤٤٤هـ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٢): أحد واجهات توسعة الملك عبدالله للحرم المكي
عام (١٤٤٤هـ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٣): طرف من أبراج مكة عام (١٤٤٣هـ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٤): منظر لحمام الحرم المكي عام (١٤٤٤هـ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٥): التوسعة الجارية للحرم المكي من الناحية الشمالية الغربية والطريق التي تربط بين الحرم وحي جرول عام (١٤٤٤هـ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٦): جزء من حي جرول في مكة عام (١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٧): معلم أثري مكان بئر طوى في حي جرول بمكة عام (١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٨): أحد المنشآت العمرانية التابعة للحرم المكي بحي جرول
عام (١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٩): عمارة أخرى تحت التنفيذ من مرافق الحرم المكي بحي جرول
عام (١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٢٠): قصور الصفا ويظهر خلفها بعض منارات المسجد الحرام عام (١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٢١): بوابة الملك عبدالعزيز في الحرم المكي أثناء تشييدها عام (١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٢٢): منظر للشارع الذي يفصل بين أبراج مكة وبرج الساعة بمكة عام (١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٢٣): بوابة الملك فهد في الحرم المكي عام (١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٢٤): عمارة دار التوحيد وطرف من أبراج جبل عمر المجاورة للحرم المكي عام (١٤٤٤هـ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٢٥): بعض المنشآت العمرانية كمحطة القطار وغيرها شمال غرب المسجد الحرام عام (١٤٤٣هـ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٢٦): منظر لأجزاء من الارض الواقعة شمال الحرم بعد إزالة الأحياء القديمة (١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)



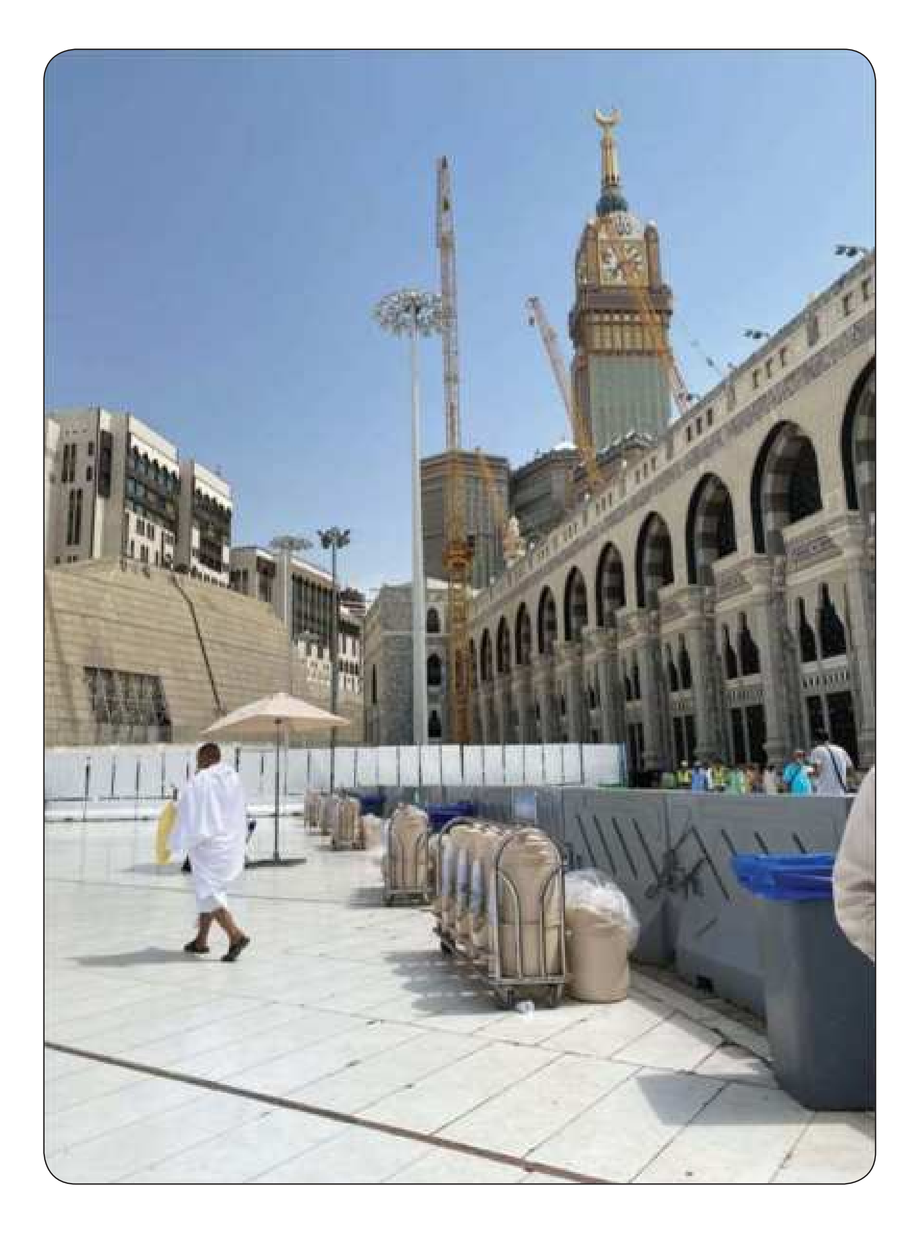
الصورة رقم (٢٧): مقر مكتبة مكة الكرمة شمال شرق الحرم عام (١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م)



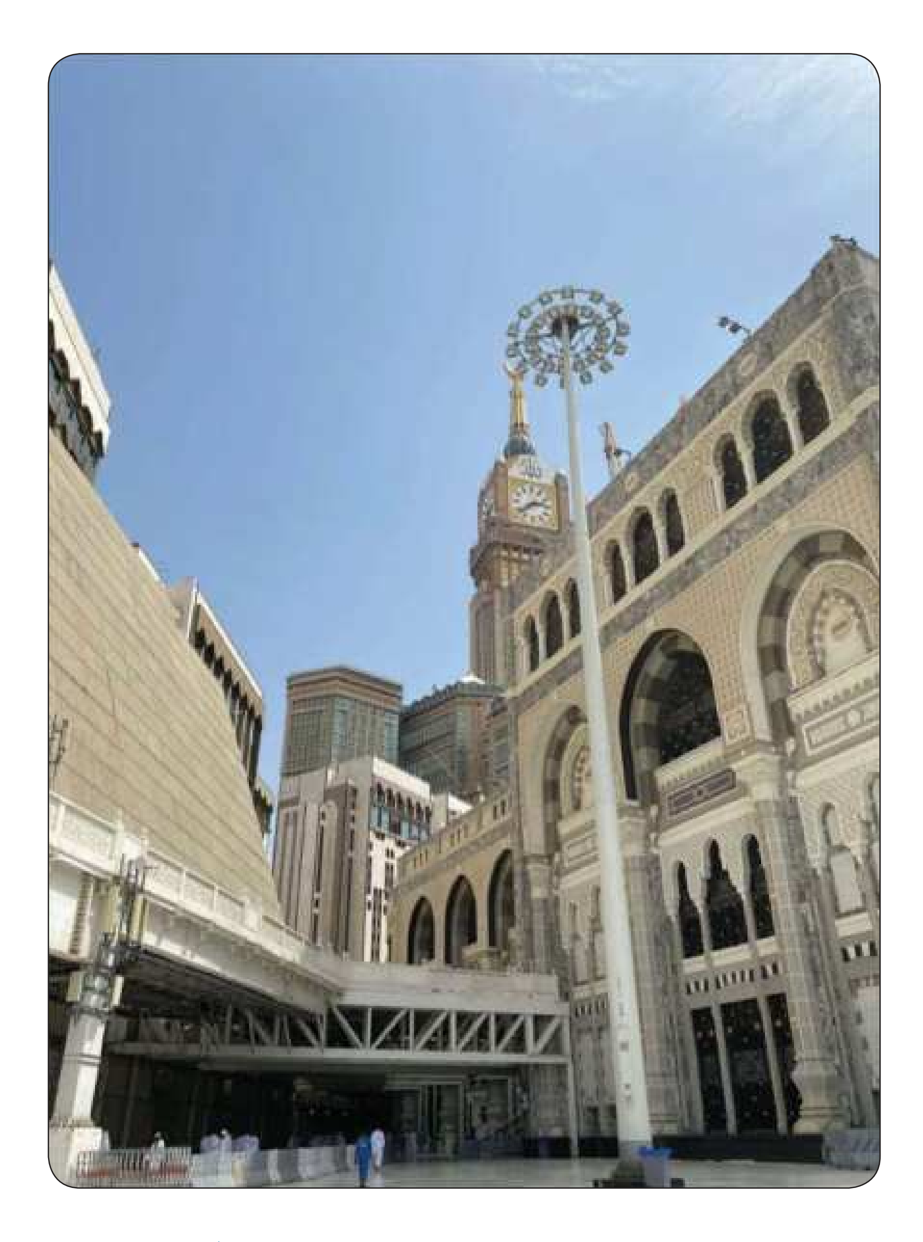
الصورة رقم (٢٨): طرف للمسجد الحرام من جهة المروة
عام (١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٢٩): جزء من شارع أم القرى تجاه طريق جدة السريع
عام (١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٣٠): الجزء الشرقي من الحرم المكي عام (١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٣١): طرف المسجد الحرام من جهة الصفا ويظهر في الخلف جزء من برج الساعة عام (١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٣٢): تقاطع شارع أم القرى مع الدائري الثالث في مكة عام (١٤٤٣هـ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٣٣): طرف من جسر جمرة العقبة الكبرى في من عام (١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٣٤): جزء من أسفل منى وتظهر بعض أبنية الحجاج متعددة الأدوار عام (١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٣٥): جسر جمرة العقبة الكبرى عام (١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٣٦): أحد واجهات مسجد الخيف بمنى
عام (١٤٤٣هـ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٣٧): منظر لجزء من مشعر منى ومسجد الخيف
عام (١٤٤٣هـ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٣٨): مسجد المشعر الحرام في مزدلفة
عام (١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٣٩): أحد الطرق والجسور الرئيسية في منى
عام (١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٤٠): أحد الجبال المطلة على مشعر مزدلفة من الناحية الغربية
عام (١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٤١): بداية طريق المشاة من مزدلفة الى عرفات
عام (١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٤٢): أحد الجبال المطلة على مزدلفة من الناحية الشرقية عام (١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٤٣): مدخل عرفة من مزدلفة عام (١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٤٤): طرف من مسجد نمرة بعرفة
عام (١٤٤٣هـ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٤٥): وادي نمرة مع أحد الجبال المطلة علية
عام (١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٤٦): جانب من جبل الرحمة بعرفة
عام (١٤٤٣هـ -٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٤٧): أحد الطرق الرئيسية القريبة من جبل الرحمة
عام (١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٤٨): طرف آخر لمسجد نمرة
عام (١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٤٩): أحد جوانب مكتبة الملك عبدالله بجامعة أم القرى
عام (١٤٤٤هـ -٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٥٠): أحد مداخل جامعة أم القرى
عام (١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٥١): مدخل آخر لجامعة أم القرى
عام (١٤٤٣هـ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٥٢): أحد الشوارع الرئيسية في حي العوالي وفي آخره يظهر جبل ثور عام (١٤٤٤هـ -٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٥٣): واجهة مسجد الراجحي وبعض الأبنية المجاورة بحي النسيم في مكة عام (١٤٤٤هـ-٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٥٤): مقر مركز تاريخ مكة في حي النسيم عام (١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٥٥): الجهة الجنوبية لجبل ثور (١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٥٦): أحد الشوارع السريعة في حي بطحاء قريش
عام (١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٥٧): طرف من حي بطحاء قريش
عام (١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٥٨): مدخل المعهد الثانوي الصناعي في مخطط ولي العهد عام (١٤٤٤هـ - ٢٠٠٢م)



الصورة رقم (٥٩): مبني المستشفى السعودي الالماني في مخطط ولي العهد بمكة عام (١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٦٠): زقاق في حي المسفلة يؤدي الى أحد مرتفعات الحي (جبل ابوشدادين) لعام (١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٦١): زقاق اخر في حي المسفلة وبه أسواق قديمة للحي عام (١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٦٢): زقاق آخر في حي المسفلة (الكنكارية)
عام (١٤٤٣هـ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٦٣): سوق المسفلة التجاري في عشرينيات هذا القرن (١٥هـ ٢١م)،
وحاليا (١٤٤٣هـ) مواقف سيارات



الصورة رقم (٦٤): أحد الأحياء الشعبية بمكة وإلى جانبه عمارات حديثة
عام (١٤٤٤هـ -٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٦٥): مسجد البيعة بعد الجمرة الكبرى
عام (١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٦٦): مقر الجمرة الكبرى وما حولها
عام (١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٦٧): جزء من مواقف السيارات في حي كدي
عام (١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٦٨): أحد المساجد في حي الهجرة
عام (١٤٤٣هـ-٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٦٩): أرضية إحدى الحدائق المزالة في حي المسفلة عام (١٤٤٤هـ
٢٠٢٢م)، ويظهر يمين الصورة بعض الأشجار المحيطة ببركة ماجل التاريخية



الصورة رقم (٧٠): أحد الشوارع مع بعض الأبنية الكبيرة في حي المسفلة عام (١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٧١): مبنى تحت الإنشاء للتأمينات الاجتماعية في مكة بمخطط ولي العهد رقم (٥) عام (١٤٤٤هـ /٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٧٢): شارع في حي المسفلة يتجه نحو حارة المسيال
عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٧٣): أحد الحارات القديمة في حي المطبعة
عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٧٤): جزء من حي النكاسة بعد إزالته
عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٧٥): أحد الطرق في حي الرصيفة وعلى مقربة منه
محطة قطار الحرمين بمكة عام (١٤٤٣ هـ / ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٧٦): أحد الشوارع القديمة الذي يربط بين حي النزهة والرصيفة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٧٧): أحد الجوامع في حي الإسكان (الملك فهد) بمكة عام (١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٧٨): مدخل حي الملاوي بمكة
عام (١٤٤٣هـ /٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٧٩): بعض العمارات الكبيرة في حي المعابدة
عام (١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٨٠): مسجد الجن ومن حوله بعض الأبنية العالية في حي الحجون بمكة
عام (١٤٤٣هـ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٨١): طرف من حي السليمانية بمكة
عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٨٢): بداية حي المعابدة في مكة المكرمة عام (١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٨٣): بعض الأحياء القديمة غرب الحرم المكي وتعرف بجبل الشراشف ودحلة الولايا وغيرها عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٨٤): طرف آخر لجبل الشراشف ودحلة الولايا وغيرها في مكة عام (١٤٤٣هـ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٨٥): أحد الأسواق الحديثة في مكة عام (١٤٤٤هـ /٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٨٦): أحد الجوامع في حي العزيزية
عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٨٧): طرف من مسجد الشيخ عبدالعزيز بن باز في العزيزية
بمكة عام (١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٨٨): الشارع العام بحي الششة المؤدي لشارع العزيزية الرئيسي عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢ م)



الصورة رقم (٨٩): بداية طريق المسيال من الناحية الجنوبية المجاورة للطريق الدائري الثاني، وحاليا طريق مشاة يربط المسفلة بالحرم عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٩٠): مدينة الملك عبدالعزيز الرياضية في حي الشرائع بمكة عام (١٤٤٣هـ /٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٩١): أحد الشوارع الرئيسية في الشرائع بمكة عام (١٤٤٤ هـ /٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٩٢): طرف من حي العكيشية الشعبي بمكة
عام (١٤٤٣ هـ / ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٩٣): مقر غرفة مكة التجارية
عام (١٤٤٤ هـ / ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٩٤): نموذج من العمارة الحديثة في مكة
عام (١٤٤٣هـ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٩٥): طرف من مواقف الزايدي العامة في مكة
عام (١٤٤٣ هـ / ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٩٦): واجهة مقر رابطة العالم الاسلام بمكة
عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٩٧): منظر لمسجد عائشة في حي التنعيم بمكة
عام (١٤٤٤ / ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٩٨): بوابة نادي الوحدة الرياضي بمكة
عام (١٤٤٣هـ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٩٩): مقر المكتب التعاوني لدعوة الجاليات في التنعيم بمكة
عام (١٤٤٣ هـ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٠٠): مدخل مستشفى حراء العام
عام (١٤٤٤/٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٠١): طرف من المدينة الصناعية في حي التنعيم بمكة
عام (١٤٤٣هـ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٠٢): مسجد جامعة أم القرى من الداخل
عام (١٤٤٣هـ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٠٣): تقاطع طريق مكة جدة السريع مع الدائري الرابع بمدينة
مكة عام (١٤٤٤هـ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٠٤): منظر جمالي على الطريق السريع الداخل الى مكة من جهة جدة عام (١٤٤٣هـ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٠٥): نهاية حد الحرم على الطريق السريع الذاهب من مكة الى جدة عام (١٤٤٣هـ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٠٦): الطريق السريع الذي يربط مطار جدة الدولي بما حوله عام (١٤٤٤ هـ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٠٧): طريق مكة الطائف مرورا بحي العوالي عام (١٤٤٤هـ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٠٨): جزء من صالات مطار جدة الدولي ومرافق أخرى عام (١٤٤٣هـ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٠٩): مدارس الفلاح بمكة المكرمة عام (١٤٤٤هـ /٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١١٠): منطقة كيلو عشرة جنوب مكة، على طريق مكة -الليث وبها اليوم محطة وقود تضم العديد من الخدمات التموينية لعام (١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١١١): حراج الماشية بمنطقة كيلو عشرة جنوب مكة عام (١٤٤٤هـ ٢٠٢٢م)، ويظهر أعلى يسار الصورة تكملة لمشروع حراج الماشية لم يكتمل



الصورة رقم (١١٢): منطقة برية في كيلو عشرة وأمام حراج الماشية يتخذها المكيين منتزهًا بريًا لهم في أيام العطل الدراسية وأيام الربيع عام (١٤٤٤هـ /٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١١٣): مدينة الملك عبد الله الطبية بدقم الوبر عام (١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١١٤): مستشفى الولادة والأطفال بدقم الوبر
عام (١٤٤٤هـ ٢٠٢٢م)



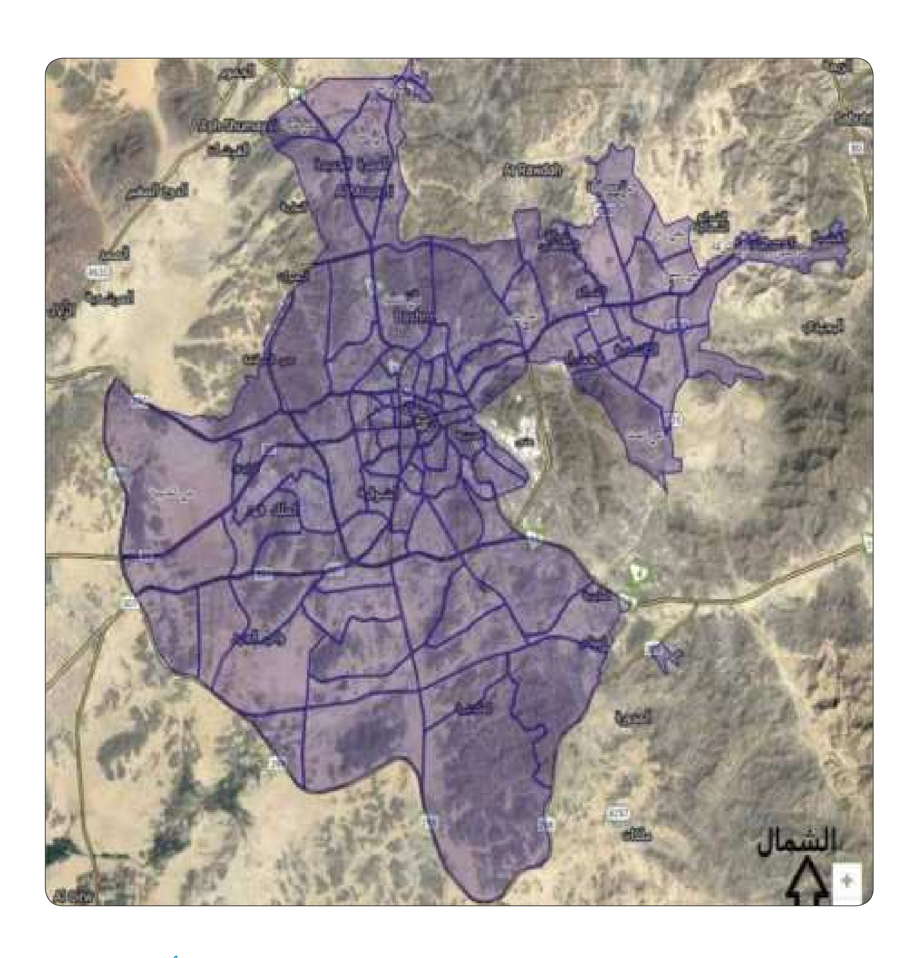
الصورة رقم (١١٥): مستشفى القوات المسلحة بدقم الوبر
عام (١٤٤٤هـ /٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١١٦): مستشفى النور التخصصي شرق جبل ثور
عام (١٤٤٤هـ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١١٧): سوق الضيافة غرب مكة المكرمة
لعام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١١٨): مشهد جوي يظهر به الحدود الإدارية المعتمدة لأحياء مكة المكرمة من أربعة جهات لعام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١١٩): سوق الضيافة غرب مكة المكرمة من الداخل لعام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٢٠): سوق مكة مول بشرق مكة المكرمة من الخارج لعام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٢١): سوق مكة مول بشرق مكة المكرمة من الداخل لعام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٢٢): سوق الحجاز بغرب مكة المكرمة من الخارج لعام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٢٣): سوق الحجاز من الداخل لعام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٢٤): سوق ذي المجاز بالعزيزية شرق مكة المكرمة وفي جزء منه أسواق الهدايا سنتر لعام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)



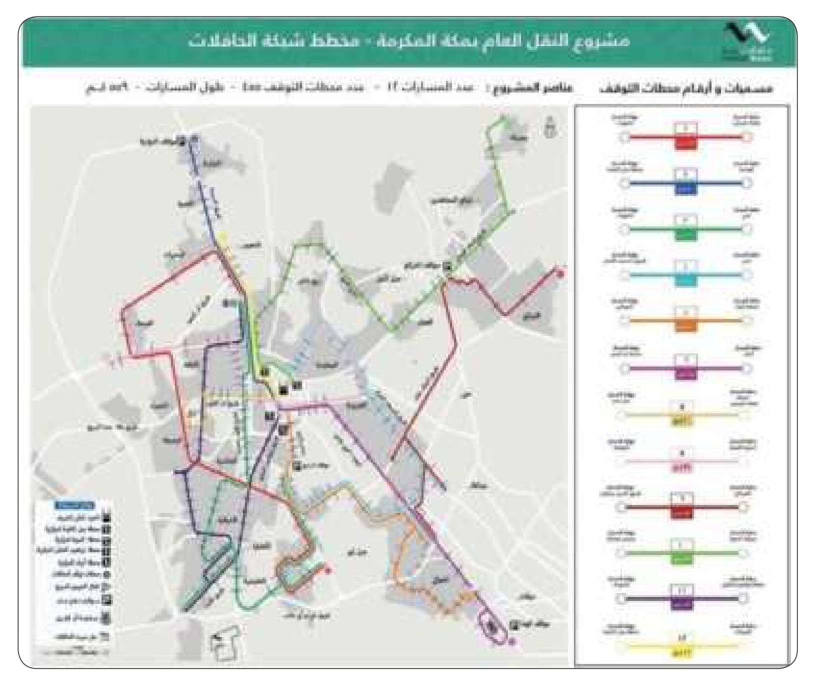
الصورة رقم (١٢٥): حي المسفلة قبل الإزالة لعام (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٢٦): حي المسفلة بعد الإزالة لعام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٢٧): إحدى محطات مشروع النقل العام بمكة المكرمة لعام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٢٨): مخطط لشبكة النقل العام بمكة المكرمة لعام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٢٩): مشهد جوي لضاحية الشرائع شرق مكة المكرمة لعام (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)



الصورة رقم (١٣٠): مشهد جوي لضاحية الشرائع شرق مكة المكرمة لعام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٣١): مشهد جوي لمخططات العمرة شمال مكة المكرمة لعام (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)



الصورة رقم (١٣٢): مشهد جوي لمخططات العمرة والنورية شمال مكة المكرمة لعام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)، ويفصل بينها اليوم الطريق الدائري الرابع



الصورة رقم (١٣٣): مشهد جوي لحي الزايدي والمناطق المحيطة به غرب مكة المكرمة لعام (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)



الصورة رقم (١٣٤): مشهد جوي لحي الزايدي والمناطق المحيطة به غرب مكة المكرمة لعام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٣٥): مشهد جوي لأحياء جنوب مكة المكرمة: الكعكية – الشوقية – المحمدية - السبهاني- بطحاء قريش، لعام (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)



الصورة رقم (١٣٦): مشهد جوي لأحياء جنوب مكة المكرمة: الكعكية – الشوقية – المحمدية - السبهاني- بطحاء قريش، لعام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٣٧): سوق الواحة التجاري في حي الكعكية لم يتم افتتاحه حتى تاريخ التقاط الصورة لعام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٣٨): الطريق المؤدي إلى العزيزية للقادم من الطائف (الهدا) لعام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٣٩): احدى طرق حي العزيزية للقادم من الطائف (الهدا) والمتجه للحرم المكي الشريف لعام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٤٠): الطريق الدائري الرابع للقادم من جدة والمتجه لبطحاء قريش -العوالي- الطائف لعام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)، ويظهر في واجهة الصورة جبل ثور من جهته الغربية



الصورة رقم (١٤١): الطريق الدائري الثالث للقادم من حي العزيزية والمتجه إلى غرب مكة المكرمة لعام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٤٢): سوق الجروشي مول بحي الرصيفة لعام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)، ويضم بداخله مكتبًا للأحوال المدنية والبريد السعودي



الصورة رقم (١٤٣): متحف مكة المكرمة للآثار والتراث لعام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٤٤): حي النكاسة (التقوى) لعام (١٤٣٢هـ/٢٠١٢م)



الصورة رقم (١٤٥): حي النكاسة (التقوى) لعام (١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)، وبعد الإزالة



الصورة رقم (١٤٦): منظر جوي لمشروع الجمرات في بداية تنفيذه عام (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٤م)



الصورة رقم (١٤٧): صورة للجمرات عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م) بعد أكتمال تشييدها



الصورة رقم (١٤٨): منظر لجبل الرحمة عام (١٤١٩هـ/ ٢٠٢٠م)



الصورة رقم (١٤٩): صورة للمؤلف يتصفح بعض معروضات متجر «قبلة الدنيا» أثناء إحدى جولاته الميدانية المكية لعام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٥٠): صورة للمؤلف أثناء رصده وتوثيقه جزء من توسعة الملك عبد الله للحرم المكي الشريف لعام (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٥١): صورة للمؤلف أثناء رصده وتوثيقه لبعض المقابلات الشخصية المكية بمكتبة الشريف إبراهيم الهاشمي عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (١٥٢): صورة للمؤلف وعلى يمين الصورة الأستاذ ناصر العمَاري الشريف، أثناء إحدى الجولات المكية لموقع حجز سيارات حجاج البر (غرب مكة) لعام ١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م)



القسم الخامس

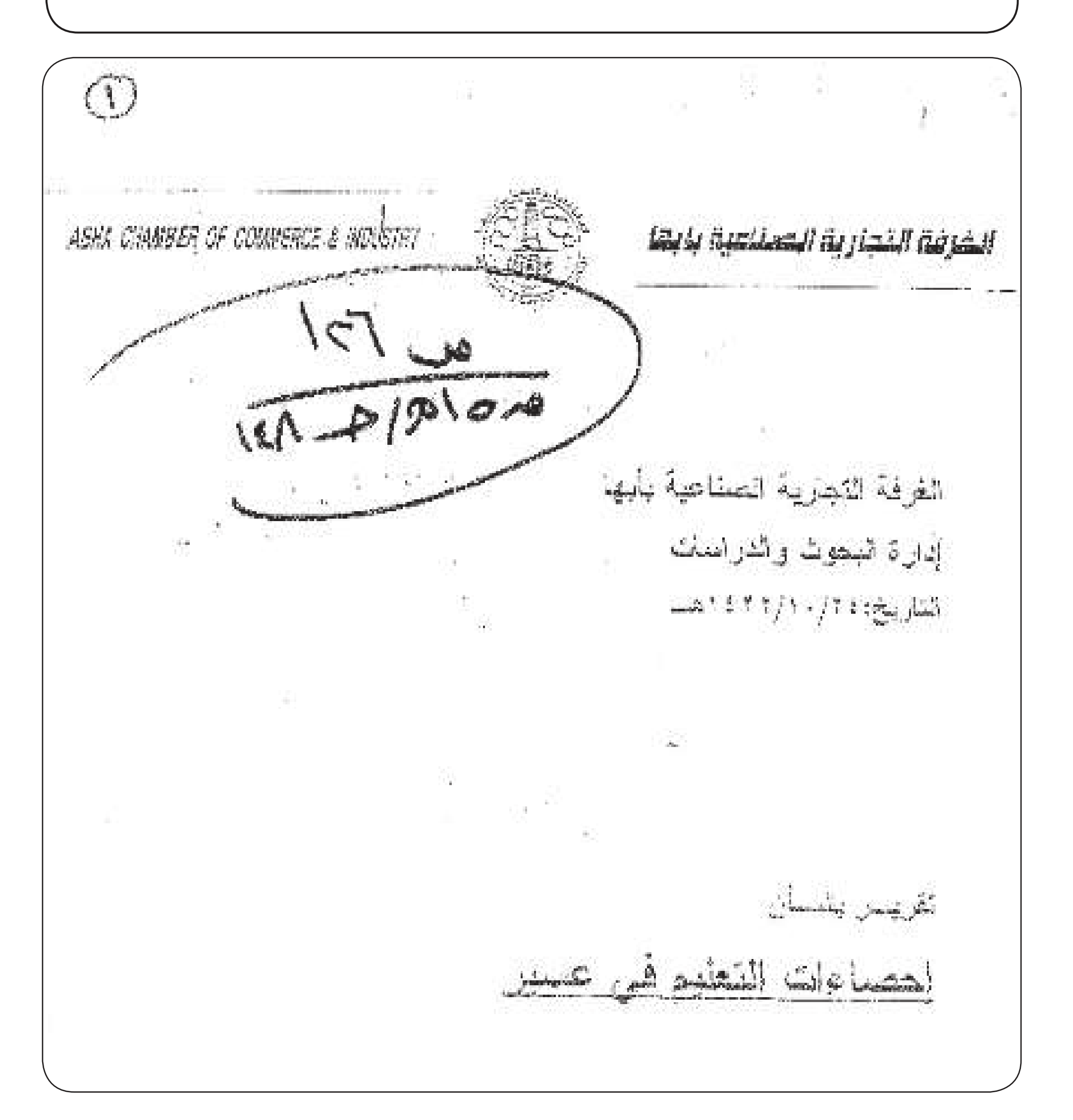
ملاحِق الكتاب العامة

أولاً : ملحق الوثائق

ثانياً : سيرة ذاتية مختصرة

أولاً : ملحــق الوثائــق

ملحـق رقـم (١) : وثائق لها صلة بجمع مادة علمية عن تاريخ التعليم العام والعالي في منطقــة عسير منذ نهاية القرن الهجري الماضي إلى بدايــة العشرينيات من هذا القرن (١٥هـ / ٢١م). **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة .**



(١)

ASHA CHAMBER OF COMMERCE & INDUSTRY

الغرفة التجارية الصناعية بأبها

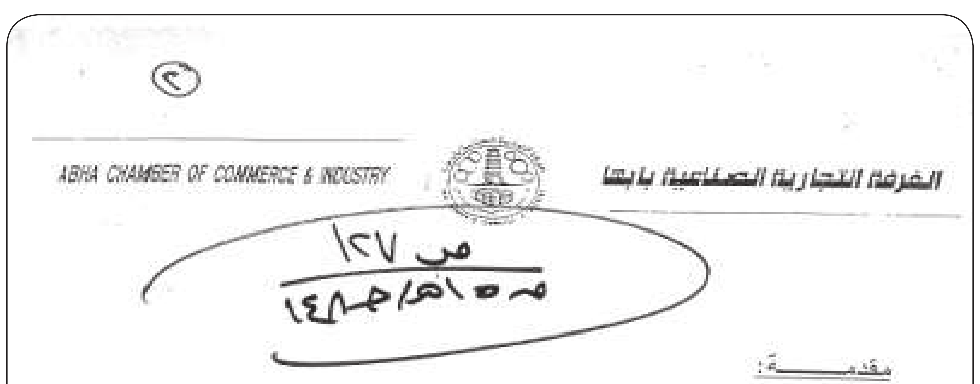
ص ١٢٦
١٤٢٨/١٥/هـ

الغرفة التجارية الصناعية بأبها
إدارة البحوث والدراسات
التاريخ: ٢٤/١٠/١٤٢٢هـ

تقرير بشأن

إحصاءات التعليم في عسير

تابع ملحق رقم (١):


الغرفة التجارية الصناعية بأبها
ABHA CHAMBER OF COMMERCE & INDUSTRY
ص ١٢٧

مقدمـــــة:

في إطار سعي الغرفة لتوفير إحصاءات عن التعليم في عسير للمرحلـــة الثانوية والجامعية تم مخاطبة الجهات المعنية في عسير حيث توفـــرت الإحصاءات التي نعرضها فيما يلي:

أولاً: أعداد الطلاب بالصف الثالث الثانوي لجميع التخصصات بمنطقة عسير:

١٤٢١/١٤٢٢هـ	١٤٢٢/١٤٢٣هـ
٩٦٤٨	١٠٧٦٨

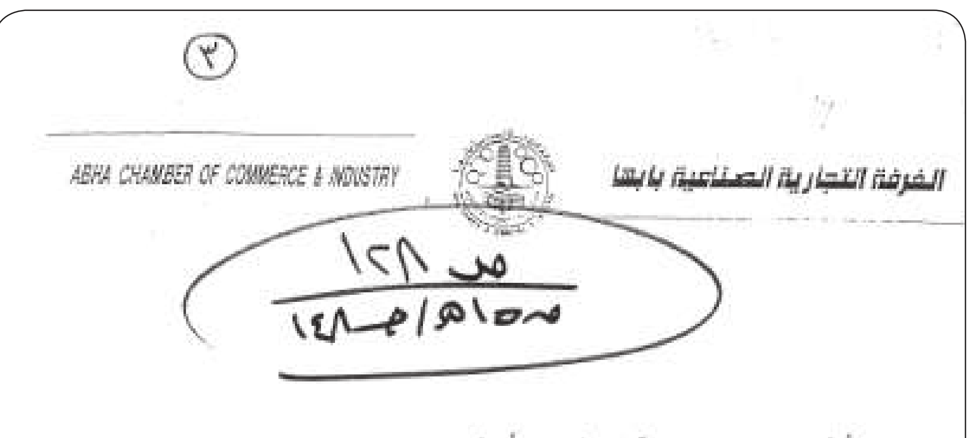
ثانياً: أعداد الطالبات بالصف الثالث الثانوي لجميع التخصصات بمنطقة عسير:

١٤٢١/١٤٢٢هـ	١٤٢٢/١٤٢٣هـ
٦٩٣٧	٨٢٨٣

ثالثاً: أعداد الطلاب بالكلية التقنية بأبها:

١٤٢٢/١٤٢٣هـ	١٤٢٣/١٤٢٤هـ
الفصل الأول: ١٧٨٩	الفصل الأول: ٢٥٩٠
الفصل الثاني: ٢١٩٠	الفصل الثاني: ٢٩٩٠
معدل الخريجين في كل فصل: ٤٠٠	معدل المقبولين في كل فصل: ٦٠٠

تابع ملحق رقم (١):



رابعاً: أعداد الطلاب بكلية المعلمين بأبها:

١٤٢٣/١٤٢٢هـ	١٤٢٤/١٤٢٣هـ
١٩٣٠	-
ـ	القدرة الإستيعابية: ٣٠٠-٣٨٠

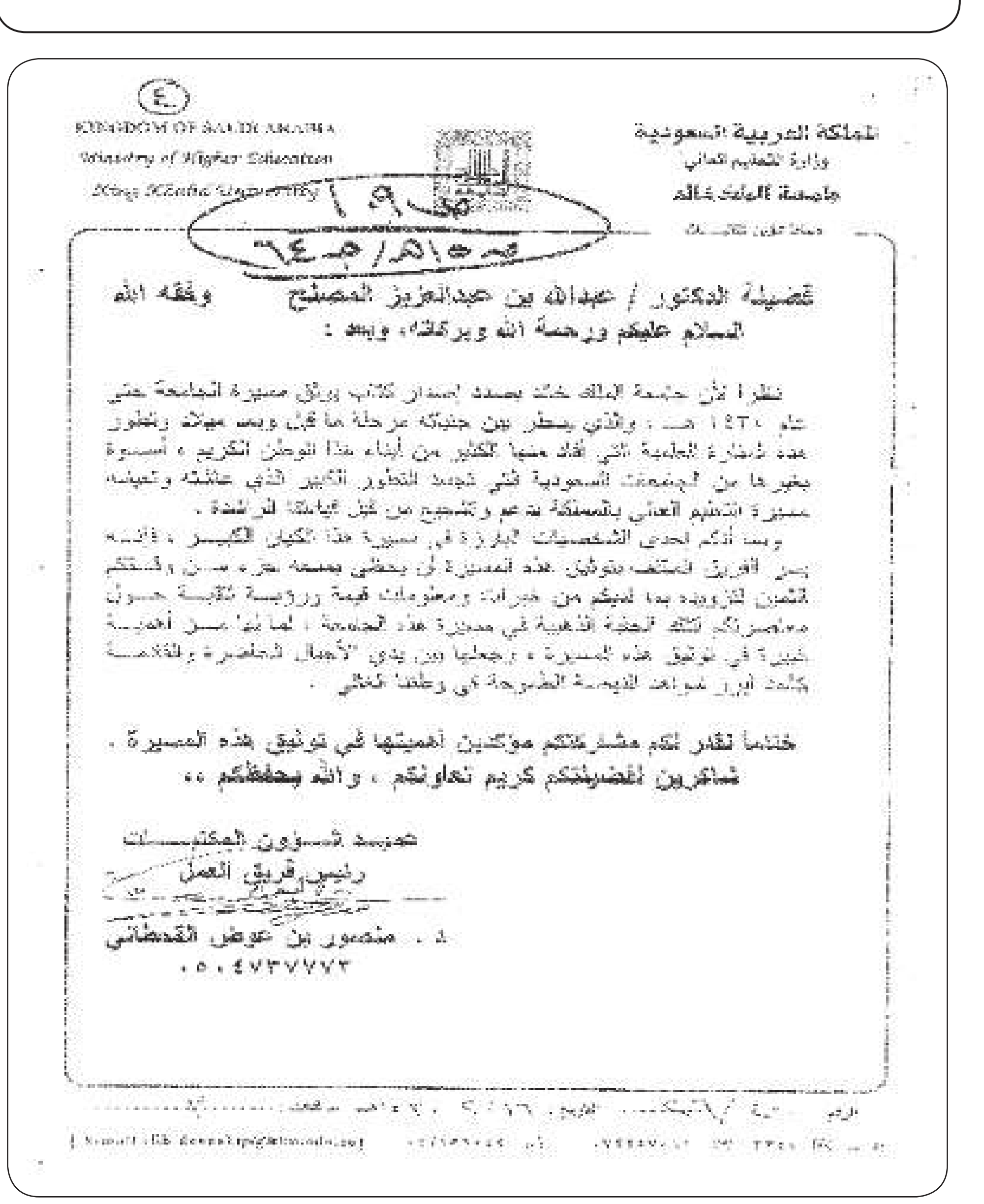
خامساً: أعداد الطالبات بكليات التربية للبنات بأبها:

١٤٢٣/١٤٢٢هـ	١٤٢٤/١٤٢٣هـ
١٢٥٦٨	-

سادساً: أعداد الطلاب بجامعة الملك خالد:

١٤٢٢/١٤٢١هـ	١٤٢٣/١٤٢٢هـ
المستجدين: ٢٩٩٠	-

تابع ملحق رقم (١):



KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry of Higher Education
King Khalid University

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك خالد
عمادة شؤون المكتبات

فضيلة الدكتور / عبدالله بن عبدالعزيز المصلح وفقه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد :

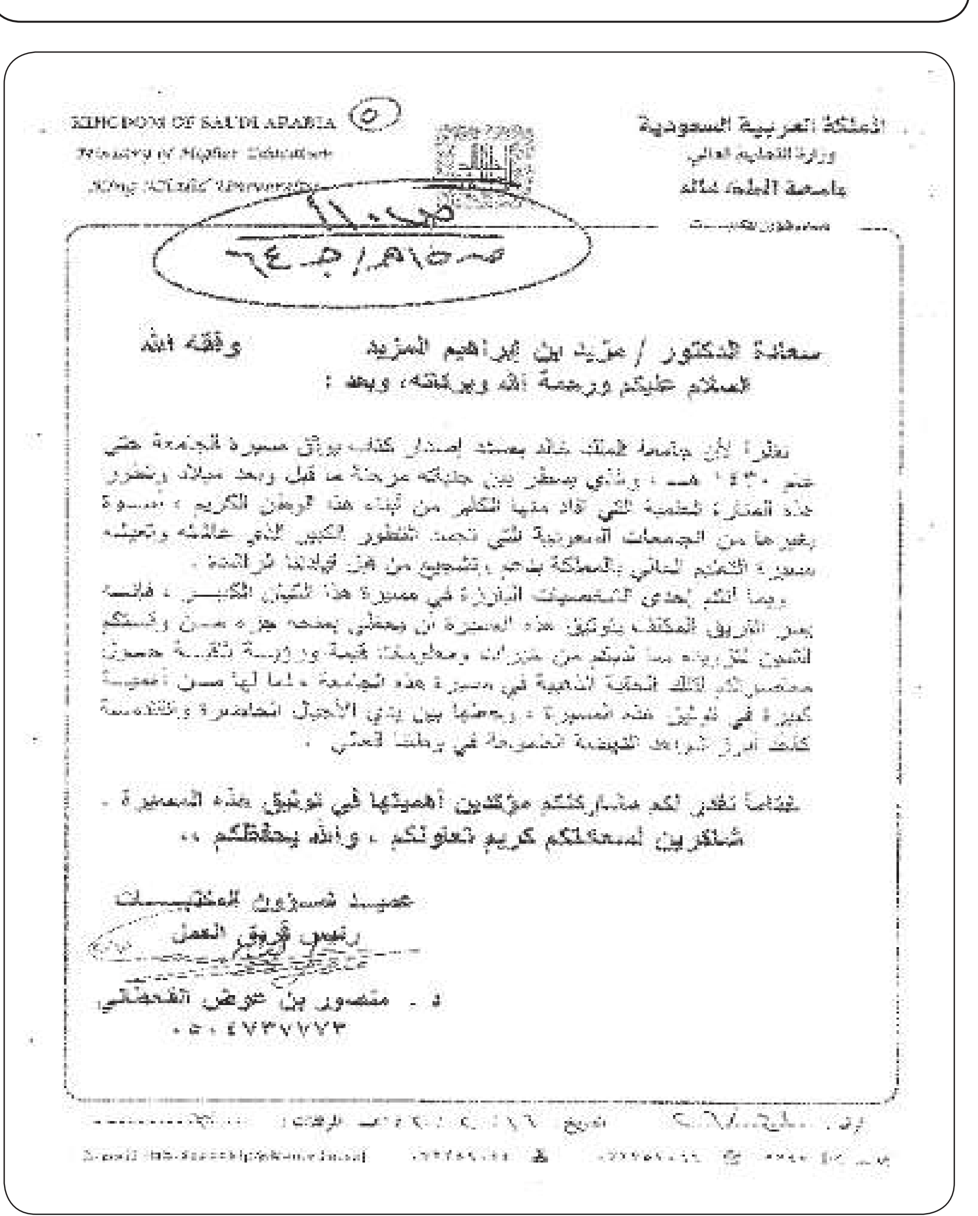
نظراً لأن جامعة الملك خالد بصدد إصدار كتاب يوثق مسيرة الجامعة حتى عام ١٤٣٠ هـ ، والذي يسطر بين جنباته مرحلة ما قبل وبعد ميلاد وتطور هذه المنارة العلمية التي أفاد منها الكثير من أبناء هذا الوطن الكريم ، أسوة بغيرها من الجامعات السعودية التي تجسد التطور الكبير الذي عاشته وتعيشه مسيرة التعليم العالي بالمملكة بدعم وتشجيع من قبل قيادتنا الرشيدة .

وبما أنكم إحدى الشخصيات البارزة في مسيرة هذا الكيان الكبير ، فإنه يسر الفريق المكلف بتوثيق هذه المسيرة أن يحظى بمساهمة [illegible] وقتكم الثمين لتزويده بما لديكم من خبرات ومعلومات قيمة ورؤية ثاقبة حول معاصرتكم لتلك الحقبة الذهبية في مسيرة هذه الجامعة ؛ لما لها من أهمية كبيرة في توثيق هذه المسيرة ، وجعلها بين يدي الأجيال الحاضرة واللاحقة كأحد أبرز المواقع التاريخية المطروحة في وطننا الغالي .

ختاماً نقدر لكم مشاركتكم مؤكدين أهميتها في توثيق هذه المسيرة ،
شاكرين لفضيلتكم كريم تعاونكم ، والله يحفظكم ..

عميد شؤون المكتبات
رئيس فريق العمل
د . منصور بن عوض القحطاني
٠٥٠٤٧٣٧٧٧٣

تابع ملحق رقم (١):



KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry of Higher Education
King Khalid University

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك خالد
عمادة شؤون المكتبات

سعادة الدكتور / عزيز بن إبراهيم المزيد وفقه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد :

نظراً لأن جامعة الملك خالد بصدد إصدار كتاب يوثق مسيرة الجامعة حتى عام ١٤٣٠هـ ، والذي يسطر بين جنباته مرحلة ما قبل وبعد ميلاد وتطور هذه المنارة العلمية التي قاد مديها الكثير من أبناء هذا الوطن الكريم ، أسوة بغيرها من الجامعات السعودية التي تجسد التطور الكبير الذي عاشته وتعيشه مسيرة التعليم العالي بالمملكة بدعم وتشجيع من لدن قيادتنا الرشيدة .

وبما أنكم إحدى الشخصيات البارزة في مسيرة هذا الكيان الكبير ، فإنه يسر الفريق المكلف بتوثيق هذه المسيرة أن يحظى بصفحة عزيزة من وقتكم الثمين لتزويده بما تجودون به من ذكرياتكم ومعلوماتكم القيمة ووثائق تاريخية تخص معاصرتكم لتلك الحقبة الذهبية في مسيرة هذه الجامعة ، لما لها من أهمية كبيرة في توثيق هذه المسيرة ، ووضعها بين يدي الأجيال الحاضرة والقادمة كأحد أبرز روافد النهضة التنموية في وطننا الغالي .

ختاماً نقدر لكم مشاركتكم مؤكدين أهميتها في توثيق هذه المسيرة .

شاكرين لسعادتكم كريم تعاونكم ، والله يحفظكم ،،

عميد شؤون المكتبات
رئيس فريق العمل
د . منصور بن عوض القحطاني
٠٥٠٤٧٣٧٧٧٣

ملحق رقم (٢) : نبذة مختصرة عن مراكز دراسات وبحوث في كليتي التربية والطب في أبهـا من نهاية القرن (١٤هـ / ٢٠م) حتى العشرينيات من هذا القرن (١٥هـ/٢١م)

المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة .



لمحة موجزة عن
مركز الدراسات العليا والتعليم الطبي المستمر

تقديم :

تضطلع مراكز وأقسام الدراسات العليا في مختلف الجامعات بدور أساسي في تهيئة البيئة العلمية المناسبة لطلاب الدراسات العليا وذلك بغرض زيادة معارفهم وتأهيلهم للحصول على الدرجات العلمية العليا في مجالات تخصصاتهم ، وبالتالي تحقيق أحد أهداف الجامعة في الرقي بالمستوى الأكاديمي والإعداد المعرفي والعلمي المتميز لأساتذتها ومنتسبيها.

نبذة تاريخية

بدأت بعض الجامعات السعودية كجامعة الملك سعود وجامعة الملك فيصل بإنشاء برامج دراسات عليا طبية في تخصصات مختلفة وذلك في عام ١٤٠١هـ ، بحيث يحصل المتدرب على شهادة الزمالة من نفس الجامعة . بعد ذلك استحدثت برامج الزمالة العربية الطبية في عام ١٤٠٥هـ والتي يشرف عليها المجلس العربي للتخصصات الطبية المنبثق عن جامعة الدول العربية . وفي ١٤١٣/٢/٦هـ صدر المرسوم الملكي رقم ٣/٣ القاضي بإنشاء الهيئة السعودية للتخصصات الصحية ، وبدأت في ممارسة مهامها اعتباراً من ١٤١٥/٣/١هـ وبذلك انضمت جميع الدراسات العليا الطبية بالمملكة تحت مظلة الهيئة السعودية للتخصصات الصحية.

ومن مهام الهيئة ما يلي :-

١- إقرار البرامج التدريبية في التخصصات الصحية.

٢- الاعتراف بالمؤسسات الصحية لأغراض التدريب وذلك في مختلف المؤسسات الصحية بالمملكة وتقرير مدى ملاءمتها من الناحية العملية والأكاديمية.

٣- عقد الامتحانات للزمالات المختلفة وإصدار الشهادات النهائية.

تابع ملحق رقم (٢):

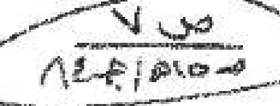


٤- تكوين المجالس العلمية لمختلف التخصصات الطبية، ويدير هذه المجالس أعضاء من هيئة التدريس من مختلف جامعات المملكة وتضم في عضويتها ممثلين عن كافة القطاعات الصحية الحكومية بالإضافة إلى القطاع الخاص.

٥- تنظيم وإصدار شهادات التصنيف المهني للكوادر الصحية بالمملكة.

٦- وضع أسس التعليم الطبي المستمر، وتقييم النشاطات والدورات المختلفة وإصدار ساعات تعليم طبي مستمر لكل دورة حيث أصبحت ضرورة لممارسة المهنة الصحية حسب لوائح محددة في الهيئة.

ويرجع هنا فإن للجامعات السعودية ممثلة بمراكز الدراسات العليا والتعليم الطبي المستمر والتابعة لكليات الطب تقوم بدور أساسي وفعال في إنشاء البرامج وإدارتها والقيام بالعملية التعليمية والتدريبية وذلك من قبل أعضاء هيئة التدريس بكليات الطب.

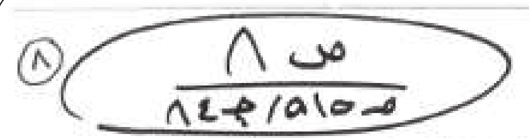


نشأة المركز:

شعوراً من المسؤولين في كلية الطب بأبها بالمسؤولية الملقاة على عواتقهم نحو مجتمعهم وأمتهم، فقد بادرت إدارة الكلية في عام ١٤١٠هـ بالتفكير في إنشاء مركز الدراسات العليا تحت إشرافها، وأوكل الإشراف إلى سعادة الدكتور / عبد الحميد بن عبد الله الوابل وكيل الكلية للشؤون السريرية آنذاك وبدأ المركز في نفس العام بإمكانيات متواضعة واعتمد بعد الله سبحانه وتعالى على الجهود الذاتية والتعاون المشترك من قبل أعضاء هيئة التدريس بكلية الطب بأبها، وبدأ بإنشاء برامج الدراسات العليا في تخصصات الطب الباطني، وطب الأطفال، والجراحة العامة وذلك في عام ١٤١٠هـ ومن ثم توالى إنشاء برامج أخرى حتى وصل العدد الإجمالي لها ثمانية برامج معتمدة في التخصصات التالية:

١ - الطب الباطني
٢ - الجراحة العامة
٣ - طب الأطفال
٤ - جراحة العظام
٥ - جراحة المسالك البولية
٦ - الأمراض الجلدية والتناسلية
٧ - طب الأسرة والمجتمع (برنامج مشترك)
٨ - جراحة الأنف والأذن والحنجرة

تابع ملحق رقم (٢):



ومع ازدياد أهمية الدراسات العليا والطلب على الانضمام إليها وخاصة أن هذه البرامج توفر التدريب اللازم للطبيب وتهيئه للحصول على شهادة الزمالة في التخصص الذي ينضم إليه دون تكبد أعباء الاغتراب والتكاليف المترتبة على ذلك سواء على مستوى الدولة أو الفرد في حالة ابتعاثه إلى خارج المملكة.

ونظراً لبروز التعليم الطبي المستمر كمجال هام في زيادة المعرفة والإطلاع على أحدث ما وصل إليه العلم في المجال الطبي ولأن هذا المجال أصبح من الضرورات القصوى بالنسبة للطبيب الممارس حيث أصبحت الهيئة السعودية للتخصصات الصحية تشترط الحصول على عدد ساعات تعليم طبي محدده قبل تجديد تصريح الممارسة المهنية للطبيب وغيره ممن يمارس العمل الصحي.

ولكل ذلك ولغيره من الأسباب فقد أضيف إلى المركز مهمة الإشراف على التعليم الطبي المستمر وتم وضع هيكلة تنظيمية وإدارية محددة لهذا المركز ليصبح المركز هو الجهة المخولة بالإشراف على برامج الدراسات العليا الطبية وبرامج التعليم الطبي المستمر.

وأصدر سعادة الأستاذ الدكتور/ سعيد بن علي أبو عشي عميد كلية الطب والعلوم الطبية قراراً بتاريخ ١٤٢٠/١١/٢٣هـ تم بموجبه إعادة تسمية المركز ليكون "مركز الدراسات العليا والتعليم الطبي المستمر" وتم تعيين سعادة الأستاذ الدكتور/ محمد بن عوض الحميدي مديراً له، وسعادة الدكتور/ سليمان بن محمد الحميد نائباً للمدير.

ومنذ ذلك الحين والمركز يسعى بخطى حثيثة لتحقيق أهدافه وأداء واجباته على كافة الأصعدة. وكونت المجالس التنفيذية لكل من الدراسات العليا والتعليم الطبي المستمر كل على حدة (فضلاً انظر الهيكل الإداري لمركز الدراسات العليا - المرفق)

تابع ملحق رقم (٢):

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك خالد
كلية الطب والعلوم الطبية

الرقم:
التاريخ:
المرفقات:

(٩)



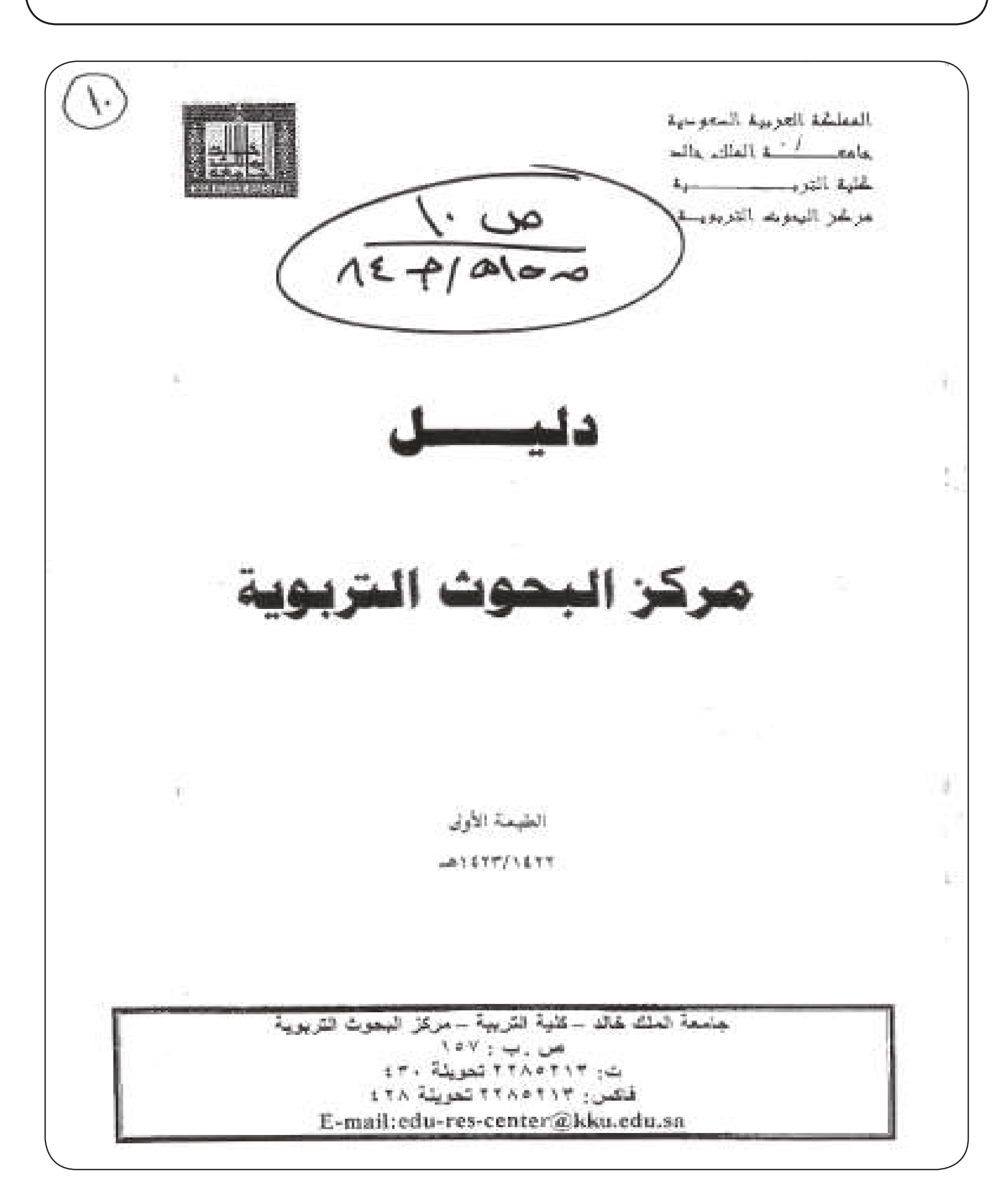
مركز البحوث بكلية الطب والعلوم الطبية - جامعة الملك خالد

أنشئ مركز البحوث في العام الجامعي ١٤٠٤ / ١٤٠٥هـ عندما كانت الكلية مرتبطة بجامعة الملك سعود، وفي عام ١٤٢١هـ تم تعيين مدير للمركز تحت مظلة جامعة الملك خالد.

يهدف المركز إلى الإشراف على الأبحاث العلمية ومساعدة الباحثين، كما يقوم علمياً بإجازة الأبحاث الطبية التجريبية من ناحية أخلاقيات البحث العلمي. وقد كانت لجنة من أعضاء هيئة التدريس بوضع نظام وأخلاقيات البحث العلمي في كتيب يمكن أن يستفيد منه الباحثون سواء من داخل الكلية أو من خارجها. ويوجد بالمركز سكرتير واحد، بنية تحتية مكتبية، مركز تصوير، بالإضافة إلى معمل خاص بالحيوانات لإجراء التجارب.

وقد بلغ عدد الأبحاث المنشورة من قبل أعضاء هيئة التدريس بكلية الطب منذ إنشاء المركز وحتى نهاية العام الدراسي ١٤٢٢/١٤٢٣هـ [١٣٦] تقريباً منها [٨] بحثاً نشرت في العام الجامعي ١٤٢٢/١٤٢٣هـ.

تابع ملحق رقم (٢):



(١٠)

المملكة العربية السعودية
جامعة الملك خالد
كلية التربية
مركز البحوث التربوية

ص ١٠
٥١٥هـ/م/٨٤

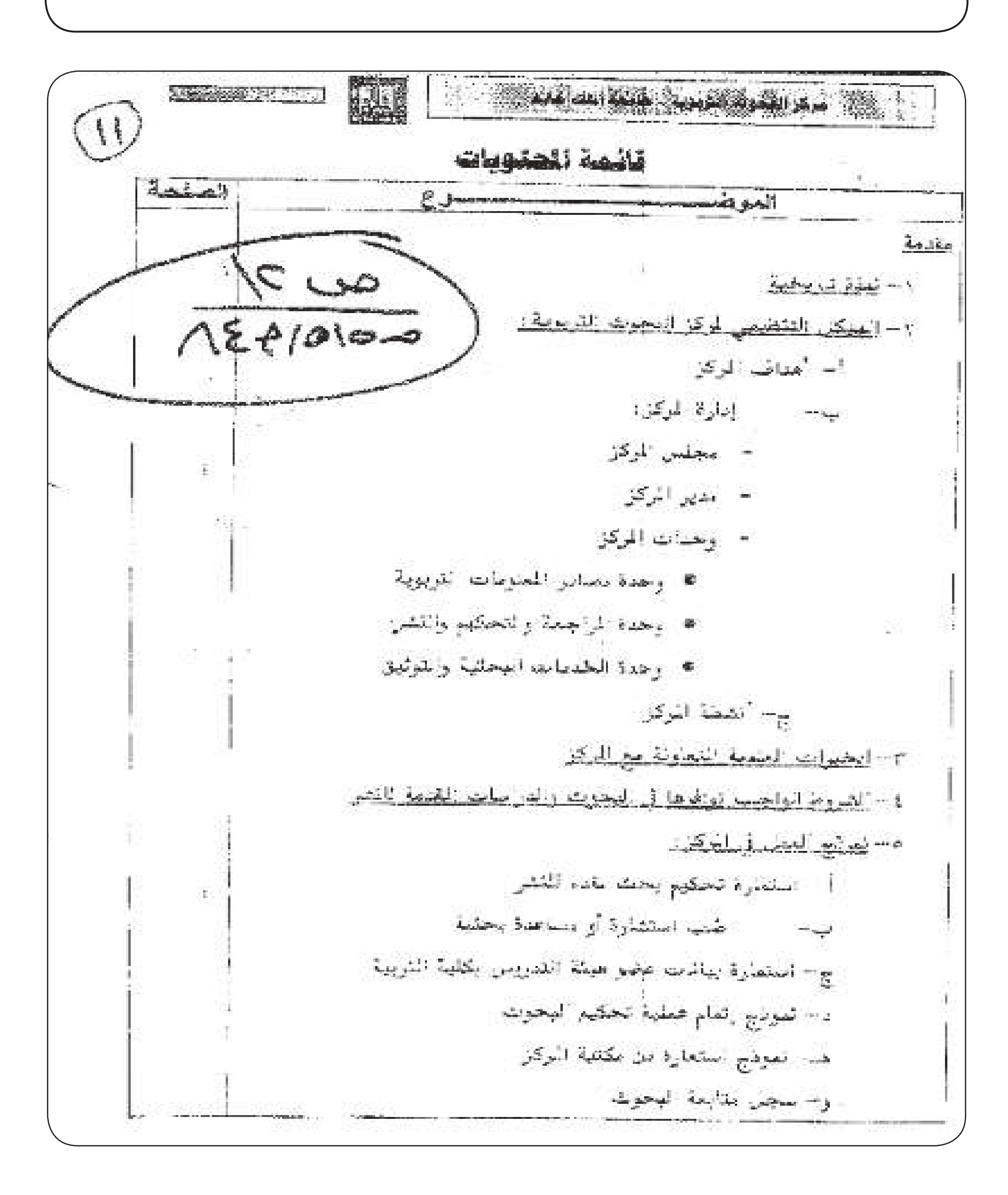
دليل

مركز البحوث التربوية

الطبعة الأولى
١٤٢٢/١٤٢٣هـ

جامعة الملك خالد – كلية التربية – مركز البحوث التربوية
ص.ب: ١٥٧
ت: ٢٢٨٥٢١٣ تحويلة ٤٣٠
فاكس: ٢٢٨٥٩١٣ تحويلة ٤٢٨
E-mail:edu-res-center@kku.edu.sa

تابع ملحق رقم (٢):

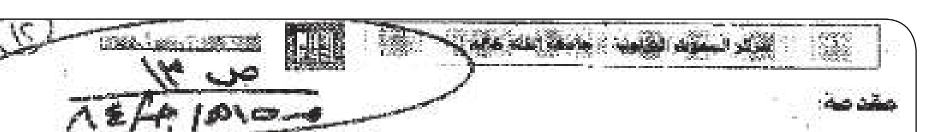

مركز البحوث التربوية - جامعة الملك فيصل

(١١)

ص ٢/
٨٤٤/٥/١٥هـ

قائمة المحتويات

تابع ملحق رقم (٢):



مقدمة:

نظراً للدور الحيوي الذي تقوم به مراكز البحوث وخاصة التربوية في تطوير الحلول العلمية والعملية للمشكلات التربوية التي تواجه المجتمع، إضافة إلى نقل التقنية في مجال التربية والتعليم وتطويعها لخدمة أغراض التنمية، وإدراكاً لدور الجامعة في خدمة المجتمع وأهمية التواصل بين مراكز البحوث بعضها البعض وبينها وبين مؤسسات المجتمع المختلفة وخاصة التربوية منها، وسعياً إلى تنشيط عملية الاتصال وتبادل المعلومات والاستفادة من الخبرات المتميزة في مجالات التربية، قام مركز البحوث التربوية بجامعة الملك خالد بإعداد هذا الدليل مرشداً ومعرفاً بأهداف المركز ومهامه وهيكله التنظيمي بما في ذلك وحدات المركز المختلفة ومهامها.

وحرصاً على التعريف بذوي الخبرات المتميزة المرتبطين بالمركز، فقد اشتمل هذا الدليل على بيان بأسماء وتخصصات واهتمامات الباحثين الذين يتعاونون مع المركز في مجالات التربية والإدارة التربوية وعلم النفس والمناهج وطرق التدريس وتقنيات التعليم وغيرها، والذين يمثلون أعضاء هيئة التدريس في كلية التربية بالجامعة.

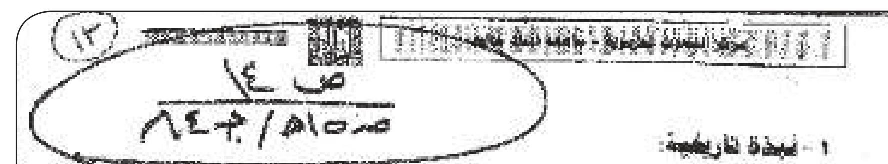
ويأمل مركز البحوث التربوية أن يساعد هذا الدليل على توافر ظروف أفضل للراغبين في إجراء البحوث العلمية في المجالات الإنسانية والتربوية لخدمة أهداف وتطلعات الجامعة من جهة والمشاركة في بناء صرح التربية والتعليم والإسهام في إنجاح خطط التنمية من جهة أخرى.

وعلى الله قصد السبيل، ومنه نستمد العون والتوفيق

مدير مركز البحوث التربوية

أ.د. محمد عبدالله آل ناجي

تابع ملحق رقم (٢):



١ - نبذة تاريخية:

يمتد تاريخ إنشاء مركز البحوث التربوية بجامعة الملك خالد إلى تاريخ إنشاء كلية التربية بجامعة الملك سعود فرع أبها عام ١٣٩٦هـ ، حيث تمثل هذه المرحلة الأولى للمركز.

وتأتي المرحلة الثانية في تاريخ المركز منذ إنشاء جامعة الملك خالد في عام ١٤١٩/١/٤هـ ، عندما صدر الأمر الملكي الكريم بضم فرعي جامعة الملك سعود وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في أبها لتكون الجامعة الثامنة بالمملكة ، وتم إطلاق اسم الملك خالد بن عبدالعزيز - يرحمه الله - على هذه الجامعة . وقد استفاد المركز من خبراته التراكمية السابقة خلال ما يقارب من ثلاثة عقود من الزمن ، تمكن خلالها من دعم ونشر عشرات الأبحاث العلمية التي تخدم قضايا المجتمع المحلية والعملية التربوية فيه والتي لها علاقة بأهداف التنمية .

وفي الوقت الحالي تم تعيين مدير مركز البحوث التربوية بجامعة الملك خالد وأعضاء مجلس إدارته على النحو التالي:

١- أ.د. محمد عبدالله آل ناجي من ١٤٢٦هـ - تاريخه   مدير المركز

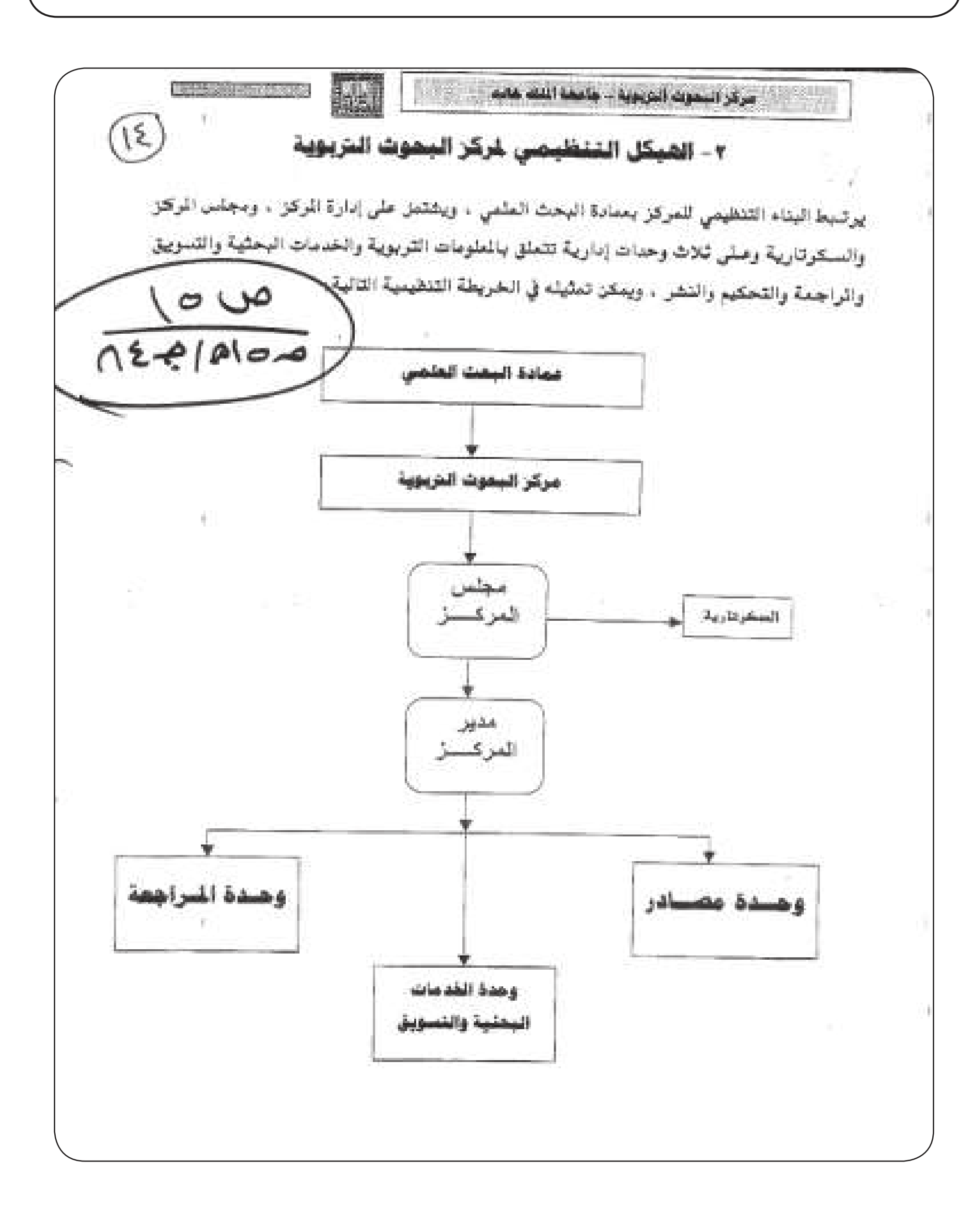
٢- أ.د. سعيد بن علي آل دافع من ١٤٢٣هـ - تاريخه   عضوا

٣- أ.د. الحسن بن محمد المغيدي من ١٤٢٣هـ - تاريخه   عضوا

٤- د. مبارك بن سعيد حمدان من ١٤٢٢هـ - تاريخه   عضوا

٥- د. الصديق عبدالله بن عبدالسلام من ١٤٢٢هـ - تاريخه   عضوا

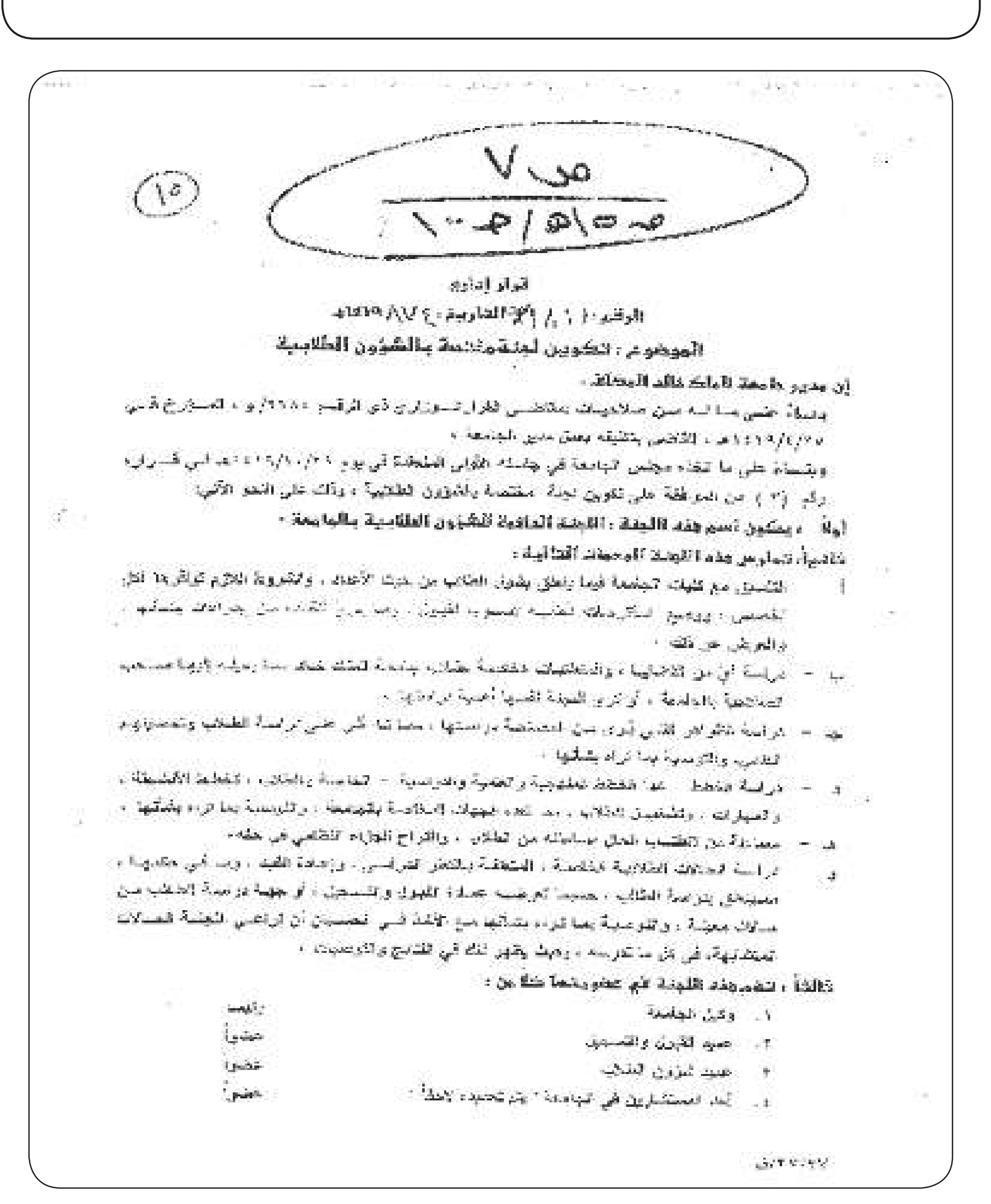
تابع ملحق رقم (٢):



٢- الهيكل التنظيمي لمركز البحوث التربوية

يرتبط البناء التنظيمي للمركز بعمادة البحث العلمي ، ويشتمل على إدارة المركز ، ومجلس المركز والسكرتارية وعلى ثلاث وحدات إدارية تتعلق بالمعلومات التربوية والخدمات البحثية والتسويق والمراجعة والتحكيم والنشر ، ويمكن تمثيله في الخريطة التنظيمية التالية:

<u>ملحـق رقـم (٣):</u> مجموعة وثائق متنوعـة توثق شذرات من تاريـخ التعليم العالي في منطقـة عسير (جامعة الملك خالـد أنموذج) من عام (١٤١٩هـ / ١٩٩٨م) إلى بداية الثلاثيـات من هذا القــرن (١٥هـ / ٢١م) . **<u>المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة</u>** .



(١٥)

ص٧

قرار إداري

الرقم: ... التاريخ: ... ١٤١٩هـ

الموضوع: تكوين لجنة مختصة بالشؤون الطلابية

إن مدير جامعة الملك خالد المكلف،

[illegible]

أولاً: يكون اسم هذه اللجنة: اللجنة الدائمة للشؤون الطلابية بالجامعة.

ثانياً: تمارس هذه اللجنة المهمات التالية:

أ - [illegible]

ب - [illegible]

جـ - [illegible]

د - [illegible]

هـ - [illegible]

و - [illegible]

ثالثاً: تتكون هذه اللجنة من عضوية كل من:

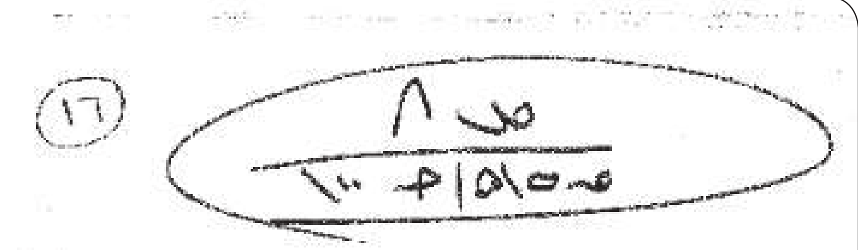
١ - وكيل الجامعة رئيساً

٢ - عميد القبول والتسجيل عضواً

٣ - عميد شؤون الطلاب عضواً

٤ - أحد المستشارين في الجامعة يتم تحديده لاحقاً عضواً

تابع ملحق رقم (٣):



٥. عميد الكلية التي يدرس بها الطالب في حال المساعدة وفي حال كون الموضوع المراد بحثه له علاقة مباشرة بكليته عضواً

وللجنة أن تستعين بمن تتطلب الحاجة الاستعانة به من خارجها في موضوع محدد من موضوعاتها.

رابعاً: مدة تكوين هذه اللجنة سنتان من تاريخ هذا القرار.

والله الموفق ...

مدير

أ. د. عبدالله بن محمد الراشد

صورة للكلية
صورة للسكرتيرة العامة
صورة لسكرتارية اللجان الدائمة
صورة لمدير عام الشؤون الإدارية والمالية للمكتب
صورة لعضو اللجنة ....
صورة للمعادة لتكون ....
صورة للإدارة للمراسلات والمحفوظات

تابع ملحق رقم (٣):



قرار إداري

إن وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي ،

بناء على الصلاحيات المخولة له وما تقتضيه مصلحة العمل :

يقرر ما يلي

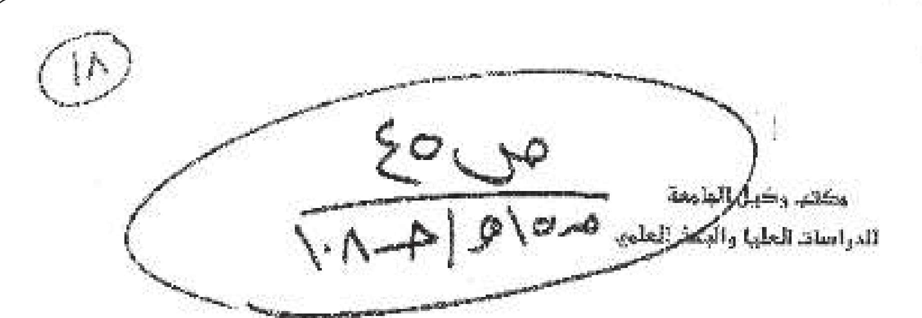
أولاً : تشكيل لجنة بمسمى " لجنة إنشاء قسم الحاسب الآلي " مكونة من المذكورين أدناه :

- د. محمد بن علي هيازع	عميد كلية العلوم	رئيساً
- د. علي بن الحجري أحمد	كلية العلوم	عضواً
- د. محمد بن ابراهيم عقيل	كلية العلوم	عضواً
- د. سعيد بن صالح القحطاني	كلية اللغة العربية والعلوم الإجتماعية والإدارية	عضواً

ثانياً : تكون مهمة اللجنة القيام بعمل الإعداد لبدء قسم الحاسب الآلي كقسم في كلية العلوم وإعداد الخطة الدراسية واستكمال الدراسات المتعلقة بالتجهيزات المادية والبشرية بالقسم وجمع المعلومات والخبرات اللازمة لهذا المشروع .

ثالثاً : مدة عمل هذه اللجنة ثلاثة أشهر من تاريخ صدور هذا القرار على أن تقدم الخطة الدراسية النهائية للجنة الدائمة للخطط والمناهج الدراسية في خلال شهر من تاريخه .

تابع ملحق رقم (٣):



١٨

ص ٤٥

مكتب وكيل الجامعة
للدراسات العليا والبحث العلمي

رابعاً: يبلغ هذا القرار لمن يلزم لتنفيذه.

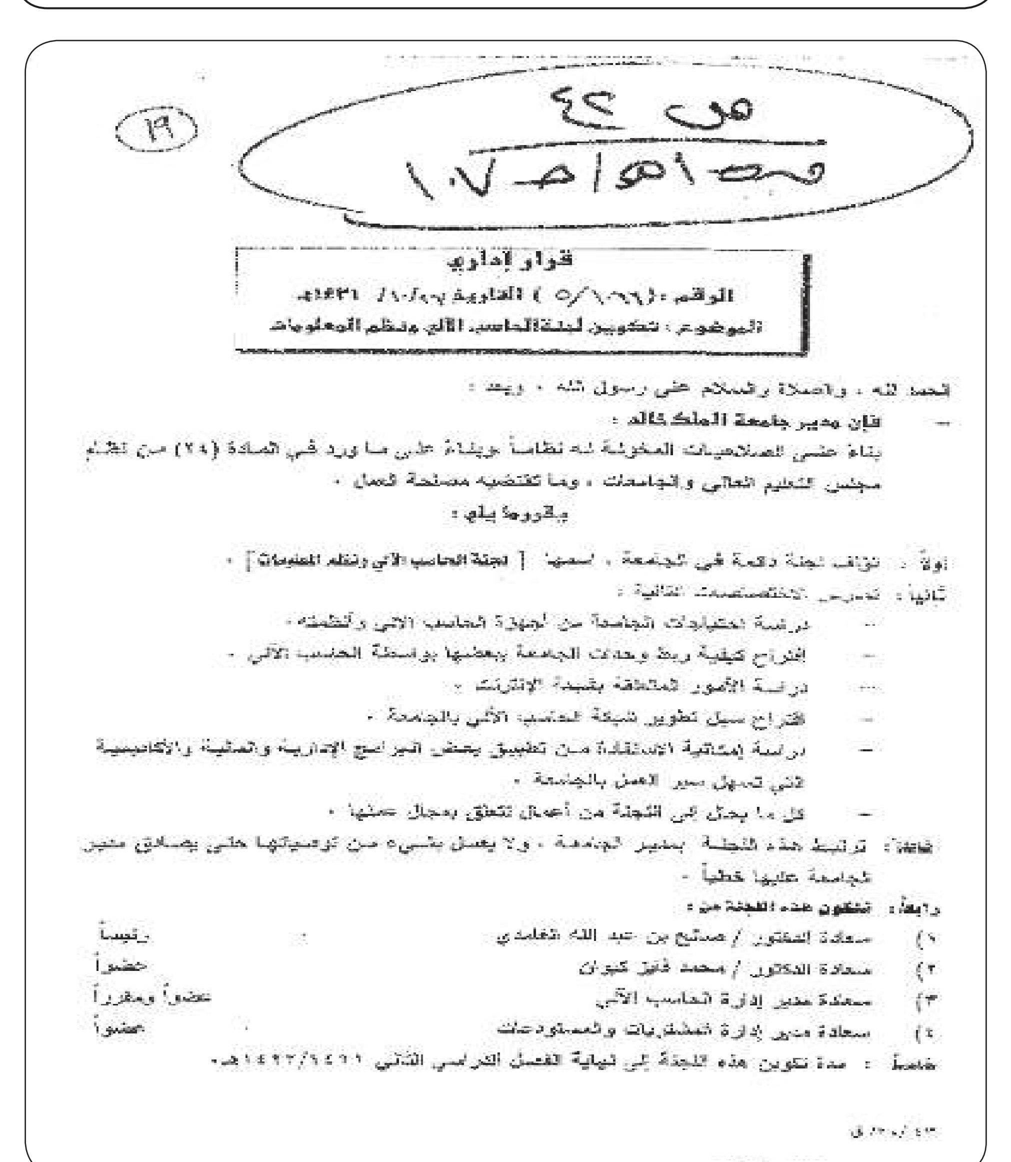
والله الموفق.

وكيل الجامعة
للدراسات العليا والبحث العلمي

أ.د. محمد بن يحيى [illegible]

صورة مع التحية:
- لمعالي الأستاذ الدكتور مدير الجامعة
لسعادة أعضاء اللجنة المذكورين
- الملف
- الصادر

تابع ملحق رقم (٣):



قرار إداري

الرقم: (٥/١٠٦٦) التاريخ ١٠/٠١/١٤٣١هـ

الموضوع: تكوين لجنة الحاسب الآلي ونظم المعلومات

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

– **فإن مدير جامعة الملك خالد:**

بناءً على الصلاحيات المخولة له نظاماً وبناءً على ما ورد في المادة (٢٤) من نظام مجلس التعليم العالي والجامعات، وما تقتضيه مصلحة العمل.

يقرر ما يلي:

أولاً: تؤلف لجنة دائمة في الجامعة، اسمها [**لجنة الحاسب الآلي ونظم المعلومات**].

ثانياً: تمارس الاختصاصات التالية:

– دراسة احتياجات الجامعة من أجهزة الحاسب الآلي وأنظمته.
– اقتراح كيفية ربط وحدات الجامعة ببعضها بواسطة الحاسب الآلي.
– دراسة الأمور المتعلقة بشبكة الإنترنت.
– اقتراح سبل تطوير شبكة الحاسب الآلي بالجامعة.
– دراسة إمكانية الاستفادة من تطبيق بعض البرامج الإدارية والمالية والأكاديمية التي تسهل سير العمل بالجامعة.
– كل ما يحال إلى اللجنة من أعمال تتعلق بمجال عملها.

ثالثاً: ترتبط هذه اللجنة بمدير الجامعة، ولا يعمل بشيء من توصياتها حتى يصادق مدير الجامعة عليها خطياً.

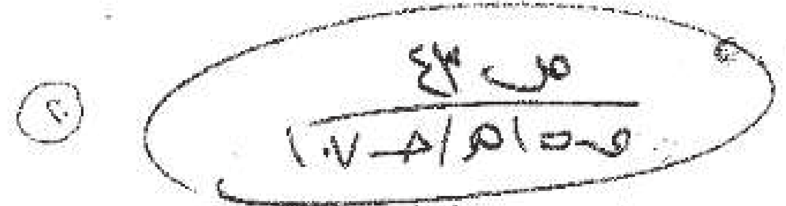
رابعاً: **تتكون هذه اللجنة من:**

١)	سعادة الدكتور / صالح بن عبد الله الغامدي	رئيساً
٢)	سعادة الدكتور / محمد فايز كيوان	عضواً
٣)	سعادة مدير إدارة الحاسب الآلي	عضواً ومقرراً
٤)	سعادة مدير إدارة المشتريات والمستودعات	عضواً

خامساً: مدة تكوين هذه اللجنة إلى نهاية الفصل الدراسي الثاني ١٤٣١/١٤٣٢هـ.

٤٣/٠٢/٠ ق

تابع ملحق رقم (٣):



سادساً : يعامل أعضاء هذه اللجنة مادياً وفقاً للأنظمة المتبعة في مثل هذه الحالات .

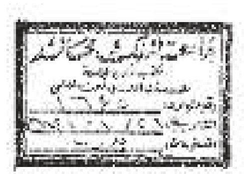
سابعاً : تثبت جميع اجتماعاتها محررة وموقعاً عليها من الحاضرين ، ومبيناً ما لأحد الأعضاء من وجهة نظر تخالف وجهة نظر الأغلبية .

ثامناً : يبلغ هذا القرار لمن يلزم إبلاغه من أعضائها ، وتباشر أعمالها فوراً .

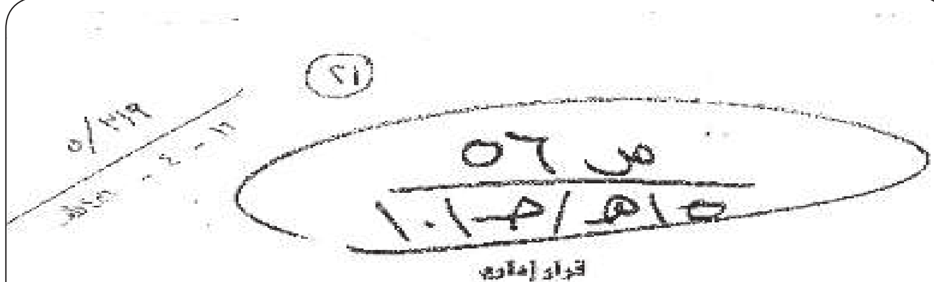
والله الموفق ...

مدير جامعة الملك فيصل
وقّع الأصل
أ.د / عبدالله بن محمد الراشد

- صورة مع الأصل للحفظ .
- صورة مع التحية لسعادة وكيل الجامعة .
- صورة مع التحية لسعادة وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي .
- صورة مع التحية لسعادة مدير عام الشؤون الإدارية والمالية .
- صورة مع التحية لعضو اللجنة / ....
- صورة للصادر



تابع ملحق رقم (٣):



قرار إداري

الرقم : (٣٧٩) التاريخ ١٦/٤/١٤٢٦هـ

الموضوع : تكوين لجنة الحاسوب والتعليم والتدريب الإلكتروني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

— **فإن مدير جامعة الملك خالد ،**

بناءً على الصلاحيات المخولة له نظاماً ، وبناءً على ما ورد في المادة (٢٤) من نظام مجلس التعليم العالي والجامعات .

وبناءً على ما تقتضيه المصلحة وعلى توصية مجلس التعليم العالي بضرورة الاستفادة من تقنيات التعليم عن بعد في التعليم العالي ...

يقرر ما يلي :

أولاً : تؤلف لجنة دائمة في الجامعة تسمى (لجنة الحاسوب والتعليم والتدريب الإلكتروني) .

ثانياً : تمارس اللجنة الاختصاصات التالية :

أ — الاستمرار في تطبيق مشروع التعليم والتدريب الإلكتروني بالجامعة وإعداد خطة متكاملة لبرنامج أو برامج التعليم والتدريب الإلكتروني التي تتناسب وحاجة وإمكانيات الجامعة وعرضها على صاحب الصلاحية .

ب — دراسة احتياجات الجامعة من أجهزة الحاسب الآلي وأنظمته .

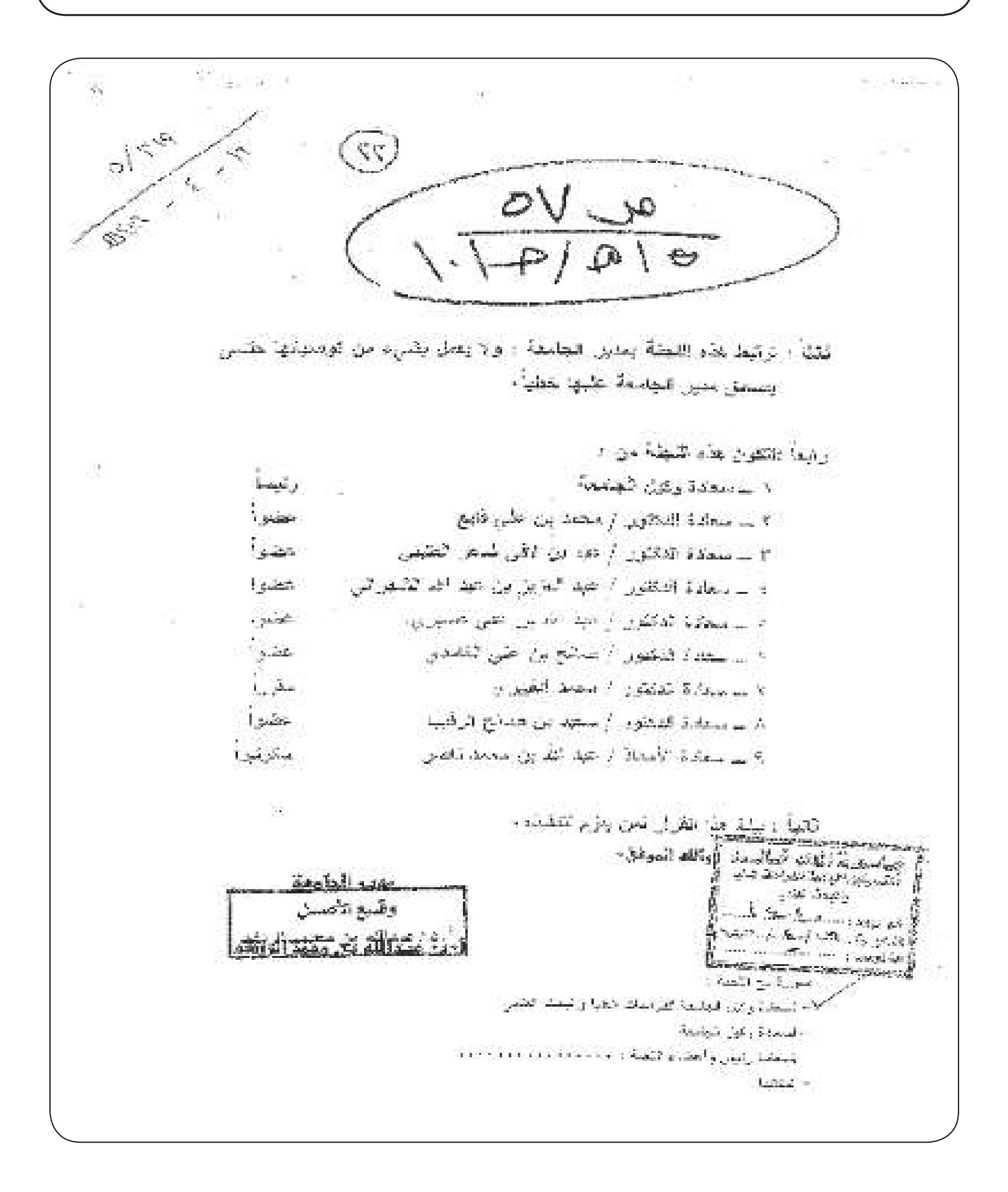
ج — اقتراح سبل تطوير شبكة الحاسب الآلي بالجامعة .

د — دراسة إمكانية الاستفادة من تطبيق بعض البرامج الإدارية والفنيـــة والأكاديمية التي تسهل سير العمل بالجامعة .

هـ — كل ما يحال إلى اللجنة من أعمال تتعلق بمجال عملها .

و — يجوز للجنة الاستعانة بمن تراه عند الحاجة .

تابع ملحق رقم (٣):



ثالثاً: ترتبط هذه اللجنة بمدير الجامعة، ولا يعمل بشيء من توصياتها حتى يصادق مدير الجامعة عليها خطياً.

رابعاً: تتكون هذه اللجنة من:

١ ـ سعادة وكيل الجامعة	رئيساً
٢ ـ سعادة الدكتور / محمد بن علي [illegible]	عضواً
٣ ـ سعادة الدكتور / [illegible]	عضواً
٤ ـ سعادة الدكتور / عبد العزيز بن عبد الله [illegible]	عضواً
٥ ـ سعادة الدكتور / [illegible]	عضواً
٦ ـ سعادة الدكتور / صالح بن علي الغامدي	عضواً
٧ ـ سعادة الدكتور / محمد [illegible]	عضواً
٨ ـ سعادة الدكتور / سعيد بن [illegible]	عضواً
٩ ـ سعادة الأستاذ / عبد الله بن محمد [illegible]	سكرتيراً

خامساً: يبلغ هذا القرار لمن يلزم لتنفيذه.

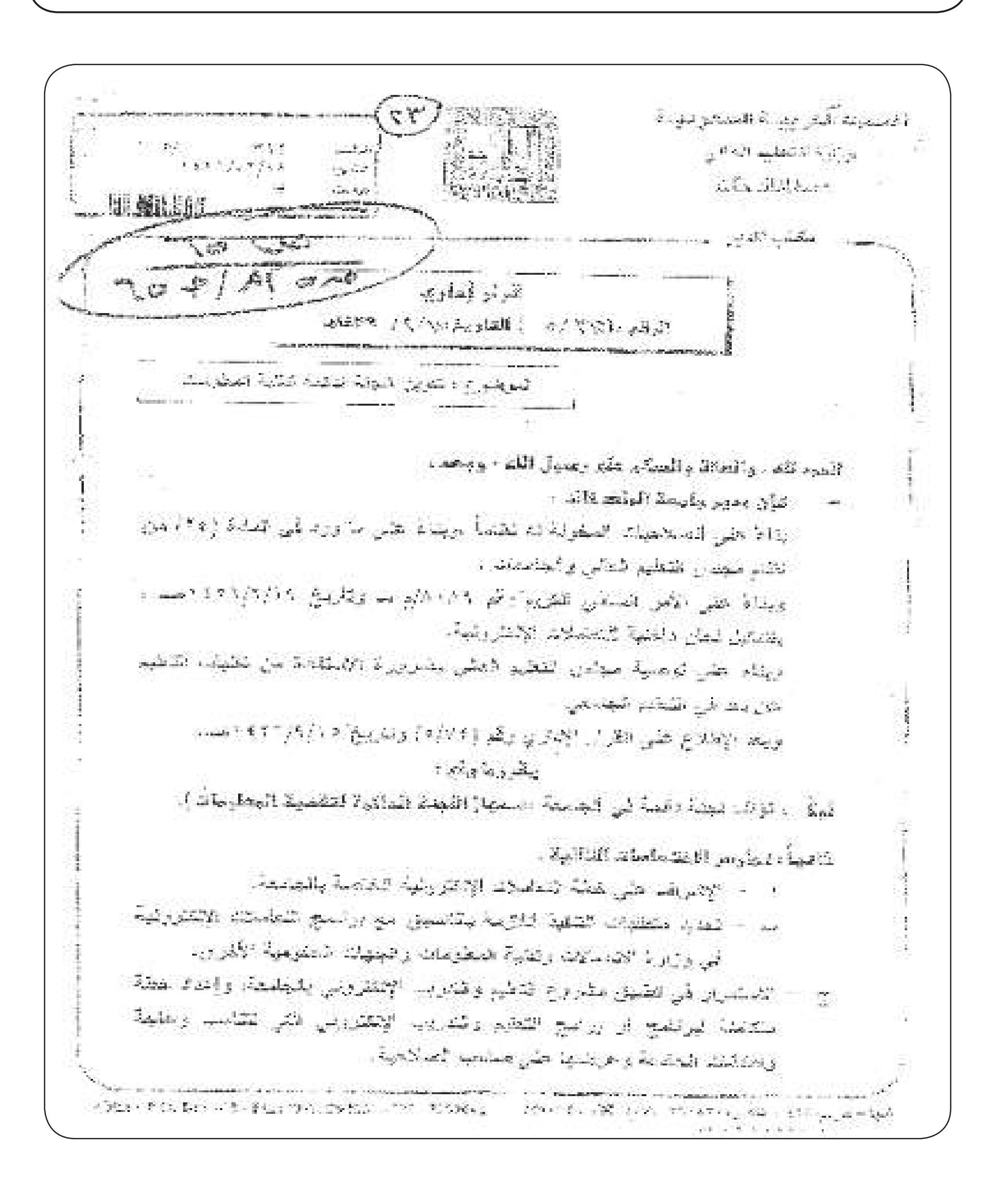
والله الموفق،

مدير الجامعة

وقيع الأصل

د. عبد الله بن محمد [illegible]

تابع ملحق رقم (٣):



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك خالد

مكتب المدير

٢٣

قرار إداري

الرقم [illegible] التاريخ [illegible]

الموضوع: تكوين اللجنة الدائمة لتقنية المعلومات

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

- فإن مدير جامعة الملك خالد:

بناءً على الصلاحيات المخولة له نظاماً وبناءً على ما ورد في المادة ([illegible]) من نظام مجلس التعليم العالي والجامعات،

وبناءً على الأمر السامي الكريم رقم [illegible] وتاريخ [illegible]هـ بتشكيل لجان داخلية للتعاملات الإلكترونية.

وبناءً على توصية مجلس التعليم العالي بضرورة الاستفادة من تقنيات التعليم عن بعد في التعليم الجامعي.

وبعد الإطلاع على القرار الإداري رقم ([illegible]) وتاريخ [illegible]هـ.

يقرر ما يلي:

أولاً: تكوين لجنة دائمة في الجامعة باسم (اللجنة الدائمة لتقنية المعلومات).

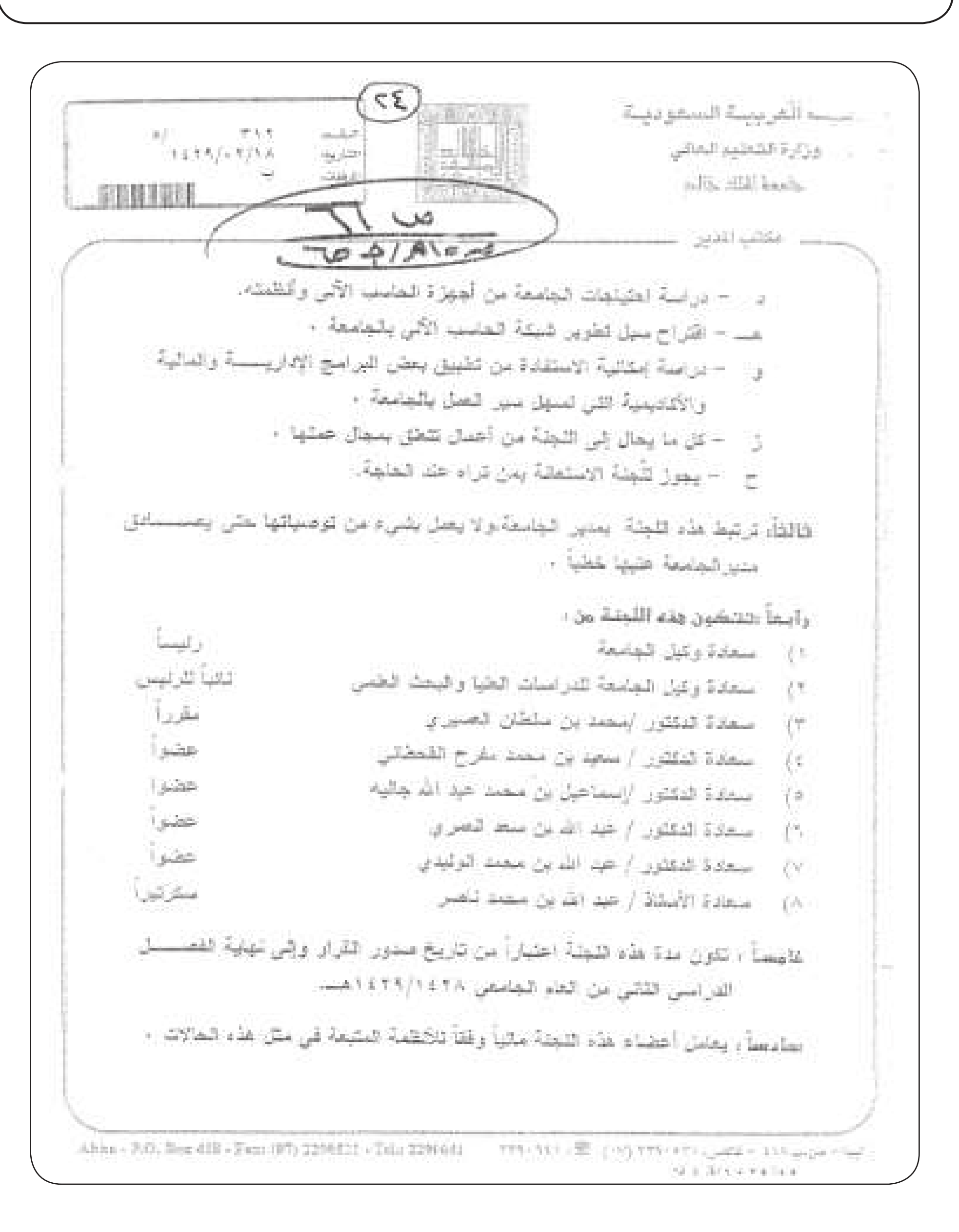
ثانياً: تمارس الاختصاصات التالية:

أ - الإشراف على خطة التعاملات الإلكترونية الخاصة بالجامعة.

ب - تحديد متطلبات التقنية اللازمة بالتنسيق مع برنامج التعاملات الإلكترونية في وزارة الاتصالات وتقنية المعلومات والجهات الحكومية الأخرى.

ج - الاستمرار في تطبيق مشروع التعليم والتدريب الإلكتروني بالجامعة، وإعداد خطة متكاملة لبرنامج أو برامج التعليم والتدريب الإلكتروني التي تناسب وحاجة وإمكانات الجامعة وعرضها على صاحب الصلاحية.

تابع ملحق رقم (٣):



٢٤

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك خالد
مكتب المدير

الرقم: ٣١٩ /٥
التاريخ: ١٤٢٩/٠٢/١٨
المرفقات: -

ص ٦٦

د - دراسة احتياجات الجامعة من أجهزة الحاسب الآلي وأنظمته.

هـ - اقتراح سبل تطوير شبكة الحاسب الآلي بالجامعة.

و - دراسة إمكانية الاستفادة من تطبيق بعض البرامج الإدارية والمالية والأكاديمية التي تسهل سير العمل بالجامعة.

ز - كل ما يحال إلى اللجنة من أعمال تتعلق بمجال عملها.

ح - يجوز للجنة الاستعانة بمن تراه عند الحاجة.

ثالثاً: ترتبط هذه اللجنة بمدير الجامعة ولا يعمل بشيء من توصياتها حتى يصادق مدير الجامعة عليها خطياً.

رابعاً: تتكون هذه اللجنة من:

١)	سعادة وكيل الجامعة	رئيساً
٢)	سعادة وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي	نائباً للرئيس
٣)	سعادة الدكتور /محمد بن سلطان العصيري	مقرراً
٤)	سعادة الدكتور / سعيد بن محمد مفرح القحطاني	عضواً
٥)	سعادة الدكتور /إسماعيل بن محمد عبد الله جاليه	عضواً
٦)	سعادة الدكتور / عبد الله بن سعد العمري	عضواً
٧)	سعادة الدكتور / عبد الله بن محمد الوليدي	عضواً
٨)	سعادة الأستاذ / عبد الله بن محمد ناصر	سكرتيراً

خامساً: تكون مدة هذه اللجنة اعتباراً من تاريخ صدور القرار وإلى نهاية الفصل الدراسي الثاني من العام الجامعي ١٤٢٨/١٤٢٩هـ.

سادساً: يعامل أعضاء هذه اللجنة مالياً وفقاً للأنظمة المتبعة في مثل هذه الحالات.

تابع ملحق رقم (٣):



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك خالد

الرقم: ٣٦٣
التاريخ: ١٤٢٩/٠٢/١٨
المرفقات: ـ

مكتب المدير

معايعة، تثبت جميع اجتماعاتها محررة وموقعاً عليها من الحاضرين، ومبيناً ما لأحد الأعضاء من وجهة نظر تغاير وجهة نظر الأغلبية.

تاسعاً: يبلغ هذا القرار لمن يلزم إبلاغه من أعضائها، وغيرهم.

والله الموفق...

مدير جامعة الملك خالد

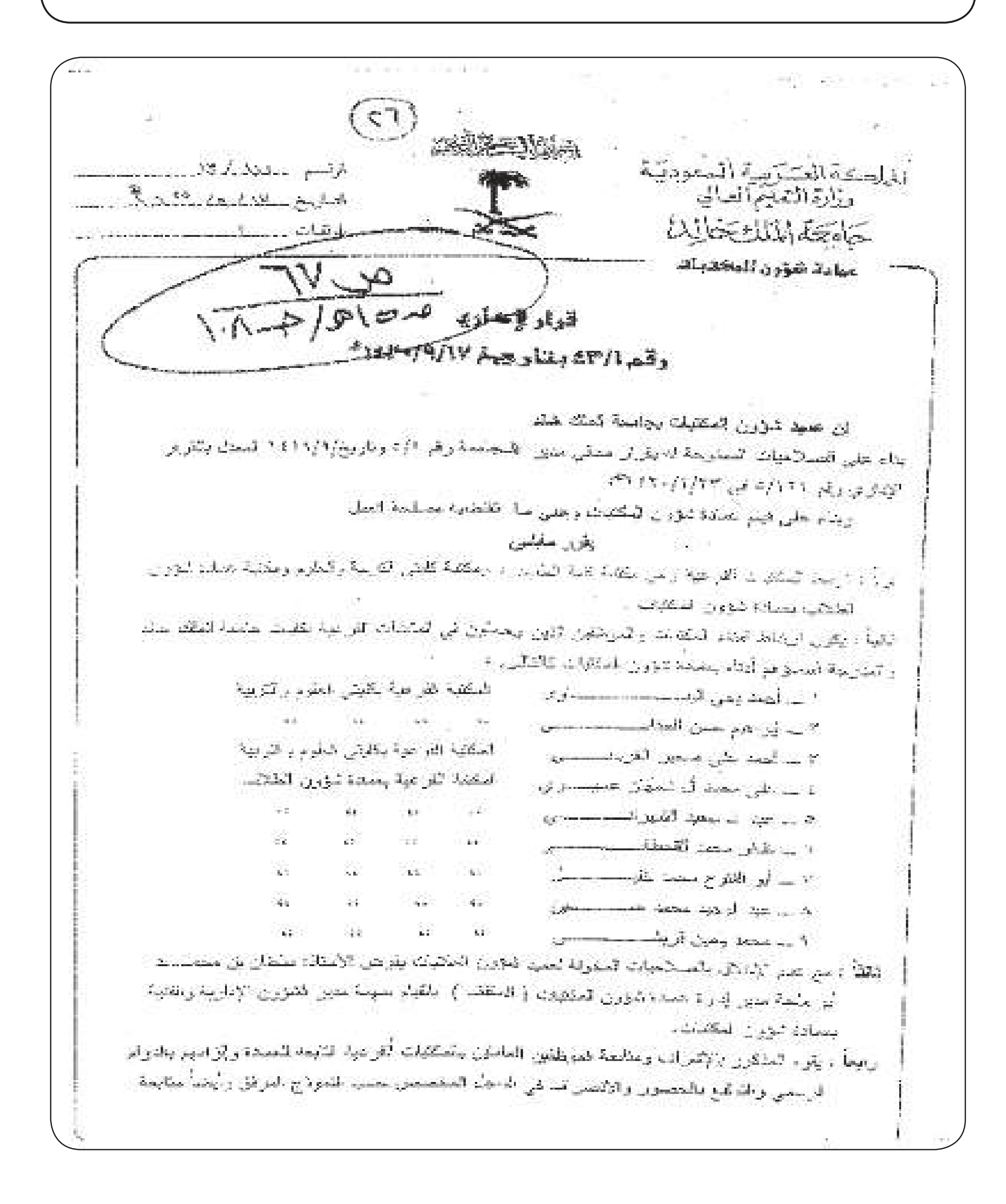
أ.د. عبدالله بن محمد الراشد

وافق الأصل

أ.د/ عبدالله بن محمد الراشد

- صورة مع الأصل للمقام.
- صورة مع التحية لسعادة وكيل الجامعة.
- صورة مع التحية لسعادة وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي.
- صورة مع التحية لسعادة مدير عام الشؤون الإدارية والمالية.
- صورة مع التحية لعضو اللجنة / ....
- صورة لسكرتارية اللجان الدائمة.
- صورة للصادر.

تابع ملحق رقم (٣):



(٢٦)

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك خالد
عمادة شؤون المكتبات

الرقم: ....
التاريخ: ....
المرفقات: ....

ص ٦٧

قرار إداري

رقم ٤٣/١ بتاريخ ١٧/٩/[illegible]

إن عميد شؤون المكتبات بجامعة الملك خالد

بناء على الصلاحيات الممنوحة له بقرار معالي مدير الجامعة رقم ٤/أ وتاريخ ١٩/٦/١٤١٩ المعدل بالقرار الإداري رقم ٢٦١/أ في ٢٣/٦/١٤٢٠هـ

وبناء على [illegible] عمادة شؤون المكتبات وعلى ما تقتضيه مصلحة العمل

يقرر ما يلي

أولاً: [illegible] المكتبات الفرعية [illegible] مكتبة كليتي التربية والعلوم ومكتبة عمادة شؤون الطلاب بعمادة شؤون المكتبات.

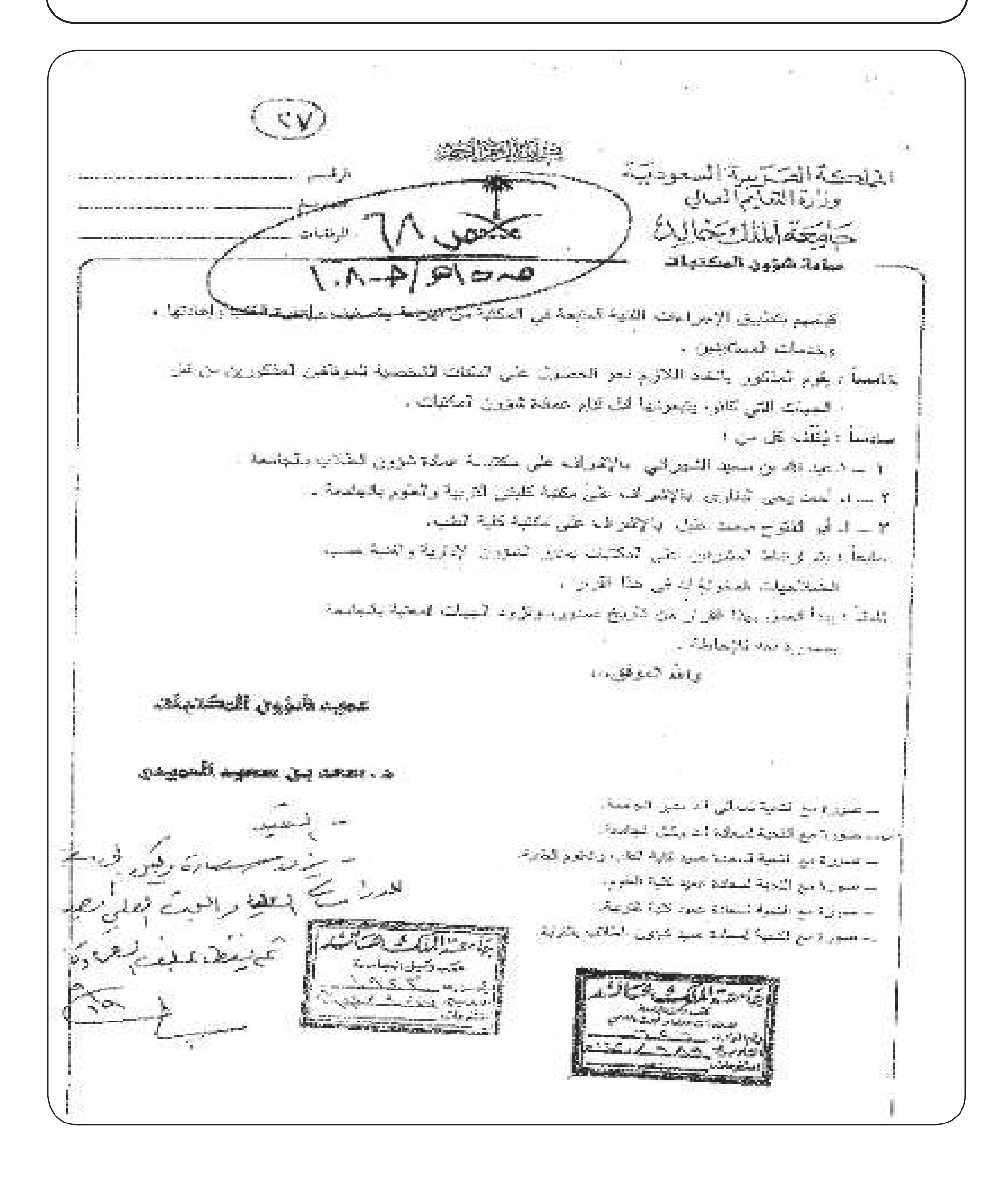
ثانياً: [illegible] المكتبات والموظفين الذين يعملون في المكتبات الفرعية [illegible] والمدرجة أسماؤهم أدناه بعمادة شؤون المكتبات كالتالي:

الاسم	المكتبة
١- أحمد يحيى [illegible]	المكتبة الفرعية بكليتي العلوم والتربية
٢- [illegible]	" " " "
٣- [illegible]	المكتبة الفرعية بكليتي العلوم والتربية
٤- [illegible]	المكتبة الفرعية بعمادة شؤون الطلاب
٥- [illegible]	" " " "
٦- [illegible]	" " " "
٧- أبو الفتوح محمد [illegible]	" " " "
٨- [illegible] محمد [illegible]	" " " "
٩- محمد [illegible]	" " " "

ثالثاً: مع عدم الإخلال بالصلاحيات المخولة لعميد شؤون المكتبات يفوض الأستاذ [illegible] مدير إدارة عمادة شؤون المكتبات (المكلف) بالقيام بمهمة مدير الشؤون الإدارية والمالية بعمادة شؤون المكتبات.

رابعاً: يقوم المذكور بالإشراف ومتابعة الموظفين العاملين بالمكتبات الفرعية التابعة للعمادة وإلزامهم بالدوام الرسمي والتقيد بالحضور والانصراف في الدوام المخصص حسب النموذج المرفق وأيضاً متابعة

تابع ملحق رقم (٣):



(٢٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك خالد
عمادة شؤون المكتبات

الرقم: ....
التاريخ: ....
المرفقات: ....

... تطبيق الإجراءات الفنية المتبعة في المكتبة من [illegible] وإعدادها وخدمات المستفيدين.

خامساً: يقوم المذكور باتخاذ اللازم نحو الحصول على [illegible] التخصصية للموظفين المذكورين من قبل الجهات التي [illegible] أثناء عمادة شؤون المكتبات.

سادساً: يكلف كل من:

١ - د. عبد الله بن سعيد الشهراني بالإشراف على مكتبة عمادة شؤون الطلاب بالجامعة.
٢ - د. أحمد يحيى [illegible] بالإشراف على مكتبة كليتي التربية والعلوم بالجامعة.
٣ - د. أبو الفتوح محمد [illegible] بالإشراف على مكتبة كلية الطب.

سابعاً: يقوم [illegible] المشرفون على المكتبات بمباشرة الشؤون الإدارية والفنية حسب الصلاحيات المخولة له في هذا القرار.

ثامناً: يبدأ العمل بهذا القرار من تاريخ صدوره وتزود الجهات المعنية بالجامعة بصورة منه للإحاطة.

والله الموفق،،،

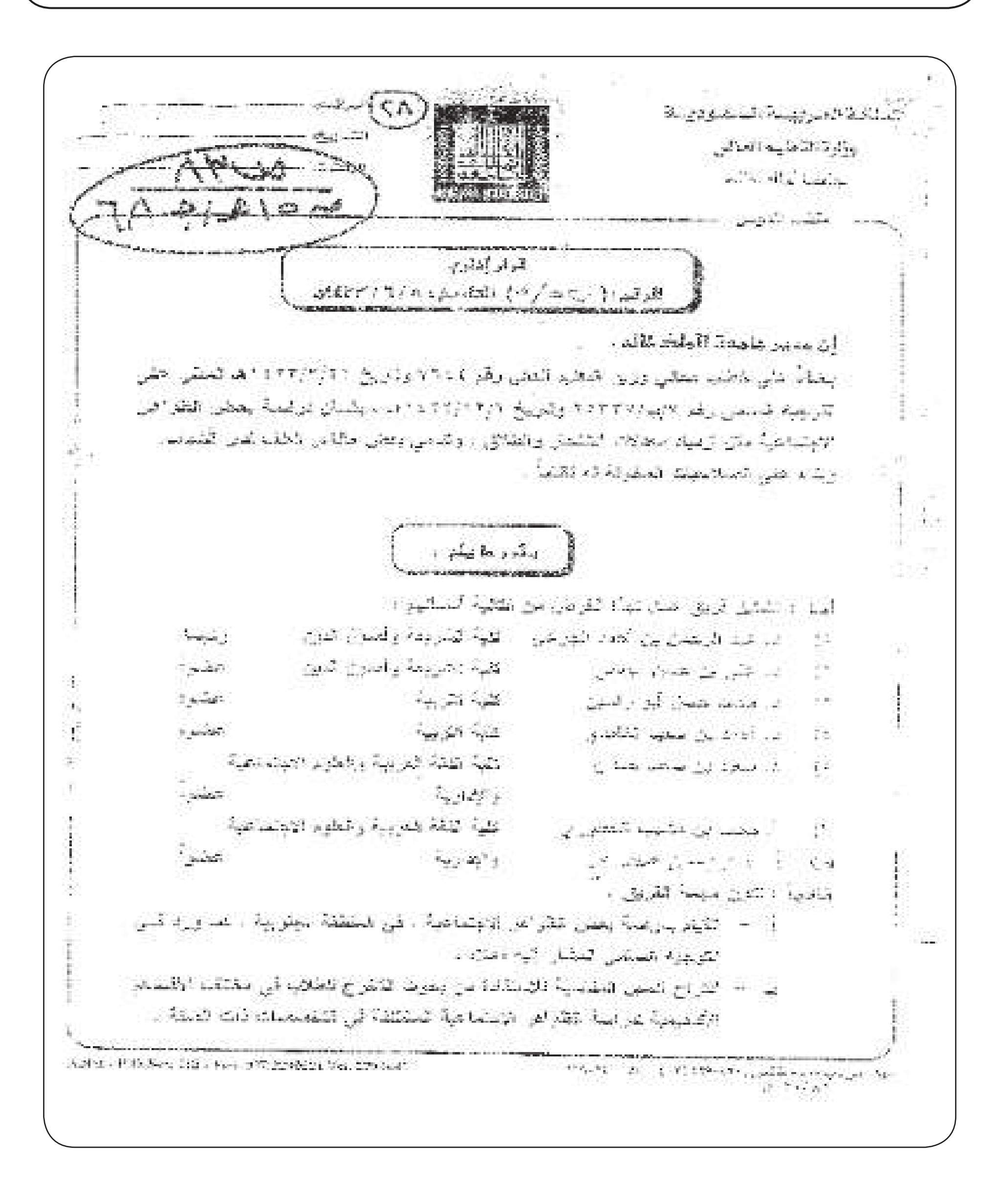
عميد شؤون المكتبات

د. [illegible] بن سعيد [illegible]

- صورة مع التحية لمعالي مدير الجامعة.
- صورة مع التحية لسعادة وكيل الجامعة.
- صورة مع التحية لسعادة عميد كلية [illegible].
- صورة مع التحية لسعادة عميد كلية العلوم.
- صورة مع التحية لسعادة عميد كلية الشريعة.
- صورة مع التحية لسعادة عميد شؤون الطلاب بالجامعة.

جامعة الملك خالد
مكتب وكيل الجامعة

تابع ملحق رقم (٣):



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك خالد
مكتب المدير

قرار إداري
الرقم ([illegible]) التاريخ [illegible]

إن مدير جامعة الملك خالد،
بناءً على خطاب معالي وزير التعليم العالي رقم [illegible] وتاريخ [illegible] هـ المتضمن [illegible] بشأن دراسة بعض الظواهر الاجتماعية مثل ارتفاع معدلات العنوسة والطلاق، [illegible]
وبناء على الصلاحيات المخولة له نظاماً

يقرر ما يلي:

أولاً: تشكيل فريق [illegible] من الكليات التالية:

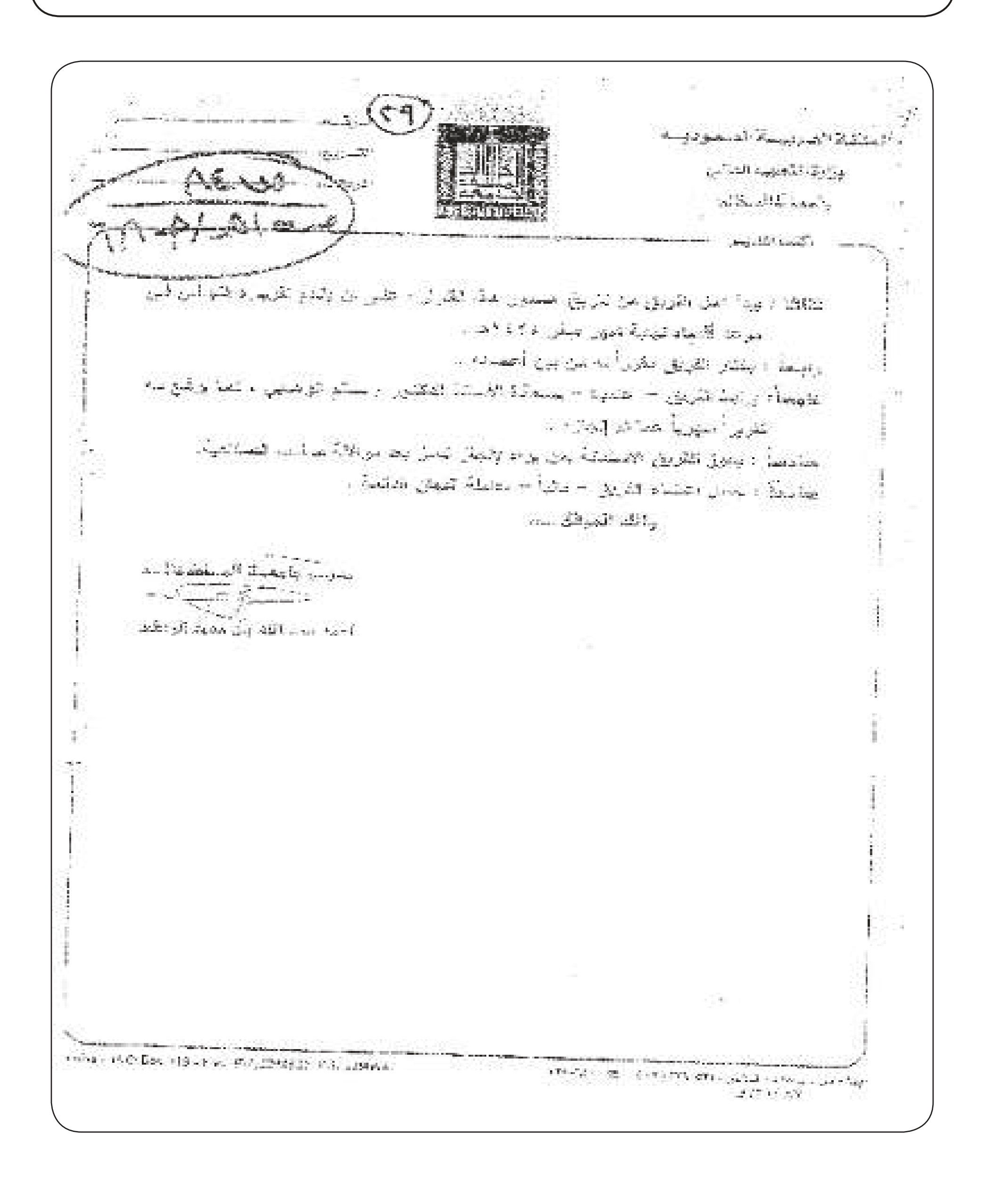
١- د. عبد الرحمن بن [illegible]	كلية الشريعة وأصول الدين	رئيساً
٢- د. علي بن [illegible]	كلية الشريعة وأصول الدين	عضواً
٣- د. [illegible]	كلية التربية	عضواً
٤- د. [illegible]	كلية التربية	عضواً
٥- د. [illegible]	كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية	عضواً
٦- [illegible]	كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية	عضواً

ثانياً: تكون مهمة الفريق:

أ- القيام بدراسة بعض الظواهر الاجتماعية في المنطقة الجنوبية [illegible]

ب- اقتراح [illegible] للاستفادة من بحوث التخرج للطلاب في مختلف الأقسام الأكاديمية [illegible] الظواهر الاجتماعية المختلفة في التخصصات ذات العلاقة.

تابع ملحق رقم (٣):



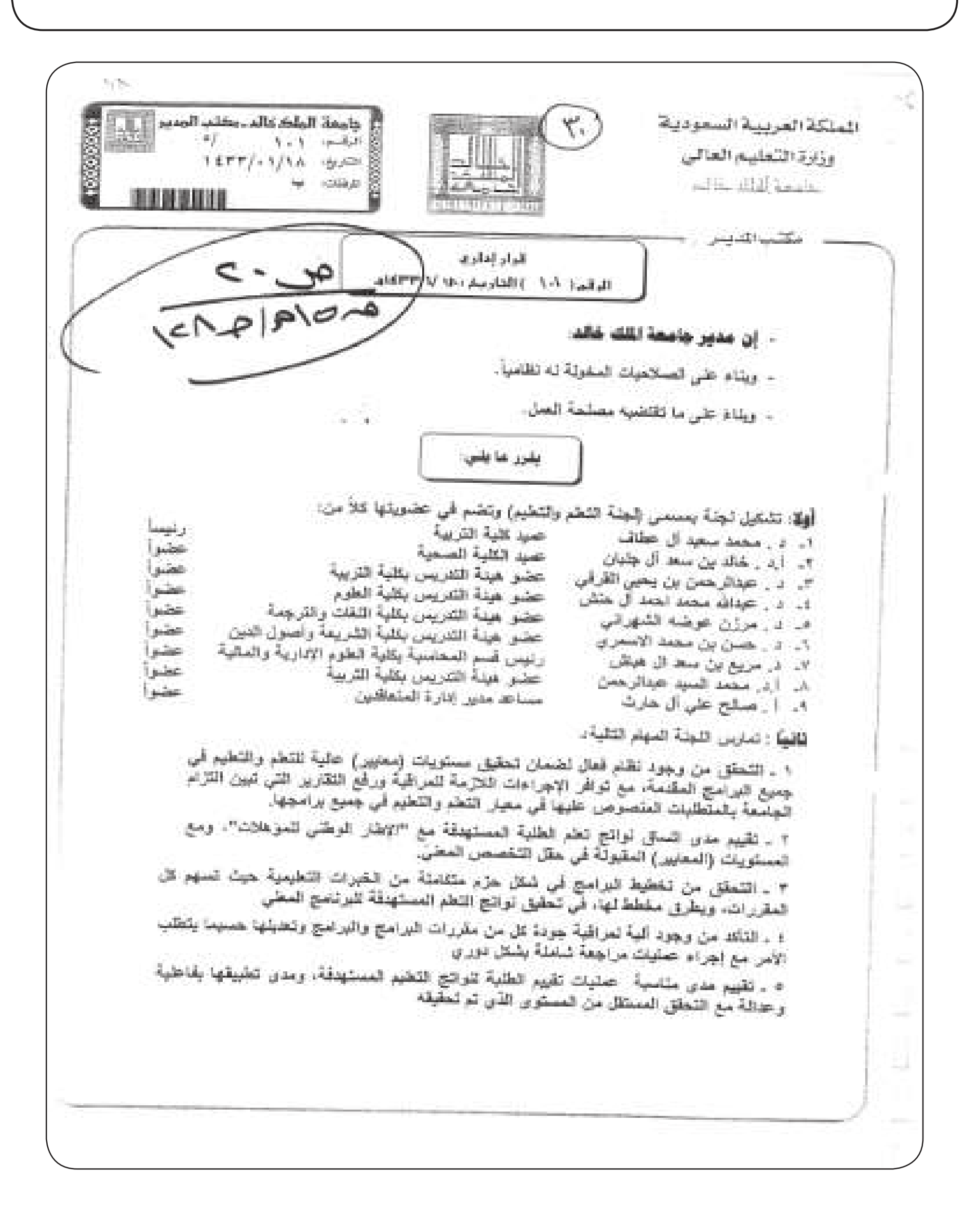
المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

رابعاً : ينتخب الفريق مقرراً له من بين أعضائه ..

والله الموفق ....

تابع ملحق رقم (٣):



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك خالد

جامعة الملك خالد - مكتب المدير
الرقم: ١٠١ /ق
التاريخ: ١٤٣٣/٠٦/١٨
المرفقات:

٣٠

مكتب المدير

قرار إداري
الرقم: (١٠١) التاريخ: ١٤٣٣/٦/١٨هـ

ص ٢٠
١٥/١/١٤٣٨هـ

- إن مدير جامعة الملك خالد.
- وبناء على الصلاحيات المخولة له نظاماً.
- وبناء على ما تقتضيه مصلحة العمل.

يقرر ما يلي:

أولاً: تشكيل لجنة بمسمى (لجنة التعلم والتعليم) وتضم في عضويتها كلاً من:

الاسم	الصفة	
١- د. محمد سعيد آل عطاف	عميد كلية التربية	رئيساً
٢- أ.د. خالد بن سعد آل جلبان	عميد الكلية الصحية	عضواً
٣- د. عبدالرحمن بن يحيى القرني	عضو هيئة التدريس بكلية التربية	عضواً
٤- د. عبدالله محمد احمد آل حنش	عضو هيئة التدريس بكلية العلوم	عضواً
٥- د. مرزن عوضه الشهراني	عضو هيئة التدريس بكلية اللغات والترجمة	عضواً
٦- د. حسن بن محمد الاسمري	عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة وأصول الدين	عضواً
٧- د. مريع بن سعد آل هباش	رئيس قسم المحاسبة بكلية العلوم الإدارية والمالية	عضواً
٨- أ.د. محمد السيد عبدالرحمن	عضو هيئة التدريس بكلية التربية	عضواً
٩- أ. صالح علي آل حارث	مساعد مدير إدارة المتعاقدين	عضواً

ثانياً: تمارس اللجنة المهام التالية:

١- التحقق من وجود نظام فعال لضمان تحقيق مستويات (معايير) عالية للتعلم والتعليم في جميع البرامج المقدمة، مع توافر الإجراءات اللازمة للمراقبة ورفع التقارير التي تبين التزام الجامعة بالمتطلبات المنصوص عليها في معيار التعلم والتعليم في جميع برامجها.

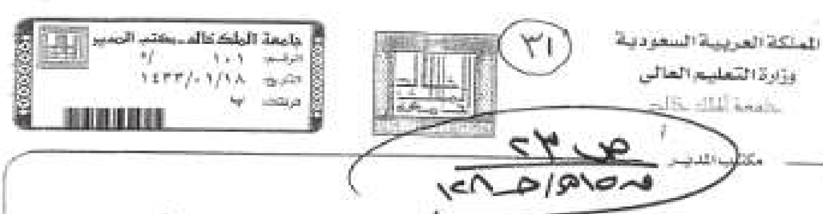
٢- تقييم مدى اتساق نواتج تعلم الطلبة المستهدفة مع "الإطار الوطني للمؤهلات"، ومع المستويات (المعايير) المقبولة في حقل التخصص المعني.

٣- التحقق من تخطيط البرامج في شكل حزم متكاملة من الخبرات التعليمية حيث تسهم كل المقررات، وبطرق مخطط لها، في تحقيق نواتج التعلم المستهدفة للبرنامج المعني

٤- التأكد من وجود آلية لمراقبة جودة كل من مقررات البرامج والبرامج وتعديلها حسبما يتطلب الأمر مع إجراء عمليات مراجعة شاملة بشكل دوري

٥- تقييم مدى مناسبة عمليات تقييم الطلبة لنواتج التعليم المستهدفة، ومدى تطبيقها بفاعلية وعدالة مع التحقق المستقل من المستوى الذي تم تحقيقه

تابع ملحق رقم (٣):



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك خالد
مكتب المدير

جامعة الملك خالد - مكتب المدير
الرقم: ١٠١ /٢
التاريخ: ١٤٣٣/٠١/١٨
المرفقات: بها

٦ - التأكد من وجود أنظمة فاعلة لمساعدة الطلبة على التعلم من خلال الإرشاد الأكاديمي، والمرافق الدراسية، ومن خلال متابعة التقدم الدراسي للطلبة، وتشجيع الطلبة ذوي الأداء العالي، وتقديم المساعدة للأفراد الذين يحتاجون لها

٧ - تقييم مدى توافر المؤهلات والخبرات اللازمة لدى هيئة التدريس

٨ - التحقق من توافر معايير الجودة في أنشطة الخبرة الميدانية أثناء التخطيط والتطبيق والتقويم مع وجود استراتيجيات لتحسين هذه المقررات.

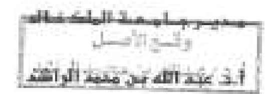
٩ - التأكد من استيفاء معايير الاعتماد الأكاديمي للبرامج التي تقدم عن طريق مؤسسات تعليمية أخرى لطلاب الجامعة، بما في ذلك التزامها بقوانين المملكة العربية السعودية واعتمادها في بلد المنشأ وتكييفها لتناسب احتياجات طلاب الجامعة.

ثالثاً: ترتبط اللجنة بسعادة وكيل الجامعة للتطوير والجودة.

رابعاً: تباشر اللجنة مهامها اعتباراً من تاريخه ولمدة عام.

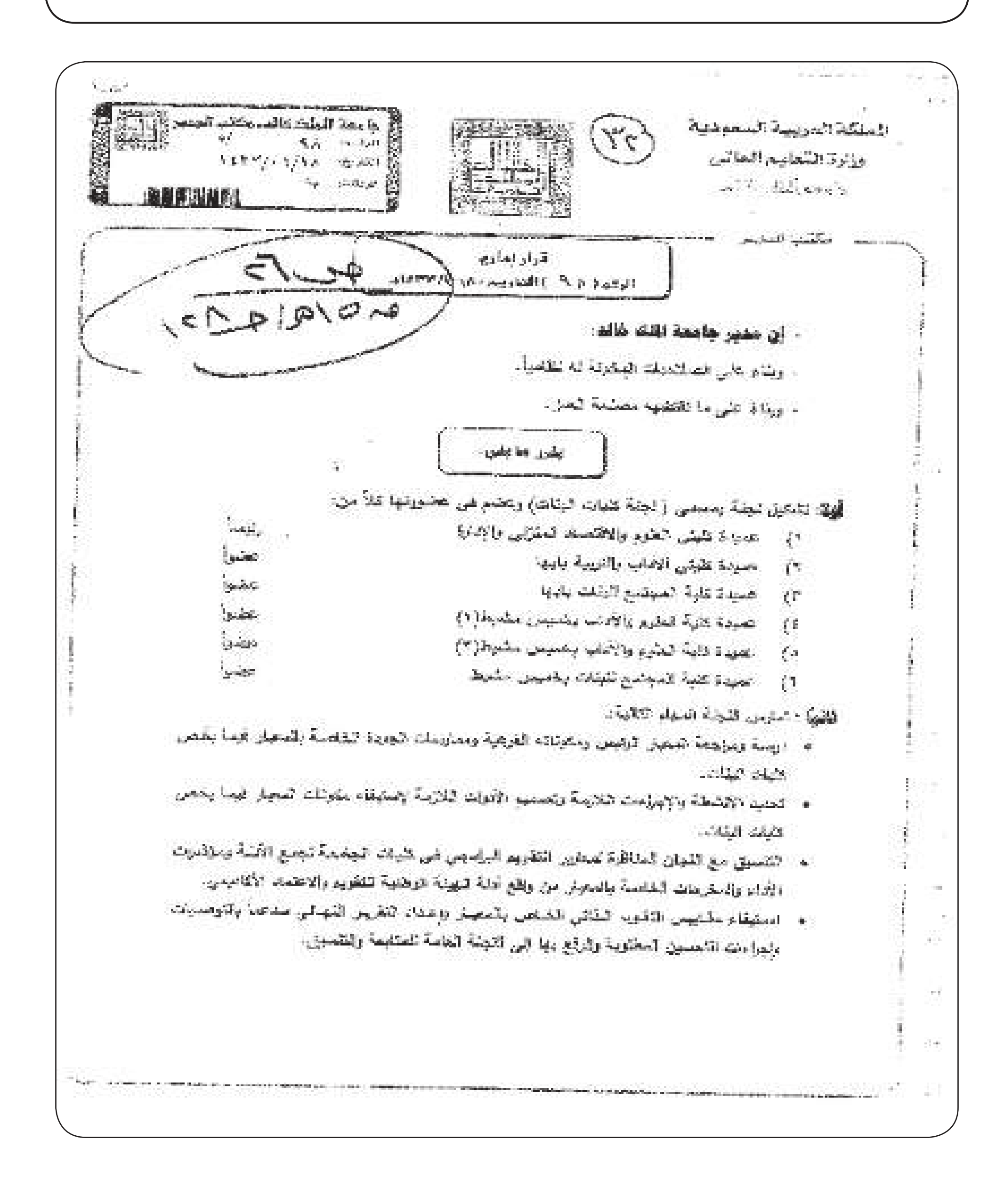
خامساً: يجوز للجنة أن تستعين بمن تقتضي الحاجة الاستعانة به من غير أعضائها عند الحاجة لذلك.

سادساً: يبلغ هذا القرار لمن يلزم تبليغه من أعضائها، وكذا للإدارات المختصة بالجامعة.



مدير جامعة الملك خالد
وطبق الأصل
أ.د. عبد الله بن محمد الراشد

تابع ملحق رقم (٣):



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك خالد

مكتب المدير

قرار إداري
الرقم ٩٠٦ التاريخ ١٤٢٣/

- إن مدير جامعة الملك خالد:
- وبناءً على الصلاحيات المخولة له نظاماً.
- وبناءً على ما تقتضيه مصلحة العمل.

يقرر ما يلي:

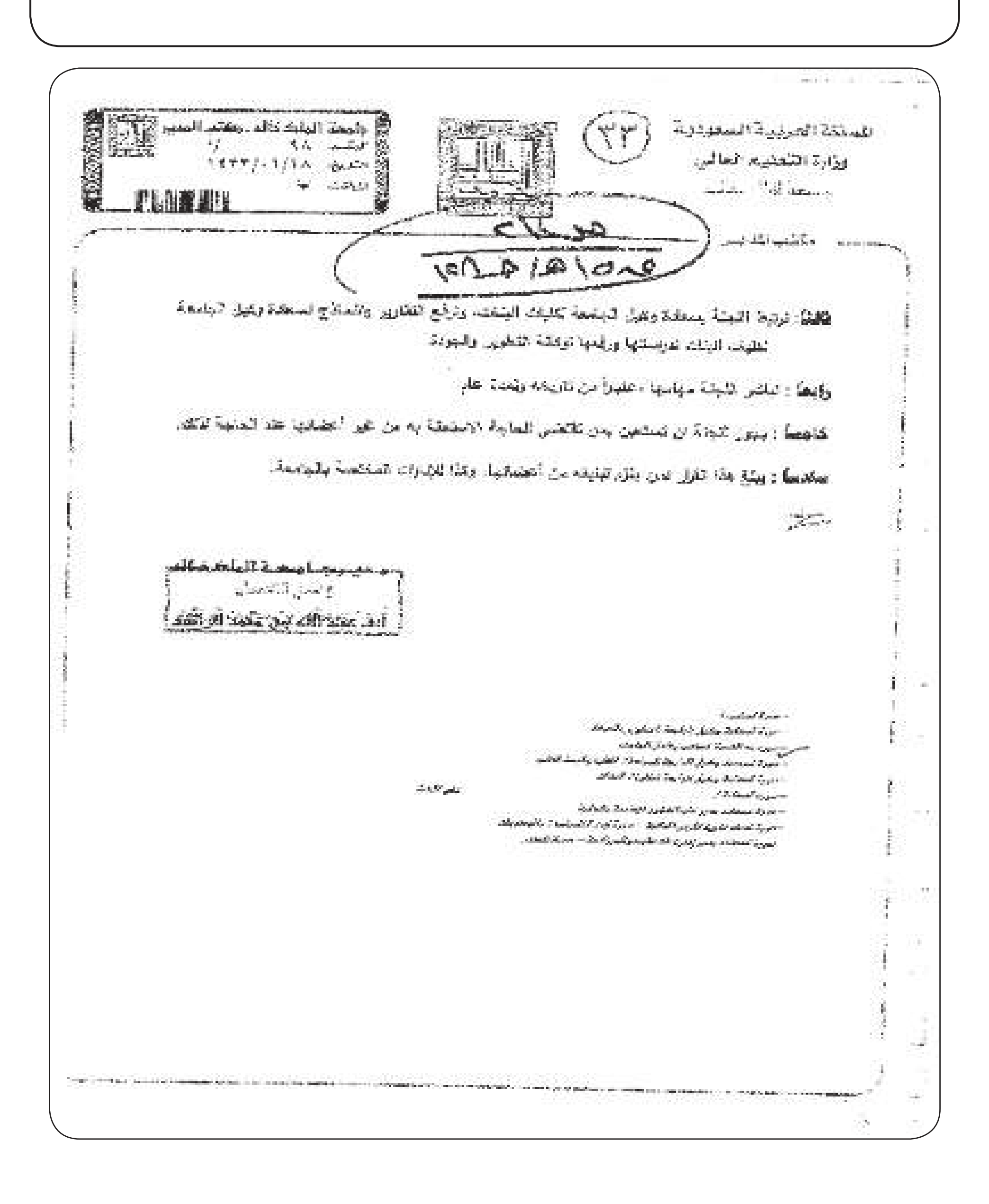
أولاً: تشكيل لجنة بمسمى (لجنة كليات البنات) ويضم في عضويتها كلاً من:

١) عميدة كليتي العلوم والاقتصاد المنزلي والإدارة — رئيساً
٢) عميدة كليتي الآداب والتربية بأبها — عضواً
٣) عميدة كلية المجتمع للبنات بأبها — عضواً
٤) عميدة كلية العلوم والآداب بخميس مشيط (١) — عضواً
٥) عميدة كلية العلوم والآداب بخميس مشيط (٢) — عضواً
٦) عميدة كلية المجتمع للبنات بخميس مشيط — عضواً

ثانياً: تمارس اللجنة المهام التالية:

- دراسة ومراجعة المعيار الرئيس ومكوناته الفرعية وممارسات الجودة الخاصة بالمعيار فيما يخص كليات البنات.
- تحديد الأنشطة والإجراءات اللازمة وتصميم الأدوات اللازمة لاستيفاء مكونات المعيار فيما يخص كليات البنات.
- التنسيق مع اللجان المناظرة لمعايير التقويم الرئيسي في كليات الجامعة لجمع الأدلة ومؤشرات الأداء والمخرجات الخاصة بالمعيار من واقع أدلة الهيئة الوطنية للتقويم والاعتماد الأكاديمي.
- استيفاء مقاييس التقويم الذاتي الخاص بالمعيار وإعداد التقرير النهائي مدعماً بالتوصيات وإجراءات التحسين المطلوبة والرفع بها إلى اللجنة العامة للمتابعة والتنسيق.

تابع ملحق رقم (٣):



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك خالد

(٣٣)

جامعة الملك خالد - مكتب المدير
الرقم: ٩٨
التاريخ: ١٤٣٣/٠١/١٨

مكتب المدير

ثالثاً: ترتبط اللجنة بمعالي وكيل الجامعة لكليات البنات، وترفع التقارير والنتائج لسعادة وكيل الجامعة لكليات البنات لدراستها ورفعها لوكالة التطوير والجودة.

رابعاً: تباشر اللجنة مهامها اعتباراً من تاريخه ولمدة عام.

خامساً: يجوز للجنة أن تستعين بمن تلتمس الحاجة الاستعانة به من غير أعضائها عند الحاجة لذلك.

سادساً: يبلغ هذا القرار لمن يلزم لتنفيذه من أعضائها وفقاً للإجراءات المتبعة بالجامعة.

والله الموفق

مدير جامعة الملك خالد
والمشرف العام
أ.د. عبدالله بن محمد الراشد

تابع ملحق رقم (٣):



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك خالد

(٣٤)

جامعة الملك خالد - مكتب المدير
الرقم: ٩٥
التاريخ: ١٤٣٣/٠٦/١٨
المرفقات: -

مكتب المدير

قرار إداري
الرقم: (٩٥) التاريخ: ١٤٣٣/٦/١٨هـ

ص ٣٧
١٤٣٥/١/١٤هـ

- إن مدير جامعة الملك خالد
- وبناء على الصلاحيات المخولة له نظاماً
- وبناءً على ما تقتضيه مصلحة العمل

يقرر ما يلي

أولاً: تشكيل لجنة بمسمى (لجنة معايير البحث العلمي) وتضم في عضويتها كلاً من:

	الاسم	المنصب	الصفة
١.	د. [illegible]	عميد عمادة البحث العلمي	رئيساً
٢.	د. [illegible]	وكيل عمادة الدراسات العليا	عضواً
٣.	د. [illegible]	المشرف على كرسي [illegible]	عضواً
٤.	د. [illegible]	المشرف على مركز الدراسات الاجتماعية	عضواً
٥.	د. [illegible]	مدير مركز البحوث بكلية العلوم	عضواً

ثانياً: تمارس اللجنة المهام التالية:

١. [illegible]
٢. [illegible]
٣. [illegible]
٤. [illegible]

ثالثاً: ترتبط اللجنة بسعادة وكيل الجامعة للتطوير والجودة.

رابعاً: تباشر اللجنة مهامها اعتباراً من تاريخه ولمدة عام.

خامساً: يجوز للجنة أن تستعين بمن تقتضي العملية الاستعانة به من غير أعضائها عند الحاجة لذلك.

سادساً: يبلغ هذا القرار لمن يلزم لتنفيذه [illegible] وكالات الإدارات المختصة بالجامعة.

مدير جامعة الملك خالد
أ.د. [illegible]

[illegible]

تابع ملحق رقم (٣):



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك خالد

جامعة الملك خالد - مكتب المدير
الرقم: ٩١
التاريخ: ١٤٣٣/٠٦/١٨

٣٥

مكتب المدير

قرار إداري
الرقم: ٩٠٣ التاريخ: ١٨/٦/١٤٣٣هـ

- إن مدير جامعة الملك خالد
- وبناء على الصلاحيات المخولة له نظاماً
- وبناءً على ما تقتضيه مصلحة العمل

يقرر ما يلي

أولاً: تشكيل لجنة بمسمى (لجنة الترجمة) وتضم في عضويتها كلاً من:

د. ... بن محمد أحمد آل حسن	كلية اللغات والترجمة	رئيساً
د. أبو طالب محمود أحمد	كلية الآداب للبنات بأبها	عضواً
د. محمود إبراهيم رضوان	كلية الآداب للبنات بأبها	عضواً
د. علي أحمد الصقير	كلية التربية	عضواً

ثانياً: تمارس اللجنة المهام التالية:
١- ترجمة وثائق الجامعة المطلوبة للمرحلة الاستكمالية من التقويم التطويري البرامجي والمؤسسي.
٢- ترجمة الأدلة والوثائق اللازمة لمشروع التقويم التطويري.
٣- ترجمة بعض الوثائق إلى اللغة الإنجليزية للاستفادة منها في الكليات التي بها أعضاء هيئة تدريس لا يتحدثون اللغة العربية.
٤- ما يحال للجنة من قبل وكالة الجامعة للتطوير والجودة وعمادة التطوير الأكاديمي والجودة.

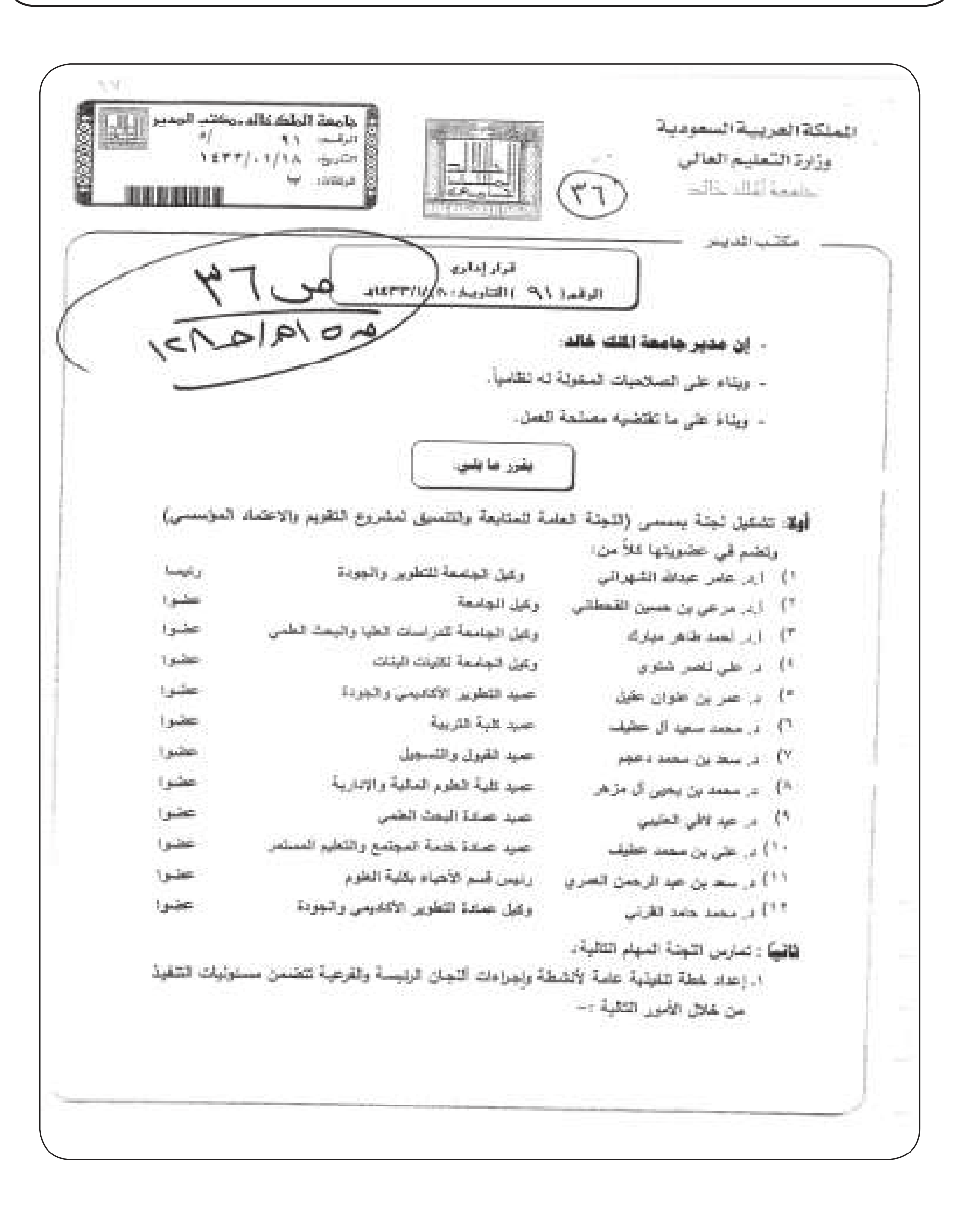
ثالثاً: ترتبط اللجنة بسعادة وكيل الجامعة للتطوير والجودة.

رابعاً: تباشر اللجنة مهامها اعتباراً من تاريخه ولمدة عام.

خامساً: يجوز للجنة أن تستعين بمن تقتضي الحاجة الاستعانة به من غير أعضائها عند الحاجة لذلك.

سادساً: يبلغ هذا القرار لمن يلزم لتنفيذه من اختصاصها وفق الإجراءات المتبعة بالجامعة.

تابع ملحق رقم (٣):



جامعة الملك خالد - مكتب المدير
الرقم: ٩١ /ق
التاريخ: ١٤٣٣/٠١/١٨
المرفقات: ب

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك خالد

(٣٦)

مكتب المدير

قرار إداري
الرقم: ٩١ التاريخ: ٢٠/١/١٤٣٣هـ

ص ٣٦
٥/١/١٤٢٨هـ

- إن مدير جامعة الملك خالد:
- وبناء على الصلاحيات المخولة له نظامياً.
- وبناء على ما تقتضيه مصلحة العمل.

يقرر ما يلي:

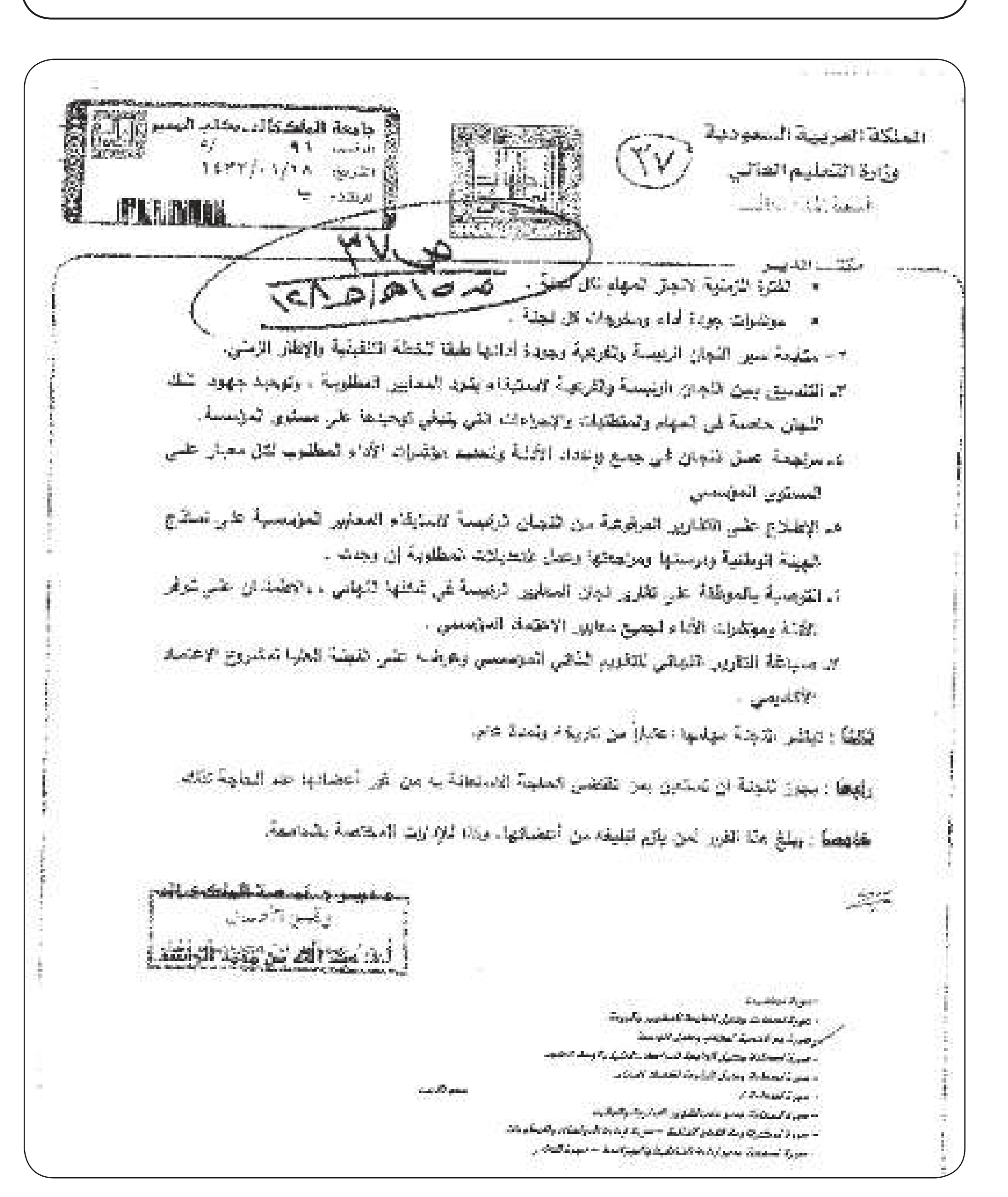
أولاً: تشكيل لجنة بمسمى (اللجنة العامة للمتابعة والتنسيق لمشروع التقويم والاعتماد المؤسسي) وتضم في عضويتها كلاً من:

م	الاسم	المنصب	الصفة
١)	أ.د. عامر عبدالله الشهراني	وكيل الجامعة للتطوير والجودة	رئيساً
٢)	أ.د. مرعي بن حسين القحطاني	وكيل الجامعة	عضواً
٣)	أ.د. أحمد طاهر مبارك	وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي	عضواً
٤)	د. علي ناصر شتوي	وكيل الجامعة لكليات البنات	عضواً
٥)	د. عمر بن علوان عقيل	عميد التطوير الأكاديمي والجودة	عضواً
٦)	د. محمد سعيد آل عطيف	عميد كلية التربية	عضواً
٧)	د. سعد بن محمد دعجم	عميد القبول والتسجيل	عضواً
٨)	د. محمد بن يحيى آل مزهر	عميد كلية العلوم المالية والإدارية	عضواً
٩)	د. عبد الإله العكيمي	عميد عمادة البحث العلمي	عضواً
١٠)	د. علي بن محمد عطيف	عميد عمادة خدمة المجتمع والتعليم المستمر	عضواً
١١)	د. سعد بن عبد الرحمن العمري	رئيس قسم الأحياء بكلية العلوم	عضواً
١٢)	د. محمد حامد القرني	وكيل عمادة التطوير الأكاديمي والجودة	عضواً

ثانياً: تمارس اللجنة المهام التالية:

١. إعداد خطة تنفيذية عامة لأنشطة وإجراءات اللجان الرئيسة والفرعية تتضمن مسئوليات التنفيذ من خلال الأمور التالية :-

تابع ملحق رقم (٣):



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي

جامعة الملك خالد - مكتب المدير
الرقم: ٩١
التاريخ: ١٤٣٢/٠١/١٨
المرفقات:

(٢٧)

مكتب المدير

- الفترة الزمنية لانجاز المهام لكل لجنة.
- مؤشرات جودة أداء ومخرجات كل لجنة.

٣- متابعة سير اللجان الرئيسة والفرعية وجودة أدائها طبقا للخطة التنفيذية والإطار الزمني.

٣- التنسيق بين اللجان الرئيسة والفرعية لاستيفاء بنود المعايير المطلوبة، وتوحيد جهود تلك اللجان خاصة في المهام والمتطلبات والإجراءات التي ينبغي توحيدها على مستوى المؤسسة.

٤- مراجعة عمل اللجان في جمع وإعداد الأدلة وتحديد مؤشرات الأداء المطلوب لكل معيار على المستوى المؤسسي.

٥- الإطلاع على التقارير المرفوعة من اللجان الرئيسة لاستيفاء المعايير المؤسسية على نماذج الهيئة الوطنية ودراستها ومراجعتها وعمل التعديلات المطلوبة إن وجدت.

٦- التوصية بالموافقة على تقارير لجان المعايير الرئيسة في شكلها النهائي، والاطمئنان على توفر الأدلة ومؤشرات الأداء لجميع معايير الاعتماد المؤسسي.

٧- صياغة التقرير النهائي للتقويم الذاتي المؤسسي وعرضه على اللجنة العليا لمشروع الاعتماد الأكاديمي.

ثالثاً: تباشر اللجنة مهامها اعتباراً من تاريخه ولمدة عام.

رابعاً: يجوز للجنة أن تستعين بمن تقتضي المصلحة الاستعانة به من غير أعضائها عند الحاجة لذلك.

خامساً: يبلغ هذا القرار لمن يلزم تبليغه من أعضائها، وذلك للإدارات المختصة بالجامعة.

مدير جامعة الملك خالد
رئيس اللجنة
أ.د/ عبدالله بن محمد الراشد

ملحق رقم (٤): قراءة في كتاب صدر عام (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م).

المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة.

نشرت على صفحتي في الفيس بوك على حلقتين بتاريخ ٢٨/٥-٦/٧/ ١٤٤٤هـ. من كتب التاريخ الاجتماعي والإداري والاقتصادي لمدينة أبها (٢). كتاب(أبها حاضرة عسير دراسة وثائقية "١". أ. د. أحمد الحميد.

تقع في أيدينا وثائق خاصة أو عامة قد تكون في بعض الأحيان خصاصة فنعمد إلى إتلافها لعدم حاجتنا الوقتية لها وتمر الأعوام فإذا بالحاجة الماسة لما تتضمنه هذه الوثائق قد حلت فنعض أصابع الندم على فقدانها وكعادتنا نلوم زماننا واللوم الحق إنما هو لنا ، ومثل ذلك نعاصر من قد حقب من الدهر أشطره ولديه كنوز من المعلومات بذاكرة قوية وصدق في اللهجة فلا نحفل بما يقولون حتى يواروا الثرى فيفوتون فرصتنا وضيعتنا، يقال في المثل السائر " الصيد في جوف الفرا" كما يقال أيضاً " زامر الحي لا يطرب " يتبادر إلي هذان المثلان حينما أطالع مؤلفات الأستاذ الدكتور/ غيثان بن علي ابن جريس التي تتضمن كنوزاً وثائقية ومخطوطات وعجائب رصدها صاحبها الأستاذ في معجم في (٨) مجلدات[١] تحويها مكتبة الدكتور العامرة ولا يحتاج من الباحث في كتبه إلا إلى تحديد هدفه والصبر على استخراجه من هذه المؤلفات. هذه المؤلفات التي حوت رصداً مهماً للتاريخ التعليمي والإداري والاجتماعي لمدينة أبها خاصة ومنطقة عسير عامة على أن يغض الطرف عن جملة من الهنات التي تعرض له في حواشي هذه الكتب ما كان لها

(١) أصبح عددها في هذا العام ١٤٤٤هـ [illegible] (ابن جريس).

- ٩ -

تابع ملحق رقم (٤):



ص ١٤٨ م/١٥ هـ/ ٢٠٠٢

أن تكتب وتدون ولا تجعله يغض من قيمة ما تضمنته هذه المؤلفات وهذا له مجال آخر لا مكان له هنا وكتب أخينا الدكتور غيثان علي جريس :

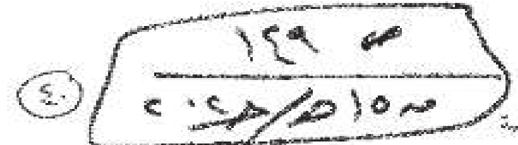
- كتب تضمنت دراسات جادة حول موضوعات معينة استطاع توظيف ما لديه من وثائق ومدونات في نظم معلومات الكتاب.
- كتب تضمنت مدونات كتبها مؤلفها واستكتب له مجموعة من المهتمين قد تكون شبه مذكرات أو مشاهدات مقالات أو بحوث تتعلق بقضايا منوعة تتعلق بتاريخ المنطقة السياسي والإداري والاجتماعي والاقتصادي أو تعقيبات من القراء أو تعقيبات أو تقريظ لكتبه وهذا خاص بسلسلة **(القول المكتوب في تاريخ الجنوب)** التي بلغت (٢٨) مجلدا .وسأقتصر هنا على القراءة والتعريف بكتاب: **(أبها حاضرة عسير دراسة وثائقية)** ممثلاً للنوع الأول ويكون به أنموذجا لنظائره .
- يقع الكتاب في (٥٨٣) صفحة والتسعين صفحة الأخيرة شملت صوراً للوثائق والمكاتبات والفهارس .
- طبع الكتاب عدة طبعات أول طبعة منها عام (١٤١٧هـ/١٩٩٧م)) وليس فيما يليها من طبعات مزيد إضافة .

(*) مصادره في الكتاب :

- وثائق ومخطوطات غير منشورة مدونات الأستاذ محمد أنور(ت: ١٤١٧هـ). ومدونات الأستاذ/ يحيى بن حسن بن مستور (ت: ١٤٤٣هـ) وهي مدونات في غاية القيمة إذ هي مرتبطة بشخصية مدونها وما شاهده وما وقف عليه من وثائق وما مارسه من خبرة. .
- وثائق ومذكرات من مديري الدوائر الحكومية والمدارس والقطاعات في ذلك العهد فيها جوانب مهمة معتمدة على إرشيف تلك الدوائر
- المخزون الوثائقي عند المؤلف الموجود في إرشيفه .

- ٢ -

تابع ملحق رقم (٤):



- الأبحاث والدراسات غير المنشورة .
- السجلات والكتب والتقارير الحكومية
- يتكون الكتاب من مقدمة وسبعة فصول وخاتمة .
- **الفصل الأول**: نبذة عن الأصول الجغرافية والسياسية التي حددت شخصية أبها .
- **الفصل الثاني**: التعليم والثقافة في أبها ويتناول فيه التعليم قديماً وحديثاً والتعريف بالتعليم العالي والمهني ومنافذ والمؤسسات الثقافية والمكتبات العامة ورموز الثقافة والأدب.
- **الفصل الثالث**: الحياة الاقتصادية في أبها ويتناول فيه الزراعة والتجارة والصناعة وإداراتها .
- **الفصل الرابع**: الحياة الاجتماعية والدينية ويتناول فيه العادات والتقاليد في مجتمع أبها وإدارات الأوقاف والمساجد وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجمعيات القرآن والبر .
- **الفصل الخامس**: العمران في أبها وتطوره قديماً وحديثاً والواقع وجهود البلدية في ذلك .
- **الفصل السادس**: جهود الدولة في خدمة المواطنين في الخدمات العامة من كهرباء وصحة وهاتف وإدارات وزارة الداخلية المحافظة بريد وإعلام ... إلى آخره.
- **الفصل السابع**: عن السياحة والآثار واقعها وتطلعاتها

(٢) مميزات الكتاب :

- يعتبر الكتاب – في ظني – أخص وأول كتاب رصد التاريخ الإداري والتنظيمي والتعليمي والعلمي والعمراني لمدينة أبها .
- الكتاب غزير المعلومات التفصيلية في كل فصل من فصوله بحيث يعسر علي في هذه الإضاءة حصرها .

- ٣ -

تابع ملحق رقم (٤):

٤١

١٥٠ ص

١٥ / ٥ / ٢٠٠٦م

- أبرز الكتاب الثقل التاريخي والحضاري والإداري والعلمي لمدينة أبها .
- تدوين الكتاب جاء في زمان حراك معرفي وثقافي في المنطقة يرعاه أميرها ذلك الوقت.
- دون الكتاب لأنشطة كانت قائمة في المدينة أصبحت الآن في طي الماضي ويكتنفها النسيان مثل أنشطة ملتقى أبها الثقافي وجائزة أبها والمعارض الفنية والتشكيلية ومعارض الكتاب والنشاطات الثقافية من كتب ودواوين وندوات ومحاضرات والعلماء والأدباء الذين وفدوا إلى مدينة أبها مقيمين أو مفيدين .
- كل من أراد معرفة تاريخ أي قطاع في المدينة منذ نشأته ووصفه واختصاصاته ومن تعاقب على إدارته فهذا الكتاب أصل أصيل لهذه المعرفة .
- سلط الضوء على العادات الاجتماعية القديمة والنمط العمراني الذي كان قائما بتفصيلات مهمة ودقائق كثيرة .
- ألقى الضوء بتركيز شديد على وجود أبها التاريخي بالمناقشة والتحليل .
- أشار إلى الكتب التي تناولت أبها فيما مضى ذاكرا بالإجمال ما تضمنته عن أبها مشيرا إلى قيمتها .
- عرف أحياء مدينة أبها القديمة بالإضافة إلى ساحاتها وأسواقها وبعض القرى التابعة له ثم تعرض إلى تاريخ إزالة تلك الأحياء القديمة ثم المخططات الجديدة للأحياء الحديثة وما مر عليها من إجراءات .
- تعرض للنشاط الاقتصادي وأنواع السلع والأسواق القائمة .
- تعرض إلى نظام الزراعة والسقي والسدود والآبار رابطا بين الماضي والحاضر .
- ألقى الضوء على التاريخ السياسي منذ عهد الدولة السعودية الأولى ثم ما تعرضت له المنطقة من حروب مع جيوش محمد علي باشا والعثمانيين من بعدهم ساردا أسماء الأمراء الذين توالوا على حكمها منذ عهد آل المتحمي ثم آل عايض ثم العثمانيين ثم السعوديين محددا مدد حكمهم إلى عام (١٤١٧هـ) .

- ٤ -

وصدقت صورة المؤسسة ١٤٢٧/٦/١٥

تابع ملحق رقم (٤):

(٤٢)

- عرف بالآثار القائمة بالمدينة ونواحيها وما كان فيها من قلاع وحصون وكذا أماكن السياحة فيها .
- ألقى الضوء على تفصيلات مهمة من مثل فصل ارتباط المنطقة بمنطقة جازان واختصاصات الأمارة وذكر المراكز التي أضيفت إليها والتنظيم الإداري وتعداد المراكز (المحافظات التابعة لها) تداخل اختصاصات الدوائر ثم تنظيمها بعد ذلك .
- وهكذا في الفصول التالية مضيفا لمحة تاريخية بالأسماء والأرقام والإحصاءات كل ما يتعلق بكافة الإدارات الحكومية والمراكز العلمية والبحثية والتطوعية وفروعها وأقسامها وأنشطتها في مدينة أبها معتمدا على السجلات والمدونات المكتوبة عن مديريها ورؤسائها مما جعل لهذه المعلومات المصداقية التامة .
- رصد جملة أوليات في المدينة سواء ما هو متعلق بدوائر أو أشخاص .

(*) وختاما :

فهذا الجهد الضخم أوسمة فخر لمؤلف الكتاب الأستاذ الدكتور / غيثان بن علي ابن جريس تضاف إلى سجله المليء بالإنجازات غير المسبوقة والمؤلفات الكثيرة التي يبذلها بالإهداء وتزويد الجهات المهتمة بها مجانا وهذا الكتاب مشروع لبحث عن منهجه ومصادره وقيمته ، ومشروع آخر لاستكمال ما بدأه من عام (١٤٩٧ - ١٤٤٤هـ). ومن يطلع على هذا الكتاب والكتب الأخرى له سيتصاغر لديه القول عن زعم ضياع التاريخ لمدينة أبها منذ تاريخ ظهورها حتى الآن والدكتور جدير بكل تكريم وما الضير في إقامة ندوة علمية عن جهوده ومؤلفاته رغم معرفتي بتواضع الدكتور وبعده عن فرض نفسه أو الظهور فبارك الله في عمره وزاده من فضله . (وكتبه أحمد بن محمد بن عبدالله الحميّد)، بمدينة أبها ، منطقة عسير ، في منتصف عام ١٤٤٤هـ) (والله ولي التوفيق)[١].

---

(١) هذه المدونة موثقة على صفحة الدكتور أحمد الحميّد في الفيس بوك، وقد نشرها على حلقتين، الأولى في (١٤٤٤/٥/٢٨هـ)، والثانية في (١٤٤٤/٦/٤هـ) ، وقد حظيت منه وتسلمته على طباعتها وترتيبها ثم إرسالها لي مرة ثانية حتى أنشرها في أكثر من وعاء. ونشرت هنا في المجلد رقم (٢٩) من موسوعتنا (الكوكب المكتوب في تاريخ الجنوب) ، ونشرت كما جاءت في الفيس بوك في (الكتاب التوثيقي : مقتطفات من حياتي العلمية ١٣٨٤-١٤٤٥هـ/١٩٦٤-٢٠٢٣م).(ابن جريس).

- ٥ -

ملحـق رقم (٥): مذكـرات خاصة أجمع من خلالها مادة علميـة عن تاريخ وحضارة بعضـ بلدان السـروات وتهامة . **المصـدر: مكتبة د. غيثان بـن جريس العلميـة ، الوثائق العامة .**

مذكرة مرسلة من غيثان بن علي بن عبدالله بن جريس إلى عدد من الأساتذة المثقفين وأرباب القلم السرويين . أو من عرف أو عاش في بلاد السراة من أبها إلى الطائف وليس من سكانها الأصليين. وذلك بهدف جمع مادة علمية تاريخية حضارية عن مسيرة التنمية الحديثة في هذه البلاد خلال أكثر من مئة سنة (١٣٤٠هـ ـ ١٤٤٤هـ/١٩٢١م ـ ٢٠٢٣م) . وغالبية المادة التي أبحث عنها من المعاصرة والسماع والتجارب والمشاهدة. وإذا توفرت بعض الوثائق والمدونات والصور الفوتوغرافية التي تدعم هذه الدراسة فتلك مصادر أصلية جيدة تخدم حضارة هذه البلاد خلال العصر الحديث والمعاصر.

(والله من وراء القصد) . (١٤٤٤/٦/١٠هـ الموافق ٢٠٢٣/١/٣م).

تابع ملحق رقم (٥):

أخي الفاضل ابن السروات من أبها إلى الطائف أو من سكن فيها أو سمع عنها خلال المئة عام الماضية (١٣٤٠-١٤٤٤هـ/١٩٢١-٢٠٢٣م) ... الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد:

أخي العزيز أرسل لك هذه المدونة ، وفيها أهديكم سلامي وتحياتي ، وأسأل الله لي ولك التوفيق والسداد، وصلاح القول والعمل. كما أفيدكم أنني ابن سروات الحجر ، فهي موطن الآباء والأجداد منذ عصور ما قبل الإسلام . وهذه الناحية جزء من بلاد السراة الممتدة من الطائف إلى حواضر اليمن الكبرى، والسروات التي تقع اليوم ضمن حدود المملكة العربية السعودية ، من سهول ومرتفعات منطقة نجران إلى محافظة الطائف، تعد من أقل البلدان التي وثق وكتب تاريخها منذ العصر الحجري إلى عصرنا الحديث ، وهي في الوقت نفسه أوطان مأهولة بالسكان والاستيطان البشري منذ عصور قديمة، وتشتمل على جميع المؤهلات الحضارية. ومنذ أربعين عاماً وأنا أسير في مناكبها، وأكتب عن تاريخها، وأعلامها الجغرافية والبشرية، وحضارتها في شتى الجوانب السياسية والإدارية، والاجتماعية، والاقتصادية، والعلمية والتعليمية والثقافية والفكرية، والسياحية . وكذلك صلاتها مع غيرها داخل شبه الجزيرة العربية ، وأحياناً خارجها . وكل ما وثقت أنا وغيري عنها يُعد شذرات وصفحات وفصول قليلة ومحدودة ، فمازالت بحاجة واسعة إلى خدمة هيئات وفرق علمية جادة تدرس وتوثق وتحلل وترصد موروثها الحضاري المعرفي في شتى الميادين عبر أطوار التاريخ القديم والإسلامي المبكر، والوسيط، والحديث، والمعاصر. نأمل أن يسخر لها من يعكف على خدمتها ودعمها مادياً ومعنوياً في إطار البحث العلمي الجاد والرصين .

أخي الغالي لو رجعت إلى كتبي وبحوثي التي صدرت خلال العقود الأربعة الماضية (١٤٠٥-١٤٤٤هـ/١٩٨٥-٢٠٢٣م)، فإنك سوف تطلع على الكثير من الآراء والتوصيات والاقتراحات العلمية التي تصب في خدمة عموم السروات وتهامة علمياً وبحثياً وتوثيقياً. وهذه المذكرة ضمن سلسلة اهتماماتي العلمية التوثيقية عن هذه البلاد السعودية العربية (محافظات



- ٢ -

تابع ملحق رقم (٥):

صـ ١٥٤ / قـ ١٥ / هـ / ٢٠٢٤ م

٤٥

الطائف، وتُربة، ورنية، والليث، والقنفذة . ومناطق الباحة، وعسير، وجازان، ونجران. وأحياناً بعض حواضر الحجاز، مثل: مكة المكرمة وغيرها)[1].

أخي المفضال أخبر سعادتكم في هذه المدونة المرسلة إليكم في هذا العام (١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م) بأني عازم - بعون الله تعالى - القيام برحلة ميدانية لبعض الوقت من أبها إلى الطائف، وهذه السروات المباركة ليست غريبة عليّ، لأنني ولدت وعشت فيها معظم حياتي، وعرفت وكتبت عن الكثير من تاريخها وحضارتها عبر عصور التاريخ. وأرغب بالكتابة التاريخية الحضارية عن شيء من تراثها وموروثها خلال قرن ونيف (١٣٤٠-١٤٤٤هـ/١٩٢١-٢٠٢٣م)، وأعلم أن هذه الفترة الزمنية طويلة جداً، تستحق أن يُكتب عنها مئات الكتب والدراسات، ولن أستطيع تحقيق ذلك، لكنني سوف أشير إلى صور من حضارتها الحديثة والمعاصرة، كيف كانت أرضها وسكانها تعاني من مشاكل جغرافية وتاريخية وحضارية كثيرة ؟ ثم تدخل تحت لواء هذه الدولة الحديثة المباركة (المملكة العربية السعودية) التي بذلت الكثير من التطويرات والجهود المباركة الموفقة حتى أصبحت اليوم (ولله الحمد) تنعم - أرضاً وإنساناً - بالكثير من التنمية المعاصرة، ورغد العيش، والأمن، والاستقرار. ومن يطّلع على آيات القرآن الكريم والسنة النبوية سيجد الكثير من البراهين والاستدلالات الشرعية التي نصت على أهمية الأمن والاستقرار، وما ينتج عن ذلك من فوائد كبيرة وكثيرة على حياة الإنسان، وعمارة الأرض[2]. واعلم يا أخي النبيل أنك ضمن من سمع، وعرف، وعاصر التاريخ الحضاري التنموي الحديث والمعاصر الذي تمر به السروات من أبها إلى الطائف خلال أكثر من مئة سنة (١٣٤٠-١٤٤٤هـ/١٩٢١-٢٠٢٣م). وإنك من طبقة المتعلمين والأعلام التي تستطيع أن تتعاون معي، وتدعمني بحثياً ومعرفياً من خلال المعاصرة والمشاهدات، أو القراءة والسماع؛ بما يفيدني لاستكمال هذا العمل العلمي التوثيقي، وربما تعيش حالياً في جنباتها، أو في منطقة أخرى من مناطق المملكة العربية السعودية . وربما لا تكون من سكانها الأصليين؛ لكنك عملت وعشت فيها بعض الوقت، ولك صلات حضارية مع أهليها، مما جعلك تعرف شيئاً من تراثها وموروثها

---

(١) من يطالع بعض دراساتي التي تجاوزت حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) أكثر من أربعمائة عمل علمي ، فإنه سوف يجد ذكراً واسعاً لهذه الأوطان السروية والتهامية الماجدة .

(٢) انظر الكثير من البراهين والشواهد في كتاب الله - عز وجل - وسنة الرسول الكريم(ﷺ) ، وفي كتب التراث الإسلامي (الشرعية، والتاريخية الحضارية ، والأدبية اللغوية، وغيرها من المصادر العربية والإسلامية المعتمدة) .

- ٣ -

١٤٤٤/٨/٢٢

تابع ملحق رقم (٥):

وتاريخها وحضارتها التنموية الحديثة. وحتى أقرب لك إطار عملي المحلي الذي سوف يقوم على ما عرفته وقرأته عن هذه الديار، أو ما عاصرته وسمعت عنه وشاهدته خلال العقود الستة الماضية (١٣٨٤-١٤٤٤هـ/١٩٦٤-٢٠٢٣م)، فإنني أسرد لك بعض المحاور والنقاط العامة التي ربما تساعدك أو تستهويك وتشجعك في التعاون معي، والكتابة عن مجال، أو مجالات تساعدني وتخدمني في إتمام هذا العمل المعرفي الذي سوف يعتمد على عدد من المصادر، ومنها استكتاب بعض المعاصرين أو العارفين بشيء من تراث هذه البلدان السروية وتاريخها وحضارتها. وهذه البنود على النحو الآتي:

١- عند خروجك من أبها نحو الشمال تدخل سروات بلاد الحجر (بلحمر، بلسمر، بني شهر، بني عمرو)، ثم سراة بلقرن، وشمران، وعبيدات، وخثعم، ثم سروات غامد وزهران، ثم قبائل بني مالك، وبلحارث وعدد آخر من قبائل محافظة الطائف. كل هذه البطون والقبائل استوطنت بلادها منذ آلاف السنين، ومازالت تعيش في مضاربها حتى وقتنا الحاضر. والمتأمل في أرجاء هذه الديار يجد الكثير من الآثار المادية السطحية والمدفونة. وجميع هذه المصادر تشتمل على معارف وتاريخ وحضارة للبلاد وأهلها قبل الإسلام وبعده. وإذا كنت أخي الكريم تعرف أي معلومات أو أخبار وروايات عن هذه الآثار ومواقعها، وما تحتوي عليه من تاريخ وتراث فأرجو أن تدون شيئاً من ذلك.

٢- نعلم أن ميدان الأنساب من الموضوعات الصعبة والشائكة. وسكان هذه الأوطان لهم أصول ونسب قديم، ومازالوا ينتسبون في جذورهم القديمة، إلا أننا لا نملك مصادر معروفة وموثوقة في هذا الباب، فإذا كان لديك مخطوطات أو وثائق أو مصادر أخرى لها صلة بعلم الأنساب عن سكان هذه النواحي، أو أي جزء منها، فأرجو أن تساهم معنا بالذي تعرفه وأنت متأكد من صحته ومصداقيته.

٣- تعمل البلاد في أعالي السروات هم القبائل الرئيسية في أوطانهم، ولهم فروع في الأجزاء الشرقية للسراة، وعند سفوح السروات الغربية. ولا نملك صورة واضحة عن العلاقات النسبية والبشرية بين هذه الأجزاء، مع أنهم متداخلون ومترابطون في كثير من المشتركات الحضارية. فإذا كان لديك أي شيء يصب في خدمة هذا الجانب، فأرجو موافاتنا به، لعله يكون مساعداً في توثيق شيء من تاريخ هذه الديار وتراثها.

- ٤ -

تابع ملحق رقم (٥):

ص ١٥٦/ ٥٢٥هـ/ م/ ٢٠٢٤هـ

٤- هذه السروات بأجزائها الشرقية والغربية عاصرت التاريخ الإسلامي منذ فجر الإسلام إلى منتصف القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، وهناك فقر معرفي كبير عن تاريخ وتراث هذه الجهات وبخاصة في القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة، ومازالت بحاجة إلى تضافر الجهود عند مراكز البحوث والمؤسسات التعليمية العالية في بلادنا الغالية (المملكة العربية السعودية). آمل أن ترى أهل البلاد أنفسهم مع أهل الاختصاص يتعاونون في جمع شيء من تاريخها وحضارتها وتوثيقها، وتنفيذ هذا العمل ليس بالعمل السهل. فالجامعات ومؤسساتها الأكاديمية يجب أن تستشعر مسؤولياتها تجاه هذه الأوطان، كذلك إمارات المناطق، ثم الباحثين والآثاريين والمؤرخين جميعهم عليهم مسؤولية عظيمة لخدمة أرض وسكان هذه السروات علميًا وبحثيًا وتوثيقيًا[١].

٤٧

٥- هناك بعض الكتب والبحوث التي أرخت لأقوام وقبائل وأماكن في السروات خلال القرن (١٣هـ/ ١٩م)، والعقود الأولى من القرن (١٤هـ/ ١٩-٢٠م)، ومازال هناك الكثير من الوثائق، والروايات، والأخبار المكتوبة عن هذه الديار، وهي جديرة بالجمع والدراسة والتحليل. فإذا كان عندك أي شيء من هذا المصادر، فأرجو إرساله لعله يفيدني في قادم الأيام لإصدار دراسة وافية شاملة عن عموم السروات خلال العصر الحديث. وإذا كان عندك بعض الصور الفوتوغرافية عن أي ناحية في البلاد نفسها، فأرجو تزويدي بها، حتى أستفيد منها، واحفظ حقك العلمي تجاه هذه المصادر الأولية.

٦- دخلت السروات تحت حكم الدولة السعودية الحديثة، وهذا الانضمام استغرق فترة من الزمان، وتفاوتت الظروف والأحداث لكل ناحية أو قبيلة حتى صارت جزءًا من كيان المملكة العربية السعودية. ودون الكثير من المراسلات والوثائق بين أهل البلاد والإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل ورجال دولته في عسير، أو المناطق الغربية والوسطى بالمملكة العربية السعودية وغيرها. وربما يكون عندك بعض الوثائق أو المصادر التي تعود للعقود الوسطى في القرن (١٤هـ/ ٢٠م) أرجو إعطائي صورة منها. ومن المحتمل أنك جمعت

(١) وجدت ندرة شديدة في المادة العلمية الخاصة بهذه البلاد من القرن الأول الهجري إلى نهاية القرن الثاني عشر. وكل الذي صدر عن هذه الأوطان شذرات قليلة لا تعطينا صورة واضحة عن حضارتها خلال تلك القرون الإسلامية.

- ٥ -

١٠

تابع ملحق رقم (٥):

بعض القصص والروايات الشفهية عن تلك الفترة وتستطيع تدوينها أو روايتها، وفيها مادة علمية جديدة تعكس صفحات من تاريخ الناس والبلاد في ذلك الزمان.

٧- كانت عموم السروات مثل غيرها من بلدان المملكة العربية السعودية يسودها عدم الاستقرار والفوضى، والصراعات القبلية، وفقدان الأمن. لكن الإمام عبدالعزيز ورجاله بذلوا ما في وسعهم لنشر الأمن في ربوع البلاد، وهناك الكثير من الإيجابيات والسلبيات التي عرفها الناس من الأربعينيات إلى ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، أرجو إذا كنت تعرف أي شيء في هذا الميدان أن تزودني به، فقد يفيدني في بحث بعض الجزئيات والقضايا التاريخية الحضارية الحديثة.

٨- إن التاريخ الحضاري للسروات في عصر الملك عبدالعزيز آل سعود (١٣٤٠-١٣٧٣هـ/ ١٩٢١-١٩٥٣م) متعدد الجوانب (سياسي وعسكري، وإداري ومدني، واجتماعي واقتصادي وثقافي وعلمي وتعليمي ومعرفي)، وهناك الكثير من الأحداث والأعلام الذين لعبوا أدوارًا عديدة في التدبير السعودية خلال تلك الفترة. وصدرت بعض البحوث والدراسات والرسائل الجامعية في هذا الباب. لكن مازال هناك الكثير من التواريخ والأحداث المحلية غير المدونة، ومصادرها في المكاتبات والرسائل والوثائق الخاصة. وبعضها مازالت قصصًا وأخبارًا وروايات شفهية يتداولها الناس. وكل هذه المصادر مهمة وجيدة في توثيق التاريخ المحلي لهذه الديار، وقد يكون عندك أي شيء من هذه المصادر، أو تعرف من عنده شيء من ذلك، ويستطيع أن يقدم أو يساعد بشيء في هذا الميدان، أرجو منك التعاون وبذل قصارى جهدك فيما يخدم هذا الموضوع علميًا ومعرفيًا وبحثيًا[1].

٩- أدرك الملك عبدالعزيز آل سعود (رحمه الله) الحال الذي تعاني منه أرض السروات وعموم بلدان المملكة، وهو الصراعات القبلية والأمية والجهل، وضعف تعاليم الدين الإسلامي، وفقدان الإدارة المركزية التي تجمع البلاد والعباد على منهج وكلمة واحدة. عندئذ اجتهد في تحقيق كل ما يوحد البلاد، وينشر العدل والأمن، ويوفر الراحة والاستقرار لكل الناس

(١) لا أقول هذا الكلام جزافًا، لكني أدركت ذلك [illegible] في ربوع السروات من [illegible] من قصص [illegible] الكثير من مصادر التاريخ المدونة في موضوعات متنوعة.

تابع ملحق رقم (٥):

٤٩

وأنت أخي العزيز سمعت وقرأت وعرفت الجهود المبذولة في أرض السروات حتى توحدت بلادها. وعرفت إنسانها طريقه نحو النمو والتطور المادي والمعنوي الحديث. فهل استطعت أن توثق لنا أي شيء في هذا الميدان الكبير: فأنت تساهم في توثيق صفحات من تاريخ وحضارة هذه البلاد خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/ ٢٠م).

١٠- أخي العزيز ربما أنك عشت وعملت وعاصرت تاريخ السروات من منتصف القرن (١٤هـ/ ٢٠م) إلى نهاية القرن نفسه. وقد تكون من الذين عملوا في أي قطاع حضاري تنموي عسكري أو مدني، حكومي أو أهلي. وعرفت بعض التاريخ الذي عاشته البلاد، أو جزءاً منه خلال تلك العقود، فأرجو أن توثق ما تستطيع في هذا الجانب؛ وإن فعلت ذلك: فإنك تنقل للأبناء والأحفاد صفحات من تاريخ الآباء والأجداد.

١١- كانت حياة الناس المادية والاقتصادية خلال النصف الثاني من القرن الهجري الماضي متواضعة، لكنها بدأت في التحول والتطور وخاصة بعد اكتشاف النفط. وكانت الدولة تسعى إلى تطوير الأرض والإنسان على حد سواء. وقد تكون من ذلك الجيل الذي حظي بشيء من التطوير والرعاية، وعندك رصيد معرفي وتاريخي عن تلك الفترة في عموم السروات من أبها إلى الطائف، أو في أي ناحية لها علاقة بهذه البلاد. فأرجو ألا تكتم ما تعرفه في هذا الباب. واعلم أن ما تدونه تذكره بصدق وإخلاص وأمانة يعد جزءاً من التاريخ بلادنا الحقيقي وحضارتها[1].

١٢- أخي العزيز إن بلاد السراة وخاصة: من أبها إلى الطائف، عاصرت هجرة بعض سكانها (رجالاً ونساءً) من منتصف القرن (١٤هـ/ ٢٠م) إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م). وأسفارهم وهجراتهم من بلادهم إلى بلدان عديدة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها لها ظروف تختلف من أسرة أو شخص لآخر، ومن فترة لأخرى خلال المئة السنة الماضية (١٣٤٣-١٤٤٤هـ/١٩٢٤-٢٠٢٣م). وللأحوال السياسية والأمنية والحضارية التي تعيشها البلاد السعودية خلال هذه المدة الدور الكبير في سفر الناس وهجرتهم من بلادهم إلى غيرها، وكذلك ترددهم، أو عودتهم إلى أوطانهم من فترة لأخرى. وهذا الجانب التاريخي

(١) [illegible]

تابع ملحق رقم (٥):

ص ١٠٩ / ١٥ / ٥ / ٢٠٢٥ م

٥٠

الحضاري، بحسب علمي، لم يدرس في أعمال علمية توثيقية جادة. وذكرته في هذه المدونة لعدة أسباب، منها:

أ - أن تاريخ هجرة الناس والقبائل من جنوب شبه الجزيرة العربية إلى شمالها مذكور ومعروف منذ عصور ما قبل الإسلام، وخلال القرون الإسلامية المختلفة. وكان لهم قديمًا ظروف مسوغة جعلتهم يهاجرون من أوطانهم الأصلية إلى غيرها. ولا أذكر ولا أعرف أن هناك دراسة علمية عميقة جادة درست هجرات قبائل السروات أو ناقشتها من نجران وقحطان إلى الطائف خلال القرون السابقة لعصر الإسلام، ولا في العصور الإسلامية حتى الآن[1]. وهجرة السرويين من بلادهم خلال المئة العام الماضية تختلف عما سبقها من هجرات أو موجات بشرية قبل الإسلام وبعده. والتاريخ السابق لعصر الدولة السعودية الحديثة مجال كبير للكثير من البحوث العلمية ذات الصلة بالهجرات البشرية. أما القرن الأخير الماضي (١٣٤٠ - ١٤٤٤هـ/١٩٢١-٢٠٢٣م) فالوضع مختلف تمامًا، لأن أهل السراة، وأقصد القبائل والعشائر وغيرهم لم يهاجروا من بلادهم بشكل دائم، إنما هاجر أفراد وجماعات وأسر لتطوير أنفسهم وتحسين أوضاعهم المعيشية، المادية والمعنوية تحت مظلة هذه الدولة العصرية الحديثة (المملكة العربية السعودية)، التي كانت ومازالت تبذل ما في وسعها لتطوير الأرض والإنسان في أرجاء البلاد. ومازال أولئك الذين هاجروا ويسافرون حتى الآن مرتبطين ببلادهم وقبائلهم السروية. وإذا كان عندك أخي الكريم أي مساهمة أو مشاركة علمية توثيقية في هذا الباب، فأرجو التعاون معي وتزويدي بما تستطيع[2].

---

(١) تاريخ هجرات القبائل والبشر من جنوب شبه الجزيرة العربية إلى بلدان عديدة داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها عبر عصور الإسلام المختلفة مدون في بعض المصادر والمراجع بشكل عام، لكن حتى الآن لا نملك دراسات علمية وافية عن هجرات قبائل جنوب المملكة العربية السعودية من فترات التاريخ القديم، أو عصور الإسلام المختلفة. آمل أن نرى مؤرخين جادين يخدمون هذا الميدان العلمي الجدير بالاهتمام والرعاية الجادة الحيادية المنصفة.

(٢) هجرة الأسر والأفراد (الذكور والإناث) من بلاد السروات إلى بلدان عديدة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها خلال المئة السنة الماضية (١٣٤٣-١٤٤٤هـ/١٩٢٤-٢٠٢٣م)، مجال بحثي كبير يستحق أن يصدر عنه مئات البحوث والدراسات والرسائل العلمية الجامعية. أرجو من مراكز بحوث جامعات السروات أن تدعم وتشجع خدمة مثل هذا الميدان.

- ٨ -

تابع ملحق رقم (٥):

١٦٠ هـ / ٥ / ٢٠٢٠ هـ

ب - أخي الكريم أنا وأنت وغيرنا من الذين هاجروا من بلادهم الأصلية من أجل تحسين أوضاعهم الوظيفية والحضارية، ولكل واحد (ذكراً أو أنثى) هاجر من السروات خلال المئة السنة الماضية ظروف عامة وخاصة. وقد تكون من القادرين على تدوين شيء في هذا الباب، من تجربتك الشخصية أو من مشاهداتك، أو ما عرفت وسمعت . فأرجو أن تساهم بالذي تقدر عليه وستذكره وجدير بالبحث والطباعة والنشر حتى يطلع عليه أجيال الحاضر والمستقبل .

ج - كلنا أدركنا وشاهدنا وعرفنا أهلنا وإخواننا السرويين الذين هاجروا أو سافروا من بلادهم بحثاً عن الوظائف العسكرية أو المدنية: الرسمية أو الأهلية . ومنهم - خاصة النساء - من سافر مع أزواجهن أو أسرهن أو لظروف أخرى تختلف من فرد أو أسرة لأخرى. فإذا كنت أخي العزيز تعرف أي شيء في هذا الباب، وربما يكون عندك بعض التجارب الشخصية، فأرجو توثيق ما تراه ذا فائدة، ومنفعة علمية ومعرفية وتاريخية حضارية .

د - مرت الدولة (المملكة العربية السعودية) بمراحل تاريخية وحضارية من أربعينات القرن (٤٩١٤هـ/٢٠٢م) إلى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) وبخاصة في مجال التطور الحضاري التنموي. وأهل السراة مثل غيرهم من سكان المملكة عاشوا تحت مظلة الدولة بكل ظروفها، ومراحلها، واستفادوا واستثمروا حياتهم في شتى الميادين الحضارية. وانتشروا في أصقاع المملكة يساهمون في بنائها وحضارتها، وخدموا أهليهم وبلادهم في مجالات كثيرة عامة وخاصة. فإذا كان عندك تاريخ وحضارة في هذا الباب فأرجو تدوين ما عرفته وله فائدة لخدمة الأرض والناس علمياً ومعرفياً.

هـ - أخي المفضال هناك قطاعات حضارية كثيرة تستحق أن يوثق تاريخها وآثارها الإيجابية على حياة الناس في السروات خلال المئة عام الماضية(١٣٤٣- ١٤٤٤هـ/ ١٩٢٤-٢٠٢٣م)، ولا أستطيع سردها كلها في هذه الفقرات المحدودة. لكني أذكر فقط ثلاثة مجالات هي :



- ٩ -

تابع ملحق رقم (٥):

ص ١٦١

٥٢

١ـ القطاعات العسكرية الدفاعية والأمنية التي التحق بها الكثير من السرويين، وساهموا في مؤسساتها بنسبة كبيرة، ونالوا من أعمالهم فيها فوائد كثيرة خاصة وعامة.

٢ـ ميدان التعليم العام والعالي الحديث منذ بدايته، بأرض السروات في خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وما عاد من خلال هذا القطاع على الناس والأرض في السروات من أفضال وخيرات كثيرة تستحق أن تكتب في عشرات الكتب والرسائل العلمية.

٣ـ العمل في القطاع الخاص والشركات الاقتصادية، وفي مقدمتها شركة أرامكو التي التحق بها آلاف السرويين منذ نشأتها حتى الآن (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م)، وكان لهم بصمات وجهود كبيرة في خدمة بلادهم (المملكة العربية السعودية)، ورعاية أنفسهم وخدمتها في مقرات أعمالهم بالمنطقة الشرقية، أو في بلادهم الأصلية (أرض السروات).

أنا متأكد أخي العزيز أنك عاصرت نهضة البلاد من خلال هذه الميادين الحضارية الثلاثة، وربما تكون من الذين عملوا واستفادوا كثيراً من العمل في أحد مرافق هذه القطاعات أو إداراتها أو أقسامها. فأرجو أن تتفاعل معي وتشاركني بما تقدر عليه علمياً، وأسأل الله لي ولك التوفيق والسداد.

١٣ـ أخي السروي، أو من عاش وعرف بلاد السروات وليس من أهلها. قد رأيت وسمعت وأدركت التاريخ التنموي الحديث الذي مرت به مناطق السراة من جنوب الطائف إلى شمال مدينة أبها. ففي التاريخ الاجتماعي هناك تطورات وتحولات على الفرد والأسرة والمجتمع، وعلى التركيبة السكانية، من عادات الطعام والشراب، واللباس، والزينة، ومجال العمارة والعمران، وأعراف وتقاليد، وفنون شعبية ورياضية، وثقافة ولهجات وصلات بشرية بين أهل البلاد الأصليين، أو من جاء إلى بلادهم من داخل المملكة أو خارجها على مدار مئة عام (١٣٤٣ـ ١٤٤٤هـ/١٩٢٤ـ٢٠٢٣م). واعلم أنك شاهدت وعاصرت وسمعت وعرفت



تابع ملحق رقم (٥):

الكثير من تاريخ وحضارة هذه الميادين الاجتماعية. أرجو أن تدلي بدلوك وتكتب ما عرفته، أو في أي موضوع أو محور عندك معارف وخبرات عنه .

١٤- إن المجال الاقتصادي (الرعي، والصيد، والزراعة، والصناعات والحرف الصناعية التقليدية أو الحديثة، والأعمال التجارية). جميعها أبواب حضارية عرفها السرويون عبر أطوار التاريخ. والحقيقة أنك شاهدت وعاصرت هذه الأعمال وآثارها على الأرض والناس خلال المئة أو الثمانين سنة الماضية (١٣٦٤- ١٤٤٤هـ/١٩٤٤-٢٠٢٢م)، وقد يكون عندك وثائق أو صور لها صلة بهذه الميادين، فأرجوك أن تكتب لي في أي موضوع تقدر توثيق صفحات من تاريخه منذ بضعة عقود ونحن أهل السراة وبخاصة المثقفين وأرباب القلم، الواجب أن لا نتقاعس في رصد تاريخنا الحديث والمعاصر وتوثيقه، حتى لا يأتي الأبناء والأحفاد فلا يجدون شيئًا من تراث وتاريخ وحضارة آبائهم وأجدادهم[1].

١٥- مجالات التعليم والتعلم، والعلم والأدب والثقافة والفكر، والجوانب الإدارية والإعلامية والمالية والسياحية جميعها موضوعات كثيرة، عرفها وعاصرها ومارسها السرويين وبخاصة خلال السبعين عاماً الماضية (١٣٧٠-١٤٤٤هـ/١٩٥٠-٢٠٢٣م). وكنت أخي ضمن الناس الذين عاشوا في هذه العقود الحديثة والمعاصرة، وقرأت وسمعت وشاهدت الحراك والتطور التاريخي في هذه الميادين، وربما كنت من صناع القرار أو العاملين في أحد هذه القطاعات. آمل أن تكتب لي مدونة شاملة وافية عن أي عنصر أو مجال تستطيع ، كما أرجو الحرص على الدقة والمصداقية في كل ما سوف ترصده، واحتسب ذلك عند الله - عزوجل - لأنك توثق صفحات من تاريخ هذه الديار السروية التي عاصرت جزءًا من تاريخها وحضارتها .

١٦- عاش في أرض السروات، من شمال حاضرة أبها إلى جنوب مدينة الطائف بعض الأعلام خلال المئة عام الماضية. والبعض منهم كانوا من الرموز الذين ساهموا في خدمة دينهم

(١) يجب أن لا نتقاعس أبداً من هذه المسؤولية؛ لأننا حصلنا على نصيب كبير من التعليم والتدرج في مجالات العلم والمعرفة. ولسنا مثل الآباء والأجداد الذين كانوا غارقين في الأمية، فلم يستطيعوا توثيق أي شيء من تاريخهم وحضارتهم. والمؤسف أن مجال التوثيق عندنا في الوقت الحاضر مازال ضعيفاً، وأحياناً غير موجود، والواجب علينا الأفراد والمؤسسات الرسمية والأهلية أن ندعم ونشجع كتابة تاريخنا الحاضر في شتى المجالات. وميادين النسبة الحضارية الحديثة تستحق أن يفرد لها عشرات البحوث والأعمال العلمية العميقة والرصينة.

- ١١ -

تابع ملحق رقم (٥):

٥٤

وبلادهم (المملكة العربية السعودية) وأهلهم وأقوامهم في مجالات مختلفة متعددة . فإن كان عندك علم ومعرفة ببعضهم، فأرجوك ساهم معنا في هذا الباب . كما أرجوك أن لا تأخذك العاطفة وتكتب عن أعلام هم أقل إسهامًا من غيرهم . وكل الناس فيهم خير، لكني أسعى إلى توثيق تاريخ الرموز الكبار وجهود الذين قدموا خدمات كبيرة للدين والبلاد والعباد على أنفسهم، وهناك الكثير منهم، لكن المعيار الذي نريد تطبيقه في هذه المدونة كتابة تاريخ وتوثيقات جادة تبنى على الحيادية، والإنصاف، والمصداقية، والشفافية في كل ما نرغب كتابته، وأن لا نضعف أمام رغباتنا وعواطفنا الشخصية (والله من وراء القصد) .

(*) **وختامًا** : أخي الخادم لدينه وبلاده، آمل أن تتجاوب معي في المشاركة والكتابة في أي موضوع تعرف شيئًا من تاريخه . كما أرجو أن تجتهد في الاختيار ثم الجد والاجتهاد والدقة في كل ما يقدرك الله عليه. وكلنا يا أخي الكريم خدام لديننا وبلادنا، ويجب أن نتشرف بهذه الصفة، وبلادنا بحاجة أن نخدمها ، ونرد لها الجميل. فقد جنينا الكثير جدًا من الفوائد والمكاسب الإيجابية، وهذا فضل الله علينا، ثم رعاية حكومتنا وولاة أمرنا الذين يعملون ليلاً ونهارًا على خدمتنا، وتوفير جميع سبل الأمن والاستقرار والراحة لنا، فجزاهم الله عنا كل خير . واعلم أخي العزيز أن أي مشاركة علمية تصل منك سوف نسعد بها، ونحفظ حقك العلمي، وهذا من واجبنا عليك. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على رسوله الأمين محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي عليه أفضل الصلاة والتسليم .

مدونة مرسلة من العبد الفقير الذي يرجو رحمة الله ومغفرته ـ عز وجل ـ غيثان بن علي بن عبدالله بن جريس الشواني الجبيري الشهري الحجري العسكوتي الأزدي. (الثلاثاء بتاريخ ١٠/٦/١٤٤٤هـ الموافق ٣/١/٢٠٢٣م) .

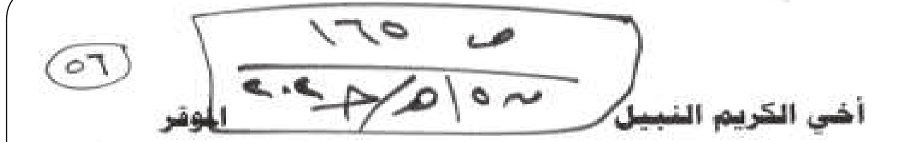
الإيميل : (ghithanjris@gmail.com)



تابع ملحق رقم (٥):

استكتاب بعض الأساتذة والأعلام
الذين عاشوا أو عرفوا أو شاهدوا
شيئًا من تاريخ وحضارة حاضرة
أبها بمنطقة عسير خلال المئة عام
الماضية (١٣٤٣هـ ـ ١٤٤٤هـ/
١٩٢٤ ـ ٢٠٢٣م)، وذلك بهدف
إصدار عمل علمي توثيقي عن
هذه الناحية السروية
(الخميس ١٤٤٤/٦/١٣هـ الموافق ٢٠٢٣/١/٦م)

تابع ملحق رقم (٥):



أخي الكريم النبيل الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد:

أرسل إلى سعادتكم هذه المدونة، وأهديكم سلامي، وأسأل الله لي ولك صلاح القول والعمل، كما أسأله أن يجعل جميع أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة الزمر: آية ١٨]. ولا تجعلنا ياربنا من الضالين الذين لا يعرفون سبب وجودهم الحقيقي في هذه الدنيا الفانية الزائلة.

أخي العزيز أخبرك أنني مهتم منذ عقود بالكتابة التاريخية التوثيقية الجادة عن بلدان عديدة في شبه الجزيرة العربية، وفي مقدمتها أرض وإنسان السروات وتهامة (من مكة والطائف إلى جازان ونجران) عبر عصور التاريخ. وفي هذه الديار حواضر قديمة وحديثة، ولكل ناحية تاريخ وحضارة متنوعة[1]. وحاضرة أبها ليست من المدن القديمة مقارنة بغيرها في جنوب شبه الجزيرة العربية، وقد أشرت إلى ذلك في عدد من كتبي، وأهمها كتاب: **أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية)**[2]. وهذه الحاضرة من المستوطنات البشرية القديمة، لكنها لم تكن تعرف بهذا الحجم الذي نشاهده اليوم، إنما كانت ناحية محدودة من أرض السروات، وكانت بلاد جرش، أو مخلاف جرش هو المعروف قبل الإسلام وبعده. أما سكن سروات أبها وما جاورها فهم خليط من القبائل العربية، وهناك دراسات صدرت خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، والعقود الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م)، تحدثت عن أرض وسكان حاضرة أبها، ومازالت

---

(١) أشرت إلى كثير من هذه المدن والبلدان في كثير من مؤلفاتي التي صدرت خلال الأربعين عاماً الماضية. لكن ذكري لها [illegible] قليلة ومختصرة . وهناك مدن تاريخية قديمة في مناطق : الطائف، وبنية، وترية، والباحة، والمخواة، وبيشة، وسروات وتهامة منطقة عسير، وموانئ عديدة على ساحل البحر الأحمر الشرقي، من جدة إلى الموسم في جازان ، ومدن أخرى عديدة داخلية في منطقتي جازان ونجران وغيرها . أرجو أن نرى باحثين ومؤرخين وآثاريين جادين يؤرخون لهذه المدن والحواضر التاريخية .

(٢) صدرت من هذا الكتاب طبعات ، الأولى عام (١٤١٧هـ/١٩٩٧م) . (رصدت فيه العديد من القضايا التاريخية والحضارية ، ومازالت هذه الحاضرة (أبها) تستحق مزيداً من الدراسات العلمية العميقة في شتى الجوانب .

- ٢ -

تابع ملحق رقم (٥):

٥٧

التركيبة السكانية، والأصول التاريخية والجغرافية لهذه الناحية تحتاج مزيداً من الباحث الجاد، أرجو أن يتحقق ذلك من خلال كليات، وأقسام، ومراكز بحوث جامعة الملك خالد[1].

إذا بحثنا في تراث وتاريخ وآثار وحضارة أي ناحية في السروات من نجران إلى الطائف في عصور ما قبل الإسلام، أو في القرون الإسلامية المختلفة حتى العقود الأولى من القرن (١٤هـ/٢٠م). فإننا سوف نجد تفاوتاً فيما كُتب عنها وحفظ من تاريخها. فهناك بعض القرى والمدن والحواضر المذكورة في بعض المصادر القديمة الكلاسيكية، وفي مقدمتها بلاد جرش، والبعض من بلدان هذه الديار مذكورة في العديد من المصادر الإسلامية المبكرة، والوسيطة، لكننا لا نملك صورة واضحة عن تاريخها السياسي والعسكري والحضاري في تلك العصور، ومازالت الكثير من أحداثها وحياة الناس فيها غير معروفة. وربما لو جمعت آثارها وتراثها المادي المدفون والسطحي قد نحصل على تفصيلات أشمل عن أرضها وإنسانها[2].

وبالعودة إلى مدينة أبها، أو سروات، أو حاضرة أبها فهي ناحية إدارية سروية ظهرت على مسرح التاريخ تقريباً من القرن (١٣هـ/١٩م)، ولا ننكر وجود أرضها وسكانها من قبل هذا التاريخ، لكننا لا نجد لها ذكراً سياسياً وحضارياً واضحاً. ولا أعلم هل ذلك يعود إلى عدم توثيق تاريخها، أو أنها فعلاً كانت كغيرها من بلاد السراة محكومة بقبائلها ومشايخها المحلية[3].

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

تابع ملحق رقم (٥):

ص ١٦٧
١٥/٥/١٤٤٤هـ
(٥٨)

إذا كان لي أكثر من دراسة عن بلاد أبها فذلك أمر محمود، لكن الذي أسعى إلى تحقيقه من خلال هذه المدونة أن أكتب شيئاً من تاريخها الحديث خلال المئة سنة الماضية (١٣٤٣-١٤٤٤هـ/١٩٢٤-٢٠٢٣م)، واعلم أن هناك الكثير من الوثائق والأوراق والسجلات الأصلية غير المنشورة عن هذه الناحية، وقد تكون مجالاً آخر لإنجاز دراسات علمية تاريخية حضارية وثائقية، أرجو أن يتحقق ذلك من خلال مؤسسات جامعة الملك خالد البحثية، ولن يكون هذا المجال من اهتماماتي في هذا العمل العلمي الحالي، وجل المادة العلمية التي أبحث عنها مستقاة من الرحلة في عموم حاضرة أبها، بالإضافة إلى ما قرأته، وشاهدته، وسمعت عنه من غاية القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م . ولعلمي ما للمذكرات والمدونات الشخصية من أهمية في تدوين التاريخ، عندئذ دونت هذه المذكرة ، وأرسلتها إلى عشرات الرموز .والأعلام، والأساتذة، والمثقفين، وأرباب القلم الذين ولدوا، أو عاشوا، أو عرفوا، أو عاصروا حاضرة أبها أو سراة وتهامة عسير خلال العقود العشرة الماضية . ولم أقصر مدونتي على السعوديين فقط، إنما أرسلتها إلى أعلام غير سعوديين من دول عربية وإسلامية وأجنبية جاءوا إلى أبها خلال المئة سنة الماضية (١٣٤٣-١٤٤٤هـ/١٩٢٤-٢٠٢٣م) وعاشوا فيها بعض الوقت، وعرفوا شيئاً من تاريخها وحضارتها[1]. وحتى أقرب الصورة لكل من أرسلت له هذه المذكرة، فإنني سوف أسجل بعض المحاور التي تساعد من له الرغبة والاستطاعة في التعاون معي، وتدوين ما عرفه وشاهده عن هذه الحاضرة الأبهاوية، أرجو من كل الأخوات والإخوان الفضلاء الذين يستجيبون لهذا الطلب، أن يحرصوا على تدوين علوم ومعارف جديرة بالبحث والاطلاع، كما أرجو منهم توخي الإنصاف، والحيادية، والشفافية، والمصداقية في كلما سوف يكتب . وإليك أخي الكريم بعض البنود العامة التي ربما تهتدي بها في توثيق وتدوين ما تراه نافعاً لطلاب العلم :

١- التركيبة السكانية لهذه الحاضرة قبلية بامتياز، وهناك من كتب بعض الدراسات ، أو الصفحات، أو الفقرات عن أصول بلاد عسير التي مركزها الرئيسي حاضرة أبها . ولا أريد

١٣/٦/

(١) لي تجربة طويلة في استكتاب الرموز وأرباب العلم والثقافة في مجالات وقضايا عديدة عرفوها وعاصروها. آمل أن أجمع كل ما [illegible] من مدونات ورسائل من هذا النوع من بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) إلى الآن، وأصدرها في عدد من الأجزاء في قادم الأيام . أما مصادقي في جمع مواد علمية بحثية فله الطريقة، فسوف تكون مجال بحث آخر . آمل أن يمد الله في العمر حتى تصدر هذه الدراسات المستقبلية.

- ٤ -

تابع ملحق رقم (٥):

ص ١٦٨
م ١٥/ ٥/ ٢٠٢٤

٥٩

أن أسهب في هذه النقطة لأن هناك آراء واختلافات كثيرة في هذا المحور، وحسب علمي ليس هناك دراسة صحيحة حقيقية منصفة ، وكل الذي دون ونشر مازالت أقوالاً وتخمينات تستحق أن تدرس دراسات جادة وعميقة، ومن يقوم بذلك قد يصل إلى شيء من الصواب، وربما لن يتحقق ذلك، لعدم وجود مصادر واضحة وحيادية ومنصفة وشفافة[1].

أما التركيبة السكانية الحاضرة أبها خلال قرن من الزمان (١٣٤٣- ١٤٤٤هـ/١٩٢٤- ٢٠٢٣م) فالصورة واضحة ، وخاصة بعد أن أصبحت هذه البلاد جزءاً من كيان المملكة العربية السعودية. فالأكثرية من سكانها قبائلها الأصلية. وهذه الحاضرة الأبهاوية اتسعت مسؤولياتها السياسية والحضارية حتى شملت معظم بلاد تهامة والسراة. وجاء إليها الكثير من الأجناس البشرية من داخل المملكة وخارجها، وربما يكون عندك معلومات ومشاهدات في هذا الجانب، فإذا كنت كذلك أرجو تدوين ما تراه علماً صادقاً ونافعاً وله صلة بالتركيبة البشرية لهذه البلاد خلال التاريخ المذكور أعلاه.

٢- أخي العزيز ربما تكون أستاذاً في علوم الجغرافيا، أو التاريخ ، أو البيئة، أو تكون من الهاوين والملاحظين للتغيرات الجغرافية الطبيعية وآثارها على الأرض والناس. وقد عاصرت التركيبة الجغرافية لحاضرة أبها بجميع مقوماتها منذ منتصف القرن (١٤هـ / ٢٠م)حتى الآن . آمل أن توثق ما تراه مناسباً علمياً ومعرفياً. وأبها، كما تعلم، كانت في السابق قرية صغيرة، حتى لو كانت العاصمة الإدارية لمنطقة عسير وما جاورها، لكن طبيعة عموم الحاضرة كانت ومازالت جميلة في تضاريسها، ومناخها، ومواردها النباتية والحيوانية، ثم جرى عليها تحولات سلبية وإيجابية كثيرة في هذا الميدان. فأرجوك أن تساهم معي في هذا المحور، وتكتب ما تراه جيداً وذات قيمة علمية.

٣- التاريخ الاجتماعي لحاضرة أبها مجال كبير، مثل أوضاع الفرد والأسرة والمجتمع خلال المئة سنة الماضية، وما جرى على هذه الميادين من تغيرات، بالإضافة إلى وضع المرأة في المجتمع

١٣/ ٦/ ١٤٤٥

(١) إنما أكثر من أربعين عاماً أدرس واطلع على الكثير من المصادر والمراجع العربية والأجنبية، وهناك الكثير من الآراء حول تاريخ وأصول قبائل حاضرة أبها . كما أني حضرت الكثير من الندوات والمحاضرات والمسامرات التي تدور في فلك هذا الموضوع، وكل دارس أو قائل يخرج بقول أو رأي أو خلاصة. وجميع هذه الأقوال والخلاصات مازالت ضبابية وقائمة على الظنون والتخمينات، والذي نسعى إلى معرفته هو الصواب والحقيقة، وربما يتحقق ذلك في قادم الأيام . وقد لا يتحقق.

- ٥ -

تابع ملحق رقم (٥):

٦٠

ص ١٦٩
١٥/ ٥/ ٢٠٢٣م

الأبهاوي. وتاريخ العمران، وأنواعه، وما حدث له من تبدلات وتطورات إدارية، ومالية، واجتماعية، واقتصادية، وسياحية. وحياة الناس العامة والخاصة في ألبستهم، وأطعمتهم، وأعيادهم، وتقاليدهم، وفنونهم، ولغاتهم ولهجاتهم، وصلاتهم عن حولهم في بلاد السراة وتهامة، وعلاقاتهم ببلدان أخرى كثيرة وعديدة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها. وآثار التنمية الحديثة على حياة الناس، وطرق المواصلات ووسائلها، والاتصالات والتقنية ووسائل التوصل الاجتماعي. كل هذه المجالات الحضارية الاجتماعية وغيرها موضوع كبير يكتب فيها مئات الدراسات، وقد تكون إنساناً تمتاز بشدة الملاحظة،وعندك الرغبة أن توثق أي جانب في الحياة الاجتماعية الأبهاوية خلال أي عقد أو فترة من المئة سنة الماضية، فأرجو أن لا تحتقر من الأمر شيئاً، ودون ما تراه يستحق الدراسة والتوثيق والاطلاع.

٤. الحياة السياسية، والعسكرية، والتنظيمات الإدارية والمالية والخدماتية التي عرفتها مدينة أبها خلال العقود الماضية المتأخرة، وامتداد آثار هذه القطاعات إلى بقية مناطق السروات وتهامة وبخاصة بلاد الباحة، وعسير، وجازان، ونجران. وربما تكون ممن عمل في قسم، أو إدارة، أو مؤسسة بإحدى هذه الكيانات الحضارية، ولك تجارب، وذكريات، ومشاهدات، وقراءات، وانطباعات في هذا الميدان. فأرجوك أن تستذكر ما تستطيع المساهمة فيه، مع توخي الدقة والإنصاف والشفافية فيما ستدونه، وأسأل الله أن لا يحرمك الأجر، على توثيق صفحات من تاريخ وحضارة هذه الحاضرة السروية الرئيسية الحديثة والمعاصرة[1].

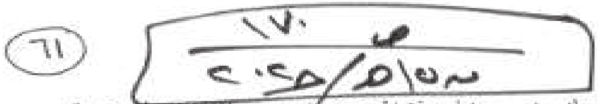
٥. الحياة الاقتصادية في سروات أبها وما جاورها متعددة الجوانب. من جمع والتقاط، إلى رعي وصيد، إلى مجالات زراعية، وصناعات وحرف قديمة وحديثة، كذلك الميدان التجاري وغيره. وكل محور من هذه المجالات يستحق أن يكتب عنه بحوث عديدة خلال المئة سنة الماضية(١٣٤٣-١٤٤٤هـ/ ١٩٢٤-٢٠٢٣م). وربما أخي العزيز، أنك من الباحثين، أو الموظفين، أو العارفين بعلوم ومعارف في أي باب من هذه الميادين، وتستطيع أن توثق شيئاً مما رأيت، أو عرفته، أو سمعت عنه. واعلم أخي الكريم أن ما سوف توثقه سينال

(١) نحن في حاجة ماسة إلى توثيق تاريخنا الحاضر والمعاصر. وما نتج عن التنمية الحديثة من تحولات كثيرة على الأرض والناس في عموم السروات وتهامة، من مكة والطائف إلى جازان ونجران.

- ٦ -

تابع ملحق رقم (٥):

٦١



الرعاية العلمية اللازمة. فأرجوك ساهم معنا في هذا الموضوع واحتسب ذلك عند الله خدمة للعلم وطلابه.

٦- إن للقطاع التعليمي والعلمي، والأدبي، والثقافي، والفكري أثر كثيراً على حياة الناس في أبها، وامتد هذا الأثر الحضاري الإيجابي إلى جميع بلدان السروات وتهامة . ومن يقف مع هذا الميدان فإنه سوف يشاهد منجزات حضارية تستحق أن توثق في عشرات الكتب والرسائل العلمية الجامعية. وربما تكون أخي المفضال من الذين لهم إسهامات في هذا الباب. وقد تكون معلماً، أو أستاذاً جامعياً، أو موظفاً صغيراً أو كبيراً ، وحصلت على فوائد جيدة من هذا القطاع. فأرجوك إذا كان عندك أي شيء في هذا الموضوع، وتستطيع توثيقه في مدونة علمية أن تفعل ذلك فقد يطّلع عليه بعض الباحثين وطلاب العلم، وتكون سبباً في نشر علوم ومعارف نافعة وغير معروفة عند الناس .

٧- حاضرة أبها ومنطقة عسير بلاد سياحية بامتياز، ولم تعرف بهذه الصفة الحضارية ، وتُسخر أرضها ومواردها سياحياً إلا في هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م) . وكل إنسان عاش في أبها، أو زار منطقة عسير ، لابد أن يكون عنده معلومات وانطباعات سياحية وترويحية وترفيهية، فأرجوك إن استطعت أن تزودني ببعض التوثيقات التي شاهدتها وعرفتها، فذلك عمل مبارك موفق (بإذن الله تعالى) ، ولن يحرمك الله - عزوجل - الأجر [(١)].

٨- أخي الكريم قد تكون من الذين يحتفظون ببعض المدونات الشخصية، أو الوثائق المحلية، أو الصور الفوتوغرافية الخاصة ببلاد أبها، وما جاورها من سروات وتهائم منطقة عسير. فأرجوك إن وجدت شيئاً يخدمني في هذا المشروع العلمي أن تساعدني وتزودني بما تقدر، وسوف أذكرك بخير ضمن المتن أو حواشي هذه الدراسة [(٢)].

٩- عرفت أبها وبلاد عسير الكثير من الأعلام خلال مئة عام(١٣٤٣-١٤٤٤هـ/١٩٢٤-٢٠٢٣م)". وهذا الموضوع من المجالات التاريخية الحضارية المهمة، لكن من يعمل في هذا

---

(١) هناك بعض البحوث التي صدرت عن السياحة في أبها وعسير، لكنها مازالت دون المأمول. آمل من جامعة الملك خالد أن تشجع أساتذتها ومراكزها البحثية على إنجاز بعض الأعمال العلمية الجادة في هذا الباب.

(٢) قضيت حوالي أربعة عقود في أرجاء السروات وتهامة، ومازال في هذه البلاد الكثير من المصادر المحلية المكتوبة مثل: العقود والاتفاقيات القبلية أو الأسرية ، والوثائق والمراسلات الشخصية، والمذكرات الخاصة، والصور الفوتوغرافية. فمن يكتب عن تاريخ هذه البلاد خلال العصر الحديث والمعاصر الواجب أن لا ينسى الاستفادة من هذه المصادر . (والله ولي التوفيق).

تابع ملحق رقم (٥):

الميدان عليه أن يكون منصفاً حيادياً فيما يريد توثيقه. وكتابة التراجم والسير لابد أن تقوم على معايير علمية واضحة بعيدة عن العاطفة والأهواء والمجاملات. ومن يسير في الأرض، ويسمع أقوال الناس عن بعض الرموز والأعلام البارزين الذين خدموا دينهم وبلادهم بأعمال كثيرة وكبيرة، ويستحقون أن يوثق تاريخهم حتى يطّلع عليه أجيال الحاضر والمستقبل. وقد يكون عندك أخي العزيز الرغبة في توثيق تاريخ بعض الأعلام الكبار المستحقين للذكر الحسن، وهم جديرون بذلك، فأرجوك ساهم معي في هذا الباب، ولك جزيل الشكر[1].

١٠- أخي من المؤكد هناك موضوعات أو ميادين لم أشر إليها في هذه المدونة، وعندك معارف عنها، وترى أنها جديرة بالتوثيق، فأرجوك بادر ودونها، حتى ينتفع بها طلاب العلم والمعرفة. وأنا وأنت نبحث عن الأجر والثواب، ونسأل الله لي ولك القبول، والإخلاص في القول والعمل، وصلى الله وسلم على رسول الله.

مذكرة مرسلة من غيثان بن علي بن جريس الجبيري الشهري (الجمعة ١٤٤٤/٦/١٣هـ الموافق ٢٠٢٣/١/٦م).

الايميل (ghithanJris@gmail.com)



(١) اطلعت خلال الثلاثين عاماً الماضية على بعض السير والتراجم، ولا تخلو من فوائد علمية، لكن بعضها يشوبها شيئاً من التعصب الاجتماعي العاطفي، في حين أن هناك أعلاماً آخرين جديرين أن يوثق تاريخهم، لكنهم لم يحظوا بالإنصاف والخدمة العلمية العادلة.

- ٨ -

ملحــق رقــم (٦) : خطاب بتاريـخ (١٤٤٤/٧/٦هـ) إلى رئيس جمعيــة الآثار والتاريخ بمنطـقة نجـران (جاتن) ، ينص على إهــداء غيثان بن جريس أكثر مــن (٩٠٠) نسخة مــن عدة مؤلفات كي توزع على المشاركين في (ملتقــى نجران : تاريخ وحضارة) ، الذي سيعقد في الفترة مــن (١٦-١٤٤٤/٧/١٨هـ الموافق ٧-٢٠٢٣/٢/٩م) . **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة .**

صدر ١٧٢
في ١٥/ ١٤٤٤هـ

حرر في ١٤٤٤/٧/٦هـ

٦٣

سعادة الأخ المفضال الأستاذ / محمد آل هتيلة

رئيس جمعية الآثار والتاريخ بمنطقة نجران (جاتن) الموقر

سعادة الابن الكريم الدكتور/ عوض بن عبدالله بن ناجي العسيري الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد

فقد سمعت عن جهودكم الموفقة من حيث الإعداد والتنظيم والترتيبات المتعددة لعقد (ملتقى نجران تاريخ وحضارة) . كما وصلني خطاب (دعوة) بتاريخ (١٤٤٤/٦/٢٤هـ/الموافق ٢٠٢٣/١/١٧م) من الأخ الزميل الأستاذ الدكتور / أحمد بن عمر الزيلعي الأمين العام لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، يفيد بتحديد عقد ملتقاكم الموقر في الفترة من (١٦-١٤٤٤/٧/١٨هـ الموافق ٧-٢٠٢٣/٢/٩م) ، ومن باب مشاركتكم ودعمكم والتعاون معكم أردت تزويدكم بأكثر من (٩٠٠) نسخة من (١٢) كتاباً لي وللأستاذ القدير/ محمد بن أحمد بن معبر القحطاني، هدية لكم كي توزع على ضيوف الملتقى، وهذه الكتب المرسلة والمهداة على النحو الآتي:

م	اسم الكتاب	عدد النسخ المهداة	سنة الطباعة والنشر
١-	دليل البحوث الجامعية في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (١٤٠١-١٤٣٥هـ/١٩٨١-٢٠١٤م)	(١٥٠ نسخة)	(١٤٣٦هـ/٢٠١٥م)
٢-	فهرس القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الأجزاء: ١-٢٥) .	(١٦٨ نسخة)	(١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م)
٣-	منطقة نجران . (دراسات، وإضافات، وتعليقات (من قبل الإسلام - ق ١٥هـ/ ق ١- ق ٢١م)(الجزء الأول) .	(٢٠٠ نسخة)	(١٤٤١هـ/٢٠١٩م)

١٤٤٤/٧/٦

- ١ -

تابع ملحق رقم (٦):

ص ٣ ١٧
ق ١٥/م ٢٠٢٠
حرر في ٢/٧/١٤٤٢هـ

٦٤

٤-	سيرة كتاب: احتفاء بصدور عشرة أجزاء من كتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب).	(٥٠نسخة)	(١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)
٥-	الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي (مجلدان).	(٦٠نسخة)	(١٤٤٠هـ/٢٠١٨م)
٦-	القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء التاسع) .	(٥٠نسخة)	(١٤٣٧هـ/٢٠١٦م)
٧-	القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الحادي عشر).	(٣٠نسخة)	(١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)
٨-	القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الثاني عشر) .	(٥٠نسخة)	(١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)
٩-	القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء السادس عشر) .	(٥٠نسخة)	(١٤٤١هـ/٢٠٢٠م)
١٠-	القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء السابع عشر).	(٥٠نسخة)	(١٤٤١هـ/٢٠٢٠م)
١١-	القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الثامن عشر).	(٥٠نسخة)	(١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)
١٢-	وثائق غيثان بن جريس الخاصة (٨) مجلدات .	(١٠نسخ)	(١٤٣٥-١٤٣٦هـ/ ٢٠١٤-٢٠١٥م)

أرجو من الأخوين الكريمين الفاضلين الأستاذ محمد آل هتيلة، والدكتور عوض بن ناحي العسيري توزيع ما ترونه من هذه المؤلفات، فهي هدية لملتقاكم ولضيوفكم الكرام، وإذا بقي منها أي شيء ولا تحتاجونها، فإنني سوف أرسل لكم من يأخذها حتى تُهدى لمناسبة علمية أخرى، وفي أي مكان من وطننا الغالي . وإنني أدعو لكم بالتوفيق والسداد، وقبول الأقوال

٢/٦/١٤٤٢م

- ٢ -

تابع ملحق رقم (٦):

(٦٥)

والأعمال، وأسأل الله لي ولكم صلاح النية ، والاستقامة على منهج الله (عز وجل) . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين .

وكتبه محبكم

غيثان بن علي بن عبدالله بن جريس

الشواني الجبيري الشهري العسيري

العفوني الأزدي بمدينة أبها في منطقة

عسير يوم السبت (١٤٤٤/٧/٦هـ الموافق

٢٠٢٣/٢/٦م) .

تابع ملحق رقم (٦):



جمعية التاريخ والآثار
بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية

GCC SOCIETY
FOR HISTORY & ARCHAEOLOGY

الإخوة والأخوات المشاركين في ملتقى نجران: تاريخ وحضارة **سلمهم الله**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد

فقد تلقيت تأكيدًا من سعادة الأخ الأستاذ محمد آل هتيلة رئيس جمعية الآثار والتاريخ بمنطقة نجران (جاتن) ما يفيد بتحديد الموعد الجديد للملتقى في المدة من ١٦ - ١٨ رجب، الموافق ٧-٩ فبراير المقبلين.

وسيكون الافتتاح في مساء يوم الثلاثاء ١٦ رجب، الموافق ٧ فبراير بعد صلاة العشاء مباشرة برعاية سمو أمير منطقة نجران الأمير [illegible] بن عبد العزيز بن مساعد، وتبدأ فعاليات الملتقى في اليومين التاليين، والمغادرة بعد ظهر يوم الجمعة ١٩ رجب / الموافق ١٠ فبراير الجاريين في حينهم.

مؤملين من جميع المشاركين تأكيد حضورهم برسالة نصية أو بالاتصال على الهاتف رقم ٠٠٩٦٦٥٠٤٧٤٨٠٩٩ عناية سعادة الدكتور عوض بن عبد الله بن ناصر العسيري أو الهاتف رقم ٠٠٩٦٦٥٠٥٣٧٨١٠٠٢ عناية سعادة الأستاذ محمد آل هتيلة، ومن لم يستطع الحضور لأي سبب من الأسباب نأمل تلقي اعتذاره على الهاتفين نفسيهما، وأيضًا تلقي أي استفسار يخصكم بخصوص الملتقى.

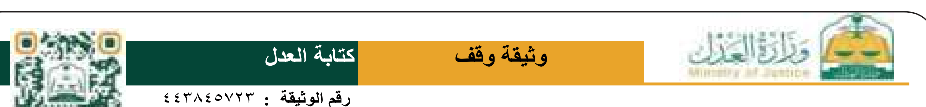
وتقبلوا خالص تحياتي وتقديري

الأمين العام

أ.د. أحمد عمر آل عقيل الزيلعي

P.O.Box 58387 Riyadh 11594 Kingdom of Saudi Arabia

ملحق رقم (٧): أوراق رسمية تخص وقف أرض لغيثان بن جريس في محافظة النماص على الجمعية الخيرية لرعاية الأيتام والأرامل بالمحافظة، وهذا الوقف صدقة جارية عن الواقف ووالده ووالدته. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ / ح٢٠٢)، ص ١٤٧ - ١٤٩.**



رقم الوثيقة : ٤٤٣٨٤٥٧٢٣
تاريخها : ١٤٤٤/٠٧/٢٤ هـ
الموافق : ٢٠٢٣/٠٢/١٥ م

تم توثيق وقف

الموقف			
الاسم	نوع الهوية	رقم الهوية	تاريخ الميلاد
غيثان بن علي بن عبدالله جريس	هوية وطنية	١٠٠٩٨٠٢٩٤١	١٣٧٩/٠٧/٠٢ هـ

أعيان الوقف	
النوع	بيان العين الموقوفه
عقارات	رقم الصك العقاري: 374901001308

مصرف الوقف (خيري)

أنا غيثان بن علي بن عبدالله جريس سعودي الجنسية بالهوية الوطنية رقم (1009802941) وأنا في كامل قواي العقلية المعتبرة شرعاً ونظاماً بأن من الجاري في ملكي وتحت تصرفي الأرض السكنية الكائنة بمحافظة النماص والعائدة ملكيتها لي بموجب الصك رقم (374901001308) وتاريخ 15/7/1439هـ والمسماة النصف الغربي من الرهو والظاهرة وهي بالحدود والأطوال والمساحة الإجمالية المرصودة بباطن الصك المشار إلى رقمه وتاريخه أعلاه، وقد قررت وقفها وقفاً منجزاً مؤبداً بمحض ارادتي وطيب نفس مني على الجمعية الخيرية لرعاية الأيتام بمحافظة النماص، مادامت كياناً قائماً قربة إلى الله - عز وجل - أرجو برها وثوابها منه تعالى وصدقة جارية عني وعن والدي ووالدتي رحمهما الله وزوجاتي وذريتي، وجميع العاملين على هذا الوقف، وذلك حسب الشروط التالية:

1ـ أن تكون النظارة لمجلس إدارة الجمعية الخيرية لرعاية الأيتام بمحافظة النماص مادامت كياناً قائماً فإذا زالت فتكون النظارة للجهة التي ترعى الأيتام والأرامل في المحافظة ومراكزها.

2- أن تقوم الجمعية بإقامة مبنى استثماري عليها وفق دراسة دقيقة توضح كيفية الاستثمار الأمثل لما يقام عليها، ويكون أصل من أصول الجمعية.

3ـ أن يتم البدء في تنفيذ واستثمار الأرض من تاريخ صدور صك الوقفية وفي مدة لا تتجاوز ستة عشر شهراً من تاريخ صدور رخصة البناء ما لم يحل دون ذلك ظروف قاهرة خارجة عن إرادة مجلس النظارة.

4ـ إذا تعذر استثمار الأرض من جمعية الايتام فإن الوقف ينتقل لأقرب مجلس جمعية أو مؤسسة أو كيان يعنى برعاية الأيتام والأرامل في المحافظة أو المراكز التابعة لها وفي حال عدم وجود جمعية تعنى بالايتام فيكون العقار لجمعية تحفيظ القرآن في محافظة النماص او المراكز التابعة لها.

5- أن تبقى الأرض وما سيقام عليها أصلاً لا يباع ولا يوهب ولا يورث تنفق غلته أو ما يقام عليه على الأيتام والأرامل المشمولين برعاية الجمعية او غيرها من الجمعيات التي ينتقل لها.

6- إذا تعطلت منافع الوقف فلمجلس النظارة عن طريق المحكمة او الجهة المختصة التصرف في ضوء منهج الشريعة في مثل هذه الحالة.

7- أن يلتزم مجلس النظارة عند إقامة مشروع على الأرض بعدم التسبب بأي أذى للمجاورين.

هكذا أنهي وأطلب إصدار صك بذلك حسب الإجراءات المتبعة.

١٤٤٤/٧/٢٤

2



صدرت هذه الوثيقة من النظام الإلكتروني لخدمات التوثيق، ويمكن التحقق من صحة الوثيقة عبر الخدمات الإلكترونية لوزارة العدل

تابع ملحق رقم (٧):



وثيقة وقف | كتابة العدل



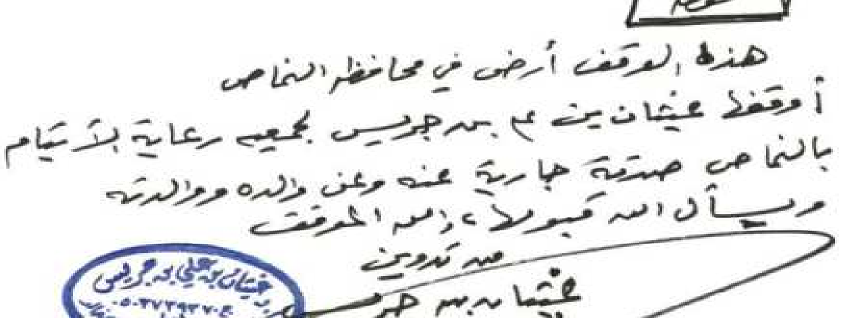
رقم الوثيقة : ٤٤٣٨٤٥٧٢٣
تاريخها : ١٤٤٤/٠٧/٢٤ هـ
الموافق : ٢٠٢٣/٠٢/١٥ م

مجلس النظارة	
اسم الناظر	رقم الهوية
عبدالله بالقاسم عبدالله الشهري	١٠٣٩٣٨٩٨٢٨
محمد ظافر يحيى الشهري	١٠٠٧٩٩٥٠٩٣
خالد عبدالله غرم الشهري	١٠٢٠٨٠٩٥٨٦

صلاحيات الناظر

يتكون مجلس النظارة من عبدالله بالقاسم عبدالله الشهري هوية وطنية 1039389828 رئيس مجلس إدارة جمعية رعاية الأيتام بمدينة النماص
خالد عبدالله غرم الشهري هوية وطنية 1020809586 نائب رئيس مجلس الإدارة الجمعية
محمد ظافر يحيى الشهري هوية وطنية 1007995093 المدير التنفيذي لجمعية رعاية الأيتام بمدينة النماص

وتتمثل صلاحيتهم في إجراء التصرفات التي تحقق الغبطة والمصلحة لعين الوقف وإيراده، وذلك بحفظه وإيجاره وتنميته وإصلاحه والمخاصمة فيه وصرف غلته، وفقاً لشرط الواقف.





2 من 2



صدرت هذه الوثيقة من النظام الإلكتروني لخدمات التوثيق، ويمكن التحقق من صحة الوثيقة عبر الخدمات الإلكترونية لوزارة العدل

تابع ملحق رقم (٧):

بسم الله الرحمن الرحيم





الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: فإن قطعة الأرض السكنية الواقعة فى حى ال رزيق محافظة النماص . المسماه النصف الغربى من الرهو والظاهره وحدودها وأطوالها كالتالي: شمالاً: ملك ورثة مغرم بن عايض الجبيري الشهري والحد يبداء من الشرق متجها غربا بزاويه 95درجه على الضلع الشرقي بطول : (31.8) واحد و ثلاثون متر و ثمانون سنتمتر جنوباً: شارع اسفلت عرض 7م يليه مقبره والحد يبداء من الشرق متجها غرب بزاويه 66درجه وبطول 8.20م ثم يتجه خفيف شمال غرب بزاويه 174درجه وبطول 36.80م بطول : (45) خمسة و أربعون متر شرقاً: ملك عبدالله بن علي بن عبدالله الشهري والحد يبداء من الشمال متجه جنوبا بزاويه مقدارها 95درجه على الضلع الشمالي بطول : (63.3) ثلاثة و ستون متر و ثلاثون سنتمتر غرباً: ملك نورة بنت علي بن شباب الشهري وملك فايز بن حمود بن غرمان الشهري والحد يبداء من الشمال متجه جنوبا بزاويه 74درجه وبطول 34.30م ثم ينكسر متجه جنوب غرب بزاويه 246درجه بطول 17.80م بطول : (52.1) اثنين و خمسون متر و عشرة سنتمتر ومساحتها :(1687) ألف و ستمائة و سبعة و ثمانون متر مربعاً فقط وذلك بموجب الصك الصادر من المحكمة العامة بمحافظة النماص برقم 70 / 1/ ح وجلد 2 في 29 / 12/ 1433 هـ هي في ملك / غيثان بن علي بن عبدالله جريس سعودي الجنسية بموجب سجل مدني رقم 1009802941 .. وعليه جرى التصديق تحريراً في 15 / 7/ 1439 هـ لاعتماده ،وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

ملاحظة:

هذه الأرض المرفقة في هذا الصك
ملك لغيثان بن علي بن جريس، وقد
أوقفها لجمعية رعاية الأيتام في النماص
صدقة جارية عنه وعن والدته ووالده
[illegible]
[illegible]

غيثان بن جريس

حرر في ٢٤/٧/١٤٤٢هـ الموافق [illegible]

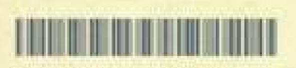
٢٤/٧/١٤٤٢هـ

تابع ملحق رقم (٧):

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة العدل
[٢٧٧]





تاريخ الصك: ٢٤/٧/١٤٤٤ هـ
رقم الصك: ٨٦٠٠٠١١٤٢٢٦٩

صك

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:
فإنه من خلال الخدمات الإلكترونية لوزارة العدل لإصدار الصكوك فإن
قطعة الأرض السكنية الواقعة في حي آل رزيق محافظة النماص . المسماه النصف الغربي من الزهو والظاهره
وحدودها وأطوالها كالتالي:
شمالاً: ملك ورثة مغرم بن عايض الجبيري الشهري والحد بيداء من الشرق متجها غربا بزاويه 95درجه على الضلع الشرقي بطول: (31.8) واحد و ثلاثون متر و ثمانون سنتمتر
جنوباً: شارع اسفلت عرض 7م يليه مقبره والحد يبداء من الشرق متجها غرب بزاويه 66درجه وبطول 8.20م ثم يتجه خفيف شمال غرب بزاويه 174درجه وبطول 36.80م بطول: (45) خمسة و أربعون متر
شرقاً: ملك عبدالله بن علي بن عبدالله الشهري والحد يبداء من الشمال متجه جنوبا بزاويه مقدارها 95درجه على الضلع الشمالي بطول: (63.3) ثلاثة و ستون متر و ثلاثون سنتمتر
غرباً: ملك نورة بنت علي بن شباب الشهري وملك فايز بن حمود بن عرمان الشهري والحد يبداء من الشمال متجه جنوبا بزاويه 74درجه وبطول 34.30م ثم ينكسر متجه جنوب غرب بزاويه 246درجه بطول 17.80م بطول: (52.1) اثنين و خمسون متر و عشرة سنتمتر
ومساحتها :(1687) ألف و ستمائة و سبعة و ثمانون متر مربع فقط
المملوكة لـ غيثان بن علي بن عبدالله جريس سعودي الجنسية بموجب سجل مدني رقم 1009802941 بموجب الصك الصادر من الخدمات الالكترونية لوزارة العدل برقم 374901001308 في 1439/07/15 هـ

أصبحت وقفا منجزا من الموقف مالك العقار أعلاه بموجب خطاب /صك الوقف الصادر من الانهاءات برقم 443845723 في 1444/07/24 هـ
لاعتماده ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

صورة طبق الأصل عند ...
وقف غيثان بن جريس بمدينة النماص
١٤٤٤/٧/٢٤هـ



صفحة رقم 1 من 1

ثانياً: سيرة ذاتية مختصرة



أولا: معلومات عامة

الاسم: غيثان بن علي بن عبدالله بن جريس الجبيري الشهري

- من مواليد محافظة النماص بلاد بني شهر عام (١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م).
- تلقى تعليمه الابتدائي والمتوسط والثانوي في محافظة النماص وحصل على الثانوية عام (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م).
- تلقى تعليمه الجامعي في مدينة أبها بفرع جامعة الملك سعود، قسم التاريخ، وتخرج في عام (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).
- ذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية ودرس درجة الماجستير في جامعة أوستن تكساس (University of Austin Texas)، ثم انتقل إلى جامعة إنديانا في مدينة بلومينجتون (University of Indiana) وتخرج فيها عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
- ذهب إلى بريطانيا وحصل على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي عام (١٤٠٩هـ - ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩ - ١٩٩٠م)
- عاد إلى جامعته في أبها وعمل في العديد من الأعمال الإدارية والأكاديمية بالإضافة إلى رئاسة القسم حوالي ثلاثة عشر عاماً.
- حصل على درجة الاستاذية في نهاية عام (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).

ثانياً: عضوية المجالس والمؤسسات المحلية والعربية والعالمية:

- رئيس تحرير مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي في الفترة من عام (١٤١٥هـ - ١٤١٩هـ / ١٩٩٥م - ١٩٩٩م).
- عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية.
- عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة.
- عضو الجمعية السعودية التاريخية.
- عضو جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي.
- أول مشرف لكرسي الملك خالد للبحوث العلمية بجامعة الملك خالد.

تابع سيرة ذاتية مختصرة

ثالثاً : المحاضرات العامة، والمؤتمرات، والندوات، والحوارات المحلية والإقليمية والعالمية ، بالإضافة إلى حصوله على بعض الجوائز والتكريم:

- قدم حوالي (١٨٥) محاضرة عامة ، وشارك وقدم أوراقاً علمية في أكثر من (١٦٠) ندوة ، أو مؤتمر ، أو لقاء علمي أو ورشة عمل .
- حصل على جائزة عبد الحميد شومان على مستوى العالم العربي، في العلوم الإنسانية عام (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) .
- تم تكريمه من قبل نادي أبها الأدبي في (١٤١٨/٢/٥هـ / ١٩٩٧م) بمناسبة حصوله على درجة الأستاذية بتميز .
- تم تكريمه في عدد من الملتقيات مثل ملتقى بني شهر الأول في الرياض عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، وملتقى زهران العاشر عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م).
- تم تكريمه ضمن شوامخ المؤرخين العرب في مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة عام (٢٠١٣ م)، وتاريخ هذا التكريم كان يوم الأربعاء (٢/ محرم/١٤٣٥ هـ الموافق ٦/نوفمبر/٢٠١٣ م) .
- تم تكريمه من قبل وزارة الثقافة والإعلام السعودي في معرض الكتاب الدولي الثامن بالرياض عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م). وفاز كتابه : الوجود الاسلامي في أرخبيل الملايو بجائزة الوزارة في ذلك العام (١٤٣٥ هـ)
- حصل على جائزة معالي مدير جامعة الملك خالد في مستودع الأبحاث الرقمية العلمية يوم الثلاثاء (١٨/٨/١٤٤٠هـ الموافق ٢٣/٤/٢٠١٩م) .
- تم تكريمه في نادي أبها الأدبي كأحد رواد البحث العلمي في مجال التاريخ والحضارة العربية والإسلامية يوم الثلاثاء (١٩/١١/١٤٤٠هـ الموافق ٢٢/٧/٢٠١٩م) .
- زيارة وتكريم مجموعة (أبها عطاء ووفاء) لغيثان بن جريس في منزلة بأبها في (١٧/١١/١٤٤١هـ الموافق ٨/٧/٢٠٢٠م) ، وكان برفقتهم رئيس جامعة الملك خالد وبعض المسؤولين في الجامعة .

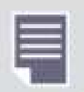
رابعاً: النتاج العلمي :

١. ألف ونشر أكثر من (٧١) كتاباً، أنظرها على الرابط الآتي (prof-ghithan.com)
٢. قام بتحقيق ومراجعة وتقديم العديد من الكتب والمجلات .
٣. نشر أكثر من (٣٩٥) بحثاً علمياً في مجلات وكتب علمية ، معظمها باللغة العربية وبعضها باللغة الانجليزية .

History of the South

A Historical and Cultural Encyclopedia

(1th - 15th H. / 7st - 21st G.)


Volume: 29


Prof. Ghithan bin Ali bin Jrais

Previous Professor of History at King Saud University and King Khalid University

First edition

1445 H /2023 G

Riyadh : Al Homaidhi Press